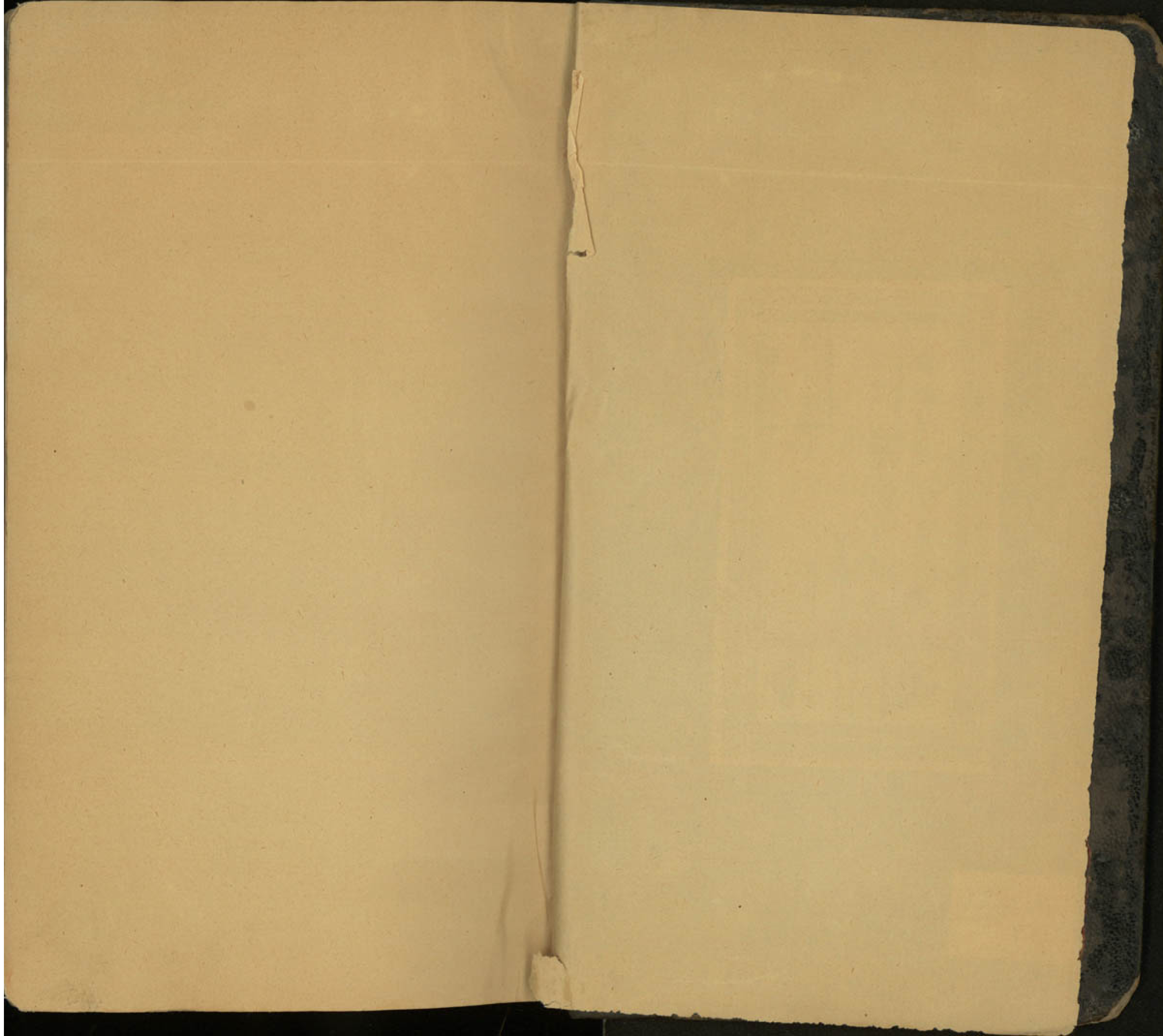


[illegible] مطالع الأعلى [illegible]
[illegible] الكافي صدر الدين
[illegible]
[illegible] الواحد وسنة [illegible]

بسم الله [illegible]

[illegible] الكافي [illegible]

بسم الله

في شرح اول حديث الواحد وسبعين ان المعرفة ههنا [illegible] في العالم تنقلب مشاهدة وعيانا في القيمة وكلما علم وان كان في هذا العالم جاهلا ناسيا يكون في القيمة اعمى وكذلك العقائد الدنيا ومحسوساتها وشهواتها تجري ثمارا في الجنة [illegible]

هذا الكتاب في ملك [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وعلى انبيائه وعباده الصالحين

فهرست كتاب العقل والعلم وهي واحد وعشرون بابا الباب الاول باب العقل والجهل وفيه اربع وثلاثون حديثا الثاني باب فرض العلم وفيه تسعة احاديث الثالث في صفة العلم وفضله وفضل العلماء الرابع اصناف الناس وفيه اربع احاديث الخامس في ثواب العالم والمتعلم وفيه ستة احاديث السادس في صفة العلماء وفيه سبعة احاديث السابع في فقد العلماء وفيه ستة احاديث الثامن في مجالسة العلماء وفيه خمسة احاديث العاشر في سؤال العالم وفيه عشرة احاديث الحادي عشر في بذل العلم وفيه اربعة احاديث الثاني عشر في النهي عن القول بغير علم وفيه تسعة احاديث الثالث عشر في من عمل بغير علم وفيه ثلث احاديث الرابع عشر في استعمال العلم وفيه سبعة احاديث الخامس في المستأكل بعلمه وفيه خمسة احاديث السادس عشر في لزوم الحجة على العالم وشدة الامر عليه وفيه خمسة احاديث السابع عشر في النوادر وفيه خمسة عشر حديثا السادس عشر في رواية الكتب وفيه خمسة عشر حديثا السابع عشر في التقليد وفيه ثلاثة احاديث الثامن عشر في البدع والرأي والمقاييس [اثنان وعشرون] التاسع عشر في الرد الى الكتاب والسنة وانه [illegible] ما يحتاج اليه الناس فيهما وفيه عشرة احاديث العشرون في اختلاف الحديث وفيه عشرة احاديث الواحد والعشرون في الاخذ بالسنة وشواهد الكتاب وفيه اثنا عشر حديثا كتبناها كما وجدناها والحمد لله

[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جلّ عن مطارح اضواء الفكر جلاله وارتفع عن مواقع انوار النظر كماله عجزت
المدارك والعقول عن كنه كمال حكمته وكلّت السن الفصحاء عن وصف جلال عظمته اشهد ان لا اله
الا هو الواحد القهار القادر المختار العزيز الجبار جاعل الملائكة والمدبرات وسائط لنظم
حفظه وجوده وباعث الانبياء والرسل وسائل لتهتدي الناس الى معرفة ذاته وجوده
فاعل كل محسوس ومعقول وغاية كل مطلوب ومسؤول واهب حيوة العالمين وناظم
السموات فوق الارضين مدبر الاسباب والامور ومقدر الازمنة والدهور محصل
ما في الصدور وباعث من في القبور يوم ينفخ في الصور ويطوي السماء للنشور جاعل الظلمات
والانوار ومظهر الليل والنهار ومحرك الفلك الدوار ومزين السماء بزينة الكواكب والاقمار
اوحى في كل سماء امرها بالوحي والتنوير والتسبيح والتصوير للملائكة الابرار المطهرين عن
شوائب النفوس الاشرار المسبحين الليل والنهار مع انهم دون الملائكة المحجبين(?) المقربين
المهيمين في نور جلال رب العالمين فما ظنك بصور لم تعرف بجسدها(?) الا انهم لكون شيعتها(?) ظلموا
وتابدا(?) والعلى لما احتجبوا بهذا المعاد راحوا المخلص عن الاضداد والتجرد عن المواد وصيق(?) شاهدوا
عن الدار بابها وعيدانها حاولوا ان يحلوا ساحتها وابوابها يوم يقوم الناس لرب العالمين
وينشر صحايف النفوس والدواوين واصلي على صفوة عباد الله المرسلين وسفرائه الصائبين(?)
واحبائه المصطفين واوليائه الكاملين سيما سيد الانبياء وقطب الاولياء محمد خاتم الاولين
والآخرين وعلى امير المؤمنين وامام المتقين واكرم الانصار والمهاجرين وخليفة رسول
رب العالمين وابنائه الائمة المعصومين والاخيار المطهرين والشهداء والصالحين صلى الله
وملائكته على النبي والصلوة دائمة وتسليما كثيرا ونور قلوبهم وارواحهم بنور المحبة والولاية
تنويرا وطهر نفوسهم واشباحهم عن الرجس تطهيرا اما بعد فيقول احوج خلق الله
وافقرهم الى عفو ربه الكريم محمد بن ابرهيم الشيرازي الشهير بصدر الدين اذاقه الله من
كاس المعرفة ومشرب التحقيق واليقين اعلم اخواني المؤمنين واصحابي الصالحين بما اكرم(?)
الى مسلك اليقين ومنهج المتين ان السعادة ربما يظن بها انها الفوز باللذات الجسمانية(?)
والوصول الى المشتهيات الجوانية(?) وما ابين لمن يحقق الامور وذاق مشرب المعرفة والنور
وتفطن بالسلامة عن الشرور والخلاص عن دار الغرور وموطن اصحاب القبور ان شيئا منها

ليس سعادة حقيقية وانما هي حجب ظلمانية واستحالات جسمانية ومنامات خيالية وصور
مرائي وهمية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا او كظلمات بعضها فوق
بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور الم تر انها البصيرة الذي
يتعاطيها منهمكا فيها كيف انقطعت الالهامات والسكينات الالهية عن حواليه وامتنعت
المعارف والعلوم الحقيقية عن النزول فيه وتعذر عليه اخلاص النية الالهية وصدق القصد
والهمة في شيء مما يفعله ويؤديه من صور الاعمال الحسنة والعبادات وما يعده من الخيرات
والطاعات من غير معاوقة همة دنياوية او مصادمة طلبة نفسانية كانه لم يعرف الاخرة
الا كالدنيا ولم يطلب في الحقيقة الا ما يكون منها ولم يبتغ لقاء الله والتقرب اليه ورضوانه
لعدم استيناسه بالفيض العلوي ولا ارتباطه بالروح الالهي الذي يزال به العمى عن
القلب المعنوي والصمم عن السمع العقلي بسبب انغماسه في المنزل الادنى وانسداد باب
المعرفة على سمعه وقلبه كالاصم والاعمى والخضاره(?) في سجن الدنيا واخلاده الى الارض السفلى
والقرية الظالم اهلها دار الاموات ومنزل الدواب والحشرات ومعدن الشرور
والظلمات فيحتجب عن ملاحظة الابد ومعاينة جمال التفريد لانهم صم عن السمع لمعزولون
بكم فهم لا ينطقون عمي فهم لا يبصرون سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ثم انه لا شك
في ان اقصى ما يتاتى لكل احد ان يستعد به ويفوز بالوصول اليه هو الكمال المحقق
والملايم المنسوب الى نوعه وفصله وكلما انحط عنه فهو نقصان فيه وشقاوة تلحقه وتعتريه
وان كان كمالا وسعادة لمن هو في رتبة الوجود دونه وتاليه فاذن لكل نوع كمال
يختص به وبه سعادته فللاجسام في حصول الحيز والفضاء وللنبات في التغذية والانماء
وللحيوان في حيوته بانفاسه وحركته بارادته واحساسه وللفلك في دورانه بشوقه و
وجدانه وللملك في تسبيحه وتمجيده وطوفانه حول العرش بتحميده وللشيطان في اغوائه
واضلاله لاقرانه واعوانه فما من دابة وما دونها وما فوقها الا ومن شانها البلوغ الى
اقصى ما لها من الكمال ما لم يعقها عايق فلهذا النوع ايضا كمال خاص به سعادته وبدونه
شقاوته ان وصل اليه لا يفوقه فايق ولا يسبقه سابق وبه يستحق خلافة الله في الارض
والسماء وان كانت له مشاركة مع ساير الاشياء بحسب ما اودع الله فيه من الآلات
والقوى والخوادم والاعضاء فله درجات في الوجود واطوار ونشآت من ادنى الامور
الى اقصى ما حصل من الموجود كما قال وقد خلقكم اطوارا ظلمات وانوارا وكماله الخاص
بجوهر ذاته انما هو الاحاطة بالمعلومات والتجرد عن الماديات والتخلص عن الشرور
والظلمات فاذا انحط عن كماله وما خص له في ماله وبطل استعداده ليوم معاده وزال

رأس ماله من زوال حيوة الاولى وفقد آماله في اخس حال واضل ضلالا من الانعام والحشرات واسوء حالا من الدواب
والجمادات لكونه من المردودين الى اسفل سافلين بعد ماله قوة الارتقاء الى اعلى عليين ومجاورة المقربين
وذلك هو الخسران المبين والعذاب المهين فبمقتضى العقل الصريح المؤيد بالنقل الصحيح يجب على كل انسان
خلقه الله خلقة صحيحة سالمة من النقايص الفطرية والقصورات الجبلية وافاده قوة بها يدرك حقايق
الايمان وآيات القرآن ويعرف بها الحق الاول والملائكة والرسل والكتاب والميزان والحساب
والمعاد والنشر والجنة والرضوان والعقاب والنيران ان لا يقف من العمل ولا يعاف الكسل
من تحصيل العلم والعرفان والتخلص عن شرور هذه النفوس والابدان بمطالعة آيات الله والعلوم
المنزلة بالوحي والالهام على النبي وآله عليهم السلم الذين هم خزاين اسرار الوحي والتنزيل ومعادن
جواهر العلم والتأويل وحفظة اسرار اليقين والايمان وسدنة انوار الحكمة والبرهان لانهم صلوات الله
عليهم اجمعين معصومون عن الخطأ والنسيان مطهرون عن السهو والنقصان بما اذهب الله عنهم
من رجس العصيان وطهرهم من دنس الجهالة وغواية الشيطان فجعلهم الله حججا على بريته وانصارا
لدينه واوعية لاسرار علمه ومستودعا لانوار حكمته واركانا لتوحيده ودليله وادلاء على صراطه
وسبيله وارواحهم وانوارهم واحدة بعضها من بعض وطينتهم واسرارهم متصلة واحدا بعد
واحد والدا وما ولد خلقهم الله من عليين وجعلهم بعرشه محدقين في بيوت اذن الله ان ترفع
ويذكر فيها اسمه فبولايتهم يسلك سبيل الجنة والرضوان وعلى من جحد نورهم غضب الرحمن و
عذاب النيران وهم العلماء الربانيون والحكماء الالهيون والاولياء الكاملون وعباد الله
المكرمون المحبوبون واهل الذكر الذين عنهم يسئلون لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون ثم ان احسن احاديث مذكورة رويت لنا منهم وابهى درر كلمات منثورة نقلت
الينا عنهم تحلى اللسان بجواهر حقايقها وتجلى الانسان في زواهر حدايقها احاديث كتاب
الكافي التي الفها وجمعها ابن الاسلام وثقة الانام الشيخ العامل الكامل والمجتهد البارع
الفاضل محمد بن يعقوب الكليني اعلى الله قدره وانار في سماء العلم بدره لقد ساق ماء العلم
الفرات الطيب من انهار كتابه وجداول فصوله وابوابه الى اراضي القلوب الزكية الطيبة
لتخرج به ثمرات هي اصول اغذية القلوب والارواح وفروع فواكه العقول والالباب
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ولكن ربما يقع الماء على السباخ اليابسة والصخور
القاسية والبقاع المالحة لسعة رحمة الله وشمول فيضه فاذا وقع العلم في غير اهله ومستحقه
ممن غلقت على قلوبهم ابوابه غير مفتحة لم يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويكون
حجة عليه يوم القيمة يدحض الله به باطله فيغلق عليه طريقه ويسد عليه ابوابه فربما كفر وحقد
درجات طالبه كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار نار
الحسد والاستكبار وشرارة الجحود والانكار وعذاب الجهل والاضرار مثلهم كمثل الذي

استوقد

استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم
عمي فهم لا يرجعون ولقد رأينا كثيرا من اولى العلم والعرفان ومتعلمي الحديث والقرآن المنتسبين
اولا اليه بتمام الجد والكد ثم عن قليل يشبعون عن كل فن بسرعة ويغنون عن كل دن بجرعة
لعدم وجدانهم فيه ما هداهم اليه من الاغراض الفاسدة والمآرب الباطلة ولهذا لم ينالوا
من العلم نصيبا ولا الشقي منهم يصير سعيدا بصيرا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به
الا الفاسقين بل نرى من المشتغلين ما يزجي طول عمره في البحث والتكرار وآناء الليل و
اطراف النهار ثم يرجع بخفي حنين ويصير مطرحا للعار والشين وهم المذكورون في قوله تعالى
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
نعوذ بالله من الغواية والغباوة ونستعيذ بنوره من شر ما يضلنا عن طريق الهداية فاقول
معتصما بحفظه وكرمه شاكرا لجوده ونعمائه قد صادفت من هذه الاحاديث اصدافا علمية
في بحر الحكمة والعرفان مشحونة بجواهر زواهر حقايق الايمان مكنوزة فيها لآلي معاني القرآن
مدعمة بدعائم قوانين البرهان وكنت برهة من الزمان متأملا في اسرار معانيها متعمقا
في بحار مبانيها مستخرجا بقوة الفكر والبرهان فرائد جواهر لآليها شاهدا بنور البصيرة
والعرفان وجوه عرائس ابكار لم يطمثهن انس ولا جان وكنت اشاور نفسي واردد
قداحي في ان اشق للاخوان الصالحين تلك الاصداف الثمينة واستخرج للطلاب السالكين
دررها الثمينة واشرح لهم ما شرحا يذلل صعابها ويميز من القشر لبابها وارى لهم صفاة
الفكر صفائح من غشها واخلص بمنخل العقل لبابها من قشرها وانقد جواهر معانيها واحصل حقايق
مبانيها حتى يكون كتابا جامعا لشتات اصول الدين كاشفا عن دقايق اسرار اليقين يوجد
فيه خلاصة اقوال العلماء الراسخين ونقاوة اذواق الحكماء المتألهين وفيه رموز الآيات
القرآنية وكنوز الانوار الفرقانية وتأويل الاحاديث النبوية واسرار الكلمات الولوية
الواردة من اهل بيت النبوة والولاية سلام الله عليهم في البداية والنهاية ولكن العوائق
تمنع عن المراد وعوادي الدهر تضرب دون بلوغ الامل بالاسداد لما رأيت من قصور
الطبايع والاذهان وجمود القرايح على ما سمعوا من الامثال والاقران ومشاهير الزمان
واساتيد الدوران مع ما نشاهد من معاداة الايام بتربية اللئام وتوقير الجهلة والانذال
وشعشعة نيران الجهالة والضلال وتعظيم اعداء العلم والعرفان وخفافيش انوار الحكمة والبرهان
ولقد ابتلينا بجماعة يرون التعمق في الامور الربانية بدعة والتدبر في الآيات الالهية
خدعة كأنهم الحنابلة من كتب الحديث المتشابه عليهم الحق والخلق والقديم والحديث لم يتعد
طورهم عن طور الاجسام ولم يرتق نظرهم من الهياكل والاجرام فاعرضوا عن العلوم الالهية
والاسرار العظيمة الربانية التي جاءت بها الانبياء ونزلت بها اليهم الكتب من السماء مما اوحى الله

عليها واثنى على متلقيها في مواضع عديدة من كتابه المجيد الذي هو تنزيل من عزيز حميد فكنت بقيت
على هذه الحال ممسكاً عنان الاشتغال حتى التمست مني جماعة من الاخوان ورفقة من الخلان المستعدين
لكشف الاقوال المستضيئين لنور الاحوال وكلما زدت في الاعتذار زادوا في الاقتراح وكلما
ابيت ابوا الا المراجعة في طلب الانجاح حتى اوهنوا عزمي على الاستنكاف ورجوا حيلتي الى
الاسعاف علماً مني بان الرحمة الالهية مقتضية لان لا يهمل امراً من امور يحتاج اليه الاشخاص
بحسب الاستعداد والعناية الربانية لا تبخل بشيء نافع في مصالح العباد ذخراً ليوم المعاد
فربما اقتضت رحمته ان لا تختفي في بطون الاستتار هذه العلوم المنكشفة من عالم الاسرار
ولا تبقى في الكتمان والاحتجاب الانوار الفائضة من نور الانوار فالمعاني الخاصة مما شربنا
من علم القرآن والحديث وسكرنا به من تأويل الاحاديث جرعة للعطاش الطالبين ولمعة
لقلوب السالكين ليحيى بها نفس من شرب منه جرعة ويتنور قلب من وجد منها لمعة فرأيت
ان اشرع في شرح الاحاديث مستمداً من الله مستعيذاً به من شر كل عنيد وخبيث واخرج
تلك المعاني من القوة الى الفعل والتكميل حيز المعاني من الخفاء الى الوجود والتحصيل فاعملت
فيه فكري وجمعت على ضم شوارده امري وسألت الله ان يشد به ازري ويحط بكرمه
وزري ويشرح لاتمامه صدري فنهضت عزيمتي بعد ما كانت قاعدة وهبت همتي بعدما
كانت راكدة واهتز الخامل من نشاطي وتموج الساكن من انبساطي وقلت لنفسي هذا اوان
الشروع وشرح اصول يستنبط منها الفروع وتحلية الاسماع بجواهر المعاني الفائقة وابراز
الحق في صورة المعجبة الرائقة غير مبال بانكار المنكرين واستنكار الجاحدين المتكبرين
توكلاً على الله ورجاء منه في اعانة الصابرين واغاثة الملهوفين ودفع شرور المعاندين
ورد كيد الحاسدين كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون قل الحق من ربكم فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر والرجل المؤمن المتيقن فيما جاءه من الحق وهو على بينة من ربه
لا يلتفت الى المشهور ولا يبالي اذا اصاب الحق من مخالفة الجمهور فان الجمهور ساكنون
في بيت جاههم مقيمون في اول نشأتهم ومقامهم وهو مسافر من مقامه مهاجر الى الله و
رسوله والمسافر لا بد له من مخالفة المقيم فان وافق ذلك نظر ابناء الزمان واصحاب
البحث والبيان فهو الذي نرومه منهم ونهواه وان لم يوافق نظرهم ولم يهتدوا به
فمعلوم ان الحق لا يوافق عقول قوم فسدت قرائحهم بامراض وعلل اعيت اطباء النفوس
عن علاجهم حتى خوطب النبي الهادي ع بانك لا تهدي من احببت فلا جرم اذا شرعوا
في تحصيل العلم واقتباس النور ما زادهم الا نفوراً وغروراً استكباراً في الارض
ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله وليس لنا مع هؤلاء واشباههم كلام وكتاب
ولا بحث وجواب ولا نداء وخطاب حسبما قال تعالى ولو جئتهم بكل آية لا يؤمنوا بها وفي

الحديث عنه صلى الله عليه وآله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا الراسخون فاذا نطقوا به
لم ينكره الا اهل الغرة بالله ثم اعلموا يا اخواني المؤمنين ان علم الحديث كعلم القرآن مشتمل
على ظاهر وباطن ومجمل ومبين وتفسير وتأويل ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وكما ان
القرآن يوجد فيه من علوم المكاشفة ما يختص بدركه اهل الله خاصة وهم اهل القرآن وهي
غوامض علم التوحيد وعلم الملائكة والكتب والرسل وعلم المعاد وحشر النفوس والاجساد
كذلك يوجد فيه من القصص والاحكام وعلم الحلال والحرام والعقود والمناكحات والبيوع
والمعاملات والمواريث والقصاص والديات ما يعم ادراكه وينتفع به عامة الخلق
هذه للدنيا وتلك للآخرة هذه للابدان وتلك للارواح متاعاً لكم ولانعامكم فهكذا
حال الحديث حيث يوجد فيه القسمان علم الدنيا وعلم الآخرة وعلم المعاملة وعلم المكاشفة
وهو يختص بدركه اهل الله وهم المرادون بقوله تعالى ومن عنده علم الكتاب وقوله والراسخون
في العلم ولهذا العلم اشار بقوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وبقوله ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهو العلم الممدوح في الكتاب والسنة بفنون من
المدائح وصنوف من الاثنية ويستغفر لصاحبه كل من في السماء والارض حتى الحيتان في الماء
وهو الذي به يرجح في ميزان الآخرة مداد العلماء على دماء الشهداء الى غير ذلك من المدائح
والاثنية مما لا يعد ولا يحصى لا الذي اكب عليه الاكثرون وتقرب به الى الله المترسمون
من حفظ الاقوال والروايات وضبط احوال الرجال ثم الاشتغال بمعرفة الفروع
الغريبة وطلب ادلتها وعللها واستكثار الكلام فيها وحفظ الخلافيات حتى ان من كان
اشد تعمقاً فيها واكثر بحثاً واستعمالاً هو الافقه عندهم وربما سئل عن معرفة شيء من
اركان الايمان الذي دل على وجوبها صريح آيات القرآن واحاديث رسول الانس
والجان والائمة عليه وعليهم صلوات الله الرحمن كعلم التوحيد وعلم الآخرة وعلم الملائكة
وكيفية انزال الوحي والكتاب ومعرفة النفس ومقاماتها ونشأتها ونشوء الآخرة
وما يتعلق منها من القبر والبعث والصراط والميزان والحساب والموقف والعرض و
الجنة والنار والثواب والعقاب فلم تجد عنده منها خبراً اصلاً الا مجرد الفاظها المسموعة
المستعملة واستوت حاله مع ساير الناس وكذا لم تصادفه مراقباً لاحوال قلبه مراعياً له
عما يشوشه في الاخلاص حارساً عما يفسده ويهلكه او يمرضه ويكدره من الاغراض
النفسانية والشهوات الدنياوية بل تراه مشحوناً بامراض مهلكة واخلاق مغوية مردية
وهو لم يجدها قادحة في علمه وحاله ومانعة عن سلامته في معاده ومآله كانه لم يقرأ قوله تعالى
الا من اتى الله بقلب سليم ولم يسمع قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها
والحاصل ان العلم علمان علم مكاشفة وعلم معاملة الاول يطلب لذاته لا لشيء آخر فانه

العلم بالله وصفاته وآثاره والثاني يطلب للعمل به فغايته العمل وغاية العمل تصفية الضمير وسلامة
النفس عن التعلقات وصفاء مرآة القلب عما يكدره ويرين عليه ويطبع وهذه الصفاء والسلامة
ايضا امر عدمي ليس مقصودا بالاصالة وانما يطلب لكونه وسيلة لما هو المقصود الاعلى وهو ارتسام
صور الحقائق فيه او تجلي الحق ونعوته وآثاره عليه ومن ظن ان علم كيفية الاعمال يكفيه في سلامة
العاقبة والمآل والخلاص عن العذاب وبه ينال درجة اهل الفضل والكمال كان كمن به مرض
شديد وكان يعلم كيفية العلاج وتركيب الادوية فظن ان ذلك يكفيه في خلاصه عن مرضه الجسماني
وشفائه بدون العمل به ولذلك يزداد مرضه حتى يهلك وقد ورد تشديدات عظيمة للعالم التارك
للعمل بعلمه فعن امير المؤمنين ع العلماء رجلان رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا
هالك وان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وعنه ع من اراد الحديث لمنفعة الدنيا
لم يكن له في الآخرة نصيب وقال اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب
لشيء يحوط ما احب وقال ع اوحى الله الى داود ع لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا
فيصدك عن طريق محبتي فاولئك قطاع طريق عبادي المريدين ان ادنى ما انا صانع بهم ان
انزع لذيذ مناجاتي من قلوبهم وقال ع من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء
او يصرف وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من النار الى غير ذلك من الاحاديث والاخبار
الكثيرة في ذم علماء الدنيا الراغبين في مالها وجاهها ومن عجب ما ذكر في هذا الباب ما نقله
الشيخ الفاضل العامل ناهج مسلك الورع والتقى قدوة المجتهدين زين الملة والحقيقة
والدين العاملي طاب ثراه في بعض رسائله ناقلا عن بعض المحققين انه قال العلماء ثلثة
عالم بالله غير عالم بامر الله وعالم بامر الله غير عالم بالله وعالم بهما جميعا فالاول عبد
استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار مستغرقا بمشاهدة نور الجلال والكبرياء فلا يتفرغ
لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه والثاني هو الذي يعرف الحلال والحرام ودقايق
الاحكام ولكنه لا يعرف اسرار جلال الله واما الثالث فهو جالس على الحد المشترك
بين عالم المحسوسات وعالم المعقولات فهو تارة مع الله بالحب وتارة مع الخلق
بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار معهم كواحد منهم كانه لا يعرف الله
فهذا سبيل الصديقين وهو المراد بقوله ص سايل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء
المراد بقوله سايل العلماء العلماء بامر الله غير العالمين بالله فامر بمسائلتهم عند الحاجة
الى الاستفتاء واما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا يعلمون اوامر الله فامر بمخالطتهم
واما الكبراء فهم العالمون بهما فامر بمجالستهم لان في مجالستهم خير الدنيا والآخرة ولكل
واحد من الثلثة ثلث علامات فللعالم بامر الله الذكر باللسان دون القلب والخوف
من الخلق دون الرب والاستحياء من الناس في الظاهر ولا يستحيي من الله في السر والعالم بالله

ذاكر

ذاكر خايف مستحيي اما الذكر فذكر القلب لا ذكر اللسان والخوف خوف الرجاء لا خوف المعصية
والحياء حياء ما يخطر على القلب لا حياء الظاهر واما العالم بالله وبامر الله فله ستة اشياء الثلثة
المذكورة للعالم بالله فقط مع ثلثة اخرى كونه جالسا في الحد المشترك بين عالم الغيب والشهادة
وكونه معلما للمسلمين وكونه بحيث يحتاج اليه الفريقان الاولان وهو مستغن عنهما فمثل
العالم بالله وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر
يكمل تارة وينقص اخرى ومثل العالم بامر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره انتهى
وليعذرني اخواننا اصحاب الفرقة الناجية ما افعله في اثناء الشرح وتحقيق الكلام وتبيين
المرام من الاستشهاد بكلام بعض المشايخ المشهورين عند الناس وان لم يكن مرضي
الحال عندهم نظرا الى ما قال امامنا امير المؤمنين ع لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال فها انا
اشرع في المقصود مستمدا بواهب العلم ومفيض الوجود وباسط الخير والجود بالشرح
خطبة الكتاب لاشتمالها على فوايد نفيسة وفرايد لطيفة مع حسن البيان ولطف الخطاب
فاقول وبالله التوفيق والهداية وبه الاستعاذة من الغباوة والغواية قال الشيخ
رضي الله عنه الحمد قيل هو الوصف بالجميل على وجه التبجيل فيختص باللسان ولكنه
في هذا الاختصاص مجاز وقيل بل هو بالحقيقة فعل يشعر بتعظيم المنعم من جهة كونه منعما
فيتم مورد اللسان والاركان والجنان وعن بعض المحققين الحمد اظهار الصفات
الكمالية لاحد فيتم حمد الانسان وغيره ومن هذا القبيل حمد الله جل شانه على ذاته وذلك
حيث بسط بساط الوجود على ممكنات لا تعد ولا تحصى ووضع عليه موايد كرمه التي
لا تتناهى فقد كشف عن صفات كماله بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية فان كل
ذرة من ذرات الوجود تدل عليه ولا يتصور مثل هذه الدلالات في الالفاظ والعبارات
ومن ثم قال ص لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ثم اللام للاختصاص
ولام الحمد للجنس فلا يبعد ان يراد ان جنس الحمد مختص به تعالى لان النعوت الكمالية كلها
يرجع اليه لانه فاعلها وغايتها كما حقق في مقامه ولانه الموجود الحقيقي كما يعرفه العارفون
وثبوت الصفة فرع على ثبوت الموصوف ولذلك انهم يرون كل قدرة مستغرقة في
القدرة بالذات وكل علم مستغرقا في العلم بالذات وهكذا في كل صفة كمالية فاذن
المحامد كلها راجعة اليه تع ولهذا ذكر اسم الله دون غيره من الاسماء لدلالته بحسب المفهوم
على جامعية الاوصاف الجمالية والجلالية كلها وربوبية انواع الاشياء كلها وكل اسم
غيره انما يدل على صفة واحدة وربوبية نوع واحد ثم لما كان الحمد فعلا اختياريا حادثا
لا بد له من علل اربع دل على بعضها بالالتزام احدها الفاعل وهو الحامد وهو المفهوم منه
بالالتزام وثانيها القابل وهو اللسان في الحمد الاول والنفس في الحمد الثاني والموجودات

كلها في المعنى الثالث وثالثها الصورة وهي المحمود بها التي اثنى بها الحامد واظهرها من الصفات الكمالية
والنعوت الجلالية لكل محمود بحسب حاله وكماله ورابعها الغاية ويقال لها المحمود عليه واليه
اشار بقوله المحمود لنعمته لكن لما تقرر في العلوم العقلية ان العلة الغائية لها وجود في الذهن
وبه صارت علة للفاعل في فاعليته ولها وجود ايضا في الخارج وبه يسمى غاية والغاية في الحقيقة
ما يلحق الفاعل وينتهي اليه فعله والذي وقع من التقسيم في المشهور من ان الغاية قد يكون
في نفس الفاعل كالفرح وقد يكون في القابل كصورة البيت في مادته وقد يكون في غيرهما كمن
يفعل فعلا لرضا فلان غير مستقيم الا ان يراد بها منتهى الحركة لا الغاية الحقيقية فان البانی
للبنيان والمحصل لرضا فلان لا يبني ولا يحصل الا لمصلحة تعود اليه فالقسمان الاخيران
يرجعان الى القسم الاول وعليه المعول فمن حمد الله لا يحمده الا لغاية تعود اليه وهي التقرب
اليه بالعبودية اذ لا غاية للعبد فوقها ولا كمال له اعلى منها ولذلك قدمت في التشهد
على الرسالة ولا يمكن عبوديته الا بعرفانه والعلم باياته وصفاته العليا واسمائه الحسنى
ولذا قال المعبود لقدرته اللام في قوله لقدرته لام التعليل اي يعبده العابدون
لكونه قادرا على الاشياء فعالا لما يشاء في حقهم فيعبدونه اما خوفا وطمعا او اجلالا له
وتعظيما المطاع في سلطانه يطيعه الموجودات وما في الارضين والسموات لقوله حكاية
عن الكل قالتا اتينا طائعين ولقوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
وظلالهم بالغدو والاصال المرهوب لجلاله المرغوب اليه فيما عنده الرهبة والرغبة
لازمتان فمن له غاية العظمة والجلال ونهاية اللطف والجمال بل لا يخ جمال عن جلال
ولا جلال عن جمال اما الرهبة من الجمال فللهيمان الحاصل من الجمال الالهي ولانبهار العقل
وتحيره فيه واما الرغبة في الجلال فللطف المستور في القهر الالهي كما قال تع ولكم
في القصاص حيوة يا اولي الالباب وقال امير المؤمنين ع كما روي عنه سبحان
من اتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته واشتدت نقمته لاعدائه في سعة رحمته
ومن هنا يعلم سر قوله ص حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات النافذ امره
في جميع خلقه المراد به امر التكوين لا امر التشريع فعنده تعالى امران امر تكوين وهو الذي
بلا واسطة مخلوق وامر تشريع بواسطة الكتب والرسل عليهم السلم والاول نافذ
في جميع الخلق ولا يسعهم الا الطاعة كما قال تع انما امره لشيء اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون والثاني مختص بالثقلين فمنهم من اطاع ومنهم من عصى علا فلا رتبة فوق
رتبته فاستعلى اي فتنزه عن صفات المخلوقين ودنا فتعالى اما دنوه فلانه اقرب
الى كل شيء من كل شيء اذ ما ذرة من ذرات الوجود الا وهو من الانوار محيط به قاهر عليه
اما تعاليه فلارتفاعه عن صفات الاكوان وسمات الحدثان فهو العالي في دنوه والداني

في علوه

في علوه وارتفع فوق كل منظر اي لا يصل اليه نظر النظار ولا ينتهي اليه سير الافكار
الذي لا بدو له ولا اولية ولا غاية له ولا ازلية له لارتفاعه عن الازمنة والزمانيات كارتفاعه
عن الامكنة والمكانيات وحيث لم يكن مكانيا كانت نسبته الى الامكنة واحدة فحيث
لا يكون زمانيا يكون نسبته الى الازمنة واحدة فيستوي عنده البدو والغاية والازل
والنهاية فازله ابده وابده ازله بحسب الزمان كما علوه دنوه ودنوه علوه بحسب المكان
هو الاول والآخر والظاهر والباطن القائم قبل الاشياء والدائم الذي به قوامها
يعني انه تع قائم بذاته لا بغيره لانه واجب الوجود ولو قام وجوده بغيره لكان ممكنا
مفتقرا الى الغير ولزم الدور ايضا وهو قبل الاشياء لافتقارها اليه اما بوسط او بغير
وسط لانها ممكنة فينتهي سلسلة افتقارها اليه تع دفعا للدور والتسلسل وهذه القبلية
قبلية بالذات لتعاليه عن الزمان في الدائم الذي به قوام الموجودات فهو القائم بذاته
المقوم لغيره وهذا هو معنى القيوم والقاهر الذي لا يؤوده حفظها لا يؤوده اي لا يثقله
ولا يشق عليه حفظ الاشياء يقال اوده يؤوده اذا اثقله واجهده واودت العود
اودا اذا اعتمدت عليه حتى املته وفي ايراد صفة القهر هنا اشارة الى الدليل
على كونه تعالى لا يتعبه ولا يكله حفظ الاشياء لان ايجاده وادامته اياها بسبيل الرشح
والفيض لا على وجه الاستكمال والانفعال كما في غيره من الفاعلين اذ ما من فاعل غيره
الا ويفعل لغرض زايد على ذاته ويستكمل في فاعليته بذلك الغرض الذي يعود اليه
وينفعل منه والانفعال يلزمه التعب والكلال والاشتغال من حال الى حال والقادر
الذي بعظمته تفرد بالملكوت وبقدرته توحد بالجبروت الملكوت من الملك بالكسر
وهو كالمملكة في المعنى كما ان المملكة كالملك بالضم فيه وخص استعماله في المملكة الباطنة
مقابل الملك اي المملكة الظاهرة والجبروت ايضا فعلوت من الجبر وانه تع جبار
لانه يجبر نقايص الممكنات بافاضة الخيرات عليها ويكسو العناصر صور المركبات
فيجبر نقصانها وخص استعماله في عالم الالهية وقيل الجبروت فوق الملكوت كما ان
الملكوت فوق الملك والمراد انه متفرد بمالكية الاشياء ظاهرها وباطنها لان المالك
بالحقيقة هو الغني مطلق الذي لا يستغني عنه شيء من الاشياء في شيء من الاشياء
والقادر الذي له ذات كل شيء لانها حصلت اما منه او مما منه فكل شيء غيره فهو له
مملوك وليس له الى شيء فقر وبحكمته اظهر حججه على خلقه الحكيم هو المحكم خلق الاشياء والاحكام
هو اتقان التدبير وحسن التصوير والتقدير والحكيم ايضا الذي لا يفعل قبيحا ولا يخل
بواجب والذي يضع الاشياء مواضعها والحكيم ايضا العالم لاشتقاقه من الحكم بمعنى
التصديق او من الحكمة والحكمة لغة العلم ومنه قوله تع يؤتي الحكمة من يشاء وعن ابن عباس

الحكيم الذي كمل في حكمته والعليم الذي كمل في علمه والحجج جمع الحجة وهي في اللغة القصد او بمعنى المقصد ومنه المحجة
جادة الطريق ثم غلب على قصد الكعبة للنسك والحجة ايضا بمعنى الغلبة فحجه اي غلبه والمحجوج المغلوب
فاستعمل بمعنى الدليل اذ به يحصل الغلبة على الخصم كما في قوله ولقد حاج ابرهيم وقوله وتلك حجتنا
آتيناها ابرهيم نرفع درجات من نشاء ثم استعملت بمعنى الرسول او الامام اما من باب المبالغة
مثل زيد عدل او لان في ذواتهم ادلة الى الحق فيكونون حججا على الخلق والمعنى ان حكمته تعالى اقتضت
اظهار الحجج على الخلائق ببعثة الانبياء بنصب الاوصياء ليكمل الخلقة ويتم النعمة اذ بدون ذلك
لا ينتظم النظام ويقع الهرج والمرج والانثلام والانهدام كما بين في موضعه اخترع الاشياء
انشاء وابتدعها ابتداء بقدرته وحكمته لا من شيء فيبطل الاختراع ولا لعلة فلا يصح الابتداع
الاختراع والابتداع لفظان متقاربان في المعنى وهو ايجاد الشيء لا عن اصل ولا على مثال
ومن اسمائه تعالى البديع وهو فعيل بمعنى المفعل كالاليم بمعنى المولم والبديع قد يجيء بمعنى المفعول
ايضا والبديع هو الذي يكون اولا في جنسه ومنه قوله تعالى ما كنت بدعا من الرسل اي لست
باول مرسل والمراد انه تعالى اوجد الاشياء بمحض قدرته لا من مادة وبمحض حكمته لا لغرض
اذ لو اوجدها بواسطة اصل وعنصر لافتقر في فاعليته الى سبب آخر هو الاصل فلم يكن
مخترعا كاملا في صنعه ولو اوجدها لغرض وغاية اخرى غير ذاته لكان ناقصا في فاعليته
فلم يكن مبتدعا لان الغرض وهو العلة الغائية ما يجعل الفاعل فاعلا فالاول اشارة
الى نفي العلة المادية عن فعله والثاني الى نفي العلة الغائية عنه خلق ما شاء كيف شاء
لما نفي الغاية عن فعله يوهم انه ليس فاعلا بالاختيار فازاح ذلك بانه يفعل الاشياء
كما شاء فيكون بمشيته اي بارادته يفعل الخلق لكن مشيته كقدرته ليست غير ذاته لئلا يلزم
ان يكون لغيره تاثير في فعله فان من يفعل فعله بارادة زائدة على ذاته كان محتاجا
في قدرته وارادته الى مرجح زائد عليه يرجح احد طرفي مقدوره لتعلق الارادة به فكان
ذاته مستكملة بذلك المرجح لحصول اولويته بسببه والا لم يفعل به وكل مستكمل بغيره ناقص
في ذاته والله منزه عن النقصان وايضا اذا كانت المشية زائدة عليه يلزم في ذاته
جهتا قوة وفعل وحيثيتا امكان ووجوب فلم يكن واحدا حقا واشار الى نفي الزيادة
بقوله متوحدا بذلك لاظهار حكمته وحقيقة ربوبيته يعني خلق ما شاء حال كونه واحدا
ذاتا وصفة اذ لم يخلق الخلق الا لاظهار علمه بالنظام الاكمل الذي هو حقيقة الحكمة وربوبيته
لا لغاية اخرى وداع آخر يدعوه الى الخلق والايجاد لا تضبطه العقول ولا تبلغه الاوهام
ولا تدركه الابصار الادراك على ثلاثة اقسام لانه عبارة عن حضور شيء عند المدرك
وهو اما جسماني او مفارق عن الاجسام والمفارق اما مفارق بالكلية عنها او متعلق بها
مضاف اليها فالاول هو المحسوس وادراكه بالحس واقوى احساسه واجلاها هو البصر

والثاني

والثاني هو المعقول وادراكه بالعقل والثالث هو الموهوم وادراكه بالوهم يريد نفي كونه
مدركا لغيره بنحو من الانحاء الثلاثة والبرهان عليه ان كل ما له صورة مساوية لحقيقته فهو محتمل الشركة بين كثيرين
والله منزه عن المثل والشريك وعما ورد في الحديث ان الله احتجب عن العقول كما احتجب
عن الابصار وان الملأ الاعلى يطلبونه كما انتم تطلبونه ثم المدرك بالحس لا يخلو من حيز ومقدار
واليه اشار بقوله ولا يحيط به مقدار لتنزهه عن الجسمية وما يكتنفها خرست دونه العبارة وكلت
دونه الابصار يعني الالفاظ اي حصرت دون وصفه عبارة البلغاء وحسرت عن ادراكه ابصار
البصراء وضل فيه تصاريف الصفات اي ضل في طريق نعته نعوت الناعتين وصفات الواصفين
يعني ان تصريفاتها وانحاء تغايرها وتعبيراتها اي كلها ولو ان يصفوه تعالى باجل ما عندهم من
صور الصفات الكمالية واعلى ما في عقولهم من مفهومات النعوت الجمالية فاذا نظروا اليه
وحققوا امره ظهر لهم ان ذلك دون وصف جلاله واكرامه وسوى نعوت جماله واعظامه
فلم يصفوه بما هو وصفه ولم ينعتوه كما هو حقه بل يرجع ذلك الى وصف امثالهم واشباههم
من الممكنات كما في الحديث المشهور عن الباقر ع كلما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه اه
وذلك يعني في الادعية النبوية من قوله ضلت فيك الصفات وتفسخت دونك
النعوت احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور يعني ان احتجابه عن البصائر
والابصار واستتاره عن العقول والانظار ليس من جهة خفائه في نفسه لانه اظهر الاشياء
واجلى الموجودات ولا من جهة مانع يحجبه او ساتر يستره اذ لا حجاب بينه وبين خلقه الا قصور
الغرائز ونقصان المدارك والعقول بل غاية ظهوره سبب بطونه ونهاية جلائه منشأ خفائه
فهو من حيث هو ظاهر باطن ومن حيث هو متجل محجوب ومن حيث هو مشهود مستور قوله حجاب
محجوب الاولى كونه بالاضافة بمعنى اللام لا بالتوصيف وكذا قوله ستر مستور عرف بغير رؤية
قد تقرر في العلوم العقلية ان كل ما لا سبب ولا جزء له لا يمكن عرفانه بطريق الفكر البرهاني
بل اما مجهول محض مأيوس عن معرفته واما مستدل عليه من جهة الآثار والافعال والعلم
الحاصل من طريقها علم ناقص لا يعلم به خصوصية ذات المعلوم بل بوجه عام مشترك بينه و
بين غيره اذ الاثر والمعلول لا يستدعي الا سببا ما وعلة ما مطلقا واما معروف بالمشاهدة
الحضورية لا بصورة زائدة كما هو حال العرفاء الكمل من الانبياء والاولياء على نبينا وعليهم السلام
عند انخلاعهم عن هذه النشأة ولكن لا على سبيل الاحاطة والاكتناه لانها ممتنع كما مر بل
على وجه الاستغراق والاندكاك وفي بعض النسخ بغير روية بالهمزة والتخفيف يريد
نفي الابصار ومعناه ظاهر ويلائم الاول قوله ووصف بغير صورة اشارة الى نفي الحد له
عنه كما الاول اشارة الى نفي البرهان عليه عنه اذ حد الشيء هو الصورة المساوية لذاته
وكل ما يوصف بحد لا بد ان يكون له ماهية كلية مركبة من جنس وفصل والحق تعالى بسيط الحقيقة

وجوده عين ذاته بلا ماهية فلا حد له كما لا برهان عليه و نعت بغير جسم ولا جسمانية هذا من قبيل
عطف العام على الخاص اللهم الا ان يراد من الصورة الشكل ونحوه وهو كما ترى لا اله الا الله
الكبير المتعال لما ذكر من صفات التنزيه وعدد من نعوت التقديس ما دل على التوحيد ونفي
المثل والشريك واثبات العظمة والتقديس صرح بالمقصود واتى بكلمة التوحيد والتنزيه
التي بها يمتاز الموحد عن المشرك ثم اردفها بصفات اخرى توجب زيادة المعرفة وقوة
الايمان وشدة نور العرفان فقال ضلت الاوهام عن بلوغ كنهه و ذهلت العقول ان تبلغ
غاية نهايته لا يبلغه حد ولا يدركه نفاذ بصر النفاذ والنفوذ بمعنى واحد من نفذ السهم من
الرمية ونفذ الكتاب الى فلان وامره نافذ اى ماض وهو السميع العليم لا بآلة ولا بقوة
زايدة بل سمعه عبارة عن علمه بالمسموعات وكذا بصره علمه بالمبصرات وعلمه عبارة عن
احاطة ذاته بالاشياء على وجه الانطواء من غير ان تصير اجزاء ذاته كما هو التحقيق لما ذكر من
المعارف ما تدل على الالهية والتوحيد اخذ فيما تدل على الرسالة والبعثة فقال احتج على
خلقه برسله واوضح الامور بدلايله ولما كلف الله العباد بمعرفته وعبادته لان المعرفة
غاية وجودهم وغرض خلقهم كما نطق قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون
ومعرفتهم بالله وباليوم الآخر لا يحصل الا من طريق النبوة والرسالة لان عقولهم غير كافية
فيها سيما ما يتعلق منها باحوال المعاد وحشر الاجساد فيحتاجون الى معلم بشري وهو
النبي والرسول ع او من يستخلفه فالمعرفة موقوفة على بعث الرسل ع لان ما لا يتم الواجب
المطلق الا به فهو واجب فالبعثة واجبة عليه تعالى ليكونوا حججا من الله على عباده ثم لا يحصل
العلم بالرسل ع الا بالدلايل فيجب على الله تعالى نصب الدلايل والبينات على حقيتهم بعين
ما ذكرناه من توقف الواجب عليه وابتعث الرسل مبشرين ومنذرين صيغة ابتعث
متعدية الى المفعول يقال بعثه وابتعثه اى ارسله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة اى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها
لئلا يكون له حجة على الله بل يكون لله الحجة البالغة على خلقه او ليصدر كفر من كفر وايمان
من آمن عن وضوح بينة على سبيل استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان او لان
الكفر سبب للهلاك الحقيقي الاخروي والايمان سبب للحيوة الحقيقية الابدية فيكون
من باب المجاز المرسل تسمية للمسبب باسم السبب والمراد بمن هلك ومن حي
المشارف للهلاك والحيوة او من هذا او ذاك حاله في علم الله وقضائه وليعقل
العباد عن ربهم بتعليم الانبياء وارشادهم عليهم السلم ما جهلوا من احوال المبدأ والمعاد
فيعرفوه تعالى وتقدس بربوبيته بعد ما انكروه بترك عبادته وطاعته ويوحدوه
بالالهية بعد ما اضدوه بالتشريك وعبادة الاصنام والهياكل لما ذكر اولا حمد الله تعالى

على

على نعمه العالية التي اشترك فيه الخلق المسلم والكافر ثم ذكر من نعمه الخاصة ما يتعلق
بايضاح الحجج وابتعاث الرسل عليهم السلم ولا شك ان هذه نعمة خاصة جليلة شريفة اجل
واشرف مما تقدم فيقتضي حمدا وشكرا اخص واعظم من الاول فلذلك استانف
الحمد مرة اخرى فقال احمده حمدا يشفي النفوس ويبلغ رضاه ويؤدي شكر ما وصل الينا
من سوابغ النعماء وجزيل الآلاء التي من جملتها بعث الانبياء واقامة الحجج والادلاء السوابغ
بمعنى الاتساع والكمال وسبغت النعمة اى كملت والاسباغ الاتمام والجزيل ما عظم من
[illegible] وعطاء جزل وجزيل عظيم والاضافة فيهما من اضافة الصفة الى الموصوف
اى النعماء الواسعة والآلاء العظيمة وجميل البلاء هو بمعنى الاختبار والامتحان من بلاه وابتلاه
وابلاه وتبلاه اى اختبره وجربه وهو يكون في الخير والشر اى بلاء حسنا جميلا فيكون
من النعم الخاصة ثم لما حمد الله وشكره على النعم الخاصة المتعلقة بامر الرسالة والهداية
كرر راجعا الى كلمة التوحيد مضموما اليها الاقرار بافضل الانبياء وخاتم الرسل عليه وعليهم السلم
فاقر بالشهادتين اللتين هما جزء الاسلام فقال واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
الها واحدا احدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده انتجبه
اى اختاره ورجل نجيب اى كريم بين النجابة ورسول ابتعثه على حين فترة من الرسل
الفترة في الاصل بمعنى الضعف والانكسار ويقال لما بين الرسولين من رسل الله عليهم السلم
وطول هجعة من الامم الهجع النوم ليلا واتيته بعد هجعة من الليل اى بعد نومة قليلة
منه والمراد هنا غفلة الامم بفقدهم الرسول ع وانبساط من الجهل واعتراض من الفتنة
وانتقاض من المبرم المراد منه تطرق الخلل الى القوانين الشرعية ووقوع القصور
في الاحكام الدينية يعني انه ظهر احوج ما كان الناس الى من يهدي الصراط المستقيم و
يدعو الى الدين القويم بنظم الامور وضبط حال الجمهور وذلك من جهة تفرق السبل والخلاف
في الملل واختلال الدول واشتعال نار الضلال واشتغال الناس بالمحال فالعرب على
عبادة الاوثان ووأد البنات والفرس على تعظيم النيران ووطي الامهات والترك
على تخريب البلاد وتعذيب العباد والهند على عبادة البقر وسجود الشجر واليهود على الجحود
والجحود والنصارى جاري فيمن ليس بوالد ولا مولود وعمى عن الحق واعتساف في الجور
وامتحاق من الدين محقه محقا اى ابطله ومحاه وتمحق الشيء وامتحق اى بطل انطلق بكلمة الملك
الحق المبين ان لا يرسل رحمة للعالمين ولا يبعث من يجدد الدين ويكشف عن وجه اليقين
فلا جرم ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وانزل اليه
الكتاب فيه البيان والتبيان قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون قد بينه اى بين الله تعالى
او الرسول ع القرآن للناس كلما خفي عليهم من امر الدين ونهجه بالتخفيف اى اوضح طريقه

وابان لهم من نهج الطريق ابانه واوضحه وقد يجئ نهجته بمعنى سلكته بعلم قد فصله اى بسبب علم
التى انزله افاد تفصيله عليهم فى القرآن ان كان فاعل بين هو الله او بعلم نبوتى فصل به
مجملات الكتاب ان كان الفاعل هو الرسول ودين قد اوضحه والاول اشارة الى العلم الحقيقى
والايمان والثانى فى اشارة الى العلم الطريقة والعمل بالاركان ولهذا اعقبه وعطف عليه
توضيحا بقوله وفرائض قد اوجبها واوامر قد كشفها للخلق واعلنها اى اعلن تلك الفرائض
والاوامر خصا دلالة ان مبتدأ اقدم عليه خبره للظرفية الى النجاة متعلق بالمبتدأ وكذلك قوله
ومعالم عطف على دلالة وقوله تدعو الى هداه صفة لمعالم والهدى ما يهتدى به والضمير
المجرور اما لله اى هدى الله وهو دينه الحق او للرسول او للكتاب والاضافة على الاخير
بيانية فبلغ صلى الله عليه واله ما ارسل به اليه للملابسة اى ارسل الى الخلق تبليغه
من القرآن او الرسالة وصدع بما امر كما قال تع فاصدع بما تؤمر اى اظهر دين الاسلام
والصدع الشق وقد صدعته فانصدع وصدعت الفلاة قطعتها وصدعت الشئ
اظهرته وبينته وصدعت بالحق تكلمت به جهارا وادى ما حمل من اثقال النبوة الاثقال
جمع الثقل ضد الخفة كما فى قوله تع واخرجت الارض اثقالها اى اجساد بنى آدم وقد يجئ
على جمع الثقل بمعنى المتاع وقد يحمل عليه ايضا معنى الآية والمراد هنا هو الاول وفيما ذكره
اشعار بان المراد من الامانة فى قوله تع انا عرضنا الامانة الى قوله وحملها الانسان
هى النبوة لا العقل كما قيل لا شعاض الحكم بالملك ولا التكليف لشموله الجن ولا المجموع
لاجل ذلك ولا الهيئة الاجتماعية التى فى الانسان لحصولها فى العالم الكبير وصبر على
المحن والشدائد والاذى من قريش واليهود وغيرهما لربه اى للتقرب اليه وجاهد
مع اعداء الله فى سبيله ونصح لامته ودعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة الى النجاة وحثهم
اى حضهم على الذكر اى ذكر الله تع بالقلب واللسان ويحتمل ان يكون المراد به الصلوة
والدعاء ودلهم على سبيل الهدى من بعده بان استخلف بعده كتاب الله واهل بيته
عليه وعليهم السلم كما فى قوله صه انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى واليه اشار
بقوله مناهج اى الطرق الواضحة ودواعى اى اسباب بها يسلك طريق النجاة وسبيل
الحق اسس للعباد اساسها اى اصل تلك المناهج والدواعى ومنابر جمع منارة مفعلة
بفتح الميم من الاستنارة يقال لما يوضع عليه السراج ولما يؤذن عليها وقياس جمعها
مناور لكن قد تورد بالهمزة تشبيها للاصل بالزائد كما فى مصائب والمراد هنا ما يتضح
ويستنير به طريق الحق رفع لهم اعلامها اى نصب للامة اعلام تلك المنابر وفيه
اشارة الى تشبيه الهداة بعد رسول الله صه وهم اهل بيته عليهم السلم اولا بما يوضع عليه
السراج على سبيل الاستعارة لجامع بين الاضاءة الحسية والعقلية ثم تشبيه تارة اخرى

بنصبهم

بنصبهم للخلافة برفع الاعلام على طريقة التمثيل لكيلا يضلوا من بعده اى الذين من بعده فى طريق الآخرة
بفقد الدليل والاعلام والقواد وكان بهم صلى الله عليه واله رؤوفا رحيما الواو للعطف
على الافعال الماضية او للحالية والجملة حال عن الضمير المرفوع المستكن فى واحد واحد منها او
عن المرفوع البارز فى يضلوا فلما انقضت مدته اى مدة عمره واستكملت ايامه اى ايام
بقائه وحيوته فى الدنيا توفاه الله اى اخذه كله بان الروح سيار روح الكمل بعض قواه
فى البدن والدنيا لا بكليتها كما يعرفه المحققون وكذا فى حالة النوم يبقى منها فى البدن كما يكشف
عن بعض الاحاديث فيما سيأتى وقبضه اليه اى قبض روحه بتمامه اليه سبحانه وهو عند الله
مرضى عمله حال من الضمير المفعول او عن الفاعل وافر حظه عظيم خطره اى قدره فقضى صلى الله
عليه واله وخلف فى امته كتاب الله ووصيه امير المؤمنين وامام المتقين صلوات الله
عليه صاحبين اى متصاحبين لا ينفك احدهما عن الآخر مؤتلفين يتم كل منهما بالآخر بوجه
اذ يشهد كل منهما لصاحبه بالتصديق فيشهد الكتاب بان عليا صلوات الله عليه وسلامه
لقوله انما وليكم الله الآية ولقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ولقوله
هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين وغير ذلك من الآيات ويشهد هو عليه السلم بان
القرآن بما فيه حق لعلمه بظاهره وباطنه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ومفهومه
ومنطوقه وعامه وخاصه وهو المراد فى قوله تع ومن عنده علم الكتاب وفى قوله فاسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الامام عن الله فى الكتاب
بما اوجب الله فيه على العباد من طاعته وطاعة الامام وولايته وواجب حقه الذى
اراد الموصول وخبره صفة لحقه اى من واجب حق الله الذى اراده واوجبه على العباد
فى الكتاب وهو المبين بقوله من استكمال دينه اى دين الله واظهار امره والاحتجاج
بحججه او بغير تلك الحجج التى عينها للاحتجاج والاستضاء بنوره الذى اودعه فى معادن
تلك المعادن صفوته اى خلص عباده فان صفو كل شئ خالصه ومختاره الملقى عليه
المصدر مبالغة لكنه ههنا على الرسم لا بمعنى المفعول لاضافة الاهل اليها القسم الا ان
تكون بيانية ومصطفى اهل خيرته اى المختار من مختاريه ومصطفى مصطفيه فاوضح الله
بائمة الهدى من اهل بيت نبينا عن دينه ما خفى على الناس من معالم الدين ومعارف
الحق واليقين وابلج اى اضاء والبلوج الاشراق وقد بلج الصبح اى اضاء وصبح ابلج
اى بين البلوج اى مشرق مضئ وكذلك الحق اذا اتضح يقال ابلج كذا فى الصحاح وقد
يستعمل متعديا ايضا كاضاء واشرق بهم عن سبيل مناهجه وطريق معالمه من آيات الكتاب
وشواهد السنة فانها مناهج الى الله استقامت بسبيل معرفتها بتعليمهم عليهم السلم
وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه اى ينابيع علم الله تع او العلم به ثم شبه العلم بالماء استعارة

بالكناية وابتثت له الينبوع تخيلا ولعل المراد بالينابيع آيات القرآن وجعلهم مسالك
لمعرفته اذ بسبب معرفتهم يوصل الى معرفة الله فهم عليهم السلم بوجه انوار بها يستضاء طريق
الحق والرضوان وبوجه آخر طرق ومسالك الى الله و بوجه آخر معالم الدين لانهم اعلام و
منائر يستدل بها على الطريق و بوجه آخر سفراء وحجابا بينه تع وبين خلقه لانهم واسطة
بين الخلق والحق و بوجه جعلوا ابواب المؤدى الى معرفته حقه اذ بهم يتادى العارف الى
مدينة المعرفة كما في قوله صلى الله عليه وآله انا مدينة العلم وعلي بابها وكذا احكم اولاده المعصومين ع
اطلعهم الله اي جعلهم مطلعين من قولك اطلعتك على سري والاطلاع بالتشديد الاشراف
والوقوف على المكنون من غيب سره مما لا يمكن الاطلاع عليه لغيرهم فهم حفظة لسره وخزنة
لعلمه وودايع لحكمته وانهم اركان لتوحيده وشهداء على خلقه واعلام لعباده ومنائر
في بلاده وادلاء على صراطه فاحتاج الخلايق الى وجودهم اذ بهم يتم النظام ويكمل بتعليمهم
دين الاسلام فلا جرم لا تخلو الارض منهم جميعا كلما مضى منهم امام نصب لخلقه من عقبه
اي من بعده ان كان المكتوب حرف جر ومجرور بها او من عقب اسما ماضيا ان كان
موصولا وصلة اماما اما حال من الموصول او مفعول لنصب بينا صفة للامام اي الامام
لظهور الآيات والكرامات منه مع دعوى الامامة وهاديا نيرا يضيء القلوب بهدايته
وارشاده واماما قيما بامراته يهدون بالحق اما صفة او حال او خبر مبتدا اي هم
يهدون الناس محقين او بكلمة الحق او يهدون الى الحق ويرشدون اليه وبه
اي وبالحق يعدلون بين الناس في الحكم او به يحكمون ويعدلون في حكمهم وهم كلهم
حجج الله على خلقه ودعاته لهم الى الحق والدين ورعاته جمع الراعي والرعيان والرعاء
كما في قوله تعالى حتى يصدر الرعاء والراعي هو الوالي والرعية العامة كانهم شبهوا بالانعام
لانهم قبل ان يكملوا كالانعام في الحيرة والضلالة على خلقه بالحراسة والارشاد
يحرسونهم ويرشدونهم الى سبيل الخير والنجاة ولولاهم لضلوا وهلكوا ايدين بهداهم
العباد ويستهل اي يتبين بنورهم البلاد جعلهم الله حيوة للانام لانهم سبب حياتهم
الذي به حيوتهم الباقية تسمية للسبب باسم المسبب ومصابيح للظلام اذ بنورهم
يهتدون في ليالي حجب الاجسام وظلمات هذه الابدان فيسلكون سبل الحق والظلام
ادل القيل ومفاتيح للكلام اي القرآن اذ بتعليمهم ينفتح باب فهمه على القلب ودعايم
للاسلام يحفظ بناؤه بواحد منهم بعد واحد لكن يمسك بيقفا بدعامات يقيم كلاما منها
بدل الآخر وجعل نظام طاعته وتمام فرضه على العباد والتسليم اي ان يسلموا لهم فيما علم
اي فيما هو معلوم والرد اليهم فيما جهل اي ان يردوا اليهم عما فيما هو مجهول على الناس
اي يرجعوا اليهم لا الى غيرهم في وقايعهم المجهولة ولا ان يعملوا بالقياس فيها القول

فاسئلوا

فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون واليه الاشارة بقوله وحظر اي حجر وحرم على غيرهم
التهجم هو الوقوع على الشيء من غير ملاحظة والهجوم الدخول على الشيء بغتة من غير استيذان
على القول بما يجهلون ومنعهم جحد ما لا يعلمون كما في قوله تعالى فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
والله يعلم وانتم لا تعلمون لما اراد الله تبارك وتعالى تعليل للمذكورات في حقهم ع
بما تقرر في سابق علمه تعالى وتعلقت به مشيته من بيانه استنقاذ من شاء من خلقه
اي نجاتهم وتخليصهم من ظلمات الظلم اي نار لا تهتاف من قولهم الم به اي نزل به من غشيات
البهم اي مغطياتها من الغشاوة وهي الغطاء قال تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون
اي غطيناهم والبهم الجيش والفارس الذي لا يدري من اين يوتى من شدة الباسه
والمبهم بهم وكلام مبهم لا يعرف له وجه وصلى الله على محمد واهل بيته الاخيار الذين
اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا عطف على قوله الحمد لله كما عطف الصلوة
على التحميد في ساير الخطب بان ادرج نعت النبي واهل بيته عليه وعليهم الصلوة والسلم
في حمد الله تعالى والثناء عليه وجعل نعوتهم متعلقة بحمده وثنائه اشعارا بغاية قربهم
لديه وكمال منزلتهم عنده اما بعد فقد فهمت يا اخي ما شكوت من اصطلاح اهل
دهرنا اي تصالحهم وتوافقهم من قولهم اصطلحوا وتصالحوا اذا تراضوا ولم يتخاصموا
والتصالح والمصالحة خلاف التخاصم والمخاصمة على الجهالة اي كونهم متوالفين متعاونين
لاجل الجهالة المشتركة التي استحسنوها وتوازرهم اي تعاونهم من الفاعل ازرته عاونته والمشهور
وازرته وسعيهم في عمارة طرقها بارتكاب الشهوات واقتراف السيئات واقتناء الاموال
وتقرب السلاطين ومعاشرة الاراذل ومباينتهم العلم واهله اي استنكافهم عن طلب العلم
وتنفرهم عن صحبة العلماء ومجلس العلم اذا التقى حتى كاد العلم معهم اي بسببهم وشؤمهم ان
يارز اي ينقبض وتنقطع موادّه لما قد اعرضوا عنه ورضوا ان يستندوا الى الجهل صريحا من
غير مبالاة وليضيعوا العلم واهله برفع اعلام الجهالة ورايتها وخفض علامات العلم وآياته
واستر ذالهم العلماء والحكماء واستعظامهم الجهال والاغنياء كما هو حال اهل زماننا في الغيبة
من انصرافهم عن المعرفة والحكمة فيجحدونها معاندين ويمنعونها مكابرين اذ قد توحشت طباعهم
عن نورها واشمأزت عنها اشمئزاز المزكوم عن رايحة الورد واستيحاش خفاش الشمس وكل
من كان في بحر الجهل اولج وعن باب العلم والكمال اخرج كان عند ارباب الزمان افضل
وللاوج القبول والجاه اوصل كما قيل كم عالم لم يلج الابواب وتسلق بالبيع الناكر
المقام على الجهالة في امر الدين وطريق العبودية لرب العالمين وسلوك صراطه المستقيم
والتمسك بشريعة سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم وآله اجمعين والذين بغير علم
اذ كانوا داخلين في الدين بمجرد القول واللسان مقرين بجميع اموره على جهة الاستحسان

او العادة والاستيناس من غير حجة وبرهان وترجمة السبق بالتحريك عليه وفي بعض النسخ
والتشو عليه وفي نسخة والنشق بالقاف يقال رجل نشق اذا كان دخل في امور لا يكاد
يتخلص منها والتقليد للآباء والاسلاف والكبراء وهذا حال اكثر ابناء الزمان من المنتسبين
الى العلم المترسمين بالفقه اذا اقيم عليه البرهان فيما خالف رايه من بعض قواعد العقايد
واصول المعارف لم يات بشيء يسمن ويغني الا بالنقل من بعض المشايخ والاسلاف
ولم يعلموا ان هذا بعينه ما ذمه الله تعالى في مواضع عديدة من القرآن والاتكال على عقولهم
في دقيق الاشياء وجليلها واصول المعارف وفروعها اشارة الى ان الاتكال على عقول
الاسلاف انما يجوز في المحسوسات والفروع لا غير فاعلم يا اخي شرع في الجواب
عن استغاثته بتمهيد مقدمة وهي ان الله تبارك وتعالى خلق عباده وهي افراد البشر
خلقة اي فطرة منفصلة عن البهايم في الفطن في اكثر النسخ بالنون جمع الفطنة وهي الفهم
والذكاء وفي بعضها الفطر بالراء جمع الفطرة وهذه اولى لان الكلام في اصل الخلقة والفطنة
والفطانة من الامور العارضة ولانها انسب بقوله كل مولود يولد على الفطرة لانها جعلت
اسما للخلقة القابلة لدين الحق على الخصوص ثم جعلت اسما لملة الاسلام نفسها لانها حالة من
احوال صاحبها وعليه قوله صلى قص الاظفار من الفطرة والظاهر ان الصورة الاولى من تصرف
الكتاب والعقول المركبة فيهم هذا مبتدأ موصوف خبره قوله محتملة للامر والنهي بخلاف
البهايم فانها لا تفهم الخطاب لنقصان نفوسها وانحطاطها عن درجة الدعوة بالامر والنهي
الا صوتا ونداء وخلقهم جل ذكره مع اشتراكهم بينهم فيما يمتازون عن ساير الحيوانات
في اصل الفطرة صنفين صنفا منهم نصبه على البدل والاولى كونه مرفوعا كما هو المتعارف في
مثل هذا الموضع بان يكون مبتدأ خبره اهل الصحة والسلامة واما اذا كان منصوبا على
كونه مفعولا ثانيا للخلق لم يبق لهذا الكلام محل من الاعراب وكذا قوله وصنفا منهم اهل
الضرر والزمانة وكانهم ضرابه ورمنا في الجوهر الباطني والاول اشارة الى قصور
القوة النظرية التي يقال لها العقل النظري والثاني الى اختلال القوة العملية التي يقال
لها العقل العملي فان قلت ما سبب هذا الانقسام وما الباعث على هذا التفاوت
بين الانام بعد ان كان الكل مقدورا له مخلوقا بامره وقضائه وقدره فما بالنا لا نتساوى
في الخيرات والشرور ولا نتعادل في الكمال والقصور ولم نتشاكل في التوفيق والخذلان
والثواب والخسران ولا نتماثل فاين عدل الله فينا وقد قال تعالى وما انا بظلام للعبيد
وقال وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين قلنا ان في الجواب عن هذا السؤال تفصيلا
لا يليق بهذا الموضع وانما يطلب في كتبنا المبسوطة لتوقفها على علوم كثيرة شامخة ولا يكفي
الجواب بما يقوله الاشاعرة ومن يحذو حذوهم من انه تعالى يفعل بالاختيار والعالم ملكه وملكه

والمختار

والمختار ان يفعل في ملكه وملكه ما يشاء ويتمسكون بقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فانه تعالى
اجل واعظم من ان يفعل باختياره لا لحكمة وغاية بل بمجرد الارادة الجزافية نعم لا يكون لفعله
المطلق ولا لما يبدعه اولا علة غائية غير ذاته فذاته غاية قريبة له كما انه فاعل قريب له
وهو غاية الغايات المتوسطة كما انه فاعل الفواعل ومبدع البدايع ولو لم يكن السؤال
بلم صحيحا لما وقع من داود على نبينا وعليه السلام في قوله لم خلقت الخلق ولما وقع الجواب عنه تعالى
بقوله خلقت الخلق لاعرف على طبق ما قال في القرآن وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وكلمة لام للتعليل واما القدر المناسب لهذا الموضع من الجواب فهو انه لما كان الانواع
متخالفة في الحقايق بعضها في الطبقة الاولى من الممكنات لقربها من الله تعالى كالملائكة المقربين
وبعضها في الطبقة الثانية كمدبرات السموات وهكذا حتى ينتهي الى الارضيات فلا يرد
السؤال بانه لم كان العقل اشرف من الجسم ولم كانت السماء افضل من الارض ولم صار
الانسان اشرف من الحمار والكلب ولم صار الكلب نجسا وعين الماء طاهرا لان
الاعيان والماهيات غير مجعولة وانما المجعول افاضة الوجود عليها فهذه التفاضل من لوازم
الوجود والايجاد والمحال غير مقدور فكذلك نقول في اختلاف الاصناف الانسانية بان
الارواح الانسية بحسب الفطرة الاولى مختلفة في الصفاء والكدورة والضعف والقوة
وفي الضرر والزمانة والصحة والسلامة ودرجات القرب والبعد من الله تعالى والمواد
السفلية التي بازائها بحسب الخلقة متباعدة في اللطافة والكثافة ومزاجاتها متباينة
في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي فقدر الله تعالى بازاء كل روح ما يناسبه من المواد
فحصل من مجموعها استعدادات مناسبة لبعض العلوم والادراكات دون بعض
موافق لبعض الاعمال والصناعات دون آخر على ما قدر لها في العناية الاولى
والقضاء السابق كما قال صلى الناس معادن الحديث فلاجل ذلك تختلف الدواعي
والارادات وتتفنن الاشواق والحركات فينزع بعضهم بطبعه الى ما ينفر عنه الآخر
ويستحسن احدهم بهواه ما يستقبح غيره ومع ذلك العناية الالهية تقتضي نظام
الوجود على احسن ما يمكن واتم واكمل فلو امكن احسن مما هو عليه لوجد ولكن لا يمكن قال تعالى
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول الآية اي ولو شئنا لجعلناهم على نهج
واحد ولكن ينافي الحكمة لبقائهم على طبقة واحدة وبقاء ساير الطبقات الممكنة في حد الامكان
مع عدم الظهور ابدا وخلو اكثر مراتب هذا العالم عن اربابها فلا يتمشى الامور الخسيسة
والدنية المحتاج اليها في العالم التي يقوم بها اهل الحجاب والقسوة والظلمة البعداء
عن الرحمة والمحبة والنور والعزة فلا ينضبط نظام المسلمين ولا يتم صلاح المهتدين الا في
الوجود والاحتياج الى ساير الطبقات فلو كان الناس كلهم انبياء واولياء وسعداء لاختل الامر

بعدم النفوس الغلاظ وشياطين الانس القايمين بعمارة العالم فوجب في الحكمة الالهية التفاوت
في الاستعدادات بالقوة والضعف والكمال والنقص ولهذا ورد في الخبر انه جعلت
معصية آدم سببا لعمارة العالم وفي الخبر لولا انكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم
يذنبون وعن رسول الله صلعم حكاية عن ربه انين المذنبين احب الي من زجل المسبحين ولذلك
قال لاملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين فخص اهل الصحة والسلامة بالامر والنهي بعدما
اكمل لهم آلة التكليف وهي العقل الحاصل لهم في سن البلوغ غالبا عما يعرضه من الجنون و
الاغماء وشبههما ووضع التكليف عن اهل العذر والزمانة اذ قد خلقهم خلقة غير محتملة للاداب
والتعليم اي التأديب بالآداب العقلية والآلة فالقسمان كلاهما مكلفان بالاوامر
والنواهي الشرعية والاعمال الظاهرة من الصلوة والطواف والزكوة والصيام وغيرها
من الاعمال البدنية والطاعات المالية وجعل عز وجل سبب بقائهم وغاية خلقهم
والغرض من وجودهم اهل الصحة والسلامة وكذلك جعل بقاء اهل الصحة والسلامة بالاداب
والتعليم لانها غاية خلقهم والغرض من وجودهم لان سبب وجودهم وكونهم في الدنيا مدة
هو ان يتنزه بالادب بواطنهم ولتصفو ارواحهم ويتجردوا عن الدنيا وتتنور عقولهم
بالعلوم الالهية والصفات الملكوتية والاخلاق النبوية ليلتحقوا بالملأ الاعلى ويتخلصوا
عن المنزل الادنى فلو كانت الجهالة جائزة لاهل الصحة والسلامة لجاز وضع التكليف
عنهم وفي جواز ذلك اي وضع التكليف عنهم واهمالهم سدى كبقية الناس من الجهال
والسفهاء بل كساير الحيوانات بطلان الكتب والرسل والآداب لصيرورتها عبثا
وهباء لان الغرض من ارسال الرسل وبعث الانبياء وانزال الكتب ونصب الاوصياء
هو تكميل العباد وتعمير الآخرة بارواح العلماء ونفوس العباد والزهاد فاذا بطل
الغرض والغاية بطل السبب والعلة وفي ابطالها اي الخبر رفع الكتب والرسل والآداب
فساد التدبير لان نظام الكائنات وبقاء الخلايق لاجل الانسان وكمال الانسانية
وحيوته الدائمة وبقاؤه لا يتم الا بالكتب والرسل كما بين وحقق في الحكمة والكلام من حاجة
الخلق الى بعثهم وايجاب طاعتهم وتأييدهم بالآيات والمعجزات والرجوع الى قول
اهل الدهر ومن يحذو حذوهم من الطبايعيين والمنجمين المنكرين للنشأة الآخرة والبعث
وقولهم كما حكاه الله تع ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر
فوجب في عدل الله وحكمته ان يخص من خلق من خلقه خلقة محتملة للامر والنهي بالامر والنهي
اي يخص هذا الصنف بالخطاب ويأمرهم بامور مخصوصة وينهاهم عن امور اخرى
مخصوصة لا يحتملها الصنف الآخر لئلا يكونوا سدى مهملين عما من شأنهم وفي غرائزهم
ان يكتسبوه ويستكملوا به من العلم والطهارة وليعظموه بانه ليس بجسم ولا جسماني

ليس بخارج من العالم ولا داخل فيه ولا في وهم ولا في عقل ولا يوصف بكم ولا كيف ولا صفة
ولا صورة ويوحدوه بانه لا يقبل القسمة بالاجزاء والحد ولا بالافراد والعدد وليقروا له بالربوبية
لكل شيء في السموات والارضين وليعلموا انه خالقهم ورازقهم وخالق جميع الموجودات
ورازقها اذ شواهد ربوبيته والهيته ظاهرة على ذوي الالباب وحجج نيرة واضحة على اولي
الايدي والابصار واعلامه لايحة على ما هو في ندعوهم الى توحيد الله عز وجل تضطرهم الى
الاقرار بالالهية والاعتراف بوحدانيته وعلمه وقدرته وجوده وكرمه ولطفه ورحمته
وصفاته العظمى والآية الكبرى واسمائه الحسنى وآياته العليا وتشهد عطف على ندعوهم
اي تشهد تلك الشواهد وحجج على انفسها اي انفس تلك الموجودات التي هي الشواهد و
الاعلام لصانعها بالربوبية والالهية لما فيها من آثار صنعه وعجائب تدبيره كما يدل عليه
علم الهيئة وعلم التشريح وعلم الحيوان وعلم النبات وعلم آثار الكاينات وعلم خواص
الادوية والمركبات وعلم عجائب المخلوقات واول واشهد من هذه العلوم كلها علم النفس
الآدمية وتشريح قواها الروحانية والجسمانية لاشتمالها على زبدة ما في العالمين وفيها
انموذج من كل شيء يوجد في النشأتين كما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
فندبهم الى معرفته اي امرهم اليها لئلا يبيح لهم ان يجهلوه اي ليعلموا ان لا يجوز لهم الجهل
بمعرفته ويجهلوا دينه وهو دين الاسلام واحكامه لان الحكيم تعالى شانه لا يبيح الجهل به
والانكار لدينه لمن له اهلية الحلم وقوة الاجتهاد فقال جل شانه الم يؤخذ عليهم ميثاق
الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق دلت الآية على انه تع اخذ على اهل الكتاب الميثاق
الى اوجب عليهم القول الحق وحرم عليهم ان يقولوا في صفات الله وافعاله واحكامه
الا الصواب وان يفتروا على الله كذبا ويجترؤا عليه تع بما تنزه عنه من الولد والصاحبة
والتجسيم والتحديد والتشبيه وغير ذلك مما منشؤه الجهل بالله وآياته وقال بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وبخهم وذمهم بالتكذيب والانكار لما جاءت به الكتب والرسل
بسبب ما لم يعلموا ولم يحيطوا به علما من احوال المبدأ والمعاد بل القرآن مشحون بمذمة
الذين لا يعلمون والذين يتكلمون بغير علم ويحكمون من غير حجة وبرهان والذين يقولون
آمنا ولم تؤمن قلوبهم وقد شبه الله تع الجهال تارة بالانعام بل هم اضل سبيلا
وتارة بالدواب وتارة بالحمار ومرة بالكلب ومرة مسخهم قردة خاسئين ومرة
الحقهم بالشياطين وطورا دعا عليهم بقوله قاتلهم الله انى يؤفكون وقوله في قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا كما انه مشحون بمدح العلم والحكمة والامر بالتفكر والتدبر
في آيات لا تحصى وكانوا محصورين بالامر والنهي اي امر الله ونهيه محدودين
بحدود الشرع مكلفين بمعرفة الله وآياته وكتبه ورسله مأمورين بقول الحق

اي بان يتعلموا الحق او مامورين بالاوامر والنواهي بسبب قول الله وحكمه في الكتاب
والاول اولى لدلالة قوله غير مرخص بكسر الخاء لهم في المقام على الجهل لانه سبحانه امرهم بالسؤال
والتفقه في الدين فقال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم وقال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون استشهد بالآية الثانية على
وجوب السؤال وبالآية الاولى على وجوب التفقه في الدين اذ فيها الامر به على ابلغ وجه
لان معناها فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كاهل بلدة او قبيلة جماعة ليتكلفوا الفقاهة في الدين
والمعرفة باصول الايمان وقواعد العقائد على اليقين ويتجشموا المشاق في تحصيلها وقوله
لينذروا قومهم اذا رجعوا معناه وليكن غاية نفرهم وسعيهم بعد تحصيل المعرفة واليقين
النصيحة لقومهم والوعظ لهم والانذار عند الرجوع كما هو داب السالكين الى الله من الانبياء
والاولياء عليهم السلم فانهم شرعوا اولا في استكمال نفوسهم وطلب القربة اليه تعالى ثم اذا
فرغوا من التحصيل ورجعوا الى مواطن النفوس وايفاء الحقوق اشتغلوا بالتكميل
والارشاد بعد التكمل والرشد واما الذي ذكره صاحب الكشاف بقوله وليجعلوا همّا
غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء
من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترأس والتبسط
في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم وفشو داء الضرائر
بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او جثوا بين يديه جماعة
وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله تعالى
تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انتهى
ففيه مع اشتماله على كلمات رشيقة ونكات بليغة موضع نظر حيث جعل الانذار
والنصيحة آخر القصد ومرمى الهمة في التفقه وجرى على منهاجه البيضاوي ايضا ولم يتفطنا
ايضا بانه مما لا يساعده اللفظ لوجود العاطف في التعليل فيكون لينذروا عطفا على
ليتفقهوا باعادة لام العلة ولو لم يكن الواو كان لما ذكره وجه ولكن ليس كذلك فلا وجه
لجعل الانذار غاية العلم والفقاهة لفظا ولا معنى اللهم الا ان يكون المراد بالفقه تجرد
العلم بالفتاوى الفرعية واحكام المعاملات والمبايعات وقسمة المواريث والمناكحات
والحدود والقصاص ونحوها مما لخوض فيه المتأخرون وسموه فقها ذكر شيخنا البهائي
وسيدنا في العلوم النقلية روح الله روحه في كتاب الاربعين عند شرح قوله صلى الله من
حفظ على امتي اربعين حديثا مما يحتاجون اليه في امر دينهم بعثه الله عز وجل يوم القيمة
فقيها عالما ليس المراد بالفقه فيه الفقه بمعنى الفهم فانه لا يناسب المقام ولا العلم
بالاحكام الشرعية الفرعية الفقهية عن ادلتها التفصيلية فانه مستحدث بل المراد

البصرة

البصرة

البصيرة في امر الدين والفقه اكثر ما ياتي في الحديث بهذا المعنى والفقيه هو صاحب هذه ا
واليه اشار النبي صلى الله بقوله لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى
للقرآن وجوها كثيرة ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا ثم هذه البصيرة اما موهبية
وهي التي دعا بها النبي صلى الله لامير المؤمنين عليه السلم حين ارسله الى اليمن اللهم فقهه في الدين
او كسبية وهي التي اشار اليها امير المؤمنين ع حيث قال لولده الحسن ع وتفقه يا بني في
الدين قال بعض الاعلام اراد به الشيخ الغزالي صاحب كتاب الاحياء ان علم الفقه
في العصر الاول انما كان يطلق على علم الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات
الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف
على القلب ويدلك عليه قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة الآية وما به الانذار والتخويف
هو هذا العلم وهذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق والسلم والاجارة فذلك
لا يحصل به انذار وتخويف بل التجرد على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية كما نشاهد
من المتجردين له فمعلوم ان ذلك لا يترتب الا على تلك المعارف لا على ما ذكره من فروع
فروع الطلاق والمساقاة والسلم وامثال ذلك واما العلم فالمراد به قريب مما يراد
من الفقه لا المعاني المصطلحة المستحدثة كحصول الصورة او الصورة الحاصلة عند العقل
او ملكة يقتدر بها على ادراكات جزئية وما اشبه ذلك فان العلماء ورثة الانبياء وليس
من هذه المعاني ميراث الانبياء قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فقد جعل
العلم موجبا للخشية والخوف لتعليق الحكم على الوصف فجميع ما ارتسم في ذهنك من
التصورات والتصديقات التي لا توجب لك الخشية والخوف وان كان في كمال
الدقة والغموض فليست من العلم في شيء بمقتضى الآية الكريمة بل هي جهل محض بل الجهل
خير منها انتهى كلامه قال ولعمري انه كلام دقيق انيق يليق ان يكتب بالنور على صفحات
خدود الحور انتهى كلام شيخنا البهائي طاب ثراه ولنرجع الى ما فارقناه فلو كان يسع
اهل الصحة والسلامة في المقام على الجهل لما امرهم بالسؤال ولم يكن يحتاج الى بعثة الرسل
بالكتب والآداب والتأديب لما تقدم من انه يستلزم فساد العالم وبطلان النظام
وايضا لو صح ذلك كانوا اي اهل الصحة والسلامة يكونون عند ذلك اي عند المقام
على الجهل بمنزلة البهائم وبمنزلة اهل الضرر والزمانة والفرق ان هؤلاء لهم عذاب
اليم في القيمة لمكنة استعدادهم الى الطلوع وقوة مرآة بصيرتهم التي افسدوها
دون الطائفة الاخرى لانهم مختوم على قلوبهم في الازل سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم
فليس عذابهم اليما وان كان عظيما كعذاب الزمن بالقياس الى عذاب الملسوع
ولو كانوا كذلك لما بقوا طرفة عين اي لو كانت هذه الطائفة كالطائفة الاخرى حتى صار

الناس كلهم كالبهايم لهلكوا دفعة من غير مهلة لما سبق من ان النظام لا يتم الا باهل الشريعة والدين
واصحاب المعرفة واليقين فلما لم يخرجوا هم الا بالادب والتعليم وجب انه لا بد لكل صحيح الخلقة
كامل الالة من مؤدب ودليل ومبشر وآمر وناه وادب وتعليم وسؤال ومسئلة حتى يخرج
بهذه الامور جوهر عقله من حد النقص الى حد الكمال ومن القوة الى الفعل ويصفي عين قلبه
عن غشاوة الظلمات وحجب الجهالات ويخرج من ظلمات هذا العالم الى عالم النور كما
في قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فاحق ما اقتبسه العاقل من مشكوة
النبوة والولاية والتمسه المتدين الفطن واستخرجه من الكتاب والسنة وسعى اليه الموفق
المصيب العلم بالدين اي باصوله واركانه ومعرفة ما استعبد الله به خلقه اي معرفة ما
كلف الله به عباده سواء كان علما او عملا وقوله من توحيده بيان للعلم بالدين والدين
نفسه وقوله وشرايعه مع ما عطف عليه بيان لما استعبد الله وامر به خلقه والمراد من
التوحيد عند اهل الحق هو العلم بالله ووحدانيته وصفاته وافعاله ويندرج فيه معرفة ملايكته
وانبيائه واوليائه وكتبه ورسله وكيفية الوحي والرسالة والانزال والتنزيل والالهام
والعلم بالآفاق والانفس ومعرفة النفس الانسانية وقواها العلمية والعملية وكيفية
استكمالها بالعلم والعمل وما الذي يسعدها من العلم وما الذي يشقيها وما الذي ينفعها
يوم الآخرة من العلوم والاحوال والحركات والاعمال ومعرفة يوم القيمة ونفخ قيام الساعة
ومعرفة القبر والبعث والحساب والميزان والكتب وكرام الكاتبين والحفظة لاعمال
بني آدم وملايكة اليمين وملايكة الشمال وملايكة الرحمة والرضوان وملايكة العذاب والمالك
وكيفية نشو الآخرة من الدنيا ومعرفة الجنة واصحابها والنار واهلها والشفاعة لاهل
الكباير من المؤمنين وان الايمان وان كان ضعيفا لا يخلد صاحبه في النار وان مع
فقده لا ينفع شيء من الطاعات وان كان اكثر من رمل البطحاء وقطر السماء الى غير ذلك
من الامور التي ليست عند اكثر المنتسبين بالعلم الا الفاظها ومدلولاتها اللغوية
وكذا بعد اتقان هذه الاصول العلمية معرفة شرايعه العملية واحكامه الفرعية
وامره ونهيه اي ما امر به ونهى عنه وزواجره وآدابه اذ تحصيل علم التعلم و
التأدب وان هذه الامور احق واولى بالاقتباس والالتماس كانت احكامه ثابتة
في اهل الصحة والسلامة والتكليف لازما والعمر يسيرا والزمان للتحصيل والاكتساب
قصيرا فلا يسع الا لما هو الاحق والاهم وهو ما ذكر من الامور والتسويف غير مقبول
والشرط من الله جل ذكره فيما استعبد به خلقه ان يؤدوا جميع فرايضه بعلم ويقين وبصيرة
لان المقصود من وظايف الفرايض والطاعات ان يكون تاديها وسيلة التقرب
الى الله تعالى والزلفى لديه فلا بد ان يتأدى بعلم وبصيرة فالعلم بما يتقرب بها اليه روح

العمل

العمل لا يحصل الا به ولا يتقوم دونه فانما الاعمال بالنيات اي بالعلم بها وبما تؤدى اليه
ليكون المؤدي لها محمودا عند ربه مستوجبا لثوابه وعظيم جزائه لان الذي يؤدي بغير علم
وبصيرة لا يدري ما يؤدي ولا يدري الى من يؤدي فغير العارف بربه لا يمكنه قصد التقرب اليه
ولان المؤدي للفرايض اذا كان جاهلا لم يكن على ثقة مما ادى ولا مصدقا بان ما يفعله
من صورة الاعمال والطاعات نافعة له يوم القيمة منجية له من العذاب لان المصدق لا يكون
مصدقا حتى يكون عارفا بما صدق به من غير شك ولا شبهة لان للتصديق مراتب ادناها
ان يكون بمجرد التقليد كايمان العوام بما يسمعون من غير دليل واوسطها ما يكون بحسب
دليل ظني يرجح احد الطرفين على الآخر واعلاها ما يكون ببصيرة قلبية وبرهان عقلي وهو
اليقين ويسمى بالعرفان وصاحبه بالعارف وهذا هو التصديق بالحقيقة دون الاولين
لان كلا منهما يزول بادنى سبب يطرء واول شك يتوجه على الضمير سيما عند تصادم
الاهوال وظهور مبادي الآخرة ومناصبة ملك الموت وضعف الاعتقاد وايضا اذا
لم يكن التصديق عن بصيرة ويقين لم يترتب عليه الاثر والغاية التي لاجلها كما ينبغي
لان الشاك المتزلزل الغير المثبت ولا الواثق بدين الحق لا يكون له من الرهبة
والرغبة والخضوع وطلب التقرب اليه مثل ما يكون من العالم وفي بعض النسخ الغايب
بدل العالم المستيقن وقد قال الله عز وجل الا من شهد بالحق وهم يعلمون فجعل العلم
وهو اليقين شرطا للشهادة لا تتم بدونه فصارت الشهادة مقبولة لعلة العلم بالشهادة
وبما يشهد به ولولا العلم بالشهادة وبما يشهد به لم تكن الشهادة مقبولة والامر في الشاك
المؤدي بغير علم وبصيرة كالمقلدين والجهال الى الله جل ذكره اي الى مشيته وارادته
من غير وجوب ولزوم بل ان شاء تطول عليه فقبل عمله وان شاء رد عليه لان
الشرط عليه من الله ان يؤدي المفروض بعلم وبصيرة ويقين كيلا يكونوا ممن وصفه الله
فقال تبارك وتعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على طرف من الدين لا ثبات له
كالذي يكون على طرف من الجيش فان احس بظفر قام والا فر فان اصابه خير اطمأن به
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وبطلان عمله
بالارتداد او بتعبه في الدنيا بارتكاب التكاليف وعذابه في الآخرة بكفره ذلك
هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله واعلم ان في قوله ان شاء تطول عليه فقبل
عمله وان شاء رد عليه موضع نظر بحسب الظاهر اذ ليست مشية الله وارادته عند هذه
الطايفة الغايرة ما يصح تعلقها بشيء من الطرفين الا لداع ومرجح لاستحالة الترجيح
عندنا من غير مرجح والتحقيق في المقام ان الايمان ايمانان تقليدي كايمان العوام
ومن يجري مجراهم وايمان علمي كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله الموهوب او المكسوب

كما قال الله عز اسمه افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فينكشف له بهذا النور وجود
الحق وصفاته وافعاله كما هو عليه فيتضح له ان الكل من الله ومرجعه ومصيره اليه ثم هذا الصنف
من المؤمنين هم النازلون في الفردوس الاعلى في غاية القرب من الملأ الاعلى من العليين
وهم ايضا على اصناف بحسب درجات معرفتهم وقوة ايمانهم وشدة يقينهم واعداد
تلك الدرجات لا يعد ولا يحصى اذ الاحاطة بكنه المعرفة لا يمكن وبحر المعرفة ليس له ساحل
ولا لعمقه نهاية وانما يخوض الغواصون فيه بقدر قواهم واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من
اصحاب اليمين ان بقي على ايمانه الى حين الموت ودرجته دون المقربين هذا حال من اجتنب
الكبائر وادى كل الفرائض اعني الاركان الخمسة واما من ارتكب كبيرة او اهمل بعض اركان
الاسلام فان تاب واصلح قبل الموت التحق بمن لم يرتكب لان التائب من الذنب
كمن لا ذنب له وان لم يتب فهذا امره مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار
سببا لزوال ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة فان الايمان اذا كان تقليديا وان كان جزما
فهو قابل للانحلال بادنى شبهة وخيال واعلم ان سوء الخاتمة والختم على الشك والجحود
والمقت والشقاوة يتصور على نحوين ويحصل بسببه في وجهين احدهما يتصور مع تمام
الورع والزهد كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا اذا اعتقد في ذات الله وصفاته
وافعاله خلاف ما هي عليه اما برأيه وقياسه الفاسد واما اخذا بالتقليد فمن
هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطربت النفس
بما فيها فربما ينكشف له في حال السكرة بطلان ما اعتقده وكان واثقا برأيه معتقدا في
اعتقاده فيكون انكشاف بعض اعتقاداته سببا لبطلان وثوقه بسائر اعتقاداته
بالله ورسوله والائمة عليهم السلم فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة فقد ختم له
بالسوء وخرج روحه من الدنيا على الشك نعوذ بالله وهم المرادون بقوله تعالى
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وثانيهما ان يغلب على قلبه عند الموت حب
امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى
في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه
بذلك منكسا راسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله
حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب استحق العقاب ونزل العذاب اذ نار الله
الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه
الى الله تع فيقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد اطفى لهبي فالامر مخطر على
من احب الدنيا ولا يمكن الكتاب صفة اخرى للقلب بعد الموت في تضاد الصفة
الغالبة على الانسان اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت بالموت

الا

الا ان اصل الايمان وحب الله اذا كان راسخا في القلب وتاكد ذلك بالاعمال الصالحة
فان هذه الحالة العارضة تمحو عن القلب وذلك الرسوخ لا يمكن الا بان يكون الايمان عن بصيرة
وكشف وبرهان لا عن تقليد او تعصب او جدل كلامي فهذا معنى قوله ان شاء تطول عليه
فقبل عمله وان شاء رد عليه اي مشيته تعالى غير معلومة في حقه اذ لم يكن ايمانه متثبتا
بل متزلزلا غير مامون الغائلة ولا معلوم العاقبة لامكان زواله بالشك والجحود
او بالاحتجاب وانتكاس الراس الى اسفل سافلين ولما ذكرنا اشار بقوله لانه كان
دخل فيه بغير علم ولا يقين فكذلك صار خروجه بغير علم ولا يقين وقد قال العالم وهو
الامام الهمام ابو الحسن موسى الكاظم عليه السلم فانه المراد بالعالم اذا اطلق وكذا الفقيه
او العبد الصالح وكذا اذا اطلق ابو الحسن واذا قيد بالثاني فالمراد به الرضا ع واذا
قيد بالثالث فالهادي ع واذا اطلق ابو عبد الله ع فهو الصادق ع من دخل في الايمان
بعلم ثبت فيه ونفعه ايمانه ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه اي خرج من الايمان
بغير علم بل بادنى شبهة او تقليد لمن يغويه ويضله وقال ع من اخذ دينه من كتاب الله
وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله زالت الجبال قبل ان يزول ومن اخذ دينه من
افواه الرجال ردته الرجال والمراد من الاول ما يكون اخذه منهما على بصيرة وفهم ومع
قوة له على الاستنباط منهما ومن الثاني ما يكون اخذه بمجرد التقليد وسماع اللفظ من غير
تعلم وتفقه والا فرب علم اخذ من المعلم كان احكم واتقن مما يستنبط الانسان بفهمه
من الكتاب والسنة وقوله ع من افواه الرجال اشارة الى ما ذكر وبالجملة ملاك الامر
هو صفاء القلب وجلاء البصيرة التي بها يتمكن ان يهتدي ويتنور بنور القرآن والحديث
هداية من الله وقال ع من لم يعرف امرنا من القرآن لم يتنكب الفتن اي لم يمكنه التنكب
عن طريق الفتن كفتنة الشبه والشكوك وفتنة القبر وفتنة الدجال ونحوه من المضلين
والمغوين ولهذه العلة اي ولاجل عدم اقتباس العلم والمعرفة من طريق الحق ومنبع
القرآن والحديث بل بالرأي والقياس او بطريق التقليد والاقتداء بالناس والاخذ
من افواه الرجال من غير بصيرة وكشف ونبه من الرب انبثقت على اهل دهرنا
بثوق هذه الاديان الفاسدة اي تشققت عليهم شقوق هذه الاديان الباطلة
والفرق اجماعهم الذي كان في عهد النبي ص وتفرقت الامة على نيف وسبعين فافترقوا
زبرا وتقطعوا امرهم بينهم زبرا من بثق السيل موضع كذا بثقا وبثوقا اذا خرقه
وشقه فانبثق اي انفجر والفرق والمذاهب المستشنعة التي قد استوفت شرائط
الكفر والشرك كلها لقوله ص ستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة يعني ان غير الواحدة كلهم في الكون مخلدون في النار ولا معنى للكفر والشرك

الا ما يوجب الخلود في النار والا فالدخول بلا دوام قد يجامع الايمان مع الاصرار على الكبائر
وذلك اي الافتراق في الدين والانقسام على الناجي والهالك او المثبت والمتزلزل
وهو ادق بما سبق انما هو بتوفيق الله جل وعلا وخذلانه المسببان عن عناية الله وقضائه
اذ التوفيق جعل الاسباب بعناية الله متوافقة ومؤدية الى المطلوب والخذلان بخلافه
كما في قوله فمن اراد الله توفيقه وان يكون ايمانه مستقرا سبب له الاسباب التي
تؤديه الى ان ياخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه واله بعلم ويقين وبصيرة
فذاك اثبت في دينه من الجبال الرواسي ومن اراد الله خذلانه وان يكون دينه معارا
مستودعا وفي بعض النسخ مستعارا والاول اولى لاغناء قوله معارا عنه وقوله نعوذ
بالله منه اعتراض وقع بين الشرط والجزاء من قوله سبب له اسباب الاستحسان
والتقليد والتاويل من غير علم وبصيرة فذاك في المشية ان شاء تبارك وتعالى اتم ايمانه
وان شاء سلبه اياه ولا يؤمن عليه ان يصبح مؤمنا ويمسي كافرا او يمسي مؤمنا
ويصبح كافرا كما وصف الله المنافقين في قوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على
قلوبهم فهم لا يؤمنون وقوله ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله
ليهديهم الآية لانه كلما راى كبيرا من الكبراء مال معه وكلما راى شيئا استحسن ظاهره
قبله لعدم بصيرته الباطنة وفقد نور القلب عنه فلا يدرك من الاشياء الا الظواهر
المحسوسة ولا يستحسن من الانسان الا الاعمال البدنية او عموم اعتراف الخلق له بالفضل
والامامة وان كان مع افلاس قلبه عن العلم والحال بل مع تلطخه بالجهالات والظلمات
وتدنسه بادناس الملكات المهلكات واعلم ان من هذا القبيل من ياخذ العلوم
من الالفاظ المنقولة المأولة والعمومات المخصصة فكان الضلال والاضلال عليه اغلب
ما لم يهتد بنور الله لادراك الامور على ما هي عليه كما في قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور وقوله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقوله ومن يهد الله فهو المهتدي
وقوله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وآيات كثيرة كلها تدل على ان الايمان نور
رباني قذفه الله في قلب المؤمن بحسب ما قدره الله وقضاه وكذا مقابله من
ظلمة الكفر والجهالة لكن لكل من الطرفين مراتب متفاوتة في الكمال والقصور والشدة
والضعف فالكاملون في النور والهدى والقرب من الله هم الانبياء ثم الاوصياء
ثم الامثل فالامثل والبالغون في ظلمة الكفر والضلال والبعد عن رحمة الله هم الفراعنة
والدجاجلة ثم ائمة الضلال ورؤساء الكفرة والمنافقين ثم الاشبه فالاشبه وفيما
بين الطرفين اوساط كثيرة لا تعد ولا تحصى عددهم اكثر من عدد الاقوياء وهم الكاملون
في نور البصيرة وقوة اليقين او البالغون في ظلمة النفس ورسوخ الجهل فعلى هذا

التتمة

ثانيها

التتمة المنسوبة على الاجمال الى الائمة اقسام احدها الكاملون الراسخون في العلم والنور و
الراسخون في الكفر والظلمة الجاحدون للنور والحق وثالثها الناقصون في الطرفين المترددون بين
السعادة والشقاوة والاولان معلوما العاقبة دون الثالث كما يعلم من هذا الحديث وقد قال
العالم عليه السلام ان الله خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء وخلق الاوصياء على الوصية
فلا يكونون الا اوصياء وهم الراسخون في العلم والايمان واعار قوما ايمانا فان شاء تممه لهم
وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم جرى قوله فمستقر ومستودع وانما يعلم منه حال الطرف
الآخر اذ الشيء يعرف بضده فيستفاد من حال الانبياء والاوصياء حال اضدادهم فكانه
قال ان الله خلق الفراعنة ومن يليهم من الجاحدين على الكفر والعناد والاضلال
فلا يكونون الا كفرة معاندين وهم الراسخون في الكفر والجهل واعار قوما الكفران شاء
تممه لهم وان شاء سلبهم اياه واعلم ان تمام التحقيق في هذا المقام يفتقر الى بسط في الكلام
وان يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفة ولعلنا نرجع اليه في مستانف الكلام عند تحقيق
الخير والشر والسعادة والشقاوة والتوفيق والخذلان والجبر والقدر في شرح الاحاديث
الواردة في هذه الابواب وذكرت ان امورا قد اشكلت عليك لا تعرف حقايقها
لاختلاف الرواية فيها وانك تعلم ان اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها واسبابها
من الاغراض النفسانية والدواعي الدنياوية لاقوام استولت عليهم محبة الجاه
والرياسة او استيفاء اللذات والشهوات والتقرب الى الحكام والولاة من
اهل الجور فوضعوا الاحاديث وحرفوا الكلم عن مواضعها كل قوم على وفق مقاصدهم
ومآربهم فلاجل هذه العلل والاسباب الدنيوية والامراض القلبية والاسقام النفسانية
اختلفت الروايات وتناقضت الاحاديث وذكرت انك لا تجد بحضرتك
وفي جوارك وبلدك من تذاكره وتفاوضه ممن تثق بعلمه فيها اي في الرواية وتحقيق
الامر فيها ورفع الاختلاف عنها وقلت انك تحب ان يكون عندك كتاب كاف
يجمع من جميع فنون علم الدين اصولها وفروعها واعتقادياتها وعملياتها ما يكتفي به المتعلم
ويرجع اليه المسترشد فيكون تبصرة للمبتدي وتذكرة للمنتهي ويأخذ منه من يريد علم
الدين والعمل به لكونه مضبوطا موثوقا به معتمدا عليه مثبتا بالآثار الصحيحة عن الصادقين
عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها العمل وبها يؤدي فرض الله عز وجل وسنة
نبيه صلعم يعني من عمل بمقتضى هذه الآثار والاحاديث في الفرائض والنوافل ادى
المفروضات والسنن على وجهها وبرئت ذمته عن الواجبات وترتب له
الثواب بفعلها وفعل المندوبات لكون الرواية فيها صحيحة ثابتة والحجة قائمة
والمروي عنهم المعصومون عن الخطأ والنسيان مطهرون بتطهير الله عن الغلط والعصيان

فيجب العمل بما روي عنهم والاهتداء بهديهم والاستضاءة بنورهم عليهم السلم وقلت لو
كان ذلك رجوت ان يكون ذلك اي كون ذلك الكتاب عندنا سببا يتدارك الله
بمعونته وتوفيقه اخواننا المؤمنين واهل ملتنا من الشيعة الفائزة ويقبل بهم الى
مراشدهم اي يوجب اقبالهم اليه الى هنا كلام السائل الملتمس لتصنيف كتاب الكافي
فاجاب بقوله فاعلم يا اخي ارشدك الله انه لا يسع احدا تمييز شيء مما اختلف الرواية
فيه عن العلماء عليهم السلم برأيه الا على احد اوجه ثلثة الاول ما اطلقه العالم عليه السلم بقوله
اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عز وجل فخذوه وما خالف كتاب الله
فردوه والثاني قوله دعوا ما وافق القوم المراد به علماء الدنيا واتباعهم الراغبون
في الشهوات والحظوظ العاجلة فان الرشد في خلافهم ومن هذا الباب عرض الامور
المشتبهة فيه الصواب والخطأ على النفس فما وافق النفس فالرشد في خلافه
لانها بطبعها مائلة الى الشهوة والبطالة والكسل وهكذا حال الطالبين للدنيا لكونهم
في مقام النفس ليسوا من اصحاب القلوب والثالث قوله خذوا بالمجمع عليه فان
المجمع عليه لا ريب فيه ثم انه لا يسع لكل احد من الناس فهم القرآن وعرض المقاصد
عليه وكذا الاطلاع على المجمع عليه لانه ان اتفق اتفق في قليل من المسائل واما المخالفة
والموافقة مع القوم فهي ايضا قد لا يطرد في بعض الامور فلاجل ذلك قال ونحن
لا نعرف من جميع ذلك الا اقله اي لا نحصل المعرفة لنا من جميع ذلك المذكور الا في
اقل موضع من المواضع التي وقع اختلاف الرواية فيها او نحن لا نعرف للاعتماد
والتعويل عليه لكل احد من المتعلمين من جميع ما ذكر الا ما هو اقله اتعابا واسهله عليهم
ماخذا وهو المشار اليه بقوله ولا نجد شيئا احوط ولا اوسع من رد علم ذلك كله
الى العالم اي الذي علم اصول المذهب وفروعه ببصيرة وبرهان او العالم من اهل
البيت عليهم السلم ويؤيد الاول اتساق كلامه الى قوله وقد يسر الله اه والثاني في
بعض النسخ من لفظ عليه السلم وقبول ما وسع من الامر فيه بقوله اي قبول كلما وسع
لذلك العالم ووضع له من التحقيق والتوضيح فيما اختلف الرواية فيه بمجرد قوله للاعتماد
عليه فيما صححه واورده من الروايات والفتاوى والاحكام تلقيا عنه وتسليما له
بايهما اخذتم من باب التسليم وسعكم الجملة استينافية مبتدأ وخبر تقديره ايما
اخذتم به من افراد التسليم وقبولا وسعكم العمل به ويحتمل ان يكون الجملة مفعولا لقوله
بقوله ويكون صريحا منقولا عن العالم اذا اريد به المعصوم ع وذكره للاستدلال به
على المطلوب فعلم مما ذكره ان الذي التمس عنه تصنيف الكتاب درجته درجة الاتباع
والمقلدين ولهذا ما رخص اياه الرجوع الى الكتاب والعمل بالاجماع ونحوه بل اوجب

عليه

عليه الاخذ من باب التسليم في جميع ذلك وما وسع له الا الاخذ بقول العالم كيف كان
وقد يسر الله وله الحمد تاليف ما سألت وارجو ان يكون بحيث توخيت اي قصدت
فمهما كان من تقصير فلم تقصر نيتنا في اهداء النصيحة اذ كانت واجبة لاخواننا واهل
ملتنا يعني لو وقع تقصير في شيء من المقاصد لم يقع من جهة تقصيرنا في العزم والنية او من
جهة الاهمال وقلة المبالاة وعدم السعي في اهداء النصيحة الواجبة لاخواننا الشيعة
المؤمنين بل جردنا النية وبذلنا الوسع فان لم يكن على حد الكمال كان الحكم لله في ذلك
مع ما رجونا ان يكون واقعا على ما ينبغي ونكون مشاركين لكل من اقتبس منه وعمل بما فيه
في دهرنا هذا او في غابره الى انقضاء الدنيا اذ الرب عز وجل واحد تعليل للادعاء
من استمرار الاقتباس من هذا الكتاب والعمل بما فيه الى آخر الزمان بوحدانية الله
ووحدة رسوله ص وبقاء دينه الى قيام الساعة من غير نسخ واشتغال والرسول محمد
خاتم النبيين صلى الله عليه وآله واحد لا نبي بعده ولا ملة بعد ملته ولا شريعة تنسخ
شريعته بان يحل حرامه او يحرم حلاله فكما لا يجوز نسخ القرآن لان الذي انشأه وانزله
اله واحد لا شريك له باق لا يزال فكذلك لا يجوز نسخ السنة لان الصادع بها محمد رسول الله صلعم
واحد فشريعته باقية ما دامت السموات والارض الى قيام الساعة واكد ذلك
بقوله وحلال محمد حلال الى يوم القيمة وحرامه حرام الى يوم القيمة وقد وسعنا اي يسر لنا
قليلا كتاب الحجة وهو الكتاب الثالث من كتب الكافي في بيان ان الحجة باقية الى يوم
الدين وان لا تخلو الارض ما دامت الدنيا عن حجة وساير ما يرتبط بذلك من احوال
النبي والائمة عليهم السلم وان لم نكمله كما ينبغي اذ بقي من هذا الباب ما لم يورده
من الاحاديث والاخبار لانا تعليل لارادة هذا القدر اليسير بقوله كرهنا ان
نبخس حظوظه كلها اي نقصها ونتركها جميعا فان ما لا يدرك كله لا يترك كله وارجو
ان يسهل الله تعالى امضاء ما قدمناه من النية يعني اتمام كتاب الكافي ان كان وضع
الديباجة قبل الشروع والا فالمراد ما اشار اليه بقوله ان تأخر الاجل صنفنا كتابا
اوسع واكمل منه اي من الكافي او من كتاب الحجة توفيه حقوقه نصب على الحالية
او العلية اي موفين حقوقه او لتوفيتها كلها ان شاء الله تعالى وبه الحول والقوة
واليه الرغبة في الزيادة في المعونة والتوفيق والصلوة على سيدنا محمد النبي
وآله الطيبين الاخيار واول ما ابتدأ به وافتتح كتابي هذا به الكافي كتاب
العقل وفضائل العلم وارتفاع درجة اهله وعلو قدرهم ونقص الجهل وخساسة اهله
وسقوط منزلتهم اذ بيان لوجه تقديمه على ساير الكتب المذكورة في الكافي بانه كان
العقل في الانسان هو القطب الذي عليه المدار في الحركات الفكرية والانظار العقلية

وهو اصل القوى المدركة والمحركة وهو المركز الذي يرجع اليه المدارك والحواس والنور الذي به
يهتدى في ظلمات بر الدنيا وبحر الآخرة وبه يحتج على الصواب المصيب وتخطئة المخطي وتحقيق الحق
وابطال الباطل وله الثواب واليه العقاب يوم الحساب والمآب في دار الجنة ودار العذاب
والله الموفق وهذا الكتاب مشتمل على سبعة عشر بابا الباب الاول **باب**
العقل والجهل وفيه اربعة وثلثون حديثا **الحديث الاول** حدثني شيخي واستادي
ومن عليه في العلوم النقلية استنادي عالم عصره وشيخ دهره بهاء الحق والدين محمد العاملي
الحارثي الهمداني نور الله قلبه بالانوار القدسية عن والده الماجد المكرم وشيخه المجيد المعظم
الشيخ الفاضل الكامل حسين بن عبد الصمد افاض الله على روحه الرحمة والرضوان
واسكنه دار الجنان عن شيخه الجليل واستاده النبيل عماد الاسلام وفخر المسلمين الشيخ
زين الملة والدين العاملي طاب ثراه وجعل الجنة مثواه عن الشيخ المعظم المفخم والمطاع
المؤيد المكرم عالي النسب سامي اللقب المجدد للمذهب علي بن عبد العالي الكركي قدس الله
روحه عن الشيخ الورع الجليل علي بن هلال الجزايري عن الشيخ العالم العابد احمد بن فهد الحلي
عن الشيخ علي بن الخازن الحايري عن الشيخ الفاضل والنحرير الكامل السعيد الشهيد محمد بن
مكي اعلى الله رتبته **ح** وعن الشيخ زين الملة والدين عن الشيخ الفاضل التقي علي بن عبد العالي
الميسي روح الله روحه بالفيض القدسي عن الشيخ السعيد محمد بن داود المؤذن الجزيني
عن الشيخ الكامل ضياء الدين علي عن والده الافضل الاكمل المحقق المدقق الجامع بين الفضيلتين
الحاوي للمنقبتين رتبة العلماء ودرجة الشهداء الشيخ شمس الدين محمد بن مكي رفع الله قدره
واكمل في جنات الرضوان بدره **ح** واخبرني سيدي وسندي واستادي واستنادي
في المعالم الدينية والعلوم الالهية والمعارف الحقيقية والاصول اليقينية السيد الاجل
الانور العالم المقدس الازهر الحكيم الالهي والفقيه الرباني سيد عصره وصفوة دهره
الامير الكبير البدر المنير علامة الزمان اعجوبة الدوران المسمى محمد الملقب بباقر الداماد
الحسيني قدس الله عقله بالنور الرباني عن استاده وخاله المكرم المعظم الشيخ عبد العالي
رحمه الله عن والده السامي المطاع المشهور اسمه في الآفاق والاصقاع الشيخ علي بن عبد العالي
مسندا بالسند المذكور وغيره الى الشيخ الشهيد محمد بن مكي قدس سره عن جماعة من مشايخه
منهم الشيخ عميد الدين عبد المطلب الحسيني والشيخ الاجل الافضل فخر المحققين ابو طالب
محمد الحلي والمولى العلامة مولانا قطب الدين الرازي عن الشيخ الاجل العلامة آية الله
في ارضه جمال الملة والدين ابي منصور الحسن بن مطهر الحلي قدس الله روحه عن شيخه
المحقق رئيس الفقهاء والاصوليين نجم الملة والدين ابي القسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلي
عن السيد الجليل النسابة فخار بن معد الموسوي عن شاذان بن جبرئيل القمي عن محمد بن

ابي القسم الطبري عن الشيخ الفقيه ابي علي الحسن عن والده الاجل الاكمل شيخ الطائفة محمد
بن الحسن الطوسي نور الله مرقده **ح** وعن العلامة جمال الملة والدين عن استاده افضل
المحققين سلطان الحكماء والمتكلمين خواجه نصير الملة والحكمة والحقيقة والدين محمد الطوسي روح الله
روحه بالنور القدسي عن والده محمد بن الحسن الطوسي عن السيد الجليل فضل الله الراوندي
عن السيد المجتبى بن الداعي الحسني عن الشيخ الطوسي عن الشيخ الاعظم الاكمل المفيد محمد بن
محمد بن النعمن الحارثي سقى الله ثراه عن الشيخ الاجل ثقة الاسلام وقدوة الانام محمد بن
علي بن بابويه القمي اعلى الله مقامه عن ابي القسم جعفر بن قولويه عن الشيخ الجليل ثقة الاسلام
سند المحدثين ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني قال الشيخ عظم الله قدره ونور مرقده
حدثني عدة من اصحابنا منهم محمد بن يحيى العطار ابو جعفر القمي في الخلاصة وغيرها شيخ اصحابنا
في زمانه ثقة عين كثير الحديث عن احمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن مالك
الاحوص بالحاء والصاد المهملتين يكنى ابا جعفر القمي شيخ قم ووجهها وفقيهها ولقي ابا الحسن
الرضا وابا جعفر الثاني وابا الحسن العسكري عليهم السلم وكان ثقة وله كتب عن الحسن بن
محبوب السراد ويقال له الزراد يكنى ابا علي كوفي ثقة عين روى عن الرضا عليه السلم وكان
جليل القدر يعد في الاركان الاربعة في عصره قال الكشي اجمع اصحابنا على تصحيح ما يصح
عن هؤلاء وتصديقهم واقروا لهم بالفقه والعلم وذكر الحسن بن محبوب في الجماعة وقال
بعضهم موضعه الحسن بن علي بن فضال عن العلا بن رزين بتقديم الراء على الزاي وكان
ثقة جليل القدر وجاء عن محمد بن مسلم بن رباح ابو جعفر وجه اصحابنا بالكوفة فقيه ورع
صاحب ابا جعفر وابا عبد الله عليهما السلم وروى عنهما وكان من اوثق الناس روى
الكشي مسندا عن العلا بن رزين عن عبد الله بن ابي يعفور قال قلت لابي عبد الله عليه السلم
ليس كل ساعة القاك ولا يمكن القدوم ويجي الرجل من اصحابنا فيسألني وليس عندي
كلما يسألني عنه قال فما يمنعك عن محمد بن مسلم فانه قد سمع من ابي وكان عنده وجيها وعن
ابي جعفر بن قولويه مسندا الى علي بن اسباط عن ابيه اسباط بن سالم عن ابي الحسن
موسى بن جعفر عليهما السلم ان محمد بن مسلم من حواري ابي جعفر محمد بن علي وابنه جعفر بن
محمد الصادق عليهما السلم قال الكشي انه ممن اجمعت العصابة على تصديقهم والانقياد
بالفقه عن ابي جعفر عليه السلم قال لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له اقبل فاقبل
ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك ولا
اكملتك الا فيمن احب اما اني اياك آمر واياك انهى واياك اعاقب و
اياك اثيب **الشرح** اعلموا ايها الاخوان السالكين الى الله بقدم العرفان
ان هذا العقل اول المخلوقات واقرب المجعولات الى الحق الاول واعظمها وتمها

وثالثها الموجودات في الموجودية وان كان الاول في لا ثاني له في حقيقته لان وحدته ليست عددية
من جنس الوحدات وهو المراد في ما ورد في الاحاديث عنه صلى الله عليه وآله من قوله في رواية
اول ما خلق الله العقل وفي رواية اول ما خلق الله نوري وفي رواية اول ما خلق الله
روحي وفي رواية اول ما خلق الله القلم وفي رواية اول ما خلق الله ملك كروبي و
هذه كلها اوصاف ونعوت لشيء واحد باعتبارات مختلفة فبحسب كل صفة يسمى باسم آخر
فقد كثرت الاسماء والمسمى واحد فاما وجودا اما الماهية والذات فهي جوهر لا تعلق لها بالاجسام
بوجه لا وجودا كالاعراض ولا حلولا وتصرفا كالنفوس ولا بالجزئية والامتزاج كالمادة
والصورة وبالجملة فالمجعولات الجوهرية على ثلاثة اقسام متفاوتة في درجات الوجود اعلاها واولها
هو الذي لا افتقار له في شيء الا الى الله ولا نظر له الى ما سواه ولا التفات له الا اليه تعالى
وثانيها هو الذي لا افتقار له في اصل الوجود الى غيره تعالى ولكن يفتقر في استكمال وجوده
الى ما سواه ويكون كمال وجوده بعد اصل وجوده وبوجه قبله وثالثها هو الذي يفتقر الى
غيره تعالى ايضا في كلا الامرين اعني في اصل الوجود وكماله جميعا فالاول هو العقل والثاني
النفس والثالث الجسم او جزؤه واما الوجود والحقيقة فالبرهان عليه وجود الحق تعالى
لانه لما كان بسيط الحقيقة عالما قادرا جوادا رحيما ذا فضيلة عظيمة وقوة شديدة وقدرة
غير متناهية وفيه جميع الفضائل والخيرات والكمالات لم يجز في كرمه ورحمته وجوده
ان يمسك عن الفيض والرحمة ويضن بالخير والجود على العالمين فلا بد ان يفيض عنه
المخلوقات على النظام الافضل والترتيب الاجود وان يبدأ بالاشرف فالاشرف كما
تدل عليه قاعدة الامكان الاشرف ولا شك ان اشرف الممكنات واكرم المجعولات
هو العقل كما علمت فهو اول الصوادر واقربها من الحق واحبها اليه ولهذا قال ما خلقت
خلقا هو احب الي منك وسنعيد القول في تحقيق محبة الله لخلقه وهذا الموجود حقيقته
حقيقة الروح الاعظم بعينها المشار اليه بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وقوله الا له الخلق
والامر وانما سمي بالقلم لانه واسطة الحق في تصوير العلوم والحقائق على الالواح النفسانية
القضائية والقدرية فان قلم الله ليس قصبا ولا حديدا ولا جسما آخر وكذا اللوح
ليس خشبا ولا قرطاسا ولما سماه قلما قال اجر ما هو كائن الى يوم القيامة ولكونه وجودا خالصا
عن ظلمة التجسم والتحجب وعن ظلمات النقائص والاعدام يسمى نورا اذ النور هو الوجود
والظلمة هي العدم وهو ظاهر لذاته مظهر لغيره ولكونه اصل حياة النفوس العلوية
والسفلية يسمى روحا وهو الحقيقة المحمدية عند اعاظم الصوفية ومحققيهم لكونه كمال وجوده
صلى الله عليه وآله الذي منه يبتدي واليه يعود كما سيظهر من بعض الاحاديث
المروية عن الائمة عليهم السلم ولهذا التحقيق برهان في طول الكلام بذكره وسنعود اليه

في شرح تلك الاحاديث ومن امعن النظر في هذا المقام وجد كل ما وصف به العقل الاول
وحكي عنه كان من خواص روحه صلى الله عليه وآله فقوله عم استنطقه اي جعله ذا نطق وكلام يليق بذلك
المقام وقوله ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر هذا حال روحه ص اذ قال الله
له اقبل الى الدنيا واهبط الى الارض رحمة للعالمين فاقبل فكان نوره مع كل نبي باطنا
ومع شخصه المبعوث ظاهرا كما روي عنه نحن الآخرون السابقون يعني الآخرون بالخروج
والظهور كالثمرة والاولون بالخلق والوجود كالبذر فهو بذر شجرة العالم ثم قال له ادبر
اي ارجع الى ربك فادبر عن الدنيا ورجع الى ربه ليلة المعراج وعند المفارقة عن دار
الدنيا ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو احب الي منك وهذا حاله ص لانه كان
حبيب الله واحب الخلق اليه والوجه العقلي في ذلك ان المحبة تابعة لادراك الوجود
لانه خير محض فكل ما وجوده اتم كانت خيريته اعظم والادراك به اقوى والابتهاج به
اشد فاجل مبتهج بذاته هو الحق الاول لانه اشد ادراكا لاعظم مدرك له الشرف
الاكمل والنور الانور والجلال الارفع وهو الخير المحض وبعده في الخيرية والوجود و
الادراك والابتهاج هو الجواهر العقلية والارواح النورية والملائكة القدسية
المبتهجون به تعالى وبذواتهم من حيث هم مبتهجون به فهم العشاق الالهيون وبعد
مرتبتهم مرتبة النفوس المشتاقين اليه تعالى لبعد منزلهم عنه وادراكهم له وهم الملائكة
السماوية وبعد هؤلاء في الشوق اليه تعالى النفوس البشرية والسعداء من اصحاب اليمين
على مراتب ايمانهم بالله تعالى واما المقربون من النفوس البشرية وهم اصحاب المعارج
الروحانية فحالهم بالآخرة كحال الملائكة المقربين في العشق والابتهاج به تعالى اذا
عرفت هذا فمحبة الله لعباده راجعة الى محبته لذاته لانه لما ثبت ان ذاته احب
الاشياء اليه تعالى وهو اشد مبتهج به وكل من احب شيئا احب جميع افعاله وحركاته
وآثاره لاجل ذلك المحبوب وكل ما هو اقرب اليه فهو احب اليه وجميع الممكنات
على مراتبها آثار الحق وافعاله فالله يحبها لاجل ذاته واقرب المجعولات اليه الروح
المحمدي ص المسمى بالعقل ههنا فحق انه احب المخلوقات اليه ومن المتكلمين من انكر
محبة الله لعباده كالزمخشري واترابه زعما منهم ان ذلك يوجب نقصا في ذاته
ولم يعلموا ان محبته تعالى لخلقه راجعة الى محبة ذاته وقوله في رواية اخرى بك اعرف
وبك آخذ وبك اعطي وبك اثيب فهذا كله حال النبي صلى الله عليه وآله لانه من
لم يعرف النبي ص بالنبوة والرسالة لم يعرف الله كما ينبغي ولو كان له الف دليل على
معرفة الله فمعناه بمعرفتك اعرف اي من عرفك بالنبوة عرفني بالربوبية وبك آخذ
اي آخذ طاعة من آخذ منك ما دينته من الدين والشريعة وبك اعطي اي بشفاعتك

اعطى الدرجة اهل الدرجات كما قال الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابرهيم ع وبك
اعاقب وبك اثيب وذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري
قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وذلك لان الله تعالى اخذ ميثاق
كل نبي بعثه على قومه بان يؤمن بمحمد وآله ع ويرضى امته بالايمان به ونصرة دينه فمن آمن به
من الامم الماضية قبل بعثته والامم الغابرة فهو من اهل الثواب ومن لم يؤمن به من الاولين
والآخرين فهو من اهل العقاب فصح قوله بك اعاقب وبك اثيب واما قوله في هذه
الرواية اما انه اياك آمر واياك انهى واياك اعاقب واياك اثيب فيحتمل ان يكون
لفظ اياك بمعنى بك ولاجلك على سبيل التوسع وان حملنا اللفظ على الحقيقة فهو ايضا
صحيح حق لان حقيقة العقل ملاك التكليف والامر والنهي والثواب والعقاب الا ان
هذه الحقيقة ذات مقامات ودرجات اذ وحدة العقل ليست وحدة عددية فكونه
احب الاشياء اليه تعالى باعتبار غاية كماله ودنوه من الاول تعالى وكونه معاقبا معذبا
باعتبار غاية بعده منه تعالى وكونه مكلفا مامورا ومنهيا باعتبار وقوعه في دار التكليف
وكونه مثابا باعتبار كونه في الآخرة في بعض درجات الجنان **الحديث الثاني**
على بن محمد بن ابرهيم بن ابان الرازي الكليني المعروف بعلان ابو الحسن ثقة عين
عن سهل بن زياد الادمي ابو سعيد الرازي ضعيف في الحديث غير معتمد عليه عن عمرو
ابن عثمن الثقفي الخزاز وقيل الازدي ابو علي كوفي ثقة وكان نقي الحديث صحيح الحكايات
صه قال النجاشي له كتب عنه علي بن الحسن بن فضال واحمد بن محمد بن خالد عن مفضل بن
صالح ابو جميلة الاسدي النخاس مولاهم ضعيف كذاب يضع الحديث عن سعد بن
طريف من اصحاب الباقر ع مولى بني تميم الكوفي ويقال سعد الخفاف صحيح الحديث
روى عن الاصبغ بن نباتة قاله العلامة في صه قال ابن الغضائري انه ضعيف عن الاصبغ
ابن نباتة بالغين المعجمة بعد الباء الموحدة تحتها ونباتة بضم النون وبعد الالف تاء
مفتوحة مثناة فوقها مشكور من خاصة امير المؤمنين عليه السلم عن علي عليه السلم قال
هبط جبرئيل ع على آدم ص فقال يا آدم انى امرت ان اخيرك واحدة من ثلث
فاخترها ودع اثنتين فقال له آدم يا جبرئيل وما الثلث فقال العقل والحياء والدين
فقال آدم انى قد اخترت العقل فقال جبرئيل للحياء والدين انصرفا ودعاه فقالا لا
يا جبرئيل انا امرنا ان نكون مع العقل حيث كان قال فشأنكما وعرج **الشرح**
هذا الحديث وان كان ضعيف السند لوقوع الضعفاء مثل سهل بن زياد ومفضل بن
صالح وغيرهما في طريقه الا ان ذلك لا يقدح في صحة مضمونه لانه معتضد بالبرهان العقلي

وكذلك

وكذلك كثير من الاحاديث الواردة في اصول المعارف ومسائل التوحيد وغيره وقوله هبط
جبرئيل ستعرف معناه فيما بعد ان شاء الله وتأنيث واحدة وكذا ثلث واثنين باعتبار
الخصلة او نحوها وقوله انصرفا ودعاه اي انصرفا عن آدم ودعاه او انصرفا ودعا العقل
لآدم وقوله انا امرنا هذا الامر امر تكوين لا امر تشريع كما في قوله تعالى اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون وقوله كونوا قردة خاسئين وفي هذا الامر لكونه وجوديا بلا واسطة تنبيه على
النقص والتمرد بخلاف الامر بالواسطة فيجوز فيه الامران فمنهم من اطاع ومنهم من عصى واعلم
يا اخي ان للانسان قوة بها يدرك الحقائق وهي المسماة بالعقل وقوة بها ينفعل عما
يرد على القلب وهي المسماة بالحياء وقوة بها يقتدر على فعل الطاعات وترك المنكرات
وتسمى بالدين وهذه الالفاظ الثلثة كما قد تطلق على هذه المبادي اعني القوى والاخلاق
كذلك تطلق على آثارها والافعال الناشئة منها فيقال ان العقل ادراك المعقولات
والحياء انفعال القلب عما يرد عليه والدين فعل المعروفات وترك المنكرات
والحياء على قسمين حياء نشأت من ضعف القلب وقلة الاحتمال للعجز وهي ليست بمحمودة
وحياء نشأت من استشعار العظمة والهيبة فالاولى حياء من الخلق والثانية حياء
من الحق وهي من محاسن الاخلاق ومكارم الخصال ولهذا ورد الحياء من الايمان وقال
بعض العرفاء الحياء وجود الهيبة في القلب مع حشمة ما سبق منك الى ربك وقال
بعضهم ان العباد عملوا على اربع درجات الخوف والرجاء والتعظيم والحياء واشرفهم
منزلة من عمل على الحياء لما تيقن ان الله يراه على كل حال فاستحيى من حسناته اكثر مما
استحيى العاصون من سيئاتهم وهذه الخصال الثلث لكل منها ضد فضد العقل هو الجهل
بالمعنى الوجودي اعني ادراك الشيء خلاف ما هو عليه وهو من اسوء الاخلاق السيئة واقبحها
اذ الكفر شعبة منه وضد الحياء الوقاحة وضد الدين الفسق اذا تقررت هذه المقدمات
فنقول في هذا الحديث مطالب ثلثة احدها وجه الاقتصار على هذه الخصال الثلث والثاني
وجه كون العقل هو المختار منها والثالث علة استلزامه للاخريين اما الاول فلان
للانسان قوتين فعلية وانفعالية والاولى اذا كانت فاضلة تصدر منها فعل الطاعات
والعبادات وتسمى بالدين تسمية للسبب باسم مسببه والثانية اما انفعالها بالصور
الادراكية فهي العقل اذا كانت فاضلة او بغيرها من الامور الحسنة فهي الحياء اذا كانت
فاضلة واما الثاني فلا شبهة في ان العقل اشرف الخصال واكرمها اذ به يعرف الحق
ويتميز عن الباطل وبه يكمل الايمان ويتقرب اليه تعالى وهو الذي يحب الله ويحبه الله
واما الثالث فلانه اذا حصل العقل استشعر القلب عظمة الله وجلاله فلزم منه الحياء
واذا حصل العلم بالله واليوم الآخر وقعت خشية الله في القلب لقوله تعالى انما يخشى الله

من عباده العلماء واذا حصلت الخشية اياه والخوف من عذابه كمل الدين وتم العمل الحديث الثالث
احمد بن ادريس وهو ابو علي الاشعري القمي كان ثقة في اصحابنا فقيها كثير الحديث صحيح الرواية.
اعتمد على روايته عن محمد بن عبد الجبار وهو ابن الصهبان بالصاد المهملة المضمومة والباء
المنقطة تحتها نقطة والنون اشعري قمي من اصحاب ابي الحسن الثالث الهادي عليه السلم ثقة
عن بعض اصحابنا رفعه الى ابي عبد الله عليه السلم قال قلت له ما العقل قال ما عبد به الرحمن
واكتسب به الجنان قال قلت فالذي كان في معوية فقال تلك النكراء تلك الشيطنة
وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل **البيان** ان الناس اختلفوا في حد العقل اختلافا
كثيرا واضطربوا في تحقيق معناه لما راوا تارة يطلق اسمه على اول ما خلقه الله كما سيجيء
في رواية سماعة بن مهران عن ابي عبد الله عليه السلم ان الله خلق العقل وهو اول خلق
من الروحانيين عن يمين العرش من نوره وتارة تطلق على ما هو خصلة من خصال الانسان
وملكة من ملكات نفسه كما في الحديث السابق وتارة تطلق على الغريزة الانسانية التي
بها يفارق الانسان سائر الحيوانات وتارة تطلق على جودة الروية في استنباط
ما ينبغي به وان كان في باب الدنيا وفي الامر العاجل فيقال لمثل معوية انه عاقل
وتارة يطلق على غير هذه المعاني ايضا والحق الكاشف للغطاء ان اسم العقل يقع
على معان بعضها بالاشتراك وبعضها بالتشكيك اما التي بالاشتراك ففي ستة
معان الاول الغريزة التي بها يمتاز الانسان عن البهائم ويستعد لقبول العلوم
النظرية وتدبير الصناعات الفكرية ويستوي فيها الاحمق والذكي ويوجد في النائم
والمغمى عليه والغافل وكما ان الحيوة غريزة في الحيوان يتهيأ بها ويتهيأ جسمه للحركات
الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك هذا العقل غريزة يتهيأ بها الانسان
لاكتساب العلوم النظرية فليس لاحد ان يقول ان الانسان يساوي الحمار في الغريزة
ولا فرق بينهما الا ان الله يخلق بحكم اجراء العادة فيه علوما وليس يخلقها في الحمار والبهائم
اذ لو جاز ذلك لجاز ان يسوى بين الحمار والجماد في الغريزة والحيوة من غير فرق
الا ان الله يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة وكما امتنع ان يكون مفارقة
الحيوان عن الجماد بحركات مخصوصة جرت العادة بصدورها عنه لا عن الجماد بل انما
هي بغريزة خاصة به ليست في الجماد فكذلك استحال ان يكون حصول العلوم النظرية
والتدابير الفكرية من الانسان بمجرد اجراء العادة من الله في خلقها فيه لا لاجل غريزة
فطره الله عليها بها يكون مفارقا عن البهائم وبها يتهيأ عنه تلك العلوم والتدابير
وكما ان المرآة ممتاز عن سائر الاجسام بصفة مخصوصة كالصقالة بها تحصل فيها حكاية
الصور والالوان وكذلك العين تفارق سائر الاعضاء بصفة غريزية بها استعدت

للروية

للروية فنسبة هذه الغريزة في استعدادها لانكشاف العلوم كنسبة المرآة الى الصور والالوان
ونسبة العين الى الصور المرئيات والعقل بهذا المعنى يستعمله الحكماء في كتاب البرهان ويعنون به
قوة النفس التي بها يحصل اليقين بالمقدمات الصادقة الضرورية لا عن قياس وفكر بل
بالفطرة والطبع ومن حيث لا يشعر من اين حصلت وكيف حصلت فاذن هو جزء ما من النفس
يحصل بها اوائل العلوم الثاني العقل الذي يردده الجمهور من المتكلمين على السنتهم فيقولون
هذا ما يوجبه العقل وهذا ما ينفيه العقل وانما يعنون به المشهور في بادي الراي المشترك
عند الجميع او الاكثر فهذا ما يسمونه العقل كما يظهر من استقراء استعمالاتهم هذا اللفظ فيما
يتخاطبون به او يكتبون في كتبهم العلمية ومن هذا الباب العلوم الضرورية كالعلم بان
الاثنين ضعف الواحد وان الاشياء المساوية لشيء واحد متساوية وان الجسم الواحد
لا يحصل في حيزين وان الجزء الواحد لا يحصل فيه الجسمان الثالث العقل الذي يذكر في
كتاب الاخلاق ويراد به جزء من النفس الذي يحصل بالمواظبة على اعتقاد شيء شيء
وعلى طول تجربة شيء شيء من الامور الارادية التي للانسان ان يؤثرها او يتجنبها فان
ذلك الجزء من النفس سمي عقلا والقضايا التي تحصل للانسان بهذا الوجه وفي ذلك
الجزء من اجزاء النفس هي مبادي الراي فيما سبيله ان يستنبط من الامور الارادية
التي شانها ان يؤثر او يتجنب ونسبة هذه القضايا الى ما يستنبط بها من تلك كنسبة
تلك القضايا الضرورية الى ما هي مبادي لها من العلوم النظرية التي غايتها ان تعلم
لا ان يفعل بها شيء وهذا العقل مما يتزيد ويشتد مع الانسان طول عمره فان من
حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال في العرف انه عاقل ويتفاوت ويتفاضل
فيه الناس تفاضلا كثيرا الرابع الشيء الذي به يقول الجمهور في الانسان انه عاقل
ومرجعه الى جودة الروية وسرعة التفطن في استنباط ما ينبغي ان يؤثر او يتجنب
وان كان في باب الاغراض الدنياوية وهوى النفس الامارة بالسوء فان الناس
يسمون من له هذه الروية المذكورة عاقلا ويعدون معوية من جملة العقلاء واما اهل
الحق فلا يسمون هذه الحالة عقلا بل اسماء آخر كالنكراء والشيطنة او الدهاء واشباه هذه
الاسماء والوجه في ذلك ان النفس الانسانية متى كانت نشاتها غير مرتفعة عن عالم
الحركات وكان الغالب على طبعها الجزء الناري التي شانها سرعة الحركة وقوة الاشتعال
فمثل هذه النفس النارية شديدة الشبه بالشيطان في استنباط الحيل والمكر والاستبداد
بالراي والعمل بالقياس الفاسد والاباء والاستعلاء والغواية والاغواء بخلاف
النفوس النورية المطمئنة الطبع المعتدلة الخلقة العالية الجوهر عن هذا العالم فان
شانها الانفعال عن الملكوت الاعلى والتوكل على الله في امر دنياها واستعمال الروية

والفكر على سبيل القصد فلا يكون مكارا ولا بليدا فخير الامور اوسطها فهذا معنى العقل المستعمل
في هذا الموضع ومرجعه الى التعقل للامور والقضايا المستعملة في كتب الاخلاق التي هي مبادي
للآراء والعلوم التي لنا ان نفعلها لنفعلها او نجتنب عنها ونسبة هذه القضايا الى العقل
المستعمل في كتب الاخلاق كنسبة تلك العلوم الضرورية الى العقل المستعمل في كتاب
البرهان فذانك العقلان جزآن للنفس الانسانية احدهما جزء انفعالي علمي ينفعل عن المبادي
العالية بالعلوم والمعارف التي غايتها النفسانية هي الايمان بالله واليوم الآخر وثانيهما
جزء فعلي عملي ينفعل فيما تحته بسبب الآراء والعلوم التي غايتها ان يعمل بمقتضاها من فعل الطاعات
والاجتناب عن المعاصي والتخلق بالاخلاق الحسنة والتخلص عن الاخلاق الذميمة وهو الدين
والشريعة فاذا حصلت الغايتان حصل التقرب الى الله والبعد عما سواه الخامس
العقل الذي يذكر في كتاب النفس وهو يطلق على اربعة انحاء مراتب عقل بالقوة وعقل
بالملكة وعقل بالفعل وعقل مستفاد فاولها قوة من قوى النفس بل هي النفس من حيث
نشأتها الاولى التي ليس فيها كمال وصورة عقلية كمالية ولا ايضا استعداد قريب لها
لكن في قوتها ان ينتزع ماهيات الموجودات كلها وصورها وثانيها قوة من النفس او النفس
من حيث استعدت بواسطة العلوم العامية والادراكات الاولية لان يحصل فيها
صور الموجودات المنتزعة عن موادها الخارجية صايرة اياها متحدة بها اتحاد المادة
بالصورة كما رأيناه واليه ذهب بعض اعاظم الحكماء وثالثها مرتبة كونها بالفعل كل المعقولات
او اكثرها بان يتبدل وجودها الكوني الاول الذي كانت به صورة لمادة حسية الى وجود
ثانوي وفطرة ثانية مستأنفة بها يتحد في ذاته المعقولات المنتزعة التي كانت اولا
في موادها الكونية فحصلت ثانيا في تلك الذات وتلك الذات انما صارت عقلا بالفعل
بالتي هي بالفعل معقولات ومعنى كونها معقولة في انفسها وموجودة في انفسها وكذا معنى
كونها معقولة لتلك الذات وموجودة لها وتلك الذات عاقلة لها كلها معنى واحد
ووجود واحد فاذن كونها عقلا وعاقلة ومعقولة شي واحد بلا اختلاف حيثية توجب
كثرة في الذات والوجود بل في المفهومات ومعاني الالفاظ وتلك المعقولات من
قبل ان ينتزع من موادها كانت وجودها وجودا دنياويا وكونا ماديا وهي كانت تابعة
في وجودها لما يقترن بها فمرة اين ومرة متى ومرة ذات وضع ومرة ذات كم واحيانا
مكيفة بكيفيات جسمانية واحيانا تفعل واحيانا تنفعل واذا حصلت معقولات انفكت
عنها كثير من المفهومات الصادقة عليها من قبل فصار وجودها وجودا آخر فتبدلت الارض
غير الارض والسماء غير السماء فصارت الارض مشرقة والسموات مطويات في نظر
هذا العارف كما في يوم الآخرة بالقياس الى جميع الخلايق ورابعها مرتبة من هذه الذات

متى

متى شاءت ان تعقل هذه المعقولات مفصلة احضرتها من غير ان تحتاج الى تنزع وتجرد وتجشم
كسب جديد كيف وقد انتزعتها سابقا وتجردت واختزنت بل لما حصلت له ملكة الاتصال
بالعقل الفعال استحضرتها لانها ما دامت باقية التعلق والتدبير لهذا العالم لم تكن دائمة
الاستغراق لشهود الحق الاول والاتصال به وبما يتلوه من واهب الصور باذنه وفعال
المعقولات بقوته التي تمسك الارض والسموات وانما الذي لها في هذا العالم ملكة
الاتصال على وجه السادس العقل المذكور في كتاب الالهيات ومعرفة الربوبيات
وهو الموجود الذي لا تعلق له بشيء الا بمبدعه وهو الله القيوم فلا تعلق له بموضوع كالعرض
ولا بمادة كالصورة ولا ببدن كالنفس وليس لكماله بالقوة ولا في ذاته جهة من جهات
العدم والامكان والقصور الا ما صار منجبرا بوجوب وجود الحق تعالى ولهذا يقال لعالمه
عالم الجبروت وكله نور وخير لا يشوبه شوب ظلمة وشر الا ما احتجب بسطوة الضوء
الاحدي والشعاع الطامس القيومي وهو امر الله وكلمته وهو المنعوت بما جرى في
الحديث الاول وما سيأتي في حديث آخر يذكر فيه جنوده وجنود الجهل فهذه معاني
العقل المشترك في الاسم واما معانيه المختلفة بالتشكيك فمنها العقول الاربعة
المذكورة في كتاب النفس فانها متفاوتة بالشدة والضعف والكمال والنقص ومنها
مراتب العقل العملي المذكور في كتب الاخلاق اولها تهذيب الظاهر باتيان العبادات
والاجتناب عن المنهيات وثانيها تطهير الباطن عن الرذائل حتى تصير النفس كمرآة
مجلوة من شأنها ان يتجلى فيها الحقايق في كسوة الامثال وثالثها ان يشاهد المعلومات
كلها او جلها ورابعها ان يفنى عن نفسه ويرى الاشياء كلها صادرة من الحق راجعة اليه
وهناك التخلق باخلاق الله كما ورد الامر به في قوله ص تخلقوا باخلاق الله وهذا آخر
الدرجات لكلا العقلين فيتحدان في هذه الغاية وليس وراء عبادان قرية ومنها
ان العقل بالمعنى السادس عند طائفة من الحكماء كثير العدد فتلك الكثرة لو تحققت كما
يقولون فليست كثرة تحت نوع واحد ولا ايضا كثرة بالفصول كما هو عندهم ولا بالعوارض
الخارجية حاشا العالم القدسي عنها لانها تستلزم الحركة والمادة بل انما هي مراتب
وجودية بسيطة متفاوتة بالاشد فالاشد والانور فالانور فهي كانوار واشعة
متفاوتة في الكمال والقرب الى نور الانوار ومنها ان الفرق بين الصور العقلية المنتزعة
عن المواد بتجريد وتنزيع وبين الصور العقلية التي هي مفارقة عن المواد في اصل الفطرة
فرق ايضا بالكمال والنقص لا بشيء آخر ومنها ان العقل الذي هو عبارة عن الغريزة
الانسانية بها امتاز الانسان عن البهائم ليس امرا متساويا في افراد الناس كلها
بل الحق ان جواهر النفوس الانسانية في اصل الفطرة مختلفة في الاشراق والكدورة

والضياء والظلمة فبعض النفوس في صفاء الجوهر وقوة الذكاء واستعداد الاستضاءة بحيث يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فلا تحتاج الى معلم بشري لان يستكمل ذاته بانوار المعرفة والهدى
وبعضها في كدورة الجوهر وخمود نور القريحة بحيث لا ينجع فيه تعليم ولا تاديب فاذا انكشفت
عليك ايها السالك هذه المقدمات والاحكام وتمثلت في ذهنك هذه المعاني والاقسام
علمت ان العقل بالمعنى الثاني يقع الاشتباه بينه وبين النكراء والشيطنة ومنشأ الاشتباه
ان كلاهما مشترك في انهما جودة الروية وسرعة التعقل في امور وقضايا هي مبادي آراء
واعتقادات فيما يجب ان يؤثر او يجتنب سواء كانت في باب الخير والآجل او في باب الشر
والعاجل لكن المتعلق بالدنيا من التعلقات والحركات الفكرية لا تخلو عن افراط وتفريط و
اعوجاج وتشويش واضطراب وعجلة كما هو من فعل الشياطين وعبدة الطاغوت واما
الصادر من عباد الرحمن المتعلق بامور الدين والعرفان فيكون على سبيل الطمأنينة وسكون
واحكام واستقامة فهذا افضل الاخلاق الحسنة وذاك اردأ الملكات الردية النفسانية
المسمى بالجربزة والبلاهة احسن منه لانها كما قيل ادنى الى الخلاص من فطانة بتراء فقوله ع
ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان هو تعريف العقل بهذا المعنى وهو المقابل للشيطنة بوجه
وللبلاهة بوجه آخر وقول السائل فالذي في معوية اما مبتدأ محذوف خبره او خبر مبتدأ
محذوف تقديره فالذي في معوية ما هو او ما الذي في معوية **تنبيه** اعلم ان جميع معاني
لفظ العقل على تباينها وتشكيكها يجمعها امر واحد يشترك الكل فيه وهو كونه غير جسم ولا صفة
لجسم ولا جسماني بما هو جسماني ولاجل الاشتراك في هذا المفهوم يصح ان يجعل موضوعا لعلم واحد
وان يوضع له كتاب واحد يبحث عن احوال اقسامه وعوارضه الذاتية كما في هذا الكتاب
الذي نحن فيه من كتب الكافي **الحديث الرابع** محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن ابن
فضال وهو الحسن بن علي بن فضال يكنى ابا محمد روى عن الرضا ع وكان خصيصا به وكان
جليل القدر عظيم المنزلة زاهدا ورعا ثقة في رواياته كذا في الخلاصة وقال ابو عمرو الكشي
كان الحسن بن علي فطحيا يقول بامامة عبد الله بن جعفر فرجع والذي يخبر عن حاله انه كان في
جميع عمره فطحيا مشهورا بذلك حتى حضره الموت فمات راجعا الى الحق قائلا به رضي الله عنه
عن الحسن بن الجهم بن بكير بن اعين ابو محمد الشيباني ثقة روى عن ابي الحسن موسى والرضا ع
قال سمعت الرضا عليه السلم يقول صديق كل امرء عقله وعدوه جهله **البيان** هذا العقل
يراد به المعنى الثالث او الرابع من معاني العقل وهما متقاربان اذ ليس المراد به الغريزة
الانسانية المشتركة ولا العلوم الضرورية التي هي مبادي النظريات ولا الآراء المشهورة
ولا العقل الكلي اول المخلوقات وانما صار العقل صديق المرء والجهل عدوه لان بالعقل
يكتسب الانسان الاصدقاء ويهتدي الى الخيرات وبه يدفع الاعداء ويجتنب عن الشرور

وباشارته يفعل الطاعات والحسنات ويترك المعاصي والسيئات ويسلك سبيل الرضوان
ويعبد الرحمن وبالجهل ينعكس هذه الامور كلها ويتبع اضدادها فيكتسب به الاعداء فيغوي ويضل
وينكب عن طريق الخير الى طريق الشر ويفعل المعاصي ويعصي الاله ولا معنى للصديق الا ما كان
مبدأ لتلك الامور ولا للعدو الا ما كان مبدأ لاضدادها سواء كان جوهرا او عرضا جسما
او غير جسم داخلا في التشخص او خارجا عنه فان كلا من خصوصيات هذه الاشياء خارج عن
حقيقة الصداقة والعداوة بل حقيقة الصديق والصداقة وما يتحقق به روح معناها هي مصدر
ما ينتفع به العبد وينشأ منه ما يهتدي به الى ما هو من باب الخير والسلامة وحقيقة العداوة وروح
معناها هي مصدر ما يتضرر به العبد وينشأ منه الشر والشقاوة والعقل والجهل كذلك
فحري ان يسمى العقل صديقا للمرء والشر عدوا له ومن هذا الباب ما روي عن امير المؤمنين ع
الجاهل عدو لنفسه فكيف يكون صديقا لغيره وعن رسول الله ص اعدى عدوك نفسك
التي بين جنبيك ارادبها النفس قبل ان يستكمل ويكتسب العقل ويتادب بالآداب
الشرعية والعلوم الحقيقية فان اكثر النفوس في اوايل الخلقة جاهلة مكدرة بالادناس
الطبيعية والارجاس الجسمانية فيجب الاحتراز عن دواعيها واغراضها الفاسدة والمجاهدة
معها كما اشار بقوله ص عند المراجعة عن بعض الغزوات رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر سمى الجهاد مع الكفار وهي الاعداء الخارجة اصغر ومع النفس وهي العدو الداخلي اكبر
ووجه كون هذا الجهاد اعظم كون العدو داخلا في المملكة الانسانية ولان مكايدها كثيرة ومع
كثرتها دقيقة خفية ولان اكثر جنودها من القوى والاعضاء مشتركة بينها وبين العقل في الاستعمال
ولان الشرط في مجاهدتها ومحاربتها ان لا يؤدي الى اهلاكها وموتها بالكلية بل ان تصير
مسخرة مطيعة لامر الله مسلمة كما قال ص اسلم شيطاني على يدي واعانني الله عليه وكيفية
هذه المجاهدة مع النفس والهوى وجنودهما بالعقل وجنوده بالمطاردة بين الجندين
جند الشيطان وحزب الرحمن مما سيجيء الاشارة اليه في الحديث الثاني عشر ان شاء الله
ومعركة هذه المحاربة هي القلب الانساني المعنوي الذي يتمثل فيه صور الاشياء واشباحها
الحديث الخامس وعنه عن ابن فضال عن الحسن بن الجهم قال قلت لابي الحسن علي الرضا
عليه السلم ان قوما لهم محبة وليست لهم تلك العزيمة يقولون بهذا القول فقال ليس اولئك
ممن عاتب الله عز وجل انما قال فاعتبروا يا اولي الابصار **الشرح** ان قوما لهم
محبة اي للائمة صلوات الله عليهم وليست لهم تلك العزيمة المعهودة بين الشيعة المواخذ او الراسخ
في المحبة بحيث يسهل معها بذل المهج والاولاد والاموال في طريق مودة اولي القربى ولا لهم
يقولون بهذا القول اعترافا باللسان تقليدا وتعصبا لا بحسب البصيرة والبرهان فقال ليس
اولئك ممن عاتب الله عز وجل متعلق عاتب ضمير راجع الى الموصول اي اولئك ليسوا

ممن كلفهم الله بهذا العرفان او عاتبهم بالقصور عن دركه والا من الذين عوقبوا في القيمة بعدم
بلوغهم الى نيل رتبة الموالاة وحقيقة المحبة لهم عليهم السلم فان المحبة والموالاة لهم فرع على المعرفة
بكمالهم وشأنهم ومعرفة اولياء الله امر غامض لطيف لانها من جنس معرفة الله لا بد فيها
من فطرة صافية وذهن لطيف وطيب في الولادة وطهارة في النفس وبصيرة نافذة
وعقل كامل ولهذا قال الله في مواضع من كتابه فاعتبروا يا اولي الابصار فاعتبروا يا اولي
الالباب وامثال هذين **تبصرة** قد استفيد من هذا الحديث ان عامة الناس وضعفاء
العقول مع كونهم مكلفين في الدنيا بالاسلام ولوازمه كما قال صلى الله عليه وآله امرت ان اقاتل الناس
حتى قالوا لا اله الا الله فهم غير مكلفين بحقيقة الايمان الا من كان منهم له قوة عقلية وحكمة استعدادية
يمكنه بها الارتقاء الى درجة العرفان والايقان فالتكليف بمعرفة حقائق الايمان متوجه اليه
وهو يثاب بها على قدر عرفانه وايمانه وبالاعراض عنها والجحود لها يكون في عذاب اليم
وعقاب شديد على قدر جحوده وكفرانه ومما يؤيد هذا ما قاله الشيخ المفيد عظم الله قدره
في شرح كتاب الاعتقادات المنسوب الى محمد بن علي بن بابويه قدس الله روحه الذي
ثبت من الحديث في هذا الباب ان الارواح بعد موت الاجساد على ضربين منها ما ينقل
الى الثواب والعقاب ومنها ما يبطل فلا يشعر بثواب ولا عقاب وقد روي عن الصادق ع
ما ذكرناه في هذا المعنى وبيناه فسئل عمن مات في هذه الدار اين تذهب روحه فقال من
مات وهو ماحض الايمان محضا او ماحض الكفر محضا نقلت روحه من هيكله الى مثله
في الصورة وجوزي باعماله الى يوم القيمة فاذا بعث الله من في القبور انشأ جسمه ورد
روحه الى جسده وحشر ليوفى اعماله فالمؤمن ينتقل روحه من جسده الى مثل جسده في
الصورة فيجعل في جنة من جنان الله يتنعم فيها الى يوم المآب والكافر ينتقل روحه
من جسده الى مثله بعينه ويجعل في نار فيعذب بها الى يوم القيمة وشاهد ذلك في المؤمن
قوله تعالى قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وشاهد ما ذكرناه في الكافر
قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة فيخلد في النار والضرب
الآخر من يلهى عنه وتعدم نفسه عند فساد جسده فلا يشعر بشيء حتى يبعث وهو من
لم يمحض الايمان محضا ولا الكفر محضا انتهى كلامه وفي هذا المقام تحقيق سنعود اليه في
موضع آخر نكشف به كيفية بقاء النفوس العامية بعد فناء الاجساد فان كثيرا من
متعمقي الحكماء رأوا انها باطلة هالكة وليس الامر عندنا كما ذكروه وقد دلت على بعث
الجميع النصوص القرآنية كقوله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا
لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة وقوله ويوم نحشرهم جميعا وقوله ويوم ينفخ في الصور
فتأتون افواجا الى غير ذلك من الآيات واما الذي استدل به المفيد ره من قوله تعالى وقد بين الله

ذلك

ذلك عند قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا عشرا فبين ان قوما عند الحشر لا يعلمون
مقدار لبثهم في القبور حتى يظن بعضهم ذلك عشرا وبعضهم ان ذلك كان يوما وليس يجوز
ذلك من وصف من عذب الى بعثه او نعم الى بعثه لان من لم يزل منعما او معذبا لا يجهل عليه
ما دخل عليه ولا يلتبس عليه الامر في بقائه بعد وفاته انتهى فهو منظور فيه لعدم دلالته
على ما ادعاه من عدم نفوس هذا القسم وبطلانها كيف والمعدوم لا يعاد وكما دلت عليه
القواطع البرهانية بل انما يدل على كونهم غير معذبين ولا منعمين تعذيبا وتنعيما لا بد من بقائه
في الذكر وعدم بقاء الشعور في الذكر لا يستلزم عدم الشعور رأسا كما في كثير من المنامات
والاحلام التي يراها الانسان ثم يمحو عن الذاكرة بحيث لا يمكن استرجاعها وليس الامر
في اصحاب الكهف كذلك الذين ذكرهم الله في هذه الآية حيث قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
وبالجملة قد ظهر من هذا الحديث وغيره من الاخبار والآيات والآثار مع شواهد الانظار
ومكاشفات اولي الابصار ان التكاليف العقلية على حسب قوة العقل وضعفه والثواب
والعقاب بمقدارهما او قيل العبد من العقل **الحديث السادس** احمد بن ادريس عن محمد
ابن حسان وهو ابو عبد الله الرازي قال النجاشي يعرف وينكر بين بين
يروي عن الضعفاء كثيرا وقال ابن الغضائري محمد بن حسان الرازي ابو جعفر ضعيف صه
عن ابي محمد الرازي مهمل مجهول عن سيف بن عميرة بفتح العين المهملة النخعي كوفي عربي ثقة روى
عن الصادق والكاظم ع صه عن اسحق بن عمار بن حيان كان شيخا من اصحابنا ثقة روى
عنهما عليهما السلم وكان فطحيا قال الشيخ ثقة واصله معتمد عليه وكذا قال النجاشي صه قال قال
ابو عبد الله عليه السلم من كان عاقلا كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة **الشرح**
كلامه عليه السلم في صورة قياس منطقي اقتراني من الشكل الاول من احد جزئيه
لان المراد كل من كان عاقلا كان له دين وكل من كان له دين دخل الجنة ينتج كل من كان
عاقلا دخل الجنة اما بيان الصغرى فلان المراد من العاقل من كان جيد الروية صحيح الفكر
في امر معاشه ومعاده فكان عاملا بمقتضى رأيه الصحيح ونظره الصائب فيلزمه ان يكون
متدينا اذ لو لم يكن فكره صحيحا ورأيه صوابا في امر عاقبته لم يكن عاقلا بل جاهلا ولو لم يعمل
بمقتضى فكره الصحيح ورأيه الصواب كان سفيها غير عاقل فثبت ان كل عاقل متدين
واما الكبرى فلان من كان عاقلا يصير متدينا عاملا بمقتضى عقله وايمانه كان مستحقا لفضل الله
ورحمته مستأهلا لجوائزه وجنته والله سبحانه اجل من ان يمنع المستحق عن فضله واحسانه
وهو الذي اعطى الخلق وافاد الوجود بلا استحقاق سابق فمع الاستحقاق وحصول الايمان
والعمل بمقتضى العقل والعرفان كيف يمنع الحرمان عن المغفرة والرضوان والفوز بالجنان
الحديث السابع عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي

ابو جعفر في الخلاصة اصله كوفي ثقة غير انه اكثر الرواية عن الضعفاء واعتمد المراسيل قال ابن
الغضائري طعن عليه القميون وليس الطعن فيه انما الطعن فيمن يروي عنه وعندي
ان روايته مقبولة ومنه عن الحسن بن علي بن يقطين هو ابن موسى مولى بني هاشم كان ثقة فقيها
متكلما روى عن ابي الحسن موسى والرضا عليهما السلم عن محمد بن سنان ابو جعفر الزاهري
من ولد زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي وقد اختلف علماؤنا في شأنه فالشيخ المفيد ره
قال انه ثقة واما الشيخ الطوسي ره فانه ضعفه وكذا النجاشي وابن الغضائري قال انه
ضعيف لا يلتفت اليه وروى الكشي فيه مدحا عظيما واثنى عليه قال العلامة والوجه
عندي التوقف فيما يرويه عن ابي الجارود هو زياد بن منذر الهمداني الخارقي زيدي
اعمى اليه ينسب الجارودية من اصحاب الباقر وروى عنهما وتغير لما خرج زيد قال ابن
الغضائري حديثه في حديث اصحابنا اكثر منه في الزيدية واصحابنا يكرهون ما رواه
محمد بن سنان عنه ويعتمدون ما رواه محمد بن بكر الارجني عنه عن ابي جعفر عليه السلم
قال انما يداق الله العباد في الحساب يوم القيمة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا
الشرح المداقة في الحساب هي المناقشة فيه وقد سبق ان عقول افراد البشر متفاوتة
في اصل الجوهر قوة وضعفا وكذا عقولهم المكتسبة متفاوتة كمالا ونقصا وعلمت ايضا ان
التكاليف واقعة بحسب العقول فالاقوى عقلا اشق تكليفا من الاضعف عقلا فاذن
نوقش في الحساب يوم القيمة مع اهل الفطانة والاقوياء بما لا يناقش به في الحساب
مع الناقصين والضعفاء الحديث الثامن علي بن محمد بن عبد الله ابو الحسن القزويني
القاضي وجه من اصحابنا ثقة في الحديث عن ابراهيم بن اسحق الاحمر قال العلامة في الخلاصة
ابو اسحق الاحمري النهاوندي ضعيف متهم في دينه وقد ضعفه الشيخ ره في الفهرست
عن محمد بن سليمن هو ابو عبد الله الديلمي ضعيف عن ابيه وهو سليمن بن زكريا الديلمي
قال كان غاليا كذابا وكذلك ابنه محمد لا يعمل بما انفردا به من الرواية قال ابن الغضائري
قال قلت لابي عبد الله عليه السلم فلان من عبادته ودينه وفضله فقال كيف عقله
قلت لا ادري فقال ان الثواب على قدر العقل ان رجلا من بني اسرائيل كان
يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر ظاهرة الماء وان ملكا من
الملائكة مر به فقال يا رب ارني ثواب عبدك هذا فاراه الله ذلك فاستقله الملك
فاوحى الله اليه ان اصحبه فاتاه الملك في صورة انسي فقال له من انت قال انا
رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فاتيتك لاعبد الله معك فكان
معه يومه ذلك فلما اصبح قال له الملك ان مكانك لنزه وما يصلح الا للعبادة فقال له
العابد ان لمكاننا هذا عيبا فقال له وما هو قال ليس لربنا بهيمة فلو كان له حمار رعيناه

في هذا

في هذا الموضع فان هذا الحشيش يضيع فقال له الملك وما لربك حمار فقال لو كان له حمار
ما كان يضيع مثل هذا الحشيش فاوحى الله الى الملك انما اثيبه على قدر عقله الشرح
قوله فلان من عبادته ودينه وفضله فلان مبتدأ خبره محذوف كانه قال فلان كامل او معروف
او نحوهما من هذه الجهات المذكورة قوله في جزيرة الجزر والجزور خلاف المد وهو انقطاع المد
رجوع الماء الى خلف والجزائر ايضا نضوب الماء وانكشافه عن الارض وانفراجه حين غار
ونقص ومنه الجزيرة واحدة جزائر البحر نضرة صفة بعد صفة للجزيرة ويحتمل ان يكون
صفة للخضراء والنضرة بفتح الحسن والرونق وقد نضر وجهه من باب طلب نضرة اي حسن
ونضر الله وجهه يتعدى ولا يتعدى وفي الحديث نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها ظاهرة الماء
بالظاء المعجمة والاهمال تصحيف لا وجه له ارني ثواب عبدك اي جزاء عبادته يوم الآخرة
فاستقله الملك اي رآه قليلا بالقياس الى كثرة عمله وسعيه بلغني مكانك اي منزلتك
في العبادة فكان معه اي كان الملك مع ذلك الرجل يومه ذلك اي في ذلك اليوم
والمراد اليوم بليلته بدلالة فلما اصبح اي اليوم الغد عليه وما لربك حمار يحتمل النفي و
الاستفهام اي ليس لربك حمار لانه اجل واعظم من ان يكون له ذلك او ما لربك حمار
وههنا سؤالات الاول ان هذا الرجل دل هذا الاعتقاد الفاسد هل يلزم تكفيره
ام لا والجواب ان صاحب هذا الاعتقاد لو كان مستبدا برايه راسخا في اعتقاده
كان كافرا ولكن هذا الرجل ليس كذلك بل حاله لقصور عقله كحال النساء والصبيان فلا يوجب
ذلك تكفيره والثاني ان مشاهدة الملك وتكلمه مرتبة جليلة كيف حصل لهذا الرجل الناقص
العقل والايمان والجواب ان جواهر النفوس الانسانية من سنخ الملكوت في اصل
الفطرة فلها ان ينكشف عليها شيء من الملكوت وانما العائق لها من ذلك اما شواغل
الحواس الخارجة او الافكار الداخلة فاذا ارتفع الشاغلان اما بالفطرة كما للنفوس
الساذجة او بالرياضة كما للسالكين او بالنوم وشبهه كالمرض والدهشة فربما لاح لها
شيء من الملكوت وبالجملة كلما يوجب للحواس تعطلا وللذهن حيرة فيمكن ان يتجلى فيه للنفس
امر ملكوتي في كسوة مثالية الثالث انه كيف يترتب الثواب في الآخرة على عبادة
هذا الرجل وشرط صحتها وهو نية التقرب الى الله مفقود لان نية التقرب فرع معرفة
المتقرب اليه والجواب ان ثوابه على قدر عقله وان ادنى المعرفة مع نفي التشريك
يكفي في ترتب الاجر على عمل مثله وان العبد اذا سلمت نفسه عن الصفات الذميمة
والسيئات كان قابلا للرحمة الالهية الواسعة ثم مع اشتغاله بصورة العبادة من غير
تكدر وآفة من كبر او عجب او غيرهما قوي استحقاقه لان مع الامكان وتساوي الطرفين
كان جانب الرحمة ارجح فاذا ارادف بصورة الطاعات صار الرجحان اقوى فالنجاة

عنده وله ما مثله في الآخرة والوجود الاخروي الم من العقاب عنه فان عن سرور ونعيم اقل
مراتبه اعظم من نعمة الدنيا بحذافيرها **الحديث التاسع** علي بن ابرهيم بن هاشم القمي ابو الحسن
ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب سمع واكثر وصنف كتبا عن ابيه هو ابرهيم بن هاشم ابو اسحق
القمي اصله من الكوفة واشتغل بالقم قال العلامة في صه لم اقف لاحد من اصحابنا على قول بالقدح
فيه ولا على تعديله بالتنصيص والروايات عنه كثيرة والارجح قبول قوله عن النوفلي حسين بن
يزيد بن محمد بن عبد الملك النوفلي نوفل النخع كوفي ابو عبد الله كان شاعرا اديبا وسكن
الري ومات بها وقال قوم من القميين انه غلا في آخر عمره عن السكوني اسمه اسمعيل بن ابي
زياد السعيري له كتاب روى عنه النوفلي وكان عاميا عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله اذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله فانما يجازى
بعقله **الشرح** قد اشرنا فيما سبق ان العقل بالمعنى الاول وهو الغريزة الانسانية التي
بها يفارق الانسان البهايم امر متفاوت في افراد الناس بحسب الفطرة الاولى وكذا يتفاضل
الناس في عقولهم المكتسبة بحسب استكمال كل من العقلين المذكورين في علم النفس وفي علم
الاخلاق وهذا الاستكمال ليس الا اشتدادا في اصل الجوهر الفطري فكلما كان جوهر النفس
في اول الفطرة اقوى وانور كان تاثير العلوم والطاعات فيه اشد وابين وكمال العقل
الثاني من جهة احدى القوتين النظرية والعملية اشرف واعلى وللعقل الاعظم الكلي
اوصل وللحق الاول اقرب فظهر ان افراد الانسان متخالفة بحسب الهويات العقلية
تخالفا عظيما في الكمال والنقص والشرف والخسة ومعلوم ان الاحوال تابعة للذوات
حسنها وقبحها تابع لحسن الذات وشرفها ولذا روي عن امير المؤمنين عليه السلم
ان العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع نور الشمس
وضوء العين ممنوع وروي ايضا عن رسول الله صه انه قال لا بد ورد اذ ازدد عقلا تزدد
من ربك قربا وهو المراد بقوله صه لامير المؤمنين ع يا علي اذا تقرب الناس الى
خالقهم بابواب البر فتقرب انت بعقلك وما ورد في هذا الباب من طرق العامة
انه قال صه لواحد من الصحابة اجتنب محارم الله وأدّ فرائض الله تكن عاقلا وعن
سعيد بن مسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة دخلوا على النبي صه فقالوا يا رسول الله
من اعلم الناس فقال العاقل فقالوا فمن اعبد الناس فقال العاقل فقالوا فمن
افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته
وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صه ان ذلك لمتاع الحيوة الدنيا الآية ان العاقل
هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا ويشبه ان يكون اسم العقل في الاصل
لتلك الغريزة ثم استعمل لكمالها الحاصل في بعض الافراد كما يطلق السواد اولا على

كل

كل كيفية قابضة للبصر بوجه ثم يطلق ثانيا على ما فيه شدة في معنى السوادية بالاضافة الى ما دونه
فاذا قيس سواد الفيل الى سواد القير يقال ان القير اسود وان الفيل ليس باسود
وكذا الحرارة والنور وغيرهما مما يشتد تارة ويضعف اخرى بحسب هويات افراده
فاذا يطلق العاقل على من كملت غريزته في خاصية الانسانية من العلم والتقوى اي الاحاطة
بالمعقولات والترفع عن الجسمانيات والشهوات الحيوانية وبهذا التفاوت في افراد الناس
اعني الاختلاف بين الناقص والكامل منها تفاوت عظيم ازيد من البعد بين السماء والارض
ومعلوم ان سعادة كل نوع وشقاوته على حسب رتبة ذلك النوع فحسن الاحوال تابعة
لحسن الذوات فقوله صلى الله عليه وآله اذا بلغكم عن رجل حسن حال اه المراد انه اذا
اخبرتم او حكى لكم عن رجل انه حسن الاحوال لكثرة عبادة من صلوة وصيام او زهد وورع
او كرم او جود او غير ذلك من محاسن الاحوال فلا تحكموا بمجرد الافعال والاحوال الظاهرة
على حسن عاقبته وصحة عقيدته وسلامة قلبه عن الآفات ما لم تنظروا اولا في حسن عقله
وكمال جوهره وذاته فان النتايج والثمرات تابعة للاصول والمبادي ومراتب الفضل
في الاجر والجزاء على حسب درجات العقول في الشرف والبهاء **الحديث العاشر** محمد بن يحيى
عن احمد بن محمد عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان بن طريف مولى بني هاشم وقيل
مولى بني ابو طالب وقيل مولى بني العباس كوفي ثقة من اصحابنا جليل لا يطعن عليه
في شيء روى عن الصادق ع وقيل روى عن ابي الحسن موسى ع ولم يثبت صه قال ذكرت
لابي عبد الله عليه السلم رجلا مبتلى بالوضوء والصلوة وقلت هو رجل عاقل فقال ابو
عبد الله عليه السلم واي عقل له وهو يطيع الشيطان فقلت له وكيف يطيع الشيطان
فقال سله هذا الذي يأتيه من اي شيء هو فيقول لك من عمل الشيطان **الشرح** مبتلى
بالوضوء والصلوة اي بالوسواس في فعلهما من جهة الشك في وقوع النية او غيرها والوسوسة
في النية سببه خبل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله كامتثال امر غيره
وتعظيمه كتعظيم غيره في باب ما يتعلق بالقصد فمن دخل عليه عالم فقام له تعظيما فلو قال
انتصبت قائما تعظيما لدخول هذا الفاضل لاجل فضله قياما مقارنا لدخوله مقبلا عليه
بوجهي لعد سفيها في عقله لان هذه المعاني والصفات مخطورة بالبال لا يستدعي حضورها
جملة في القلب طولا في الزمان وانما يطول زمان نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا
باللسان او حديثا بالنفس فمن لم يفهم نية الصلوة على هذا الوجه فكانه لم يفهم معنى النية
فليس معناها الا انك دعيت بامر الله الى ان تصليها في وقت معين وقمت فالوسوسة
محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم مجتمعة في النفس في حالة واحدة ولا يكون مفصلة
مشروحة في الذهن وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله في الفكر وقد تصور الا

شيئا بصورة واحدة يتضمن معاني كثيرة وقد يحكم عليه بحكم واحد يتضمن احكاما كثيرة كقولك الانسان
حادث فتصور الانسان يتضمن تصور الموجود والممكن والجوهر والجسم والمتحيز والنامي والمتغذي
والحساس والعاقل والمختار والمتحرك وذا الاعضاء من الراس واليد والرجل وغيرها من
الصفات والاعضاء وكذا الحكم بانه حادث حكم بانه موجود وانه في زمان وان لعدمه زمان سابق
ولوجوده زمان لاحق فهذه احكام متعددة يتضمنها الحكم بانه حادث ولكن ليست هذه التفاصيل
حاضرة في الذهن متميزة بعضها عن بعض فهكذا الوسواس في صدد ايقاع الصلوة وغيرها ثم
الوسوسة في غير النية كاعمال الوضوء والصلوة اشنع واقبح وقلما فيقول لك في عمل
الشيطان هذا قولا بلسانه ولم يؤمن به قلبه اذ لو عرف على وجه البصيرة ان الذي ياتيه
من عمل الشيطان لكان رجلا عاقلا لا موسوسا وانما يقوله تقليدا او اضطرارا وذلك على
وزان ما حكى الله عن الكفار ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله هذا
قولهم بافواههم ولم يؤمن به قلوبهم اذ لو علموا ذلك لم يكونوا كافرين وانما قالوا ذلك
تقليدا وسماعا من الناس على العادة والرسم لا تحقيقا وعرفانا فلذلك لا ينفعهم لا في الدنيا
ولا في الآخرة فهكذا قول الموسوس في جواب من ساله من اي شيء لك هذا فان قلت
ما منشأ الوساوس وما سببه القابلي وما مبداه الفاعلي قلنا هذا من علوم المكاشفات
التي يقتبس انوارها من مشكوة النبوة والولاية ويقصر عن ادراكها العقول الرسمية
بانظارها الفكرية ولكن انموذج منه مذكور في كتب العرفا ونحن نلخص حاصل ما ذكروه
على النظم الحكمي والقانون العقلي بعد تمهيد مقدمة هي ان اللطيفة الانسانية المسماة
بلسان الشريعة بالقلب وعند طائفة بالنفس الناطقة جوهر روحاني متوسط في اول
النشأة بين العالمين الملك والملكوت كانه نهاية هذا وبداية ذاك يفعل فيما دونه
وينفعل عما فوقه فالقلب بمثابة ارض يتكون فيها انواع المخلوقات على صورة المثالية
او مثل مرآة مصقولة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيتراءى فيها صور بعد صور
ولا يخلو دايما عنها ومداخل هذه الآثار المتجددة في القلب اما من الظواهر كالحواس الخمس
واما من البواطن كالخيال والفكر والاخلاق النفسانية كالشهوة والغضب وغيرهما فاذا
ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة بسبب
كثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها اثر فيه وان كف عن الاحساس فالخيالات
الحاصلة في النفس لا ينقطع وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسبه ينتقل القلب من حال الى
حال فثبت ان القلب الانساني محل الحوادث الادراكية وموضع الاحوال النفسانية
وهذه الاحوال هي الدواعي والارادات التي هي بواعث للافعال المقدورة الصادرة
بالقدرة فالقلب في التغير والتأثر دائما من آثار تلك الاسباب الخارجة والداخلة

واخص

واخص الآثار الحاصلة فيه هي المسماة بالخواطر وانما هي ادراكات وعلوم اما على سبيل
التجدد او على سبيل التذكر وتسمى بالخواطر لانها تخطر بالبال بعد ان كان القلب غافلا عنها فالخواطر
محركات للارادات والاشواق وهي باعثات ودواعي للقوى والقدر وهي فاعلات اي
محركات للاعضاء والجوارح وبها يظهر الافاعيل في الخارج فمبدأ الفعل البشري هو الخاطر والخاطر
يحرك الرغبة وهي تحرك العزم والنية وهي تبعث القدرة والقدرة تحرك العضو فيصدر الفعل
من هذه المبادي المترتبة كل ذلك باذن الله ومشيته وقدرته هكذا جرت سنة الله في
افعال عباده ومن انكر هذه الوسايط وعزل الاسباب عن فعلها فقد اساء الادب مع الله
مسبب الاسباب حيث اراد رفع ما وضعه الله وعزل ما نصبه فاذا مهد ما ذكرناه فنقول
ان الخواطر المحركة للارادات تنقسم الى قسمين قسم يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة
وقسم يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين
فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم يسمى وسواسا ثم انك قد علمت ان هذه الخواطر حادثة
والحادث لا بد له من سبب محدث ومهما اختلفت الحوادث دل على ان اسبابها الغريبة
مختلفة سيما الاختلاف بالذات والنوع هذا ما عرف لنا من سنة الله في ترتيب المسببات
على الاسباب فمهما استنار حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان
علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة كذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان
فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف
الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسوسة
الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة مفتقرة في التعبير عنها الى اسامي مختلفة
فالملك عبارة عن خلق خلقه الله شانه افاضة الخير والهام الحق وافادة العلم والوعد
بالمعروف والموعظة ونحوها لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو
الاغواء والالقاء بالغرور والوعد بالشر والامر بالمنكر والتخويف والايعاد بالفقر
عند الهم في الخير فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في
مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تع ومن كل شيء خلقنا زوجين والله الواحد لا مقابل له
ولا ضد ولا ند والممكنات امور متقابلة وهو الواحد الفرد الخالق للازواج والاضداد
والانداد والقلب ما دام كونه قلبا متجاذب بين الشيطان والملك وقد ورد عن
النبي صه في القلب لمتان لمة من الملك وعد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد
بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وعنه صه قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
والله سبحانه اجل من ان يكون له اصبع جسماني لكن معنى الاصبع وسره وروحه الواسطة
للقدرة التي بها يقع سرعة التقلب والتحريك سواء كانت الواسطة جسما او امرا آخر وكان

انك باصابعك يتأتى الافعال فالله سبحانه انما يفعل ما يفعله في هذا العالم بما يسمى
الملك والشيطان وهما مسخران لقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك
في تقليب الاجسام والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان
صلاحا متساويا وانما يترجح احد الجانبين على الآخر اما باتباع الهوى والاكباب على الشهوات
او بالاعراض عنها ومخالفتها وللكل من الملائكة والشياطين جنود واحزاب كما سيأتي
في حديث هشام فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب والهوى والدواعي الذميمة
والاخلاق السيئة ظهر تسلط العدو بواسطة الهوى والجهل وصار القلب عش الشيطان
ومعدنه وان جاهد الهوى والشهوات وسلك سبيل الله وتشبه باخلاق الملائكة بالعلم
والطهارة والتقوى وذكر الحق وآياته واشتاق الى الآخرة وزهد في الدنيا صار قلبه
كالسماء مستقر الملائكة الكرام ومهبط الالهامات ومعدن المعارف الالهية والاشراقات
العقلية فقد ظهر لك ان الوسوسة ومقابلها ومبدأها الفاعلي الذي هو الشيطان ومقابله
الالهام الذي يقابلها وقابله ومبدأه الفاعلي وهو الملك وعلمت اسباب كل من
الطرفين ومباديه وغاياته فان قلت الداعي الى المعاصي شيطان واحد او شياطين مختلفة
قلنا الذي يصح بنور الاستبصار وعليه شواهد الاخبار انهم كالملائكة جنود مجندة وان
لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليها اما طريق الاستبصار فذكره يطول ولكن
القدر الذي ذكرناه من ان اختلاف الآثار يدل على اختلاف المؤثرات كما مر في نور
النار وسواد الدخان واما الاخبار فقال مجاهد ان لابليس خمسة من الاولاد قد جعل
كل واحد منهم على شيء من امره فذكر اساميهم ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور
فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود و
دعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب
الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله ويريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما
زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب
وشيطان الوضوء الولهان وقد ورد امثال ذلك في اخبار كثيرة وكما ان الملائكة
فيهم كثرة لا يحصى كذلك في الشياطين وتولد شيطان من آخر كتكون شرر كثيرة الدخان
من نار اخرى مثلها وتولد ملك من ملك كحصول نور من نور او كحصول علم من علم آخر وروي
عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه
ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب
في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر فاه
وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال يونس بن يزيد بلغنا

انه

انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤون معهم قال جابر بن عبد الله ان آدم لما اهبط قال يا رب
هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد
الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال
رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد روح قال ابليس هذا العبد الذي كرمته
علي الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال
تجري منهم مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بصوتك ورجلك الى قوله غرورا

الحديث الحادي عشر عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن بعض اصحابه رفعه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله ما قسم الله للعباد شيئا افضل من العقل فنوم العاقل افضل
من سهر الجاهل واقامة العاقل افضل من شخوص الجاهل ولا بعث الله نبيا ولا رسولا حتى
يستكمل العقل ويكون عقله افضل من جميع عقول امته وما يضمر النبي صلى الله عليه وآله
في نفسه افضل من اجتهاد المجتهدين وما ادى العبد فرائض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع
العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم اولو الالباب الذين قال الله تعالى
وما يتذكر الا اولو الالباب

الشرح قوله صلى الله عليه وآله فنوم العاقل افضل من سهر الجاهل وذلك
لوجهين احدهما ان قصده في النوم لمصلحة مركب البدن لطريق السفر الى الدار الآخرة
ورفع السآمة عنه وتحصيل القوة له كما في قول علي بن الحسين عليهما السلام فخلق لهم الليل
ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب فيكون ذلك جماما وقوة وثانيهما
ان نومه قد لا ينفك عن رؤيا صالحة هي جزء من اجزاء النبوة كما ورد عنه ص ان رؤيا المؤمن
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وقوله ايضا رؤيا المؤمن كلامه وتستعلم من
تضاعيف ما نذكره فيما بعد ان شاء الله وجه كون الرؤيا الصادقة حصة من النبوة قوله
من شخوص الجاهل المراد به الذهاب من البلد طلبا للخير والثواب كما في الحج او طلب
الحديث او غير ذلك من شخص من بلد الى بلد شخوصا ذهب واشخصته انا اي
جعلته شاخصا والوجه في كون اقامة العاقل افضل من شخوص الجاهل الى الغزو وغيره
ان روح الاعمال بالنيات وقصد التقرب الى الله تعالى وذلك بعد المعرفة واليقين
والجاهل بمعزل عنها قوله ص ولا بعث الله نبيا ولا رسولا الفرق بين النبي والرسول
وحقيقة معناهما ما سيجيء في كتاب الحجة وحاصل القول ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا
قوله ص وما يضمر النبي في نفسه افضل من اجتهاد المجتهدين اعلم انه قد ثبت عند الحكماء
الكاملين والعرفاء المحققين ان للعقل مراتب واعلى مراتبه هو الذي يقال له العقل البسيط
والعقل الاجمالي والعقل القرآني وبعد مرتبته هو العقل النفساني والعقل التفصيلي
والعقل الفرقاني وهو ايضا عقل بالفعل وبعد مرتبتهما مراتب العقل بالقوة والعقل

بالملكة والعقل المستفاد والفرق بين الاولين ان الاول حقيقة واحدة بسيطة موجودة بوجود واحد عينا
وهو مع وحدته وبساطته كل العقول والمعقولات والعلوم والمعلومات وهو مبدأ لصدور عنه
مفصل المعقولات وعلمه بالموجودات السابق علمها من هذا القبيل كيلا يلزم كثرة في ذاته وعلمه
الذي هو عين ذاته وهو موهبة من مواهب الله لخواص عباده ليس للكسب اليه سبيل واما العقل
الثاني فهي تلك المعقولات المفصلة المستمدة من ذلك العقل البسيط القراني ونسبته الاول
الى الثاني كنسبة البذر الى الشجر وكنسبة الكيميا الى الدنانير وقد يكون المعقول الواحد متضمنا
لمعقولات كثيرة كالمحدود بالقياس الى حده التفصيلي وقد يكون المعقول البسيط عندنا علة
لمعقولات الكثيرة المفصلة كالقضية في الملكة الفقهية اذا كان بينه وبين رجل مناظرة
فاذا تكلم ذلك الرجل معه بكلام كثير خطر بباله جواب مسألة جملة ثم اذا اخذ في الجواب يفصله
شيئا بعد شيء على الترتيب الى ان يملأ كتابا ولم يكن تلك العلوم المفصلة حاضرة في ذهنه ولكن
الحاضر فيه اولا امر بسيط هو مبدأ تلك المفصلات فهذا مثال العقل البسيط الا ان العقل
البسيط اتم بساطة واشد تجريدا وهو نور من انوار الله يختص به الانبياء وبعض الاولياء
فهذا معنى قوله وما بلغ النبي في نفسه افضل من اجتهاد المجتهدين لان غاية سعيهم واجتهادهم
هي تحصيل العلوم التفصيلية على سبيل النظر والاستدلال واين هذا من ذلك وفي قوله تع
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين انه الحق اشارة الى طريق المجتهدين
المستدلين يعرفون الحق بالخلق وبملاحظة آيات الآفاق والانفس يستدلون على وجوده تع
وقوله تع اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد اشارة الى طريق النبي صلعم فانه بلغ الى مقام
فيه يرى الحق وبه يستشهد على كل شيء وفي كلام سيد الاولياء امير المؤمنين ع ما رايت شيئا
الا ورايت الله قبله وقال بعض الاولياء رايت ربي بربي ولولا ربي ما رايت ربي
وقوله صلعم والعقلاء هم اولو الالباب اه يعني ان العقل المذكور هنا ليس ما يتعارفه
الجمهور عندهم فيقولون لمن له كياسة في امور الدنيا انه عاقل ولا المراد به الغريزة التي يتميز
به الانسان عن البهائم ولا المذكور في علم الاخلاق بل المراد منه ما يستفاد من قوله تع وما
يتذكر الا اولو الالباب فعلم منه ان العقلاء هم المخصوصون بانهم اهل الذكر اي اهل العلم
والعرفان كما في قوله فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وهم الراسخون في العلم كما دل
عليه قوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب
وهم الحكماء الالهيون لقوله تع يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر
الا اولو الالباب وبالجملة المراد بالعاقل هنا الموصوف بجميع ما وصفه الله به اولي الالباب
وذلك لا يكون الا العالم الحكيم الراسخ في العلم الكامل في الحكمة والايمان فالعقل الذي هو
آخر العقول المذكورة في معرفة النفس والله اعلم بالصواب الحديث الثاني عشر

بعض

بعض اصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم هو ابو محمد مولى كندة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن
موسى عليهما السلم وكان ثقة في الروايات حسن التحقيق بهذا الامر ورويت له مدائح جليلة
عن الامامين الهمامين عليهما السلم وكان ممن فتق الكلام في الامامة وهذب المذهب بالنظر
وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب وروى الكشي بسنده عن داود بن القاسم الجعفري
قال قلت لابي جعفر ع ما تقول في هشام بن الحكم فقال رحمه الله ما كان اذبه عن هذه الناحية
ورويت روايات اخر في مدحه واورد في خلافه روايات اجيب عنها قال العلامة عندي
عظيم الشان رفيع المنزلة وفي الفهرست سئل يوما عن معوية اشهد بدرا قال نعم من ذلك
الجانب قال قال لي ابو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلم يا هشام ان الله تبارك وتعالى
بشر اهل العقل والفهم في كتابه الحديث الشرح هذا الحديث مشتمل على بيان حقيقة العقل
بالمعنى المذكور اعني المرتبة الرابعة من العقول الاربعة المذكورة في علم النفس ومحتو على معظم
صفاته وخواصه ومدائحه ومتضمن لمعارف جليلة قرآنية ومقاصد شريفة الهية لم يوجد
نظيرها في كثير من مجلدات كتب العرفاء ولم يعهد شبيهها في نتايج انظار العلماء ونظار ذوي
دقايق الافكار الا منقولا عن واحد من الائمة الاطهار مسندا من طريقهم او طريق العامة الى
الرسول المختار عليه وآله سلام الله الملك الغفار والحديث مشتمل على خطابات ذكر
في كل منها بابا عظيما من العلم بعضها من العلوم الالهية وبعضها من علم السماء والعالم وبعضها
في علم الفلكيات وبعضها في علم الاكوان والمواليد وبعضها في كاينات الجو وبعضها في علم
النفس وبعضها في تهذيب الاخلاق وتطهير النفوس عن الرذايل وبعضها في السياسات
المدنية وبعضها في المواعظ والنصايح وبعضها في علم الزهد وذم الدنيا وبعضها في علم المعاد
والرجوع الى الله وبعضها في مذمة الكفرة والجهلة وسوء عاقبتهم وانقلاب نشآتهم الى نشآت
البهائم وانهم صم بكم عمي لانهم لا يعقلون الى غير ذلك من العلوم والمعارف ففي هذا الحديث
فصول خطابية هي مشاهد العرفان وشواهد الايمان فلنشرح كل خطاب او عدة خطابات
متناسبة في فصل واحد على ترتيبه مترجما في عنوانه ما ذكرنه المشهد الاول
في بشارة اهل العقل من جهة بداية حالهم من كونهم مستعدين للتعليم قابلين لنور الهدى
من الله طالبين للرشاد ليكون تشويقا لهم الى طلب الهدى وتحسينا لهم على ما فعلوا قوله تع
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولو الالباب اعلم ان هذه الآية تدل على فوايد الاولى وجوب النظر
والاستدلال وذلك لان الهداية والفلاح مربوطان بما اذا سمع الانسان اشياء
كثيرة يختار منها ما هو الاحسن والاصوب وان يميز القشر عن اللباب والاحسن الاصوب
عما يخالفه في كل باب وذلك لا يحصل بمجرد السماع وانما يتأتى بحجة العقل وذلك يدل على

ان الموجب للاستحقاق متابعة حجة العقل وبناؤها على النظر والاستدلال الثانية ان الطريق
لا تصحيح المذاهب والاقوال حسنان احدهما اقامة الحجة والبينة على صحتها على سبيل التفصيل وذلك
لا يمكن الا بالخوض في واحد واحد منها وثانيهما ان نعرض قبل الخوض والبحث عن الدلايل وتزييف
الشبهات تلك المذاهب على العقول والاذهان فكل ما حكم به العقل السليم بانه افضل و
احسن كان اولى بالقبول والاتباع مثاله صريح العقل يشهد بان القول بان اله العالم حي
عالم قادر حكيم في افعاله بري من النقايص رحيم بالعباد اولى من انكاره وكذا القول بان
الله لا يجري في ملكه وسلطانه الا ما كان على وفق علمه ومشيته اولى من القول بخلافه وان القول
بانه واحد فرد لا تركيب فيه ولا شريك له ولا شبه ولا ندا اولى من القول بانه مبعض ذو
زوج شارك واجب القتل بانه مستغن عن الزمان والمكان اولى من القول باحتياجه
اليهما والقول بانه قد يعفو عن الكباير والسيئات اولى بانه لا يعفو عنها البته وامثال
هذه الابواب كثيرة جدا وكلها داخلة تحت قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
الفايدة الثالثة ان في الآية دقيقة عجيبة وهي ان حصول الهداية في العقل والروح امر
حادث فلا بد له من فاعل وقابل كما مر اما الفاعل فهو الله سبحانه ولذلك قال اولئك
الذين هداهم الله واما القابل فاليه الاشارة بقوله اولئك هم اولوا الالباب
فان الانسان ليس من حيث جسمه ولا جزء جسمه ولا من حيث قوة قايمة ببعض منه كالحواس
وغيرها التي توجد في البهايم قابل للمعرفة والهدى فلم يكن الانسان عاقلا كامل الفهم
امتنع حصول هذه المعارف في قلبه والبرهان على ان الفاعل لهذه الهداية هو الله
هو ان جوهر النفس مع ما فيها من نور العقل كما انه قابل للاعتقاد الحق قابل ايضا للاعتقاد
الباطل واذا كان الشيء قابلا للضدين كانت نسبته اليهما على السواء وحتى كان كذلك
امتنع ان يكون هو المقتضي او المرجح لاحدهما لا يقال يجوز ان يكون ذات النفس او
العقل مرجحا لاحدهما وان لم يكن مقتضيا بان يريد تحصيل احد الطرفين فيصير تلك الارادة
سببا لذلك الرجحان لانا نقول ذات النفس كما انها قابلة لهذه الارادة كذلك قابلة
لارادة مضادة لها فيمتنع ان يكون سببا على الذاك الارادة فثبت ان حصول الهداية
لا بد لها من فاعل وقابل فالفاعل يمتنع ان يكون جوهر النفس بل الفاعل هو الله سبحانه
واما القابل فهو جوهر النفس بكماله العقلي فلا اشارة اليهما قال اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولوا الالباب المشهد الثاني في انه تعالى اكمل نفوس حججه و
انبيائه بالعقول الكاملة المدركة لحقايق الاشياء الدالة على ربوبيته وتوحيده باعلام
الله لهم الآيات والدلايل ونصرته وتاييده اياهم بما قواهم باتمام ان الله
تبارك وتعالى اكمل للناس الحجج بالعقول ونصر النبيين بالبيان ودلهم على ربوبيته

بالادلة فقال والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم اي اكمل نفوس الانبياء عليهم السلم
بالعقول الفاضلة الكاملة ليكونوا حججا على عباده وهداة لهم الى النجاة من حيرة الضلالة وفضلهم
ببيان الحق واعلام الصدق ودلهم على ربوبيته وعلمهم طريق معرفته وتوحيده بادلة شاهدة
على ذاته وآيات كاشفة عن الكنه وتوحيده وتلك الادلة والآيات لا بد ان يكون من آثاره اما
وافعاله ولوازمه فان طريق المعرفة بالشيء احد امور ثلثة اما من جهة العلم باسبابه وعلله
او من جهة العلم بآثاره ولوازمه واما بمشاهدة صريح ذاته لان ما لا يكون نفس الشيء ولا علته
ولا معلوله فلا تعلق له بذلك الشيء فلا دخل له في كونه وسيلة الى معرفته واما العلم به
من جهة السبب والعلة فهو ممتنع اذ ليس لذاته سبب خارج اذ لا فاعل له ولا غاية ولا
داخل في وجوده كمادة او صورة لانه بسيط ولا في ماهيته كجنس او فصل اذ لا ماهية له لان
كل ذي ماهية معلول والله سبحانه صريح الوجود الحق بلا ماهية ومحض الشهود والحضور بلا
عموم وابهام واما العلم به بصريح شهوده ورؤية ذاته فذلك لا يمكن الا في النشاة الاخروية
ولذلك جعل ابنه ولم يتيسر لاحد من الانبيا عليهم السلم في دار الدنيا وانما وقع لنبينا ص
ليلة المعراج مكالمة الحق وشهوده بلا حجاب فبقي الشق الثالث كما قال تعالى حكاية عن خليله
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات ليكون من الموقنين واعلم ان المذكور هنا آيتان
احديهما في ذكر الحق وتوحيده والثانية في ذكر الآيات الدالة عليه فقوله تعالى والهكم اله واحد
لا اله الا هو عنوان مطلوب قدم ذكره على وجه تصوير الدعوى ليستدل عليه بوجوه
من الدلايل والبينات وقوله ان في خلق السموات آه بيان للادلة والآيات فلنتكلم
نحن ايضا اولا في تصوير هذه الدعوى وشرح مفهوم هذا التوحيد المذكور في الآية الاولى
وتفسير الفاظها ثم نأخذ في تفسير الآية الثانية التي هي في بيان الادلة فان مطلب ما
الشارحة للشيء التي هي السؤال عن شرح اسمه ومفهومه متقدم على مطلب هل البسيطة
التي للسؤال عن اثبات وجوده او سلبه اذ ما لا يعلم شرح اسمه ومفهومه لا يمكن البحث
عن اثبات وجوده او سلبه فنقول في الآية الاولى مبحثان الاول في قوله تعالى والهكم
اله واحد وفيه مقاصد الاول فيما يتعلق بلفظ الاله من انه اسم او صفة جامد او مشتق
علم او غيره عربي او سرياني وهو مشهور في الكتب مسطور الثاني فيما يتعلق بلفظ
الواحد من وجوه لفظية ومعنوية احدها ان الواحد اسم جرى في كلامهم على وجهين احدهما
ان يكون اسما والآخر ان يكون وصفا فالاول هو كالواحد المستعمل في باب العدد
فيقال واحد اثنان ثلثة من غير ان يوصف به شيء اي ما كان حتى من العدد ولذلك اذا
قلت عشرة واحدة او عشر واحدة فقد جعلت الواحد صفة لا اسما والثاني كما يقال
انسان واحد او فرس واحد وثانيها انه اذا اجري هذا الاسم على الحق تعالى جاز عند العقل

بيان موقف الانبيا ابا حبيبه
او بازائه الانبيا هيئة ذاته

الاول
في الآية ... في الاول ...
المقصد الاول من ابحاث ...
وغير مقاصد الاول
من المقاصد الثلاثة

المقصد الثاني

ان يكون وصفا كالعالم والقادر وهذا بحث جليل النظر وجاز ان يكون اسما وهذا هو اللائق بالنظر
الدقيق واعلم انه ليس كلامنا اذا قلنا ان الواحد عين ذاته في نفس هذا المدلول الكلي المفهوم
من لفظ الواحد فانه مما يدرك كل احد وذاته تعالى مجهول الكنه بل المراد منه مطابق هذا المفهوم ومصداقه
وذلك عين الذات فيه تعالى زائد عليها في غيره وهكذا قياس سائر صفاته واسمائه سبحانه فتدبر
ايضا هاهنا وثانيها ان الواحد هو الشيء الذي لا ينقسم من الجهة التي هو بها لا ينقسم وكل ما هو موجود
لا يخلو عن وحدة قال بل ان الواحد يستحيل ان ينقسم اما انه بين ولكن ينقسم من وجوه اخرى
كما لا يخفى وعندنا وحدة كل شيء وجوده الخاص الذي به يوجد وكما قيل في غيره ذا ابطلناه ورابعها
ان الله واحد من كل الوجوه مع كونه موصوفا باسماء وصفات لا تعد ولا تحصى وجهات عديدة
ترجع الى اعتبار من البساطة والفردانية قال وذلك ان ذاته غير مؤلفة من اجزاء المقدار كالجسم
ولا في العقل ولا من المهية والوجود كما مر والثانية انه ليس في الوجود ما يشاركه في
وجوب الوجود ولا في المبدائية والالهية فالحق سبحانه واحد في ذاته اذ لا قسمة له
وواحد في صفاته اذ لا تزيد صفاته على ذاته وواحد في افعاله اذ لا شريك له في فعله اذ
جميع الموجودات منتسبة اليه اما بلا وسط او بوسط هو فعله ايضا فكلها في الكون اما فعله
او فعل فعله او فعل فعل فعله وهكذا الى آخر الكون على ترتيب الاشرف فالاشرف والاقرب
فالاقرب الى الاخس فالاخس والابعد فالابعد فلو لم يكن وجوده على هذا النظام لما كان
لائقا بالحكيم ذي الجلال والاكرام ولبطل عدل الله في خلق السموات والارض وانهدم النظام
وبطلت الغايات والرجوع الى الماوى واشتغال النشأة من الاولى الى الاخرى وجاز
العبث والجزاف تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا والعامة والاشاعرة ومن يحذو
حذوهم مع جهلهم بكيفية الصنع والايجاد حاولوا ان يثبتوا توحيده في الافعال وابوا
مع قصورهم وجهلهم بهذا العلم الشريف والمقام الرفيع فالتجأوا الى نسبة القبائح
والشرور اليه تعالى ونسبة الامور الخسيسة الدنية كافعال القوى النباتية وغيرها كالاكل
والهضم ودفع الفضول وما يجري مجراها ابتداء بلا واسطة الى ما هو مبدع الخلق والامر
وخالق القوى والقدر وهذا في الحقيقة يكثر لفظ عليه والا فيه لا توحيد لها اذ الترتيب
يجمع الكثرة في وحدة بحيث لا ترتيب في الايجاد لا توحيد الا ترى ان الوحدة مبدأ
للاعداد والكثرات كلها بلا مشاركة غيرها وذلك من جهة ان حصول تلك الكثرات
عنها على ترتيب الواحد والاثنين والثلثة وما بعدها بل على ترتيب واحد واحد
الى غير نهاية ولو لم يكن هذا الاتساق والانتظام لم يكن حصول الكثرة عن الوحدة لعدم
المناسبة لاجل فقد الواسطة بينهما فلا وجه لكون الواحد مبدأ للخمسة ولا لكون الثلثة
مبدأ للعشرة الا بواسطة حدوث عدة وحدات بينهما مناسبة للطرفين بها يرتبط

ذي المبدأ بمبدائيته واعلم ان هؤلاء واتباعهم كما لم يعرفوا توحيد افعاله تعالى مع اعترافهم
بانهم عرفوه فكذلك لم يعرفوا توحيد صفاته ولا توحيد ذاته اما الذات فقد زعموا ان وجوده
ووحدته زائدتان على ذاته وكل ما وجوده زائد عليه فهو قابل له وزعموا ان ذاته علة
وجوده فذاته قابل وفاعل وهما جهتان مختلفتان لا بد في حصولهما من كثرة وكذا زعموا
ان له ارادة زائدة ممكنة التعلق بالطرفين فمقدورها امكاني وقوعيا وهو ينافي الوجوب
الذاتي فلزم التركيب بل التناقض في ذاته تعالى عما يقولون واما الصفات فقد ذكر شيخهم
بعد ابي الحسن الاشعري وهو القاضي ابو اسحق انه تعالى واحد في صفاته يخالفه لا شبه له
في صفاته بوجوه الاول ان صفات غيره ليست ناشية من ذاته بل من غيره واما صفاته
فهي من نفسه لا من غيره الثاني صفات غيره مختصة بزمان دون زمان لانها حادثة
وصفات الحق تعالى ليست كذلك الثالث ان صفات الحق غير متناهية بحسب التعلقات
فعلمه متعلق بجميع المعلومات وقدرته متعلقة بجميع المقدورات وصفات غيره ليست
كذلك الرابع ان صفاته غير معلومة الكنه كذاته بخلاف صفات غيره فهذا عرفانهم في
توحيد الصفات المفصل الثالث في كيفية الاتحاد في بعضية الوحدة والاشارة
الى تحقيق عينية الصفات للذات الاحدية واستدل المسمى بالامام الرازي على نفي
عينية الصفات بوجوه احدها ان صفاته تعالى معلومة لنا وذاته غير معقول لنا والمعلوم
مغاير لما ليس بمعلوم فصفاته تزيد على ذاته وثانيها ان هذه الصفات لو كانت نفس
الذات لكان قولنا في الذات انها عالمة قادرة جاريا مجرى قولنا الذات ذات فاستحال
ان يكون ذلك في محل البحث وان تمام البرهان على نفيه واثباته فان من قال الذات
ذات علم بالضرورة صدقه ومن قال الذات ليست بذات علم بالضرورة كذبه ولما
كان قولنا الذات عالمة اوليست بعالمة ليس بمثابة قولنا الذات ذات او الذات
ليست بذات علمنا ان هذه الصفات امور زائدة على الذات وثالثها انه لو كان
المرجع بهذه الصفات الى شيء واحد لانها يرجع الى ذاته وذاته شيء واحد فكان الاستدلال
على كونه قادرا يغني عن اقامة الدليل على كونه عالما وعلى كونه حيا فلما لم يكن كذلك بل افتقر
في كل صفة الى دليل خاص علمنا انه ليس المرجع بها الى الذات فثبت ان الصفات
امور زائدة على ذاته تعالى واستدل ايضا على كون صفاته تعالى كالعلم والقدرة والارادة
زائدة بانها ليست سلبية بل ثبوتية فهي امور حقيقية زائدة على ذاته قائمة به ثم قال
فالاله عبارة عن مجموع الذات والصفات ثم استشكل على نفسه بان حقيقة الاله
مركبة من امور كثيرة فكيف القول فيه قال واشكال آخر وهو انا قد دللنا على ان الواحد
صفة زائدة على الذات قائمة بالذات واذا كان حقيقة الحق واحدة فهناك امور ثلثة

تلك الحقيقة وتلك الواحدية وموصوفية تلك الحقيقة بتلك الواحدية وذلك ثالث ثلثة فاين التوحيد
واشكال ثالث وهو ان تلك الحقيقة موجودة واجبة الوجود فهو بوجوده يشارك الموجودات
وبهيته يمتاز عن ساير الموجودات فهناك كثرة حاصلة بسبب الوجود والهية والاتصاف
الهية بالوجود وكذا القول في الوجوب بمثل ما ذكر ولانه كثيرة انتساب الموضوع الى
المحمول والانتساب بين شيئين يغاير لكل منهما فان يكون صفة ذلك الانتساب مغايرا
لهما اوسط وايضا فالذات قايمة بنفسها ويستحيل ان يكون صفة الوجوب امرا يا بنفسه
ولانا نصف الذات بالوجوب ووصف الشيء بشيء فرع ثبوته ان وجوب الوجود صفة
زايدة على ذاته فهناك ذات ووجوب ووجود مع موصوفية الذات به فقد عاد
التثليث واشكال رابع وهو ان هذه الحقيقة البسيطة بل يمكن الاخبار عنها ام لا والثاني
مع ان كل شيء مخبر عنه ولو بالشيئية ونحوها وايضا لا مخرج عن النفي والاثبات فعلى
الاول فهناك امران مخبر به ومخبر عنه لا امر واحد فهذه جملة من الاشكالات في هذا
المقام ثم اراد التفصي عنها فقال والجواب انه تعالى ذات موصوفة بهذه الصفات
ولا شك ان المجموع متفرع تحققه على تحقق اجزائه الا ان الذات قايمة بنفسها واجبة
بنفسها ثم انه بعد وجوبها بعدية بالرتبة مستلزمة لتلك النعوت والصفات فهذا
مما لا امتناع فيه عند العقل واما الاشكال الثاني وهو ان الوحدة صفة زايدة يلزم
منها التثليث فالجواب ان الذي ذكرته حق لكن فرق بين النظر من حيث انه هو وبين
النظر من حيث انه محكوم عليه بانه واحد فاذا نظرت اليه من حيث انه هو مع ترك الالتفات
الى انه واحد فهناك يتحقق الوحدة وهنالك حالة عجيبة فان العقل ما دام ملتفتا
الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد وصل الى الوحدة فاعتبر
بذهنك اللطيف هذه الحالة لعلك تصل الى سره فهذا هو الجواب عن اشكال الوجود
واشكال الوجوب واما الاشكال الرابع فالجواب انك اذا نظرت اليه من حيث
انه هو من غير ان تخبر عنه بنفي او اثبات فهناك حق الوصول الى مبادي عالم التوحيد
اقول تحقيق عينية الصفات يتوقف على مقدمة وهي ان اكثر الناس سيما الاكياس
وجمهور العلماء لم يعرفوا الوجود وافراده ولم يفرقوا بين الماهيات والمفهومات الكلية
والجزئية وبين الموجودات والهويات البسيطة الشخصية وانت ان عرفت ذلك
فاعلم انه قد يكون وجود واحد بسيط بذاته مصداقا لمعان كثيرة ونعوت من دون
قيام صفة او اعتبار شيء زايد عليه مطابقا لحمل مفهومات عديدة لا يوجب تكثرا في
الحقيقة والمفهوم تكثرا او اثنينية في الذات ولا في الحيثية والاعتبار ولهذا امثلة كثيرة
مثلا الجوهر المفارق العقلي يصدق على نفس وجوده من غير قيام شيء به او اعتبار امر

معه

معه مفهوم الموجود ومفهوم الحقيقة ومفهوم الجوهر ومفهوم العقل ومفهوم المعقول ومفهوم
العاقل ومفهوم المدرك والعالم والفاعل والحي والمجعول لكن بعضها بالبرهان وبعضها
بالحدس وبعضها بالبديهة ولا شك ان هذه مفهومات متغايرة وصفات لها الفاظ مختلفة
ليست مترادفة ومع ذلك كلها موجودة بوجود واحد بسيط فاذا كان وجود العقل
المفارق هذا شانه مع كونه زايدا على ماهيته وفيه شوب تركيب عقلي من امكان
ووجوب وماهية ووجود فما ظنك فيما هو اشد بساطة واتم كمالا واشد حيطة وجمعا
فاذا علمت هذا فنقول ان معنى كون صفاته تعالى عين ذاته هو ان مفهوماتها المتغايرة يجب
الحق موجود بوجود واحد بسيط حقي فذاته بذاته وجود صرف وهو بعينه وجوب ووحدة
وعلم وقدرة وارادة وحيوة وباعتبار آخر موجود وواجب وواحد وعالم وقادر ومريد
وحي وغير ذلك فذاته بذاته من حيث انه لا كثرة فيه واحد ومن حيث ان منشا وحدانيته
ليس صفة زايدة فهو وحدة وهكذا في ساير الصفات وليس من شرط صدق المشتق
على شيء كالعالم مثلا ان يكون بازائه في الخارج امور ثلثة موصوف وصفة والصاق
ولا معروض وعارض وعروض فلو فرض بياض مجرد قايم بذاته لكان ابيض كما كان
بياضا فالصورة العقلية اذا كانت قايمة بذاتها كانت عاقلة من حيث حضور صورة
عنده ومعقولة من حيث انها صورة حاضرة عند شيء وان كان ذلك الشيء نفسها
وعقلا ايضا من حيث انها نفس ما يعقل به وهذه الحيثيات الثلثة وان تغايرت
في مدلولات الالفاظ ومعانيها الا انها لا توجب كثرة في الوجود ولا اختلافا في
جهات الوجود وحيثياته لا عينا ولا ذهنا وقول القايل صفاته تعالى معلومة لنا وذاته
مجهولة فكيف يكونان واحدة قلنا ما نعلم من كل صفة هو مفهومه الكلي مطلقا وفي ضمن كيفية
نفسانية هي نحو وجوده فينا ولكن كلامنا في ان هذه الصفة كالعلم مثلا هل لها نحو آخر
من الوجود في غاية الجلالة هو مصداق لمفهومها ام لا فاذا ثبت لنا بالبرهان ذلك
الفرد بخصوصه حكمنا انه في تاكد الوجود بحيث لا يمكن الاكتناه به فهو بخصوصه غير معلوم كما
انا نعلم مفهوم النور بديهة الا انه من المفهومات المشككة ونعلم بالبرهان ان بعض انحاء
وجوده وافراده ذاته في شدة النورية بحيث لا يمكن للحس ولا للعقل ادراكه بخصوصه
اذا تقرر هذا فقوله هذه الصفات لو كانت كلها واحدة وهي عين الذات لكنا اذا
ادركنا واحدة منها لادركنا الجميع ولكان اثبات واحدة منها مغنيا عن اثبات غيرها
فالحاجة الى تكلف الاستدلال في اثبات واحدة واحدة منها ولكان ايضا قولنا
الذات عالمة بمنزلة قولنا الذات ذات مدفوع بان نقول منشا هذه الشبهات ونظايرها
الخلط بين المفهوم والفرد فالعينية بين الافراد لا ينافي التغاير بين المفهومات والمغالطة

انما نشأت من سوء اعتبار الحمل ايضا فان المفهومات المتغايرة لا يحمل بعضها على بعض بالحمل الاولي
الذاتي وقد يحمل كل منها على افراد الباقية بالحمل المتعارف فنفس مفهوم الموجود لا يحمل عليه
مفهوم الواحد ولا بالعكس بان يقال مفهوم الموجود مفهوم الواحد ولكن يقال كل موجود واحد
وكذا العكس فهكذا قياس صفات الله الكمالية ولو امكن لاحد ملاحظة وجوده تع بالشهود
الحضوري لعلم انه بنفس ذاته موجود وواحد عالم قادر مريد حي سميع بصير من غير تكلف الاشتمال
واما الاجوبة التي ذكرها ذلك النحرير المسمى بالامام عن لزوم التثليثات مع قوله صريحا
بزيادة الصفات كلها واصراره عليه ففي غاية الركاكة ومع ذلك مشتمل على التناقض
حيث جعل الذات الخالية عن الوحدة واحدة والذات المعراة عن الوجود والوجوب
موجودة واجبة وهكذا في ساير الصفات وابرد من كل بارد تكلمه بكلام العارفين ولو
تأمل قليلا لعلم ان الذي اجرى الله على لسانه لجارية كل مفهوم بالنسبة الى وجوده الذاتي
ومصداقه العيني فان من نظر الى مفهوم الانسانية فهو من حيث هذا النظر غير واصل الى
حقيقة الانسانية ومن نظر الى عين وجوده وان قطع النظر عن ذلك المفهوم فهو واصل الى
الانسانية وذلك لان الانسان في الحقيقة هو احد الوجودات الشخصية الذي هو بذاته
انسان واما مفهوم الحيوان الناطق او مفهوم الانسان فهو ليس بانسان بالحمل المتعارف
وكذا مفهوم البحر ليس ببحر ومفهوم السلطان ليس بسلطان ومفهوم اللذة ليس بلذة
وعلى هذا القياس ولكن كل وجود وموجود متحد في حد ذاته بطائفة من المعاني يصدق جميعها
عليه فيقال انها عين ذاته ومن هذا القبيل صفاته تع عين ذاته اي عين وجوده لا انها
عين ماهية كلية له كما توهموا اذ لا ماهية له تع ولا اتحاد بين الكليات والمفهومات كما مر

المبحث الثاني في قوله لا اله الا هو وفيه مقاصد **الاول** انه لما ذكر قوله والهكم
اله واحد وكان ورود لفظ الواحد بعد لفظ الاله مشعرا بان تلك الوحدة معتبرة في
الالهية لا في غيره وان الاله لا يكون الا واحدا امكن ان يتوهم احد ويقول الهنا
واحد فلعل الاله غيرنا غير الهنا فلا جرم ازال هذا الوهم ببيان التوحيد المطلق وقال
لا اله الا هو فان النكرة في سياق النفي يفيد عموم النفي لان قولنا لا رجل يقتضي نفي
هذه الماهية ونفي الماهية يستلزم نفي جميع الافراد اذ يكفي في تحققها تحقق واحد منها فثبت
ان لا رجل يقتضي نفي هذه الماهية ونفي الماهية يستلزم نفي جميع الافراد اذ يكفي في تحققها
تحقق واحد منها فثبت ان لا رجل يقتضي النفي العام فاذا قيل بعده الا زيدا افاد
التوحيد التام المحقق **المقصد الثاني** في تحقيق كلمة هو اعلم ان الاسماء على قسمين
مظهرات ومضمرات اما المظهرات فهي الفاظ دالة على ماهيات كلية او جزئية كالانسان
والفرس وزيد وعمرو واما المضمرات فهي الفاظ دالة على الوجودات اعني الهويات

البحث في الاية فيه ثلاث مقاصد

الشخصية

الشخصية ولذلك هي معارف بنفسها لا تحتاج الى التعريف والتخصيص كالوجود متعين ومتشخص
بذاته وهي منحصرة في المتكلم والمخاطب والغايب كانا وانت وهو واعرفها انا ثم
انت ثم هو والدليل على هذا الترتيب ان تصوري لنفسي من حيث انا انا لا يشتبه بغيري
بخلاف انت فانك قد تشتبه بغيرك عندي وهو ادخل بالاشتباه من انت فاعرف
الضماير انا وبعده انت وبعدهما هو وههنا دقيقة شريفة وهو انا اذا قلت
انا مشيرا الى ذاتي وجدت جميع المفهومات غايبا عن ذاتي حتى اجزاء ماهيتي الانسانية
لان جميعها مما اشرت اليه بهو حتى مفهوم الناطق فانه ايضا وان تخصص بالف تخصيص اشرت
اليه بهو ولا شك ان انا غير هو فاذن يكون ذاتي عين الوجود البسيط الذي لا حد له
ولا جزء له اذ لم اجد في علمي بذاتي بهذا العلم الشهودي الا انيتي الوجودية البحتة الادركية
واجد البدن وساير الاعضاء كالقلب والدماغ خارجا عن ذاتي لاني اذا اشرت الى كل
منها بهو واذا كان ذاتي على هذه البساطة وهذا التجرد فالعقول اولا فما فوقها اشد
جلالة واعظم تقدسا بما لا يتناهى فان قلت اذا امكنت الاشارة الى المفهومات
الكلية بهو فكيف حكمت بان الضماير كلها للوجودات لا للماهيات والمفهومات قلنا
الاشارة اليها بهو لا يستلزم ان يكون موضوعا بازائها ولكن الوجدان الاشارة اليها
ليست من حيث طبيعتها الكلية بل من حيث حصولها الذهني وتعينها النحوي الذي هو نحو
من الوجود فاذا عرفت ما قررناه فظهر ان عرفان كل شيء بذاته اتم من عرفانه بغيره
سواء كان حاضرا او غايبا فالعرفان التام بالله ليس الا لله لانه هو الذي يشير
الى ذاته تع بانا فلا يمكن لاحد ممن سواه ان يشير الى ذاته بالضمير الذي هو اعرف
الضماير وهو انا الا له تع علمنا ان العرفان التام به سبحانه ليس الا له فبقي الطريقان
الاخران وهما انت وهو اما انت فلمن هو في مقام المكاشفات والمشاهدات
الذين فنوا عن جميع الحظوظ البشرية على ما اخبر الله عن يونس ع بعد ان فني في ظلمات
عالم الحدوث عن آثار الحدوث والامكان والانانية ووصل الى المقام الشهود فقال
فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت وهذا ينبهك على انه لا سبيل الى الوصول
الى مقام المشاهدة والمكالمة الا بالغيبة عن كل ما سواه وقال نبينا محمد صلعم لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك واما هو فلغاية بين **المقصد الثالث**
ان اشرف الاسماء في حقه تع اسم هو بوجوه احدها ان الاسم اما كلي اي دال على مفهوم
كلي او جزئي اي علم اما الاسماء التي لها مفهومات كلية كالاسماء المشتقة مثل الرحمن الرحيم
العليم الحكيم فلا يدل على خصوص ذاته تع ولا يتناول حقيقته الاحدية اذ لا ماهية له
واما الاعلام الشخصية فهي قائمة مقام الاشارة فلا فرق بين قولك يا زيد وقولك

باهو ويا انت واذا كان العلم قايما مقام الاشارة فالاشارة اصل والعلم فرع والاصل
اشرف من فرعه فقولنا يا انت ويا هو اشرف الاسما الا ان الفرق ان انت للحاضر وهو
للغايب ثم انك قد علمت انه انما يصح التعبير عن شيء بهو اذا كانت صورته حاضرة عند العقل
فادعا ان المشار اليه هو الامر الوجودي الحاضر عند العقل فاذن ثبت ان هو البغ
بكاتب يتناول الا للحاضر وثانيها انه قد مر ان حقيقته تعالى منزهة عن جميع انحا التركب والفرد
المطلق لا يمكن الاخبار عنه بشيء لان الاخبار يقتضي مخبرا عنه ومخبرا به وهو مفهوم كلي ونحو
وذلك ينافي الاحدية الخالصة فثبت ان جميع الاسما المشتقة قاصرة عن الوصول الى كنه
حقيقة الحق فاسم هو اشرف منها لانه يصل الى كنه حقيقته المبراة عن جهات الكثرة وثالثها
انك قد علمت فيما مر ان لكل من اسما الله وصفاته حقيقة الهية غير معلومة الكنه لنا وانما نعلمها
من جهة آثارها الظاهرة في عالم الحدوث وهي مختلفة فان اثر العلم ههنا شيء واثر القدرة
شيء آخر واثر الارادة آخر وهكذا في ساير الصفات لان هذا العالم عالم التفرقة وعالم
القدس مقام الجمعية فاذا هذه الصفات لا يمكن تعلقها الا باثارها المختلفة فلا تفيد
كمال الاستغراق في مقام معرفة الحق بل كانها لاختلاف مفهوماتها تصير حجابا بين العبد
وبين الاستغراق في معرفة الرب بخلاف لفظ هو فانها تدل على هوية ذاته تعالى من حيث
كونه هو هو لا من حيث الصفات اللازمة الاضافة الى عالم الحدوث فكانت كلمة هو
اشرف الاذكار ورابعها انك اذا قلت هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام
فلفظ هو بمنزلة الذات وغيره من الاسما بمنزلة الصفات والذات اشرف من الصفات
فلفظ هو اشرف من جميع الاسما وهذه الوجوه مما ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير
واعلم ان هذه الاقوال والوجوه انما يليق للمتوسطين في معرفة الله وصفاته واما الكاملون
في العرفان فحقيقة كل اسم عندهم هي حقيقة الذات الالهية فحقيقة عليم عندهم واجب
لذاته واحد حقيقي فاعل للممكنات مرجح لها مريد اياها حي سميع بصير متكلم مقدس حكيم
رحيم الى آخر الصفات فانهم يعلمون بالبرهان ان علمه تعالى هكذا فيدركون من نفس علمه
ما يدركه غيرهم من كل صفة وهكذا يعلمون حال وجوده ووحدته وقدرته وارادته وجوده
وقد اشرنا سابقا ان صفاته تعالى سيما الثبوتية لها حقيقة واحدة الهية غير مترتب على
كل منها ما يترتب على غيره ولهذا ذهب بعض العرفا ان كل اسم من الاسما هو الاسم
الاعظم فاذن هذا التفاضل والاختلاف بين الاسما والصفات انما يكون بحسب
اوايل مفهوماتها الكلية وبحسب مرتبة المريدين والمتوسطين في السلوك لا المتوغلين
في العرفان والله ولي التوفيق فهذا ما ذكرنا في الآية الاولى في تصوير مطلب التوحيد
وتقرير هذه الدعوى وفيها مباحث اخرى كثيرة آثرنا الاختصار على هذا القدر حذرا

من التطويل

من التطويل والاسهاب وملال الطلاب واما الآية الثانية المشتملة على ذكر الدلايل
والآيات فهي قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السما من ما فاحيى به الارض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض
لايات لقوم يعقلون اعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الآية تعليما للعباد ثمانية انواع من
الدلايل التي يمكن ان يستدل بها على وجوب وجوده ووحدانيته وبراءته عن النقايص
والاضداد والانداد ولنذكر في ثمانية فصول اولها في خلق السموات والاستدلال
بها من وجوه ونحن قبل الخوض في كل منها نذكر وجوها ذكرها بعض متكلمي الاسلاميين و
نقد وجه خللها وقصورها ثم نخوض فيما افادنا الله من لطفه وحباه وعلمه ان
من عادة جهلة القوم انهم اذا حاولوا ان يعرفوا صانع العالم وقدرته ابطلوا الحكم
والغايات وعطلوا الطبايع التي سخرها الله لبعض الافعال عن فعلها وكلما لم يعرفوا
وجه الحكمة فيها من الامور نسبوها الى الفاعل المختار والقدرة الجزافية التي ليس لها
داع ومرجح ولم يعلموا ان ذلك جهالة محضة وسوء ادب بالنسبة الى الباري جل اسمه
حيث ابطلوا الحكمة وعزلوا المسخرات بامره عن ما خصها الله به من الافعال فهذا الشيطان
شانه الاضلال والاغوا لمن تسلط عليه الشهوات والاهوا وقد نصبه الله لذلك
فهل يمكن عزله عن فعله او نسبة فعله الى غيره من ملايكة الرحمة فكذا الامر في طبايع النار
والماء والهواء والشجر والحيوان والانسان والجن والسما والشمس والقمر والنجوم
والملايكة العقلية المحركة لها والملايكة العملية المسوقة لها فطريقة معرفة الله تعالى هي
بالسلوك العقلي من ظواهر الموجودات وقشورها الى بطونها واسرارها ومن اداني
الكاينات الى اعاليها ومن ملكها الى ملكوتها ومن ملكوت كل شيء الى الذي بيده الملك
والملكوت واليه يرجع الامر كله اذا تقرر هذا فنقول ان الوجوه التي ذكرها الفخر الرازي
في الاستدلال على وجود الصانع ووحدانيته من جهة خلق السموات كثيرة احدها
ان مقادير الافلاك مختلفة مع ان جميعها مشتركة في الطبيعة الفلكية فاختصاص كل منها بمقدار
مخصوص مع انه لا يمتنع في العقل وقوعه على ازيد من ذلك او انقص فلا بد له من مخصص وليس ذلك
طبيعة او نفس او عقل وبالجملة سبب موجب لان الموجب نسبته الى الامور المتشابهة متساوية
فاذا ثبت وجود قادر مختار مدبر وثانيها بالنظر الى احيازها فان كل فلك يماس بمحدبه فلكا
آخر فوقه وبمقعره فلكا آخر تحته ثم ذلك الفلك متشابه الاجزا فنسبة كل من طرفيه كطبيعة
الطرف الآخر فكما صح مماسته بمحدبه صح مماسته بمقعره فصح على كل منها ملاقاة ما يلقاه الاخر فصيرورة
جزئه العالي سافلا وجزئه السافل عاليا فاختصاص كل جزء من الفلك بحيزه المخصوص يحتاج

الآية الثانية في دلايل التوحيد

في الآية ثمانية فصول الاول

ابطال الحكم

ادلة الرازية على وجود الصانع ووحدانيته وهي كثيرة

الا فاعل مخصص يخصصه بالقصد والاختيار وثانيها ان كل كوكب حصل في نقرة من فلكه اختص بها
جانب خاص من الفلك دون غيره من الجوانب وحصولها في كل جانب جائز لتشابه اجزاء
الفلك فلا بد فيه من مخصص يخصص حصول النقرة بذلك الجانب على الوجه المذكور ورابعها
ان كل كرة تدور على قطبين معينين فاذا كان الفلك متشابه الاجزاء كان جميع النقط
المفروضة عليها متساوية وجميع الدوائر عليها متساوية فاختصاص نقطتين معينتين
بالقطبية دون سائر النقط مع استوائها في الطبيعة يكون بامر يقتضي العقل بافتقاره
الى المخصص وهكذا القول في تعيين دائرة معينة من دوائرها بان يكون منطقة وخامسها ان
الاجرام الفلكية مع تشابهها في الطبيعة الفلكية كل واحد منها مختص بنوع معين من الحركة
في البطؤ والسرعة فانظر الى الفلك الاعظم مع هيئته اتساعه ثم انه يدور دورة تامة
في اليوم بليلته والفلك الثامن الذي هو اصغر منه تدور الدورة التام في ستة وعشرين
الف سنة على ما هو قول الجمهور ثم الفلك السابع الذي تحته يدور في ثلثين سنة فاختصاص
الاعظم بمزيد السرعة والاصغر بمزيد البطؤ مع انه على خلاف حكم العقل فانه كان ينبغي
ان يكون الاوسع ابطأ حركة لعظم مداره والاصغر اسرع حركة لصغر دوره يقتضي العقل
بان كل واحد منها انما اختص بما هو عليه بتقدير العزيز العليم وسادسها ان الفلك
الممثل اذا انفصل عنه الخارج المركز بقي متممان احدهما حاوي الخارج المركز والآخر محويه و
هما متشابهان بالطبيعة ثم احد جانبيهما بغاية الثخن والآخر بغاية الرقة واذا كان كذلك
وجب ان يكون نسبة الثخن والرقة الى الطبيعة متساوية فاختصاص احد جانبيه بالرقة
والآخر بالثخن لا بد وان يكون بتخصيص المخصص المختار وسابعها انها مختلفة في جهات
الحركات فبعضها من المشرق الى المغرب وبعضها من المغرب الى المشرق وبعضها شمالية
وبعضها جنوبية مع ان جميع الجهات بالنسبة اليها على السوية فلا بد من الافتقار الى المدبر
وثامنها انها من الآن متحركة فاما ان يقال انها ازلا متحركة او ما كانت متحركة ثم ابتدأت
بالحركة والاول وهو انها كانت ازلا متحركة محال لان ماهية الحركة يقتضي المسبوقية بالغير لان
الحركة ممتنعة البقاء والابتداء بالحركة بعد عدمها يقتضي الافتقار الى مدبر قديم فهو سبحانه
يحركها بعد ان كانت معدومة او ساكنة قال وهذا المأخذ احسن المآخذ واقواها وتاسعها
ان يقال حركاتها اما ان يكون من لوازم جسميتها وهو محال لانها منفكة عن كل واحد من اجزاء
تلك الحركة فان كل واحد من اجزاء الحركة ليس من لوازمها فافتقرت الافلاك وانتقالات
حركاتها الى مدبر الا ترى انها منتظمة محكمة او هي واقعة بالعبث اما الثاني فبعيد عن العقل
فان من جوز ان يقع قصر مشيد ان التراب والماء انضم احدهما الى الآخر ثم تركبت
منها اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات ويولد من تركيبها قصر مشيد على انه يقضي عليه

بالجنون

بالجنون ونحن نعلم ان تركيب هذه الافلاك وما فيها من الكواكب وما لها من الحركات ليس
اقل من ذلك البناء حيث انه لا بد من رعاية حكمة وعاشرها انها لا تخلو اما ان يكون اجساما ناطقة
فهي تتحرك بانفسها او يقال انها يحركها مدبر قاهر والاول باطل لان حركتها اما ان تكون لطلب
استكمال او لا لهذا الغرض بان كانت لطلب الكمال فهي ناقصة في ذاتها طالبة لكمالها
فتحتاج الى المكمل فهي مفتقرة وان لم يكن لغرض فهي عابثة في افعالها فيعود الامر الى انه لا يبعد
في العقول ان يكون مدار هذه الاجرام المستحكمة والحركات الدائمة على العبث والسفه
فلم يبق في العقول قسم هو اليق بالذهاب الا ان مدبرا قاهرا على الدهر يحركها لاسرار
خفية وحكمة لطيفة وليس عندنا الا الايمان بها على الاجمال كما قال ويتفكرون في خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا فهذه هي الوجوه التي ذكرها وكلها ضعيفة سخيفة
واكثرها مبتنية على ان الفاعل المختار يفعل فعلا بلا مرجح وذلك باطل كما مر واكثر ما ذكره
مغاليط لها اجوبة مذكورة في الكتب العقلية وفي كثير منها مقدمات مقدوحة او خطابية
لا تعويل عليها مثل ما ذكره في الوجه الاول ان مقاديرها مختلفة والجميع مشتركة في الطبيعة
الفلكية والحق كما دل عليه البرهان ان طبائعها متخالفة الانواع وان كل فلك وكل
كوكب نوع منحصر في شخصه وكذا ما ذكره في الوجه الثاني مقدوح بانه ليس للفلك جزء
بالفعل لبساطته الا باحد اسباب القسمة من الوهم او القطع او الكسر والذي يصح فيه
هو الانقسام الوهمي فاذا قسمه الوهم وفرض فيه جزء مماس لمحدبه وآخر مماس لمقعره
فهذا من ضرورات القسمة بهذا الوجه وهذا جار في كل مقدار متصل وجود جزءه بحدود
كله ولا خصوصية له بالفلك وكذا ما ذكره في الوجه الخامس ان الافلاك مشتركة في الطبيعة
الفلكية وكل منها مختص بنوع من الحركة مدفوع بانها متخالفة الانواع والطبائع فجاز ان يكون
طبيعة بعضها تقتضي نوعا من الحركة وقدرا من السرعة لا تقتضيه طبيعة الآخر ولولا مخافة التطويل
لاوردنا في كل واحد من الدلائل التي ذكرها ما يكشف عن وجه بطلانه وفساده بقي الكلام في
وجه اختصاص موضع من الفلك بالمنطقة او بالقطبية او بالكوكب وهذا اشكال [illegible]
لا يندفع بما ذكره اذ نسبة الفاعل المختار الى الجميع نسبة واحدة وهو اجل وارفع من ان
يكون له شبهة او عناية بجزء من الفلك دون غيره ونحن بفضل الله وعنايته قد كشفنا
عن هذه الشبهة في رسالة مفردة ذكره يؤدي الى التطويل فلنرجع الى الوجوه التي وعدنا
ذكرها وهي اربعة براهين البرهان الاول من جهة امكانها وهو ان اجسامها
ممكنة الوجود فهي مفتقرة الى سبب علة وذلك لتركبها من مادة وصورة ولقبول الجسمية
الانقسام والتكثر وليست علتها مادتها لان القابل يمتنع ان يكون فاعلا وصورتها
لانها محتاجة في وجودها اليها حاجة الحال الى المحل وهو ظ ولا ايضا نفوسها لان النفس الفعل

وهو قول [illegible] من وجوه

شيئاً الا بشركة البدن وايضاً ان الجسم لا يفيد جسماً آخر اذ لو افاد فاما ان افاد من حيث جسميته
وهي طبيعة مشتركة بين الاجسام كلها فيكون كل جسم علة لكل جسم ويكون الجسم علة لنفسه
وهو ممتنع وان افاد بواسطة خصوصية صورة او قوة جسمانية او نفس وكل قوة جسمانية لا تفعل
شيئاً الا بمشاركة وضع لمادته بالقياس الى ذلك الشيء ولا وضع للشيء بالقياس الى الجسم
ما لم يوجد بعد وايضاً الايجاد فرع على الوجود والمستغني عن الشيء في فاعليته مستغن عنه
في وجوده فلو استغنى النفس او القوة في فعلها عن الجسمية والاوضاع لكانت مجردة عنها في
ذاتها غير مفتقرة اليها بوجه وهو ممتنع ثم الاجسام الفلكية بعضها حاو وبعضها محوي والحاوي
لا يصح كونه علة للمحوي والا لكان مع وجوبه امكان المحوي لان وجوبه على هذا الفرض
بعد وجود الحاوي لانه مرتبته والامكان كونه مع امكان لا كونه فيلزم امكان الخلاء
والخلاء ممتنع لذاته كما ثبت والمحوي ايضاً لا يمكن علة للحاوي لانه اصغر منه ولانه يحتاج
اليه في تحديد جهته ولا يصح وجود الجسم الا بعد تعيين وضعه وحيزه ولا يتعين ذلك بما هو
دونه ويحيط به وايضاً الاجسام الفلكية اشرف الاجسام لانها كائنة لا عن استعداد و
تركيب مزاج واستحالة والكواكب اشرف ما فيها وهي مع ذلك متكافئة ليس لبعض
الكواكب شرف مطلق على البواقي لان بعضها اعظم جرماً واصغر فلكاً وبعض آخر اصغر
جرماً واعظم فلكاً والشمس اعظم جرماً واكثر نورية من العلويات وعلى ذلك فانه يتوهم
فيها ان يكون علة لغيرها والعلويات بعضها يحتمل ان لا يكون اصغر جرماً منها لكن حمل مثله
ولكن كل منها اعظم فلكاً من الشمس حتى ان تدوير ما هو اسفل منها وهو مريخ اعظم
من ممثل الشمس فاذا كانت كذلك فليس بعضها سبباً لوجود البعض ثم ان الشمس التي
يتوهم فيها الربوبية يحتاج في تحريكها الى فلك حامل مركز فيه والى فلك حاو يحدد جهتها وايضاً
قد علمت بالبرهان ان جسميتها ليست علة لجسم وحال صورتها وطبيعتها ونفسها كما سبق
فاذن الافلاك كلها مفتقرة الى اسباب فعالة مفارقة عن عالم الاجسام ونفوسها الى
واجب الوجود واحد بسيط لا تركيب فيه وتلك الاسباب هي ملائكة الله المقربين والكل
مفتقر اليه سبحانه فهذه طريقة الخليل ع فانه لما نظر الى السموات ورأى ما فيها من الاجرام
النيرة التي هي اشرف منها والشمس التي هي اشرف النيرات واضوؤها وعلم تجددها
وافولها في هوى الافتقار والامكان والحاجة الى الموجد حكم بان للكل خالقاً بريئاً من
التغير والتجسم فقال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وذلك بالهام الله سبحانه
اياه كما قال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين وهو
اول من هدى الناس الى طريق توحيد الرب تعالى ومنعهم عن عبادة الهياكل العلوية و
الاصنام الارضية وفتح لهم بهذه الطريقة باب التوحيد البرهان الثاني

من جهة غاية حركاتها فنقول انا ندعي اولاً ان السماء حيوان ناطق يتحرك بالارادة وايماءً
وله جسم ونفس ولنفسه عقل وحكم جسمه بجميع اجزائه البسيطة والمؤلفة يجري مجرى حكم
بدن الانسان بجميع اعضائه المختلفة الصور والاشكال وان حكم نفسه بجميع قواها السارية
في جميع اجزاء جسمه المحركة والمدبرة لانواع الموجودات حكم نفس انسان واحد السارية
في جميع اجزاء بدنه ومفاصل جسده والمحركة والمدبرة بقواها لعضو عضو وحاسة حاسة
وذلك قول الله سبحانه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وانها متحركة عن نفس لا عن
طبيعة وان لها تصور الجزئيات ولها التعقل للكليات وانها ليس غرضها في الحركة
الاهتمام بالسفليات بالقصد الاول وان ترتب عليها نظام السفليات بالتبع بل قصدها
التشوق الى الله والتقرب اليه بواسطة جوهر مقدس نوري لا علاقة له بالاجسام
وعوارضها ليس يبلغه الا وابل عقلاً مجرداً وليس من الشرع لملائكة مقربين ثم نبين هذه
الدعاوي على التفصيل الدعوى الاولى انها تتحرك بالارادة اما انها تتحرك فشيء
وقد دل عليه البرهان الآتي وهو انها لو فرضت ساكنة كان لها وضع مخصوص حتى يكون
نصف منها فوق الارض ونصف منها تحتها ولو فرض الاول تحت الارض والآخر فوقها
كان ممكناً لتشابه الاجزاء وعدم تمايزها في الاقتضاء فاذن هي قابلة للحركة وكل قابل
للحركة لا بد ان يكون في طبعه ميل كما بين في موضعه وذلك بالدور حول الوسط لامتناع
المستقيمة في السماء اذ الجهة تتحدد بها فلو تحركت الى الاصوب ولا جهة وهي في جوف
في طبعه ميل مستدير حتى يمكن له الدوران واذا وجد المبدأ والقابل لزم الفعل والحركة
اذ لا مزاحم ولا قاسر لها ثم نستحيل ان يكون هذه الحركة بالطبع المحض الخالي عن الارادة
لان حركة ما يتحرك بالطبع المحض كالميت والجماد لا يكون فيها رجوع وانعطاف بل
على سمت واحد فالحركة الطبيعية هرب من موضع لطلب موضع آخر فاذا وصل اليه
الموضع الطبيعي استقر فيه ولا يعود وما من وضع للسماء تفارقه الا وتعود اليه وهي ابداً
دائرة على الدوام فلا يكون بالطبع بل بالارادة والاختيار وهي لا يكون الا بالتصور
وكل ما له تصور وارادة فانا نسميه نفساً فاذن حركة الافلاك نفسانية الدعوى الثانية
ان هذه الحركة ليست حيوانية محضة غير عقلية لان حركات الحيوانات اما شهوية او
غضبية والاولى لجذب الملائم للجسم وطلبه والثانية لدفع المنافي والهرب عنه
وجسم الفلك تام في كماله الجسمي في اول الفطرة لا حاجة له الى الاغتذاء والنمو ولا شيء
ولا ضد له حتى يغضب وايضاً كل من الجذب والدفع والطلب والهرب انما يمكن بالحركة
المستقيمة وهي غير جائزة عليه فحركاتها اذن لغرض عقلي الدعوى الثالثة انها ليست
تتحرك اهتماماً بالعالم السفلي بل غرضها امر اجل منه واشرف لان ما يراد لشيء او يفعل

لشيء فذلك الشيء اشرف منه وهو اخس من ذلك الشيء لا محالة فيؤدي الى ان يكون العلويات اخس من السفليات
وهي ناقصة متغيرة بالقوة دائما وجملة الارض بما فيها جزء يسير لا قدر له محسوسا بالنسبة الى فلك الشمس
وما فوقها فضلا عن الفلك الاقصى فكيف يكون هذه الامور الخسيسة غرضا لتلك النفوس العالية
واما العقول الكاملة الانسانية فهي من حيث صيرورتهم عقولا خارجة عن هذا العالم وانما الداخل
في هذا العالم ابدانهم العنصرية وقواها المتعلقة بها وحكمها في الخسة كحكم غيرها مع انها غايات
يجب اعتدال المزاج الدعوى الرابعة ان حركاتها شوقية عقلية للتقرب الى معبود خارج
عن عالم الاجسام كلها قد علمت ان حركاتها ليست حيوانية شهوية او غضبية بل عقلية وليست
مطلوبها من السفليات فاذن مطلوبها امر علوي اجل من نفوسها وذلك لان غرضها لو كان
نفوس بعضها لزم توافق الحركات وقد دلت المشاهدة والارصاد على انها متخالفة الحركات
قدرا وجهة شرقا وغربا شمالا وجنوبا وايضا لما كان عددها متناهية انتقل الكلام الى النفس
الفلك الذي هو آخرها الية التشوق والقصد على ان النفس ما دامت كونها ناقصة
بالقوة يحتاج الى كمال ومكمل غيرها فثبت ان المشتوق اليه والمقصود في حركات
الافلاك امر خارج عن عالم الارض والسموات فمقصودها اما نيل ذلك المشتوق اليه
او صفاته او نيل التشبه به على التدريج والاول والثاني باطلان لانها ان نالت بغيتها
فسكنت وان لم تنل اصلا فتعطلت فسكنت ايضا والحركة دائمة ما دامت ذاتها باقية
فاذن حركتها لنيل التشبه تدريجي الوجود كما بالفعل ليس فيه امر بالقوة والا لزم التسلسل
او الدور وهما محالان فذلك المعشوق المشتوق اليه اما الباري جل اسمه بلا واسطة
او جوهر قدسي وملك مقرب من عالم امره وكلمته والاول ليس بصحيح والا لما اختلفت
الحركات واتفقت الجهات فبقي الثاني والحق ان كل واحد منها له محرك نفسي مباشر
لحركاتها لان الحركة لها جزئيات متجددة ففاعلها القريب لكونه فاعلا بالارادة لها ارادات
جزئية تابعة لتصورات خيالية وله محرك آخر عقلي فيفيض منه عليه تلك التصورات
تشوقا لها اليه وهو المحرك العقلي على سبيل الغاية والمحرك النفسي محرك على سبيل الفاعل
ولما اختلفت الكرات والحركات فلها غايات ومعشوقات متكثرة هم الملائكة المقربون
ولما اشتركت كلها في الطبيعة الفلكية وفي دورية الحركات فللكل معشوق واحد وغاية
واحدة هو غاية الغايات ومنه مبدأها واليه منتهاها به تدور رحاها وباسم الله مجريها
ومرسيها فقد علمت وتحققت بان هذه الحركة الفلكية عبادة ما فلكية او ملكية تقربا
الى الله وعبودية له وتشوقا الى عالم ملكوته الاعلى البرهان الثالث ايضا من جهة النظر
في حركتها من حيث مبدأها فنقول ان الحركة على الاطلاق تدل على وجود مبدأ مفارق
خارج عن هذا العالم وذلك لان الحركة خروج من القوة الى الفعل فيها جزء سابق وجزء

لاحق

لاحق وكلما حادثة ووجود الحادث بغير سبب محال وسببه لو كان موجودا قبله لم يكن حدوثه
فيفتقر الى مزيد حالة او شريطة بها يصير سببا بعد ما لم يكن فاذن لا يحدث السبب بما هو
سبب ما لم يحدث تلك الحالة والسؤال في تلك الحالة لازم فيفتقر الى سبب آخر وهكذا في سلسلة
الاسباب فيفتقر الاحداث بالفعل الى اسباب لا نهاية لها ولا يخلو اما ان يكون موجودة
معا او متعاقبة والاول لما ينهض البراهين على بطلان اللاتناهي في الاسباب والعلل
المجتمعة معا فلم يبق الا الثاني على وجه الاتصال اذ لو انفصلت الحوادث عاد المحذور
الاول وذلك لا يكون الا بحركة دائمة ولا يحتمل شيء من الحركات الدوام الا الدورية ومحلها
ليس الا الفلك وايضا حدوث الحادث وتكون الكائن هاهنا لا يمكن الا بالحركة المستقيمة
وهي دلت على اختلاف الجهتين ولا يمكن اختلافهما الا بجسم محيط وهو السماء فثبت وجود السماء
وانها متحركة دائما ما دامت موجودة وكل متحرك له محرك غير ذاته المتحركة بوجوه من البراهين
مذكورة في الكتب لا نطول الكلام بذكرها ويكفي ما سبق ذكره من كون قابل الشيء غير فاعله
فنقول ان فاعل هذه الحركة يجب ان يكون ذا قوة غير متناهية في التأثير وليس شيء من
الاجسام وقواها السارية فيها ونفوسها المتعلقة بها كذلك فمحرك الافلاك وفاعلها ليس
بجسم ولا جسماني بل امر مقدس عن التغير والتجسم وهو الباري جلت عظمته او ملك
المقرب هو امره لكن الافلاك لكثرتها واختلافها نوعا وشرفا واختلاف حركاتها جهة
وقدرا ينبغي ان يكون اسبابها القدسية متكثرة حسب تكثرها كما دل عليه قوله تعالى واوحى
في كل سماء امرها والله سبحانه مبدع الامر والخلق وموجد العقل والجسم البرهان الرابع
وهو من افادنا الله بالهامه وهو انا اقمنا البرهان على حدوث الاجرام الفلكية وطبايعها
ونفوسها في كل آن ولحظة وان لها في كل آن خلع ولبس جديد وخلق وبعث جديد
وهذه المقدمة مما قد احكمناها بوجوه برهانية ومقدمات حكمية يحكم كل عاقل منصف بصحتها
بعد النظر والامعان مما يطول ذكره هنا ويدل عليه شواهد قرآنية من قوله بل هم
في لبس من خلق جديد وقوله كل يوم هو في شان وقوله وترى الجبال وغير ذلك فاذن
بعد تمهيدها نقول ان الافلاك لتجدد ذواتها وحركتها الجوهرية المستلزمة لهذه الوضعية
يفتقر كل منها الى مبدأ عقلي خارج عن عالم الكون والتجدد فان قلت اذا كانت ذواتها
متجددة فلا بد في تجددها من مجدد علتها العرضية فيعود الكلام في مجدد علتها ويتسلسل الامر
لا بسبب الحدوث واما اذا لم يكن الحدوث اذا كان زائدا على ذات الشيء ووجوده
فهناك يعود الكلام الى سبب الحدوث واما اذا لم يكن الحدوث زائدا على ذات الشيء
بل يكون وجوده على نحو التجدد والانقضاء فلا يحتاج الا الى علة لنفس ذاته المتجددة لا لتجدده
كما هو المشهور في نفس الحركة لكن الحركة عندنا امر عقلي عبارة عن مفهوم التجدد والانقضاء

وما به التجدد هو شيء آخر وهو المقولة التي تتجدد بذلك ولما كانت الاعراض تابعة للجواهر فتغيرها
مع ثبات الجواهر كلها غير جائز فيجب في الوجود جوهر متجدد الذات وهي لا تكون الا الطبائع
الجسمانية وذلك لتركبها من مادة شأنها القوة والزوال ومن صورة شأنها الفعلية والحصول
فيتعاقبان معا الى ما شاء الله كما فصلناه في مقامه ونقول ان حركتها الذاتية متوجهة
نحو غاية ذاتية تنتقل اليها هي اشخاصها فتنتقل اشخاصها في كل لحظة من هذا العالم الى عالم
الآخرة وجوار القدس والله يعقبها بالبدل ويحفظ نوعها بتعاقب الامثال وبوجود
صورة عقلية هي موجودة عند الله دائما وكذا كل نوع جسماني والصورة المفارقة هي
خزائن علم الله وعالم امره وقضائه فكل ما سوى الله حادث وانها ليست ما سوى الله
لانها غير جائية الذوات عنه تعالى وانما هي باقية ببقاء الله كما انها موجودة بوجوده لا
بايجاده ولعل الكلام خرج عن تطابق الاحكام والذي ذكرناه مجمل لتفصيل شارح له
مذكور في رسالتنا في حدوث العالم فهذه هي وجوه من التفكر في خلق السموات ولنا
الآن كثيرة من ابواب التدبر في حكمة الصانع في خلق الافلاك وما فيها من العجائب الروحانية
والجسمانية بحيث يقضي العاقل آخر العجب تركنا ذكرها مخافة التطويل وانت ايها العاقل
المتفكر لو نظرت الى آثار رحمة الله في هذا العالم لقضيت العجب من ان الرحمة الالهية للعالم الجز
دقو فيما عاصده لا يتجاوزه حتى يبقى وراءه الامكان الغير المتناهي من الاشخاص الا نواع
وجدت مادة قابلة ذات قوة القبول للاغير المتناهية كما ان للمبدأ قوة الفعل الى
غير النهاية وكان لابد من تجدد الفيض من تجدد امر ما متجدد بذاته فوجدت اشخاصها
فلكية دايرة لاغراض علوية تتبعها استعدادات مادية غير متناهية فتضم الفاعل
غير متناه في قوة التأثير والايجاد وقابل غير متناه في القبول والاعداد فتفتح باب
نزول البركات وترشح الخيرات دايما في الآزال والآباد ويحصل الفيض على كل
قابل بحسب استعداده واستحقاقه اذ المبدأ الواهب لا تغير فيه ولو كان للقابل
استحقاق قبول نفس اشرف كما للانسان لحصلت فيها من فيض جوده سبحانه و
لنكتف ههنا بهذا القدر والله ولي التوفيق **الفصل الثاني** في حكمة خلق الارض
والتدبر في نحو وجودها وصفاتها واستقرارها في وسط الكل وكثافتها ولونها الغبرا
لتكون قابلة للانارة والضياء وتوسطها في الصلابة حتى يمكن المشي عليها للحيوان و
تقبل الحرث والزرع للاغتذاء ولتكون ما فيها من الاشياء في انهارها وجبالها
ومعادنها فمن الآيات التي فيها ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا
وفجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعل الجبال فيها اوتادا تمنعها من ان تميد
وتتزلزل فقال والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال هو الذي جعل الارض فراشا

من قصد الايراد والبحث

وذلك

وذلك لانها في استدارة شكلها لعظم جرمها بحيث لا يفرق الحس بين استدارة سطحها
واستوائه ولكون ظهرها مقر الاحياء وبطنها موطن الاموات ولذلك قال الم نجعل الارض
كفاتا احياء وامواتا ومن الآيات قسمتها الى الاقاليم السبعة بحسب مواضعها المختلفة
للمدار الشمس واختلاف امزجة سكانها واحوالهم والوانهم ومكاسبهم واخلاقهم على
حسب اختلاف تلك المواضع ومن الآيات وجود البحار العميقة فيها المكتنفة لاقطار
الارض التي بعضها قطع البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف منها من البحر
بالاضافة الى المغمور المستور فيه قليل كجزيرة صغيرة في بحر عظيم ومن الآيات انكشاف
الربع المعمور مع ان من طبيعة الماء الاحاطة بها ومن طبيعة الارض الرسوب فيه وذلك لحكمة
تعيش الانسان وغيره من انواع الحيوانات المفتقرة في بقائها الى التنفس لترويح الحرارة
الغريزية هذا هو السبب الغائي ولابد فيه ايضا من مرجح فاعلي وان لم نعلم بخصوصه مع انا
نعلم يقينا ان هناك امرا مخصصا لاستحالة الترجيح من غير مرجح وقد ذكرت العلماء فيه
وجوها وبالجملة الآيات والشواهد الدالة على وجوده سبحانه وآثار حكمته في خلق الارض
كثيرة لا تحصى مما يطول شرحه وقد علمت ان علة وجود الجسم لا يمكن ان يكون جسما او
عرضا او قوة جسمانية بل يكون امرا اجل وارفع من ان يكون في عالم الاجسام وكذلك
ميل الارض الى المركز يدل على وجود الجنين ووجودها يدل على السماء ووجوده دال على
وجود خالق السموات والارض مما هو قربانه ثم لو تفكرت ايها العاقل المتدبر ونظرت
الى الحكمة في وضعها في الوسط لعلمت انها لو قربت من الاثير لاحترقت سريعا ولو جاورت الفلك
عند النار لسخونة حركة الفلك وصارت نارا انضم اليها تسخين طبقة النار الواقعة في غير
ذلك الموضع فبطلت العناصر كلها نارا ولما كانت الحيوانات ذوات الادراك والتحريك
محتاجة الى غلبة العنصر اليابس وغلبة الارضية اذ بها تحفظ الصور المدركة والاشكال
الاعضاء وغيرها فوجدت الحيوانات عندها غير محيط بها الماء بل الهواء لحاجتها الى الاستنشاق
الهواء فوضع تحت النار ما يناسبها في الحر واللطافة ووضع عند الارض ما يناسبها
في البرد والكثافة وكان لا يفضل مع الهواء مناسبة الميعان فجاورته بحيث لا يبطل العدل
وههنا دقيقة اخرى وهي ان الارض يقتضي طبعها الكرية في الشكل فتغيرت
بالجبال والوهاد بالسيول والامواج لحكمة المذكورة من انكشاف مقدار منها لتعيش
الحيوان وحصول النبات لكن بقي التضريس بحاله وان خليت وطبعها والحكمة في هذا
ان طبعها كما اقتضت الاستدارة اقتضت يبوسة حافظة للشكل اي شكل وهذا
الاقتضاء لا ينافي الاقتضاء الاول بل يؤكده وكان القاسر ازال شكلها الكري ولم يزل
يبوستها فحفظت اليبوسة فعلها وامسكت الشكل القسري فبقي التضريس على حاله بعد

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل الآية وقال في القصص قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا الآية الى قوله افلا تبصرون وقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون وفي الروم ومن آياته منامكم بالليل والنهار وفي لقمن الم تر ان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وفي يس وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم
مظلمون وفي الزمر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وفي المؤمن الله الذي جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وفي عم وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا
ومن لطايف صنع الله في الليل والنهار ان انشقاق ظلمة الليل بظهور الصبح المستطيل وهو اثر
ضوء الشمس كانه جدول ماء صاف يسيل في ماء بحر كدر بحيث لا يتكدر الصافي بالكدر ولا الكدر
بالصافي واليه الاشارة بقوله فالق الاصباح وفيه امثال انفلاق ظلمة العدم الامكاني بظهور
نور الوجود المنبسط على هياكل الماهيات ويقال له النفس الرحماني من شمس عالم الوجود
الذي هذه الشمس مثال من مثل كبريائه وانموذج من انموذجات عظمته ونوره وبهائه

الفصل الرابع في دلايل الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وفيه مباحث

الاول في اللغة الفلك اصله من الدوران وكل مستدير فلك وفلك السماء اسم لطبقات
سبعة تجري فيها النجوم وفلك الجارية اذا استدار ثديها وفلكة المغزل من هذا والسفينة
سميت فلكا لانها بالماء اسهل دورانا والفلك واحد وجمع فاذا اريد به الواحد ذكر واذا
انث مثله قولهم ناقة هجان ونوق هجان وقال سيبويه الفلك اذا اريد به الواحد
فضمة الفاء فيه بمنزلة باء برد وخاء خرج واذا اريد به الجمع فضمة الفاء بمنزلة الحاء من حمر والصاد
من صفر لغتان مختلفتان في المعنى وان اتفقتا في اللفظ البحث الثاني في النقد
قوله تعالى في صفة الفلك بما ينفع الناس دليل على جواز ركوب البحر وعلى اباحة الاكتساب
والتجارة والانتفاع بها البحث الثالث في كيفية الاستدلال بها على وجود الصانع وقدرته
وذلك من وجوه احدها من جهة مادة خلقتها وهي الخشب والحديد والطناب وغيرها
فان السفن وان كان من تركيب الناس الا ان الآلات والمواد مما خلقها الله تعالى
وقد علمت ان موجد الجسم لا يمكن ان يكون جسما وجسمانيا وثانيها من جهة الرياح التي
يحركها الاجسام مختلفة حسب اغراض الناس ومراداتهم وعند عصفها الشديد هلكت
وعند عدم عصفها ما جرت وثالثها لولا تقوية القلوب من ركوب هذه السفن وترغيبها
وتحريصها اليه لما تم الغرض من مصالح العباد ومنافعهم وتجاراتهم وقد بين ان القلوب
بيده تعالى وان الارادات لا تنبعث الا من عالم القضاء وما تشاؤون الا
ان يشاء الله ورابعها انه خص كل طرف من اطراف العالم بشيء معين يحتاج اليه في حج
الكل الا الكل فصار ذلك داعيا يدعوهم الى اقتحام هذه الاخطار في هذه الاسفار

ومنها

ومنها كون ما يجري فيه الفلك اعني الماء متوسطا في اللطافة والخفة لا الطف واخف
مما كان فلا يحمل السفينة عليه ولا اكثف فلا يجري فيه فان قلت كثير من خشب السفينة اثقل
من الماء فكيف لا يغوص في الماء سيما اذا شحن بالاثقال قلنا ههنا دقيقة وهو ان الاجسام
المتداخلة بعضها في بعض بمنزلة جسم واحد فلو فرض جسم السفينة من حديد ولا شك انه
عند انفراده واجتماع اجزائه يقع تحت الماء اذا وقع فيه ولكن اذا صار ذا جوف كالحقة
بل كالقصعة يدخلها الهواء وكان مع الهواء بمنزلة جسم واحد فالمعتبر في الرسوب الى الماء
وعدمه ثقل المجموع بالقياس اليه والقاعدة الكلية ههنا هي انه اذا فرض مع الماء جسم
فان كان بحيث نسبة حجمه الى حجم الماء كنسبة ثقله الى ثقل الماء فلا يرسب فيه ابدا بل يكون
سطحه العالي مماسا لسطح الماء في العلو والسفل وان كانت نسبة حجمه الى حجم الماء اقل
منها فيرسب فيه البتة وبقدر تفاوت ثقله يكون سرعة حركته وبطوئه في النزول الى القعر
وان كانت اكثر فلا يرسب على الطريق الا ولكن يخرج منه شيء من الماء بقدر الكثرة
بهذه النسبة يكون خروج الباقي منه حتى يستوي جميع النسب التي يتصور بينهما فلم يبق نسبة
بينهما لا عددية ولا صمية وذلك بان لا يكون مماسا له بنقطة ان كان كرة او بخط او بسطح
ان كان غيرها من الاشكال كل ذلك اذا كان غير طالب للعلو والا فيرتفع منفصلا عن الماء

الفصل الخامس في شواهد الربوبية في قوله وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به
الارض بعد موتها اعلم ان دلايل الالهية وشواهد الربوبية في خلق الماء وانزاله
من عالم السماء كثيرة والنظر ههنا اما في خلقه واما في انزاله من السماء واما في حيوة الارض
به فههنا مشاهد الاول في النظر في خلقه وذلك من وجوه احدها بالنظر في نحو وجوده
وهو جسم رقيق متصل الاجزاء كانه شيء واحد غير قابل للكثرة والتقطيع وانه سريع
القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصريف قابل للانفصال بعد الاتصال وللاتصال
بعد الانفصال متفق ومطيع للاجزاء والشكل للمواضع مختلفة باذنه سبحانه كما في قوله تعالى
فسقناه الى بلد ميت وثانيها في ان به حيوة ما في الارض من حيوان ونبات كما قال و
جعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها لبذل
جميع خزاين الدنيا لو ملكها في تحصيلها واذا شربه فمنع من اخراجه فبذل جميع خزاين
الارض في اخراجه فالعجب من الآدمي يستعظم الدينار والدرهم ونفايس الجواهر
ويغفل عن الله في شربة ماء اذا احتاج الى شربها او الاستفراغ منها بذل جميع الدنيا
فيها وثالثها في انه كما جعله الله سببا لحيوة الانسان جعله سببا لرزقه ومادة لما
يغتذي به واليه اشير بقوله وفي السماء رزقكم ورابعها في نزوله من فوق وصعوده
الى اعالي النبات والاشجار فيقول القاصر النظر انه انما ينزل الماء لانه ثقيل بالطبع

وانما هذا سبب نزوله ويظن المغرور ان هذا معرفة لا مزيد عليها فيفرح به واذا قيل له
ما معنى الطبع وما سببه وما الذي خص جبلة الماء بهذا الطبع الذي يقتضي الثقل دون سائر
الاجسام مع اشتراكها في الجسمية وما الذي رقى الماء المصبوب في اسفل الاشجار مع هذا الطبع
والثقل الى اعالي اغصانها فكيف هوى الى اسفل ثم ارتفع الى ما فوق في داخل تجاويف
الاشجار شيئا فشيئا بحيث ينتشر في جميع الاوراق فغذا كل جزء من كل ورقة يجري اليه
في تجاويف عروق شعرية صغار يرى منه العرق الذي هو اصل الورق ثم ينتشر من
ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورق الى عروق صغار كثيرة عرضية وطولية فكان
الكبير نهر وما انشعب عنها جداول ثم ينشعب من الجداول سواقي اصغر منها ثم ينتشر منها
خيوط عنكبوتية دقيقة خارجة عن ادراك البصر حتى ينبسط في جميع عرض الورق فيصل
الماء في اجوافها الى سائر اجزاء الورق ليغذيه وينميه ويبقي طراوته ونضارته وكذلك
في سائر اجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف يتحرك الى فوق من غير جاذب
او قاسر فعلم ان للماء محركا آخر خارجا عن الحس يسخره ويجذبه الى غاية اخرى اشرف
من الماء وكذا ينتقل الكلام الى ذلك الجاذب ويسئل عن سببه وغايته وعلته فينتهي
بالاخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فكل ذلك شواهد
متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلالة باريها معربة عن كمال
حكمته فيها منادية لارباب القلوب بنغماتها قائلة اما تراني وما ترى صورتي وتركيبي
وصفاتي ومنافعي واختلاف احوالي وكثرة فوائدي اتظن اني خلقت نفسي او خلقني
احد من جنسي او فعلت هذه الافاعيل وما يترتب عليها من المنافع بالطبع وهذا انما
ما تستحيي تنظر الى كلمة مرقومة في ثلثة احرف فتقطع انه صنعة آدمي عالم قادر مريد
متكلم ثم تنظر الى عجائب هذه الخطوط المرقومة على وجهي بالقلم الالهي الذي لا يدرك الابصار
ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتلك النطفة
التي كانت قطرة من الماء المتشابه الاجزاء تقول لمن له قلب او القى السمع وهو شهيد
لا الذين هم عن السمع لمعزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسا في دم الحيض في الوقت
الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فنقش النقاش حدقتي واجفاني وجبهتي
وخدي وشفتي فترى النقوش تظهر شيئا فشيئا على التدريج ولا ترى داخل الرحم
ولا خارجه احدا ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم فما هذا النقاش
افلم يكن باعجب ممن يشاهد ينقش بقلمه صورة عجيبة لو نظرت اليها مرتين او اكثر
لتعلمته فهل يقدر على ان تتعلم هذا الجنس من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها
وجميع اجزائها من غير ملامسة النطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج

فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تعلم ان الذي صور ونقش هذه النقوش
والاشكال والصور والامثال مما لا شبه له ولا ند ولا شريك ولا ضد كان صنعه و
نقشه لا يساويه نقش وصنع جنس الفاعلين من التباعد والمباينة كما بين النعلين
فعدم تعجبك وغفلتك عن هذا اعجب من كل عجب فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا
الوضوح ومنعك التبين مع هذا البيان جدير بان يتعجب منه فسبحان من هدى واضل
واغوى وارشد وفتح بصائر احبائه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزائه واعمى
قلوب اعدائه واحتجب عنهم فقال فيهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون فله الخلق والامر لا معقب
لحكمه ولا راد لقضائه **المشهد الثاني** في سبب انزاله من السماء قال بعض الطبيعيين
ومن يجري مجراهم ممن قصر نظره في الامور على الطبقة الجرمية ولم يرتفع الى ملكوت السماء فكيف الى ما
فوق الشمس والقمر والنجوم الى انشاء وارادة ان الشمس تؤثر في الارض فيخرج منها الابخرة متصاعدة
فاذا وصلت الى الجو بردت وتكاثفت اجزاؤها فثقلت فرجعت من فضاء المحيط الى حضيض المركز
ثم تواصلت الاجزاء الرشية فتقاطرت نازلة الى الارض فهذا غاية مبلغهم من العلم والذي ذكروه
وان كان له وجه الا انه لا مانع عند العارف البصير من ان يكون ابتداء نزول الماء من جوهر السماء
فقد يكون للشيء الواحد اكوان مختلفة ونشآت متعددة بعضها اعلا وارفع من بعض فهذا انشاء
السحاب وتكوين الامطار انما هو من عالم السماء بامر الله وحكمته بواسطة الملائكة العلوية والسفلية
الارضية من المدبرات والسابقات والزاجرات التي لا يعلم تفاصيلها الا الله والراسخون
في العلم يؤمنون بها ويعرفون مجملاتها ومقاماتها في الوجود وتفاضلها في الشرف والعلو ليس
حال من قصر نظره في الماء على هذه الطبيعة الدنية وعمي قلبه عن ملاحظة ما فوقها بادون واخس
وفي هوى الجهالة اهبط من حال من زعم ان الماء بهذه الطبيعة والصفة كان موجودا قبل نزوله
في السماء وان الايمان بالفاعل المختار لا يتم الا بهذه الاعتقادات السخيفة والآراء العامية
لرفضهم طريق الحكمة وجمود ذهنهم وجموده على المحسوس ونكسانهم عن الرياضة والفكر والطلب
لانغمارهم في اغراض البدن وسعاداته بل عند الانصاف من نظر الى سمت المطلوب
ووضع خطوة او قدما من عتبته متوجها الى الطريق المستوى فهو احسن حالا من الذي الجمد في
مقامه الاول ابدا ولم يخرج من بيته مهاجرا او خرج وضل وانحرف يمينا وشمالا بل خلفا
وان لكل علم ومعرفة بابا مخصوصا وقد قال تع واتوا البيوت من ابوابها **المشهد الثالث**
في كيفية حيوة الارض بالماء وهي من وجوه الاول ان الارض فيها قوة الحيوة الحيوانية والنباتية
وان كانت القوة بعيدة بالقياس الى الحيوانية فاذا انزل الله عليها الماء ظهرت عنها العشب
والكلاء وما شاكلها التي بها تعيش وتحيى دواب الارض وثانيها ان الارض بما فيها من
الحيوان والنبات بمنزلة حيوان واحد يموت عند الجدب او الشتاء ويحيى بهواء مثله

عنه الخصب والربيع وثمارها انه يحصل للارض بسبب النباتات واوراق الاشجار وازهارها
وانواع الرياحين والوانها حسن ونضرة تبهج الناظرين فهذه حيوتها بعد موتها وغاية زينة
الوجود فيها آيات وشواهد على وجود الصانع وحكمته ولطفه وجوده وكرمه ومنها نفس الزرع
والنبات على الحد الذي يحتاج اليه الخلائق في اوقات معلومة ومنها اخراج انواع مختلفة
من النبات وفنون متغايرة من الاشجار والثمار من حب وعنب وقضب ونخل ورمان
وفواكه كثيرة مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والروايح يفضل بعضها على بعض في الاكل
مع انها تسقى جميعا بماء واحد وتخرج من ارض واحدة فان قلت سبب اختلافها اختلاف حبوبها
وبذورها قلنا هل ذلك يكفي في ترتب هذه الآثار بل اختلاف الحبوب قريب من التشابه
في الجوهر والصورة فكيف يصير بهذا الاختلاف موجبة لهذه الانواع المتباعدة في الصور
الجوهرية والكيفيات فهل كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب حتى اختلافها
من المرجحات والكلام في علل وجود هذه الانواع المختلفة وكيفياتها ومنافعها وغاياتها
فانظر الى اختلاف طبايع النبات واصنافها وكثرة منافعها وكيف اودع في العقاقير
المنافع الغريبة فهذا يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن
وهذا يسهل الصفراء وهذا يقمع البلغم وهذا يولده وهذا يدفع السوداء وهذا يزيدها
وهذا يستحيل دما وهذا يطفيه وهذا يسكر وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي وهذا يضعف
ولو اردنا ان نبين اختلاف النباتات ومنافعها واحوالها وعجايبها لانقضت الايام
في وصفها ويكفيك من كل جنس نبذة يسيرة يدلك على دقايق صنع الله ولطايف رحمته

الفصل السادس في قوله تعالى وبث فيها من كل دابة ان من آيات الله العظيمة
وجود الحيوانات المختلفة المنتشرة على وجه الارض وانت ترى منها ما يطير ومنها ما يمشي
وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجل والى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى
عشرة وعلى مائة ثم انقسامها في المنافع والاشكال والاخلاق والطبايع وكذا انقسامها
في درجات الوجود شرفا وخسة فبعضها ما يقرب درجته درجة النبات فليس فيه
مبدأ حركة وحس الا حركة ضعيفة على وجه الانقباض والانبساط وحس اللمس ضعيفا واللمس
ادون الحواس اذ لا يدرك الا بالمباشرة وبعضها درجته ارفع قليلا فله حاستان
او ثلث كاللمس والذوق والشم ولا سمع له ولا بصر كالعقرب وبعضها الحواس
الخمس الظاهرة وليس له حس باطن فليس له ذكر ولا وهم وهكذا هي متدرجة في الوجود
الى آخر طبقة يقرب من طبقات الانسان كالقردة ونحوها وهكذا يتفاوت افراد الانسان
في الشرف والكمال الى ان يبلغ رتبة الملائكة المقربين وهذا التفاوت في الخلق والتدرج
في القرب اليه تعالى من اعظم الدلايل والبراهين على ان في الوجود موجودا كاملا غاية

الشرف

الشرف والنور والبهاء يتوجه اليه الاشياء ويتقرب اليه طبعا وارادة على مراحل ومنازل
متفاوتة ومتوسطة بين ادنى الموجودات واعلاها ثم انظر الى عجايب صنعها وخلقها الذي
فيها من العجايب ما لا يشك معها في عظمة باريها وحكمة صانعها ومنشئها وكيف يمكن ان يستقصي
ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجايب البقة او النملة او النحل او العنكبوت وهي من صغار
الحيوانات في بناء بيتها وفي جمعها غذائها وادخارها له وفي الفها لزوجها وفي حفظها هندسة
بيتها وفي هدايتها الى حاجتها لم نقدر عليه افترى ان العنكبوت يعلم هذه الامور ويهتدي
بهذه الصنعة التي تراه في بنايته على هذا الوجه من نفسه او هو الذي كون نفسه او كونه آدمي
او لا هو ولا معلم ايشك ذو بصيرة في انها مسكينة عاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم شخصه
الظاهر قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف افلا يشهد هو وصورته وهدايته
وعجايب صنعه لفاطره الحكيم وهذا الباب لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها
وطبايعها غير محصورة وانما سقط التعجب منها لكثرة المشاهدة ولو لم يكن فيها من عجايب
الخلقة وغرايب الصنعة الا حركتها الى الجهات سيما الفوق مع كمال ثقلها كالفيل يمشي الى
فوق من غير تعلق بجسم آخر يحركه اليه ولا دعامة من تحت ولا حبل من فوق لكانت اعجب
من كل عجيب حيث ان القوة والارادة وهي امر روحاني تحرك جسما ثقيلا الى فوق او
تمسكه في الجو كما في الطير فما ذلك الا بامر الله وحكمته وجعله الروحانيات وسائط
في ايجاد الجسمانيات وتحريكها وتدبيرها قال او لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن
ما يمسكهن الا الرحمن والانسان من جملة الحيوانات اعجب حكمة منها واكثر دلالة على وجود
خالقه وصانعه لان فيه انموذج جميع ما في العالمين الملك والملكوت فكانه نسخة مختصرة
من كتاب الله الكبير فان العالم كله كتاب كبير جامع لجميع المعلومات والله منشئه
ومصنفه ومبدعه والانسان من حيث نشأته الظاهرة كتاب صغير منتخب من ذلك الكتاب
واما بحسب نشأته الباطنة ومن حيث كماله واحاطته بالمعلومات الكلية والجزئية وادراكه
المدركات العقلية والحسية فهو كتاب كبير كالعالم بل اكبر منه وقد نقل عن امير المؤمنين عليه السلام
انه قال وانت الكتاب المبين الذي باياته يظهر المضمر وتزعم انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر فالصورة الانسانية هي اعظم آيات الله وهي اكبر حجة
على خلقه لانه الكتاب الذي كتبه بيده وهي المسجد الجامع الذي بناه بحكمته وهي المختصرة
من اللوح المحفوظ وهي الشاهدة على كل غايب والحجة على كل جاحد وهي صراط الله المستقيم
الممدود بين الجنة والجحيم فاي شيء اقرب اليك من نفسك وفيك من العجايب الدالة على
عظمة الله ما ينقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيرها وانت غافل عنه طول عمرك
فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل به كيف يطمع في معرفة ربه وقد امرك الله بالتدبر والتامل

في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وقال نبيك صلعم من عرف نفسه فقد عرف ربه
وقد نبهك الله في مواضع من القرآن على كيفية خلقتك واطوار وجودك ونشآت نفسك
لتتدبر وتتامل في نفسك وفي اطوارك ونشآتك لتعلم انك ستحشر وتبعث في نشأة اخرى
وتعود اليه تعالى كما انك منه مبدأ وجودك وحدوثك على التدريج وذكر انك مخلوق من نطفة
قذرة فقال الم يك نطفة من مني يمنى وقال قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه
فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال في موضع آخر ومن آياته ان خلقكم
من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون نبههم على ان حال اول نشأته اخس من النطفة و[illegible]
التراب ثم قال منبها على انه في بداية امره كان ادنى من كل شيء حيث كان معدوما محضا
هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فكان اولا ممكنا محضا او قوة استعدادية
صرفة غير موجودة بالفعل كالهيولى ونحوها واول صورة كساه الله ونشأة افاده اياها
بعد صورة العنصرية هي صورة النطفة فقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج ثم جعل
النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة لحما واللحم ذا عظام وهكذا انشأه نشأة بعد نشأة
ونقله في اطوار الخلقة طورا فوق طور الى ان جعله خلقا آخر خارجا عن هذا العالم الجسماني
المشهود بهذا الحس وقد اشار الى هذا التدريج في الوجود والتعرج من هذه الدار الى
دار الشهود والمقام الموعود في مواضع متعددة من القرآن مثل قوله ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم قال
ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون اشارة الى اطوار النشأة الاخرى
من حين الموت الى حين البعث فان الموت ليس عبارة عن عدم الانسان بل عن
بطلان قالبه لخروج روحه منه كما يهدم بناء دون احتفاره بهذا البدن فلها بعد هذه
النشأة نشآت كثيرة في القبر والبرزخ وعند العرض والحساب والميزان والصراط
الى ان يدخل الجنة او النار ولاجل وجوب هذا التبدل الوجودي واشتراطه في
دخول عالم القدس والجنة قال تعالى ايطمع كل امرء ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم
مما يعلمون اشارة الى ان المخلوق من هذه الاجسام المحسوسة الكثيفة كالنطفة وغيرها
لا يستحق دخول الجنة الا ان يتحول ويتبدل ويتوارد عليه الامثال حتى يصير مستاهلا
لدخولها ولذلك عقب هذا الكلام بقوله فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا
لقادرون على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون فقوله فيما لا تعلمون اشارة الى عالم الملكوت
المفارق عن ادراك الحواس ويقال له عالم الغيب كما يقال لهذا العالم عالم الشهادة
وكذا قوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون المراد بهما هذا العالم وعالم الآخرة

فهذا

فهذا باب من ابواب معرفة الانسان الذي هو معدود من افراد الحيوان بحسب هذا الباب
النشأة الآخرة وكونه المقرب اليه تعالى في غاية نشأته وكمال وجوده وخلقته بل وجود النفس
الانسانية مفتاح خزائن معرفة الله تعالى واكثر الخلق غافلون عنها معرضون عن آيات الله
التي فيها كما قال تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون

الفصل السابع في دلايل تصريف الرياح الرياح جمع الريح اسم على وزن فعل وعينه
واو قلبت في الواحد وجمع الكثرة ياء وفي جمع القليل ارواح اذ لا شيء فيه يوجب الاعلال
الا ترى ان سكون الواو في نحو قوم فرعون وقول لا يوجب اعلاله وقلبه الفا واما في جمع
الكثير رياح فانقلب بالكسرة ما قبلها قال ابن الانباري انما سميت ريحا لان الغالب
عليها في هبوبها المجيء بالروح والراحة وانقطاع هبوبها يكسب الغم والكرب فهي ماخوذة
من الروح والدليل على ان اصلها الواو قولهم في الجمع ارواح اما النظر فيه فالريح و
دلايل الحكمة فيها فاعلم انها الهواء اللطيف المحسوس بين مقعر الاثير والسماء وبين محدب
الارض يدرك بحس اللمس عند هبوب جسمه ولا يرى شخصه وجملته مثل البحر الواحد
الطيور محلقة في جو الهواء سابحة فيها باجنحتها كما يسبح حيوانات البحر في الماء ويضطرب
جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما يضطرب امواج البحر فاذا حرك الله الهواء
وجعله ريحا آية فان شاء جعله عذابا على الكفرة والعصاة كما قال انا ارسلنا عليهم ريحا
صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس [illegible] جعلنا الرياح لواقح [illegible] بشرا بين يدي رحمته [illegible] كانهم اعجاز نخل منقعر فاذن
وجوده آية وتصريفها وحركتها آية ومنافعها آية كل منها بوجه اما الوجود فان الهواء مركب
من مادة وصورة لا يستغني كل منهما عن صاحبتها فهما متلازمتان والتلازم يقتضي اما علية
احدهما ومعلولية الآخر واما كونهما معلولين لعلة خارجة عنهما لكن الاول باطل لان تلك العلة
لا يمكن ان يكون هي المادة لان المادة شانها القبول والقابل لا يكون علة مقتضية ولا
الصورة علة لها لان الصورة لا تفعل الا بواسطة المادة لما تقرر ان الايجاد بعد الوجود فالمحتاج
الى شيء في الوجود محتاج اليه في التأثير والا لكان مجردا عنه هف فاذن لا تاثير للصورة في
وجود ما يفتقر اليه في التاثير اعني المادة فهما جميعا مفتقرتان الى خارج لا يكون جسما والا
لعاد الكلام اليه لتركبه ايضا منهما ولا جسمانيا كالصور والنفوس لما علمت اولا احوال
وهو ظاهر فاذن علته مبدأ قديم حكيم مقدس عن الكون في العالم والتعلق بما فيه واما
حركتها واضطرابها فلان هذه الحركة الى الجوانب ليست طبيعية لانها اما الى المركز او عن المركز وهذه
قد يكون على المركز وليست قسرية اذ ننقل الكلام الى محرك القاسر حركة على الوجه الذي
يؤدي الى هذه الحركة فيكون لا محالة جسما لطيفا متحركا كالهواء وليست ايضا ارادية اذ ليست للهواء

ارادة حتى يكون حركتها ارادية فحق ان يكون بسبب حركتها امر نازل من جانب السماء المؤثرة
في حركاتها العالم السفلي كما قد علمت فيما مر فالله سبحانه يهيج الرياح كيف يشاء بامره للملائكة الموكلة
بتوسط امره للملائكة السموات واما منافعها فمنها ان الهواء مادة للتنفس الضروري الذي
لو انقطع لحظة عن الحيوان لمات وقد قيل ان كلما كانت الحاجة اليه اشد كان وجدانه اسهل
واحتياج الناس الى الهواء اشد من الحاجات واعظمها بحيث لو انقطع عنه لحظة لمات لاجرم
كان وجدانه اسهل من وجدان كل شيء وبعد الهواء الماء لان الحاجة اليه وان كانت شديدة
اذ به حيوة كل شيء الا انها ليست كالحاجة الى الهواء فلاجرم وجود الهواء اسهل من وجود الماء
لان الماء لابد في جذبه او اخذه من تكلف الاغتراف بخلاف الهواء فان الالات المهيأة
لجذبه حاضرة ابدا ومنها ان الهواء مادة لخلقة النبات وغيره التي يحتاج اليها الانسان
في الاغتذاء والدواء ومنها ان الهواء لو لم يكن في فرج الاجسام الغذائية وغيرها لتعفن
وفسد سريعا كما يدل عليه التجربة وكان فساده يؤدي الى فساد الانسان والحيوان ومنها
غير ذلك من المنافع التي بعضها ظاهرة وبعضها يظهر بالتأمل فانظر ايها العاقل الى عجائب
الجو فيما يظهر من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق
وفي اسباب تكونها المنبعثة من انوار السماء واوضاعها وحركاتها وقد اشار القرآن
الى جملة بقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين واشار الى تفاصيله
في مواضع شتى حيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر وغيرها فيا ايها الرجل
المدعي للانسانية ان لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينيك وتسمع الرعد
باذنك فالبهيمة تساويك في هذه المرتبة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم اهل العقل
والملأ الاعلى فكما فتحت عينك فادركت ظاهر هذه الصور فغمض عينك الظاهرة
وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب اسرارها فهذا ايضا باب
يطول التفكر فيه ويدل منه الى الملكوت وعجائبه الفصل الثامن في حكم قوله
والسحاب المسخر بين السماء والارض سمي السحاب سحابا لانسحابه في الهواء ومعنى التسخير
في اللغة التذليل وانما سماه مسخرا لوجوه احدها ان طبع الماء ثقيل بارد يقتضي النزول
فكان بقاؤه في الجو خلاف الطبع فلا بد من قاهر قوي وهو اما قاسر او مسخر والفرق بينهما
عند الحكماء ان المؤثر في شيء خلاف مقتضاه ان كان امرا خارجا عن ذاته مباينا له
في الوضع فهو قاسر وان كان امرا مقوما له فهو مسخر وقد مر ان حركة مثل هذه الاجسام
على هذا الوجه ليست بالقسر فيكون بالتسخير فيدل على وجود فاعل علوي لاغراض كلية
وثانيها انه لو دام السحاب لعظم ضرره حيث يستر ضوء الشمس ويكثر الامطار وتبتل
المركبات فتعفن ولو انقطع لعظم ضرره لانه يفضي الى القحط فيهلك المواشي والانسان

فكان لتذريه بالمقدار المعلوم للمصلحة فهو مسخر والمسخر هو الله سبحانه بتوسط محرك باطن
غير محسوس يأتي به في وقت الحاجة ويرده عند زوالها وثالثها ان السحاب لا يقف في موضع
معين بل يسوقه الله بواسطة تحريك الرياح الى حيث اراد وشاء فذلك معنى التسخير فهذه الوجوه
تدل على كونه مسخرا وعلى وجود ما يسخره لهذه المصالح التي بعضها ظاهر وبعضها خفي يعرفه العارفون
فتأمل ايها العاقل المتفكر في السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة
له وكيف يخلقه الله اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل ويمسكه في جو
السماء الى ان يأذن الله في ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي اراده الله
وعلى الشكل الذي شاء فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة
لا يدرك قطرة منها قطرة ولا يعلم عدده الا الذي اوجده ثم كل قطرة منها عينت لجزء
من الارض ولحيوان معين فيها من طير ووحش ودود مكتوب عليها بخط الهي لا يدرك
بالحس انه رزق الدودة الفلانية في الموضع الفلاني في الوقت الفلاني هذا مع انعقاد
البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التي
لا تحصى كل ذلك عناية من الله ورحمة منه فهذه هي وجوه الدلائل والايات المتعلقة
بهذه المخلوقات الثمانية على وجه الاختصار لان في كل ما ذكر وجوه اخرى من المعارف
والعلوم في كل منها ابحاث كثيرة حكمية يستمد من بحار الحكمة الالهية واما قوله لايات لقوم
يعقلون فالمراد ان في كل من المذكورات آيات كثيرة والدليل على هذا من وجوه احدها
ان كل واحد من هذه الامور الثمانية يدل على وجود الصانع من وجوه كثيرة وثانيها
ان كل واحدة من هذه الايات تدل على معان كثيرة فهي من حيث وجودها تدل على وجود
الصانع ومن حيث حدوثها في وقت معين يدل على ارادته وعلمه بالجزئيات ومن حيث
منافعها تدل على حكمته واتقان صنعه ومن حيث ارتباط بعضها ببعض على وجه الانتظام
والتعاون تدل على وحدانيته وثالثها ان كل واحد من الامور الثمانية اجسام عظيمة
بعضها مركبة من اجسام كثيرة وبعضها كالافلاك مركب من مادة وصورة ونفس وعقل
فكل واحد من اجزائها وتركيبها وصفاتها له دلالة اخرى غير دلالة ما عداه ورابعها ان
الباري جل اسمه ذكر كلا من هذه الامور في مواضع كثيرة من القرآن تفخيما لشأنها سيما
الافلاك وعجائبها فدل على ان في كل منها آيات كثيرة لاولي الالباب والله اعلم بالصواب
المشهد الثالث في التنبيه على ان المذكور في الآية المتلوة ما جعله الله دليلا
على معرفته ولذلك ذكره في مواضع اخرى من كتابه العزيز قوله عليه السلم يا هشام قد
جعل الله ذلك اي قوله تعالى في الآية المذكورة او ذلك المذكور او ذلك الكلام دليلا
على معرفته بان لهم مدبرا وقد علمت ان كلا من الموجودات الثمانية مشتمل براسها على الدلائل

كما بيناه فلاجل ذلك اورد عليه السلم آيات اخرى ذكرت بهذه الامور فيها على وجه التفصيل
بان ذكر الله تعالى بعضها في آية وبعضها في اخرى ثم نص على كل بعض مذكور في آية على الانفراد و
الاستقلال بان فيه آيات لاهل العقل والفكر قوله عليه السلم فقال وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فنقول المذكور
في هذه الآية بعض من المذكورات الثمانية في الآية السابقة على وجه فيه تفصيل واعتبار جهة
اخرى وهو امران احدهما تسخير الليل والنهار فذكرهما هناك من جهة الاختلاف وقد علمت
وجه دلالتهما من تلك الجهة واما ههنا فباعتبار التسخير وذلك لانهما اجزاء الزمان الواحد
المتصل والزمان مقدار حركة دورية غير مستقيمة فلحافظ الزمان لا بد ان يكون جسما كريا
ابداعيا وهو السماء فدل وجودهما على السماء ودلالة السماء على خالق الاشياء مما قد علمت وفي
دلالتهما على هذا المطلب وجوه اخرى لا نطول الكلام بذكرها روما للاختصار وثانيهما كون الشمس
والقمر والنجوم مسخرات وهذا تفصيل قوله هناك ان في خلق السموات فان الكواكب
من جملة السموات لانها مركوزة فيها كاجزائها واعلم ان من الآيات العظيمة ملكوت
السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته عجايب السموات
وملكوتها فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة
الى السموات كقطرة في بحر واصغر منها لست اقول بحسب الكمية والمساحة فقط بل بحسب
الكيفية ايضا اعني شرافة الوجود وقوة الفعلية كما بحسب الكمية على النسبة المذكورة فانظر
كيف عظم الله امر السماء والنجوم فكم من آية ذكرها الله فيها بل ما من سورة من الطوال والكبار
القصار الا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم اقسم الله بها في القرآن كقوله والسماء
والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب وقوله والشمس وضحيها والقمر اذا
تليها وقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والنجم اذا هوى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه
لقسم لو تعلمون عظيم فكيف ظنك بما اقسم الله به واحال الارزاق اليها فقال وفي
السماء رزقكم واثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض وامر
بالنظر اليه والتفكر فيه في كثير من الآيات وذم المعرضين عنه فقال وجعلنا السماء
سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض والهواء الى السماء
وهذه متغيرات على القرب وهي صلاب شداد ومحفوظات الى ان يبلغ الكتاب اجله
ولذلك سماها الله تعالى محفوظا وقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وحفظناها من كل
شيطان رجيم وقال ايضا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال ءانتم اشد خلقا ام السماء
ثم ان الله زينها بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا
وبالشمس وجعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع

كرسيه

كرسيه السموات والارض وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم وبالقضاء فقضيهن سبع
سموات وبالقدر وقدره منازل وبالوحي والامر واوحى في كل سماء امرها وبالحكمة فذكر
ان خلقها مشتمل على غايات صحيحة واغراض عظيمة ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها ايضا مصعد الاعمال ومهبط الانوار
وقبلة الدعاء ومحل الضياء والسناء وجعل الوانها احسن الالوان وهو المستنير واشكالها
افضل الاشكال وهو المستدير وبنجومها رجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها
في ظلمات البر والبحر وبالنجم هم يهتدون وقيض للشمس طلوعا فصل معه الليل لتقضى
الاوطار في الاقطار وغروبا يصلح معه الهدو والقرار في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث
القوة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وايضا لولا طلوع الشمس لانجمدت المياه وغلبت البرودة
والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية ولولا الغروب لحميت الارض حتى تحرق
كل من عليها من انسان وحيوان فهي بمنزلة سراج واحد يوضع لاهل كل بيت بمقدار
حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين
على ما فيه صلاح قطان الارض واما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعله الله سببا لاقامة
الفصول الاربعة كما تقرر واما القمر فهو كالشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب
وينضبط المواقيت الشرعية ومنه يحصل النماء والرواء وقد جعل الله في طلوعه وغروبه
مصلحة وكذا في تشكلاته المختلفة وساير احواله من الاستقامة والسرعة والبطؤ كما علم
من علم الهيئة وكذلك الامر في حكمة خلق النجوم وعجايب اشكالها وصورها ومقاديرها ومواقعها
المختلفة وقد اشرنا سابقا الى ان وجودها بقدرة الله وان حركاتها الوضعية والمكانية
الدورية بتسخير الله وامره ووجه عبوديته وطاعته له ثم يترتب عليها منافع عظيمة
في المخلوقات الارضية قال الجاحظ اذا تأملت هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه
كل ما يحتاج فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة
كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهياة لمصالحه
وصنوف الحيوان منصرفة في منافعه واعلم ان التفكر والتدبر في السموات وما فيها
من الكواكب على وجهين احدهما ما يتعلق بظاهر اجرامها واعظامها واشكالها او
اوضاعها وهياتها وحركاتها وما يترتب عليها من المنافع الجلية وهذا العلم مما عني
بادراكه علماء الهيئة والهندسة والطبيعيون كل منهم من جهة اخرى والكلام فيه طويل
لا يليق بهذا الموضع وثانيهما ما يتعلق بملكوتها ونفوسها المحركة والملائكة المدبرة اياها
تدبيرا الهيا والمعتنون بهذا العلم هم العلماء الالهيون والعرفاء الراسخون فيعرفون ان
لكل كرة من السماء ولكل كوكب منها ملكين محركين له الا اقل منها احدهما من المقربين

الذين في الصف الاعلى من صفوف الملائكة ولا تعلق لهم بهذا العالم وانما تحركون الكواكب
والاجرام على سبيل الغاية كما يحرك المعشوق العاشق او على سبيل افادة التحرك
القريب والثاني من الملائكة المدبرين النازلين في عالم السماء ويعلمون ان دوراتها عبادات
وطاعات وتسبيحات وان حركاتها صلوات وتسبيحات ولكل منها في تعبده الدائم تشوق
اليه وتعشق وله في كل حركة ودورة تقرب خاص اليه ونيل وصال وروح اتصال مخصوص
ليس قبلها ولا بعدها وله في كل لحظة حشر جديد اليه فهي من حيث دنياها ونشاتها الكونية دائمة
التبدل والاستحالة وصفا وجوهرا بتوارد الامثال ومن حيث ملكوتها وصورها العقلية
الموجودة عند الله المخزونة في علمه الثابتة في عالم قضائه مصونة عن التبدل محفوظة عن المحو
والتغير فصورتها النفسانية كتاب المحو والاثبات وصورتها الروحية العقلية اللوح
المحفوظ كما في قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب فهذا علم شريف من العلوم
المتعلقة بعجائب فطرة الافلاك والكواكب اعظم ما يصل اليه فكر الآدمي ولا يلزم الا
بالهام الله ولطفه وجوده فانظر ايها العاقل المغتنم الى ملكوت السماء لترى عجائب ما فيها
ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب
ورفعتها فان البهائم تشاركك في هذا النظر فان كان المراد بهذا فلم مدح الله خليله
به وبقوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات فاطلب ايها العاقل نفسك في الملك
اولا فعسى ان تنفتح على قلبك ابواب السماء فتجول بقلبك في اقطار ملكوتها فتشتغل من
بعضها الى بعض وترتقي من تحتها الى الافق الى ان تقوم بقلبك بين يدي عرش الرحمن
فعند ذلك يرجى لك ان تبلغ رتبة الاقصى ولا يكون الا بعد مجاوزة الادنى
وادنى شيء اليك نفسك التي انت بها انت ودونها مرتبة الطبع التي دون
مرتبة النفس وبعدها مرتبة العقل الذي فوق النفس دون الباري جل اسمه وهذه
الثلثة من الملكوت الاسفل والاوسط والاعلى ولا بد للسالك الى الله تعالى من حضيض
البشرية الى عالم الربوبية ان يقع له في مسيره المرور على هذه الانوار الثلثة التي
مثالها الشمس والقمر والنجوم فهي بوجه منازل السالك الى مطلوبه وبوجه آخر حجب منه
عن مطلوبه ما لم يقطعها لم يصل الى عالم الوحدة فالكوكب مثال للطبيعة والقمر مثال
للنفس والشمس مثال للعقل فان لله سبعين حجابا من نوره لا يصل السالك الى
واحد منها الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم في قصته المشهورة
المذكورة في القرآن وليس المراد بها هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر
ويعلمها ويعلم انها ليست الهة وكثير من جهال الناس يعلمون انها ليست الهة فمثل
ابرهيم على نبينا وعليه السلم لا يغره الكوكب في اصغر النيرات الحسية هو الكوكب فاستعير

نقط

نقطة الكوكب لاصغر الانوار الملكوتية وهي متكثرة حسب تكثر الاجسام الطبيعية متفاوتة
والكواكب ايضا متكثرة واعظمها الشمس فاستعيرت لاعظمها وهو العقل والعقل المفارق واحد عندنا
ومع وحدته عين الاشياء كلها وبينهما رتبة القمر فاستعير للنفس والقمر واحد بالذات كثير بالاشكال
والمنازل كذلك النفس واحدة من جهة العقل كثيرة من حيث الطبيعة فلم يزل شيخ الانبياء عليهم السلم
لما راى ملكوت السموات لقوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض كان يصل
من نور الى نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه وصل ثم ينكشف له ان ما وراءه امر اجل منه
فيترقى اليه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا حجاب بعده ووصول الى ما وراءه فقال
هذا اكبر فلما ظهر انه مع عظمه وشدة نوريته غير خال عن الافتقار الى المبدأ والتنزل ومن
المهوى في حضيض القصور عن درجة الكمال الاقصى قال لا احب الآفلين اني وجهت وجهي الآية
وسالك هذا الطريق قد يعثر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يعثر بالحجاب الاول
كالطباعية والدهرية فانهم الله وهم من اول الحجاب عن العبد الذي له قلب معنوي هو النفس
فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله اعني سر القلب ووجهه الذي يتجلى فيه من جهة
الحق كله حتى انه ليتسع جملة العالم ويحيط به ويتجلى به صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره
اشراقا عظيما يظهر به الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول امره محجوب بمشكوة هي كالساتر
له وهي الطبع فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله الذي هو ما المكتنف
نور الايمان والعرفان فربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى في ذاته من الحسن
والبهاء والسناء ما يبقى متحيرا باهتا كما حكي بعض افاضل الحكماء الاقدمين عن نفسه وربما يدهشه
ذلك بحيث يسبق على لسانه في هذه الدهشة فيقول مثل قول المنصور وشبهه فان لم
يتضح له ما وراء ذلك اغتر به وهلك وكان التبس عليه المتجلي بالمتجلى فيه كالتبس المتجلي
في المرآة بالمنطبع فيها فيظن ان الصورة في الحديد وبهذه العين قد نظر النصارى في عيسى
وبعض الغلاة في علي عليهما السلم والله ولي العصمة والتوفيق واما قوله عليه السلم وقال
وهو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم
ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون فاعلم
اولا ان المطلوب في هذه الآية وهو النظر في كيفية خلقة الانسان هو من جملة الامور
التي شرح على الاجمال في الاشياء الثمانية المذكورة في الآية المتقدمة فان من جملة المذكورات
وبث فيهما من كل دابة والانسان بجنبة حيوانيته المشترك من جملة الدواب لكونه مما يدب
على الارض وانما يزيد عليها بفضيلة صورة اخرى زائدة على الحيوانية بها يمتاز عن غيره
فاعلم ايضا ان الفرق بين هذه الآية والآية التي نقلنا في كيفية خلقة الانسان
وتدرجه في الاطوار ان الكلام في الاولى كان من جهة الصورة وههنا من جهة المادة

فذكر الله هناك صورة بعد صورة متدرجة في الشرف والكمال الى ان انتهت الى صورة
هي اشرف واكمل من الصور السابقة التي كلها من اطوار هذه النشأة وهي آخر اطوار هذه
النشأة واول اطوار النشأة الاخروية ولذلك اردف ذكره بقوله فتبارك الله احسن
الخالقين تنبيها على ان في الانسان طورا خارجا عن هذه الاطوار وله اطوار اخرى في
عالم الامر واما الكلام فيه هنا ففي جهة المادة واحتياجها والمادة شأنها القوة والامكان
دون الوجود والفعلية فلا بركة ولا شرف فيها بما هي مادة ولهذا لم يذكر هنا تبارك
فاذا علمت ان المذكور في هذه الآية هي المادة المتغيرة التي تلزمها الحركة والزمان الذي
هو مقدار حركتها فاعلم ان الله تعالى في ذكر كيفية تكون هذا البدن من ابتداء كونه نطفة وجنينا
والنطفة متكونة من التراب فذلك التراب صار نطفة ثم علقة ثم بعد كونه علقة
لمراتب كثيرة الى ان ينفصل من بطن الام الصغرى ويمكث في الدنيا التي هي بطن الام
الكبرى ومقدار ذلك المكث هو عمره في الدنيا كما ان تسعة اشهر ونحوها كان مقدار مكثه
في بطن امه المستلزم لحركاته الكونية والكمية واما عمره الآخرة فلا نهاية له فرتبه في العمر
على ثلث مراتب حسب اختلاف استحالاته الكونية اولها ان يكون طفلا وثانيها ان يبلغ
اشده وثالثها الشيخوخة وهذا ترتيب صحيح مطابق للعقل وذلك لان الانسان في اول
عمره يكون في التزايد والنشوء والنماء قوة وكما وليس انه يزيد في المقدار دون القوة
الطبيعية المنمية كما توهم بعضهم لان المقدار اثر للقوة وفاعله القريب هي القوة
النباتية المسخرة للقوة الحيوانية والانسان الى ان يكون طفلا فهذه المدة هي مدة الطفولية
والمرتبة الثانية ان يبلغ الى كمال النشوء من غير ان حصل فيه نوع من انواع الضعف وهذه
المرتبة هي المراد من قوله ثم لتبلغوا اشدكم وهو الاشد الصوري الذي لا يكون
قوة الحيوانية الظاهرة في وقت من اوقات عمره اقوى منها في هذا الوقت ويقال له
وقت الشباب وهو من ابتداء البلوغ الصوري الى اوان انحطاط هذه القوة والمرتبة
الثالثة ان تراجع هذه القوة لاجل توجه الباطن لحدوث قوة اخرى من نوع آخر فيه
الى النشأة الآخرة فيظهر اثر من آثار الضعف والنقص فيه ويتزايد بعده شيئا
فشيئا وهذه المرتبة هي المراد من قوله ثم لتكونوا شيوخا واذا عرفت هذا عرفت
ان مراتب العمر بحسب هذا التقسيم لا يزيد على هذه الثلثة وعلمت من تقريرنا سر ان
الموت طبيعي للانسان وان ليس منشأه كما ذكره الاطباء والطبيعيون من ان الحرارة
الغريزية تفني الرطوبة الغريزية شيئا فشيئا ثم تفنى هي بنفسها لفناء محلها وهي الرطوبة
او انها تنغمر بزيادة الرطوبات او بان النطفة التي هي مادة لبدن الانسان جسم
مركب ذو نضج تام اذ وقع هضمه في خمس مراتب اربعة منها لان يصير غذاء والخامسة

لان

لان يصير مادة لتكون المثل فان مادة المني هي فضلة الهضم الرابع فاذا وقعت في
اوعية التوليد كالرحم وكالخصية استحالت نطفة بهضم خامس ثم تزيد مقدارها بورود الغذاء اليها
وليس لحكم ما يرد اليها من الغذاء في النضج والاعتدال ما ينقص عنها بالتحليل فما دام شيء منها باقيا
في البدن كانت الحيوة باقية ولنسبة قوة الحيوة وضعفها على نسبة ما بقي منها في البدن زيادة او نقصانا
او بان القوى الجسمانية لا بد وان تنتهي فلا يمكن دوام العمر ابدا او بحكايات من احكام النجوم وغيرها
وكذا هذا وكل ذلك وجوه لا تعويل عليها واما عندنا فمعنى حقيقة الموت وكونه طبيعيا ان الا
بحسب الغريزة الفطرية يتوجه نحو النشأة الآخرة ويسلك سبيل الحق تعالى راجعا اليه كما نزل
منه واليه الاشارة في مواضع من القرآن وكل حركة الى غاية لا بد ان يقع المرور على المنازل
والمراحل المتوسطة فاذا اشتغل من كل طور من اطوار هذه النشأة الى الذي فوقه فبالضرورة
ينتهي الى آخر الاطوار الدنيوية فاذا انتهى الى ذلك الحد فلا يمكن الوصول الى الذي فوقه الا
بالموت عن هذه النشأة بالكلية والارتحال الى اوائل النشأة الاخروية وما فوقها من القبر
والبرزخ والحشر والنشر والعرض والحساب وغير ذلك فهذا معنى كون الموت طبيعيا
واليه الاشارة فيما ورد من قوله الموت حق قال صاحب الكشاف في قوله ثم لتبلغوا
اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبعثكم لتبلغوا اشدكم ثم قال ومنكم من يتوفى من قبل
اي من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الحالات اذا خرج سقطا ثم قال ولتبلغوا اجلا مسمى معناه
ويفعل ذلك لتبلغوا الاجل المقدر في عالم التقدير فيحتمل ان يراد بهذا الاجل هو لقاء الحق تعالى
الذي هو الغاية الاخيرة لخلقة الانسان كما في قوله من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت
وقيل هو وقت الموت طبيعيا كان او اختراميا وقيل يوم القيمة واعلم ان هذه الاجال
كلها للغاية الذاتية لا للجود العاجلة كما ظن من لا عرفان له بكيفية نشأة الانسان فقوله
ولعلكم تعقلون بعد هذه الاحوال لا يبعد ان يكون اشارة الى صيرورة الانسان جوهرا
عقليا بل عاقلا بالفعل عارفا بنفسه وربه هي غاية خلقته وآخر نشأته واطواره وقد
فسره الزمخشري ومن في طبقته ان المراد ولعلكم تعقلون ما في هذه الاحوال العجيبة من انواع
العبر وقيام الدلائل وهذا ايضا محتمل صحيح مناسب للمقام لكن ما ذكرناه من الوجه الدقيق
التي لا ينافي ذلك ويناسبه سوق الآية وما بعدها ايضا من قوله هو الذي يحيي ويميت
فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فان العقل من عالم الامر وعالم القضاء وكل ما هو
كذلك فوجوده بمجرد كلمة كن وهي كلمة وجودية لا يفتقر ما يكون بها الى مادة جسمانية بل نفس
وجوده نفس الكلمة كما قال في وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقوله اليه يصعد الكلم
الطيب اشارة الى الارواح المجردة الانسانية وفي الحديث عنه صلعم اعوذ بكلمات الله
التامات كلها من شر ما خلق اشارة الى جواهر العقول التامة الوجود من حيث انه ليس لها

كمال منتظر كالنفوس بما هي نفوس فظهر ان قوله تعالى لعلكم تعقلون يحتمل ان يكون اشارة
الى ان غاية هذه الاكوان وجود العقل وذات العاقل مع قطع النظر عن تعقله وقوله يحيي و
يميت يحتمل ان يكون اشارة الى الاكوان الوجودية الجوهرية التي هي قبل النشأة العقلية
فان حدوث كل نشأة يستلزم موتا عن نشأة وحيوة في نشأة اخرى بعد الاولى كما في قبل
الاستحالات الواقعة للانسان من كونه ترابا ثم نطفة ثم علقة الى كونه عاقلا يحصل تدريجا على
حسب احوال المادة واستعداداتها واما صيرورته عاقلا فانما يوجد دفعة بامر الله وقوله
كن بلا مادة وحركة قوله عز وقال ان في اختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء
من رزق فاحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون اعلم ان
المذكور في هذه الآية ايضا بعض من الاشياء الثمانية المذكورة في الآية الاولى وهي ثلثة
احدها قوله ان في اختلاف الليل والنهار وقد مر تفسيره وثانيها قوله وما انزل الله
من السماء من رزق فاحيى به الارض بعد موتها وقد سبق ما في معناه وما يتعلق به من
الشواهد والآيات لكن اورد ههنا بدل الماء الرزق وهو اعم من المشروب والماكول
فذلك اما من جهة كونه نفس الرزق او وسيلة اليه ويحتمل ان يكون المراد منه المرزوق
التي في الارض من انواع ما يتغذى به الحيوان وغيره لانها ايضا نازلة من السماء اما من جهة
ان هذه السفليات موجودة في العلويات بنحو آخر من الوجود يناسب ذلك العالم
او من جهة ان اسباب وجودها منبعثة من هناك وثالثها قوله وتصريف الرياح وقد مر
ذكر معناه والدلائل التي فيه قوله عز وقال يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات
لعلكم تعقلون اما قوله تعالى يحيي الارض بعد موتها فقد مضى ذكره في الآية الاولى وكونه من
الدلائل والآيات ويحتمل ان يكون المراد به ههنا حيث انه وقع في سورة الحديد بعد
الآيات المشتملة على الوعظ والنهي عن الغرور والحث على خشوع القلب بذكر الله
وازالة قساوته والاجتناب عن مماثلة ذوي القلوب القاسية احياء القلوب العرفا[نية]
بحيوة العلم والعرفان بعد موتها وقساوتها فان العلم بالله واليوم الآخر حيوة حقيقية
للروح دائمة والقساوة والجهل موت حقيقي دائم لها فهما احق بان يطلق عليهما اسم الحيوة
والموت من الحيوة والموت الحسيين كما في قوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها فاستعير لفظ الارض
للقلب اعني النفس الانسانية القابلة لانوار العلوم للمشابهة والاشتراك في معنى
القبول للحيوة وغيرها ويحتمل ايضا ان يكون الكلام تمثيلا والمعنى ان القلوب التي مات[ت]
بسبب الجهل والقساوة فالمواظبة على ذكر الله والعرفان به والخشوع له يحييها
كما يحيي الارض بعد موتها بسبب الامطار وقوله قد بينا لكم الآيات اشارة الى

الآيات

الآيات المذكورة من هذا القبيل في مواضع اخرى من القرآن او سورة الحديد وقوله عليه السلم
وقال وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون الجنة من الاجتنان وهو الستر
لتكاثف اشجارها وتظليلها بالتفاف اغصانها وبه سمي الجن لاستتارهم عن الابصار ومنه
قوله فلما جن عليه الليل ومنه المجن وهو الترس لانه يواري حامله اي يستره والميم زائدة
ومنه الجنون لانه يستر العقل وفي الحديث الصوم جنة من النار وفيه ايضا الصدقة كمثل
رجلين عليهما جنتان من حديد اي وقايتان وفيه ايضا الامام جنة لانه يتقي المأموم وفيه تجن
بنانه اي يغطيه ويستره فالتركيب لا يخفى انما وقع وكيف وقع والصنو بالفتح زبل
كبر وقيل هو شبه السلة المطبقة وبالكسر بمعنى المثل وفي حديث العباس فان عم الرجل
صنو ابيه وفي رواية العباس صنو ابي واصلان تطلع نخلتان من عرق واحد جمعه
صنوان صدر هذه الآية قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات والمذكور هنا ايضا
يصلح لان يكون تفصيلا لبعض ما ذكر في تلك الآية فيكون هذه الامور متعلقة اما بقطع
متجاورات وهي اقسام الارض فيكون من جملة احوال الارض ودلائلها او بانزال
الماء من السماء لتعلق الغايات بمبادئها وتعلق الصور المختلفة بمادتها المشتركة واما باحياء
الارض بعد موتها فيكون تعلقها به تعلق صورة الشيء وكماله به فان المذكورات من
الجنات والاعناب وغيرها هي زينة الارض وآثار حيوتها وكمالها ووجه الاستدلال
بها على التقدير الاول انه جعل في الارض قطع متجاورات متشابهة في طبيعة الارضية
وهي مع ذلك قبلت اوصافا متضادة ثم طبايع متخالفة المبنية اما الصفات
فبعضها طيبة واخرى سبخة واخرى رخوة واخرى صلبة وبعضها حجرية واخرى رملية
واما الطبايع ففي الاعناب والزروع والنخيل وغيرها وربما حصلت هذه الانواع
المختلفة في قسم واحد من الارض فلا يجوز ان يكون حدوث هذه الاوصاف و
الطبايع للطبيعة الارضية لتشابه اجزائها في تلك الطبيعة سيما القطع المتجاورة
ولا الى الاتصالات الكوكبية والاوضاع السماوية لانها لا تختلف بالقياس الى المواضع
المتجاورة فتاثير الشمس والقمر والنجوم في تلك القطع متماثلة او متشابهة فلابد من مدبر
مدبر حكيم وصانع عليم محيط علمه بكيفية نظام الكائنات وانحفاظ الانواع على احسن وجه
واكمله واما على التقدير الثاني اي تقدير تعلقها بانزال الماء من السماء فتقريره انه هناك
من ان الماء طبيعة واحدة يحصل منها في موضع واحد او قطع متجاورة من الارض في
الثمار المتخالفة الطبايع التي تسقى بماء واحد بل نقول هنا ما هو اعجب من ذلك وهو
انه يوجد ورق واحد في بعض انواع الورد ما يكون احد وجهيه في غاية الحمرة والوجه

الثانية في غاية الصغر مع كونه في غاية الرقة ويوجد في ورق واحد بعضه في غاية السواد
ويستحيل ان يقال ان تاثير الشمس وصل الى احد وجهيه دون الآخر او الى احد جسميه
دون الآخر ومن هذا الباب الاختلاف الواقع في ريشة واحدة من ريش الطواويس
فيمتنع ان يسند هذه الاختلافات الا الى التصورات العالية لهذه الاعيان وصفاتها
التي تنزل آثارها وتقع ظلالها ورشحاتها الى هذا العالم وفي هذه الامور واما في التقدير
الثالث فهو كما عينه تعالى وعلمنا اياه من قوله ان الذي احياها لمحيي الموتى فيثبت به وجوده في
نشأتي المبدائية والمرجعية جميعا فيحصل بالنظر اليه الايمان بالله وباليوم الآخر
اما الاول فبان يقال المحيي للارض بعد موتها بالنباتات وغيرها لمحيي للانسان
بالحيوة الابدية بعد موته بالعلوم والمعارف والمحيي للانسان كذلك لا يكون الا ما هو
بري من النقص والقصور وهو الله تعالى ولهذا التقرير معنى آخر اوثق من هذا وان كان
مرجعهما واحدا وهو ان الانسان في اول النشأة عقل بالقوة فاذا صار عاقلا
بالفعل خرج من حد القوة الى الفعل وكلما يخرج من قوة الى الفعل يحتاج الى مخرج اياه منها اليه
فان لم يكن مخرجه بريئا من القوة فلا بد ان ينتهي اليه دفعا للدور او التسلسل فكما لا بد
في وصل وجوده الجسماني وحيوته الحسية من موجد غير جسماني خالق للاجسام وصورها
فلا بد ايضا في تكميله عقلا بالفعل وحيوته العقلية من مبدأ بري من النقايص والامكانات
فياض للعقول والمعقولات واما الثاني فلما سبق بعد ما تقرر ان للطبايع غايات
ذاتية تتوجه اليها وللحركات والاشواق الجبلية نهايات ينتهي اليها وهو ان هذه
الاستحالات والاطوار الانسانية حركة ذاتية واستحالة جوهرية مستلزمة لان يقع
بها الخروج من هذه النشأة الى نشأة اخرى فانها ابتدأت من اخس الاشياء وهو التراب
الى النطفة ثم الى العلقة ثم الى المضغة وهكذا تدرجت في الوجود من الاخس فالاخس
الى الاشرف فالاشرف الى ان صار جوهرا ناطقا مدركا لحقايق الامور فهل يجوز
عند عاقل له ادنى تامل ان ينحصر تحولات الانسان على هذا الحد ثم يبطل ويموت
من غير ان يبعث في الآخرة فبالضرورة لنشأة اخرى بل لنشآت اخروية
يرجع بها الى ربه كما قال وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون وهذا مجمل تفصيله
كما قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا
النطفة علقة ثم خلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم
انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم
انكم يوم القيمة تبعثون وقال في موضع آخر ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون
قوله عليه السلم قال ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به

الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون قوله خوفا اي من الصاعقة وللمسافر
وطمعا اي في الغيث وللمقيم ونصبهما للعلة لفعل لزم المذكور فان ارادتهم يستلزم رويتهم
اوله على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة و
الاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او الحال مثل كلمته شفاها اعلم ان البرق من الامور
التي تكون من السحاب المذكور في الآية الاولى فهو من جملة آيات السحاب كما مر وله
في نفسه آيات ايضا منها انه نار محرقة وليس في السحاب الا هواء وماء ومن خروج
النار منها بحيث تحرق الجبال في غاية البعد فلا بد من خالق فوق الطبايع والاجسام ومنها
انه قالت اتباع الفلاسفة السحاب فيه كثافة ولطافة بالنسبة الى الهواء والماء فالهواء
الطف منه والماء اكثف فاذا هبت ريح قوية تخرق الماء بعنف فيحدث صوت الرعد
وتخرج منه النار لمساس جسم جسما بعنف كما ان النار تخرج من وقع الحجر على الحديد
فان قيل الحجر والحديد صلبان والسحاب والريح جسمان لطيفان فيقال لكن حركة
يد الانسان ضعيفة وحركة الريح قوية تقلع الاشجار ونحن نقول هب ان حركة
الريح من اسباب حدوث البرق لكن الكلام في جسمية البرق وصورته النارية
وقد علمت ان فاعل الاجسام وصورها هو الله تعالى لا غير ثم معلوم عند ذي البصيرة
ان هذه الحركة الشديدة ليست منبعثة من طبيعة الريح ولا من جسم آخر مجاورها حتى
يكون طبيعية او قسرية بل من اسباب علوية تفيدها قوة تسخين وحركة شديدة
فينتهي الى السماويات ثم الى محركها ثم الى الله سبحانه بتوسط الملائكة العلوية والسفلية
ومنها الصاعقة الحادثة من هذه الحركة كانت قبل الحدوث جسما لطيفا ناريا او دخانيا
وكذا عند الحدوث حتى انها تنفذ في الزجاجة والقطن المندوف من غير كسر وحرق
فاذا وصلت الى المكان وسكنت يكون جسما اصلب من الحجر والحديد وهذا امر عجيب
خارج عن ان ينسب ايجاده الى غير الله سبحانه واعلم ان الانسان عند ما نظر
الى حدوث الامطار بعد انعقاد السحاب والرعد والبرق بعد ما قرع سمعه
من طريق الشرع ان ملكا يزجر السحاب ويسوقه الى المواضع ويضربه بسوطه
ليمطر وهذا الرعد صوت ضربه والبرق نار تحدث من حركة سوطه فاذا كان
له تحدس قلبي واستبصار باطني يعلم يقينا ان ما ورد في هذا الباب حق وصدق
وفي الادعية السجادية على قايلها السلام والتحية حيث يذكر انواع الملائكة العلوية
والسفلية وقبايلهم فذكر اولا حملة العرش واسرافيل وميكائيل وجبرئيل
ووصفهم باوصافهم التي كانوا عليها ثم ذكر الروح الذي هو على ملائكة الحجب والروح
الذي هو من امر ربه ثم جاء الى الملائكة الذين من دونهم وقال انهم من سكان السموات واهل

الرسالات ووصفهم باوصافهم ثم شرع بعد ذكر الملائكة الساكنين في بطون السموات في ذكر الملائكة
السفليين فقال والذين هم على ارجائها اذ انزل الامر بتمام وعدل وخزان المطر وزواجر السحاب
والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود واذا سبحت به حفيفة السحاب التمعت صواعق
البروق واعلم ان في الملائكة وهي انه كما قدم ذكر السماء على الارض قدم ما هو من عالم السماء
وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات والاحياء قوله عليه السلم وقال قل تعالوا
اتل ما حرم عليكم ربكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق
نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون اقول ان الكلام ههنا في موقعين احدهما في صحة الاية
وتفسيرها وثانيهما في وجه ذكرها بعد تلك الايات الدالة على التوحيد والربوبية اما
الاول فنقول قال صاحب الكشاف تعال من الخاص الذي صار عاما فان اصله ان يقول
من في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر وعم وما في قوله ما حرم ربكم منصوبة وفي ان وجهها
وجهان الاول انه منصوب بقوله اتل والتقدير اتل الذي حرم عليكم والثاني انه
منصوب بحرم والتقدير اتل اي الاشيا حرم عليكم فان قيل قوله ان لا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما اجمله في قوله ما حرم وذلك غير صحيح لان ترك الشرك
والاحسان بالوالدين واجب لا محرم الجواب لما اوجب ترك الشرك والاحسان
اليهما فقد حرم الشرك والاساءة اليهما لان ايجاب الشي نهي عن ضده وبالعكس واعلم
انه تع اوجب في هذه الاية امورا خمسة اولها قوله الا تشركوا به شيئا ثم قال وبالوالدين
احسانا ثنى بهذا التكليف لان اعظم المنافع على الانسان نعمة الله وتتلوها نعمة الوالدين
لان المؤثر الحقيقي في وجود الانسان هو الله سبحانه وفي الظاهر هو الابوان ونعمهما على
الانسان عظيمة وهي نعمة التربية والشفقة والحفظ عن الضياع والهلاك في وقت الصغر
والنوع الثالث قوله ولا تقتلوا اولادكم من املاق اي من خوف الفقر وصرح بذكر الخوف
في قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق والمراد منه النهي عن الوأد كانوا يدفنون البنات
احيا بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الفقر وهو السبب الغالب فبين فساد هذه العلة بقوله
نحن نرزقكم واياهم لانه اذا كان متكفلا برزق الوالد والولد فوجب على الوالدين
بقية الولد والاتكال في رزقه على الله النوع الرابع قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر
منها وما بطن قال ابن عباس كانوا يكرهون الزنا علانية ويفعلون ذلك سرا
نهاهم الله عن الزنا مطلق علانية وسرا والاولى ان لا يكون هذا النهي مخصوصا بنوع
معين من الفاحشة بل يجري على عمومه في جميع الفواحش ظاهرها وباطنها لان اللفظ عام
ولا موجب للتخصيص النوع الخامس قوله تع ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق

اعلم



اعلم ان هذا داخل في جملة الفواحش الا انه تع افرده بالذكر لفايدة لان الافراد يدل على
التعظيم والتفخيم كقوله وملائكته وجبريل وميكال اذا عرفت هذا فنقول قوله الا بالحق يشعر
بان قتل النفس المحرمة قد يكون حقا والحديث ايضا يوافقه والاصل في قتل النفس الحرمة
وحله لا يثبت الا بدليل منفصل ثم انه تع لما بين احوال هذه الاقسام الخمسة اردفه باللفظ
الذي يقرب الى القلب قبوله فقال ذلكم وصيكم به لما في هذا اللفظ من اللطف وكل ذلك
ليكون المكلف به اقرب الى القبول ثم اتبعه بقوله لعلكم تعقلون اي لكي تكونوا ممن يعقل
فوايد هذه التكاليف والمنافع المترتبة عليها في الدنيا والاخرة واما الموقف الثاني
فنقول في لمية ذكر هذه الاية بعد تلك الايات انه عليه السلم لما بين فضيلة العقل وكونه
غاية خلقة الانسان وان الله تع ذكر ايات تدل على ان كمال الانسان الذي هو كونه
عارفا بالله وتوحيده انما يحصل بالنظر الى عجايب صنع الله في خلق السموات والارض
وما بينهما من الامور الثمانية التي ذكر بعضها اجمالا وبعضها تفصيلا ثم ان للجوهر العقلي
الانساني قوتين قوة نظرية كمالها في ادراك المعقولات والاحاطة بالكليات وقوة
عملية كمالها التنزه عن النقايص والذمايم والتجرد عن الجسمانيات لكن الثانية كالخادم
والفرع للاولى لان كمالها يرجع الى الفناء والصفا كصقالة وجه المراة والاولى كالمخدوم و
الاصل لان كمالها حصول الصور العقلية ونيل الشهود والحضور والتنور بنور الايمان
والعرفان كتجلي صور المبصرات والانوار على وجه المراة فاراد عليه السلم ان يشير
الى انه كما ان غاية الفكر والنظر هو حصول العقل وتكميل الجزء النظري من العاقل فلذلك
الغرض الاصلي والغاية الذاتية في فعل الواجبات وترك المحرمات ايضا انما هو
حصول العقل والعاقل بما هو عاقل لا غير فاورد هذه الاية المشتملة على ذكر جملة من
الواجبات والمنهيات التي كلف الله بها عباده لحصول الكمال العقلي وجه اخر
انه لما ذكر الايات التي وقع الحث فيها للعاقل على النظر والتامل فقط دون العمل
الصالح كانت هناك مظنة ان لا حاجة للانسان في تكميل ذاته وصيرورته عارفا
بالله واياته الى ان يعمل الصالحات وترك السيئات فانه عليه السلم بذكر اية
اخرى يقع فيها الحث بالعمل الصالح والاجتناب عما حرم الله ليعلم ان الكمال الانساني
كما يتوقف على التحلية والتصوير لكن يترتب على التخلية والتطهير والله اعلم بالسراير
قوله عليه السلم وقال هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم
كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون اما صحة الاية فهو انه سبحانه لما
ذكر الايات الدالة على التوحيد فاراد ضرب مثل توضيحا للمقصد على الافهام القاصرة
عن ادراك البراهين العقلية فقال ضرب لكم مثلا من انفسكم وذلك في الحقيقة عبارة

عن ادراكا ومثال جزئي محسوس لامر كلي معقول وذلك لان اكثر الافهام قاصرة عن ادراك
المعاني العقلية للشيء الا اذا مادة محسوسة لكن لا يعرف حقيقة العلم فيقال له انه مثل اللبن
حيث انه غذاء الروح يتغذى به الروح الناقص ويصير به كاملا كما يتغذى باللبن الطفل
الناقص ويصير به كاملا وهو غذاء القلب لا خشية له كاللبن لا نخالة فيه وكما يمثل القرآن
بالحبل المتين والشرع بالقيد وبالجملة مثال الشيء ما اذا نظر الى صورته الظاهرة لم يكن
اياه واذا نظر الى روح معناه وفحواه كان هو ذلك الشيء واكثر القرآن امثال ضرب
للناس ظواهرها حكاية عن حقايقها المكشوفة عند ذوي البصاير قال وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون اذا عرفت هذا فنقول انه لما بين سبحانه
الالهية والوحدانية بالدليل بينها ايضا بالمثل بعد الدليل ومعناه ان من يكون له
مملوك لا يكون ذلك المملوك شريكا له في ماله ولا يكون له حرمة كحرمة سيده
فكيف يجوز ان يكون عباد الله ومخلوقاته شركاء له وكيف يجوز ان يكون لهم عظمة
مثل عظمة الله حتى يعبد واعلم ان هذا مثال ضرب لنفي الشرك في الالهية ولا بد ان يكون
بين المثل والممثل له مشابهة ما ومخالفة ما كما مر ثم ان وجه المخالفة بينهما قد يكون
مؤكدا للمعنى الممثل له وما يلزمه من الاحكام وقد يكون موهنا له وههنا وجه المشابهة
معلوم واما المخالفة فموجودة وهي مؤكدة من وجوه احدها قوله من انفسكم يعني ضرب
لكم مثلا من انفسكم مع حقارتها ونقصانها وحاجتها وقياس نفسه عليكم مع عظمته
وكماله وقدرته وغناه وثانيها قوله مما ملكت ايمانكم يعني عبيدكم التي لكم عليهم ملك اليد
وهو طار قابل للنقل والزوال اما النقل فالبيع ونحوه واما الزوال فبالاباق والعتق
ومملوك الله لا خروج له من ملكه بوجه من الوجوه فاذا لم يجز ان يكون مملوككم شريكا لكم
مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل في الحال هو مثلكم في الانسانية حتى
انه ليس لكم تصرف في روحه وآدميته تصرف قتل وقطع وليس لكم منعه من
العبادة وقضاء الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع
الوجوه شريكا له وثالثها قوله من شركاء فيما رزقناكم يعني الذي لكم هو في الحقيقة ليس
لكم بل هو لله ومن رزقه والذي هو في الحقيقة له فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك
فيما لكم من حيث الاسم فكيف يجوز ان يكون له شريك في ماله من حيث الحقيقة وقوله
فانتم فيه سواء اي بل انتم ومماليككم في شيء مما تملكون انتم سواء ليس كذلك فلا
يكون لله شريك في شيء مما يملكه لان كل شيء فهو لله فما تدعون الهيته لا يملكون شيئا
اصلا ولا مثقال ذرة من خردل واما قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فليس كذلك لان
المملوك ليس له عندكم كحرمة الاحرار واذا لم يكن حال المماليك مع مساواتهم لكم

في الحقيقة والصفة حال الاحرار في الحرمة فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة
بينهم ومالكهم بوجه من الوجوه في الحرمة عنده ولذلك قال من ذا الذي يشفع عنده الا
باذنه والى هذا اشار بقوله تخافونهم كخيفتكم انفسكم وقوله كذلك نفصل الآيات اي
نبينها بالدليل والبراهين القطعية وبالامثلة والحكايات الاقناعية لقوم يعقلون
اي لا يجتني الثمر بعد ذلك الا من له عقل واما قصده وغرضه عليه السلم من ذكر هذه الآية
ههنا فالتنبيه على شرف العقل وانه الباعث على تفصيل الآيات والعاقل هو المقصود
في الخطاب ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى المقاصد والبراهين المذكورة في الآيات
السابقة وهي علوم شريفة غامضة ويكون اللام للاختصاص والمراد انا نفصل مثل
هذه الآيات اللطيفة والاسرار العظيمة لقوم عقلاء من اهل العلم والمعرفة لانهم في الحقيقة
ينتفعون بها دون غيرهم **المشهد الرابع** في الموعظة الحسنة والترغيب في الآخرة
والتزهيد عن الدنيا ولذا قال عليه السلم يا هشام ثم وعظ اهل العقل ورغبهم
في الآخرة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا
تعقلون قد علمت ان كمال الانسان منوط بامرين الاحاطة بالمعلومات والتنزه عن
التعلقات فالزهد وهو عبارة عن قطع التعلق بالدنيا عن النفس لا عن قطع الدنيا
او انقطاعها بالموت ونحوه مع بقاء التعلق من اعظم المقامات بعد العلم ومنشأ
العلم ايضا قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير فنسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقوله
ثم وهو للتراخي يعني انه تعالى بعد ان علم اهل العقل طريق العلم والعرفان وبين
لهم الآيات الدالة على التوحيد والايمان بالبرهان زهدهم عن الدنيا ورغبهم في الآخرة
بالموعظة الخطابية اذ يكفي الخطابيات فيما يتعلق بلواحق ما علم بالبرهانيات فقال سبحانه
ترغيبا لهم في الآخرة وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وهذه مقدمة خطابية استعملت
لان يستدل بها على وجوب الرغبة في الآخرة وانما قلنا انها خطابية مع انها حقة
ثابتة عندنا وعند كثير من اهل الحكمة من كون الدنيا باطلة لا حقيقة لها لان اكثر الناس
لا يمكنهم تعقل ذلك من طريق العلم واليقين فلا منافاة بين كون المقدمة برهانية
في نفسها خطابية بالقياس الى طائفة واعلم ان الآيات والاخبار في فضيلة الزهد
وذم الدنيا كثيرة وقد نبه الله سبحانه على دثور الدنيا وهوانها وخستها وبطلانها
بان مثلها تارة بالسراب في ارض بقيعة يحسبه الظمآن ماء وتارة ببيت العنكبوت
وتارة بالاحلام والمنامات وتارة بالظلمات وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال في وصف

ذلك

الكفار الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة فمفهومه ان المؤمن من تضعيف بغض
ويستحب الآخرة على الدنيا وعن ابي عبد الله ع قال من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة
في قلبه وانطق بها لسانه وبصّره بعيوب الدنيا داءها ودواءها سالما الى دار السلام
وهذا الحديث يدل بالمفهوم على ان البصير بعيوب الدنيا هم الحكماء وعنه ع جعل
الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وعنه ع قال رسول الله ص الدنيا
دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له وقيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله ينابيع
الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه ولما قال حارثة لرسول الله ص انا مؤمن حقا فقال ما حقيقة
ايمانك قال عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها فكاني في الجنة والنار
وكاني بعرش ربي بارزا فقال ص عرفت فالزم عبد نوّر الله الايمان في قلبه هذا مضمونه
وقد روي بلفظ آخر اطول كما في هذا الكتاب وللزهد درجات مختلفة قوة وضعفا
حسب درجات الاقسام بالقياس الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه
ليس ههنا موضع تلك التفاصيل والدرجات في الاقسام وان فصل الله في
الاجل نرجع اليه في باب ذم الدنيا واعلم ان البرهان على كون الدنيا وما فيها
فانية لا بقاء لها هو ان هذا الكون اعني الوجود الطبيعي المادي كون ناقص مكانا وزمانا
اما الاول فلان كل جسم مادي له اجزاء خارجية او وهمية وكل منها غائب معدوم
عن صاحبه وبالعكس والكل ليس الا جميع اجزائه المعدودة كلها عن كلها فالكل
معدوم عن نفسه ولهذا ليس فيه ادراك وجودي لان الادراك عبارة عن
الوجود الحضوري لشيء او لصورته وما لا يدرك نفسه لا يدرك غيره فهذا العالم
عالم الموت والجهالة وكل علم وحيوة يوجد للاجسام الدنيوية فهي عارضة لها من جهة
النفوس المتعلقة بها ضربا من التعلق وجواهر النفوس من عالم الآخرة عالم الحيوة
والعلم واليه اشار بقوله تع وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون واما الثاني فقد اقمنا البرهان في كتبنا العقلية على ان
الطبايع الجسمية فلكية كانت او عنصرية متجددة الوجود والحدوث في كل آن
فبقاؤها عين حدوثها وتجددها ووجودها نفس زوالها والمادة والاعراض تابعة
للطبايع فاذن الدنيا دار زوال بخلاف النشأة الآخرة فانها دار ثبات وقرار

المشهد الخامس في تخويف من لا يعقلون بتدمير امثالهم وانزال الرجز من
السماء على الفاسقين لان يكون آية يعتبرها العاقلون قوله عليه السلم يا هشام ثم
خوّف الذين لا يعقلون فقال تع ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل افلا تعقلون اشارة الى قصة قوم لوط اذ غضب الله عليهم ونجى منهم لوطا

واهله

واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الباقين وانما ذكر هذه القصة ليخوف مشركي
مكة وغيرهم من الحمقى الجاهلين حيث راوا قرية سدوم مصبحين ممسين وان الذين كفروا غرقوا وهلكوا
والذين آمنوا نجوا ومعناه يا اهل مكة انكم لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان السدوم
في طريقه مصبحين اي داخلين في الصباح وبالليل اي وقت او نهارا وليلا ولعلها وقعت قرب
منزل يمر بها المرتحل عنها صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون اي افليس معكم عاقل او فيكم
ذو عقل حتى تعتبروا وهذه الآية الظاهرة الجلية قوله عليه السلم وقال انا منزلون على اهل هذه
القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون هذه ايضا
متعلقة بقصة لوط لما ذكر سبحانه قولهم انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين
عقب هذه البشارة بتنجيته وقومه ببشارة اخرى هي انزال الرجز على اعدائه واختلفوا
في ذلك فقال بعضهم حجارة وقيل نار وقيل خسف وعلى هذا لا يكون عينه من السماء وانما
يكون مبدأه او القضاء به من السماء بل اكثر هذه الامور ليست اعيانها نازلة من السماء وانما
كانت حقائقها ومباديها موجودة في عالم القضاء ثم في السماء نزلت منها الى الارض
وهي في كل عالم بصورة تناسبها كما اشير اليه آنفا وان كلام الملائكة مع لوط ع جرى
على نمط كلامهم مع ابرهيم ع قدموا البشارة له على الانذار والتخويف لقومه حيث قالوا
انا منجوك ثم قالوا انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا ولم يعللوا التنجية بشيء كما عللوا
الانذار بقولهم بما كانوا يفسقون فما قالوا انا منجوك انك نبي او موحد او عابد ولعل
النكتة فيه ان الرحمة بالذات فلا تعليل فيها والغضب عرضي انما يثبت لعلة قوله تعالى
ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون اي تركنا من القرية اذ القرية وحدها الا الاسود
وهي بين القدس والكرك آية واضحة ليعتبرها اهل العقل **دقيقة قرآنية**
وهي ان الله جعل في هذه السورة الآية في نوح وابرهيم عليهما السلم بالنجاة حيث قال
فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وقال فانجاه الله من النار ان في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون وجعل ههنا الهلاك آية والنكتة هي ان الآية في ابرهيم ع كانت
في نجاته من النار لكون صيرورة النار بردا وسلاما امرا آتيا عجيبا ولم يكن في ذلك
الوقت اهلاك لاحد واما في نوح ع فلان الانجاء من الطوفان وهو علا الجبال باسرها امر
عجيب الهي وما به النجاة وهو السفينة كان باقيا والغرق لم يبق لمن بعده اثر فجعل الباقي
آية واما ههنا فنجاة لوط ع لم يكن بامر يبقى اثره للحس والهلاك اثره محسوس في البلاد
فجعل الآية ههنا الامر الباقي في البلاد وهناك السفينة وههنا لطايف اخرى احدها
وهي ان آية قدرة الله موجودة في الانجاء والاهلاك فذكر من كل باب آية وقدم آية
الانجاء لانها اثر الرحمة على ما هو دابه من تقديم الرحمة على الغضب وثانيها قال في السفينة

حبلنا آية ولم يقل بينة وقال ههنا آية بينة لان الانجاء بالسفينة ربما يقع في وهم جاهل انها
لا يفتقر الى شيء آخر الهي واما الآية ههنا وهي الخسف وجعل ديار معمورة عاليها سافلها فهو
ليس بمعتاد فلا بد فيه من الاعتراف انه من امر الله وثالثها انه قال هناك للعالمين
وقال ههنا لقوم يعقلون لان السفينة موجودة في جميع اقطار العالم فعند كل قوم مثال سفينة
نوح يتذكرون بها حاله واذا ركبوا فيها يطلبون من الله النجاة ولا يثق احد بمجرد السفينة
بل يكون دائما مرتجف القلب متضرعا الى الله طلبا للنجاة واما اثر الهلاك في هذه البلاد
ففي مواضع مخصوصة لا يطلع عليها الا من يمر بها ويصل اليها ويكون له عقل يعلم ان ذلك
من امر الله وقدرته لاختصاصه بمكان دون مكان وفي زمان دون زمان عبرة

المشهد السادس

في ان العقل لا ينفك عن العلم وهما متصاحبان قوله عليه السلام يا هشام ان
العقل مع العلم فقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون
قد علمت ان العقل بجميع معانيها المختلفة مستلزم للعلم مطلقا وفي بعضها عين العلم
العقل البسيط القرآني الذي هو اشرف اقسامه عبارة عن وجود جميع المعلومات
او جلها في ذات واحدة على وجه الاجمال وبعده العقل التفصيلي الفرقاني وهي العلوم
الكلية التفصيلية التي افادها ذلك العقل البسيط الفعال لها وهذه العلوم الصورية
المفصلة موجودة لذلك العقل وجود الفعل لفاعل على وجه مقدس وهي موجودة للنفس
العاقلة وجود الفعل للقابل وجودا زمانيا متغيرا متكثرا ولما كان المراد بالعلم ههنا هو
ادراك المعقولات والغيبيات فلا جرم كان مدركه ذاتا عقلية بسيطة كانت
او نفسية ثم ان المثل كما مرت الاشارة اليه عبارة عن اداء المعنى في صورة ان
نظرت الى معناه وجدته صادقا وان نظرت الى صورته وجدته كاذبا وانما كثر في
القرآن ضرب الامثال لان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب
والملكوت وما من صورة في هذا العالم الا ولها حقيقة في عالم الآخرة وما من حقيقة في الآخرة
الا ولها مثال وصورة في الدنيا اذ العوالم والنشآت متطابقة تطابق النفس والجسد ونحن
الآن نتكلم في الدنيا عن الآخرة ونشرح احوال الآخرة لمن كان بعد في الدنيا بلغة الامثال
ولذلك وجدت القرآن مشحونا بذكر الامثال كقوله ههنا وقوله مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار الآية مثلهم كمثل الذي استوقد نارا مثل الذين ينفقون اموالهم
مثل ما ينفقون مثله كمثل الكلب مثلهم كمثل الحمار ضرب الله مثلا للذين آمنوا ضرب
لكم مثلا من انفسكم الى غير ذلك من الآيات وذلك لان عالم الملك نوم بالاضافة
الى الملكوت كما في قوله عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فالموجودات في الدنيا
امثلة لما في الآخرة كما ان المرئيات في النوم امثلة في هذه الدنيا فما سيكون في اليقظة

لا يظهر

لا يظهر لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير وكذلك ما سيكون في يقظة
الآخرة لا يتبين لك في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال ونعني بكسوة الامثال ما تعرفه من
علم التعبير من اوله الى آخره مثال يعرفك طريق ضرب الامثال وليس للانبياء عليهم السلام
ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم
وقدر عقولهم انهم في النوم والنائم لا ينكشف له الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان
المثل صادق فالانبياء عليهم السلام هم المعبرون لما عليه اهل الدنيا من الاحوال والصفات
وما يؤول اليه عاقبتها في يقظة الآخرة بكسوة الامثال الدنيوية كما ان ابن سيرين هو
المعبر لما رآه الانسان في النوم في كسوة المثل لما ينتهي اليه امره في اليقظة قيل جاء
رجل الى ابن سيرين وقال رأيت كأن في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج
النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر فقال صدقت وجاء آخر فقال
رأيت كأني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها
ففتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر
فاذن جاريته كانت امه وقد سبيت في صغره وقال آخر كأني اعلق الدر في اعناق
الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها وكان كما قال فقد ظهر وتبين لك معنى ضرب الامثال
ولو فتح لك باب الموازنة بين المحسوس والمعقول لانفتح باب عظيم في العلم اذ في معرفة
الموازنة بين العالمين عالم الملك والشهادة وعالم الملكوت والغيب اسرار شريفة
من لم يطلع عليها حرم عليه الاقتباس من انوار القرآن والتعليم ولم يحظ من علمه الا
بالقشور الرؤيا الصادقة جزء من النبوة لان ما يراه النائم الصادق النوم انما يراه
حالما يتجلى له في عالم الغيب شيء مما في عالم الشهادة وعالم الغيب والملكوت هو عالم
النبوة والنبي من يتجلى له تمام الملك والملكوت وكما يتجلى حقائق الاشياء في عالم النوم
بكسوة الامثال كذلك يتجلى في النشأة الآخرة بكسوة الامثال والصور اللائقة بتلك
النشأة ولعل ذلك المؤذن الذي يؤذن في شهر رمضان قبل الفجر يحشر يوم القيمة
وفي يده خاتم من نار يختم به على فمه ويقال له هذا هو الخاتم الذي تختم به افواه الرجال
وفروج النساء ويقول والله ما فعلت فيقال له نعم كنت تفعله ولكن تجهله لان هذا
روح فعلك قد نفخ فيه الصورة في قالبه وهكذا تتمثل وتتصور حقائق الاشياء وارواحها
يوم القيمة بصور تناسبها ويكون الروح في غطاء من الصورة في عالم التلبيس وعالم الحس
والآن كشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد واما قوله لا يعقلها الا العالمون
فالمراد منه ان تلك الامثال المضروبة للناس لا بد ان ينتفع بها العام والخاص
فنصيب العامي من كل مثل ان يدرك ظاهره المحسوس ويقف عليه وينتفع به من غير ان

وربما لا يغضب من المطابقة لا اصله ونصب الخاص ان يدرك باطنه ويعبر من ظاهره الى سره
ومن محسوسه الجزئي الى معقوله الكلي فارباب القشور الظاهرة وهم اكثر الناس لا يدركون من
تلك الامثال الا محسوساتها واما اهل البصائر والعلوم وهم الاقلون كما سمي حيدر كون
معقولاتها كل بحسب حاله ومقامه المشهد السابع في مذمة من لا يعقل اي العقل الاكتسابي
الذي هو ملكة ادراك المعقولات لا العقل المطبوع اذ ربما كان لهم ولكن اعرضوا عن استعماله
فصاروا كالبهايم قوله عليه السلم يا هشام ثم ذم الذين لا يعقلون فقال اذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
واعلم ان كل من اتبع قول الاسلاف والمشايخ بغير بصيرة ولا دليل فهو داخل تحت
هذه المذمة وقد نرى اكثر المنتسبين الى العلم يرجع حاصل علومهم الى تقليد المشايخ الماضين
الذين هم بمنزلة اباءهم في الآية والآية دالة على وجوب الاخذ بالدليل وترك التقليد قال ابن عباس
نزلت الآية في اليهود وذلك حين دعاهم رسول الله صلعم الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا فهم كانوا خيرا منا واعلم قوله تعالى الفينا اي وجدنا بدليل قوله في آية اخرى بل نتبع
ما وجدنا وقوله والفيا سيدها لدى الباب ان الله تعالى امرهم ان يتبعوا ما انزل الله تعالى
من الحجج القاطعة والبراهين الباهرة فهم قالوا لا نتبع آباءنا واسلافنا فكانهم عارضوا الدلالة
بالتقليد فرد عليهم الله بقوله او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فان الواو في قوله
او لو واو العطف دخلت عليه همزة الاستفهام للتوبيخ لانها تقتضي الاقرار ويكون الاقرار
حجة كما يقتضي الاستفهام الاخبار عن المستفهم واعلم ان تقرير الجواب من قولهم من وجوه
الاول ان يقال للمقلد هل تعترف بان شرط جواز تقليد الانسان ان يعلم كونه محقا فكيف
عرفت انه محق ان عرفته بتقليد آخر لزم التسلسل وان عرفته بالعقل فذاك كان ولا حاجة
الى التقليد وان قلت ليس من شرط جواز تقليده ان يعلم كونه محقا فاذن قد جوزت تقليده
وان كان مبطلا فاذن انت على تقليدك لا تعلم انك محق او مبطل وثانيها هب ان ذلك
المتقدم كان عالما بهذا الشيء الا انا لو قدرنا دليل المتقدم ولا نذهب عليه كان لا بد من العدول
الى النظر فكذا هنا وثالثها انك اذا قلدت من قبلك فذلك المتقدم كيف عرفه اعرفه بتقليد
او لا بل بدليل فان عرفه بالتقليد لزم اما الدور واما التسلسل وان عرفه لا بالتقليد بل بدليل
فاذا وجب تقليد ذلك المتقدم وجب عليك ان تطلب العلم بالدليل لا بالتقليد والا كنت
مخالفا له حيث طلبت العلم بالتقليد وهو كان يطلبه بالدليل فثبت ان القول بالتقليد يؤدي ثبوته
يرجع الى نفيه فيكون باطلا وههنا دقيقة وهي انه سبحانه ذكر هذه الآية عقيب الزجر
عن اتباع خطوات الشيطان فدل على انه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين
متابعة التقليد للآباء وفيه اقوى دليل على وجوب النظر والاستدلال والاستبصار وترك

التعويل عليها بقوله الغير من غير دليل وقال بعض الحكماء الاسلاميين من صدق بغير دليل فهو حمار كانه
نظر في قوله سبحانه مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله لا يعقلون
شيئا اي لا يعقلون من المعقول شيئا والمعقولات هي العلوم العقلية والمعارف اليقينية
وليس فيه ذكر العام وارادة الخاص كما زعم الخطيب الرازي في تفسيره مستدلا عليه
بقوله تعالى لا يعقلون شيئا مع انهم يعقلون كثيرا من امور الدنيا فالمراد بقوله لا يعقلون شيئا
اي ليس من شانهم ادراك المعقولات التي هي عبارة عن ذات الله وصفاته وافعاله العظيمة
وكتبه ورسله واليوم الآخر وبقوله لا يهتدون اي لا يهتدون الى طريق اكتسابه قوله تعالى
وقال ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون
هذه الآية متصلة بالآية السابقة والمعنى انه تعالى لما حكى عن الكفار انهم عند الدعاء الى اتباع ما انزل الله
والتدبر فيه تركوا النظر واصروا الى التقليد وقالوا نتبع ما الفينا عليه آباءنا ضرب لهم
مثلا للسامعين انهم انما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الاصغاء وقلة الاهتمام بالدين
فصاروا من هذا الوجه بمنزلة الانعام فكان في هذا التمثيل نهاية الزجر والردع لمن يسمعه
عن ان يسلك مثل طريقهم في اختيار التقليد وترك الاهتمام وعدم تحصيل المعرفة والاستبصار
والنعق مأخوذ من نعق الراعي بالغنم اذا صاح بها واما نغق الغراب فهو بالغين المعجمة ولاهل
التفسير في هذه الآية طريقان احدهما تصحيح المعنى باضمار في اللفظ والثاني اجراء الآية على
ظاهرها من غير اضمار اما الذين اضمروا فذكروا وجوها الاول وهو قول الاخفش وابن قتيبة
كانه قال ومثل الذين يدعون اهل الكفر الى الحق كمثل الذي ينعق فصار الناعق مثل
الداعي الى الحق كالرسول وساير الدعاة الى الحق وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها
ووجه التشبيه عدم فهمهم لما يسمعون كالبهيمة تسمع الصوت ولا تفهم معناه الثاني
مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم من الاوثان كمثل الناعق في دعائه ما لا يسمع ولا يفهم
شيئا من الكلام كالبهائم وما يجري مجراها والبهائم لا تفهم فشبه الاصنام لانها لا تفهم
بالبهائم فاذا كان من دعى بهيمة عد سفيها جاهلا فمن دعا حجرا كان اولى بالذم والفرق بين
هذا القول وما قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهناك الداعي وفيه ان قوله الا
دعاء ونداء لا يساعده لان الاصنام لا يسمع شيئا الثالث مثل الذين كفروا في دعائهم
آلهتهم كمثل الناعق في دعائه عند الجبل فانه لا يسمع الا صدى صوته فاذا قال يا زيد
يسمع من الصدى يا زيد فكذلك هؤلاء الكفار اذا دعوا هذه الاصنام والاوثان لا يسمعون
منها الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء الطريق الثاني فيه وجهان الاول ان يقول مثل
الذين كفروا في قلة عقلهم في عبادتهم لهذه الاوثان كمثل الداعي اذا تكلم مع البهائم
فكما انه يقضي على ذلك الداعي بقلة العقل فكذا هنا الثاني مثل الذين كفروا في اتباعهم

آباءهم وتقليدهم لهم كمثل الراعي اذا تكلم مع البهائم فكما ان الكلام مع البهائم عبث لعدم الفائدة
فكذا التقليد عبث لعدم الفائدة واما قوله صم بكم عمي فقيل فيه انه تعالى لما شبههم بالبهائم
في عدم العقل زاد في تبكيتهم فقال صم بكم عمي لانهم صاروا بمنزلة الصم في ان الذي سمعوه
كان لم يسمعوه وبمنزلة البكم في ان لا يستجيبوا لما دعوا اليه وبمنزلة العمي من حيث انهم اعرضوا
عن الدلائل فصاروا كانهم لم يشاهدوها اقول الاولى بل الحق ان يحمل كلام الله فيما يمكن
على الحقيقة دون المجاز والتشبيه وههنا كذلك فان للانسان غير هذا السمع الحسي سمعا عقليا
يسمع به المعقولات ويدركها ادراكا عقليا وله غير هذا البصر الظاهري بصر عقلي يرى
به الصور العقلية ويشاهدها مشاهدة اجلى واوضح من مشاهدة هذا البصر للصور
الحسية وله ايضا نطق عقلي يتكلم به الاقوال العقلية وهو عبارة عن القابلية للعلوم المفصلة
والاعلام المعقولات فلاهل الله اعين يبصرون بها واذان يسمعون بها وقلوب يعقلون
بها والسنة يتكلمون بها غير ما هي هذه الاعين والاذان والقلوب والالسنة عليها من الصور
كما قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وان المختوم في الازل
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة صم بكم عمي فهم لا يعقلون واشهد ان عيونهم
لفي وجوههم وان اسماعهم لفي اذانهم وان قلوبهم لفي صدورهم ولكن عناية الله ما سبقت
لهم بالحسنى ولم يفتح لهم ابواب السماء قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض وقد ورد في الرواية عن النبي صلى الله عليه اني ارى ما لا ترون وعنه صلى الله لولا
تزييد في حديثكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما ارى ولسمعتم ما اسمع وعن امير المؤمنين ع
رأيته فعبدته لم اعبد ربا لم اره قال سبحانه لتبين للناس ما نزل اليهم واكثر من
هذا البيان الصريح الذي في القرآن والحديث لا يكون لكن اين من يفتح محله عن الحجب
في الذي لا يعتنيه لآثار ربه اين من يعرف الحق من الحق لا من الرجال والشيوخ والاباء هذا
قليل نادر جدا قوله عليه السلم قال ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا
لا يعقلون اعلم انه تعالى قسم الكفار في الاية السابقة على هذه الاية قسمين منهم من يؤمن به
اي بالقرآن باطنا لكن يجحد ومنهم من لا يؤمن به وفي هذه الاية قسم من لا يؤمن قسمين
منهم من في نهاية قساوة القلب وجمود الطبع وخمود نار الذهن ومنهم من لا يكون كذلك
لمكنة استعداد فطري له فوصف القسم الاول فقال من يستمعون اليك لحصول السمع
الحسي لهم مع انهم صم من حيث عدم ادراك المعنى فبين سبحانه لرسوله انه لا جدوى
في اسماعك اياهم آيات الكلام ولا ينفع الانذار والنصيحة لانهم قد بلغوا في مرض
العقل الى حيث لا يقبلون العلاج والطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج اعرض
عنه ولا يستوحش من عدم قبوله العلاج فهم مثل ذلك فاعرض عنهم واليه الاشاره

فيها

فيما قال تع لسان نوح ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم
فكما لا يمكن جعل الاصم سميعا والاكمه بصيرا فكذلك اسماع الايات الالهية غير ممكن لمن بلغ قلبه الى
هذا الحد من القساوة **نكتة** اعلم ان بعض الناس على ان السمع افضل من البصر بهذه الادلة
حين قرن تعالى بذهاب السمع ذهاب العقل ولم يقرن بذهاب البصر فالسمع افضل وهو ضعيف
لان الذي نفاه الله تعالى من السمع ههنا بمنزلة ما نفاه من البصر لانه اراد بصاير القلوب
لا ابصار العيون والذي يبصره القلوب هو الذي يعقله وذكر في هذا الباب دلائل
اخرى منها ان ذكر السمع والبصر اينما وقع في القرآن فانه في الاغلب قدم السمع على البصر
ومنها ان العمى قد وقع في حق الانبياء عليهم السلم واما الصمم فغير جائز لانه يخل باداء الرسالة
ومنها ان السمع يدرك من جميع الجوانب دون البصر ومنها ان الانسان يستفيد العلم
من المعلم والاستاد وذلك لا يمكن الا بالسمع ولا يتوقف على البصر ومنها انه قال تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فجعل السمع قرينا للعقل
لانه المراد من القلب ويؤكده ايضا قوله لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فجعلوا السمع
سببا للخلاص من عذاب السعير مثل العقل ومنها ان امتياز الانسان عن ساير الحيوان
بالنطق والكلام وانما ينتفع بالسامعة لا الباصرة فمتعلق السمع النطق الذي به شرف
الانسان ومتعلق البصر الالوان والاشكال وذلك امر مشترك بينه وساير الاجسام
ومنها ان الانبياء عليهم السلم يريهم الناس ويسمعون كلامهم ولا تثبت نبوتهم برؤيتهم
بل باستماع كلامهم فالمسموع افضل من المرئي فوجب بهذه الوجوه ان يكون السمع افضل
من البصر اقول وفي اكثر هذه الوجوه نظر لطول الكلام بذكره ومن الناس من قال
ان البصر افضل من السمع بوجوه الاول ان في المثل المشهور ان ليس الخبر كالمعاينة
وان ليس وراء العيان بيان وذلك يدل على ان اكمل وجوه الادراك البصر الثاني
ان عجايب حكمة الله في تخليق العين التي هي محل الابصار اكثر من عجايب حكمته في تخليق
الاذن التي هي محل السماع وانه جعل تمام الروح الواحد من الارواح السبعة الدماغية
من العصب آلة للابصار وركب العين من سبع طبقات وثلث رطوبات و
جعل لحركات العين عضلات كثيرة على صور مختلفة والاذن ليس كذلك وكثرة العناية
في تخليق الشيء يدل على كونه افضل من غيره الثالث ان آلة القوة الباصرة هي النور وآلة
القوة السامعة هي الهواء والنور اشرف من الهواء فالباصرة افضل من السامعة الرابع
ان البصر يرى ما فوق سبع سموات والسمع لا يدرك ما بعد منه على فرسخ فكان البصر
اقوى وافضل وبهذا الوجه يدفع قولهم ان السمع يدرك من جميع الجوانب والبصر لا يدرك
الا من جانب واحد الخامس ان كثيرا من الناس يسمع كلام الله في الدنيا ودخلوا في الآ

بل يراه احد منهما وايضا ان موسى ع سمع كلام الله من غير سبق سؤال والتماس ولما سأل
الرؤية قال لن تراني فذلك يدل على ان حال الرؤية اعلى من حال السماع قال ابن الانباري
كيف يكون السمع افضل من البصر وبالبصر يحصل كمال الوجوه وبذهابه يذهب وذهاب السمع
لا يورث في الانسان عيبا والعرب يسمي العينين الكريمتين ولا يوصف السمع بمثله ومنه الحديث
من اخذت كريمتاه اقول ومن وجوه افضلية البصر على السمع ان البصر قوة فعلية بناء على
ما ذهبنا اليه من ان الابصار انما هو بانشاء النفس مثل المبصرات في صقع من ملكوتها
الاسفل والسمع قوة انفعالية والقوة الفعلية افضل من الانفعالية فهذه هي الوجوه
المذكورة من الجانبين والحق في هذا المقام القول فيها بالتفصيل بعد الاستفسار بان يقال
اولا هل المراد منهما العقليتان او الحسيتان وعلى الاخير هل المراد منهما بالقياس الى
نفسهما او بالقياس الى النفس التي تستعملهما وعلى الثاني هل بالقياس الى الحيوان مطلقا
او بالقياس الى الانسان خاصة وعلى الثاني من جهة دنياه او من جهة اخراه وعلى الثاني
من جهة العلم او من جهة العمل وفي هذه النشأة او في النشأة الآخرة ثم بالقياس بينهما في واحد
واحد من الاقسام فيظهر عند ذلك ان الحكم بالافضلية على الاطلاق لواحد منهما بخصوصه على صاحبه
غير سديد كما لا يخفى على اهل البصيرة قوله عليه السلم ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا تحقيق هذه الآية ان الحقيقة في كل نوع
طبيعي من الناس والفرس والفلك والكوكب وغيرها ليست صورته المحسوسة بل معناه
فالانسان انسان بحقيقته الانسانية وروحه النطقي والحمار حمار بروحه البليدة والكلب
كلب بروحه الضارية وكذا في ساير الانواع الطبيعية سيما التي لها نفوس وارواح
غير اجسادها ولكن الانسان يختص من بينها بخصوصية اخرى وهي ان غير الانسان من الحيوان
والفلك والجن وغيره بحيث يكون ظواهرها دائما يطابق معانيها وارواحها بخلاف
الانسان في هذه النشأة فانه قد يقع التخالف بين روحه وبدنه وذلك لكونه قابلا
لاكتساب الملكات والاخلاق فان من فعل فعلا او تكلم بكلام حصل منه في نفسه اثر
وحال يبقى زمانا واذا تكررت الافاعيل من باب واحد استحكمت الآثار في النفس
فصارت الحال ملكة وصورة فيصدر منها بسببها الافعال بسهولة من غير روية وحاجة
الى تجشم كسب جديد بعدما لم يكن كذلك واليه الاشارة في باب الملكة العلمية بقوله
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ومن هذا الوجه يحصل تعلم الصنايع والمكاسب
العلمية والعملية ولو لم يكن هذا التأثر المتلاحق للنفس الآدمية والاشتداد
فيها يوما فيوما لم يمكنها تعلم شيء من الحرف والصنايع ولم ينجع فيها التأديب والتهذيب
في تأديب الاطفال وتمرينهم الاعمال فائدة فتلك الآثار اعني الاحوال تصير ملكات

والملكة

والملكة اي الخلق صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر فالخلق والخلق يتخالفان في
بعض الناس فترى الظاهر بشرا والباطن قد تحول وصار بهيمة او سبعا او شيطانا
وهذا هو مسخ الباطن ولما كانت القيمة موطن بروز الحقائق بصورها الذاتية بلا التباس
وتدليس كما في الدنيا فيحشر بعض الناس على صورة القردة والخنازير او الكلاب
اذا عرفت هذه المسئلة الشريفة التي اكثر الناس في غفلة عنها فنقول نبه الله تعالى
رسوله صلعم على هذا السر وهو ان الذي به فارق الانسان البهايم والانعام هو ادراك
ما يخرج عن عالم الحواس فمن ذهل عن ذلك وعطل نفسه عن تحصيله واخلد وقنع بدرجة
البهايم ولم يجاوز عالم المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه وابطل قوة استعداده
بالاعراض عن الآيات والتأمل فيها فنزل الى درجة البهايم واقتفى الانعام وترك الترقي
الى الملأ الاعلى وكان كافرا لنعمة الله عليه ومتعرضا لسخطه ونقمته ولذلك قال بل هم
اضل سبيلا لان البهايم والانعام ما ابطلت استعدادها لما كان لها وما ضلت عن
سبيلها التي كانت عليها واليه الاشارة بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي
على صراط مستقيم وايضا البهيمة تتخلص بالموت وهذه النفوس الضالة باقية بعد
الموت الا انها منكوسة الرؤس الى اسفل سافلين كما في قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم فتبين انهم عند ربهم الا انهم منكوسون منحوسون انقلبت
وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله
فيمن اعرض عن آياته ونسوا ذكر الله فانساهم انفسهم ذلك تقدير العزيز العليم
تذكرة فيها تبصرة اعلم ان مسخ البواطن في هذه الامة كثير كما ظهر المسخ في امة
موسى ع حين جعل الله في بني اسرائيل قردة وخنازير فترى في هذا الزمان الصور
اناسي وفي الباطن غير تلك الصور من ملك او شيطان او حيوان غالب لما هو
عليه في باطنه من كلب او حمار او خنزير او قرد او اسد وكل ذلك يخالف ما يطلبه
الانسانية اما عال او سافل لما سبق ذكره من تحولات الباطن وتطورات النفس
وتقلباتها اما على وجه الترقي او على وجه الاعوجاج او الانتكاس وقد روي عن
النبي صلعم من طريق العامة والخاصة باختلاف اللفظ ما معناه او يخرج من زمرة في صفة
قوم من منافقي امته انهم اخوان العلانية اعداء السريرة السنتهم احلى من العسل
قلوبهم قلوب الذئاب يلبسون للناس جلود الضان من اللين فهذا بعينه هو مسخ
الباطن وهو ان يكون قلبه قلب ذئب وصورته صورة انسان والله العاصم من
هذه القواصم وبالجملة لما كان موطن القيمة موطن ظهور البواطن يحشر الناس
على صور نياتهم وملكاتهم واهل الكشف لظهور سلطان الآخرة عليهم وبروزه لهم

يرون بعين البصيرة كل انسان على صورته التي يحشر عليها يوم القيمة كما دل عليه حديث
الحارثة الانصاري وربما يشغل بعض المكاشفين مشاهدة صورة ذلك الموطن الاخروي
عن مشاهدة صورة موطنه الدنيوي على عكس حال المحجوبين الذين يشغلهم مشاهدة الصور
الدنيوية عن مشاهدة الصور الاخروية كما نقل عن بعض المكاشفين انه دخل عليه ذات يوم
واحد من اهل بلده وكان هو مستغرقا في حاله فلما نظر اليه قال لخادمه اخرج هذا الحمار فلم يكن
يرى منه الا صورة الحمار ثم بعد ان زال عن هذه الحال اخبره الخادم بما جرى فقال ما كنت
الا ما رأيت واعلم ان هذه الحال لذلك المكاشف لعدم تمام قوته واحاطته بالجانبين
ونظره بالعينين اليمنى واليسرى جميعا واما الكامل فهو جالس كاصحاب الاعراف
على الحد المشترك بين العالمين ويشاهد النشأتين فلا يحجبه احديهما عن الاخرى ولا يشغله
شان عن شان فقد ظهر وتبين لك ان قوله تعالى اولئك كالانعام وقوله فمثله كمثل الكلب
وقوله كمثل الحمار وما يجري هذا المجرى انما المراد بها مسخ الباطن لا مجرد التشبيه في بعض
الصفات كما زعمه الاكثرون قوله عليه السلم وقال لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من
وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون ذكر
الله في هذه الآية من ذمايم الكفرة ثلثة امور الجبن عن الحرب والبأس الشديد بينهم
وتشتت قلوبهم وعلل الجمع او الاخير بعدم العقل والمعرفة فان العاقل التام العقل
شجاع لا يبقى الموت لعلمه بان الموت على الفضيلة خير من الحيوة على الرذيلة والعاقل
لا بأس له ولا خوف عن احد غير الله لانه يعلم ان الكل بقضائه وقدره فيتوكل عليه
ويعلم بان من يتوكل على الله فهو حسبه وان الله بالغ امره والعاقل لا يخالف عاقلا
آخر فلا يتفرق قلوبهم لان طريقهم واحدة ودينهم دين التوحيد ولهذا قيل العقل
فن واحد والجنون فنون وايضا عالمهم عالم العقل وفيه صورة الوحدة وعالم الجهلة
والاراذل عالم الجسم لاستغراق نفوسهم في ابدانهم وهذا العالم عالم التفرقة والانقسام
فلاجرم قلوبهم شتى متفرقة وقلوب العقلاء مجتمعة كما في قوله ع المؤمنون يد واحدة
على من سواهم ومعنى الآية حكاية احوال اليهود والمنافقين لما ذكر اولا قوله لانتم اشد
رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون اي لا يعلمون عظمة الله
فخوفهم من الناس اعظم من خوفهم من الله فلا يخشون الله حق خشيته وانما يخشى الله
من عباده العلماء وغيرهم يخشى الناس كخشية الله او اشد خشية ثم ذكر انهم لخوفهم
منكم لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة بالحصون والقلاع والخنادق او من وراء جدر
بسبب ما القى الله في قلوبهم الرعب منكم وتأييد الله ونصره معكم بأسهم بينهم
اي فيما بينهم او بينهم وبين المؤمنين شديد والاول اولى لفظا ومعنى لعدم الحاجة

الى الاضمار ولدلالة قوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني تحسبهم في صورتهم مجتمعين على الالفة
والمحبة لكن قلوبهم شتى لان كلا منهم على مذهب آخر وبينهم عداوة شديدة لاغراضهم
الدنيوية وفيه تشجيع للمؤمنين على قتالهم ذلك بانهم لا يعقلون حظوظ انفسهم وما فيه صلاح
حالهم في الدنيا فكيف صلاح حالهم في الآخرة اوليسوا من اهل العقل والا لعلموا رشدهم
وهداهم فآمنوا فاذ لم يؤمنوا بالله ورسوله صلعم ومنع الامر منهم الشقيا الحمقى فلا خوف
منهم وقوله ع وقال وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون صدر الآية
اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم والهمزة الاولى للتحذير مع التقريع والتعجب
من حالهم قيل نزلت في جماعة من الناس كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وهم كانوا
يتركونها ويقدمون على المعاصي وقيل كانوا يأمرون بالصلوة والزكوة وهم كانوا
يتركونها والبر اسم جامع لاقسام الخير وقيل نزلت في اليهود كانوا قبل مبعث الرسول
يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فاذا بعث لم يتبعوه وقوله وانتم تتلون الكتاب
انسب بهذا اي تقرؤن نعت محمد صلعم ذكر بكم وعلى القولين المراد به القرآن او مطلق
الكتب التي فيها الاحكام العقلية والحث على افعال البر والاعراض عن افعال الاثم
وقوله افلا تعقلون تعجب من افعالهم المنافية للعقل كما في قوله تعالى اف لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون وسبب التعجب وجوه احدها ان المقصود من الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ارشاد الغير لما فيه المصلحة والتحذير عما يوقعه في المفسدة و
الاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بفعل
متناقض فلذلك قال افلا تعقلون والثاني ان من وعظ فلا بد ان يجتهد في ان يصير وعظه
نافذا في القلوب والاقدام على المعصية مما ينفر القلوب عن القبول فمن وعظ واقدم
على المعصية فقد اراد ان يجمع بين المتناقضين وهو غير واقع من العقلاء والثالث ان من
وعظ وظهر علمه للناس ولم يتعظ فيصير هذا داعيا لهم الى التهاون بالدين والجرأة
على المعصية فاذا كان غرض الواعظ الزجر عن المعصية ثم اتى بفعل يوجب الجرأة عليها
فكانه جمع بين المتناقضين وذلك ينافي افعال العقلاء فقال افلا تعقلون فقال عليه
وآله السلم قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك اعلم انه ذهب بعضهم الى
ان ليس للعاصي ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر واحتجوا بالآية والمعقول اما
الآية فهذه وقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون واما المعقول فهو انه لو جاز
ذلك لجاز لمن يزني بامرأة ان ينكر عليها في اثناء الزنا عن كشفها عن وجهها ومعلوم
ان ذلك مستنكر والجواب المكلف مأمور بشيئين احدهما ترك المعصية والثاني منع
الغير عن فعلها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضي الاخلال بالآخر واما قوله اتأمرون

الناس بالبر وتنسون انفسكم فنهى عن الجمع بينهما وذلك يتصور على وجهين اما ان يكون النهي
راجعا الى فعل احدهما وهو نسيان النفس مطلقا او الى الآخر عند فعل الاول اعني ترغيب
الناس على البر حال النسيان للنفس والاول هو المراد وروي عنه صلعم انه قال مررت
ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت لجبرئيل يا اخي من هؤلاء
فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم المشهد
الثامن في ان المذموم من افراد الناس كثير وان اكثر الناس من اهل الحجاب
عن الحق والضلال والبعد عن الرحمة في المآل لاستغراقهم في بحر الدنيا والشهوات
وتوغلهم في الامور الباطلة والجهالات الا من رحمه الله واخرجه الى النور من الظلمات
وفي القرآن آيات كثيرة دالة على ان اكثر الناس من اهل الكفر والنفاق وان اكثر
المؤمنين ظاهرا هم المشركون باطنا وضميرا مثل قوله وما اكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين وقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقوله يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها واكثرهم الكافرون وقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وقوله
يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله يعني يا ايها الذين آمنوا ظاهرا وتخمينا آمنوا
قلبا وتحقيقا وايضا الاحاديث الكثيرة المروية من طريق الخاصة ناطقة على ان المؤمن
الحقيقي في غاية الندرة اعز من الكبريت الاحمر اذ المراد به العارف الموحد والعالم
الراسخ في العلم والتوحيد ولذلك ورد من المدايح العظيمة في فضل المؤمن ما ورد
قوله عليه السلم بابي ثم ام ثم ذم الله الكثرة فقال ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن
سبيل الله هذه الآية كما تدل على ان اكثر الناس على الجهالة والضلال كذلك تدل على
ان الهدى والرشد في عدم اتباع ما عليه الجمهور من حيث هم عليه فلو فرض ما عليه
الجمهور حقا فانما يجب القبول والاتباع اذا علم صدق ذلك بدليل لا بمجرد كون الجمهور
عليه فالمرجح هو الدليل العقلي او النص لا قولهم قوله ع وقال ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون دلت بحسب
المفهوم على ان اكثر الناس يقولون ما لا يعلمون وانهم لا يؤمنون بالله قلبا و
اعتقادا بل لسانا واعترافا وذلك لان كونه تع خالق السموات والارض مسئلة
نظرية لا يعلم الا بمقدمات علمية واكثر الناس بمعزل عن ادراكها ولا شك ان
من ادعى قولا لم يعلمه عد سفيها مذموما فالاكثر داخلون في هذه المذمة فالحمد راجع
الى الله ولمن آتاه لدنه علما قوله ع وقال ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به
الارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون قال اهل التفسير انه لما بين الله تع
فيما سبق من آيات التوحيد للمشرك مخاطبا اياه ولم ينفع به اعرض عنه وخاطب

المؤمن

المؤمن بقوله يا عبادي الذين آمنوا واتم الكلام معه وذكر معه ما يكون شبيها على قصور عقله وقبح ما
عليه وهذا طريق حسن في الارشاد فان السيد اذا كان له عبدان او ولدان واحدهما رشيد والآخر
مفسد ينصح اولا المفسد فان لم يسمع يقول معرضا عنه ملتفتا الى الرشيد ان هذا لا يستحق الخطاب
فاسمع انت ولا تكن مثله فيتضمن هذا الكلام نصيحة المصلح وزجر المفسد فان قوله هذا لا يستحق
الخطاب يوجب نكاية في قلبه ثم اذا ذكر مع المصلح في اثناء الكلام والمفسد يسمع ان هذا افاعيل
العجب منه انه يعلم قبح فعله ويعرف الفساد من الصلاح وسبيل الرشاد ثم يميل الى ضده ويكون
هذا الكلام ايضا داعيا له الى سبيل الرشاد مانعا من ذلك الفساد فلذلك قال الله في مع
المؤمنين العجب منهم ان سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله
وان سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض ليقولن الله ثم لا يؤمنون بهذا ما ذكره
اقول الذي يستفاد من كلامه عليه السلم ان المراد التنبيه على شرف العقل وعظم قدر الايمان
الحقيقي وانه في غاية العزة والندرة وان اكثر الناس قاصرون عن دركه لقصور عقلهم
فان امور الدنيا لا يتمشى الا بوجود النفوس القاسية والطبايع الغليظة وعملة الدنيا
وعمارها مع ان الغاية في خلقهم وتعمير الدنيا بهم هي وجود اهل العقل والعرفان وفي قوله
وجهان احدهما ما تقرر من ان الاكثر مذموم العاقبة وان جنس الحمد مختص بالله وبمن اراد
من خلص عباده المتقين والثاني ان الله لما ذكر دلايل الغاية واسباب رزق الخلايق
من خلق السموات والارض وانزال الماء من السماء وغير ذلك من الاسباب الفاعلية و
القابلية وانه المنعم بالحقيقة فاشار الى ان اكثر الناس لا يعقلون ان المنعم الحقيقي هو الله
وان الحمد على النعمة لا يستحقه الا هو فان هذا العلم موقوف على العلم بتوحيد الافعال وان
لا مؤثر في الوجود الا الله كما هو مذهب الحكماء الربانيين وذكر العلامة الطوسي طاب ثراه
ان هذا متفق عليه بين الحكماء واليه ذهب بعض اتباع الرواقيين منهم كصاحب حكمة الاشراق
قال على قاعدة الاشراق وكما ان النور القوي لا يمكن النور الضعيف فالقوة القاهرة
الواجبية لا يمكن الوسايط لشدة اشراقه فليس شان ليس هو شانه واما الاشعرية
فانهم وان قالوا وادعوا هذا العلم ولكنهم ما عرفوه اصلا وسد الله عليهم طريق معرفته
ولا يمكن فتح هذا الباب على قلوبهم لانهم نظروا الى الاشياء بالعين العورا وعزلوا
الاسباب التي وضعها الله واساؤا الادب مع الله كما بيناه وهذا علم غامض
شريف ولاجل ذلك ورد في الحديث ان ثواب التحميد اكثر من ثواب التهليل والتسبيح
وان الحمد لله ملأ الميزان فرب عالم بتوحيد الله ونفي الشريك عنه غير عالم بكونه مستجمعا
مقدسا عن التغير والتجسم كالحنابلة ومن يحذو حذوهم ثم رب عالم مؤمن بتوحيده وتقدسه
وتجرده عن الجسمية والنقايص الامكانية وهو غير عارف بتوحيد الافعال وانه هو المنعم

بالحقيقة وان المحامد كلها راجعة اليه ولهذا قال قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون المشهور التاسع
ذم القلة يعني ان الممدوح من الناس وهو العاقل عقلا بالفعل في اصطلاح الحكمة والمؤمن
الحقيقي في لسان الشريعة قليل وقد دلت الروايات على طبق الآيات القرآنية على شذوذه
وندرته كما سيجيء في كتاب الايمان والكفر منها ما رواه محمد بن يحيى عن محمد بن عيسى عن محمد بن
سنان عن قتيبة الاعشى قال سمعت ابا عبد الله ع يقول المؤمنة اعز من المؤمن والمؤمن
اعز من الكبريت الاحمر فمن رأى منكم الكبريت الاحمر ومنها ايضا مسندا عن حمران بن اعين
قال قلت لابي جعفر ع جعلت فداك ما اقلنا لو اجتمعنا على شاة ما افنيناها فقال الا
احدثك باعجب من ذلك المهاجرون والانصار ذهبوا الا واشار بيده ثلثة قال
حمران فقلت جعلت فداك ما حال عمار قال رحم الله عمارا ابا اليقظان بايع وقتل
شهيدا فقلت في نفسي ما شيء افضل من الشهادة فنظر الي وقال لعلك ترى انه مثل الثلثة
ايهات ايهات ومنها حديث حارثة بن مالك الانصاري حيث قال انا مؤمن حقا
فقال رسول الله ص لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك فبين حقيقة ايمانه بما بين في ذلك الحديث
المشهور الذي رواه الخاص والعام وقد مر ذكر مضمونه الى غير ذلك من الروايات قوله ع
يا هشام ثم ذم القلة وقال وقليل من عبادي الشكور وقال وقليل ما هم وقال رجل
مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقال ومن آمن
وما آمن معه الا قليل وقال ولكن اكثرهم لا يعلمون ولكن اكثرهم لا يعقلون ولكن
اكثرهم لا يشعرون اما قوله تع وقليل من عبادي الشكور فان الشكر ليس معناه قول
القائل الشكر لله او ما يجري مجراه بل عبارة عن صرف العبد جميع ما انعم الله عليه
فيما خلق لاجله وهذا مرتبة عظيمة اذ يندرج فيه العلم بالله وصفاته وافعاله وان
النعم والخيرات كلها صادرة منه ويندرج فيه العلم بالمعاد والنشأة الاخرى
للنفس ورجوعها الى الله ثم العمل بمقتضى العلم والمجاهدة مع القوى الامارة بالسوء
في طريق السير الى الله وتهذيب الاخلاق والسياسات المدنية وغير ذلك مما
يطول شرحه ولذلك كان الشكر من المقامات العالية القليلة الوقوع في العباد
كما قال وقليل من عبادي الشكور وحكى عن ابليس انه قال ولا تجد اكثرهم شاكرين
يعني المؤمنين بالحقيقة واما قوله تع وقليل ما هم فانه لما وقع بعد قوله الا الذين آمنوا و
عملوا الصالحات دل صريحا على ان المؤمن العامل بمقتضى ايمانه العقلي لا لاجل شيء آخر ليس
في العالم الا قليلا وسبب القلة بعد ما اشرنا اليه من انه امر عظيم الرتبة يتصل به الانسان
الى مراتب الملائكة المقربين والفطرة البشرية قاصرة عن ان يبلغ الى هذه المرتبة الا
بموهبة خاصة من قبل الله لبعض الصفوة من عباده ان الدواعي الى الدنيا كثيرة

وهي

وهي الحواس الظاهرة والباطنة وهي عشرة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية السبعة
والمجموع تسعة عشر وكلها واقعة على باب جهنم الطبيعة البدنية التي كانها شعلة من نار السعير
وكلها تدعو القلب الى الدنيا واللذات الحسية واما الداعي الى الحق والدين فليس الا العقل
الخالص عن هذه الشوائب وقد علمت ان العقل ليس عقلا الا بعد ان خرج بنور المعرفة
واليقين من القوة الى الفعل وذلك يتوقف على كثير من الادراكات الحقة والاعمال الصالحة
المتوقفة ايضا على نور الايمان والحكمة فالامر هيهنا بمنزلة توقف الشيء على نفسه لولا ان الله
انعم على من يشاء من عباده المكرمين واحسن اليه بنور الحكمة والايمان والا لكان تحصيله
بالكسب مستحيلا لانه يفضي الى الدور ولاجل ان الحكمة المعبر عنها بالايمان امر موهبي قال تع
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ونبه على هذا المعنى في كثير من
المواضع فاذن قد ظهر ان اهل الخير والكمال قليل في الدنيا واهل الشر والنقص كثير واما
قوله تع وقال رجل مؤمن من آل فرعون فاختلفوا في ذلك الرجل الذي كان من آل فرعون
فقيل كان ابن عم له وكان جاريا مجرى ولي العهد ومجرى صاحب الشوكة وقيل كان
قبطيا من قوم فرعون وكان من اقاربه وقيل كان من بني اسرائيل والقول الاول اقرب
لان لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة قال تع الا آل لوط نجيناهم بسحر روي عن رسول الله ص
بطريق الخاصة والعامة انه قال الصديقون ثلثة حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن
آل فرعون الذي قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله والثالث علي بن ابي طالب ع
وهو افضلهم ولفظ من يجوز ان يكون متعلقا بقوله مؤمن اي كان ذلك الرجل المؤمن
شخصا من آل فرعون ويجوز ان يكون متعلقا بقوله يكتم ايمانه اي يكتم ايمانه من
آل فرعون وقيل ان هذا غير جائز لانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمته
كذا قال تع ولا يكتمون الله حديثا واما قوله تع وما آمن معه الا قليل فالمراد ما
آمن مع نوح ع وهم اصحاب السفينة الذين حملهم نوح ع معه فيها قيل
كانوا تسعة نوح ع وثمانية ابنائه وزوجته وقيل كانوا ثمانين متقاربا في ناحية
الموصل قرية يقال لها قرية الثمانين سميت به لانهم لما خرجوا من السفينة بنوها
وذكر واما هو ازيد وما هو انقص وذلك مما لا سبيل الى معرفته الا ان الله وصفهم
بالقلة ولعل المؤمن الحقيقي منهم بعضهم فان قيل لما كان الذين آمنوا معه دخلوا
في السفينة كانوا جماعة فلم لم يقل قليلون كما في قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون قلنا
كلا اللفظين جائز والتقدير وما آمن معه الا عدد قليل قال الفخر الرازي واما الذي
روي ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري اخف لعل دخوله
فيها لم يكن للخلاص عن الغرق بل لعله الذي عليه من الوسوسة والانسان انما كان

لا يخلك عنه ما دام في الدنيا واما قوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون والفرق بين بعده فهو لانه تعالى
ان اهل العلم اليقيني والايمان القلبي والعقل التام الذي هو العقل بالفعل يكون قليلا بالنسبة
الى الجهال والكفار وقوله ولكن اكثرهم لا يشعرون اول في الكره لانه اهل العقل والعلم
من القوليين الاوليين لان نفي الشعور الذي هو العام يستلزم نفي العلم والعقل الذي هو الخاص
على ابلغ وجه واكده وغاية الدال على كون المؤمن الحقيقي في غاية الندرة والعزة قوله تعالى ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية لانه دل بعمومه على ان المؤمن خير من الملائكة
ولا شبهة في ان الافضل من الملائكة المقربين يكون قليل الوجود في الناس فان قلت
كذلك قال تعالى في مقابله الذي هو الكافر ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار
جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية قلت الجواب بوجهين اما اولا فلا استبعاد في كون
المخلوق من الماء والتراب كان بسبب كفره شر خلق الله ولكن العجب صيرورة المكون
من النطفة والطين بسبب ايمانه خير خلق الله وخيرا من الملك المقرب واما ثانيا فلعل
المراد منهم صنف من الكفرة وهم الجاحدون المصرون على الكفر والنفاق اذ الجهل اذا
صار مشفوعا بالعناد مركبا بالاصرار كان شر الصفات الذميمة وصاحبه ابعد خلق الله
عن قبول الرحمة ومثله قليل الوقوع لكونه في الجانب الضد مثال ذلك السواد ضد البياض
فهو مقابل له تقابل التضاد وكل ما هو غير البياض كالسواد والحركة والطعم وكل ما في الكون
ايضا مقابل البياض ولكن تقابل السلب والايجاب تقابلا بالعرض لا بالذات فكل ما هو
ضد البياض مقابله وليس كلما هو مقابله ضده فهكذا نقول كل كافر فهو غير مؤمن ولكن
لا يلزم ان يكون معاندا له وكل من هو معاند للمؤمن بما هو مؤمن فهو غير مؤمن دون العكس
وايضا طرفا التضاد قليلان والاوساط غير متناهية ولاهل الرحمة كثرة عظيمة المشهد
التاسع في انه تعالى ذكر الكاملين في القرآن باجود ما يذكر به شيء ونعتهم باحسن النعوت
والسمات قوله عليه السلم يا هشام ثم ذكر اولي الالباب باحسن الذكر وحلاهم
باحسن الحلية الذكر يحتمل المصدر واسم المصدر اي ما يذكر به والمراد الثناء ويقال
الرجل فاعل للذكر اي يحمد بين الناس ويوصف بالشجاعة والذكر ايضا الشرف والفخر
ومنه في صفة القرآن وهو الذكر الحكيم اي الشرف المحكم العاري من الاختلاف وقد
تكرر ذكر الذكر في الحديث ويراد به تمجيد الله وتقديسه وتسبيحه وتهليله والثناء عليه
بجميع محامده كذا في النهاية والحلية والحلي اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة
وجمع الحلي حُلِيّ بالضم والكسر وجمع الحلية حلى مثل لحية ولحى وربما ضم وقد يطلق الحلية على الصفة
وفي الحديث جاء رجل وعليه خاتم من حديد فقال ما لي ارى عليك حلية اهل النار وانما
جعلها حلية اهل النار لان الحديد زي بعض الكفار وهم اهل النار وانما كرهه لاجل نتنه

ومن هو منه وفي حديث علي عم لكنهم حليت الدنيا في اعينهم ويقال حلى الشيء بعيني يحلو اذا استحسنته
وحلا بفمي يحلو فقال يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب
انه تعالى بعدما عظم امر الحكمة بانها موهبة ربانية لا تحصل بمجرد الاكتساب ثم وصف الذي
اوتيها بانه اوتي خيرا كثيرا حكم بانه لا يتذكر اي لا يعلم من الحكمة او القرآن الذي معناها الا
اولوا الالباب وهم العقلاء الكاملون فقد وصفهم باحسن الاوصاف المحامد الذي هو
الحكمة وايضا فان الحكيم من اسماء الله تعالى فقد سماهم باسمه وهذا غاية المحمدة في حقهم ومن هذا
القبيل ما وقع لاولي العلم حيث انه قرن الله اسمهم باسمه واسم ملائكته في قوله شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم ثم تأمل ايها العاقل انه ما اعطى الناس الا القليل
من العلم حيث قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا وسمى الدنيا باسرها قليلا لقوله قل متاع الدنيا
قليل حتى تعرف عظمة ما سماه الله كثيرا والبرهان ايضا تطابقه لان الدنيا متناهية المقدار
والزمان متناهية القوى الجسمانية عدة وشدة ومدة والحكمة لا نهاية لها ولمراتبها
ومدة بقائها والسعادة اللازمة لها فالموصوف بالحكمة اعني اولو الالباب موصوف
باحسن الحلى قوله عم وقال والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر
الا اولوا الالباب اعلم انه وصف الله تعالى اياهم في هذه الآية بثلاثة نعوت جليلة شريفة
احدها الرسوخ في العلم وثانيها الايمان بالله وكتابه ورسوله وثالثها العرفان بان
الكل من عند الله وهو التوحيد في الافعال ثم حكم باختصاص اولي الالباب بالذكر
فاشار الى انهم الموصوفون بهذه النعوت الثلاثة دون غيرهم فهذا غاية المدح
قوله عم وقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات
لاولي الالباب قدمنا ما يتعلق بتفسير هذه الآية ولنذكر فيها هنا ما هو على طريق
اهل الاشارة فنقول انه تعالى اخبر عن خلق السموات والارض واحوالها لتدل ايضا
على ان في خلق سموات الارواح والعوالم وخلق ارض النفوس وقرارها واستقلالها
في المركز البدني واختلاف ليل البشرية وظلماتها ونهار الروحانية وانوارها
لآيات بينات وامارات ودلالات واضحات لاولي الالباب هم الذين
عبروا بقدمي الذكر والفكر عن قشر الوجود الظلماني الى لب الوجود الروحاني
النوراني الباقي فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر ان لهم وللعالم الها حيوما
قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما حكيما له الاسماء الحسنى والصفات العليا وانما نالوا
هذه المرتبة العلية لانهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهي عبارة عن جميع
حالات الانسان اي يذكرون على كل حال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق
السموات وهي الافلاك الدوارة والارض وهي الكرة الارضية مستوية الاضلاع

ساكنة بحركات الافلاك متعلقة في وسطها وانه كيف خلق فيها الكواكب والسيارات فخلق بتاثيرها
وخواصها في الارض المعادن والنباتات والحيوانات بتدبيرات متناسبات معقولات
ويقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا اي خلقته بالحق اظهارا للحق على الخلق ووسيلة للخلق سبحانك
تنزيها لك في حقيتك عن الشبه بخليقتك وان يحتاج بتربيتك فقنا باستغني عنا عذاب
النار نار فرقك وقطيعتك وانما كونها واقعة على الحق اولو الالباب فحفظ لان معرفة الآيات
والحكم التي في العالم والاطلاع على دقائق الصنع وعجائب الفطرة التي في خلق الموجودات السماوية
والارضية مما لا يحصل الا في قليل من النفوس الذكية الزكية لان الناظر المتامل فيها يحتاج الى
مزيد تجريد للعقل وتطهير للنفس وتهذيب للخاطر عن الوساوس العادية وتصفية للفكر
من الاغلاط الوهمية والانقطاع عن الشوائب الحسية ولا بد له ايضا من فهم لطيف وطبع مشتعل
ذكي وفكر دقيق وقلب نوراني كالقنديل الذي فيه السراج وانما الآيات آيات بالتذكر
لا مثلهم لا بالقياس الى اهل العادة وهم اكثر الخلق ولا بالقياس الى المعرضين عن الحكمة
والنظر في آيات الله وهم اهل الجحود واليهم الاشارة بقوله وكاين من آية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالفائز بمعرفة الآيات والحكم التي فيها مترق
الى درجة الملائكة المقربين والابرار العليين والمعرض عنها نازل الى منزلة الفجار الاشرار
مع الشياطين في سجين قوله عز وجل وقال افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو
اعمى انما يتذكر اولوا الالباب هذا من قبيل قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير فان العالم
بصير والجاهل اعمى وذلك لان الانسان مركب من جوهرين بدن ونفس والبدن من عالم
الملك والشهادة والنفس من عالم الملكوت والغيب ولكل منهما اجزاء وقوى بحسبه
مثال للآخر بحسب الفطرة فكم من قوى البدن متفرقة في اعضاء البدن وقوى النفس مجتمعة في
ذاتها والبدن ابدا في الانحلال والاضمحلال والنفس باقية ببقاء بارئها اما في السعادة
والهدى واما في الشقاوة والضلال والهوى الى الوبال فكما ان للبدن عين يبصر به
المحسوسات فللنفس عين يبصر به البينات وهي البصيرة الباطنة وكل انسان
في مبدأ الامر ذو بصيرة بالقوة فاذا خرجت بصيرته اي عقله من القوة الى الفعل
وذلك بتكرار الادراكات وفعل الحسنات يصير بصيرا بالفعل وان لم يسلك
هذه السبل بل اعرض عنها صار اعمى بالفعل بعد ما كان بصيرا بالقوة واليه الاشارة
بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى اذا تقرر هذا
فنقول قد نبه الله سبحانه في مواضع كثيرة من القرآن على ان الانسان وان كان في
هذه النشأة البشرية نوعا واحدا متماثل الافراد كما قال قل انما انا بشر مثلكم لكنه بحسب
النشأة الثانية الباطنة متخالف الانواع وان نوع العالم الرباني والمؤمن الحقيقي

مخالف لنوع الجاهل وغير المؤمن فقال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال
افمن يؤمن كمن لا يؤمن فالمراد من هذه الآية التعجب والانكار لمن زعم ان العالم بحقيقة
الانزال والوحي او بمعاني القرآن كالجاهل بها بحسب حقيقة الانسانية في النشأة الباقية
فعبر عن الجاهل بالاعمى صريحا وعن العالم بالبصير ضمنا لتقبيح المقصود بهذا التمثيل في المحسوس
فضل اتضاح لان اكثر الناس لا يعرفون المعاني العقلية الا بامثلة جزئية مطابقة لها
لان وجودهم في هذه المرتبة ثم نبه على ان العالم البصير والعارف بهذا التذكر ليس
الا اولو الالباب وهذا غاية المدح والتعظيم قوله عز وجل وقال امن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قوله امن قرأه بعض القراء بتخفيف الميم وبعض الاخر
بتشديدها وجه الاول ان الف الاستفهام دخل على الموصول والجواب محذوف
تقديره كمن ليس كذلك ووجه التشديد انه قال الفراء ان اصله ام من فادغمت الميم
في الميم فعلى هذا هي ام التي في قولك ازيد افضل ام عمرو والقانت القائم بما يجب عليه
من الطاعة وروي ان افضل الصلوات طول القنوت وهو القيام فيها وعن ابن عباس
القنوت الطاعة لقوله تعالى كل له قانتون اي مطيعون وآناء الليل اوله ووسطه واخره
وفيه تنبيه على فضل قيام الليل وانه ارجح من قيام النهار كما يدل عليه وجوه اخرى
منها انه استر عن العيون فيكون ابعد عن الرياء ومنها ان الظلمة تمنع الابصار ونوم
الخلق يمنع من السماع واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية عاد
الى المطلوب الاصلي وهو المعرفة والذكر والخدمة له تعالى ومنها ان آناء الليل وقت النوم فتركه
اشق فيكون الثواب فيه اكثر ومنها قوله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم
قيلا وقوله ساجدا حال وكذا قائما وقرئ ساجد وقائم على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين
الصفتين واعلم ان في هذه الآية دلالة على اسرار عجيبة ونكات لطيفة فاولها انه
بدأ فيها بذكر العمل وختم فيها بذكر العلم تنبيها على ان العمل هو الذريعة والوسيلة
والعلم هو الكمال والنهاية اما العمل فكونه قانتا ساجدا قائما واما العلم فهو قوله هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وثانيها انها تدل الآية على ان العمل الذي
يتوقف عليه الكمال الانساني هو ما كان الانسان مواظبا عليه فان القنوت عبارة
عن كون الرجل قائما بما يجب عليه من الطاعة فما لا مواظبة فيه من الاعمال فليس فيه
كثير فائدة وثالثها ان قوله ساجدا وقائما اشارة الى اصناف الاعمال وقوله يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه اشارة الى ان الانسان عند المواظبة على الاعمال ينكشف له
في اول الامر مقام القهر المقتضي للخوف وهو قوله يحذر الآخرة ثم بعده مقام الرحمة

الباعث للرجاء وهو قوله ويرجو رحمة ربه ثم يحصل له انواع المكاشفات وهي المراد بقوله هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وربما انه قال في مقام الخوف ويحذر الآخرة فأضاف
الحذر الى الآخرة وقال في مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه فأضاف الرجاء الى نفسه تنبيها على ان
جانب الرجاء اكمل واليق بحضرة الربوبية ويؤكد هذا المعنى اضافة الرب الى الضمير العائد
الى العبد نفسه المراد على غاية الاختصاص وقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
كانه بيان لقوله امن هو قانت الى آخره ودال على ان منشأ هذه الخصال المحمودة هو العلم
اليقيني لا غير اذ لا شبهة ان في الكلام حذفا والتقدير امن هو قانت كغيره وانما حسن
هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وفيه تنبيه عظيم على فضيلة العلم قال الزمخشري اراد بالذين
يعلمون الذين سبق ذكرهم وهم العاملون فالذين لا يعلمون الذين لا يأتون بهذا العمل
كانه جعل القانتين هم العلماء وهو تنبيه على ان من لا يعمل فهو ليس بعالم اقول المقصود الاصلي
من هذه الآية ليس الحث على مجرد العمل والمبالغة فيه بل شرف العلم وفضيلته وفضل
العالم على الجاهل بحيث يرتفع به المماثلة الموهمة بينهما ولهذا ذكر من الاعمال ما ينبئ الاعظم
فاق مرتبة العلم وصفة الاخلاص التي من المواظبة الدائمة والخوف والرجاء والرهبة
والرغبة ليظهر ان من هذه صفته وفعله اللازم فهو ليس كمن هو على ضدها ثم اشير الى ان
منشأ هذين المتقابلين من الصفات والآثار المحسوسة في هذا العالم صفتان متقابلتان
في عالم الباطن لما مر من ان اختلاف الآثار يدل على اختلاف منشأها ومبدأها فكانه
اريد به اثبات معقول بمحسوس على ما هو طريق التمثيل ثم قال انما يتذكر اولوا الالباب
وله معنيان احدهما هو المشهور بينهم ان هذا التفاوت العظيم الحاصل بين العلماء والجهال
لا يعرفه ايضا الا اولوا الالباب اقول وذلك لان اختلاف الآثار والافعال
وان دل على اختلاف المبادي والاحوال لكن دلالة الاثر على المؤثر بخصوصه دلالة ظنية
غير قطعية لا يحصل بها الاكتناه بحقيقة المؤثر فالمعرفة التامة بحقيقة العلم والتفاوت العظيم
الذي بينه وبين مقابله لا يحصل الا لمن هو عالم بالفعل وكان جاهلا وقتا ما فعلم بهما
وبالتفاوت بينهما علم وجداني حضوري وثانيهما ان المراد به ان العلماء والمتذكرين
هم اولوا العقول الخالصة لا غيرهم وان المباينة والتفاوت العظيم بين العقلاء
وغيرهم مما لا يخفى على احد وكلا الوجهين يلزم ان لا يدرك هذا التفاوت الا اولوا الالباب
وقيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلماء يجتمعون عند ابواب
الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين عند ابواب العلماء فاجاب العالم بان هذا ايضا يدل
على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما في المال من المنافع والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع
فلا جرم لم يطلبوه قوله عليه السلام وقال كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته

وليتذكر

وليتذكر اولوا الالباب معناه ان القرآن لكونه مشتملا على اسرار عظيمة ربانية ومعارف
لطيفة الهية انما وقع انزاله من الله على رسوله ليتدبر المتفكرون آياته وليحصل التذكر اي
المعرفة الحقيقية لاولي الالباب ففائدة انزال الكتاب هي ان يتدبر الناس في آياته
وغاية التدبر في الآيات حصول التذكر لهم وانما اطلق في الاول وخصص في الثاني
لان التدبر وهو النظر والتأمل لا يستلزم التذكر فرب متفكر لا ينتهي فكره لما هو المط
الاصحا فالتدبر غير مختص باولي الالباب بل يعمهم وغيرهم بخلاف التذكر فانه مختص بهم
ثم لا شبهة في ان الغرض الاصلي من التدبر والنظر في الآيات انما هو حصول العلم واليقين
وذلك مختص باولي الالباب فثبت ان غاية انزال القرآن ليست الا هو لا وفي
هذا غاية المدح والتعظيم قوله عز وجل وقال ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب
هدى وذكرى لاولي الالباب واعلم ان المستفاد في كثير من الآيات التي ذكر فيها مع الكتاب
الهدى والذكر او الحكمة كما في قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة وقوله وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة او النور كما في قوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقوله انا انزلنا التورية
فيها هدى ونور وقوله وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ان اهل الكتاب في تعلمه قوم واهل
الهدى والذكر والحكمة والنور قوم آخر اجل رتبة واعلى درجة من اهل الكتاب وهذه
الالفاظ معانيها امور متخالفة بالاعتبار متحدة بالذات فالمراد من اهل الكتاب في قوله
يا اهل الكتاب اينما وقع في القرآن هم عامة العلماء الظاهريين واما اهل الهدى والذكر
واصحاب الحكمة والنور واولوا البصائر والالباب فهم الخاصة من العلماء واهل التأويل
والراسخون في العلم فهم علماء الآخرة واهل الله واهل القرآن خاصة واولياء الله
في ارضه واما اهل الكتاب فهم علماء الدنيا الراغبون في مالها وجاهها اذا علمت هذا
فقوله اورثنا بني اسرائيل الكتاب اي جعلناهم ورثة الكتاب وحملة الاسفار وحفظة
الالفاظ ومدلولاتها اللفظية ومعانيها الاولية واحكامها الظاهرية الفرعية وانما
فعلنا ذلك ليكون هدى وذكرى لاولي الالباب فظهر ان الغرض الاصلي في ايراث
التورية لبني اسرائيل وكذا غيره من الكتب السماوية لطائفة اخرى غيرهم انما الهدى
والذكرى لاولي الالباب وان غيرهم من اهل الكتاب بمنزلة القوى الخادمة للعقل
وبمنزلة الكتاب والنساخ والصحافين لتبقى النسخ محفوظة لهم ولا تندرس بمرور
الازمنة والدهور فعلم من ذلك غاية المدح لهم قوله عز وجل وقال وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين تحقيق الآية انه تعالى لما ذكر في الآيات السابقة بعض دلائل التوحيد من بناء
السماء وفرش الارض وخلق الزوجين من كل شيء ورتب عليه الامر بالفرار اليه في
من كل ما سواه عملا والاعتقاد بوحدانيته خبرا بواسطة تعليم نبيه الذي هو نذير مبين ثم

اشار الى جلالة رتبة التوحيد وعظم قدره وعزة وجوده في السابقين واللاحقين حيث ما اتاهم
رسول معلم ولا نبي مرشد الا نسبوه الى السحر او الجنون امر نبيه عليه وآله السلام بالتولي والاعراض
عن الذين درجتهم قاصرة عن درك الآيات والاهتداء ابدا وهم اكثر الناس كما في قوله
واعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وبين للنبي صلعم
ان ذلك التولي ليس بقادح في جلالة قدرك وان عدم ايمان اكثر الخلق ليس بتقصيرك
حتى تحزن فلا تحزن فانك لست بملوم في الاعراض عنهم ثم قال وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين يعني ليس المراد التولي مطلقا بل شانك الافاضة والتعليم ولكن نفعه
ليس يصل الا لطايفة مخصوصة من الناس وهم المؤمنون حقا كما ان الصياد يبسط
الشبكة لاصطياد نوع خاص من الطيور برزق مخصوص وهو المقصود من بسط الشبكة
في الارض دون غيره سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وما من رزق
الا وفي القرآن قسم منه لقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ففيه غذاء
الارواح وقوت القلوب وفيه ايضا ما ينتفع به العوام الذين هم كالانعام في الدنيا
من احكام الديات والقصاص والمناكحات والمعاملات والمواريث وغيرها مما
ينتظم به صلاح امر الدنيا للكل وامر الدنيا والدين للخواص والكل ففيه الاغذية المعنوية
والصورية والمنافع الاخروية والدنيوية متاعا لكم ولانعامكم فاذن الذكرى وهي
نور القلب وحيوة للروح انما ينتفع المؤمنين حقا دون غيرهم لانهم الذين يحيي ارواحهم
بروح الذكر ويتنور قلوبهم بنور الهدى ويعرج به اشخاصهم الى عالم القدس ويصعد به
كلمتهم الى سماء القربة والشهود ومجاورة الحق المعبود اذا تقرر ما ذكرناه فاعلم ان مراده صلعم
من ذكر هذه الآية الشريفة مع دلالة هذه الآية على مدح اولي الالباب وحسن احوالهم وبيان
ذلك انه لما دلت الآيات المتلوة على ان اهل التذكر هم خاصة ودلت هذه الآية
ان الذكرى تنفع المؤمنين فعلم من الجمع ان المؤمنين هم اولو الالباب خاصة وان
الموصوف بالايمان الحقيقي ليس الا هم ولا يخفى ما في ذلك من المدح فتأمل فيه
المشهد العاشر في ان القلب الانساني هو الجوهر العقلي وانه بالحكمة يصير
عقلا بالفعل متحدا بالمعقولات فالاشارة الى الاول قوله عليه السلام يا هشام ان الله تعالى
يقول في كتابه ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعني عقل وذلك من جهة اللفظ
والحديث واللغة والمعنوي اما الاول ففي اللغة القلب هو الفؤاد وقلب كل شيء لبه
وخالصه ومنه الحديث لكل شيء قلب وقلب القرآن يس ويقال فلان عربي قلب
اي خالص واما الثاني فلانه لا شك ان ليس المراد به العضو الصنوبري الشكل
الذي هو في الانسان والبهيمة بل اللطيفة المعنوية الدراكة عند صيرورتها مدركة

للمعا

للمعاني الكلية النظرية ومدركة المعقولات هو العقل فالقلب المعنوي هو العقل واما
الاشارة الى الثاني ففي قوله عليه السلام وقال ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الفهم والعقل فان العقل اذا
كان المراد به الجوهر القلبي فالعقل بكونه عين الحكمة والحكمة هي العلم بحقائق الاشياء كان
بعينه قول باتحاد العاقل والمعقولات ولقمان هو ابن باعورا من اولاد آزر ابن اخت
ايوب على نبينا وآله عليه السلام او خالته وقال ابو الليث ان كنية لقمان ابو الانعم وفي
كتاب عين المعاني انه تولد في عشر سنين من سلطنة داود عليه السلام وعاش الى ان ادرك
يونس عليه السلام وقيل انه عاش الف سنة واختلف في نبوته واكثر العلماء على انه لم يكن
نبيا وقيل كان عبدا لحبط وقيل كان حبشيا اسود اللون غليظ الشفتين وذكر البيضاوي
ناقلا عن اهل السير انه كان في بيته وقت القيلولة اذ دخل عليه جمع من الملائكة سلموا
عليه فاجابهم ولا يرى اشخاصهم فقالوا يا لقمان نحن ملائكة الله نزلنا اليك لنجعلك
خليفة في الارض لتحكم بين الناس بالحق قال هذا ان كان امرا حتما فالسمع والطاعة
وارجو منه ان يوفقني ويسددني وان جعلني مخيرا فاختار به العافية ولا التعرض
للفتنة فاستحسنت الملائكة قوله واحبه الله وزاده في الحكمة والمعرفة حيث صدر
منه الف كلمة قيمة كل منها العالم والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية
باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر
طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها
لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله وان داود
قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت في يد غيري مرتهنا بعملي وانه امر بذبح شاة
وان يأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امر بان يأتي
باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسئل عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا
واخبث شيء اذا خبثا **المشهد الحادي عشر** في موعظة خطابية وحكمة عملية
خلقية يتهذب بها النفس عن ادناس الرذائل ويتطهر عن ارجاس السيئات و
العلائق لها من التجرد التام وقطع العلاقة عن هذه الاجرام وصيرورتها عقلا مستفادا
راجعا الى ربه وعبده متبوعا للكل قوله عليه السلام يا هشام ان لقمان قال لابنه تواضع للحق
تكن اعقل الناس وان الكيس لدى الحق يسير التواضع للحق هو ان لا يرى
العبد لنفسه وجودا ولا حولا ولا قوة الا بالحق وحوله وقوته فيرى ان لا حول ولا قوة
له ولا لغيره الا بالله وقد ورد في الحديث عن النبي صلعم انه قال من تكبر وضعه الله
ومن تواضع لله رفعه الله وقال صلعم حكاية عن الله العظمة ازاري والكبرياء ردائي
ومن نازعني فيهما قصمته والانسان كلما تواضع لله وانحط عن نفسه زاده الله فضلا

وشرفا واذا فنى عن نفسه بالموت الارادى قبل الموت الطبيعى لقوله موتوا قبل ان تموتوا يكون باقيا
بالله وهو المراد بقوله لكن اعقل الناس فان اعقل الناس هم الانبياء والاولياء ثم الامثل
فالامثل وقوله ان الكيس لدى الحق يسير يعنى ان كياسة الانسان وهى عقله وفطانته يسير عند
الحق لا قدر له وانما الذى له قدر عند الله هو التواضع والمسكنة والخضوع والعجز والافتقار اليه
فكل عالم وكامل لا يؤدى لصاحبه الا مزيد فقر وحاجة اليه تع فيصير وبالا عليه وكان الجهل والنقيصة
اوسا به ولذلك قيل غاية الجود العابدين تضجيج جنة الامكان والفقر اليه تع فكل عالم كيس
زعم ان له وجودا او كمالا غير ما هو رشح من رشحات بحر وجوده وفضله فهو فى غلط شديد وحجاب
عظيم عن درك الحقيقة قوله ع يا بنى ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير فلتكن سفينتك
تقوى الله وحشوها الايمان وشراعها التوكل وقيمها العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر
الشرع ستر العود والشرعة اخص منه وفى حديث صور الانبياء كان شراع الانف اى ممتد
الانف طويله وعن ابى موسى كانسير فى البحر والريح طيبة والشراع مرفوع وشراع السفينة
بالكسر ما يرفع فوقها من ثوب ليدخل فيه الريح فتجريها قوله ان الدنيا بحر عميق مثل الدنيا بالبحر
لوجوه من الشبه منها تغيرها واستحالة اشكالها وصورها فى كل لحظة فالكائنات فيها كالامواج
وما من صورة تكون فيها الا ولابد وان تفسد فهى منبع الكون والفساد سيما عالم العناصر
من تبدل الامثال فى كل حين ومنها كونها كالبحر ما يعبر عليها من افراد الناس الى دار اخرى
فالنفوس كالمسافرين والابدان كالسفاين بها يتنقل من الدنيا الى الآخرة وبهذه السفينة
البدنية لا يحصل الا مطلق الانتقال الى دار اخرى سواء كانت دار عذاب وحبس
وسلاسل واغلال وسخط من الله او دار ثواب وكرامة ونعيم وقرب من عند الله ورضوان
واما السفينة التى يقع بها النجاة الى دار الرحمة والرضوان فهى تقوى الله لا غير كما ذكر فى
هذا الحديث ومنها كونها مما غرق فيه خلق كثير وهلكوا هلاك الابد وهو هلاك الروح فان
للانسان ثلث حيوات اولها حيوة البدن وهى الحيوة الطبيعية الدنيوية التى تشارك
فيها جميع الحيوانات وثانيها حيوة النفس وهى التى تبقى بعد البدن لجميع افراد الانسان
دون ساير الحيوان فيحشرون ويثابون او يعاقبون وثالثها حيوة الروح وانما هى بالمعرفة
واليقين والايمان الحقيقى والموت الذى بازائه هو الكفر والعناد والجهل والاستكبار
وانما غرق فيها الاكثر لاغترارهم بما فيها من زهراتها وشهواتها المغوية وزينتها الفانية
وتمتعاتها الباطلة فهى بما فيها غارة مضلة يغتر بها الانسان ويهلك وقد حذر الله سبحانه
عباده عن غرور الدنيا وفتنتها فى مواضع كثيرة من كتابه كما قال لا يغرنكم الحيوة الدنيا ولا
يغرنكم بالله الغرور وقوله وغرتكم الامانى فاذا كان كذلك فلا نجاة لاحد منها وعن غرورها
الا بسفينة التقوى والزهد فيها ولكن التقوى يجب ان يكون محشوة بالايمان القلبى والا فلا

فايدة فيها ولهذا قال وحشوها الايمان ثم لابد له من التوكل بالله وهو الوثوق به والاعتماد
عليه فى كل الامور لا على الاسباب فان من لا يعتقد ان الامر كله بيد الله ولا يطمئن به فى
انه متكفل لاموره بل يثق بالاسباب ويعتقدها مما يحتاج اليه فيعوقه ذلك عن السفر
الى الله لكن لا يسافر فى الدنيا وحده بل مع الرفقاء والقوافل والاسباب حذرا من عدم
القوت وخوفا من قاطع الطريق فينتظر مدة مديدة لانتظار الاسباب فهكذا من
لا يتوكل عليه تع فلا يسافر الى عالم القدس ولا يخرج من جنة مهاجرا الى الله ورسوله فالتوكل
بمنزلة شراع سفينة النجاة الذى به يسير ساير السفينة ولذا قال وشراعها التوكل ثم مع
التقوى والايمان والتوكل لابد له من عقل تام به يدرك حقايق الامور ويعرف عالم القدس
والحضرة الالهية التى عرضها كعرض السماء والارض الذى ينتهى اليه حركة سفينة النجاة
فالعقل بمنزلة القيم للسفينة ويقال له الربان ونسبته اليها كنسبة النفس الى البدن
لجامع التربية والتدبير والعقل لا ينفك عن العلم فان نسبته الى العقل كنسبة النور
من السراج والرؤية من البصر فالعلم دليل العقل كالكوكب دليل قيم السفينة ومع هذه
الخصال كلها لابد من الصبر فان ارتقاء الانسان من حد البشرية الى حد القرب من الله
لا يقع الا بحركات كثيرة وتقلبات شديدة ومجاهدات قوية مع النفس فى مدة طويلة
فيحتاج الى صبر عريض وعزم تام لقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تعجل فالصبر
مفتاح الفرج فلهذا قال وسكانها الصبر فان العجلة من فعل الشيطان ولا تعجل بالقران
من قبل ان يقضى اليك وحيه وعنه صلى الله عليه وآله ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه
بالرفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وعن بعض اعاظم الحكماء السابقين
لا يعلم العلم الا الهى الا كل ذى صبور وعن المسيح المنور انه ع لن يلج ملكوت السموات
من لم يولد مرتين قوله ع يا هشام ان لكل شىء دليلا ودليل العقل التفكر ودليل التفكر
الصمت ولكل شىء مطية ومطية العقل التواضع الدليل هو ما يلزم من العلم به العلم
بشىء آخر ولهذا يقال له العلامة ولفظه قد يضاف الى المستدل وقد يضاف الى
المستدل عليه والمراد ههنا هو الثانى والمطية الناقة التى يركب مطاها اى ظهرها
ويقال يمطى بها فى السير اى يمد والتمطى هو التمدد فى اليدين للتبختر ونحوه فقوله
لكل شىء دليلا اى عليه فالدليل على كون الانسان عاقلا كونه دايم التفكر فى خلق الله
وعلامة التفكر الصمت الا ترى انك عند التفكر تكون صامتا وقوله لكل شىء مطية
اى حاملا يركب عليه فى حركته الى غايته فان كل شىء له طبيعة متوجهة الى غايتها وله مادة
حاملة لقوتها واستعدادها نحو الكمال هى بمنزلة الراحلة وقوله مطية العقل التواضع
تحقيقه ان مادة العقل هى النفس وكل مادة تستعد لصورة كمالية فانما تستعد لكونها

فى نفسها خالية عن الفعلية فى الوجود الذى من جنسها والا لم يكن قابلة لها فكذلك النفس عالم يصير موقوفة
لصبغة التواضع والتعلم لتصير مطيعة للعقل الذى هو الصورة الكمالية التى بها تصير الاشياء معقولة
للانسان وقوله كفى بك جهلا ان تركب ما نهيت عنه بيانه ان جميع المناهى التى وقع النهى عنها هى
امور محسوسة ولذات جسمانية اشتغال النفس بها يوجب تعلقها بالصورة الحسية فتحجب النفس
عن درك الصور المعقولة لانها تضاد تلك الصور فكفى بالمرء جهلا ان يريد كونه عاقلا ويختار الدنيا
ويرتكب الشهوات فكل عالم مفتون بالدنيا ولذاتها فهو عند الحقيقة اجهل الناس المشهد
الثانى عشر فى ان شرف الانبياء والرسل عليهم السلم وفضلهم على كافة الخلايق انما هو بكمال عقلهم
وانما بعثوا بالعلم لا بشىء آخر كالزهد والعبادة ونحوهما ولذلك قال النبى صلعم يا على اذا تقرب
الناس الى خالقهم بانواع البر فتقرب انت اليه بالعقل حتى تسبقهم قوله عم يا هشام ما بعث الله
انبياءه ورسله الى عباده الا ليعقلوا عن الله اللام للتعليل اى انما بعثوا لتكميل العباد لاجل
انهم علموا من الله علما لدنيا وهبيا لا كتسابيا بوسيلة الكتب والاساتيد قوله فاحسنهم استجابة
اى من الامة بقبول دعوتهم وانقيادا لهم لما روى فى حديث الفهم من ذكر الاتباع والامم وكثرتها
وقلتها بحسب تفاوت حال الانبياء فى قوة الدعوة والنبوة احسنهم معرفة بالله وآياته
وكلماته واعلمهم بامر الله واحكامه وشرايعه احسنهم عقلا فصارت نتيجة القياس المحذوف
عنها نتيجة الاول وصغرى الثانى ان احسنهم استجابة احسنهم عقلا ثم لما كان حسن العقل
بكمال العلم بالموجودات والاحاطة بالمعقولات وكمال الاحاطة بها يوجب كمال الارتفاع
فلهذا قال واكملهم عقلا ارفعهم درجة فى الدنيا والآخرة المشهد الثالث عشر فى ان لله
حجتين وان العقل رسول من داخل والرسول عقل من خارج قوله عم يا هشام ان لله على
الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة فاما الظاهرة فالرسل والانبياء والائمة واما الباطنة
فالعقول اقول تحقيق هذا المقام وسره ان الله تع كما انه فاعل للموجودات على سبيل
الغاية كما ادى اليه نظر الحكماء فهو ايضا فاعل بالقصد والاختيار كما رآه اهل الشريعة وبالثانى
يتحقق معنى البداء والابتلاء واستجابة الدعاء وانزال المطر بصلوة الاستسقاء وما يجرى
مجرى هذه الافعال وهو بكلا الوجهين يفعل بالمشية والارادة لا بالجبر والطبع كما زعمه
الطباعية والدهرية وسيجىء فى هذا الكتاب ان له ارادتين ومثالهما فى النفس الآدمية
المخلوقة على مثال الرحمن تعالى عن المثل لا الشبه ذاته وصفاته الحقيقية التى هى عين ذاته
لا عن المثال فى نسبته الى افعاله وآثاره ان فاعلية النفس بالقياس الى ما يصدر عنها
من الامور الداخلة فى مملكتها والخارجة عنها على الوجهين احدهما على وجه البساطة والحكمة
والتدبير والثانى على وجه التركيب والقصد والتدبير فالاول كالتغذية والتنمية والجذب
والهضم والدفع والتحليل وايراد البدل له والتوليد وما يجرى مجراها من الافاعيل الواقعة

فى بدن

فى بدن الانسان فان جميعها مما يفعله الجوهر النطقى منه بلا توسط نفس اخرى نباتية او حيوانية
كما هو المحقق عندنا بالبرهان والثانى كالاكل والشرب والطبخ والكنس والجماع والمشى
والكتابة والتجارة والاخذ والعطاء وساير الافعال الصادرة منها على وجه القصد والاختيار
من الامور التى نسبة طرفيها الى ذات النفس بالامكان الوقوعى فى اى وقت فرض
وجودها او عدمها فاذا تقرر هذا فنقول ان الله اوجد الاشياء اولا على سبيل الابداع
من غير مثال يحاذيها ولا من مادة يتخمر بها على ترتيب الاشرف فالاشرف مبتدءا بالعقل
ثم النفوس على ترتيبها ثم الطبايع الفلكية على ترتيبها والعنصرية ثم ينتهى بها الى الاجرام
والمواد من لدن العرش الاعلى الى قرار الارض السفلى وهذه كلها بسايط صادرة بحسب
الفاعلية وجهاتها بلا مدخلية المادة وجهاتها الانفعالية ثم انبعثت الاشواق العقلية
والنفسية والحركات الكلية والجزئية وتوجه النواقص الى الكمالات فدارت النفوس
الافلاك باذن الله طاعة له على قوة اشواقها ونسب الاتها وغاياتها وتركب البسائط
على نسب معلومة تطابق تلك النسب فحصلت المركبات مبتدءا من المعادن والنبات ثم
انواع من الحيوانات متفاوتة تفاوتا عظيما فى درجات القوة والكمال الى ان ينتهى الى
اول درجات الانسان وهلم الى ان انتهى الى غاية هذه السلسلة الرجوعية وهى عقول الانبياء
والرسل والائمة الذين هم حجج الله الظاهرة فى عالم التركيب لكونهم مع هذه الابدان
المحسوسة رحمة من الله على خلقه لان استكمال النفوس الناقصة وترقيها من حد النقص و
حضيض الوبال الى ذروة الفضل والكمال ومن هبوط الجهل والدناءة الى شرف العزة و
السعادة لا يمكن الا ببعثة الانبياء والرسل وانزال الكتب والصحف من عالم السماء
ونصب الائمة والاوصياء الذين هم قوام الناس وهداتهم على المحجة البيضاء الى طريق
الآخرة وحسن العاقبة وسعادة الخاتمة فقد اتضح بما ذكرنا ان الانبياء ومن يجرى مجراهم
هم البراهين الظاهرة من الله فى خلقه وانهم فى عالم التركيب البشرى بمنزلة الحجة
العقلية فى عالم البسيط العقلى لانارة ذواتهم واضاءة باطنهم بحيث يسرى نور باطنهم
الى ظاهرهم ويشرق قالبهم باشراق قلبهم كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها
وتشاكل الامر المشهد الرابع عشر فى بعض احوال العقلاء العارفين قوله عليه السلم
يا هشام ان العاقل الذى لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره معناه انه
لا يحجبه كثرة نعم الله عليه ووفور فضايله لديه عن النظر الى انه بعين الذلة والاحتقار
والاستشعار بعين العظمة والجود والاحسان فيخضع له ويتضرع اليه وقت النعمة كما يخضع
ويتضرع وقت البؤس والنقمة فيشكره ويحمده على كل حال وايضا لا يزيل صبره الشدايد
كالجوع ونحوه وجدان ما يحرم عليه فعله كاكل مال اليتيم ونحوه عند شدة الجوع او لا يغلب

يرى من الناس صبره فيصبر معها او اهم اياه ويدارى معهم بالوعظ والنصيحة والتعليم قوله ع
يا هشام من سلط ثلثا على ثلث فكانما اعان على هدم عقله من اظلم نور تفكره بطول امله ومحى
طرايف حكمته بفضول كلامه واطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكانما اعان هواه على هدم عقله
ومن هدم عقله افسد عليه دينه ودنياه قد علمت ان بناء الايمان والقرب من الله تعالى على العقل
المجرد عن الشهوات كما ان بناء الكفر والبعد عنه تعالى على الهوى المعبر عنه بالطاغوت فاعلم
ان لكل من العقل والهوى خصال تناسبه مضادة لخصال الآخر فمن خصال العقل التي بناؤه
عليها ثلث هي التفكر والحكمة والاعتبار ومن خصال الهوى التي بناؤه عليها ثلث هي طول الامل
وفضول الكلام وقضاء الشهوات فطول الامل في الدنيا يمنع من التفكر في الامور الآخرة
واحوال المبدأ والمعاد بل يحمل النفس على التفكر في الامور العاجلة وتحصيل اسبابها
الظلمانية فهو لا يمنع عن اصل التفكر بل عن الذي في الباقيات الصالحات وهذا هو المراد
من قوله ع اظلم نور تفكره بطول امله اى تبدل به تفكره في الانوار الاخروية بتفكره في
الظلمات الدنيوية ولما كان العلم والمعلوم متحدين بالذات والفكر حركة في العلم فيكون
نورا ان كان المعلوم نورا وظلمة ان كان ظلمة فصح واتضح ان طول الامل اظلم نور التفكر
وكذلك فضول الكلام يمحو طرايف الحكمة فان من اشتهى الكلام في مجمع الناس والعوام
كالوعاظ والمذكرين فضلا عن اهل البطالة وهم اكثر الناس فانه ابدا الجد في تكلمه و
وعظه وتأثر قلوب اهل المجلس به حلاوة ولذة لا يوازيها لذة فاذا غلب ذلك على
قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا في نفسه ونفر
عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حكمة فيصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك
قلوب الناس والمستمعين ليعظم منزلته عندهم وفي قلوبهم فلا محالة يمحى طرايف الحكمة
عن قلبه لان الذي يؤثر في قلوب الناس الا ما فهموه ولا فهموا الا ما ناسبوه و
ليس من هذا الجنس اصلا اذ لا يناسبوه وكذا الاشتغال باللذات وحب الشهوات
من النساء والبنين وغيرهما يعمى القلب ويذهب بنور عبرته لان حبك الشيء يعميك
ويصمك عن ادراك غيره فحب الشهوات يطفئ نور الاستبصار والاعتبار فمن سلط
هذه الخصال الثلث التي بناء الهوى ورسوخها عليها على تلك الثلث التي بناء العقل
وقوامه عليها فكانما اعان الهوى والطاغوت على هدم بناء عقله ومن هدم بناء عقله فقد
افسد على نفسه دينه ودنياه لان بناءهما على العقل فمن لا عقل له لا دين له ولا دنيا
اما انه لا دين له فظ واما انه لا دنيا له فلان حقيقة الدنيا هي ان يكون معبرا وقنطرة
يعبر بها الى الآخرة كما دل عليه مفهوما الدنيا والآخرة لانهما من باب المضاف فالدنيا
نشأتك القريبة الاولى التي انت فيها والآخرة نشأتك الثانية التي تنتقل اليها

فالمؤمن

فالمؤمن هو الذي يعبر من الدنيا بقلبه ويرغب في الآخرة بروحه فيكون في راحة عظيمة
ونعيم جسيم والمنافق ابدا متعلق القلب بالدنيا لا يشتغل الى الآخرة الا بعد هلاك الموت
وقمع بدنه ونفسه بتوابع من النار فلم يزل متعلق القلب بها فيرغب بعذاب روحه واجتنابه
بل بالكره والاجبار والاضطرار فيكون في غصة وعذاب اليم وفرقة وفزع جسيم قوله ع
يا هشام كيف يزكو عند الله عملك وانت قد شغلت قلبك عن امر ربك واطعت
هواك على غلبة عقلك اصل الزكوة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح وكل ذلك
قد استعمل في القرآن والحديث ووزنها فعلة كالصدقة فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها
انقلبت الفا وهي من الاسماء المشتركة بين المخرج والفعل اى المبدأ والحدث فيطلق على
العين وهو القدر المزكى من المال ونحوه وعلى المعنى وهو التزكية ومن الجهل بهذا طعن الظالم لنفسه
على قوله تعالى والذين هم للزكوة فاعلون ذاهبا الى العين وانما المراد المعنى الذي هو التزكية
والعمل ايضا من الاسماء المشتركة بين الامرين فاذا اضيفت اليه الزكوة كان المعنى بازاء المعنى
والعين بازاء العين فزكوة العمل تطهيره وتجريده عن الاغراض الدنيوية وجعله خالصا لله تعالى
ابتغاء لوجهه اذا علمت ذلك فاعلم ان الغرض من هذا الخطاب ان قوام الاعمال الصالحة
ايضا بالعقل الكامل والعالم بالله المتفكر في آيات خلقه ومن غلب عقله هواه واستخدمه
مقهورا مطيعا فمن اطاع هواه وصيره غالبا على عقله مسلطا على عقله بالامور الثلثة
المذكورة في الخطاب المتقدم او ببعضها صار قلبه مشغولا عن امر الله بغيره بسبب استغراقه
في الدنيا لقوة الهوى وضعف اليقين فاذا صار مشغول القلب عن الله وامره فكيف
يخلص عمله عند الله ويطهر عن شوائب المفسدات كالرياء ونحوه او نحو جزاؤه المشهد
الخامس عشر في ان التفرد عن الناس والعزلة والصبر عليها من علامات قوة العقل
وكماله قوله ع يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل فمن عقل عن الله اعتزل اهل
الدنيا والراغبين فيها ورغب فيما عند الله وكان انسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة
وغناه في العيلة ومعزه من غير عشيرة عزل واعتزل بمعنى واحد والاسم العزلة والاعزل
الذي لا سلاح له والعيلة والعالة الفاقة وعال عيلة وعيولا اى افتقر وعيال الرجل
من يعوله واحده عيل وجمعه عيائل واعال الرجل كثرت عياله وقيل صار ذا عيال
والعز خلاف الذل وعز الشيء من باب ضرب عزا وعزازة اذا قل لا يكاد يوجد فهو
عزيز وعز فلان من باب ضرب عزا وعزة وعزازة اذا صار عزيزا اى قوى بعد
ذلة والمراد ههنا هو المعنى الثاني ومنه اعزه الله وعززت عليه اى كرمت عليه وقوله تعالى
فعززنا بثالث بالتخفيف والتشديد اى قوينا وشددنا اعلم ان الناس اختلفوا
في فضيلة العزلة والخلطة طائفتين ولكل منهما حجج المايلين الى الخلطة قوله تعالى ولا تكونوا كالذين

تفرقوا وقوله تعالى والف بين قلوبكم اشارة الى الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد
تفرق الآراء واختلاف المذاهب والمراد بالالفة نزع الغوائل من الصدور لانها من الاسباب
المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة تنافي ذلك ولهم حجج اخرى ضعيفة ايضا واتباع القائلين
بالعزلة فمنها قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى
ان لا اكون بدعاء ربي شقيا ثم قال فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيا اشارة الى ان ذلك ببركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فايدة
فيها الا دعوتهم الى الدين وعند اليأس عن اجابتهم فلا وجه الا الاعتزال عنهم وانما الكلام في
مخالطة المسلمين واعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة
والحق ان ذلك يختلف بالاشخاص وبالاحوال والاوقات فلكل من العزلة والمعاشرة فوايد
كثيرة بالقياس الى من هو من اهله بعضها دينية وبعضها دنيوية فمن فوايد العزلة الفراغ للعبادة
والفكر والاستيناس بمناجاة الله عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله في خلق
الدنيا والآخرة وملكوت السموات فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة
وسيلة اليه ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله في ابتداء امره يتبتل في جبل حراء وينعزل اليه
حتى قوي فيه نور النبوة وكان الخلق لا يحجبه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله
قال ابو علي بن سينا في مقامات العارفين العارف لا يحتمل الهمس من الخفيف فضلا عن
ساير الشواغل الخالجة وذلك في اوقات انزعاجه بسره الى الحق واما عند الوصول فاما
شغل له بالحق عن كل شيء واما سعة للجانبين لسعة القوة وكذلك عند الانصراف في لباس
الكرامة فهو اهش خلق الله ببهجة قال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان من نفسه عند الوحدة
لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر بملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه واما اذا كانت
ذاته فاضلة فيطلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة ويناجي ربه ويصاعدا
بفكره اليه فيصير الحق جليسه كما حكى عنه تعالى من قوله انا جليس من ذكرني وليس المراد ذكر اللسان
مع غفلة القلب وهو ظاهر فالعارف بالحق استيناسه به الغني بالوحدة معه والعزلة عن غيره
لفضيلة نفسه وكمال عقله ولذلك قيل الاستيناس بالناس من علامة الافلاس ومنها
التخلص عن المعاصي بالعزلة اذ لا يخلص عنها غالبا بالمخالطة وهي كالغيبة والرياء والسكوت
عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع عن الاخلاق الردية والاعمال
الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا ومنها الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين
والنفس عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقلما يخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات
فالمعتزل في سلامة منها ومنها الخلاص عن شر الناس فانهم يؤذونك تارة بالغيبة
وتارة بسوء الظن والتهمة وتارة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها

وتارة

وتارة بالنميمة او الكذب فربما يرون او يسمعون منك من الاعمال والاقوال ما يبلغ عقولهم
فيه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم لوقت يكون فيه فرصة للشر فاذا اعتزلتهم وما يعبدون
من دون الله استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ومنها الخلاص من مشاهدة الثقلاء
والحمقى ومقاساة اطوارهم واخلاقهم وكلماتهم الركيكة الباردة فان رؤية الثقيل هي
الحمى الاصغر وقيل للاعمش لم اعمشت عينك قال من النظر الى الثقلاء قال جالينوس
لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وقال الشعبي ما جلست الى ثقيل قط الا وقد وجدت
الجانب الذي يليه من بدني كانه اثقل من الجانب الآخر فهذه فوايد العزلة واما فوايد الاختلاط
فهي كثيرة لا تحصى فان كثيرا من المقاصد الدينية والدنيوية انما يحصل من الاستعانة بالغير
والاستعانة بهم انما تكون بالمخالطة معهم كيف والانسان كما قيل مدني بالطبع لا يتمشى امر
دنياه ولا دينه ايضا عند الابتداء الا بالمعاشرة والمخالطة فالنظر الى الفوايد والدواعي
اليها كم هي وهي كالتعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستيناس
والايناس وفضيلة الجمعة والجماعات والاعياد وزيارة الاخوان والصلحاء ورؤية العلماء
واعتياد التواضع واستفادة التجارب والاعتبار بمشاهدة الاحوال وكسب
الاخلاق الحميدة من اهلها وثواب التأهل وفضيلة النكاح وتكثير الاولاد المسلمين الذين
يباهي بهم الرسول عليه وآله السلام يوم الدين الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية
واذا علمت فوايد كل من العزلة والمخالطة وغوائلهما التي هي فوات ما في الاخرى من المصالح
فالحكم على احديهما بخصوصها بالتفضيل على الاخرى غير صحيح على الاطلاق بل كل منهما افضل
بالقياس الى اشخاص معينة وفي احوال مخصوصة كما علم مما ذكرنا اذا تقرر هذا فلنرجع الى
المتن قوله عليه السلام فمن عقل عن الله اعتزل اهل الدنيا يعني اذا بلغ عقل الانسان الى حد
يأخذ العلم من الله من غير تعليم بشري اما بحسب اصل الفطرة كما للانبياء او بعد مجاهدات
ورياضات علمية وعملية اعتزل اهل الدنيا والراغبين فيها اذ لم يبق له رغبة الى الدنيا
واهلها ورغبته فيما عند الله من الخيرات الحقيقية والانوار الالهية والاشراقات العقلية
والابتهاجات الذوقية والسكينات الروحية وعند ذلك كان الله انسه في
الوحشة اذ موجب الوحشة في الوحدة فقد المألوفات الوجودية وخلو الذات عن الفضيلة
والخير والله تعالى منبع كل خير واصل كل وجود وكل كمال وخيرية فانما يستوحش من فقد
الاشياء من يرجع الى الله تعالى ويأخذ ويستفيض من رحمته كل ما يريد ومن كان انسه بالله
فيكون صاحبه في الوحدة فيصير وحدته عين الجمعية وغناه في العيلة لان فقره ليس
الا اليه ومن كان فقره اليه لا الى غيره كان غناه به لا بغيره وكان الله ايضا معزه من غير عشيرة
اذ العزة بالعشيرة والنسب عزة مجازية والعزيز بالحقيقة من اعزه الله بعزته التي

لامثل لماوه قطر واعلم ان في هذا الكلام اشارة الى الحديث المشهور الذي في قرب الفرايض
وقرب النوافل فليتامل فيه المشهد السادس عشر في ان طاعة الله لا يتم الا بالعلم
والعلم لا يحصل الا بالعقل قوله يا هشام نصب الحق لطاعة الله ولا نجاة الا بالطاعة
والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل يعتقد ولا علم الا من عالم رباني ومعرفة العلم
بالعقل قوله نصب اما على البناء للمفعول او البناء للفاعل لكن بارتكاب حذف المفعول
اي نصب الحق خلقا او جماعة او نحو ذلك وقوله لا نجاة الا بالطاعة لان الانسان في اول
نشاته العنصرية جوهر ظلماني مخلوق من مواد عالم الظلمات ومن سنخ الطبيعة وانما يصير
بالتصفية والتهذيب والتبديل والتاديب اهلا للعالم العلوي كما في قوله تعالى ايطمع كل
امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون اشارة الى ان الانسان اذا
لم يتبدل نشاته الى نشاة غير هذه النشاة المحسوسة الطبيعية لا يدخل الجنة وانما يدخلها
عند التبديل ولذا عقبه بقوله فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على
ان نبدل خيرا منهم وقال في سورة الواقعة وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم
وننشئكم فيما لا تعلمون فعلم انه لا بد في النجاة من عالم الظلمات الى عالم الانوار من تحصيل
فطرة اخرى بالتطهير والتنزيه وذلك بالطاعة وترك المعصية وروح الطاعة والعبادة
هو العلم كما علمت وحصول العلم لنا لكونه حادثا فينا لا يكون الا بالتعلم والتعلم الحقيقي تبدل
من عقل منفعل بالقوة في جانب المتعلم وهو من عقل فعال بالفعل في جانب المعلم وذلك
المعلم اما ان يكون هو الله ان كان التعلم منه بلا واسطة او يكون عالما ربانيا ان
كان من غيره وعلى اي وجه لا يكون العالم عالما حقيقيا الا ويكون ربانيا اذ المراد
بهذا العلم هو العلم بالاصول الايمانية من الحق الاول وكيفية الهيته وربوبيته وافعاله
القدسية وملائكته العقلية والروحية وانبيائه واوليائه وكيفية الوحي والانزال
والالهام والاعلام واذا كان العلم بكل شيء هو حضور ذاته او صورته العقلية المجردة
عن الغواشي الحسية والخيالية فواهب العلم ومصور النفس بتلك الصور المفارقة
لم يمكن ان يكون الا الله دون البشر من حيث بشريته فكل عالم علما حقيقيا فهو انما ياخذ
علمه من الله لا محالة اما بغير استعانة بشر في الابتداء كالانبياء وصنف من الاولياء
او بسبب اعانتهم وارائتهم الطريق وارشادهم كيفية السلوك والعمل كساير
البشر واما الافاضة والاشراق العقلي فهو من الله خاصة ولهذا قيل ان السلوك
الفكري والاكتساب العقلي اذا لم يتبعه الجذبة الالهية فليس لكثير فايدة وان كل عالم
رباني وحكيم الهي فهو مجذوب معتني به وان جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين
وبالجملة فكل عالم رباني ولا يكون ربانيا الا بكونه عقلا خالصا نورانيا فاحفظ هذا التحقيق

الدقيق الحري بالامعان والتحقيق فانه مقتبس من مشكوة هذا الحديث الوارد من معدن الولاية
وبيت النبوة عليه السلام والتحية المشهد السابع عشر في ان العلم هو الاصل والعمل
انما يراد لاجله فالعلم هو المبدأ والغاية قوله يا هشام قليل العمل من العالم مقبول مضاعف
وكثير العمل من اهل الهوى والجهل مردود توضيح هذا الكلام ان جميع مقامات الدين ومنازل
الصالحين كالتوبة والشكر والصبر والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والرضا وغيرها انما
ينتظم من امور ثلثة معارف واحوال واعمال فالتوبة مثلا لا بد لها من علم وحال وعمل اما
العلم وهو المطلع والمبدأ فهو الايمان والاعتقاد واليقين بان الذنوب سموم مهلكة ثم
هذا الايمان واليقين متى اشرق على القلب يثمر نار الندم فيتألم به القلب حيث يبصر
باشراق هذا النور انه صار محجوبا عن محبوبه وعن اصله الذي منشاؤه وماواه معتقدا
في سجن مظلم كمن كان في ظلمة فسطع عليه نور الشمس بانقشاع سحاب او زوال حجاب فرأى
محبوبه قد اشرف على الهلاك فيشتعل نيران الحب في قلبه فينبعث بتلك النيران ارادته
للقيام بالتدارك والانتهاض للسعي في نجاته فنور العلم ونار الندم الذي هو الحال
والقصد للترك في الحال والاستقبال والتلافي لما فات عنه في الماضي الذي هو من الاعمال
امور ثلثة مترتبة في الحصول ويطلق تارة اسم التوبة على مجموعها وتارة على مجرد الندم ويجعل
العلم كالمقدمة والباعث والترك كالثمرة والتابع فيكون الندم محفوظا بطرفيه مثمره
ومثمرته وهكذا الكلام في الصبر والشكر والتوكل وساير المقامات الدينية في انتظام
كل منها من علم وحال وعمل فهذه الامور الثلثة اذا قيس بعضها الى بعض او وزن
بعضها ببعض لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم مطلقا انما تراد للاحوال والاحوال
تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما اهل البصاير واولوا الالباب فالامر عندهم
بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم
ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه هكذا ذكره
بعض المحققين اقول الغلط انما نشا من اشتراك لفظ العلم بين ما يتعلق بالامور
الجزئية ويتقيد بالاعمال وهي علوم المعاملة سواء كانت مع الله او مع الخلق وبين
العلوم الحقيقية الحرة المطلقة التي هي الكمال وهي علوم المكاشفة وهي ارفع من علوم
المعاملة بل هي ادون من المعاملة فانها تراد للمعاملة ففايدتها اصلاح العمل وفايدة
اصلاح القلب وهو التطهير والتصفية ليست بنفس الصفاء والطهارة لانها امر عدمي
بل لان ينكشف جلال الله وعظمته في ذاته وصفاته وافعاله فهذه المعرفة هي الغاية
التي لا غاية فوقها للانسان فهي تطلب لذاتها لا للعمل ولا لشيء آخر فان السعادة
حصلت بها بل هي عين السعادة فاذا كانت الغاية التي هي المقصودة بالذات هي المعرفة

الالهية وكانت الاحوال والاعمال وسيلة اليها انما يراد لاجلها ففضيلة كل عمل انما هي بقدر
تاثيره في صفاء القلب وازالة الكدورة والحجاب عنه فالعمل المثمر للحالة القريبة من صفاء
القلب هو افضل من غيره وكذا تلك الحالة افضل مما دونها ولكن يختلف تاثير الاعمال
لاحاد النفوس فرب انسان لكثرة قليل العمل في تاثير قلبه وصفائه للطافة طبعه
ورقة حجابه ورب انسان بخلافه لغلظة حجابه وكثافة طبعه فربما لم يؤثر فيه العمل و
ان كثر لتناهيه في البلادة والختم على القلب وربما يؤثر كثيره تاثيرا قليلا اذا تقررت
هذه المعاني فحقق وتبين معنى قوله ع قليل العمل من العالم مقبول مضاعف فمعنى
كونه مقبولا اي مؤثرا في صفاء قلبه وارتفاع الحجاب عنه وكونه مضاعفا اي تاثيره
في قلبه اضعاف تاثيره في قلب غيره ذلك لارتفاع اكثر الحجب عنه بممارسة العلوم والافكار
فان كل مسئلة يحققها العالم فكانه يجلي ويصقل به او له جلاء قوسا من مرآة قلبه
يحاذي بها شطر جزء من عالم الملكوت فاذا كثرت وتلاحقت الافكار والانظار
وترادفت المسائل والعلوم بلغ القلب في صفائه لاحد لا يحتاج معه الا الى يسير عمل
لكن ما دام الانسان في دار الدنيا التي هي دار الغرور لا يستغني بالكلية عن عمل
وكسب لاجل ابقاء اصل التصقيل الذي قد فعل والكمال العلمي الذي قد حصل بل
للمحافظة عليه وحراسته عن الآفات وهي مما يكفيه القليل من الاعمال وقوله كثير العمل
من اهل الهوى والجهل مردود ذلك لعدم تاثير الاعمال والافعال في تلطيف قلوبهم
وازالة الحجاب والغشاوة عن ابصارهم واسماعهم لان قلوبهم قاسية ونفوسهم
جرمانية وحجابهم غليظ وسدهم شديد المشهد الثامن عشر في لمية زهد العلماء
في الدنيا والباعث لهم عليه قوله ع يا هشام ان العاقل رضي بالدون من الدنيا
مع الحكمة ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا فلذلك ربحت تجارتهم معنى ذلك
ومبناه ان العاقل هو الذي يعلم فضيلة الحكمة وشرفها وبقاءها ويعرف خساسة
الدنيا ودناءتها ودثورها وفناءها وسرعة انتقال النفس عنها ويعلم ايضا ان الحكمة
والدنيا لا يجتمعان في قلب وان الدنيا والآخرة ضرتان متضادتان وهما ككفتي
ميزان رجحان كل منهما فقدان الآخر فتاجر مع الله في ترك الدنيا لاجل الحكمة فرضي
بالدون من الدنيا الذي يكفي للبلاغ مع الحكمة التي بها القرب من الله ولم يرض بعكسه
بان يكون له نعيم الدنيا واخباؤها ولذاتها كاملة ولكن مع قصور في العلم والمعرفة فلا جرم
كانت تجارته رابحة حيث بذل امرا خسيسا فانيا بامر شريف باق وعن امير المؤمنين ع
لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف لاختار العاقل الخزف الباقي على الذهب
الفاني فكيف والامر على العكس من ذلك قوله ع يا هشام ان العقلاء تركوا فضول الدنيا

فكيف

فكيف الذنوب وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض اعلم ان امور الدنيا وشهواتها
منقسمة الى ثلثة اقسام قسم منها ضرورات لا يمكن التعيش والبقاء بدونها وهي كانها ليست من
الدنيا لان العبد مكلف باتيانها وانها من الواجبات وقسم منها وهي لذات مباحة لا تمنع
عن النجاة من النار وعذاب الآخرة ولا عن اصل النعيم الاخروي ولكن يمنع عن مزيد الكرامة
وفضل النعمة وكمال القرب منه تعالى وهي المباحات الشرعية من اللذات وقسم منها هي التي
يؤثر في النفس لذتها بحيث تورث ظلمة في القلب وينتج عذابا في الآخرة وعلى اختلاف
مراتبها في هذا الانتاج باختلاف مراتبها في اظلام القلب بحسب قوتها وشدة اللذة
وضعفها وتفاوت استغراق النفس فيها فهذه هي المحرمات الشرعية كبائرها وصغائرها
وكلها دون الكفر الذي هو الحجاب الاعظم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء اذا علمت هذا فاعلم ان العاقل هو الذي ترك فضول الدنيا وان كانت مباحة
لانها تمنع غاية التنزه وكمال القرب فكيف بالذنوب التي هي ارتكاب المحرمات المورثة
لاستحقاق العقوبة الا ان يتفضل الله بالمغفرة والتجاوز عنها بالاحسان فظهر لك ان
ترك الدنيا انما هو من باب طلب الفضل والكمال وان ترك المعاصي والمحرمات من باب
الغرض الذي يطلب به النجاة من العذاب والعتق من النار فالاول يختص بالاحرار
ليصيروا من الاخيار والثاني مشترك بين الناس ليصيروا عتقاء احرارا من النار
غير مقيدين بالسلاسل والاغلال ولا محبوسين في هوى السجين ومنزل المحنة والوبال
قوله ع يا هشام ان العاقل نظر الى الدنيا والى اهلها فعلم انها لا تنال الا بالمشقة ونظر
الى الآخرة فعلم انها لا تنال الا بالمشقة فطلب بالمشقة ابقاهما معناه واضح فان الدنيا
ايضا لا تنال الا بالمشقة كالآخرة الا ترى ان لذة السلطنة اعظم لذات الدنيا ثم ان مشقة
الملوك والسلاطين اعظم من مشقة غيرهم من الرعية لمقاساتهم الشدائد والاهوال
وارتكابهم الحروب والتعرض للجروح والقتال ونهب الاموال واسر الاولاد والاحفاد
فان قال قائل من الذين غرتهم الحيوة الدنيا كالكفار ان الدنيا نقد والنقد خير
من النسية فيكون خيرا من الآخرة لانها نسية وايضا لذات الدنيا يقين ولذات
الآخرة شك فلا يترك اليقين بالشك قلنا هذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس
اللعين فيما اخبر الله عنه وهي مدفوعة اما بالايمان الشرعي او بالبرهان العقلي اما الاول
فهو التصديق بقوله تعالى وما عند الله خير وابقى وللآخرة خير وابقى وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور وما الحيوة الدنيا الا لهو ولعب واما الثاني فهو ان يعرف وجه الغلط
في القياسين الذين وضعهما الشيطان ففي قياسه الاول اصلان احدهما صحيح وهو ان
الدنيا نقد والآخرة نسية والآخر وهو قوله النقد خير من النسية لان فيه محل التلبيس

اذا المهملة والجزئية لا ينتج والكلية تكذب اذ النقيض والنسبة اذا كانا متنافيين في الكمية والكيفية
فهو خير منهما والا فلا واما قياسه الثاني فهو اكثر فسادا من الاول لبطلان كلا اصليه اذ اليقين
خير من الشك اذا كان مثله والا فان التاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمنفعة
في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والمريض في شربه الدواء الكريه
على يقين وفي ادراكه الصحة به على شك وهكذا في ساير الامثلة في هذا الباب وفي كل ذلك
ترك اليقين بالشك ولكن المريض مثلا يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة
لما اخافه من طول المرض او الموت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم العقل
ان يقول الصبر ايام قلايل قريب بالاضافة لما يقال من امر الآخرة فان كان ما قيل
فيه كذبا فما يفوتني الا تنعم ايام الحيوة وقد كنت معدوما من الازل الى الآن لا اتنعم فاحسب
اني بقيت في العدم دايما وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الآباد وهذا لا يطاق
كما روي عن امير المؤمنين ع انه قال لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت
وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما كان قوله ع مبنيا على جواز
شكه في الآخرة ولكن كلم به الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن امر الآخرة متيقنا
فهو مغرور واما اصله الثاني وهو ان الآخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند
اهل الايمان وليقينه مدركان احدهما تقليد الانبياء والاولياء والعلماء وهو مدرك العوام
واكثر الخلق اطمأنوا به كما تطمئن نفس المريض الى تصديق قول الاطباء والحذاق في ان
النبات الفلاني نافع دوائه ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية ولو كذبهم سوادي
في ذلك فيعلم كذبه لكونه جاهلا لما عليه الفضلاء الحذاق الكثيرون فلو ترك احد بقوله
قول الاطباء لكان معتوها فكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقايلين بان
التقوى هي الدواء المفضي للوصول الى سعادتها وبه قال خير خلق الله وجميع الانبياء
والاولياء والحكماء والعلماء وتبعهم عليه الخلايق على اصنافهم وشذ منهم آحاد البطالين
الذين غلبت عليهم الشهوة فجحدوا الآخرة وكذبوا الرسل فقول هذا الغبي الذي
استرقته الشهوات لا يوقع الشك في صحة قول الانبياء ع كما ان قول الصبي او
السوادي لا يزيل طمانينة قلب المريض لما قالته الاطباء وهذا القدر من الاعتقاد
الجازم كاف لجملة الخلق لان يستحث على العمل واما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو
الوحي للانبياء والالهام للاولياء والبرهان للحكماء ويجب ان لا يظن ان معرفة النبي ص
لامر الآخرة ولامور الدين تقليد لجبرئيل ع بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد النبي ص
حتى تكون معرفته كمعرفتك وانما يختلف المقلد هيهات هيهات فان التقليد ليس بمعرفة
بل هو اعتقاد جازم صحيح والانبياء عليهم السلام عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم

لهم حقايق الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات
بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع ورواية كما هو شان المقلد والله ولي التفضل
والهداية وهو مفيض العلم والحكمة والنبوة قوله ع يا هشام ان العقلاء زهدوا في الدنيا
ورغبوا في الآخرة لانهم علموا ان الدنيا طالبة مطلوبة وان الآخرة طالبة مطلوبة فمن
طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فياتيه
الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته توضيح هذا المرام وتبيين هذا الكلام يحتاج الى امرين
احدهما ان رزق الدنيا ونصيب الانسان منها لا يتعلق بسعيه وكسبه بل هو مقدر مضمون
يصل اليه سواء اختاره او لا وسواء تعب وكد في تحصيله او لا ولهذا قال تع وفي السماء
رزقكم وما توعدون وقالت الحكماء ان الدنيا دار اتفاق وبخت بخلاف رزق الآخرة
ونعيم الانسان او عذابه فيها فانه يتعلق لا محالة بسعيه وكسبه ليس للانسان الا ما سعى
وذلك لان كل ما يصل اليه في الآخرة فهو صور اخلاقه واعماله وتبعات صفاته وافعاله
ليس بخارج عنه وارد عليه كما يستفاد من معرفة احوال الآخرة واحكامها بحسب
ما يعرفه العارفون والمكاشفون وثانيهما ان كلا من الدنيا والآخرة طالبة لمن كان مطلوبة
الاخرى بوجه دون وجه فكل منهما طالبة حين كون الاخرى مطلوبة بوجه من الطلب
فمن طلب الآخرة وسعى في تحصيلها فله الآخرة لا محالة لقوله تع ومن اراد الآخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ومع ذلك طلبته الدنيا ليستوفي
رزقها لما مر ان الرزق المقدر يصل الى الانسان سواء طلبه او لا ومن طلب الدنيا
وسعى لها سعيها الذي لا فايدة فيه طلبته الآخرة ليستوفي اجلها اذ الاجل ايضا كالرزق
مقدر مكتوب فياتيه الموت وعند ذلك يفسد دنياه لانقطاعها ويفسد آخرته
لان اكتسابها لا يمكن بعد الموت فثبت وتحقق ان من طلب الآخرة كانت له الدنيا
والآخرة جميعا ومن طلب الدنيا زيادة على ما هو المكتوب لم يكن له الدنيا ولا الآخرة
فاذا تقرر هذان الاصلان ظهر ان العقلاء وهم الذين علموا وتيقنوا ما ذكرناه لا بد
وان يكونوا زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة فهم السعداء في النشأتين والفائزون
بالكرامتين فعلم من ذلك ان بناء كل سعادة وسلامة واصل كل راحة ونعمة على العقل
كما نبه عليه بقوله ع يا هشام من اراد الغنى بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة
في الدين فليتضرع الى الله عز وجل في مسألته بان يكمل عقله فمن عقل قنع بما يكفيه واستغنى
ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى ابدا توضيح ذلك ان من كمل عقله وقوي نوره كان
شغله بالله وانسه مع الله ونعيمه بما يرد عليه من الانوار العقلية المبهجة والسكينات
الالهية اللذيذة فقنع من الدنيا بادنى شيء يقيم بدنه ومن نقص عقله وافلس باطنه من العلم

نهما

والمعرفة كان طالبا للغنى والنعم من الخارجات والامور المادية الدنيوية ولم يعلم ان الدنيا ولذاتها
امور فانية وصور وهمية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فهي مما لا يسمن
ولا يغني من الحق شيئا اذ لا حقيقة فيها فالعاقل يقنع منها بالكفاية ويستغني بالحق من الخلق والجاهل
لا يقنع بالكفاية اذ سدت عليه الطرق الا الى الدنيا لاحتجابه بها عن الحق وبالهوى عن الهدى
فيريد ان يدرك الغنى بالدنيا ولم يدركه ابدا اذا تقرر هذا اتضح ما امر به من الدعاء المتضرع
اليه في السؤال لتكميل العقل لمن اراد الغنى بلا مال والراحة من الحسد والسلامة في الدين
واتضح ايضا ما فيه عليه وما ضده **المشهد التاسع عشر** في ان اصل السعادة الحقيقية
للعبد ان يكون عقله مستفادا من الله وفي ان الظاهر عنوان الباطن والاعمال حكاية
الاحوال اعلم ان المؤمن اذا لم يكن قلبه منورا بنور الله سبحانه وعقله مهتديا بهداه لم يكن
آمنا من الزيغ والضلالة والعمى عن الحق بعد الاجابة والارتداد بعد قبول الدعوة والتردي
الى الهوى الاسفل عقيب الطاعة كما في قوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه وكقوله ذلك
بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وقوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر وجميع
ذلك لاجل ان ايمانهم لم يكن ايمانا حاصلا من طريق الاستبصار بالآيات والبراهين
ولا علمهم نورا فايضا على قلوبهم من الله مكتوبا فيه بقلم الله اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وايدهم بروح منه اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون بل كان ايمانهم تقليديا
وعلمهم حاصلا من افواه الرجال وهديهم هدى الخلق بالرواية والكتابة لا هدى الحق بالدراية
قل ان الهدى هدى الله ومثلهم لا يأمن في حقهم مكر الله فالمؤمن المستبصر ما دام في
الدنيا لابد ان يلتجئ الى الله ويتضرع اليه بالدعاء ان لا يزيغ قلبه بعد الهدى وان يتفضل
عليه بهدى ورحمة من عنده ويؤتيه علما وحكمة من لدنه والى ما ذكرنا اشار بقوله عليه السلام
يا هشام ان الله حكى عن قوم صالحين انهم قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب حين علموا ان القلوب تزيغ وتعود
الى عماها ورداها انه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه
على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه الزيغ هو العدول عن الطريق والردى هو
الهلاك والتردي وهو سقوط الدابة ونحوها الى اسفل كانه تفعل من الردى الذي
هو الهلاك والضمير المرفوع في قوله علموا راجع الى قوم صالحين يعني انهم انما سألوا ربهم
هذا السؤال اي عدم ازاغة القلوب وايتاء الرحمة الوهبية من لدنه لانهم علموا ان
القلوب مما تزيغ وتضل عن طريق الحق وتعود الى عماها وردائها الذي كانت عليها
وذلك لما مر ذكره سابقا ان النفوس البشرية كانت في التكوينات السابقة صورا
طبيعية جمادية ثم نباتية ثم بهيمية الى ان صارت بالاستحالات الذاتية والترقيات

الجوهرية

الجوهرية من حد الطبيعة الى حد هذه النفس البشرية وهي ايضا جسمانية الحدوث روحانية
البقاء ان ساعدها التوفيق الالهي بالعلم والعمل والا كان كلما تعلق من النفوس البشرية
بعالم الطبيعة والدنيا فهو في ظلمة وضلال وعمى عن نور الآخرة ومشاهدة صورها الدائمة
الحقة فهو ايضا في معرض هلاك ودثور لان الدنيا بما فيها ومعها داثرة هالكة لانها
كائنة فاسدة بالذات وبالتبعية فما لم يتجرد النفس عن لباس الطبيعة ولم تخلص من
غشاوة الدنيا لم يتخلص من الهلاك والدثور ولا ينجو من عذاب القبور وعذاب يوم النشور
فاشار عليه السلام الى ما هو كالبرهان على ان القلوب متى لم تعرف من الله من شانها ان
تزيغ عن الحق وتعود الى العمى والردى وتختل قواعد ايمانه بحسب الوجهين العلمي والعملي
فاشار الى الاول بقوله انه لم يخف الله من لم يعقل عن الله وعدم الخوف من الله
رأس جميع المعاصي والذنوب وسببه ان من لم يعقل عن الله كان ايمانه اما تقليديا
محضا كايمان العوام واما ظنيا تخمينيا او جدليا كلاميا كايمان المتكلم وكل ذلك لا يوجب
الخوف من الله والخشية من عذابه اذ الاكثرون حيث لم يعرفوا من الاصول الحكمية
ما يتعلق بحكمته الالهية وباحوال النفس من كونه تعالى مقدسا عن التغير والانفعال
غنيا عن الخلائق وعن عباداتهم وعصيانهم وهو كما يقول في الحديث عنه تعالى هؤلاء للجنة
ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي وانما الذي يصل الى النفوس في القيمة من نتائج
اخلاقهم وتبعات افعالهم للعلاقة الذاتية بين الاشياء واسبابها فلم يخشوا الله
حق خشيته كيف واكثر المتكلمين القائلين بالفاعل المختار انكروا العلية والمعلولية
والعلاقة الذاتية بين الامور فيحتمل عندهم ان الكافر الشقي يصير مغفورا يوم الآخرة
والمؤمن السعيد معاقبا للقول بالفاعل المختار على النحو الذي قرروه واما العلماء
اولوا البصائر فحيث علموا ان الامر في الدنيا والآخرة على القطع واللزوم من غير
تخمين وجزاف فهم خائفون من عقوبة الله غاية الخوف والخشية كما قال انما يخشى الله
من عباده العلماء فلا جرم عملوا في الدنيا وحصلوا ما لم يوجب خلاصهم من النار وفوزهم
بالجنة واما غيرهم فربما يزعم ان الشفعاء تنجيهم من النار وربما يغتر ببعض ظواهر
الاخبار كالمرجئة ونحوهم او بما ورد في ثواب الاعمال مع الغفلة عن شرائطها وربما
يغتر بالنسب الرفيع كالسادة فيقول جدي يشفعني فلا يقوم بالرياضة ولا يعمل عمل
الآخرة فيهلك واشار الى الثاني بقوله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة
وهو ان العلوم متى لم يكن مأخوذة من الله ولا المقاصد العقلية من ابوابها ومباديها
فلم يكن يقينا برهانيا فليست ثابتة في العقل غير قابلة للزوال بل ربما تزول بادنى
شبهة ثم نقول لما تقرر ان بين الروح والجسد علاقة طبيعية وان الروح وصفاتها

وقوا لكالاصل والقلب والغالب بإخفائه كالفرع والقشر ولذلك كل منهما يؤثر في صاحبه تأثيرا
عن صاحبه فالروح متى اتصفت بهيئة الخضوع يسري اثره في الجوارح ايضا واذا اتصفت بهيئة
الغضب يحمر الوجه ويعظم النفس ويشتد الحركة الى الانتقام ومهما يخاف يصفر اللون و
البدن كل ذلك للعلاقة الذاتية بين الظاهر والباطن والسر والعلن فالله سبحانه جعل
العوالم متطابقة وجعل الباطن برهانا على الظاهر والظاهر شاهدا على الباطن والجلي المحسوس
حكاية عن الخفي المستور ودليلا عليه واليه اشار بقوله ولا يكون احد كذلك اي عاملا
ربانيا عاقلا عن الله الا من كان قوله اي اعتقاده لفعله مصدقا وسره لعلانيته موافقا
لان الله تبارك وتعالى اسمه لم يدل اي لم ينصب دليلا على الباطن الخفي من العقل الا
بظاهر منه وناطق عنه وعلى هذا يحمل ما ورد في الكتاب والسنة في باب الصمت من نطق الجوارح
على اللسان وشهادة الاعضاء على الاخلاق والاعمال بما انطقها الله الذي انطق كل
شيء المشهد العشرون في ذكر صفات العقلاء الكاملين وخصايص عقالهم وما يترشح
من انوار عقولهم واسرارهم الى ظاهر الخلق قوله ع يا هشام كان امير المؤمنين عليه السلم
يقول ما عبد الله بشيء افضل من العقل وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى
الكفر والشر منه مأمونان والرشد والخير منه مأمولان وفضل ماله مبذول وفضل
قوله مكفوف ونصيبه من الدنيا القوت لا يشبع من العلم دهره الذل احب اليه من العز
مع غيره والتواضع احب اليه من الشرف يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل
كثير المعروف من نفسه ويرى الناس كلهم خيرا منه وانه شرهم في نفسه وهو تمام الامر
الخصال جمع الخصلة وهي المرة من الخصل وهو الغلبة في النضال الذي يخاطر عليه في تخاصلوا
تراموا في الرمي واصاب خصلا اذا غلب وخصلت القوم خصلا وخصالا فضلتهم و
الخصلة الخلة وهي المراد ههنا وكانه منقول عن المعنى الاول لجامع الغلبة والفضيلة
بينهما وشتى جمع شتيت كمرضى ومريض وشتيت اي متفرق واشياء شتى وجاؤا
اشتاتا اي متفرقين والشر الحقيقي هو الذي يتأذى ويتنفر منه كل شيء بالذات
ومرجعه العدم والهلاك وغير الحقيقي منه ما يكون موديا اليه وان كان في نفسه
وجوديا ويقال له الضر ومثال الاول الاشياء العدمية كالجهل البسيط والفقر و
الموت والكفر ونحوها ومثال الثاني المرض والالم والظلم والجهل المركب والكفر الذي
مع العناد والرسوخ وغير ذلك من الاشياء الضارة والخير ما يقابل الشر بكلا معنييه
لكن التقابل بينهما في احد معنييهما تقابل الايجاب والسلب وفي الآخر تقابل التضاد فالخير
ما يطلبه ويؤثره ويختاره كل احد بالذات وهو الحقيقي ومرجعه الى الوجود البحت والوجود
بما هو موجود والخير بالعرض ويقال له النفع ما هو وسيلة اليه ومثال الاول العلم والايمان

الحقيقيين

الحقيقيين ومثال الثاني العبادة والزهد والرشد خلاف الغي والمراشد مقاصد الطرق
وارشاد الضال هدايته والراشد الهادي والكف في الاصل المنع وفي الحديث يكف
ما وجهه اي يصونه ويجمعه عن بذل السؤال وفيه ان بيننا وبينكم عيبة مكفوفة اي مشرجة
بما فيها مقفلة ضربت مثلا للصدور وانها نقية من الغل والغش فيما اتفقوا عليه من الصلح
والهدنة وقيل معناه ان الشر بيننا مكفوف كما يكف العيبة على ما فيها من المتاع فكانهم
قد جعلوا ما اصطلحوا عليه موضوعا واشرجوا عليه وقوله ع دهره منصوب على الظرفية
وبنزع الخافض اي في تمام عمره يستكثر اي يعده كثيرا ويستقل اي يعده قليلا اعلم
انه يحتمل ان يكون قوله وما تم عقل امرئ الى آخر الكلام من تتمة كلام امير المؤمنين عليه السلم
وكان المنقول منه ع هو قوله ما عبد الله بشيء افضل من العقل فقط ومعناه ان افضل
ما يتقرب به العبد الى الله هو العقل دون غيره من الطاعات والعبادات البدنية
والمالية والنفسية كالصلوة والصيام وكالحج والزكوة وكالجهاد كما في الحديث
المنقول سابقا عن النبي ص يا علي اذا تقرب الناس الى خالقهم الحديث ويحتمل
ان يكون من كلام الصادق ع وعلى كلا الاحتمالين فالعين واحدة والمنبع مشترك
وفرق بعضها من بعض واعلم انه قد ذكر عليه السلم من خصال الكامل في العقل اشياء
عشرة خصلة هي اصول الفضايل ورؤس المحامد اولها البراءة من الكفر والشر في
القول والفعل لان الاول ضرب من الجهل والثاني ناش منه وهما
ينافيان العقل وثانيها كونه مبدأ الرشد والخير وهما مأمولان عنه للخلايق
لكونه هاديا لهم وثالثها الكرم والجود لحقارة المال عنده واستغنائه بالحق
عن كل شيء ورابعها ايثاره السكوت الا بالحكمة والموعظة وخامسها الزهد في الدنيا
لكونها امرا مستحقرا فانيا داثرا وسادسها انه لا يشبع من العلم تمام دهره
اذ لا نهاية له والحق في فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى والواصل الى درجة من القرب
كلما امعن في الخوض والتعمق استنار بنور آخر فوق نوره الاول واشتد
شوقه اليه فيقدر ذلك الزيادة والمعرفة والنور وهكذا الى لا نهاية وما ذكره ع
هو كما روي عن رسول الله ص منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وفيه
اشارة الى ان العلم غذاء للروح يتقوى به ويكمل وبه حيوته كما ان المال غذاء البدن
وبه حيوته وسابعها كون الذل احب اليه مع الله من العز مع غيره لعلمه بان
العزة لله جميعا بالحقيقة والذات ولما سواه لا بالذات بل بالعرض وبالتبع و
كل ما سواه ذليل في ذاته فالعزيز من اعزه الله فكلما هو اقرب اليه فهو اعز واشرف
فمن كان مع الله بالفناء عن نفسه كان عزيزا بعزة الله فضلا عن كونه عزيزا باعزازه

ومن كان مع غيره فيكون وبالا عليه وثانيها اشارة التواضع على الشرف ما دام في الدنيا تأسيا
برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث عرض عليه مفتاح خزائن الارض وملكها فاختار التواضع تذللا لله وانتسب
الى العبودية وادخل في تصحيح تلك النسبة والتحقق بها وثالثها استكثاره واستعظامه القليل
من الاحسان في حقه من غيره تخلق باخلاق الله في تضعيفه لحسنات العباد وعاشرها استقلاله
استحقاره الكثير من احسانه الى الغير لما ذكرناه واتصاله بمنبع الجود والخير وحادي عشرها رؤيته
الناس خيرا منه لحسن ظنه بعباد الله سيما المؤمنين وحمله ما صدر منهم على المحمل الصحيح ولما
راى من محاسن ظواهرهم دون ما خفي من صفات بواطنهم خيرا لهم احسن احوالا منه وثاني
عشرها رؤيته نفسه شر الناس لاطلاعه على دقايق علل النفس التي لا سلامة منها الا بقوة الله
العزيز الحكيم وفضله ورحمته لا بقوة البشرية وطاعته وعبادته وقوله ع وهو تمام الامر
يحتمل ان يكون الضمير راجعا الى الكون الذي في قوله حتى يكون فكان المعنى ان ملاك الامر
وتمامه في ان يكون الانسان كاملا تام العقل هو كونه متصفا بمجموع هذه الخصال المذكورة ويحتمل
ان يكون راجعا الى الاخير وهو رؤيته النفس شر الخلق لانها الموجبة للاستكانة والتضرع التام
الى الله تعالى والخروج اليه بالفناء عن هذا الوجود المجازي الذي كله ذنب في شرح قيل وجودك
ذنب لا يقاس به ذنب وقيل ايضا : بيني وبينك انى ينازعني : فارفع بلطفك انى من البين
قوله عليه السلم يا هشام ان العاقل لا يكذب وان كان فيه هواه هوى يهوي هويا بالفتح
اذا هبط وهوى يهوي هويا بالضم اذا صعد وكان يكبر حين يهوي الى الركوع اي يذهب
ويهبط والهواء ممدودا ما بين الارض والسماء والجمع الاهوية وكل خال هواء وقوله تعالى وافئدتهم
هواء اي لا عقول لهم والهوى بالمصدر مصدر هوى بالكسر يهوى اذا احب حبه واشتهاه
ثم سمي به المهوي المشتهى محمودا كان او مذموما ثم غلب على غير المحمود فقيل فلان اتبع هواه
وفي التنزيل ولا تتبع الهوى ولا تتبعوا اهواء قوم والمراد ههنا الحب مطلقا وهو مقصور
لا ممدود وهو في الكلام واضح قوله ع يا هشام لا دين لمن لا مروة له ولا مروة لمن لا عقل له
وان اعظم الناس قدرا الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطرا اما ابدانكم ليس لها ثمن
الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها المرء الرجل يقال هذا امرؤ صالح وضم الميم لغة وهما مرآن صالحان
ولا يجمع على لفظه والمرأة مؤنث المرء وتقول هذه مرأة صالحة ومرة ايضا بترك الهمزة وفتح
الراء وهي اسم للمبالغة كالرجل وعند الفقهاء لو حلف الانسان بتزوج امرأة يحنث بتزوج
الصغيرة وفرقوا بين شرى المرأة ونكاحها في الحلف فان حنث بالفعل الاصل كان فيه
ثلث لغات فتح الراء على كل حال وضمها على كل حال واعرابها على كل حال تقول هذا امرء بالضم
ورايت امرأ بالفتح ومررت بامرء بالكسر ولا جمع له ايضا من لفظه واما امرأة ففي مثلث الراء
على كل حال والمروة الانسانية والمراد كمال الرجولية وفي سند ... والخطر القدر والمنزلة

والثمن

والثمن بفتحتين اسم لما هو عوض عن المبيع والاثمان المطلقة ما يجب في الذمة وهو الدراهم
والدنانير واما غيرها من العروض ونحوها فلا وان اردت ان تشتري بعضها ببعض فما دخلت فيه
الباء فهو الثمن والماخوذ هو المشترى واباتة ثمنا قليلا فالاشترا فيه مستعار للاستبدال فجعل
الثمن اسما للبدل مطلقا لانه مشترى لا ان الثمن اسم للمشترى به كما مر وهذا مما يسميه علماء البيان
ترشيح الاستعارة قوله عليه السلم لا دين لمن لا مروة له ولا مروة لمن لا عقل له يريد ان الدين
لا يتم بل لا يتحقق الا بكمال الانسانية وكمال الانسانية لا يكون الا بالعقل فمن لا عقل له لا دين له
وقوله ع ان اعظم الناس قدرا الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطرا الماثبت من ما ذكره ع
ان كمال الانسانية وملاكها بالعقل وهو مما يشتد ويضعف فلذلك الانسانية مما تقبل الاشد
والاضعف والاكمل والانقص فبعض الانسان اشد واكمل في نفس الانسانية من بعض اخر
كما بيناه في موضعه وعليه جماعة من قدماء الحكماء يريد ان الشيء لا تفاوت نفوس الانسان في كمال
الانسانية ونقصها بقدر تفاوت استغنائها وتجردها عن الدنيا فاعظم الناس قدرا اي في
الانسانية من لا تعلق له بالدنيا اصلا وذلك لصيرورته عقلا بالفعل مستغنيا عن الحق ولانه اشتغل
قلبه بنور الحق بحيث لا يسع لغيره وقوله اما ابدانكم الى آخره اعلم ان النفوس لما كانت بعضه
في اصل الفطرة فيحتاج في استكمالاتها الى الابدان الطبيعية ثم ان للابدان تحولات طبيعية
بحسب اغراض النفس التي هي متصرفة فيها في فصول العمر واوقاته فالنفس من وقت الطفولية
الى وقت البلوغ والاشد الصوري ممنوة بايراد الغذاء عليه وتحصيل البدل فوق ما يحتاج اليه
به لا يتحلل فيزداد منه ما يزداد في الاقطار لضعف الاعضاء وشدة الاحتياج الى النمو والتخلف
فالنفس منغمسة في البدن ذاهلة عن كمالها فلما قربت الآلات من حد كمالها واشتغل الاحتياج
الى النمو تفرغت الطبيعة باذن الله الى ادخار مادة النوع من الشخص لاستغنائها بكمال الشخص
من صرف الزايد اليه فعند ذلك انفتحت بصيرة عقلها فظهرت انوار فطرتها العقلية وتنبهت
عن نومها في بدنها وتفطنت بقدس جوهرها فطلبت مركزها وغايتها وهي الدار الحيوانية
لكنها ما دامت سن النمو باقية ما توجهت الى عالمها والى المرحلة الثانية ولما اخذت في
سن الوقوف اقبلت الى عالمها واشتدت في طلب الكمال والرجوع الى ذاتها والخروج
الى عالمها اما مستقيما او معوجا حسبما دعاه عقلها او وهمها فكلما اشتد هذا التوجه الطبيعي ضعف
البدن وذبل وذلك هاله عكس حال النفس ومن نعمره ننكسه فلا تزال النفس تقوى
والبدن يضعف حتى يموت البدن وتقوم النفس بذاتها وهي معنى القيمة وذلك معنى
كون الموت طبيعيا لا ما زعمه الاطباء والطبيعيون والمنجمون من ان منشاءه تناهي القوى
الجسمانية وفناء الرطوبة الغريزية او احوال فلكية ونسب نجومية فان جميعها ظنون تخمينية
فاذا تقرر ما ذكرنا فنقول لما علمت ان هذه الحركة الجوهرية التي مقدارها عمر البدن انما هي

لغاية ذاتية وهي الحيوة الكاملة الباقية للنفس اعني كونها في الجنان فاطلق عليه اسم الثمن من باب
الاستعارة المصرحة او المكنية او التمثيلية تشبيها للعمر بالمتاع والغاية المبدل بها
بالثمن فان كان الانسان سعيدا كانت غاية سعيه في هذه الدنيا وانقطاع حيوته البدنية
لكونه على منهج الهداية والاستقامة الا الله والا نعيم الجنة فكانه باع بدنه بثمن الجنة معاملة
مع الله لانه لهذا خلقه الله وان كان شقيا كانت غاية سعيه في طريق الضلالة وانقطاع
اجله وعمره الا العذاب فكانه عامل مع الشيطان وباع نفسه بثمن الشهوات الفانية واللذات
الحيوانية التي ستصير نيرانا محرقة معذبة وهي اليوم كامنة مستورة عن حواس اهل الدنيا
وستبرز يوم القيمة يوم برزت الجحيم لمن يرى وهنالك خسر المبطلون وخاب المكذبون
الضالون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم
يظلمون قوله عليه السلم يا هشام ان امير المؤمنين عليه السلم كان يقول من علامة العاقل
ان يكون فيه ثلث خصال احدها انه يجيب اذا سئل لكونه عالما بالمسائل العقلية والنقلية
وثانيها انه ينطق اذا عجز القوم عن الكلام لكونه لشدة تعمقه وخوضه في العلوم الدقيقة
وكثرة مناظراته ومباحثاته مع الخلان والرفقاء في اثناء الطلب صار منطيقا قادرا
على التكلم والتعبير عما في الضمير بالفاظ لايقة وكلمات ناطقة مطابقة لمقتضى الاحوال
منهية لحق المعاند في الاقوال وثالثها انه يشير بالرأي الذي فيه صلاح اهله في الدين
والدنيا لانه لكمال عقله يعلم الرأي الصحيح الذي فيه الرشد والصلاح من الرأي السقيم
الذي فيه الغي والضلال ويبذل به اهله من غير ان يضن به عليهم او يخون فمن لم يكن فيه
من هذه الخصال الثلث شيء بان لا يكون واحدة منها ملكة له لانه يصدر عنه اتفاقا فهو احمق
لكونه فاقد الفضيلة العقل ان امير المؤمنين عليه السلم قال لا يجلس في صدر المجلس الا رجل
فيه هذه الخصال الثلث او واحدة منهن فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس اي في الصدر فهو
احمق وجلوسه في الصدر مع خلوه عن هذه الخصال مطلقا هو دليل حمقه المضاعف وقال
الحسن بن علي عليهما السلم اذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من اهلها اي اهل اعطائها لان فوت
الحاجة اولى واهون من طلبها من غير اهلها قيل يا ابن رسول الله ومن اهلها قال الذين
قص الله اي عينهم في كتابه وذكرهم فقال انما يتذكر اولوا الالباب قال اي الحسن بن علي ع
تفسيرا لاولى الالباب هم اولوا العقول فدل الكلام على فضيلة العاقل من ان السؤال
لطلب حاجة علمية او مالية او غيرهما لا يجوز الا من العقلاء لا من غيرهم لعدم الجنسية ثم اعلم
ان جماعة من المتصوفة الرسمية لقصور علمهم وذهولهم عن فضيلة الكمال الجمعي الانساني وفطرته
الاسمائية الالهية آثروا العزلة عن الناس والانقطاع عنهم لا لمكان الخلاص على المعاشرة
معهم والمواتية بهم زعما منهم ان ذلك ادخل في طلب الكمال والتوجه الى عالم الملكوت الاعلى

والتقرب

والتقرب اليه بل ربما ذهب كثير منهم الذين نقصوا افهامهم عن نيل الارشاد والتعليم الى
عزل القوى الادراكية وسد ابواب الحواس عن جملة ومنع الصور الادراكية التي هي امثلة
الاعيان الخارجية عن ورودها الى تلك المشاعر وتوهموا ان ذلك هو المقدم للتوجه نحو المبدأ
الفياض والمعد اياهم لانتهاج الطريقة المثلى صوب المقصد الاقصى وكلا القولين زيغ عن الصواب
وعدول عن منهج اولي الالباب اما عزل الحواس وتعطيل القوى الادراكية عما خلقت لاجله
فلا يخفى على ذوي البصاير ان ذلك سد باب العلم لان العلم الانساني انما يكتسب اولا
من جهة المحسوسات ومشاركاتها ومباينتها فيحصل منها المعرفات والحدود ومن الحجج
والبراهين ولهذا قيل من فقد حسا فقد علما ولان هذه القوى الادراكية كالاجنحة للعقل الانساني
بها يطير الى جو الملكوت وفضاء العالم القدسي فالذي عزلها عما قدر الله له فكانما كسر للعقل
الانساني اجنحته بقوادمها وخوافيها التي بها يخرج من مضايق المحصورات وظلم المحسوسات
الى سعة الروحانيات وسماء العقليات واما ترك المعاشرة وطريق الاعتزال عن
الناس فهو منبت النفاق ومغرس الوسواس فانه مع كونه حرمانا عن المشرب الالهي ثم
المحمدي والمقام المحمود الجمعي والكاس الاوفى والمرتع المعلى من وراثة الانبياء المختص بها
العلماء سيما سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله الذي اوتي جوامع الكلم وبعث
ليتمم مكارم الاخلاق يوجب كثيرا من الفضايل والخيرات وفوت السنن الشرعية والآداب
الحسنة وانسداد ابواب مكارم الاخلاق والحسنات والتعري عن حلية الكمالات النفسانية
والسياسات المدنية والتعطل عن اكتساب العلوم واستيضاح المسائل المبهمات
واستكشاف المشكلات وحل الشبهات والتبرك بصحبة العلماء وخدمة المشايخ والكبراء
والاستفادة منهم ان كان ذلك الرجل مبتديا او متوسطا وان فرض انه منته مستغن
عن التعلم والاكتساب فلماذا لم يشتغل بالتعليم والارشاد ليفوز بسعادة الشيخوخية
والتاديب والاصلاح بين الناس ويجمع له الفوز بالسعادتين اللازمة والمتعدية
وبالجملة تمام العقل وكمال المرء انما يحصل بحسن المعاشرة وآداب الصحبة والجمعية تشبها
بالكبراء وتاسيا بالكمل والحكماء وانتهاجا لمنهج الشريعة البيضاء واتباعا لسنن سيد الانبياء
عليه وآله وعليهم الصلوة والدعاء ولما ذكر اشار الصادق عليه السلم حسبما نقل عن
جده ع بقوله وقال علي بن الحسين مجالس الصالحين داعية الى الصلاح وآداب العلماء
زيادة في العقل وطاعة ولاة العدل تمام العز واستثمار المال تمام المروة وارشاد
المستشير قضاء لحق النعمة وكف الاذى من كمال العقل وفيه راحة البدن عاجلا وآجلا
اعلم ان الناس اما كاملون او ناقصون والناقص نقصانه اما بحسب الدنيا او بحسب
العقبى والثاني اما بحسب العمل او بحسب العلم والاول اما في الجاه والثروة او في المال والثروة

والكامل من حقه ان يكون مكملا لغيره فيضا لنعمة الله عليه وذلك الغير اما قابل بالفعل للتكميل لاستعداده
القريب لقبول العلم الذي هو بالحقيقة الكمال واما غير قابل بالفعل لكونه ممنوا بالعوائق الردية
والعلائق الذميمة للنفس وبالجملة حاجة ذا الاستكمال منه اما في العلم او في العمل فصارت
الاقسام ستة اربعة من جهة النقص واثنان من جهة الكمال الاول الناقص في الدين من جهة
العمل فهو المفتقر الى ما يدعوه الى الصلاح فقوله عليه السلام مجالس الصالحين داعية الى الصلاح اشارة
اليه والثاني الناقص فيه من جهة العلم المحتاج الى ما يزيد في عقله فاليه الاشارة بقوله وآداب
العلماء زيادة في العقل والثالث الناقص في الدنيا بحسب الجاه فيفتقر الى طاعة ولاة العدل
والرابع الناقص في المال فيحتاج الى صنعة التجارة واستثمار رأس المال واستفادة
فهذه الاقسام الاربعة اقسام الناقصين وعلاج جميعهم بالمعاشرة والصحبة واما القسمان
الباقيان للكامل من حيث تكميله واستعداد القابل اليه فاحدهما وهو الخامس المسترشد
المرشد المشير الى العلماء والرأي في العلوم النظرية او العملية واما الثاني وهو السادس
فهو الكاف الاذى الخلق عن الخلق بالسياسات ولما كان هذا القسم اكمل الاقسام
وصنعته صنعة افضل اصناف البشر وهم الجامعون بين الرياستين العلمية بوفور
العلم والبصيرة والسياسية بكمال القوة والقدرة ذكر عليه السلام انه من كمال العقل وفيه راحة
البدن اي في الخلق عاجلا وآجلا والله اعلم باسرار كلامه وليه المشهد الحادي والعشرون
في الاشارة الى حزم العاقل وتمكنه في الاقوال والاحتياط وتحفظه عما قدره وشروعه عند بذل
السؤال وتوقفه في الاقدام على ما لا يثق بمشيئته وتثبطه عن المسارعة الى ما يخاف
فوته او العجز عنه للاستعجال قوله عليه السلام يا هشام ان العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه
كما كان من حال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو اعقل العقلاء من انه كان متوقفا في التحدث عما جاء
به الوحي كاظهار اصل البعثة او المعراج او نصب الامام بعده خوفا من التكذيب حتى
جاء امر الله تعالى بالاظهار والاعلام في مثل قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وقل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون وقوله بلغ ما انزل اليك وكما كان من حال موسى عليه السلام
حيث كان يخاف ان يكذبه فرعون وقومه كما قال تعالى حكاية عنه رب انى اخاف
ان يكذبون وكما كان هو واخوه هرون على نبينا وآله وعليهما السلم كما حكى الله عنهما
بقوله تعالى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى حتى شجعهما الله تعالى بقوله
لا تخافا انني معكما اسمع وارى فأتياه فقولا انا رسولا ربك ولا يسأل من يخاف منعه
اي لا يطلب شيئا عمن يحتمل عنه المنع والاعطاء جميعا فلا يقطر ماء وجهه لدى الحاجة عنده
من لا يثق بجوده وكرمه ممن يسأله السؤال كما قيل الا رب ذل ساق للنفس عزة
ويا رب نفس بالتذلل عزت * اذا ما مددت الكف ألتمس الغنى * الى غير من قال اسئلوني فشلت

ولا يعد

ولا يعد ما لا يقدر عليه اي لا يعد احدا امرا من الامور حتى يعلم انه قادر على اتمامه والبلوغ الى غايته
ولا يرجو ما يعنف برجائه التعنيف التوبيخ والتقريع واللوم اي العاقل لا يرجو فوق
ما يستحقه ولا يتطلع الى ما لم يستعده بعد كما قد يصدر عن بعض المريدين والطلاب القاعدين
على سواحل بحر المشايخ والاستاذين بيد التطلع الى كل ما فضل الله به على الشيخ من اسراره
وكراماته فيطمع فيما حصل للشيخ قبل الاستعداد فيعنفه الشيخ برجائه البعيد وطمعه الفاسد
قال بعض اصحاب القلوب في معنى قوله تعالى حكاية عن حال رسول الله صلى الله عليه وآله ما زاغ البصر وما
طغى وجها لطيفا الطف مما يوجد في التفاسير وهو ان ما زاغ بصره صلى الله عليه وآله حيث لم يتخلف
عن البصيرة ولم يتقاصر والظاهر مع الباطن والقدم مع النظر والمراد بالنظر العلم والشهود
وبالقدم الحال والمقام ففي تقدم النظر على القدم طغيان اذ ليس كلما يتصوره الانسان
يمكنه ان يتصف به او يبلغ اليه فالتطلع والنظر اليه بعين الطمع طغيان وفي تأخر القدم
وتخلفه عن النظر فيما من شأنه ان يناله تقصير وكسالة فالكامل من اعتدلت احواله وصار
قلبه كقالبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره وبصره كبصيرته وبصيرته كبصره وحيث
انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معنى رسول الله صلى الله عليه وآله ونوره
على ظاهره واوتي براقا يضع خطوه حيث ينتهي نظره لا يتخلف قدم البراق عن موضع
نظره كما جاء في حديث المعراج فكان البراق كقالبه وقشره مثلا لمعناه ولبه ومتصفا
بصفته لقوة حاله وكمال عقله ومعناه وقوله عليه السلام ولا يتقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه
اي لا يقدم العاقل على فعل قبل وقته خوفا وحذرا عن فوت وقته بالاقدام عليه
اوله فربما يريده حين لا يقدر عليه اذ قد خرج عن قدرته باتيانه والله ولي التوفيق

الحديث الثالث عشر علي بن محمد عن سهل بن زياد رفعه قال قال امير المؤمنين عليه السلم
العقل غطاء ستير والفضل جمال ظاهر فاستر خلل خلقك بفضلك وقاتل هواك بعقلك
تسلم لك المودة وتظهر لك المحبة **الشرح** الغطاء ما يغطى به الشيء كثوب ونحوه
ونهي ان يغطي الرجل فاه في الصلوة عادة العرب التلثم بالعمائم على الافواه ومنه
المستحب تغطية الرأس في عدة مواضع وسترت الشيء غطيته وستير فعيل بمعنى
فاعل وان الله حيي ستير يحب الحياء والستر اي فاعل من شأنه وارادته حبهما ورجل
ستير اي عفيف وجارية ستيرة اي عفيفة والمعنى والله اعلم ان العقل اي كمال
القوة النظرية بادراك حقائق الاشياء الثابتة والامور الايمانية من العلم بالله
وصفاته وافعاله غطاء ساتر للعيوب الباطنة وغافر للذنوب الامكانية والفضل
اي الكمالات والخيرات الزائدة على ذلك العقل النظري ويسمى الجمع بحسن الخلق جمال
ظاهر لظهور آثاره من حسن الادب والكرم واللطف والمودة وساير الاخلاق الحميدة

والعلوم المتعلقة بها التي هي كمالات القوة العملية من النفس وقوله فاستر خلل خلقك
بفضلك اي اجبر نقايص اخلاقك بفضايل الصفات والافعال وقوله قاتل هواك
اي جاهد بعقلك لان الانسان لا ينجو من العقوبة ولا يخلص من رق التعلقات الدنيوية
الا باكتساب العقل ولا يمكن اخماده الا بردع الهوى وقمع الشهوات ولهذا امر هناك
بالستر وهنا بالمقاتلة والقتل لوجهين احدهما ان النجاد يرم العيب يمكن حصولها مع الفسق
وان كان كبيرة ولا يمكن مع الكفر وثانيهما ان من الاخلاق ما لا يمكن ازالته بالاصل
وحسمه بالكلية في دار الدنيا لمخالطة الخلق بالفتح مع الخلق بالضم ونشوهما متمازجين فيعتذر
على ان المخلوق على صفة الجبن مثلا ان يصير شجاعا مقداما في الحروب وكذا المجبول
على صفة الغضب سيما اذا ما كرت في نفسه بالنشو عليها مدة من العمر فغاية سعيه
في المعالجة عن مثل هذه الامراض الباطنة هي ان يمنعها عن الظهور بمقتضاها او لا يعملها
لان يمحي اصلها بخلاف ازالة الهوى والكفر والجحود للحق فانها مقدورة لكل احد
لست اقول كل جهل بسيط يمكن ازالته فما من بشر الا وقد بقي له كثير من العلوم لم
يدركها بل لنسبة ما ادركها الى ما لا يدركها نسبة متناه الى غير متناه كما وكيفا بل المراد
ادراك ما من شانه ان يدركه وترك الجحود فيما لم يدركه بعد ورفع العناد واللجاج
والاستكبار بقمع هوى النفس وهذا كله واقع تحت القدرة البشرية لمن سبقت له
العناية بالحسنى وقوله عليه السلام تسلم لك بالمودة وتظهر لك المحبة الفعلان مجزومان
بانهما جوابان للامرين المذكورين اولا اي استر خلل خلقك باكتساب الفضايل
الخلقية ليحبك الناس ويسلم لك بالمودة والالفة وادفع هواك بالعلم والحكمة
ليظهر حجتك على الناس فاطاعوك في اظهار الحق واتبعوا سبيلك واهتدوا
بهداك لتفوز بالسعادتين الصلاح والاصلاح والعلم والتعليم والرشاد والارشاد

الحديث الرابع عشر عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن علي بن حديد ضعفه الشيخ في كتاب
التهذيب والاستبصار وقال الكشي قال نصر بن صباح انه فطحي من اهل الكوفة وكان
ادرك الرضا عليه السلام عن سماعة بن مهران بن عبد الرحمن الحضرمي يكنى ابا ناشرة وقيل
ابا محمد روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم ثقة ثقة وكان واقفيا قال
كنا عند ابي عبد الله عليه السلم وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل فقال
ابو عبد الله عليه السلم اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا قال سماعة
فقلت جعلت فداك لا نعرف الا ما عرفتنا فقال ابو عبد الله ان الله خلق العقل
الحديث **الشرح** ان الله خلق العقل اي ابدعه من غير واسطة فهو المبدع بالحقيقة
دون غيره من الممكنات لانها بتوسطه لقوله وهو اول خلق من الروحانيين وهم الجواهر

النورانية التي وجودها غير متعلق بالاجسام فان كان فعلها ونفس وجودها متعلق بالاجسام فهي نفسانية
الوجود والا فهي عقلية والانوار العقلية كلها حقيقة واحدة لا تفاوت بينها في الماهية وعوارضها
بل بالشدة والضعف والكمال والنقص في اصل النورية والوجود والبرهان عليه مذكور
في كتبنا عن يمين العرش الجار متعلق باول خلق ان كان المراد بالروحانيين المعنى
الاعم او بالروحانيين ان كان المراد المعنى الاخص فكانوا مع العقل الاول على يمين العرش
ومعنى اليمين الجانب الاقوى من الانسان وغيره او اليد اليمنى التي هي اقوى من اليسرى
ولما كانت حقيقة اليد اي مفهومها وروح معناها هو الواسطة بين الفاعل وفعله كالبطش
والقبض والاعطاء فاستعير لفظها لما يتوسط بين الله تعالى وفعله وجوده فيقال للواسطة
في فيض الرحمن يد الله ولا يلزم ان يكون جسما مخصوصا ولا مركبا مخصوصا من التركيب المخصوص
من لحم وعصب وعظام ولا ان يكون جسما على الاطلاق اذ لا دخل لهذه الخصوصيات العامة
والخاصة في اصل معنى اليد وروح مفهومه وكذا الكلام في الاصبع التي هي واسطة التقليب
والتصريف من شعب اليد فيد الله تعالى واصبعه هي ما يناسب ذاته وصفاته كما قال
يد الله فوق ايديهم وقال الرسول صلى الله عليه وآله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها
كيف يشاء ولما كان اليمين هو الجانب الاقوى والجانب الاقوى في ترتيب الموجودات
هو ما يلي الحق فكل موجود هو اقرب من الله في سلسلة الاسباب الذاتية فهو ايمن
بالقياس الى ما بعده لكونه اقوى واشرف والعرش الذي هو مستوى الرحمن كانه
جوهر متوسط بين عالم العقل الثابت المحض وبين عالم التغير والتجدد نفوسا
كانت المتغيرات او اجساما ومفهوم الرحمة المشهور في اللغة رقة القلب المقتضية للعطوفة
على غيره وما يليق به تعالى من هذا المعنى ايجاده وتاثيره في الاشيا المتغيرة التي لها تشكلات
ذاتية او عرضية زايدة على اصل تجوهرها وفطرتها الاولى لان مصدر المتغيرات
عندنا فاعل متغير لا يفعل شيئا الا بان ينفعل هو في نفسه ولا يحرك شيئا الا بان
يتحرك والباري اجل اسمه لا يتغير ذاتا ولا صفة في ايجاده للمكونات ثابتة كانت
او مستحيلة ولكن ايجاده تعالى للثابتات بنفس ذاته بلا وسط وبتوسط العرش الذي
هو واسطة فيض الرحمن والبرزخ بين عالمي الامر والخلق فايجاده للمتغيرات بواسطته
عبارة عن معنى اسمه الرحمن وايجاده للاشيا لا بواسطة بل مطلقا عبارة عن الهيته
فالرحمانية اخص من الالهية وتحت حيطتها والانسان لكونه مخلوقا على مثال الله تعالى
ذاتا وصفة وفعلا فروحه الذي من امر ربه مثال ذاته ودماغه الذي هو معدن
ادراكاته وهو مملكة الرحمن وصدره مثال الكرسي وكان للانسان افعالا كلية تصدر
عن روحه الاعلى لا بتوسط قلبه كالافكار والتعقلات وافعالا جزئية تصدر عن روحه

بتوسط القلب كانفعال العطوفة والرأفة والغضب والشهوة والحياء والخجل والخوف والرجاء والمشي
والكتابة وغيرها من الاشياء الحيوانية الشهوية والغضبية ولا تفعل شيئا منها الا بعد حصول اثر
منه في القلب وضرب من الانفعال المناسب لذلك الفعل منه فالانفعال والتأثر الذي
يوجب فعل العطوفة يطلق على الرحمة فالرحمة الانسانية لها مبدأ في القلب هو نحو الرقة واللين
ولها غاية هي ايصال النفع الى المرحوم عليه فقد يطلق اسم الرحمة على ذلك المبدأ الذي هو الانفعال
الخاص من الانفعالات مناسب لصورة ما يحصل منه خارجا وقد يطلق على تلك الغاية التي هي من
باب الافعال كاطلاق الخلق على المخلوق والكتابة على المكتوب وكذا الحكم في الغضب والشهوة
ونظايرهما فاذا تقرر هذا فنقول جميع ما يصدر منه في الاشياء الخارجة لا بد ان يكون منشأها
ومبدأها حاصلا اولا في العرش قبل صدورها ووجودها لان الله تعالى فاعل لها بالارادة والاختيار
وكل فاعل لشيء بالاختيار لا بد ان يتصوره اولا ولاجل تصوره اياه يشاؤه ويريده
ولكن العلم والمشية والارادة التي هي العزم امور متغايرة المفهوم قد يكون متعددة في
الوجود من مرتبة في الكون كما في حقنا وفي حق الله تعالى واحدة في الوجود مرجعها الى علمه بنظام
الخير على وجه تفصيلي دون علمه الكلي القضائي الذي هو فوق هذا العلم وذلك العلم محيط بالكرسي
وما حواه كما دل عليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء وقد اوله المفسرون المحققون بالعلم وهو
غير العلم المتقدم بكونه في العرش ثم لما كان النازل منه تعالى بواسطة العرش على الاشياء
ليس الا الخير والاحسان والكرم واللطف والامتنان ومقابلات هذه من الآفات
والمحن والشرور ابدا انما يصدر بالذات بل هي توابع لاحقة بسبب اكتساب السيئات
وفعل القبايح من العباد او بسبب سوء استعدادات من المواد فمبدأ الافعال الصادرة
عنه تعالى بواسطة العرش ليس الا مبدأ الرحمة ومنشأ العطوفة والرأفة ولهذا يقال له
عرش الرحمن ولا يقال عرش الجبار او المنتقم وليس كالقلب الانساني الذي يوجد
فيه مبادي افاعيله المتقابلة المتضادة تارة يرق فيترحم وتارة يقسو فيتعنف وكذا
تارة يستهويه الشهوة وتارة يستلبه الانتقام ومرة يهوله الخوف ومرة يخبطه الرجاء
فمن اجل سرعة تقلبه في الاحوال سمي بالقلب وقيل ان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن واما تخصيص قلب المؤمن بهذا الحكم فانما كان من جهة ان منشأ تقلبه هو اصبعان
من اصابع الرحمن لا غير وفيه سر يطول الكلام بذكره وبالجملة فالله سبحانه برحمته الذاتية
الاجمالية التي عين ذاته ابدع العرش ليكون مستوى لرحمته الخلقية التفصيلية على وزان
علمه الاجمالي وعلمه التفصيلي وهكذا في ساير صفاته الحقيقية واسمائه الذاتية من نوره اي
خلق العقل خلقا من نور ذاته الذي هو عين ذاته فمن صفة لمصدر المنصوب المتعلق بالفعل
ويحتمل تعلقه بالمصدر المجرور فان الروحانيين كلهم مخلوقون من نور ذاته فقال له ادبر فادبر

والمراد

والمراد من ادباره العقل هنا اقباله الى ما يصدر عنه او بتوسطه من الحق تعالى من الاجسام وموادها
وصورها ونزوله في مراتبها المتنازلة الى غاية البعد عن عالم الربوبية فان الله تعالى امره بذلك
امرا ايجابيا تكوينيا فاطاع امره وانقاد كلمته واستخلق الاكوان باذنه ونزل في الاطوار
الخلقية وسيرها النازل من غير ان يفارق معدنه ويخلي مرتبته ومقامه في القرب بل
ترشح بفضل وجوده الفايض بقوة الله تعالى على وجود ما دونه ثم قال له اقبل فاقبل اقباله
الى الله تعالى بعد نزوله في مكامن الخلقة ونقايص الجسمية ومعادن الظلمة والشرور ومهاوي
الجهل والغرور عبارة عن انتباهه من مرقد الطبيعة وتيقظه من نوم الجهالة وتفطنه
بان له سوى هذه النشأة نشأة اخرى ورجوعه الى ذاته بالاستكمال وترقيه الى
معارج الكمال باكتساب العلوم والاحوال واجتنابه عن الرذايل والمناهي وتجرده عن
الملابس والغواشي وتدرجه الى درجات المعالي وتصوره بصورة بعد صورة و
تكونه بكون فوق كون وطور فوق طور على عكس الترتيب الذي في النزول والهبوط
كان عقلا فصار نفسا ثم طبعا ثم صورة ثم جسما وفي الصعود والرجوع اليه تعالى كان جسما
فصار صورة بعد صورة وطباعا بعد طباع ثم نفسا بعد نفس ثم عقلا بعد عقل اي كان
اولا عقلا هيولانيا ساذجا ثم عقلا اوليا ثم عقلا بالملكة ثم عقلا منفعلا نفسانيا مشتغلا في
صورة الى صورة ثم عقلا مستفادا ثم عقلا بالفعل متحدا بالصور المعقولة كلها او جلها
ثم صار عقلا فعالا وهناك يرجع الى ما نزل منه وانتهى الى ما بدا منه وصارت نهاية
القوس العروجية الاقبالية بداية القوس النزولية الادبارية واعلم ان الفرق
متحقق بين كيفية الترتيب والتقدم والتأخر في السلسلتين غير ما علمت من كون كل
منهما على عكس الاخرى في الترتيب وذلك بوجوه احدها ان تحقق الاولى دفعي
والاخرى تدريجي زماني وثانيها ان النزول هناك بمجرد الافاضة والنازل لا يترك
مقامه العلي حين نزوله الى المقام المحلول لكن لما كان وجود المعلول رشح وجود العلة
ولا تفاوت بينهما الا بالكمال والنقص وكمال الشيء هو الشيء مع الزيادة فصح اطلاق
النزول على العلية واما الصعود هنا فهو عبارة عن زوال السابق عند تحقق اللاحق
فالناقص في الوجود اذا كمل بطل وجوده الناقص وصار كاملا ولم يبق من نقصه
اثر عند كماله وثالثها ان آحاد كل من السلسلتين ليست بنفس ما يحاذيه من الاخرى
بالتشخص والعدد بل بالماهية والحقيقة فقال الله خلقتك خلقا عظيما وكرمتك على
جميع خلقي اي ابدعتك عظيما واوجدتك كريما الا انه لم يكن وصفا كريما الا من حيث اعتباره
من جهة الرجوع فليتأمل قال اي ابو عبد الله عليه السلم ثم خلق الجهل من البحر الاجاج ظلمانيا
اعلم هداك الله طريق العرفان وجنبك عن الهوى والجحود والكفران ان المراد من الجهل هنا

ليس الجهل البسيط لكونه امرا عدميا اى عدما للعلم عما من شانه العلم والاعدام سواء كانت سلوبا محضة
او ملكات فانها ليست مخلوقة وليس المراد به الجهل المركب بالمعنى المشهور وهو صورة عارضة
مخالفة للواقع كما ان العقل المذكور فى مقابله ليس مجرد صورة علمية عرضية مطابقة للواقع كما
العلوم والجهالات الحادثة اعنى العلوم الحصولية المرتسمة فى النفوس واعداها بل العقل والجهل
المذكوران فى هذا الحديث من افراد الوجود العينى احدهما خير صرف والآخر شر محض وهى محض
وكما ان العقل هو الصورة العقلية التى ان كانت حاصلة لغيره كان الغير بها عاقلا واذا
كانت غير حاصلة لغيره بل قائمة بذاتها كانت معقولة لنفسها والعقل البسيط الذى وجوده
فى الوجود هو كل المعقولات كما حقق فى مقامه فكذلك الجهل المضاد للعلم المقابل للعقل تقابل
التضاد عبارة عن صورة نفسانية مضادة للعقل غير مطابقة للعلم والحكمة ولا للواقع بحسب الحكم
والتصديق وان كانت لها حظ ما من الوقوع بحسب نفس التصور فكما ان الصورة العلمية
اذا تأكدت فى نحو الوجود واشتدت فيه صارت عقلا وجوديا جوهريا فكذلك الصورة الوهمية
الكاذبة اذا تأكدت واشتدت فى وجودها صارت شيطانا مريدا بعيدا عن الحق
وكلما كانت جهالاته اكثر ورسوخها اشد كانت قوة جهالته اقوى وشيطنته اكثر واحتجابه
بذاته عن الحق اعظم واكد حتى يبلغ المنتهى ويصل الغاية فى الضلالة والغواية والكفر والردى
وصار جهدا اشعب الضلالة ومنبع طرق الجهالة ورئيس اهل الغواية والجاحدين والمتكبرين
وقدوة الفراعنة والجبابرة والمتمردين فهذا هو المراد من الجهل ههنا وليس اطلاق الجهل
عليه من باب التجوز والمبالغة مثل زيد عدل بل على نحو ما ذكرناه فى العقل واما من البحر
الاجاج فاعلم ان الله تعالى شبه العلم بالماء واطلق عليه اسم الماء لكونه مثالا للعلم فى عالم الاجسام
فكما ان من الماء حيوة كل شىء فى هذا العالم فمن العلم حيوة كل شىء فى عالم الآخرة وقوله وكان
عرشه على الماء اى على العقل فاذن مطلق العلم هو مطلق الماء وكثيره بحر وقليله نهر او جدول
او ساقية او جرعة وماء العقل بجوهره لما صاف عن كدورة الاجسام وظلمات الاعدام
عذب طيب الطعم وماء الجهل لما كدر ظلمانى اجاج كريه الطعم والرائحة على ذوق العقل و
مشام العرفان ولما كان العقل مخلوقا من النور الذى هو اول خلق الله فى البدء
فمن النور الذى هو عين ذاته تعالى وعين علمه بذاته الذى هو العلم بجميع المعلومات على
وجه اشرف واعلى واما العقل الذى هو آخر الموجودات فى النهاية فمن الانوار
المترادفة والتعقلات المتكررة حتى صارت ملكة ثم صورة جوهرية بسيطة قائمة
فعلى كلا الوجهين كان العقل مخلوقا من نور العلم وماء الحيوة الصافى عن كدورة الجسم وظلمة الهيولى
وغشاوة العدم وامتزاج الشر والآفة واما خلق هذا الجوهر النفسانى المسمى بالجهل فانما
يكون وجوده من الله تعالى لا بالذات والاصالة بل بالتطفل والتبعية من الجهات فعلى الثانى

خلق

خلق من منبع الشر وهو الجهة الامكانية فى بعض العلل الاوائل ومن قابل الشر وهو المادة
التى بها تعلق الوجود النفسانى فان المادة البدنية علة قابلية لتشخص النفس كما ثبت فى
مقامه وان الهيولى الجسمية انما نشأت من اواخر العقول من حيث جهة امكانها فقوله
خلق الجهل من البحر الاجاج يكون اشارة فيه الى العلة القابلية وهو المادة الاولى الجسمانية
واما فى الانتهاء اى ما كان الجهل جهلا مستفادا بعدما كان جوهرا ساذجا خاليا عن الطرفين
العلم والجهل المضاد له متساويا بالنسبة الى الخير والشر الوجوديين فبتكرر الجهالات وتراكم
السيئات واكتساب التصديقات الكاذبة والجهالات الراسخة مع التقليدات
والتعصبات الجاهلية حتى ان رسخت الاكاذيب الوهمية وصارت كالمسامير
المؤكدة فى القلوب مع ما تولدت عنها من ذمائم الصفات وقبائح الاخلاق ورذائل
الملكات فهذا الجوهر الشيطانى قد تكون من ماء العلوم الكاذبة الممزوجة بالشرور والظلمات
المزدوجة من قبائح السيئات فعبر عنها بالبحر الاجاج لكثرتها ووصفت بالظلمة لكونها ساترة
لنور العلم غاشية على بصيرة اصحابها فان قلت هذا الجوهر الظلمانى أواحد او كثير
قلنا واحد بحسب الحقيقة متعدد بحسب المراتب فى الشدة والضعف ومتكثر ايضا بحسب
التشخص العددى وقد يكون لها افراد فى مرتبة واحدة من القوة مختلفة بالتعينات
واللواحق المشخصة فان قلت الشر لا ذات له فى ذاته ووجوده من اى نحو من انواع
الجواهر قلت الشر الحقيقى مع كونه عدميا قد يكون من افراد الوجود عندنا ومن هذا القبيل
وجود الآلام لانها عبارة عن الادراك الحضورى لحصول فقد ما وزوال حالة ملائمة
مثل تفرق الاتصال الحاصل فى العضو اللامس فانه لو لم يكن القوة اللامسة
سارية فى العضو المقطوع لم يكن هذا الالم موجودا لها وكذا لو ادركت النفس بقوة
اخرى غير اللمس السارى فى ذلك العضو تفرق اتصاله لم يكن لها هذا الاذى المخصوص
بل ان كان فضلا نوع آخر منه وضرب آخر من الشر العدمى لوجوده ايضا لما عند ذلك
فان وجود كل شىء هو تمام شيئيته وتأكد هويته وان كان ذلك الشىء عدما فافهم
هذا فانه مزود فايق العلوم وبه ينحل كثير من الاشكالات فاذن نقول هذا الجوهر
وان كانت جوهريته من باب العقل لكنها ضعفت العقلية فيه وبلغت الى الغاية
من النقص والابهام والقصور حتى تقومت بالوهميات الكاذبة وتباعدت
عن الحق والنور حتى تعينت بالجهالات واتحدت بالظلمات فصار وجوده عين
الشر والآفة وعقله نفس الجهل والشقاوة ونوره محض الظلمة والحجاب قوله
فقال له ادبر فادبر اى امر الله له امر التكوين اهبط من عالم الملكوت والنور
الى عالم الظلمات ضبطا لمصلحة النظام وابتلاء من الله تعالى للانام اذ نظام هذا العالم وتمامه

لا يصلح الا بنفوس شريرة وقلوب قاسية وتكميل المهتدين والسعداء لا يتمشى الا بوجود الاشقياء
والمردودين ولو كانت النفوس كلها انبياء واولياء وسعداء لاختل النظام بعدم النفوس الغلاظ
والشياطين الانس القايمين بعمارة هذا العالم ولان يتحقق مظاهر بعض الاسماء ولا يتم ظهورها بها
فان العدل والمنتقم والجبار والتواب والغفور والعفو اسماء الهية وصفات ربانية
لا يتجلى الحق بها الا اذا جرى على العبد ذنب ولذلك ورد في الخبر لو انكم لا تذنبون لاذهب الله
بكم وجاء بقوم يذنبون وعنه صلعم حكاية عن ربه انين المذنبين احب الي من زجل المسبحين قوله
ثم قال له اقبل فلم يقبل تركه الاقبال الى الله لتأكد وجوده الظلماني وشدة احتجابه بالظلمات
ورسوخه في ذمايم الصفات وقوة انانيته وشدة ابائه واستكباره وامتناعه عن قبول
الذلة والاحتقار وتبدل هذا الوجود الظلماني واستكباره عن السجود والخضوع واعراضه
بجهله وتعصبه وتعصيه عن قبول الوعظ والنصيحة والتعليم فان الاقبال الى الحق والاشتغال
الى النشأة الاخرى الا النشأة الاولى انما يتيسر لنفوس السعداء لاجل ضعف وجودهم
الجسمانية وقبولهم التبدل في الاكوان الوجودية وتحولهم من نشأة الى نشأة وتطورهم من
طور الى طور فنا بعد فنا لبقا فوق بقا حتى يبلغوا الى الغاية ويعرجوا في التقرب الى النهاية
كل ذلك لضعف انيتهم وانانيتهم وتعلقهم بهذا الوجود وتقيدهم بهذه المحابس
والقيود وترك التفاتهم الى شيء الا الى المبدأ الكل خير وجود ولذلك صار مطرودا
عن الباب كما اشار بقوله فقال الله استكبرت فلعنه اي استكبرت بنفسك
بالعين وعظمت وجودك هذا الوجود الخسيس المبين لجهلك فابعدك عن الحضور وحجابك
عن معادن النور والسرور بغواشي عالم الظلمة والكدورة والشرور فلا جرم ابعده
عن رحمته وطرده عن دار كرامته وجنبه عن جنته فصار من الايسين عن رحمة الله وانتهى
الى اسفل سافلين وهوى الضالين ومثوى المتكبرين ومعدن الشياطين قوله
ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جندا هذه الجنود هي قوى وصفات حسنة من آثار
صفات الرحمة افاضها الله على العقل ليستعين بها في السلوك الى طلب الحق و
يستعملها في المجاهدة مع اعدائه وقطاع طريقه في سبيله الى الله واعلم انا يمكننا
ان نعرف بنور الاستبصار والاعتبار كمية وجود هذه الجنود والحاجة اليها للعقل
في الاهتداء والاستبصار والمجاهدة في سبيل الله مع الكفار والاشرار والتخلق
بمكارم الاخلاق ومحامد صفات الابرار النافعة في حسن المعاش والمعاد الموجبة
للسلامة العاجلة يوم القرار الا ان تعيين عددها بهذا المبلغ المعين اعني الخمسة و
السبعين وكذا عدد مقابلاتها مما لا يعرف الا بنور النبوة ومشكوة الولاية فمعرفة
حصرها في هذا العدد وكذا حصر مقابلاتها فيه موكول الى السماع من اولياء العصمة واهل

البنوة سلام الله عليهم قوله فلما رأى الجهل ما اكرم الله به العقل من الجنود الباطنة وما
اعطاه من الصفات الحميدة التي هي كانها رشحات صفاته العليا ومنازل آياته الكبرى
ومظاهر اسمائه الحسنى اضمر له العداوة وكيفية هذا الاضمار وهذه العداوة في الجهل
الذي في البداية قبل الهبوط بنحو والجهل الذي في النهاية وعند النزول بنحو آخر اما كيفيتهما في البداية
بعدما علمت ان المراد بالجهل جوهر شرير هويته عين الجهل فهي ان تقول وجوده بحيث كان
مضادا لوجود العقل فكان نفس العداوة وعداوته اياه نفس تضاده واضماره اياها
عبارة عن اندماجها في ذاته واندراجها في وجوده واتحاده بها واما كيفيتها عند النزول
فعداوته للعقل يكون صفة عارضة له حسدا بما يظهر له من فضايل العقل ومحاسن صفاته وافعاله
وما اكرمه الله به من العلوم والكمالات مما هو مسلوب عنه ولا يمكنه تحصيلها لبعده لا عن جهة
عن الحق سابقا ولاحقا ولا يقدر انفه على جحودها وانكارها لغاية ظهورها وظهور آثارها ولوازمها
المحسوسة واقترانها ببعض الافراد بالآيات والمعجزات فعند ذلك يجده عليها
ويضمر له العداوة والبغضاء في نفسه ويخفيها في صدره المشحون بالاستكبار والنفاق
ولا يعلن بالعداوة اذ لا يقدر على اعلانها فيجعل تارة يكتسب لنفسه صفات مشتبهة و
علوما مموهة واقوالا مزخرفة يتراآى عند الجهال انها من محاسن العلوم والاقوال وفضايل
الصفات والاحوال تمويها على الخلق وتشبثا لحظوظ عاجلة واغترارا بنيل الجهولة المكارة
العسوفة ويديناه الغدارة المألوفة وتارة يريد المعارضة مع اهل العقل والكمال
والمقاومة مع اصحاب الفضل دون الجهال بصفات تضاد صفاتهم فالتطارد بين حزب الله
وحزب الشيطان واقع الى يوم القيمة كما قال فبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا
الى يوم القيمة واليه الاشارة في قوله فقال الجهل يا رب هذا خلق مثلي اي في كونه
مخلوقا لك كما اني مخلوق ايضا لك ويحتمل ان يكون هذا القول منه اي ادعاء المماثلة
بينه وبين العقل او العاقل بما هو غافل من باب الاغترار والا فاين المماثلة بين المخلوق
من نور اللطف والرحمة وتجلي صفة المحبة والجمال وبين المخلوق من نار القهر والغضب
وتجلي سطوة العزة والجلال كما في البداية وكذا بين المتكون من ماء العلوم ونور الاحوال
وطورية القلب وانكسار النفس وارض العبودية وبين المتكون من مادة الجهالة
ورجس الكفر ودنس المعصية ونار الاستكبار كما في النهاية خلقته وكرمته وقويته
وانا ضده ولا قوة لي به لما رأى الجهل رؤية ظن وتوهم وحسبان لا رؤية بصيرة وايقان
وعرفان ما اكرم الله به العقل وخوله في الابتداء او افاض عليه من نور كرامته بما يتقوى به
في الطيران الى عالم الربوبية في الانتهاء وما فضله على كثير من خلقه تفضيلا وانعم عليه وايده
بما هداه من نعم جملة وتفصيلا تحركت فيه نار الحسد الكامنة في باطنه عند الابتداء او اشتعلت

شعلات نار الجحيم التي ستبرز وتسعر يوم القيمة في الاشهاد فالتمس لنفسه المكافاة والمعارضة
مع العقل وان لا يقصر عن مقابلته ومضادته في كل ما يحبه كلا او بعضه فضيلة فاستدعى
لبيان استعداده واقتضائه ان اتم جنودا وقوى مثل جنود العقل وقواه في العدد
ليتمكن من معارضته ومعاداته فلاجل ذلك سال من الله تعالى بلسان الحال لا بلسان
المقال ما حكاه بقوله فاعطني من الجند مثل ما اعطيته يعني في الكثرة والقوة ليتحقق له بكل
من تلك القوى والصفات والجنود والالات المعارضة والمجادلة مع العقل في سبيل
غوايته وطريق ضلالته لينال بغيته ويصل الى امنيته فقال اي الرب سبحانه نعم فان
عصيت بعد ذلك اي فان عصيتني بعد ان اعطيتك هذه الجنود وقويتك بهذه
القوى المقابلة لقوى العقل وجنوده اخرجتك وجنودك من رحمتي فان قلت ما العلة
والسبب في كون المعصية مع هذه الجنود يوجب الخروج من الرحمة دون ما كانت المعصية
لا معها قلنا منشأ ذلك ان النفس اذا كانت ضعيفة ناقصة القوى عاجزة عن الاعمال
لم يكن شديدة الشقاوة كثيرة البعاد عن الحق وهذا كما ان نفوس السعداء والصلحاء
كلما كانت اقوى وكانت اسباب فعل الخيرات والات تحصيل الكمالات فيها اكثر
كانت الاخلاق الحسنة والملكات الفاضلة التي حصلت بسببها اكد واشد وادوم وقربه
من الله وعالم ملكوته الاعلى اعظم فكذلك النفوس الشقية كلما كانت اقوى وجنوده و
الاته اكثر واستعمالها في طريق الشقاوة ومنهج الضلالة اكثر كانت الاخلاق السيئة
والرذائل المتنافية المكتسبة منها في تلك النفوس ارسخ فهي اظلم واشقى وتباعدها
عن عالم النور ومعدن الخيرات اكثر وسقوطها عن الفطرة وهويها الى اسفل دركات
الجحيم ومهاوي نار الجحيم انزل واسقط واهوى كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار فان قلت النفس بعد حصول هذه القوى والالات والصفات التي
هي بمنزلة الامراض والعلل للنفس هل يتصور ويحتمل منها ترك المعاصي وفعل الطاعات
ام لا يتصور ولا يحتمل فان لم يتصور فالتكليف بها تكليف بغير طاقة وذلك غير جائز
على الله تعالى او غير واقع منه على اختلاف المذهبين وان تصور واحتمل فكيف يتصور
مع هذه الامراض الشديدة والرذائل الكثيرة حصول السلامة والصحة قلنا نختار الشق
الاول ونقول ليس حصول هذه الرذائل للشخص مما يلجئه ويضطره الى فعل القبايح
كالنار للاحراق والالة للتبريد بل يبقى لنفسه اختيار في ان لا يمضي ما يدعوه اليه شهوته
او غضبه مثلا او تهوره او جبنه او خشونته بان يعلم ان في ذاته صفات رذيلة يدعوه
الى هذه المعاصي فان امسك لسانه ويده ورجله واعضاءه عن تلك الافعال كان له في
ذلك حسنات وان فعل مقتضياتها وامضى مستدعياتها كان له في ذلك سوء

السيئات وتضاعف البليات فاذا علم الممنو بهذه الصفات الرذيلة ما ذكرناه امكنه
الصبر عليها وعدم امضاء ما يستدعيه فينال بذلك مرتبة النجاة والتخلص واما اذا كانت
النفس المتصفة بهذه الرذائل لجهلها المركب المشفوع بالاغترار والاستكبار مشغوفة
بها مستعملة اياها محسنة لها في اعتقادها جاعلة اياها من عداد الفضائل دون الرذائل
مزينة في نظرها حب الشهوات وكل ما يصدر عنها من القبايح والسيئات فمثل هذه
النفوس علم من احوالها انه ما سبقت لهم العناية بالحسنى وحقّ في حقهم اعمالهم ما شئتم
ولقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم
انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم وما انت بمسمع
من في القبور ومع ذلك فعلوا ما فعلوا بالاختيار دون الالجاء والاجبار فعلم مما ذكرناه
ان رأس كل شقاوة ومبدأ كل ضلالة هو الجهل مع العناد كما ان رأس كل سعادة
ومبدأ كل هداية هو العقل مع الانقياد قوله فكان مما اعطى العقل من الخمسة والسبعين
الجند الخير كلمة كان تامة اسمه الخير والجند منصوب بالتميز وهو وزير العقل وجعل
ضده الشر وهو وزير الجهل قد مر تفسير الخير والشر في الحديث الثاني عشر قالت
الحكماء الشر لا ذات له بل الشر عدم ذات او عدم كمال لذات لان كلما له ذات في
الخارج ووجود فلم يكن شرا محضا ومن كل وجه فانه لو كان شرا فاما ان يكون شرا بالقياس
الى نفسه او بالقياس الى غيره والاول غير صحيح لان احب كل شي اليه هو نفسه
وجميع الاشياء طالبة لكمال انفسها وبقائها واما الثاني فالشي انما يكون شرا بالقياس
الى غيره لانه يفيد ذاته او يفسد شيئا من كمالاته وصفاته او افعاله الكمالية بان يكون
ضدا له او لكماله او لشي من افعاله واثاره فان ما لا يفسد شيئا ولا يمنعه من كمالاته
الاوطا او يلحقه من الكمالات الثانية له فلا يعد ذلك شرا بالقياس اليه بل انما يعد
شرا بالقياس الى ما يعدم او يزول عنه شي مما ذكرناه بسببه فاذن الشر بالحقيقة
هو ذلك العدم او الزوال لا الامر الوجودي فالاعدام هي الشرور بالذات واما
مباديها التي هي الاضداد الوجودية فانما هي شرور بالعرض لا بالذات هذا ما قالوه
وانت تعلم ان الالم والاذى والعذاب في نفسه شر مع قطع النظر عن العدم الحاصل
ثم حتى لو فرض عدم كقطع العضو مثلا ولم يكن معه الم وعذاب لم يكن هناك الا شر
واحد فكلما كان الم فهناك شران شر عدمي وشر وجودي وهو الالم لان معناه ادراك
المنافي والادراك صفة وجودية فكيف يقال ان الشر ليس الا عدما والتحقيق ان الشر
بالذات هو العدم لكن العدم قد لا يكون حاصلا لا بنفسه ولا بصورته وهو العدم المطلق
الذي لا خبر عنه الا على وجه القضية السالبة او الموجبة المحصلة ولا السالبة المحمول وقد يكون

حاصلا لشيء بل لا بصورته كعدم العلم او البصر مجردا وقد يكون حاصلا بصورته وهو ان
يكون حصول الشيء يدرك من حيث كونه عدما له او لكمال من كمالاته الثانية وادراك كل شيء
هو وجوده فادراك العدم ليس الا حضوره ووجوده فهذا الوجود فرد من افراد العدم
كما ان وجود الانسان فرد من افراد حقيقته اذا فهمت ما ذكرناه فنقول الالم والاذى صح
كونه شرا بالحقيقة لان وجوده عين درك العدم وحضوره لا شيء زايد عليه اذ العلوم
الحضورية ليست زايدة على هويات المعلومات بها مثال ذلك ان العضو المقطوع ليس
فيه الالم لعدم القوة المدركة فيه وكذا العضو المفلوج الزمن لعدم سريان القوة
اللامسة فيه فليس ما هو المتضرر هو بعينه ما هو المدرك لما يتضرر به واما العضو الحي
اذا قطع بعضه او احرق حرقا او تكيف بكيفية سمية زال بها اعتدال مزاجه فان فيه
شيئين احدهما زوال اتصاله او فقدان اعتداله والثاني ادراكه لذلك الزوال
والفقدان والمدرك بالكسر هو نفس القوة الاعتدالية التي وقع عليها ما وقع
من الانفصال او زوال الاعتدال اعني اللامسة للعضو والنفس المتعلقة بالعضو بواسطتها
والمدرك بالفتح هو نفس ذلك الانفصال او الزوال الذي هو عدم الكمال للعضو
من الاتصال والاعتدال كما ان العلوم الحضورية للاشياء المحصلة الوجود الكاملة سواء
ادرك مع ذلك السبب الوجودي المضاد كهذا القاطع او الكيفية الحادة السورة
كالحرارة الشديدة او البرد الشديد ويقال لها سوء المزاج ام لا ولا شك ان هذه الاسباب
الوجودية ليست بشرور في انفسها وانما تعد شرورا بالقياس الى ما يتضرر بها ويعدم
كمالاتها بسببها انما الكلام في امرين آخرين احدهما نفس تلك الاعدام الحاصلة ولا
شك في انها شر بالذات وثانيهما ادراك تلك الاعدام علما وحقيقة على الوجه الذي
بيناه حتى انه لو ادرك تفرق اتصال عضو بقوة ادراكية اخرى غير لامسة ذلك
العضو كالباصرة او لامسة عضو آخر لم يكن ذلك الادراك الادراك الذي كلامنا
فيه وهو المسمى بالالم والعذاب والتحقيق عندي انه شر بالذات بل شر متأكد
فان وجود كل شيء هو تأكد ذاته وهويته ففي هذا النوع شر مضاعف ثم كلما كانت
القوة المدركة للفقد كمالها اقوى والكمال المفقود منها اكثر كان الالم اشد وشره اعظم
فافهم ما ذكرناه فانه امر عجيب الشأن انساق اليه البرهان اعني كون ضرب من الوجود
شرا محضا كما يقال فعلية الهيولى في حد ذاتها نفس قوتها لقبول كل صورة وصفة ومن
هذا القبيل اعني الشرية الوجودية عذاب الجهل المركب لكونه مع الادراك ومن قبيل
الشر العدمي آفة الجهل البسيط وحاصل الكلام ان الشر قد يقال للامور العدمية
كمثل الفقر والكفر والموت والزمانة والعجز ونقصان الخلقة واشباهها وقد يقال

للالم

للالم والاذى والجهل المركب وكل ما يمنع عن ادراك من صاحبه وقد يقال للافعال الشنيعة كالقتل
والزنا واكل مال اليتيم والسرقة والنميمة وغيرها وقد يقال لمبادي تلك الافعال من الشهوة
والغضب والبخل والمكر والعجب والجبن وغيرها فالقسمان الاولان كلاهما شر بالذات
والقسمان الاخيران كلاهما شر بالعرض لا بالذات ثم نقول ان الموجودات الممكنة تحتمل
عند العقل خمسة اقسام الخير المحض والشر المحض والذي يغلب خيره على شره والذي
بعكس ذلك والذي يتساوى فيه الامران لكن الصادر عنه تعالى بالذات اما خير محض
كالجواهر العقلية او خير كثير يلزمه شر قليل كالنفوس والاجرام الفلكية وغيرها واما
الثلثة الاخيرة فغير صادرة عنه تعالى على سبيل التبع واللزوم لانها اما عدميات محضة
فهي غير منسوبة الى سبب وجاعل واما شرور وجودية فهي قليلة العدد والبقاء وهي
مع ذلك لازمة للخيرات الكثيرة وفي دفعها دفع حصول خيرات كثيرة كما يظهر بالتصفح و
التدبر فيها اذا مهدت هذه المقدمات فنقول من اخص صفات العقل انه خير محض
لا شرية فيه لان المفارق المحض البري من الاجسام وعوارضها لا يعتريه نقص وآفة
وحرمان وحيث ان ذاته محض الخير فكل ما يصدر عن ذاته من الافعال والآثار كان
على وجه الخير اذ كان منشأ صدورها عنه خيرية ذاته فالخير كانه واسطة بين العقل وما
يصدر عنه كما ان وزير الملك واسطة في جود الملك واحسانه ولذلك جعل الخير
وزير العقل وان كان عين ذاته بوجه وكذلك نقول من اخص صفات هذا الجهل المضاد
للعقل هو الشر لان المراد به كما اشرنا اليه هو الجوهر الادراكي الذي وجوده بعينه
وجود الجهالات والوهميات الكاذبة فلا يكون الا شرا حقيقيا كما مر بيانه في مثال
الالم فكل ما يصدر من هذا الجوهر الشرير من الافعال والآثار يكون من باب السيئات
والقبايح ويكون منشأ صدورها شرية ذاته اذ ليست فيه جهة اخرى فلا داعي لوجود واسطة
بينه وبين افعاله الا شرية ذاته ولذلك جعل الشر وزيرا له كما جعل ضده وزيرا
لضده قوله عليه السلم والايمان وضده الكفر الايمان نور من انوار الله فايض منه على
قلب من يشاء من عباده به يرى الاشياء كما هي وهو المسمى عند الحكماء تارة بالحكمة النظرية
يعنون بها ملكة بها يقتدر الانسان على احضار المعلومات الحقة متى شاء من غير تجشم كسب
جديد وتارة بكمال العقل النظري او القوة النظرية وتارة بالعقل بالفعل وتارة
بالعقل البسيط الاجمالي والكفر الذي هو ضده هو ملكة ظلمانية في النفس من كثرة الاغلوطات
وتراكم الشبهات وتزاحم الوهميات ورسوخها فيصير تلك الملكة الظلمانية حجابا عن
ادراك كل حق وعمى في عين القلب عن رؤية كل مستنير لكشوفه وصمما في الاذن القلبية
عن سماع كل كلام صادق حق واعلم ان الذي قلنا من ان الايمان نور وان الكفر ظلمة شاهده

من القرآن قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات وقوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا
نقتبس من نوركم الآية وقد عبر عنهما في لسان القرآن بالحيوة والموت كما في قوله تعالى او من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقوله تعالى
انك لا تسمع الموتى وقوله وما انت بمسمع من في القبور يعني بهم الكفار فان نفوسهم وان كانت
حية بحيوة الحس والحركة في هذه النشأة لكنهم موتى بموت ارواحهم في الدار الآخرة وان الدار
الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فالمؤمن الحقيقي من حصلت له ولادة ثانية من حيث تبدلت
نشأة نفسه التي هي كالمادة وكالنطفة بنشأة الروح التي هي كالصورة وكالوليد وعن المسيح
النور انه على نبينا وعليه الصلوة والسلام لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين وعن بعض
الحكماء المتقدمين من اراد الحكمة فليستحدث لنفسه فطرة اخرى اشارة الى هذه الولادة المعنوية
فالنفوس الانسانية في اوائل نشأتها كانت قابلة محضة لنور الايمان وظلمة الكفر الذي هو
ضده فعند سلوك احد المنهجين منهج الهداية ومنهج الغواية تخرج احدهما من القوة الى
الفعل ويبطل الاستعداد للآخر كالحديد المتخذ منه المرآة قابل للصقالة وللرين جميعا
فاذا حصلت الصقالة رؤيت فيها الاشياء المبصرة كما هي واذا حصل فيه الرين فسد
جوهره وبطل استعداده لقبول النور والصور فالاول مثال نفس المؤمن والثاني
مثال نفوس الكفار والمنافقين كما قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم وقوله بل طبع الله
عليها بكفرهم وقوله ختم الله على قلوبهم والطبع بالسكون الختم وبالتحريك الدنس واصله
من الوسخ والدنس يغشيان السيف يقال طبع طبعا قوله عليه السلام والتصديق وضده الجحود
ان من صفات العقل والعاقل التصديق الجازم المطابق للواقع وهو اليقين وله
مقابلان مقابل عدمي وهو الشك ومقابل وجودي هو ضده اي الجحود ومعناه الانكار
لما هو الحق اليقين فمن صفات الجاهل الجهل الراسخ المضاد للعقل الجحود والانكار لكل
ما يسمعه من المسائل الحقة والعلوم الحقيقية بابداء الحجج الداحضة وايراد الشبهات
والمغاليط الباطلة وابراز الاكاذيب وتمويهها بصورة الصدق لاغواء الناس
واضلالهم عن طريق الحق طلبا للرياسة والجاه الوهمي والاستكبار والعجب والافتخار
قوله عليه السلام والرجاء وضده القنوط من صفات العقل الرجاء فيما عند الله تعالى في الدار الآخرة
لما ثبت به ويرى بعين البصيرة ان شان الرب تعالى افاضة الخير والاحسان وابداع
الفضل والرحمة بلا منع وتقتير وبخل قبل الاستحقاق وسبق الاعمال من غير الاستحقاق
والاستيهال حتى ان النعمة مثلا لو كان لها استحقاق لنفس شرف لاعطاها اياه وانما
المانع عن وجوده الاتم في الدنيا عدم القابل او القابلية لسوء الاستعداد وفي الآخرة

الكفر

الكفر والمعاصي والسيئات وهي امور ناشية من اكتساب العبد وفي جانب القابل
ومن جانب الفاعل الحق لان جوده مبسوط على الخلق اجمعين وخيره شامل على كل احد حتى
على عين الشرور والآلام ورحمته واسعة لكل شيء على حسب مشيته وحتى لهيئة الغضب
وهيئة الكفر والجهل والشيطان وغيرها من الامور المضادة للحق ورحمته ومن صفات الجهل
المضاد للعقل القنوط المضاد للرجاء وهو الياس من رحمة الله وروحه ومنشأ القنوط
والياس ايضا هو الكفر والجهل بحقيقة الالهية والربوبية وبان ما عند الله خير وابقى
كما قال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقوله يئسوا من الآخرة كما يئس
الكفار من اصحاب القبور واعلم ان القنوط غير الخوف لان معناه الياس مطلقا
والخوف قد يجتمع مع الرجاء والطمع كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا بخلاف القنوط فانه
لا يجامعه وان الخوف من سنى المقامات ومحمود الاحوال للعقل بخلاف الياس ولكن
يجب ان يعلم ان الخوف ليس من الفضايل والكمالات العقلية الباقية في نشأة الآخرة
وانما هو من الامور النافعة للنفس في الهرب عن المعاصي وفعل الطاعات ما دامت
النفس في دار العمل والسعي واما عند انقضاء الاجل والخروج عن دار الدنيا التي هي دار
العمل فلا فايدة فيه واما الرجاء فهي باقية ابدا الى يوم القيمة لا ينقطع لان كلما نال العقل
من رحمة الله اكثر كان ازدياد طمعه فيما عند الله واشتداد رجائه اكثر لان خزاين جوده
وخيره ورحمته غير متناهية لا تبيد ولا تنقص ابدا فثبت ان الخوف منقطع والرجاء
ابدي لا يزول قوله عليه السلام والعدل وضده الجور اعلم انه قد ظهر وتبين لك من هذا الحديث
الشريف ان العقل بمنزلة سلطان وهذه الفضايل الخمسة والسبعين بمنزلة جنوده
واعوانه لكن يجب لك ان تعلم ان هذه الجنود والاعوان ليست بمنزلة واحدة بل بعضها
بمنزلة الرئيس والاصل لبعض والبعض الآخر بمنزلة الخدم والفروع له فالعدالة
المعبر عنها بحسن الخلق هي بمنزلة الرئيس لساير الجنود العقلية وهي اصل تتشعب منه فروع
كثيرة من الاخلاق الحسنة وكذلك جنود الجهل تتشعب من بعض والبعض بمنزلة الاصل والرئيس
وهي اعني العدالة في القلب كاعتدال المزاج في القالب فكما ان الاعتدال في مزاج
البدن اعني الصحة والسلامة انما يتحقق ويستمر اذا زالت الامراض كلها عن البدن فكذلك
الامراض القلبية وهي الاخلاق الذميمة كثيرة ولا يحصل السلامة والصحة الا بزوال كلها
ولا نجاة الا من اتى الله بقلب سليم والسلامة المطلقة هي العدالة المعبر عنها بالخلق الحسن
كما ان حسن الخلق بالفتح انما يحصل بحسن جميع الاعضاء والاطراف لا يكفي فيه حسن بعض الاعضاء
دون البعض فكذلك حسن الخلق بالضم الذي به النجاة من العذاب الاخروي انما يحصل
بحسن الاخلاق كلها دون البعض فان في ذمايم الاخلاق يخزى البعض والنجاة في حسن الخلق

قال النبي صلى الله عليه وآله بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وعنه صلى الله عليه وآله أثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق وعنه صلى الله عليه وآله
حسن الخلق خلق الله وعنه أيضاً أفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وقد كثرت الأقاويل في
تحقيقه وبيان حده وتعريفه والأكثرون تعرضوا لبعض ثمراته ولم يحيطوا بكنه معناه وتفاصيل
أجزائه والذي يطلعك على حقيقته أن تعلم أن الخلق والخلق عبارتان يراد بالخلق الصورة
الظاهرة المحسوسة وبالخلق الصورة الباطنة النفسانية التي هي بمنزلة البدن للنفس
للروح العقلي الذي هو من عالم الأمر بل هو نفس الأمر وهو نور منبعث من نور ذات الله تعالى
كما في صدر الحديث من قوله عليه السلام وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره
وذلك لأن الإنسان الكامل مركب من ثلاثة أمور من جسد يدرك بالبصر ومن نفس
يدرك بالوجدان ويتجسد يوم الآخرة بصورة أخلاقه الحسنة أو القبيحة فيرى بالحواس
الظاهرة يوم الآخرة وهي مستورة اليوم ولابد لإنسان من هذين الجوهرين ومن روح هو أمر
رباني وارد على النفس الصحيحة والقلب السليم وهو الجوهر العارف بالله وآياته
وقليل من الإنسان يوجد فيه هذا الروح المضاف إلى الله تعالى في قوله فإذا سويته ونفخت
فيه من روحي فقعوا له ساجدين قال تعالى في حقه قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم
إلا قليلاً لأن وجوده بعينه علم وعقل وقال تعالى في حق النفس ونفس وما سواها فألهمها
فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فتزكيتها تخليصها عن الأخلاق الرذيلة
ويحصل به الفلاح والنجاة من العذاب وتدسيتها إدخالها في الشهوات والرذائل
الموذية المعذبة يوم القيامة من دسه يدسه إذا أدخله في الشيء بقهر وقوة وكما أن
للوجه الظاهر أركاناً كالعين والأنف والفم والخد ولا يوصف الوجه الظاهر بالحسن
ما لم يحسن جميعها فكذلك الصورة الباطنة وهي وجه القلب لها أركان هي مجامع قواها
المنحصرة في قوة الشهوة وقوة الغضب وقوة الإدراك والقوة الجامعة لها التي
يقال لها العقل العملي وهو رئيس سائر القوى الإدراكية والعملية والجميع خدمه وجنوده
وهو مخدومها ومطاعها كما أنه خادم للعقل النظري العارف بالله وجنده وهو المخدوم
الحقيقي للكل حيثما كان والسلطان المطاع بإذن الله وخليفة الله في العالم السفلي
أولاً ثم في عالم العلوي المأمور بسجدته الملائكة ففي أربعة قوى هي أركان صورة الباطن
ورؤساء ما تحتها من القوى فإذا استوت واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق
أما قوة العلم والتفكر فاعتدالها وحسنها أن تصير بحيث يدرك الفرق بين الصدق
والكذب في الأقوال وبين الناضج والفاسد في الآراء وبين الجميل والقبيح في الأفعال
فإذا انصلحت هذه القوة يحصل منها خلق الحكمة وهي رأس الفضائل الخلقية وليس المراد
منها الحكمة النظرية المشار إليه بقوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً لا هنا كلما كانت

الكثر

أكثر وأشد كان أحسن وأشرف وأما قوة الغضب فاعتدالها أن يقتصر انبساطها وانقباضها
على موجب إشارة الحكمة والشرع وأما قوة الشهوة فاعتدالها وحسنها أن يكون فعلها كذلك
بإشارة العقل والشرع وأما قوة العدل فهي في ضبط القوى الثلاث تحت إشارة الدين والعقل
فكل من هذه الثلاث بل الأربع توسط وطرفان إفراط وتفريط والمتوسط بين الأطراف فمنزلة
الخالي عنها كالمزاج المعتدل يقال له لا حار ولا بارد ولا رطب ولا يابس أما قوة الإدراك
فيحصل من اعتدالها حسن التدبير وجودة الذهن وإصابة الظن وثقابة الرأي
والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفس وأما إفراطها فيحصل منه الجربزة والدهاء
والمكر والخداع والحيلة والغواية والشيطنة وهو رئيس الشرور والموذيات وأما
تفريطها وضعفها فيحصل منه البله والحمق والغباوة والبلادة والحيرة والانخداع وأما قوة
الغضب فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة والله يحب الشجاع ولو بقتل حية فإن مالت إلى
الإفراط يسمى تهوراً وإن مالت إلى النقصان يسمى جبناً ويتشعب من كل من الطرفين أخلاق
كثيرة رذيلة فمن الإفراط التهور والصلف والبذخ والاستشاطة والكبر والعجب
وغير ذلك ومن تفريطها الجبن والمهانة وعدم الغيرة وضعف الحمية على الأهل والولد
وصغر النفس ويتشعب من اعتدالها خلق الكرم والنجدة والشهامة والحلم والثبات
وكظم الغيظ والعفو عن الناس والوقار والهيبة والتودد وأما الشهوة فيعبر عن اعتدالها
بالعفة ومن إفراطها بالشره ومن تفريطها وضعفها بالخمود فيصدر من العفة السخاء و
الحياء والصبر والمسامحة والقناعة والزهد وقلة الطمع والرضا بالقضاء والتوكل و
يتشعب عن إفراطها الحرص والشره والوقاحة والتبذير وحب الدنيا والرياء والمجانة
ومن تفريطها الملق والكسل والعجز والحسد والياس وعدم المروة والانوثة والتذلل
للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فهذه هي روابط الأخلاق والأوساط
الثلاثة وشعبها هي مكارم الأخلاق والأطراف الستة وشعبها هي رذائل الأخلاق
ورؤوس الشياطين ورؤوس التنين الواقع في عذاب القبر للكافر كما هو المروي في
الحديث عنه صلى الله عليه وآله في طريق العامة أنه قال عذاب الكافر في قبره تسلط عليه تسعة
وتسعون تنيناً لكل حية منها تسعة رؤوس ينهسونه ويلحسونه وينفخون في جسمه
إلى يوم يبعثون فهذه عدد أخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا وأصل هذا التنين
حب الدنيا الذي رأس كل خطيئة ومنشأ الكفر والجهل ويتشعب منه رؤوس
بعدد ما يتشعب منه من الأغراض الدنيوية وينبعث منه الأخلاق السيئة من الحسد و
الحقد والرياء والكبر والعجب والشره والمكر والخداع والانخداع والرعونة وحب الجاه
والمال وطول الأمل والتنفر عن الموت والإخلاد إلى الأرض وكراهة لقاء الله والعداوة

والبغضاء لاهل الله واليأس عن رحمة الله والامن من مكره الى غير ذلك من رذايل الاخلاق
واصل ذلك الستين وكثرة عدد رؤوسه الذاعة معلومان لذوي البصاير واما انحصاره
في تسعة وتسعين فانما توقف عليه بنور النبوة كما ان كثرة جنود العقل وكثرة جنود الجهل
التي هي اضدادها معلومتان بنور البصيرة واما انحصارهما في خمسة وسبعين كما في هذا
الحديث فانما يستفاد من نور النبوة فاذا علمت ذلك الاوساط الثلثة الفاضلة التي
هي خير امور هذا العالم فاعلم ان العدل الذي يسمى بحسن الخلق حاصل من اجتماعها وبه يصير القلب
سليما عن كل مرض وآفة وليس هو نفس الغاية والكمال المقابل هو وسيلة الوصول الى
السعادة الاخروية وهو طريق الى الجنة من الدنيا واقعة كجسر على متن جهنم احد من السيف
وادق من الشعر في حق البعض وفي حق الكاملين في نور المتين له سعة كالبساط والجور عبارة
عن الانحراف والتنكب عن الصراط والميل عنه الى احد الاطراف الموجب للسقوط في
عذاب الجحيم والوقوع في الجحيم كما قال تع يتعون في الجحيم وقال ولا تركنوا الى الذين ظلموا
فتمسكم النار وقال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون فاذا ظهر وتبين
ان من اعظم جنود العقل بعد الخير والايمان هو العدل ومن اعظم جنود الجهل الذي هو ضد
العقل بعد الشر والكفر هو الجور المضاد للعدل لان العدل لكمال التقوى وغاية الاعمال
الحسنة والاحوال المزكية للنفس والموصوف به هو العقل العملي رئيس ساير القوى
العملية كما ان الخير الحقيقي وهو الايمان غاية العلوم الحقيقية والاحوال المكملة للنفس
والموصوف به هو العقل النظري مخدوم العقل العملي وساير القوى العلمية والعملية
وكذلك الظلم والجور والعدوان غاية الاعمال القبيحة والسيئات المغوية المضلة للنفس
والمكدرة لها كما ان الشر الحقيقي وهو الكفر غاية الجهالات والاحوال المظلمة للنفس
المسودة لوجهها والموصوف به هو النفس المنكوسة المحجوبة عن الحق المبين المردودة الى
اسفل السافلين وهي بجنبه رئيس الموذيات والشرور وتحته ساير الاخلاق الذميمة
والشرور والسيئات وستشير الى كيفية المطاردة بين هذين الرئيسين العليين والجندين
المقابلين تحتهما هو المعسكر الباطن الانساني وعرصة القلب قوله ع والرضا وضده
السخط من جملة المقامات الشريفة للعقل هو الرضا بقضاء الله تع وترك السخط
وضده السخط بل الرضا من اعلى مقامات المقربين لانه ثمرة المحبة فيجب على
كل مؤمن ان يرضى بقضاء الله تع في كل ما قضاه وقدره وقال تع رضي الله عنهم
ورضوا عنه وقال ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله
الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره تع فوق الصلوة حيث قال ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلوة اكبر

من الصلوة

من الصلوة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هي غاية مطلب سكان الجنان واذا
رضي العبد عن الله رضي الله عنه وعلى جميع ما ذكرناه يقاس حال ضده الذي هو السخط
فسخط العبد على الله يوجب سخط الله عليه وعذاب نار السخط اشد من عذاب نار
الجحيم وكذا النسيان الله والاحتجاب عنه اعظم من ترك الصلوة قال كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم قدم ذكر الاحتجاب عنه تع على الصلي في النار وقد ورد
في الحديث القدسي انه تع قال من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليعبد ربا سوائي
وليخرج من ارضي وسمائي فان قلت قد علم من هذا الحديث وغيره ان العبد يجب عليه
ان يرضى بقضاء الله تع خيرا كان كالايمان والطاعة او شرا كالكفر والمعصية لكن الرضا
بالكفر كفر والرضا بالفسق فسق كما ورد ايضا في الحديث فكيف التوفيق بين القولين
قلنا اجيب في المشهور بالفرق بين القضاء والمقضي فيجب الرضا بالقضاء دون المقضي
والكفر ونحوه من جملة المقضي ورد ذلك بعض المحققين بان القضاء عبارة عن الحكم بوجوب
شيء في الخارج وهو امر نسبي اضافي فحسنه وقبحه وخيره وشره انما يكون بحسب ما
اضيف اليه لان نفس الاضافة لا توصف بشيء الا باعتبار متعلقه وقال في دفع
التناقض ان المقضي بالذات لا يكون الا خيرا والشر مقضي بالعرض لا بالذات فالذي
يجب الرضا به هو القضاء او المقضي بالذات والذي يجب عدم الرضا به هو القضاء
او المقضي بالعرض كالكفر والظلم ونحوهما اقول ان القضاء كالعلم ليس مجرد اضافة
بل هي صورة عقلية ذات اضافة فان القضاء الالهي كما حقق عبارة عن وجود جميع
الموجودات الصادرة عنه تع وجودا عقليا اجماليا على وجه اشرف واعلى فكل
ما كان او سيكون الى يوم القيمة له وجود في عالم علمه تع على وجه مقدس عن التغير والقصور
والنقص والشر واما المقضي فهو الصورة الكائنة في المواد الخارجية على وفق ما جرى
في القضاء فللقضاء نحو من الوجود اعلى واشرف وللمقضي نحو آخر من الوجود قد تطرق اليه
النقص والآفة والشر والفساد فالصورة العقلية للكفر والمعاصي والآفات ليست
كفرا ولا معصية ولا آفة وانما هي كذلك بحسب وقوعها في الخارج فمن قال ان القضاء
لا يكون الا خيرا يجب الايمان به دون المقضي لعله اراد بالقضاء صورة ما في علم الله
لا مجرد النسبة وبالمقضي وجود الاكوان الخارجية التي قد يلزمها الشر والآفة كالكفر
ونحوه فثبت ان الرضا بالقضاء هو الرضا بكل ما جرى في علم الله وهو من المقامات
الحسنة والاخلاق المرضية وضده السخط وهو من اسوء الصفات وارذل الاخلاق
منشاؤه الجهل الراسخ كما ان منشأ الرضا العقل الكامل قوله ع والشكر وضده
الكفران اعلم ان الشكر من جملة مقامات الدين وكل واحد من مقامات الدين وكمال

اخلاق السالكين الى الله كالايمان والعدالة والرضا والتوكل والرجاء والخوف وغيرها منتظم من ثلثة
اركان علم وحال وعمل فالشكر منتظم من علم وحال وعمل وقد يطلق على كل منها اسم الشكر لكن العلم هو
الاصل كما سبق وكذا في كل من المقامات الدينية فيورث العلم الحال والحال يورث العمل وهو
القيام بما هو مطلوب المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولابد
من بيان جميعها ليحصل الاحاطة بحقيقة الشكر فنقول الركن الاول العلم وهو علم بثلثة امور
بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم وصفاته الارادية التي يصدر منها الانعام
بها عام في كل منعم يقع منه انعام على غيره فلا يجب انعامه شكرا واما في حق الله تعالى وفيه
كلامنا الآن فلا يتم المعرفة الا بان يعرف ان النعم كلها من الله تعالى وهو المنعم الحقيقي والاوساط
كلها مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد اذ التقديس والتوحيد داخلان
فيه فالرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس فاذا عرف الانسان ان في الوجود ذاتا
مقدسا عن التجسم والتغير والامكان فيعرف بعد ذلك ان لا مقدس الا واحد فقط
وما سواه غير مقدس وهو التوحيد ثم رب موحد لم يعرف بعد توحيد الافعال وان
لا موثر في الوجود الا الله ولا منعم بالحقيقة سواه وان الكل نعمة منه فيقع هذه المعرفة في
الدرجة الثالثة حيث ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والتفرد بالانعام
والجود والى هذا اشير بما ورد في بعض الروايات ان صحت الرواية ان من قال سبحان الله
فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلثون
ومعلوم ان هذه الحسنات ليست بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير العلم
بمعانيها بل سبحان الله كلمة تدل على معرفة التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على معرفة التوحيد
والحمد لله كلمة تدل على ان النعم كلها منه وتمام هذه المعرفة التي هي ركن من الشكر ينفي
الاشراك في الافعال فمن عرف الله تعالى وافعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره تعالى كالقلم والمداد والكاغذ بيد الكاتب لا لانعام الملك كالوزير وكذا السحاب
والمطر والارض والبحار والحيوانات التي لها اختيار كلها مسخرات له ومضطرات
في اختيارها كخزان الملك فلا ينسب الانعام اليها لكونها مضطرة الوسائط لنعم الله على
عباده اما مجبورة في فعلها او مضطرة في اختيارها لفعلها فليس المنعم في الحقيقة الا الله
الركن الثاني الحال التي هي ثمرة هذا العلم وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع
والتواضع وهو بتجرده شكر كما ان العلم بتجرده شكر لهذا النوع ولكن فيه شروط
وهي ان يكون فرحك بالمنعم لا بنفس النعمة الا من جهة كونها وسيلة الى التقرب
الى المنعم ولا بنفس الانعام الا من جهة كونه دالا على عنايته بك فانك اذا انعم الله
عليك بما انعم كالقوة وصحة البدن وسلامة الاعضاء والمال والبنين والخدم وغيرها

فيتصور

فيتصور فرحك بكل منها على وجوه احدها ان يفرح به من حيث انه لذيذ موافق لغرض النفس وثانيها
ان يفرح به من حيث انه دال على عنايته بك ورحمته عليك وثالثها ان يفرح به لانه يستعمله في طاعته
ويترقى به الى درجة القرب منه فهذه ثلث درجات في الابتهاج بنعم الله فالاول لا يدخل فيه
معنى الشكر اصلا لان فرحك مقصور على ذاتها فهو فرحك بالنعمة لا بالمنعم وهذا حال اكثر الناس
والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة
عنايته الدالة على انعامه في المستقبل وهذا حال اكثر الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه
خوفا من عقابه ورجاء لثوابه واما الفرح الثالث فهو الشكر التام الذي في الفرح وهو ان
يكون فرح العبد بنعم الله من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب به والنزول في
جواره والنظر الى وجهه الكريم على الدوام فهذا هو الرتبة العليا في هذا الركن من الشكر
وعلامته ان لا يفرح الانسان من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة او وسيلة الى القرب
منه تعالى الركن الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم بما هي الله تعالى
المنعم بعبده وترتبه اياه وبما هي وسيلة له الى ما يقربه اليه تعالى وهذا العمل يتعلق بقلبه ولسانه
وجوارحه اما عمل القلب فالنية والقصد للخير والاحسان الى كافة الخلق والتفكر في صنايع الله
وآثار لطفه ورحمته واما عمل اللسان فاظهار الشكر بالتحميدات الدالة عليه واما عمل الجوارح
فاستعمال نعمة الله في طاعته والتوقي من استعمالها والاستعانة بها في معصية الله
حتى ان شكر العينين استعمالهما في مطالعة صنع الله وتلاوة كتابه وشكر الاذنين استعمالهما
في سماع آيات الله واحاديث نبيه وآله عليهم السلم وهكذا في كل نعمة سواء كانت قوة او جارحة
او مالا فهذا بيان اركان الشكر الذي هو جند من جنود العقل وحزب الملك وعلم بالمقابلة
اركان ضده الجهل وهو الاصل والعمدة وينشأ منه الحال ثم العمل اما الجهل فهو عدم معرفة
النعمة ولا المنعم والانعام فلم ير النعمة نعمة او لم يرها من المنعم بل من غيره واما الحال المثمرة
من هذا الجهل فهو الظن بالمنعم والتوحش منه واما العمل فبالقلب القصد الى المعاصي و
باللسان الشكاية والمذمة وبالجوارح صرف كل نعمة في خلاف ما هي لاجله وفيما يوجب
البعد عن رحمته والهوى الى دار عذابه وسجن غضبه اعاذنا الله وسائر المسلمين من النار
فصل والطمع وضده اليأس من الصفات الحميدة للمؤمن العاقل الطمع وهو ان
يتوقع ويأمل من ربه ان يغفر خطيئته ويدعوه في ان يجود عليه باحسانه ويدخله الجنة و
رضوانه كما في قوله تعالى حكاية عن خليله ع والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب
هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة
النعيم ومن هذا الباب الادعية المأثورة عن النبي وآله عليهم السلم وضده اليأس من
رحمة الله وهو من اعظم الكبائر قال تعالى ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقل

بسوء من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور قوله عز وجل والتوكل وضده الحرص اعلم أن التوكل
منزل من منازل الدين ومقام من مقامات السالكين بل هو من أعالي درجات المقربين
لأنه غامض دقيق من حيث العلم وهو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الإدراك
أن ملاحظة الوسائط والأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد عنها
بالكلية ترك للأدب والشريعة فتحقيق معنى التوكل على وجه يوافق التوحيد والعقل ويطابق
الشرع في غاية الغموض والصعوبة ولا يقوى على كشفه وتحقيقه إلا الراسخ في العلم المكتحل
بصيرته العقلية من فضل الله بأنوار الحقائق أما الآيات الدالة على وجوبه وفضله فقوله تعالى
وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقوله ومن يتوكل على الله
فهو حسبه وقوله إن الله يحب المتوكلين وما أجل وأعظم من مقام وسم صاحبه بمحبة الله إياه
فقد فاز الفوز العظيم فإن المحب لا يعذب محبوبه ولا يبعده ولا يحجبه وقد قال تعالى
أليس الله بكاف عبده والحريص الطالب للكفاية من غيره والمعتمد على ما سواه مكذب له
بهذه الآيات وأما الأخبار فكثيرة يطول الكلام بذكره ومن لم يهتد بها لم يهتد بالأخبار
أيضا وأما بيان حقيقة التوكل فهو أنه كسائر أبواب الإيمان منتظم من علم هو الأصل ومن حال
وعمل والعلم هو الإيمان في أصل اللغة لأن معناه التصديق وإذا قوي يسمى يقينا ولكن
أبواب اليقين كثيرة والذي يحتاج إليه الآن ما يبتنى عليه التوكل وهو ثلاثة علوم التوحيد
والإيمان بالقدرة الكاملة والإيمان بالجود والحكمة فالترجمة عن الأول لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وعن الثاني له الملك وعن الثالث وله الحمد فمن قال لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد تم له الإيمان الذي هو أصل التوكل
وإذا تم نور هذا التوحيد الذي حاصله أن ينكشف للعبد أن لا فاعل بالحقيقة إلا الله
وأن كل موجود سواه من شمس وقمر ونجوم وسحاب ومطر وغيوم وأرض ونبات و
كذا كل حيوان ناطق وصامت وجماد كذهب وفضة وياقوت كلها مسخرات تحت
قدرته وأسيرات في قبضته كتسخير القلم في يد الكاتب فإذا انكشف لك هذا التوحيد
والحكمة والقدرة واستنار قلبك بهذه الأنوار واشتدت قوة بصيرتك
انصرف عنك الشيطان خائبا فورثت لك حالا شريفا وخلقا حسنا وتلك الحالة
في الحقيقة هي التوكل وإنما العلم أصله ومنشؤه والعمل فرعه وثمرته وقد اختلفت عبارات
القوم في حد معناه ولا فائدة في إكثار الكلام بنقلها والتحقيق أنه مشتق من الوكالة
يقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه واعتمد عليه ويسمى الموكول إليه وكيلا ويسمى المفوض
أمره إليه متوكلا عليه وفي الأدعية رب إني توكلت عليك وفوضت أمري إليك
فكان أن لا تفسير للأول ثم إن الوكيل لا يكون وكيلا معتمدا عليه مفوضا إليه إلا بعد أن

يعرف

يعرف فيه المتوكل عليه المطمئن قلبه إليه أمورا ثلاثة غاية الهداية وغاية القوة والقدرة وغاية
الشفقة أما الهداية فليعلم نحو الخير والمصلحة في أمور المتوكل وأما غاية القوة فليقدر على إمضاء
كل ما يعلم الخير والمصلحة في حق المتوكل وعلى إعلامه والتصريح به من غير تقية عن أحد أو جبن في
القلب وأما غاية الشفقة والمحبة فيكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه من السعي في حقه فإن
قدرته لا يكفي دون العناية به إذا لم يهمه أمره ولا يبالي به ظفر بمقصوده أو لم يظفر
فإذا شك المتوكل في هذه الأمور أو في واحد منها لم يطمئن نفسه إلى وكيله ويكون تفاوت
أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال في الوكيل
وتفاوت الظنون في القوة والضعف تفاوت غير محصور في حد إلى أن ينتهي إلى حد اليقين
فلا جرم يتفاوت أحوال المتوكلين في قوة الطمأنينة تفاوتا لا يحصى فإذا عرفت معنى التوكل
في مثال واحد جزئي هنا فقس عليه التوكل على الله تعالى فإن ثبت في نفسك بكشف أو
اعتقاد جازم أنه لا فاعل مستقلا إلا الله واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على
كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى
قدرته قدرة ولا وراء غاية علمه علم ولا وراء نهاية عنايته ورحمته عناية ورحمة اتكل قلبك
لا محالة عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسك وحولك وقوتك فإنه لا حول
ولا قوة إلا بالله فإن الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فإن كنت لا تجد
من نفسك هذه الحالة أي الاعتماد والثقة بالله فسببه أحد الأمرين إما ضعف اليقين بإحدى
هذه الخصال المذكورة وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه فرب متيقن في
شيء لا يقدر على العمل بمقتضاه لاستيلاء الوهم عليه والوسواس بغير حجة الوهم لكن لا يمكنه
التفرد بميت في بيت ويتمكن على التفرد بجماد مع تيقنه بأن الميت أيضا جماد فكم من متيقن
لا طمأنينة معه كما في قوله تعالى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وكم من مطمئن القلب
لا يقين معه كاليهود في تهوده والنصراني في تنصره وإنما يتبعون الظن وما تهوى الأنفس
ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم عنه معرضون فالجبن وضعف
القلب أحد الأسباب المضادة لحال التوكل كما أن ضعف اليقين بالخصال المذكورة
أحد الأسباب فإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله والاعتماد عليه
والاطمئنان به ثم اعلم أن هذه الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات الأولى
ما ذكرناه وهو أن حاله في حق الله والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل
الثانية وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها
ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد إلا عليها وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه
يا أماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه وأنها مفزعه وقد وثق بكفالتها وشفقتها ثقة لا [illegible]

عن ادراك بالتميز له وان لم يقدر على التلفظ به ولا على احضاره في ذهنه مفصلا ولكن كل ذلك وراء اصل
الادراك ويظن انه طمع في حق الطفل فمن كان توكله الى الله ونظره اليه كان متوكلا حقا فان
الطفل متوكل على امه والفرق بينهما ان هذا متوكل قد فني في توكله اذ ليس يلتفت الا الى المتوكل عليه
بل الى المتوكل عليه فقط واما الاول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله وشعوره
وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده لانه غيره الثالثة وهي اعلاها ان يكون
بين يدي الله في حركاته وسكناته كالميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا
يحركه القدرة الازلية كما يحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه يجري الحركة والقدرة
القدرة وساير الاسباب وان كلما يحدث عنه فيكون له عين الانتظار لما يجري عليه المقادير
فاذا علمت درجات الحال التي هي التوكل بحسب الثقة والاعتماد قوة وضعفا وكمالا ونقصا فقس
عليه ما يتفرع عليها من ترك الاهتمام وعدمه وترك السعي والاكتساب وملابسة الاسباب
وكثير ما في المتوكلون في مباشرة المكاسب وملابسة الاسباب على مقامات اعلاها مقام
الخواص وهو ان يدور المتوكل في البوادي بغير زاد ثقة بالله تعالى في نفسه على الصبر اسبوعا
وما فوقه ويتيسر حشيش له او قوت او ثبته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شي من
ذلك واوسطها ان يقعد في بيته او في مسجد ولكنه في القرى والامصار وادناها ان يخرج
ويكتسب اكتسابا على وجه صحيح عند الشرع والعقل وهذا السعي لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا
لم يكن طمانينته الى كفايته وقوته او جاهه او بضاعته فانه ربما يهلك الله جميعها في لحظة
بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ ذلك وتيسير اسبابه بل يرى كسبه وكفايته وبضاعته
وقدرته بالاضافة الى قدرة الله كما يرى القلم في يد الكاتب الموقع من جانب الملك فلا يكون
نظره واعتماده ووثوقه بالقلم بل نظره الى قلب الملك فهو بيده يكتب ويقلبه عنه
منقطع بل هذا على هذا الوجه ان كان له عيال او متعلق من المساكين اشرف من حال القاعد
في بيته وقد قال صلى الله عليه وآله الكاد لعياله كالمجاهد في سبيل الله كما ان المقام الاعلى في التوكل يثمر
ترك الدعاء والسؤال وترك التدبير الا بحسب ما امر الله به من نحو قوله ادعوني استجب
لكم فيدعو ويتضرع اليه ويكون ثقته بالله لا بدعائه وتضرعه سئل بعض العرفا عن التوكل
فقال انه ترك التدبير وقال ان الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجبهم تدبيرهم وقال
بعضهم ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه ولو سال الله ان
لا يرزقه لما استجاب دعاءه ولكان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك
وقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون ثم اكد هذا القول بالقسم فقال فورب السماء
والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون وقال رسول الله صلى لو توكلتم على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزال بدعائكم الجبال وفي هذا الكتاب

الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال كان امير المؤمنين عليه السلام كثيرا ما يقول اعلموا علما يقينا
ان الله تعالى لم يجعل للعبد وان اشتد جهده وعظمت حيلته وكثرت مكايدته ان يسبق
ما سمي له في الذكر الحكيم ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته ان يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم
وقال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك
على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ثم من نظر في ملكوت السموات والارض
انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك
الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن امه
لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى ينتهي فضلات غذاء الام
اليه بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم اذا انفصل سلط الله الحب والشفقة على الام
لتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله بما اشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ
به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه لا يحتمل الغذاء
الكثيف قدر له اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان ذلك
بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف انبت له اسنانا قواطع
وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له اسباب التعلم والهداية لسلوك سبيل
الآخرة فاذن جبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقص شي من اسباب معيشته ببلوغه بل زاد
فانه لم يكن قادرا على الاكتساب وطلب الكمال والآن فقد قدر عليه نعم كان المشفق عليه
شخصا واحدا وهو الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا اذ سلطها الله الشفقة على
قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل
واحد اذا اخبر بمحتاج تالم قلبه ورق عليه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته فقد كان
المشفق عليه واحدا والآن صار الف مشفق وزيادة نعم كانت شفقة الام اقوى و
احسن ولكن كانت واحدة وشفقة الآحاد وان ضعفت فيحصل من مجموعها ما يفيد الغرض
ولقد احسن الشاعر حيث قال * جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون *
جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين * فهذا التحقيق فيه التوكل وغاية
المقامات فيه علما وحالا وعملا فاذا علمت حقيقة هذا الجند من جنود العقل وحزب الرحمن
فقس عليه حال ضده الذي هو جند الجهل والشيطان فالذي بازاء العلم والايمان
بتوحيد الله وعلمه التام وقدرته الكاملة هو الجهل والشرك به تعالى والذي بازاء الحال
الذي هو الثقة بالله الثقة بغيره كالنجوم والسلطان وحيلة النفس والمال والجاه والذي
بازاء العمل الذي هو ترك السعي والتدبير هو شدة الكد والسعي والاهتمام بجميع الاسباب
وادخار المال والاصل في ذلك هو الجهل بالله ورحمته وعنايته وتفرده بالملك والملكوت

قوله ع والرأفة وضدها القسوة والرحمة وضدها الغضب هذان الجندان اعني الرأفة والرحمة
متقاربان في المعنى وكذا ضداهما اعني القسوة والغضب وقد فسرناهما وبيان ذلك ان رقة القلب وكان
احديهما وهي الرحمة حال القلب المعنوي التي هي النفس والاخرى وهي الرأفة حال القلب الجسماني
فان للقلب روح وهو العقل مظاهر ومنازل كالنفس والبدن وكذا الغضب حال النفس والقسوة
حال القلب الصنوبري واذا وصف الله بالرأفة والرحمة فان من اسمائه الرؤف الرحيم كان
اتصافه بهما على وجه اعلى واشرف وكان باعتبار المظاهر والآثار وكذا نسبة الغضب
اليه باعتبار ما يصدر عنه في حق اعدائه اعلم ان الله خلق الجنة والراحة والنعم والسعادة
والخير من رحمته وخلق النار والعذاب والنقم والشقاوة والشر من غضبه الا ان الرحمة
ذاتية له والغضب عارضي ثم اعلم انه لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب
من داخله واسباب من خارجه اما الداخلة فلتركيبه من امور متضادة كالحرارة والرطوبة
فجعل بين الحرارة الغريزية والرطوبة الغريزية عداوة وهي اول عداوة حدثت
في طينة الانسان فلا يزال الحرارة تحلل الرطوبة وتبخرها وتجففها وتفنيها فلو لم يتصل بالرطوبة
مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتحلل لبطل التركيب واختل في اسرع زمان فخلق الله من رحمته
الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق اليه شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر
ما انكسر وسد ما انثلم واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف
والسنان وساير الاعداء والمهلكات فافتقر الى قوة حمية تثور من باطنه فتدفع بها
المهلكات فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان وخمره في طينته فمهما قصد
في غرض من اغراضه ومقصده ومنع عن ذلك اشتعلت نار الغضب من باطنه وثارت
ثورانا يغلي به دم القلب ويغلي الجسم وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن
والوجه كما يرتفع الماء الذي في القدر فلذلك يحمر الوجه والبشرة وبالجملة فقوة الغضب
محلها القلب وآلتها حرارة الدم وغليانه ثم ان الناس في هذه القوة على درجات ثلثة
من الافراط والتفريط والاعتدال وهو المحمود وربما اشتدت نار الغضب وقوي
اضطرامها اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة وينطفئ نور عقله وتنمحي في الحال بدخان الغضب
فان معدن الفكر الدماغ فاذا تصاعد اليه من غليان دم القلب دخان مظلم مستولي
على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى شيئا وتسود
عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثل كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمي
مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان سراج ضعيف فانطفى وانمحى نوره فلا يثبت
فيه كلام ولا وعظ ولا يقدر على اطفائه امر من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر
الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق وربما يقوى نار الغضب فيفني الرطوبة التي بها الحيوة

فيموت

فيموت صاحبه غيظا او يفسد مزاج دماغه لغلبة الحرارة الصاعدة اليه فيموت كما يقوى النار
في الكهف فيتشقق ويتهدم اعاليه على اسافله وذلك لبطلان القوة الممسكة لجوانبها
الجامعة لاجزائها فهذه ثمرة الغضب المفرط في الدنيا وقس على ما ذكرنا حال الغضب في الاخرى
في نار جهنم التي هي شرر من نار غضب الله على اعدائه فقد علمت ان هذه الصفة من صفات
الجهال والشياطين المخلوقة من النار وان مقابلها وهو الحلم والرأفة والرحمة من صفات العقل
والملائكة المخلوقين من نور رحمة الله قوله ع والعلم وضده الجهل اعلم ان المراد بهذا العلم
والجهل غير المراد بالعقل والجهل اللذين كلامنا فيهما اولا فان العقل عقلان الاول عقل بسيط
يقال له العلم الاجمالي وهو ذات نورية يتراءى فيه وبه جميع المعقولات لكونها عين الاشياء
كما ذكرنا ان العقل كل الاشياء والثاني عقل تفصيلي مستفاد منه كما يستفاد الكتابة من
قدرة الكاتب السارية في قلمه وهو مثال القلم الاعلى في العقل الفعال وهي الصور
العقلية المتميزة المترتبة بعضها على بعض ترتبا ذاتيا وتميزا عقليا ودونها الصور الفلكية
والخيالية المترتبة ترتبا زمانيا وتميزا خياليا وكذا الجهل جهلان الاول الاجمالي وهو الذات
المظلمة الردية التي مبدأ لكل جهالة وظلمة وخسة واعوجاج وضلالة والثاني في آحاد الجهالات
الراسخة والصفات الزائغة فالاولان ذاتيان اصليان والاخيران عارضان فرعان
احدهما جند الملك والثاني جند الشيطان قوله ع والفهم وهو سرعة التفطن للشيء وضده
الحمق وهو البلادة المفرطة قوله ع والعفة وضدها التهتك قد علمت ان العفة من الاخلاق
الكريمة الحاصلة من اعتدال القوة الشهوية وان الفجور المسمى ههنا بالتهتك من افراط القوة
الشهوية وهو ضد العفة فالاول جند العقل لا بغاية عنه لعلمه بان الغرض من وجود الشهوة
بقاء الشخص بالاكل وبقاء النوع بالوقاع لا لمجرد التلذذ والتنعم فيجب استعمالها على قدر
الحاجة وبامر العقل والشرع فيكون محصورة تحت اشارة العقل مسخرة اياه لا متمردة
عن حكمه مستعلية عليه غالبة اياه لئلا يحصل للعقل هيئة انقهارية اذعانية لها فيكون
المطاع مطيعا والرعية سلطانا والمأمور آمرا كما في اكثر النفوس الانسانية حيث خدمت
عقولهم شهواتهم فيشتغلون بتفنن التدابير والحيل لتحصيل اغراضهم الشهوية وذلك
لجهلهم وقصور عقولهم وضعفها واما العقول الكاملة فقد استخدمت الشهوة واذلتها
واستعبدتها خادمة ذليلة مقهورة مسلمة مطيعة فتستعملها كيف ارادت ومتى شاءت
وهو خلق العفة فيكون العفة من جنود العقل والشره الذي هو عبارة عن استيلائها
وتهتكها من جنود الجهل وحزب الشيطان قوله عليه السلم والزهد وضده الرغبة اعلم ان
من عظايم مكارم الصالحين وجلايل صفات المتقين ومقامات السالكين الى الله تعالى
بعد مراعاة الطاعة واليقين الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله كما ان من قبايح صفات المنافقين

وسيئات اعمال المجرمين الرغبة في الدنيا والاعراض عن طلب الآخرة والاصل في الاول
العلم بان الدنيا ولذاتها امور باطلة داثرة فانية زايلة والاصل في الثاني الجهل بفنائها
وذهابها وبدوام الآخرة وبقائها قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون
الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم قال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون فنسب الزهد
الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال في موضع
وصف الكفار الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة فمفهومه ان المؤمن هو الذي
يتصف بضد ذلك وهو ان يستحب الآخرة ويختار الحيوة الآخرة على الحيوة الدنيا
واما الاخبار فكثيرة في ذم الدنيا كما سيجيء ولما سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح
في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل ما هذا الشرح قال ان
النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك علامة
قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرط الاسلام وعلامة نور القلب وانشراح الصدر وهو
التجافي عن دار الغرور واعلم ان اركان الزهد ثلثة نفسه وما فيه وما عنه ولكل
درجات واقسام اما درجات الزهد فالدرجة السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها
مشتهية ونفسه اليها مائلة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد والدرجة الثانية
الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كمن يترك درهما
لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد
يرى لا محالة زهده ويكون ملتفتا اليها معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك
شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقص لكمال الزهد والدرجة الثالثة
وهي العليا ان يزهد في الدنيا طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه
ترك شيئا اذ يعرف ان الدنيا لا شيء كمن ترك قذرة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك
معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا اذ الدنيا بالقياس الى نعيم الآخرة اخس من
قذرة بالقياس الى جوهر ثمينة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة واما
درجات المرغوب فيه فاولها ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وساير الآلام
كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وساير ما بين يدي العبد من الاهوال
كما وردت به الاخبار وثانيها وهي الوسط ان يكون المرغوب فيه ثواب الله
ونعيم الآخرة واللذات الموعودة من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان حبهم

ما تركوا

ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعا في وجود دائم ونعيم لا نهاية له وثالثها
وهي اعلاها ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليتخلص عنها
ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وصيره واجد همه هما
واحدا وهذا زهد المحبين العارفين وهم الموحدون بالحقيقة اذ طلب غير الله نوع من شرك
خفي وكمال هذا الحال الفناء عن نفسه والبقاء بالله واما الدرجات بالاضافة الى المرغوب عنه
فهي كثيرة بحسب التفصيل لا يمكن ضبطها وحصرها ولكن نشير الى جامع محيط بالتفاصيل بعضها
اجمل واجمع لساير الجمل وبعضها اشرح والى تفصيل الآحاد اقرب اما الاجمال في الدرجة
الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا واما الاجمال في
الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها تمتع وشهوة وهذا يتناول جميع مقتضيات
الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها والاجمال في الدرجة
الثالثة ان يزهد في المال والجاه واسبابهما اذ جميع حظوظ النفس يرجع الى المال والجاه
والاجمال الذي في الدرجة الرابعة الزهد في العلم والقدرة وفي الدينار والدرهم فان
الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه
فيرجع الى العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة يتعلق بملك القلوب فان المقصود بالجاه
ملك القلوب والقدرة عليها مع الشعور بذلك كما ان المقصود بملك الاعيان القدرة
عليها فان جاوزنا عن هذا التفصيل الاجمالي الى تفصيل ابلغ فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن
الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات
من النساء الآية ثم رده اي ما فيه الزهد في آية اخرى الى خمسة فقال انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده في موضع آخر الى
اثنين فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد فقال ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي
ان يكون الزهد فيه فاعلى درجات الزهد من جهة المزهود فيه الزهد في ما سوى الله
وبعدها الزهد عن سوى النفس اي حظوظها الدنيوية وادناها الزهد في المحرمات الشرعية
فاذا علمت معنى الزهد واركانها وانه من مكارم الاخلاق ومعارج القرب اليه تعالى
واسباب الوصول فقس عليه الرغبة التي ضده اي الحرص في الدنيا وفي حظوظ النفس
وفي المال والجاه وفي واحد واحد من اغراض النفس وشهواتها والاعراض عن الله
وآياته وكتبه ورسله وعن الآخرة وهي من مساوي الاخلاق ومبادي البعد عنه تعالى
ومن اسباب اللعن والعذاب فالاول من جنود الملك وهذا من جنود الشيطان
قوله ع والرفق وضده الخرق الرفق بمعنى التلطف ولين الجانب والرفيق هو المرافق

في الطريق يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة وهو فعيل بمعنى فاعل ومنه ما روي
في الحديث في ارفاق ضعيفهم وسد خلتهم اي ايصال الرفق اليهم والخرق بالضم الجهل والحمق
وقد خرق يخرق خرقا فهو اخرق والاسم الخرق بالضم وفي حديث يكون فيه خرق
اراد انه وقع فيها والمخراق ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وفي الثلاث
وعن امير المؤمنين ع البرق مخاريق الملائكة جمع المخراق اراد عليه به آلة تزجر بها
الملائكة السحاب وتسوقه وتفسيره حديث ابن عباس البرق سوط من نور تزجر به
الملائكة السحاب والمراد من الخرق ههنا ما يقابل الرفق والمداراة كالزجر والخشونة
والتعنف والاول من صفات العاقل والثاني من افاعيل الاحمق قوله عليه السلم
والرهبة وضده الجرأة الخوف من شعار المتقين وصفات الصالحين عن رسول الله صلعم
انه قال رأس الحكمة مخافة الله وروي ان داود على نبينا وعليه السلم كان يعوده
الناس يظنون ان به مرضا وما به مرض الا خوف الله تع والحياء منه ومخاوف
الانبياء عليهم السلم مشهورة وفي الكتب مسطورة وكذا مخاوف الاولياء والائمة عليهم السلم
لكن خوفهم جميعا خوف القرب من الله وشدة نوره وعظمته وسطوته والحياء من
ملاحظة لسر العبد وباطنه المكشوف عنده لا خوف العذاب ولهذا قال بعض العرفاء
الخائف الذي لا يخاف غير الله الكريم قيل اي لا يخاف لنفسه وانما يخاف اجلالا لله
والخوف للنفس خوف العقوبة وقيل ان الله جمع للخائفين واهل الرهبة والخشية
ما فرقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان فقال تع هدى ورحمة
للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه واعلم ان الخوف ليس ضده الحقيقي الرجاء لانهما قد يجتمعان
في قلب واحد هو قلب المؤمن كما في قوله تع ويدعوننا رغبا ورهبا وكذا المرغوب فيه
والمرهوب عنه يجوز ان يكون شيئا واحدا من جهتي رحمته وغضبه وانما الذي هو
ضده الحقيقي الجرأة فالرهبة كالرجاء من صفات العقل وجنود الحق والجرأة وهي التعدي
عن حدود الله والارتكاب لحرماته من صفات الجهل وجنود الباطل قوله عليه السلم
والتواضع وضده الكبر ان من جملة منجيات الاخلاق وفضائل الاحوال التواضع لله
ولكل من نسب اليه من اوليائه وعباده المؤمنين ومن جملة المهلكات ورذائل الاحوال
الكبر والترفع على الناس وعن رسول الله صلعم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله
وعنه صلعم حكاية عن الله تع العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته
وقال تع فلا تزكوا انفسكم وبالجملة الكبر من المهلكات مع انه قل من يخلو عن شيء منه
ومنشأه الاصلي هو الجهل وازالته فرض العين ولا يزول بمجرد التمني بل يحتاج ازالته

الى ادوية بعضها علمي وبعضها عملي ولا يتم الاستئصال اصله والشفاء عنه الا بمجموع الدوائين
اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فان من حق
المعرفة فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه
لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء
الا به وكلا المعرفتين يعظم امره ويطول شرحه اما معرفة الرب فهي منتهى علوم المكاشفة
وغاية المعارف الحقيقية واما معرفة النفس فهي ايضا غامض لطيف قصر عن ادراك
بعض مقاماتها ومنازلها اكثر الحكماء فضلا عما دونهم ولكن نذكر القدر الذي ينفع في
اثارة التواضع والمذلة ويكفي له في ذلك ان يعرف معنى آية واحدة في القرآن
فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته قال تع قتل الانسان ما اكفره
من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره
فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى آخره والى وسطه اما اول الانسان
فانه لم يكن شيئا مذكورا وكان في كتم العدم دهورا واي شيء اخس من العدم سيما
العدم المطلق للشيء الذي ليس عنه خبر ولا منه ذكر ولا لامكانه محل ولا مادة حاملة
لقوة مقابلة اعني الوجود وهكذا حال الانسان قبل وجوده وقبل وجود محل امكانه
ومادة قوته واستعداده كالتراب والنطفة ونحوهما لان كلا منهما حادث مثله
وكان في العدم دهورا غير متناهية ثم خلقه الله من اذل الاشياء واخسها واقذرها
اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا
بداية وجوده ثم صار شيئا مذكورا ذا صورة محصلة ونوع مخصوص وتلك السوابق
كانت امورا ناقصة الوجود واقعة في مراتب القوى والاستعدادات كاجزاء الحركات
التي هي ما بين صرافة القوة ومحوضة الفعل فكان في بدايات كونه على اخس الاوصاف
والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه جوهرا كاملا بل جمادا ناقصا الصق في جمادية
كالنطفة مثله وما يتلوها فكان اوله جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يتحرك ولا ينطق ولا
ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حيوته وبضعفه قبل قوته وبامكانه
قبل وجوده وبمادته قبل صورته وبجهله قبل علمه وعماه قبل بصره وصممه وخرسه قبل
نطقه فهذا معنى قوله من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره وقوله ثم السبيل يسره اشارة
الى ما تيسر له في مدة حيوته الى حين الموت من الاعضاء والقوى والحواس الظاهرة
التي عمدتها السمع والبصر والباطنة كالوهم والخيال وهو اواسط حاله وكذلك قوله
من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا
اشارة الى احوال اواسطه انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا

مبتدأ ترابا اولا ونطفة ثانيا وعلقة ثالثا وهكذا الى اوان حلول الصورة فجعله سميعا بعد ما كان
اصم والبصير بعد ما كان اعمى وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء والقوى
والآلات بما فيها من عجائب الخلقة وبدائع الفطرة بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واوجده
بعد الضلالة فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والنعم اليه كيف نقله
فانه سبحانه نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة ثم انظر
الى طغيان الانسان ما اكفره والى جهله بكيفية وجوده كيف انكره الله فقال اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وانما انعم واكمل النعم عليه واعطاه هذه الاسباب
والآلات ليعرف ربه بالعظمة والجلال ونفسه بالعبودية والاحتقار وانه لا يليق الكبرياء
الا به فمن كان هذا بدو وجوده وهذه احواله الثلاثة الدنياوية فمن اين له البطر
والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله و
فوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكن
سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة
والطبايع المتضادة يهدم بعضها البعض شاء ام كره اراد او سخط فيجوع كرها ويعطش
كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا
فهو مضطر ذليل في جميع عمره عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه وغيره واي شيء اذل منه
لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لو لا جهله هذا اجمال اوسط احواله فليتأمل والآخره
ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه
انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وحركته فيعود جمادا كما كان
اولا ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة
ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميما ورفاتا ويأكل الدود
اعضاءه فيصير روثا في اجواف الديدان وجيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره
كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير
ترابا وان يصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كان لم تغن بالامس حصيدا
كما كان في اول امره امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو بقي ترابا لا يحييه ولكن
يخرج من قبره لاهوال القيمة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة
وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ
شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحايف منشورة فيقال له
اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال اعمالك واعمالك كتبها من وكل بك في حيوتك
ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به او تفعله من قليل وكثير ونقير وقطمير قد نسيت

ذلك

ذلك واحصاه الله فتعلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبك
فزعا من هول العذاب قبل ان ينشر الصحيفة ويشاهد ما فيها فاذا شاهده قال يا ويلنا ما لهذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره وهو معنى قوله ثم اذا شاء انشره
فما لمن هذا حاله بداية ووسطا ونهاية والتكبر قال بعضهم لبعض المتكبرين اولك نطفة مذرة
وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة وعن علي بن الحسين عليهما السلم عجبا للمتكبر
الفخور الذي كان بالامس نطفة ثم هو غدا جيفة وعن ابي جعفر ع مثله بزيادة وقد نظم الشاعر
هذا المعنى: كيف يزهو من رجيعه ❊ ابد الدهر ضجيعه ❊ واعلم انه اذا رسخ التواضع عن القلب
وسكن فيه الكبر ينتشر اثره في بعض الجوارح ويترشح الا ما فيه فتارة يظهر اثره في العنق
بالتمايل وتارة في الخد بالتصعير قال تعالى ولا تصعر خدك للناس وتارة يظهر في الراس
بالليّ عند استدعاء النفس قال تعالى لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون وكما
ان للكبر انقساما على الاعضاء والجوارح ينشعب منه شعبا بعضها اكثف من بعض كالتيه
والزهو والتعزز والعجب والخيلاء فكذلك للتواضع آثار يترشح من القلب الى الاعضاء وينبعث
من الباطن الى الظاهر كالخشوع والخضوع والتذلل والبكاء والتضرع والدعاء والخشية والخوف
كما قال تعالى في صفة الملائكة وهم من خشيته مشفقون وقوله والملائكة من خيفته وقوله ومن
عنده لا يستكبرون عن عبادته وبالجملة فالتواضع من صفات الملائكة وجنود العقل والتكبر
من صفات الشياطين وجنود الجهل قوله ع والتؤدة وضدها التسرع يقال مشى مشيا
وئيدا اي على تؤدة والوأد الثقل وأده اذا اثقله وتأود في مشيه وتوأد اي تأنى فيه
وتثبت وهو افتعل وتفعّل من التؤدة والتاء بدل من الواو والمراد من التؤدة هنا صفة
نفسانية من فروع ملكة التوسط والاعتدال في القوة الغضبية كما مر ذكره يعني هيئة
الوقار كما ان التسرع الذي هو ضدها وهو الاستشاط من فروع الافراط فيها قوله ع
والحلم وضده السفه الحلم الاناة وهو ايضا من شعب الاعتدال في الغضب كما سبق
ذكره والسفه في الاصل الخفة والطيش وسفه فلان رأيه اذا كان مضطربا لا استقامة
له وهو المراد هنا فيكون من جملة شعب الافراط في الغضب ضد الحلم الذي من شعب الاعتدال
فيه ثم غلب على استعماله في الجهل فيقال السفيه الجاهل فيكون من شعب انحراف القوة
الادراكية وروى الزمخشري من سفه الحق على انه اسم مضاف الى الحق وقال فيه
وجهان احدهما ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل كان الاصل سفه على الحق
والثاني ان يضمن معنى فعل متعد كجهل الحق والمعنى الاستخفاف بالحق وان لا يراه على ما
عليه من الرجحان والرزانة وقد علمت ان العدالة التي هي من جنود العقل وتتم بحسن الخلق
انما يتم ويكمل اذا حصل جميع شعب القوى الثلث اعني الشهوة والغضب والادراك على

نح الاعتدال وان كلا طرفي القصد فيها مذموم فالتودد والحلم من جنود العقل وشعب الحق والشرع والتسفه
من جنود الجهل وشعب الباطل قوله ع والصمت وضده الهذر الصمت السكوت والهذر الهذيان
والكلام الذي لا فايدة فيه اعلم ان من فضايل احوال الانسان السكوت عن الكلام الا
عن ذكر الله او لضرورة او فايدة عظيمة وان آفات اللسان كثيرة وقد ورد في مدح السكوت
وذم التكلم من الاخبار ما هو غير محصور كقول عيسى ع لو كان الكلام من فضة فالسكوت
من ذهب وقوله ع من صمت نجا وقيل اليق شي بان يكون في السجن هو اللسان وقيل اللسان
صغير الجرم عظيم الجرم وقال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون
والصمت والسهر والاعتزال عن الناس وبيان ذلك ان العرفاء السالكين الى الله في
كان دابهم في الرياضة الذهاب اليه في ان يلتزموا بعد التوبة عن المعاصي الظاهرة امورا
اربعة جعلوها حصنا لهم حصينا يدفعوا به عن نفوسهم قواطع الطريق فان قصد المريد اصلاح
قلبه ليشاهد ربه ويصلح لقربه اولها الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره
كما ان في سواده ظلمته ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته وفي رقته مفتاح المكاشفة
كما ان في قسوته سبب الحجاب قال عيسى ع يا معشر الحواريين جوعوا لعل قلوبكم ترى ربكم
وثانيها السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره وينضاف الى الصفا الذي حصل
من الجوع ويصير كالكوكب الدري وكالمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويرى رفيع الدرجات
في الاخرى ويرى حقارة الدنيا وآفاتها فيتم زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة
واقباله الى الله وثالثها الصمت فانه يسهل العزلة وان الكلام يشغل القلب
وشره القلوب للكلام عظيم فتستروح اليه وتستثقل التجرد للذكر والفكر فيجب ان
يعالج هذا المرض بالصمت فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع والتقوى ويلقن العقل
بالحكمة وينطلق به لسان التكلم مع الحق ورابعها الخلوة وفايدتها دفع الشواغل
وضبط السمع والبصر فانهما دهليزا القلب يدخل منهما اليه من الشواغل والمفاسد
والوساوس ما يزعجه ويغيره عما هو عليه من قصده فلا بد من ضبطهما وليس يمكن
ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن مكان مظلم فيلف راسه في جيب
او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل تلك الحالة يسمع نداء الغيب ويشاهد الحضرة الربوبية
وعالم الملكوت اما ترى ان نداء الحق بلغ رسول الله ص وهو على هذه الصفة فقيل له
يا ايها المزمل يا ايها المدثر وهذه الاربعة جنة وحصن حصين يدفع عن السالك
قواطع الطريق والموانع ثم يشتغل بعده بسلوك طريق الحق والذهاب اليه في
بقطع المنازل وطي العقبات وما هي الا صفات القلب التي سببها الالتفات
الى الدنيا فيشتغل بمحو آثارها وتبديل سيئاتها بالحسنات وتجرد قلبه عن كل خاطر

ردى

ردى بل عن كل ما يشغل سره عن الحق فيجعل همومه هما واحدا بحيث يكون ذكره وهمه وشغله مستغرقا
في ملاحظة الحق ولا يخطر بباله غير الله وهذا باستيلاء حب الله على القلب حتى يكون في صورة
العاشق المستهتر الذي ليس له الا المعشوق فاذا دام على هذه الحالة مدة ظهرت في نفسه اعلام الربوبية
فيتجلى له الحقايق اولا في كسوة الامثال ثم يمعن في الرياضة والمجاهدة حتى يرتفع الاستار عن
البين ويبقى في العين فيرى الحق في كل شي ويرى به كل شي فيكون الحق سمعه وبصره كما ورد
في الحديث القدسي وهذه الحالة هي الفنا في التوحيد الذي انكره اكثر العلماء فضلا عن غيرهم
وهي نهاية السير الى الله وبعده درجات كثيرة لا يكشف عنها المقال غير الخيال مع ان
الكلام فيها يوجب شنعة الجهال ويحرك سلسلة الحمقى والمجانين من اهل الجدال فلنعرض عن ذكره
ومن اراد معرفة ذلك فليجتهد في ان يصير من اهل المكاشفة دون المشاغبة ومن الواصلين
الى العين دون السامعين للاثر وكل ميسر لما خلق له فقد ظهر ان الصمت من جملة احوال السالكين
المجاهدين في طريق الحق المهاجرين الى الله والهذر والهذيان في الكلام من صفات المجانين
والجهال والمستغرقين في بحر الشهوات فيكون الاول من جنود العقل والثاني من جنود
الجهل قوله ع والاستسلام وضده الاستكبار والتسليم وضده الشك الاستسلام
وهو الطاعة والانقياد لكل ما هو حق وهو من صفات المؤمن وعن رسول الله ص قال المؤمنون
هينون لينون ان قيدوا انقادوا وان انيخوا استناخوا وفي رواية اخرى بلفظ آخر
المؤمن هين لين ان قيد انقاد وان انيخ استناخ والياء في اللفظين الواقعين خبر المبتدا
جاءت مشددة مكسورة ومخففة ساكنة في كلتا العبارتين وضد الانقياد الاستكبار
وهو التمرد والانفة والفرق بينه وبين الكبر ان الكبر حالة نفسانية كامنة في النفس
ربما لم يظهر اثره في الخارج بخلاف الاستكبار فانه عبارة عن اظهار التكبر والمراد
بالتسليم ههنا هو الاذعان والتصديق القلبي وضده الشك وانما لم يجعل ضده
الجحود والانكار والتكذيب لان المقصود ههنا نفس التصديق في اي شي كان
لا في شي خاص دون شي فان شان العقل الحكم القطعي وليس ذلك من شان النفوس
الوهمانية ولا النفوس الحيوانية الغير الناطقة اذ لا يمكنها الحكم القطعي في اي شي
كان بل شانها الشك وما يجري مجراه دون القطع فبهذا المعنى الشك ضد التسليم
اذ ليس المراد منه التحية والتعظيم قوله ع الصبر وضده الجزع اعلم هداك الله
بنور البصيرة وايدك بقوة الصبر ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من
منازل الذاهبين الى الله بقدمي التقوى واليقين وقد علمت ان جميع المقامات
انما ينتظم من معارف واحوال واعمال وان المعارف هي الاصول وهي تورث
الاحوال والاحوال تورث الاعمال بهذا الحسب البداية والبداية واما الحسب الغاية

والثمرة فبالعكس فغاية الاعمال ان يترتب عليه الاحوال كتصقيل المرآة غاية الصفا والجلاء عن
الكدورة وغاية الاحوال ان يترتب عليها حصول العلوم والمعارف كصفاء المرآة فايدتها ان
يتجلى فيها صور المبصرات لان نفس الصفا والزكا امر عدمي ولا كمال يعتد به في الاعدام انفسها
فاذن العلم هو المبدأ والغاية في كل مقام ومنزل واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة
يطلق على الكل كما ذكر في موضعه فكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قايمة بالقلب والصبر
على التحقيق عبارة عنها والعمل كالثمرة والفرع يصدر عنهما ولا يعرف هذا الا بمعرفة ترتب الوجود
بين الملائكة والانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهايم ولا في
الملائكة اما في البهايم فلانحطاطها ونقصانها واما في الملائكة فلكمالها وتمامها فانها بالفعل
في كل ما يصح ويمكن لها من غير قوة واستعداد ومهلة وانتظار فليس فيها كمال منتظر بل كل له
مقام لا يتعداه وبيانه بالتفصيل ان البهايم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها
فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليست فيها قوة اخرى تصادم الشهوة و
تردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى تلك الشهوة صبرا واما
الملائكة فانهم جردوا للشوق الى الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب والخدمة ولم
يسلط عليها شهوة صارفة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن الطاعة والخدمة بجند آخر
يغلب الصوارف ويدفعها واما الانسان فيخلق في ابتداء الصبا ناقصا كالبهيمة لم يخلق فيها
الا شهوة الغذاء الذي هو ضروري يحتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح
على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر
قام القتال والحرب بينهما لتصادم مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى
كما في البهايم ولكن الله اكرم ابن آدم وفضله على كثير من خلقه تفضيلا فرفع درجته عن درجة
البهايم فوكل به عند تمام شخصه البدني ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بعونهما
عن البهايم واختص بصفتين احدهما المعرفة بالله وآياته وكتبه ورسله والهدى
لسلوك سبيله والوصول الى اليوم الآخر والقرب منه تعالى وكل ذلك من الملك الهادي
وهو المسمى في هذا الحديث بالعقل فان هذا العقل في الابتداء يرشد ويعلم وفي الانتهاء
يعين ويكمل ولكن هذه الهداية غير كافية ما لم يكن له قدرة على ترك ما يضر فكم من مضر يعرفه
الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا يقدر على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع
بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل به ملكا آخر
يسدده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف
هذا الجند وتارة يقوى بحسب امداد الله عبده كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق
اختلافا كثيرا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهيمة في قمع الشهوات

وقهرها

وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضاها باعث الهوى وليعلم ان القتال قايم بينهما
ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد
باعث الهوى من الشياطين الناصرين لاعداء الله وحزب الشيطان فالصبر عبارة عن ثبات
باعث الدين وهو جند العقل في مقابلة باعث الهوى وهو جند الجهل فان ثبت وصبر واستمر
على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق به والله مع الصابرين انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وان تخاذل وجزع حتى غلبت الشهوة ولم يصبر على دفعها التحق باتباع
الشياطين واعداء الله وذلك هو الضلال المبين والنكال العظيم فهذا تحقيق هذا المقام
ذكره بعض علماء الاسلام قوله عليه السلام والصفح وضده الانتقام ان من صفات الكرام العفو
والتجاوز عما فعله المسيء له ومن صفات اللئام الانتقام وهو طلب التشفي عن الم الغيظ
وهو ثوران دم القلب وهيجانه لدفع ما يؤلمه ويغضبه وهذا الغيظ مرض نفساني واكثر
غلبته يعتري الجهال والناقصين من اجل تأثر نفوسهم الناقصة عن كل ما يخالف هواهم و
شهواتهم وقد سبق بيان كيفية هذا الثوران وهيئة هذا الهيجان والاحوال العارضة
معها للشخص عند ارادة التشفي عن غيظه بالانتقام فهو من صفات اتباع الهوى وجنود الجهل
والصفح والتجاوز من صفات اولياء الله ومن جنود العقل قوله عليه السلام والغناء وضده الفقر
ان من صفات العقل كما سبق ذكره في تحقيق ماهيته انه الموجود الذي يستغني بالحق عن
كل شيء اذ ليس له كمال منتظر ولا هو فاقد لامر من شأنه ان يكون له ولم يحصل بعد وهذا
من خواص العقل الكامل الصرف واما العقول التي بصدد الاستكمال والسلوك
الى الله فشأنهم ان يطلبوا هذه الحالة ويعرفوا ان الغناء الحقيقي لا يحصل الا به تعالى وان
الكل فقراء محتاجة اليه تعالى كما قال الله الغني وانتم الفقراء واذا عرفوا ذلك حصل لهم
مقام التوكل وكان الغناء والاستغناء بالحق من صفات العقل على التفصيل الذي ذكرنا
فالفقر والافتقار الى ما سوى الله والحاجة الى الاسباب والاعتماد عليها والاستعانة
بغير الله من صفات الجهل والهوى ومن استعان بغير الله ذل وغوى وضل [illegible]
وثمرة هذه الصفة المذلة والهوان والاضطراب والهيجان وعدم الاستقامة والاطمينان
والتحير والانزعاج عند حدوث كل نازل وسنوح كل خاطر كريشة في فلاة تحركها الرياح
الى كل جانب او سفينة في بحر الشهوات بلا آلة وملاح يلتطم الامواج ويقع بها الى كل آفة
وصدمة حتى تنكسر او تغرق في قعر عميق او تهوي به الريح في مكان سحيق قوله عليه السلام
والتذكر وضده السهو والحفظ وضده النسيان تحقيق كون السهو ضد التذكر والنسيان
ضد الحفظ انما يتبين ويتصور بعد تصور مفهومات الفاظها والفرق فيما بينها فاعلم ان
الادراك فينا عبارة عن حصول الصور العقلية او الحسية في قوة من قوانا وتلك القوة

وتلك القوة هي المسماة بالمدركة والحفظ عبارة عن وجود تلك الصورة في قوة اخرى فوقها اي
المسماة بالخزانة والحافظة ونسبتها الى المدركة كنسبة الفاعل للشي الى قابله والتذكر عبارة
عن استحضار تلك الصورة مرة اخرى من الحافظة بعد اختزانها فيها والسهو عبارة عن زوال
تلك الصورة من المدركة لا من الحافظة فيمكن استحضارها عند التفتيش وان احتاج الى استرجاع
والنسيان عبارة عن زوالها عن المدركة والحافظة بما هي حافظة جميعا فعلى هذا نقول لما كان ضد
الشي ما هو في مقابله وفي غاية الخلاف عنه فضد التذكر الذي هو الادراك للشي بالاسترجاع
من الحافظة هو مقابله الذي هو عدم هذا الادراك عما من شانه وجوده لبقائه في الحفظ واما
ضد الحفظ الذي هو الاختزان فهو ايضا مقابله وليس مقابله الا النسيان لانه عدم الحفظ
لا السهو لانه عدم الذكر لا عدم الحفظ واما كون التذكر والحفظ من صفات الكمال وجنود
العقل وان السهو والنسيان من صفات النقص وجنود الجهل فامر بين لان الاولين
يكونان من العلم والاخيرين يكونان من الجهل ولانهما عدميان وذانك وجوديان والوجود
خير والعدم شر ومما يجب ان نعلم هنا ان الادراك كما علمت حسي وعقلي وهذه الاقسام
جارية في كل منهما وحافظ المحسوسات يجوز ان يجتمع مع مدركها في ذات واحدة لكونهما
جسمانية والجسم الواحد كالدماغ يقبل الانقسام فيصح ان يتعلق ببعضه قوة الاحساس
وببعضه قوة الحفظ واما الذات البسيطة كالعقل الانساني فلا يجوز ان يجتمع فيها القوتان
لكون احديهما انفعالية لحاجة القبول اعني الادراك والاخرى فعلية لحاجة الفعل اعني
الحفظ والجهتان مختلفتان بالذات مكثرتان للموضوع فخزانة المعقولات يجب ان يكون
امرا قدسيا مفارق الذات وجوده في عالم الملكوت الاعلى فان قلت فكيف يتصور
معنى النسيان الذي ذكرته في العقليات لامتناع التغير في المفارق وزوال الصورة
عنه قلنا كون ذلك الجوهر خزانة لنفوسنا امر نسبي اضافي معناه كون النفس بحيث
تحصل لها ملكة الارتباط به والاقبال عليه فاذا اقبلت عليه قبلت عنه واذا اشتغلت
عنه بجانب الحس انمحت الصورة العقلية عنها وهو نور من انوار الله نسبته الى قلب
المؤمن كنسبة الشمس الى الابصار الصحيحة والى نفوس الكفرة كنسبة الشمس الى عيون
العميان ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قوله ع والتعطف وضده القطيعة
عطفت عطوفا اي ملت وعطفه عطفا فانعطف اي اماله وقولهم عطف عليه اي اشفق
عليه ورحمه لان في الرحمة ميلا وانعطافا الى المرحوم وعطف الوسادة ثناها والعطف
والعطاف الرداء وتعطفت به اي ارتديت ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به
اي تردى بالعز فالعطوفة ماخوذة من الاشتمال على الشي كان المنعطف على احد ضمه
الى نفسه والوجه في كون العطوفة من صفات الكمال والقطيعة من صفات النقص ان

وجود

وجود الشي كلما كان اكمل واقوى كان اكثر اثارا واتباعا واكثر جمعا للحقايق وكلما كان انقص
واضعف كان اقل اثارا واشد قبولا للتفرقة والقطع من الغير الا ترى ان [illegible] و
الجواهر العقلية والنفسية اكثر جمعية واشد احاطة لصور المعلومات وان الابعاد والصور
والقوى المغمورة فيها بخلاف ذلك فان كلا منها يختص بحيز خاص ووضع خاص لا يجامع
لغيره وكل جزء من الجسم منقطع الهوية عن غيره فالعطوفة من صفات العقل والقطيعة من
صفات الجسم وما يتعلق به وهي مناط الجهل كما اشرنا اليه سابقا قوله ع والقنوع وضده
الحرص من صفات العقل الحكيم القناعة في الاكل واللباس وساير ما يحتاج اليه من امور
الدنيا بالقليل اليسير ومن صفات الجاهل الاحمق الشره والاكثار من الطعام والشراب
وساير المستلذات وفي الحديث عن رسول الله صلعم المؤمن ياكل في معا واحد والمنافق
ياكل في سبعة امعاء اي ياكل سبعة اضعاف المؤمن او يكون شهوته سبعة امثال
شهوة المؤمن ويكون المعا كناية عن الشهوة وهي التي تجذب الطعام وتطلبه كما ياخذ المعا
ويجذب وعن عيسى ع اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل
وفي التورية مكتوب ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة والجهل
قوله ع والمواساة وضده المنع من صفات اهل الخير المواساة وهي المشاركة والمساهمة
في المعاش والرزق لانه ضرب من الكرم والجود كما ان من صفات اهل الهوى والشر
المنع والبخل واصلها الهمزة فقلبت واوا للتخفيف ومنه خبر الحديبية ان المشركين
واسونا الصلح جاء على التخفيف وقد يجيء على الاصل فيقال فلان اساه بنفسه وماله ومنه
ما روي عن امير المؤمنين ع انه قال اس بينهم في اللحظة والنظرة اي وليكن التفاتك
ونظرك الى الجميع على السواء قوله ع والمودة وضده العداوة المودة من الود وهو
المحبة يقال وددت الرجل اوده ودا وودادا اذا احببته والود يجيء بحركات
الواو الثلث والود بالكسر الصديق والوديد وهو بمعنى الفاعل ومن اسماء الله تعالى
الودود وهو فعول بمعنى المفعول فهو مودود اي محبوب في قلوب اوليائه او هو
فعول بمعنى الفاعل اي انه يحب عباده الصالحين فمن جملة نعوت الكاملين وصفات
اهل العقل واليقين التودد والتالف والموافقة مع الاخوان والترحم على الضعفاء
والخلان قال الله تعالى في صفة اصحاب الرسول صلعم اشداء على الكفار رحماء بينهم و
قال سبحانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف
بينهم وسر هذا التودد والتالف بين المؤمنين واهل المعرفة هو الايتلاف الذي
كان بين ارواحهم وعقولهم في عالم القدس ومعدن المعرفة كما ورد في الخبر المشهور
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف قال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا وعنه صلعم

المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقوله صلعم مثل المؤمنين اذا التقيا مثل
اليدين تغسل احديهما الاخرى وكذلك من صفات اهل الجهل والكفر العداوة والبغضاء والقطيعة
والتفرقة لانها من لوازم التعلق بالدنيات والمشتهيات قوله ع والوفاء وضده الغدر
يقال وفى الشيء وفيا على فعول اي تم وكثر والوفي الوافي واوفاه اتمه ايفاء واوفاه حقه
ووفاه اي اعطاه تاما واستوفاه وتوفاه اي اخذه كله والوفاء ضد الغدر وعد وفى
بعهده واوفى به وفاء وهو وفي والغدر ترك الوفاء وغدر به فهو غادر وغدرت الليلة
اي اظلمت وفي الحديث من صلى العشاء في جماعة في الليلة المغدرة فقد اوجب والمغدرة
الشديدة الظلمة التي تغدر الناس في بيوتهم اي تتركهم والغدر الظلمة وعن ابي عبد الله ع
قال قال رسول الله صلعم يجيء كل غادر يوم القيمة بامام مايل شدقه حتى يدخل النار قوله ع
والطاعة وضده المعصية اطاعه يطيعه فهو مطيع وطاع له يطوع فهو طايع اي اذعن وانقاد
والاسم الطاعة وفي الحديث لا طاعة في معصية الله يريد طاعة ولاة الامر اذا امروا
بما فيه معصية والمعصية والعصيان ضد الطاعة وهو التمرد والامتناع ولا شك ان
من صفات العقل والايمان الطاعة والعبودية والخدمة لله ولرسوله بفعل الحسنات
وجلب المثوبات ومن صفات الجهل والكفر العصيان والتمرد والاستكبار وطاعة
الهوى وخدمة الشهوات وفعل السيئات قوله والخضوع وضده التطاول الخضوع
الانقياد والطاعة وجاء متعديا ولازما والخشوع مثله في اللغة وقد يجيء بمعنى الخشية
كما روي في الحديث عن جابر انه ع اقبل علينا فقال ايكم يحب ان يعرض الله عنه
قال فخشعنا اي خشينا وخضعنا وقيل الخشوع في الصوت والبصر كالخضوع في البدن
في قوله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وقوله خاشعة ابصارهم يقال
طال عليه واستطال وتطاول اذا علاه وترفع عليه واستحقره ومنه الحديث
اربى الربا الاستطالة في عرض الناس اي استحقارهم والترفع عليهم والوقيعة
فيهم ثم لا يخفى ان الفرق متحقق بين الخضوع والمذلة والتواضع والضعة قال الله تعالى
والترفع عليهم فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض والتحقيق ان الانسان
لما كان جهة نسبة الى نفسه وجهة نسبة الى ربه ينبغي عليه رعاية الجهتين وملاحظة
الجانبين جانب العبودية وجانب الربوبية اما رعاية جانب العبودية فبتصغير النفس
والخضوع والعبودية والسجود لله والانقياد له ولامره ورسالاته والتواضع لخلقه
وعباده وحرمة التوحيد وقبول الحق والنصيحة من كل احد واما رعاية جانب الربوبية
والنسبة الى الرب تعالى فبرفع الهمة وعلو القصد وطلب الجاه الرفيع والمنزلة
عنده تعالى بالاحاطة بالمعلومات والترفع عن الخسائس والتكبر على الاغنياء واعلم

ان

ان في هذا المقام سرا لطيفا ونكتة شريفة يعز من يتنبه لامثاله وهو ان آخر درجات السالكين
الفناء في الله بالموت الارادي لقوله صلعم موتوا قبل ان تموتوا والبقاء به وبالاستغراق
في شهود ذاته وان نجاة العبد وفوزه في الآخرة بان يتواضع لله في نفسه ويعتقد التعظيم
لربه وهذا التواضع والتعظيم عمل القلب والة الجوارح والاعضاء وهي انما استعملت
لتطهير القلب وتنزيهه لشرف ان القلب اعني اللطيفة الانسانية خلقه الله خلقه يتاثر
عن البدن والجوارح بالمواظبة على الاعمال كما خلقت الجوارح متاثرة بمعتقدات القلب
ونياته ولما كان المقصود من وجود الانسان كما اشرنا اليه ان يتواضع في نفسه قلبه
وبدنه وسره وعلنه بان يعرف قدر نفسه وخسته رتبة الوجود والفقر والامكان والحاجة
والنقصان ليعرف جلال الله وعلوه وعظمته ووجوب وجوده وغناه عما سواه
وكان من اعظم الشواهد على خسته الموجبة لخضوعه وتواضعه انه مخلوق من التراب
وهو اصله فكلف ان يضع على التراب الذي هو اذل الاشياء وجهه الذي هو اعز
الاعضاء ليستشعر قلبه التواضع بوضع الجبهة مماسته للارض فيكون متواضعا في جسمه
وصورة شخصه بغاية الوجه الممكن فيه وهو معانقة التراب الخسيس الوضيع بالعضو الشريف
العزيز ويكون العقل متواضعا لربه بما يليق به وهو معرفة الضعة وسقوط الرتبة
والفقر والعجز والقصور وكذلك التعظيم لله وطلب الفرار عن النفس والمهاجرة اليه
والتقرب لما عنده والانخراط في سلك مجاوريه وظيفة القلب خفية نجاته وذلك
ايضا ينبغي ان يشترك فيه الجوارح بالقدر الذي يمكن ان يحمل الجوارح ولا يؤدي
الا مصدره فتعظيم القلب لله بطريق اكتساب المعرفة والعلم والتخلق باخلاق الله
والطهارة عن رذائل الصفات واما تعظيم الجوارح لله فبتطهيرها عن الاخباث
وتنظيفها والتجمل ولبس الزينة والتختم والطيب والاشارة الى جانب العلا الذي
هو اعلى الجهات ورفع الايدي بالدعاء الى جانب السماء وطلب المقاصد والمآرب
من الرب الاعلى فالانسان ينبغي ان يراعي الجهتين ولا يهمل احد الجانبين بالاعتدال
فالكشف عن حقيقة التواضع انه رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة فالكبر رفع
الانسان نفسه فوق قدره بالاستطالة والتفوق على الاقران وهو من الامراض
المهلكة والضعة وضع الانسان نفسه مكانا يزري به ويفضي الى تضييع حقه بالمذلة
والهوان قوله عليه السلم والسلامة وضده البلاء ان من صفات العقل وجود السلامة
من الآثام الباطنية والامراض النفسانية والآراء الفاسدة والاعتقادات الباطلة
التي هي نيرانات مشتعلة محرقات للقلوب والجلود معذبات للنفوس والابدان
ومن صفات الجهل وجوده الابتلاء بهذه البليات والآفات من الحسد والكبر

والعداوة والنفاق والبخل وغيرها فالعاقل المؤمن في عافية وسلامة من نفسه والخلق منه
في سلامة وراحة وامان وهو معهم في تودد وعطوفة واحسان شاكرا لنعم الله عليه راضيا
بما قسم الله له لا يغيظ في نفسه لاحد عداوة ولا غلا والجاهل المنافق على ضد ما ذكر اجمع
فلا الخلق منه في سلامة وراحة ولا هو من نفسه في سعة وامان عذبه الله في الدنيا والآخرة
كما اشار اليه بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين قوله عليه السلم والحب وضده البغض ومن
صفات العقل والايمان المحبة وهي من لوازم الكمال والخيرية فكل ما هو اتم وجودا واقوى
شرفا وخيرية فهو اعظم محبة واجل ابتهاجا بذاته وبما يلزم ذاته ومن صفات الجهل واهله
والظلمة واهلها النفرة والبغضة والتوحش وضيق الصدر قال الله تعالى فسوف
يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اثبت المحبة له لعباده واثبتها لعباده بالنسبة اليه ومن
المتكلمين كالزمخشري وغيره من ينكر الامرين جميعا محبة الله لعباده ومحبة عباده اياه مع
ان كلا الموردين ثابتة بطريق الاستبصار والاعتبار وبطريق التمسك بالآيات
والاخبار اما طريق الاستبصار في اثبات محبة العباد اياه تعالى فهو انه من انكر حقيقة
الحب لله تعالى فلا بد ان ينكر حقيقة الشوق اليه تعالى اذ لا يتصور الشوق بدونها فاذا ثبت
الشوق اليه تعالى ثبتت المحبة له ونحن نثبت وجود الشوق اليه تعالى عقلا ونقلا اما العقل
فبيانه ان الشوق انما يتعلق بشيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فما لا يدرك اصلا
لا يشتاق اليه وما ادرك بكماله فلا يشتاق اليه ايضا ففي كل مشتاق جهتان ونحن نوضح
ذلك بمثال فمن غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله
بالرؤية فلو انمحى عن القلب ذكره وخياله ومعرفته لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه
وحصل له لم يتصور ان يشتاق اليه في وقت الرؤية الا ان يرى من وجه دون وجه
كما يرى وجهه دون شعره او يراه في ظلمة فيشتاق الى استكمال رؤيته باشراق
الضوء عليه والوجهان جميعا يتصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان لكل العارفين
فان ما اتضح للعارف من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح فكانه من وراء
ستر رقيق ولكن يتضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة و
تمام اشراق التجلي لا يكون الا بالآخرة فذلك يوجب الشوق ولذلك لا بد للعارف
الطالب ان يتمنى الموت من هذه النشأة ليرتفع الحجاب كما قال تعالى يا ايها الذين هادوا
ان زعمتم انكم اولياء لله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فهذا احد نوعي الشوق
وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا والثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها
وانما ينكشف لكل عارف بعضها ويبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف
يعلم وجودها بالبرهان ويعلم انه تعالى فوق ما يتناهى بل وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى

فلا يزال يتشوق الى ان يحصل له ما لم يحصل وان يتضح له ما لم يتضح والشوق الاول ينتهي
في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في
الدنيا ولهذا قال امير المؤمنين ع وهو اكمل العارفين بعد رسول الله صلعم لو كشف
الغطاء ما ازددت يقينا ولم ينل وضوحا وانكشافا واما الشوق الثاني فيشبه ان
لا نهاية له لا في الدنيا ولا في الآخرة فلا يزال النعيم واللذة متواصلة متزايدة ابد
عن النهاية واليه الاشارة بقوله تعالى حكاية عن اهل السعادة نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واما شواهد الاخبار والآثار فيها فاكثر من
ان تحصى فمنها ما ورد من قوله صلعم من احب لقاء الله احب الله لقاءه في الحديث ومنها
ما في الحديث القدسي اذا طال شوق الابرار الى لقائي فانا اشد شوقا الى لقائهم
وفي اخبار داود ع ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني
ومونس لمن انس بي ومن طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا
يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي فاني خلقت
طينة احبائي من طينة ابرهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي انى خلقت طينة المشتاقين
من نوري ونعمتها بجلالي واما بيان محبة الله لعباده ومعناها بالاستبصار فهو انه
قد ثبت بالبرهان ان اجل مبتهج بذاته هو الحق تعالى لان الابتهاج او المحبة او العشق
او الفرح او لفظ آخر يفيد هذا المعنى ورد به الاذن الشرعي في تسميته تعالى به لا عبارة
عن ادراك امر هو خير مؤثر عند المدرك فكلما كان المدرك بالفتح اعظم خيرية
والمدرك بالكسر اجل رفعة وقوة والادراك له اشد مرتبة كان الابتهاج او
العشق او ما يجري مجراهما اشد فذاته تعالى مبتهج ومبتهج به وابتهاج وبهذا الحال في
كون ذاته تعالى عالما ومعلوما وعلما والكل في حقه واحد كما حقق في مقامه ولهذا قيل
اجل مبتهج بذاته هو الحق الاول لانه اشد ادراكا واعظم مدركا لاجل مدرك له
البهاء الاعظم والجلال الارفع وهو الخير المحض والنور الصرف واذا ثبت كونه
تعالى محبا لذاته فنقول كل من احب شيئا يحب جميع صفاته وافعاله من حيث افعاله
وليس في الوجود غير ذاته وصفاته وآثاره وجميع من في العالم صنعه وابداعه
فالله سبحانه يحب ان يحبه ويريده من حيث انه فعله وصنعه وهذه المحبة في الحقيقة
راجعة ايضا الى محبة ذاته كمن احب دار معشوقه او كتابه او تصنيفه فليس يحب
في الحقيقة الا ذلك المعشوق وانما محبته آثاره محبته بالعرض وعلى سبيل التبعية
ولذلك قال ابو سعيد المهني لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه قال بحق يحبهم
فانه ليس يحب الا نفسه اذا ثبت هذا فنقول الاشياء متفاوتة في رتبة الوجود ومنازل

الترب منه وكلما كان المخلوق اعلى درجة واشرف رتبة واقرب منزلة منه تعالى فهو احب
عنده واما شواهد النقل والاخبار في محبة الله واوليائه وعباده الصالحين فهي
متكاثرة متظاهرة في هذا الباب منها ما ورد في القرآن ان الله يحب عبده كقوله تعالى
يحبهم ويحبونه كما مر وقوله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقوله ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم ومنها الحديث المشهور بين الجمهور لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه ومنها من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومنها الا طال شوق الابرار الى
لقائي فانا اشد شوقا الى لقائهم كما سبق لكن يجب ان يعلم انه لا يجوز نسبة الشوق
اليه تعالى لانه كما علمت يستلزم النقصان وهو ممتنع في حقه تعالى فالمراد من لفظ الشوق
في حقه اصل المحبة اما على صيغة التجريد لان مفهومها كما علمت جزء مفهوم الشوق واما
على صيغة المشاكلة واما سر كون المحبة من لوازم العقل وجنوده والعداوة من لوازم
الجهل وجنوده ان العقل من شانه الاحاطة بكل شيء والاتحاد به وحضور كل شيء عنده
ولان حقيقة النور والنور يلزمه الافاضة على غيره والاشراق والعطوفة والرحمة
والجهل بخلافه لان من لوازمه الوحشة والظلمة والعداوة والبغضاء اذ قد علمت ان
هوية هذا الجهل ما ركب فيه العدم والظلمة وفي كلمات امير المؤمنين ع الجاهل عدو
لنفسه فكيف يكون صديقا لغيره قوله ع والشهامة وضده البلادة والفهم وضده
الغباوة الشهامة ذكاء الفهم وانارته والبلادة ضدها وهو خمود الفهم وجموده
وتبلد اي تكلف البلادة او تردد متحيرا والفهم هو العلم فهمته اي علمته والغباوة
عدم الفهم وكون الاولين من توابع العقل والاخرين من لوازم الجهل جلي لا يحتاج
الى بيان قوله ع والصدق وضده الكذب الصدق مطابقة الكلام اعني الخبر للواقع
او للضمير او مطابقة الاعتقاد للواقع وقوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
يدل بظاهره على الثاني دون الباقيين ويمكن دفعه بان التكذيب متوجه لما ادعوه
من الاخبار عن الضمير فالضمير ههنا يقوم مقام الخارج والصادق قد يوصف به القول
وقد يوصف به القائل والصديق فعيل للمبالغة في الصدق او في التصديق والكذب
مقابله في جميع معانيه تقابل العدم والملكة لانه عدم الصدق لما من شانه الكذب
وقد اشرنا الى صحة اطلاق الضد على هذا العدم باصطلاح اهل الميزان واعلم ان
المراد من هذه الاوصاف المعدودة من جنود العقل وكذا مقابلاتها المعدودة من
جنود الجهل انما يكون مبادئها الراسخة وملكاتها الثابتة في النفس دون اثارها
التي هي من الافاعيل والاعمال فالصادق والصدوق في الحقيقة من في ضميره ملكة الصدق

في الاقوال

في الاقوال والاعتقادات وان لم يقل قولا ولم يخطر بباله صورة اعتقاد وكذا قياس
الكاذب والكذوب ولذا قيل الكذوب قد يصدق فملكة الصدق في الاقوال والاراء
والاحوال من نعوت العقل قال سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال بعض
العرفاء اذا طلبت الله تعالى بالصدق اتاك مراة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا
والاخرة وملكة الكذب فيها من صفات الجهل وعن رسول الله ص ان الصدق يهدي الى
البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب
يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا
وفيه اشارة الى ما ذكرناه مرارا من ان العمدة في باب صفات الخير والشر هي الملكات
الراسخة التي هي صور الباطن وكفى في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى
وصف الانبياء ع به فقال واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر
في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا قوله والحق وضده الباطل الحق قد يفهم منه
الوجود في الاعيان مطلقا وقد يفهم منه حال القول او العقد الذي يدل على حال الشيء
الخارج كالوجود وغيره من الاحوال اذا كان مطابقا له فيقال هذا قول حق وهذا اعتقاد
حق وهذا المعنى من الحق موافق للصدق فهو صادق باعتبار نسبته الى الامر نفسه وحق باعتبار
نسبة الامر اليه واحق الاقاويل ان يكون حقا ما كان صدقه دائما واحق ذلك ما كان
صدقه ضروريا اوليا وقيل ليس بعد كون النفي والاثبات لا يجتمعان وهو اول
الاوائل ومبدا جميع الاقاويل الصادقة الذي اليه ينتهي كلها عند التحليل واما الحق
بالمعنى الاول فاحق الموجودات هو الذي يكون وجوده دائما واحق ذلك ان يكون
مع دوامه واجبا لذاته لا بسبب وهو السبب لوجود غيره وهو سبب الاسباب
من غير سبب وما هو الا الحق تعالى فالاول تعالى هو الحق لذاته وكل ما سوى الواجب تعالى باطل
في نفسه حق بغيره والباطل يقابل الحق في كلا المعنيين فاذا عرفت هذه المعاني فاعلم
ان العقل احق الاشياء بعد الاول تعالى بان يكون حقا لما عرفت ان كلما وجوده اثبت
واتم فهو اولى بان يكون حقا والعقل باق ببقاء الله دائم بدوامه فذاته حق بالمعنى
الاول وقوله حق بالمعنى الثاني واما الجهل المضاد له فذاته باطل بالمعنى الاول لما قررنا
فيما سلف وقوله باطل بالمعنى الثاني قوله ع الامانة وضدها الخيانة الامانة والامن
بمعنى وقد امنت فانا امن وامنت غيري من الامن والامان وامنته على كذا وائتمنته
اذا اتخذته امينا واطلاقها على المجعول امانة على سبيل المبالغة والمراد من الامانة
ههنا كون الشيء امينا ومن الخيانة كونه خائنا وامنت من الايمان وهو التصديق
لانه يوجب الامن يوم القيمة وفي الحديث لا ايمان لمن لا امانة له وقوله تعالى انا

عرضنا الامانة الآية قال اهل الاشارة فيه المراد بها الوجود الفايض من الله على الموجودات كلها
وما سوى الانسان سيما الكامل الذي هو العقل لم يحمل الامانة من حيث انها امانة وهو ان
يرد الامانة الى اهلها اذ لم يقبل الوجود الا على وجه يفنى عنه ويزول فيتحول اليه تعالى ورجاعه اليه وهو
باق ببقاء الله هالك عن نفسه وغير الكامل من الانسان ايضا يقبل من هذه النشأة الا انه تعالى
فهذا الوجود عارية عنده مردودة الى غيره واما ساير الموجودات فليس الامر فيها كذلك
لانها لا تخلو اما باقية الذوات او فاسدة اما القسم الاول فما دام بقاؤه كان لكل له مقام
معلوم من غير تبدل واما القسم الثاني فاذا فسد فسدت ذاته بالكلية من غير ان يبقى عند
اداء الامانة الى اهلها فتأمل فانه من غوامض العلم فاذن العقل امين لانه يعلم ان لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم والجاهل خاين لانه يزعم ان الحول حوله والقوة قوته قوله عليه السلم
الاخلاص وضده الشوب قال الله سبحانه وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله
وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا واما بيان
حقيقة الاخلاص فاعلم ان الخالص من كل شيء ما لا يمتزج بغيره ولا يشوبه ما يخالفه ويضاده
فالخالص من الذهب ما لا يشوبه الحديد او النحاس او غيرهما والخالص من اللبن هو ما صفى
ولا يخالطه فرث ودم او غيرهما قال سبحانه من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا
للشاربين فالاخلاص يضاده الاشراك المعبر عنه ههنا بالشوب الا ان الشرك
والشوب درجات والشرك منه خفي ومنه جلي وكذلك الاخلاص وهما اعني الاخلاص
والشرك يتواردان على القلب ومحلها القلب والاخلاص والتشريك قد يكونان
في الالهية والتوحيد اي في المبدأ تعالى من حيث كونه مبدأ خالقا للاشيا فالموحد يضاده
المشرك كالثنوي والمجوس وغيرهما والتشريك في العبادة اي في كونه معبودا
هو الريا وما يجري مجراه من حظوظ النفس فمن يصلي النوافل ليقال انه عابد ويتعظم
قدره عند الناس او يصوم ليشتغل بالاحتماء عن الطعام او يحج للتجارة او يغزو طلبا
للاشتهار بالشجاعة او يكتب مصحفا ليجود بالمواظبة خطه او يتوضأ للتنظيف والتبرد
او يعود المرضى ويشيع الجنائز ليعرف بالخير ويذكر بالصلاح وينظر اليه بعين التوقير
والتعظيم وكذلك امثال هذه الامور فان كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن
انضاف اليه هذه الخطرات فقد خرج عمله عن حد الاخلاص ولم يكن خالصا لوجه الله
وتطرق الشرك اليه وبالجملة كل عمل تطرق اليه حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه
النفس والهوى قليلا كان او كثيرا فقد خرج عن الخلوص وتكدر بالمشوب واكثر الناس
لكونه منغمسا بالشهوات منهمكا بحظوظ النفس قل ما ينفك فعل من افعاله وعباداته

من عباداته

من عباداته عن غرض نفسي ولهذا قيل من سلم له من عمره خطرة واحدة خالصة لوجه الله
نجى وذلك لعزة الاخلاص وعسرة تنقية القلب عن هذه الشوايب بل الخالص هو الذي
لا باعث له الا طلب القرب منه تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة فقط فلا يخفى شدة
الامر على صاحبه وانما كلامنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضاف اليه
شيء من هذه الامور ثم مراتب الشوب بالحظوظ متفاوتة بعضها في رتبة المشاركة وبعضها
في رتبة المعاونة وكل من المشاركة والمعاونة ايضا مختلفة في القوة والضعف والقلة
والكثرة وانما الخالص ما يتجرد النية فيه لقصد التقرب اليه تعالى عن هذه الشوايب كلها
وهذا لا يتصور الا من عارف محب لله مستغرق الهم بالآخرة قال بعض العرفاء
ان الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص العمل واخلاص طلب الاجر اما اخلاص العمل
فهو ارادة التقرب الى الله تعالى وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث عليه
الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق وهو التقرب الى من دون الله اذ النفاق
هو الاعتقاد الفاسد الذي للمنافق في الله تعالى وليس هو من قبيل الارادة والنية
واما الاخلاص في طلب الاجر فهو ارادة نفع الآخرة بعمل الآخرة انتهى كلامه اقول
مراده من الاول ان يكون منشأ العمل هو الاعتقاد الصحيح ومعبوده الاله الحق
وضده النفاق وهو ان يكون منشأ العمل هو الاعتقاد الفاسد ومعبوده غير المعبود
بالحق مما ظنه الها كما في قوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه ومن الثاني ان لا يريد بعمل الآخرة
كالصلوة والصوم نفع الدنيا وايضا يجب ان يكون عمل من يريد نفع الآخرة عملا اخرويا
لا عملا دنيويا ومعنى العمل الاخروي ان لا يكون فيه حظ نفس نقدا ولذة جسمانية او
راحة بدنية والعمل الدنيوي ما يكون فيه شيء من هذه الامور والدنيا والآخرة حالتان
للنفس متخالفتان فكل ما فيه حظ النفس فهو من الدنيا من هذه الجهة وان كان صلوة
وصوما وكل ما فيه خلاف النفس فهو في الآخرة وان كان اكلا ونكاحا فلا ينفع شيء من الدنيا
في نيل الآخرة كما لا ينفع شيء من الآخرة في نيل الدنيا بل هما كضرتين وككفتي الميزان
رجحان كل منهما خسران الاخرى فان قلت فما حكم العمل المشوب في استحقاق الثواب
او العقاب اولا استحقاقهما قلنا ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله بل امتزج به
شوب من الريا او حظوظ النفس فقد اختلف اهل العلم في ان ذلك هل يقتضي
ثوابا او يقتضي عقابا او لا يقتضي شيئا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الريا
فهو عليه قطعا وبه يستحق المقت والعقاب جزما واما الخالص لوجه الله بلا شوب فهو له
قطعا وبه يستحق الثواب فبقي النظر في المغشوش المشوب فالذي دلت عليه الاخبار
انه باطل لا ثواب له ولا يخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه بنور الاستبصار

وتتبع الآثار موافقا لما رآه بعض العلماء والعلم عند الله ان ينظر الى قوة الباعث وضعفه فان كان
الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل كان لم يكن فلا له ولا عليه
وليس هذا من الاحباط الذي يراه المعتزلة من كلامهم في الجزاء وكلامنا في اصل العمل وما
يقتضيه القصد ليستحق المثوبة وان كان باعث الريا اغلب فليس بنافع اصلا بل هو مع ذلك
مضر ومقتض للعقاب بحسب تلك الزيادة لكن يكون عقابه اخف من عقاب العمل الذي
تجرد للريا وان كان باعث الدين وقصد التقرب اغلب بالقياس الى الباعث الآخر
فله الثواب بقدر ما فضل من قوته على قوة باعث النفس وهذا لقوله فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ولقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير وكشف الغطا
عن هذا ان الاعمال لها تاثير في القلوب كما مر وتاثيرها في القلوب بتاكيد صفاتها
فداعية الريا من المهلكات وانما قوة المهلك وقوته وغذاؤه بالعمل المناسب له
وبالعمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوة المنجي وقوته وغذاؤه بالعمل على
وفقه واذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق الريا فقد قوي
تلك الصفة واذا عمل على وفق مقتضى التقرب فقد قويت هذه الصفة واحدهما مهلك
والآخر منجي فان كان تقوية احدهما بقدر تقوية الآخر وكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول
من المسخنات ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما
كانه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما للاعمال تاثير في
القلب كحكم الاغذية والادوية تاثير في البدن بحكم اجراء سنة الله فلا يضيع مثقال
ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في القلب بتنويره او تسويده وتقريبه من الله
وتبعيده فاذا جاء بما يقربه شبرا مثلا وكان ممتزجا بما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان
فلم يكن له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا
فله لا محالة فضل شبر قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وفي الحديث اتبع
السيئة الحسنة تمحها واذا كان الريا يحبطه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد
ان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح
حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس وربما يقال انما يثاب على اعمال
الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك قصد المسافة
ولا ثواب فيه مهما قصد تجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان قصد الحج هو المحرك
الاصلي وكان غرض التجارة كالتابع والمعين فلا ينفك نفس السفر من ثواب وكذا
الغزاة وان وجدوا في نفوسهم تفرقة بين غزوة الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين
جهة لا غنيمة فيها لكن يبعد ان يقال وجدان هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل

الحق

الحق ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج اعلاء كلمة الله تعالى وانما الرغبة في الغنيمة
على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى
غنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت الآيات والاخبار تدل على
ان شوب الريا محبط للثواب كقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا وفي الحديث عن النبي صلعم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له
وعن ابي عبد الله عم انه قال لعباد بن كثير البصري في المسجد ويلك يا عباد اياك
والريا فانه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له وعنه عم يقول الله انا خير شريك
من اشرك معي غيري في عمل عمل لم اقبله الا ما كان لي خالصا وعنه عم قال قال امير
المؤمنين اعملوا في غير ريا ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله قلنا هذه الاحاديث
لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها ما لم يرد بعمله الا الدنيا او كان ذلك هو الاغلب
وقد ذكرنا ان ذلك باطل بل عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن
طلبه باعمال الدين حرام لما فيه من الريا وتغيير العبادة عن وضعها فاما لفظ الشركة
حيث ورد فمطلقه للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن
له ولا عليه ولا ينبغي ان يرجى عليه ثواب وبعيد ان يقال لا ثواب على غزو يكون
معه رغبة الى الغنيمة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين و
مدخل لليأس على المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة لا ينفك الانسان
عنها الا على الندور فيكون تاثيرها في نقصان الاعمال لا في ابطالها واحباطها نعم
الانسان على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب ويكون
الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك امر خفي غاية الخفا ولهذا ورد في الخبر عنه صلعم
الشرك في امتي اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء
قوله عم الشهامة وضده البلادة يقال شهم شهامة فهو شهم اي جلد ذكي الفؤاد
ويقال قد بلد بالضم فهو بليد وتبلد اي تكلف البلادة وتبلد اي تردد متحيرا
والبلد الرجل اذا كانت دابته بليدة وقد سبق ان الشهامة من توابع الاعتدال
في القوة الادراكية وحسنها والبلادة من توابع التفريط فيها فالاولى من جنود العقل
وخوادم الملك والثانية من اتباع الجهل واعوان الشيطان قوله عم والفهم وضده الغباوة
الفهم هو تصور المعنى من لفظ المتكلم والافهام ايصال المعنى باللفظ الى ذهن السامع قال الله
لا يكادون يفقهون قولا لان كفار قريش لما كانوا ارباب الشبهات والشهوات
والطبايع الغليظة والقلوب القاسية فما كانوا يفقهون ما في كتاب الله من المعاني
اللطيفة والمعارف الحقيقية لا جرم اخبر الله عن عدم استعدادهم للاطلاع على المقصود الاصلي

من انزال ذلك الكتاب والمراد من الفهم ههنا هو ملكة الاقتدار على فهم الخفي من اللفظ او مطلقا وفي جمع
لا صفاء السر ولطافة الضمير وهو من اجل صفات العقل وضده الغباوة وهي عدم التفطن للمعنى
ومنشؤه ظلمة النفس وكثافة الباطن واحتجابه عن عالم النور ومعدن الحضور فالاول من صفات
العقل والنور والثاني من صفات الجهل والظلمة قوله ع والمعرفة وضدها الانكار قد اختلفت
الاقوال في تفسير المعرفة فمنهم من قال انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومنهم
من قال انها ادراك البسائط تصورا كان لماهياتها او تصديقا بوجوداتها والعلم ادراك المركبات
سواء كان باعتبار تصور ماهياتها او التصديق باحوالها ومن ثم يقال عرفت الله ولا يقال علمته
ومنهم من قال انه عبارة عن الادراك التصوري والعلم هو الادراك التصديقي وهؤلاء جعلوا
العرفان اعظم رتبة من العلم قالوا لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب
الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقة واجب الوجود فامر فوق الطاقة البشرية
لان الشيء ما لم يعرف لم يطلب ماهيته فعلى هذا الطريق كل عارف عالم من غير عكس
لذلك كان الرجل لا يسمى عارفا الا اذا توغل في بحار العلوم ومباديها وترقى من مطالعها
الى مقاطعها ومن مباديها الى غاياتها بحسب الطاقة البشرية وقال آخرون من ادرك شيئا
وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرف انه هذا ذاك الذي قد ادركه
اولا فهو المعرفة وهذا الاخير هو المراد ههنا لان الانكار لا يصلح ان يكون ضدا لمثل
هذا الاخير لا المعاني السابقة اذ لا يطلق الا في الامر الذي من حقه ان يكون مدركا وليس
بمدرك واعلم ان من الناس من يقول بتقدم الارواح الانسانية ومنهم من يقول
بتقدمها على الاشباح العنصرية ويقول انها الذر المستخرج من صلب آدم ع وانها
اقرب بالربوبية الا انها لظلمة العلاقة البدنية والانغمار في الطبيعة الجسمية نسيت
مولاها وعهدها القديم واذا عادت لانفسها باكتساب العلم والعمل والطاعة والعبادة
والاجتناب عن المعصية والشهوة والتخلص من ظلمة الطبع ودرن الهوى ادركت ذاتها
بعد ما نسيت وعرفت عالمها ومولاها فلاجرم سمي هذا الادراك عرفانا واذا غرقت
في بحر الشهوات وتاهت في مراقد الغفلات وصارت في الغفلة والجهالة كسائر
الحيوانات من الدواب والحشرات فسمي هذه الغفلة والجهالة انكارا هذا ما ذكره قوم
في التحقيق في هذا المقام على وجه يطابق الحق والبرهان ويوافق الدين والقرآن مما يفتقر
الى بسط في الكلام ليس ههنا موضعه وقد بيناه في الاسفار الاربعة وفي الشواهد
الربوبية لكن الاشارة بعد ما تقرر ان في لسان الشريعة الالهية والحكمة العتيقة
التعبير عن غوامض العلوم بالرموز والتمثيلات ان للارواح البشرية من لدن
حصولها في علم الله ومكامن غيبه وصلب قضائه وقدره الى حين بروزها من بطون الملك

الى ظهور الشهادة اكوانا متعددة بعضها اعلى من بعض وارفع وانور واشد جمعية وبساطة
واجمالا وبعضها ادنى وانزل واقل نورا واكثر تفرقة وتفصيلا وتركيبا وليس مذهب
الحكماء الاولين كافلاطون الالهي ومن يحذو حذوه ويسلك سبيله من السلاك الالهيين ان الارواح
قبل الابدان او انها قديمة معناه ان هذه النفوس البشرية بخصوص وجوداتها الجزئية وهوياتها
المتكثرة المتشخصة وتعيناتها النفسانية كانت موجودة قبل الابدان في عالم القدس
هيهات هذا مما لا يمكن ان يذهب اليه حكيم فاضل لما دل عليه قواطع البراهين ثم ان
الذي وجوده الوجود العقلي التام المجرد عن النقايص والشرور والآفات ما الذي
سنح له حتى اضطره والجأه الى مفارقة ذلك العالم عالم القدس والنور والطهارة
والنزول في مهاوي الجهال والارذال ومعدن الشرور والظلمات ودار الاموات
والجمادات ومعرض الآلام والاحزان والبليات بل مراد اولئك الحكماء الاساطين
من تقدم الارواح على الاشباح تقدم نشأتها العقلية وطورها القضائية ووجودها العلوي
السماوي في مكمن سر الغيب قبل الشهادة وصلب القضاء قبل رحم القدر عالم الامر قبل
عالم الخلق فان لها اطوارا كونية ونشآت وجودية بعضها ما قبل الطبيعة كعالم العناية
والاسماء والقضاء والقدر والسماء وبعضها ما بعد الطبيعة كنشأة القبر والبرزخ والبعث
والحشر والعرض والجنة والنار والى الاول الاشارة في قول النبي ص كنت نبيا
وآدم بين الماء والطين وكذا في قوله تعالى يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين والمرجع
اليه واما الثاني ففي قوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون وقوله يا ايها الانسان انك كادح
الى ربك كدحا فملاقيه ففي الآيات والاخبار دلالة على ان للنفوس البشرية اطوارا
واكوانا لاحقة كما لها اكوان سابقة وقد بينا جميع ذلك بالبراهين الساطعة والحجج
القاطعة في كتبنا وصححنا واوضحنا دليلها وكشفنا عن وجه سبيلها وبذلك يندفع
التناقض في اقوال الحكماء ويحصل التوافق بين كلمات ارباب الشرائع حيث نقل عن
بعضهم القول بقدم الروح وكونه غير مخلوق ولا داخل تحت ذل الكون ومن بعضهم
القول بحدوثه وكونه مخلوقا من الجسم مخلوقا من الهواء ونظائرها مما حققنا بل قوله تعالى واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قوله ع والمداراة وضدها المكاشفة
في الحديث ادرؤوا الحدود بالشبهات اي ادفعوا من درأ يدرأ اذا دفع ومنه الحديث
اللهم اني ادرأ بك في نحورهم اي ادفع بك في نحورهم لتكفيني امرهم وانما خص النحور
لانه اسرع واقوى في الدفع والتمكن من المدفوع ومنه الحديث اذا تدارأتم في الطريق
اي تدافعتم واختلفتم وفي الحديث الآخر كان لا يداري ولا يماري فاما المداراة المستعمل
في حسن الخلق والصحبة وهي المراد ههنا فغير مهموزة وقد تهمز ومنه الحديث ان

رسول الله صلعم كان يصلي فجاءت بهيمة تمر بين يديه فما زال يداريها اي يدافعها ويروى بغير همزة
من المداراة قال الخطابي وليس منها وكشفت الشيء فانكشف وتكشف البرق ملأ السماء وكاشفه
بالعداوة باداه بها وفي الحديث لو تكاشفتم ما تدافنتم اي لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل
تشييع جنازته ودفنه والاكشف الرجل الذي لا ترس معه كانه منكشف غير مستور
اعلم ان من جملة الاحوال الحسنة والصفات الكريمة لاهل العقل والايمان وارباب الفضل
والعرفان المداراة مع الخلق والصبر على اذاهم وخفض الجناح لهم لتخلقهم باخلاق الباري
وتشبههم برسول الله صلعم وقد قال سبحانه في معرض الامتنان على النبي صلعم فبما رحمة من الله
لنت لهم واللين هو المداراة وخفض الجناح الا ترى ان الحق تعالى يرزق الكافر على كفره
ويمهل له في المواخذة عليه وقال عز وجل لموسى وهرون في حق فرعون فقولا له قولا لينا
وهذا عين المداراة وكان من اخلاق النبي صلعم المداراة واحتمال الاذى وبلغ من مداراته
ما روي انه وجد قتيل من اصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وداه
بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان من حسن مداراته انه لا يذم
طعاما ولا ينهر خادما وما روي عن انس انه قال خدمت رسول الله صلعم عشر سنين فما قال
لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته فالمداراة مع كل احد من الاهل
والاولاد والجيران والاصحاب وكافة الخلق من اخلاق الانبياء والاولياء عليهم السلام
والصوفية والحكماء رضي الله عنهم وقيل لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل
الصبر وكما ان المداراة والصبر من خصايص العقل وكذلك من صفات الكفرة والجهال
المكاشفة مع الناس والمجاهرة بما اطلعوا على خفيات امورهم وعيوبهم واظهار
زلاتهم وقصوراتهم طلبا للتفوق على الخلق والتفاخر والرعونة وغير ذلك من اغراضهم
الخبيثة ودواعيهم الباطلة وهذا من صفات الاشرار والشياطين كما ان الاول من
نعوت الملائكة والاخيار قوله عم وسلامة الغيب وضده المماكرة لما كان العقل
جوهرا نورانيا يتجلى فيه حقايق الاشيا وهو محل معرفة الله ومظهر صفاته تعالى وملكوته
فلا بد ان يكون كمرآة مجلوة صافيا عن الكدورات سالما عن الغش والعيب مبرأ
عن الدغل والمكر والكذب واما النفوس الجاهلة المظلمة الخبيثة فلكونها مدنسة بالشهوات
ملطخة بالكدورات ممنوة بالعيوب والآفات والامراض فتضطر وتلتجي الى المداهنة في
المعاشرة مع الخلق وعند المعاملات والمحاورات الى المماكرة والخديعة والكذب
والبهتان ولا يتيسر له المصادقة مع الرفقاء والخلان والمصافاة مع الاصحاب
والاخوان وبالجملة سلامة الصدر وصفاء الباطن من صفات اهل الكمال وخيانة الغيب
ودغل السريرة وغش الباطن من عادة الجهلة والارذال قوله عم والكتمان وضده الافشاء

ان من محاسن اخلاق العاقل الكامل انه يستر عيوب اخوانه المسلمين ويسكت عن افشاء
سرهم الذي استودعوه وله ان ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام
فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك
في حق اخيه المسلم فانه نازل منزلة نفسه وهما كشخص واحد فان المؤمنين كنفس واحدة
ولا اختلاف بينهم الا بالبدن وقد قال صلعم من ستر عورة اخيه ستر الله عليه في الدنيا والآخرة
وفي خبر آخر كانما احيى موؤدة وعنه صلعم انه قال اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت
فهو امانة وقال المجالس بالامانة الا ثلثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل
فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه مال حرام من غير حله وعن عيسى على نبينا وعليه السلام انما يتجالس
المتجالسان بالامانة لا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره قيل لبعض الادباء كيف
حفظك للسر قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل لاحد كيف تحفظ
السر قال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال آخر استره واستر اني استره وعبر عنه بعض
الشعرا بقوله ومستودعي سرا تبوأت كتمه فاودعته صدري فصار له قبرا وقال آخر
زايدا عليه وما السر في صدري كثاو بقبره لاني ارى المقبور ينتظر النشرا ولكنني انساه
حتى كانني بما كان منه لم احط ساعة خبرا ولو جاز كتم السر بيني وبينه عن السر والاحشاء
لم يعلم السرا وافشى بعضهم سرا له الى اخيه ثم قال حفظت فقال بل نسيت وقيل
لابي يزيد من نصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما ستر الله
وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما وقال من افشى السر
عند الغضب فهو لئيم لان اخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقال بعض
الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي
ان يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال ولا يكون ذلك الا لاهل
العقل والكرامة كما قيل وترى الكريم اذا تصرم وصله يخفي القبيح ويظهر الاحسانا
وترى اللئيم اذا تقضى وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا فلذلك من عادة اللئام
الجهلة والحمقاء افشاء الاسرار وهتك الاستار وقد قيل ان قلب الاحمق في فيه و
لسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدريه
فمن هذا اوجب الحكماء على انفسهم مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم قوله عم
والصلوة وضده الاضاعة ان من اشرف ملكات العاقل الكامل وافعاله وعاداته
التعبد لله تعالى والدعاء والتضرع والتذلل له والابتهال اليه والتذكر الدايم لعظمته وجلاله
بالخضوع والخشوع طلبا للزلفى وتقربا اليه تعالى وذلك على ضد احوال الحمقى الجاهلين المتشبهين
بالبهايم والسباع وساير الحيوانات كما قال تعالى اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات

وانما اوجب الله الصلوة على الانسان وكلف بها نوع الآدميين لاختصاصها بالعقل
الذي هو موضع سر الله ومحل معرفته وطاعته وقابل تعليمه وارشاده ونوره وهداه
واهل كرامته وزلفاه بخلاف ساير الحيوانات فانها متروكة عن الخطاب ومسلّم عن الحساب
والعقاب ثم لا يخفى على اولي النهى من اهل البصيرة والهدى دون اهل الهوس والهوى
ان في الصلوة الكاملة من اجتماع معان وخصال ليست في شيء من الحسنات والعبادات
الظاهرة من حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء وهذه ست خصال
شريفة وحالات كريمة وملكات عظيمة لا يوجد جميعها الا في مؤمن امتحن الله قلبه بنور
المعرفة والايمان اما بيانها تفصيلا فالاول حضور القلب والمراد به ان يتفرغ القلب
عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بما يتلبس به من الافعال وينطق به من الاقوال
بالفعل ولا يكون فكره جاريا في غيره ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه
ذكر ما هو فيه ولم يكن غافلا عنه فقد حصل حضور القلب والثاني التفهم لمعنى الكلام وهو
امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى
اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ الذي اردنا بالتفهم وهذا مقام يتفاوت
الناس فيه اذ ليس يشترك الجميع في تفهم المعاني للقرآن والاذكار والتسبيحات
وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء صلوته ولم يكن قد خطر بباله ذلك ومن هذا
الوجه كانت الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع عن
الفحشاء لا محالة الثالث التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والتفهم اذ الرجل قد يخاطب
عبده وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زايد عليهما
الرابع الهيبة فامر زايد على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لان
من لا يخاف لا يسمى هايبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه
من الاسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة
فالهيبة خوف مصدره الاجلال وكان زين العابدين وسيد الساجدين علي بن
الحسين عليهما السلم يصلي في كل يوم وليلة الف ركعة وكان اذا توضأ اصفر لونه
فاذا قام الى الصلوة اخذته رعدة فسئل عن ذلك فقال ما تدرون بين يدي
من اقوم وكان اذا هاجت الريح سقط مغشيا عليه الخامس الرجاء فلا شك في
انه زايد على ما سبق فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن
لا يرجو انعامه ومبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله كما انه
خايف بتقصيره عقاب الله السادس الحياء وهي زايدة على الجملة لان مستندها
استشعار تقصير وتوهم ذنب واعلم ان لهذه الامور الستة اسبابا وبواعث

اما

اما سبب الحضور فهو الهمة فان قلب الانسان تابع لهمه فلا يحضر الا فيما يهمه فالقلب ابدا
لا يكون معطلا فمهما لم يكن حاضرا في الصلوة كان حاضرا فيما صرفت الهمة اليه من امور الدنيا
فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة وهي لا ينصرف اليها
ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخرة
خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليها فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا
ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلوة واما سبب التفهم فبعد حضور القلب
ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه كعلاج احضار القلب اقبال
على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها ودفع
اسبابها اعني النزوع عنها وما لم ينقطع تلك المواد التي ينبعث الخواطر اليها وتتشعب
الفكر لاجلها لا ينصرف الفكر عنها الا الى ذكر الله والتأمل في جلاله وعظمته فمن احب شيئا
اكثر ذكره فذكر ما هو المحبوب يهجم على القلب ويلهيه عن غيره فلذلك ترى ان المحبين
للدنيا لا تصفو لهم صلوة عن الخواطر المشوشة واما سبب التعظيم وهو حالة يتولد من معرفتين
فهما سبباه احديهما معرفة جلال الله وعظمته وهو من كمال الايمان فان من لا يعتقد عظمته
لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا
فيتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج
معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن
غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم
حاله واما الهيبة والخوف فحالة للنفس يتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته وبطشه
ونفوذ امره ومشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه عز وجل بحيث لو اهلك الاولين و
الآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء عليهم السلم من المصائب
وانواع البلاء فهذه المعارف منشأ حصول الهيبة في القلب وكلما زاد العلم بالله
وكبريائه زادت الهيبة والخشية ولاجل ذلك قال سبحانه انما يخشى الله من عباده
العلماء واما سبب الرجاء فهو معرفة لطف الله وكرمه وعميم جوده واحسانه وشمول رحمته
وانعامه ولطايف صنعه وامتنانه ومعرفة صدقه في وعده الثواب والجنة على الصلوة
فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء واما سبب الحياء
فاستشعار التقصير في العبادة وعلم المكلف بالعجز عن القيام بتعظيم حق الله ويقوى
ذلك ويزيد بالاطلاع على كثرة عيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وميلها الى الحظ
العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع
على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا

انبعث منها حالة تسمى الحياة ثم اعلم ان الصلوة الكاملة كشخص كامل انسانى مشتمل على روح
وجسد منقسم الى ظاهر وباطن وسر وعلن ولروحه وسره اخلاق وصفات ولجسده وعلنه
اعضاء واشكال فروح الصلوة هى عرفان الحق الاول والعبودية له بالاخلاص والتوحيد
واخلاقها وشمايلها الباطنة هى المعانى الستة المذكورة من حضور القلب والتفهم والتعظيم
والهيبة والرجاء والحياء واما اعضاؤها واشكالها فمن القيام والقراءة والركوع والسجود
فظاهرها يرتبط بظاهر الانسان وبه يكلف العوام الذين درجتهم درجة الانعام ليمتازوا
بذلك التعبد الظاهرى عن ساير الحيوانات فى العاجل فاستحقوا نوعا من الثواب فى
الآجل وباطنها يلتزم بباطن الانسان ممن له قلب او القى السمع وهو شهيد اما الظاهر
المامور شرعا والمعلوم وضعا الذى الزمه الشارع وكلف به كافة الانسان وسماه
قاعدة الدين كما فى قوله الصلوة عماد الدين وجعلها اشرف الطاعات واعلى درجة
من ساير العبادات فى اعداده معلومة واوقاته مرسومة واركانه مضبوطة واحكامه
فى الكتب مسطورة فهذا المؤلف من هذه الاركان المنظومة والاعداد المرتبة مرتبطة
بظاهر الانسان وله تاثير فى الصلوة الحقيقية المرتبطة الملتزمة بالروح النطقى وهذا
يجرى مجرى السياسات البدنية لانتظام الامور الشرعية كلف به الشارع انسانا
بالغا عاقلا ليشبه جسمه بما يختص به روحه من التضرع والتعظيم والعبودية للمبدا الاعلى
جل اسمه فلما راى الشارع ان العقل الذى كلما مناجيه التزم بالصلوة الحقيقية والمعرفة
الالهية والتعبد الدايم والهيبة والتعظيم كلفه بصلوة اخرى على بدنه وجسمه وعلنه
وحسه اثرا على تلك الصلوة وركب اعداده ورتب اوقاتها ونظمها ابلغ نظام فى
احسن صورة واتم هيئة ليوافق الظاهر الباطن ويتابع الجسد الروح والبدن
العقل فى التعبد والطاعة وان لم يوافقه فى المرتبة ثم لما علم الشارع ان جميع افراد
الانسان لا يرتقون من حضيض البشرية الى مدارج العقل فلا بد لهم من طاعة بدنية
ورياضة تكليفية وسياسة تخالف اهواءهم الطبيعية فلم يدعهم برحمته الشاملة
ان يميلوا عن التكليف والخطاب ويرتعوا فى مراتع الدواب ولم يذرهم ياكلوا
ويتمتعوا ويلهوا ويحشروا مع الوحوش والبهايم يوم الحساب فسلك بهم طريقا
ومهد قاعدة وكلفهم بهذه الاعداد والهيئات سننها وعين عليهم هذه الاوقات
تذكيرا وتكريرا ليرتبطوا بالانسانية ويتشبهوا بظواهر حقيقة الانسان ويمنعهم عن
التشبه بساير الحيوان فسهل لهم وسامحهم بالسهلة السمحاء واقر لهم بهذا الامر الظا
فقال صلوا كما رايتمونى اصلى وفى هذا مصالح كثيرة كما لا يخفى على العاقل وان لم يعرفه
الجاهل واما القسم الحقيقى من الصلوة الذى هو مشاهدة الحق الاول والمعبود الاعظم

بالقلب

بالقلب الصافى والعقل المجرد والنفس الزكية المطهرة عن الامانى والاغراض الشهوية والغضبية
فهذا القسم لا يجرى مجرى الاعمال البدنية والتكاليف الحسية وانما يجرى مجرى الخواطر الصافية
والمعارف الباقية واليه اشار النبى صلوات الله عليه وآله بقوله المصلى مناج ربه
فان مناجاة الرب بالعقل الدراك العلام لا بالاركان والاجسام فان هذه المكالمة
والمناجاة لا يصلح الا لمن يحويه مكان ويطرء عليه زمان اما الواحد المنزه عن الامكنة والجهات
المقدس عن الازمنة والاوقات ومن لا يتغير ذاته بوجه ولا يتبدل له الاحوال والصفات
فكيف يناجيه ويكلمه الانسان المتشكل المجسم المتحيز المتمكن بهيكله وجسمه وقواه وحسه
ومن عادة الجسم والجسمانى ان لا يناجى ولا يجالس ولا يوانس الا من يراه ويشير اليه ومن
لم ينظر اليه بعده غايبا والمناجاة ببدا مع الغايب محال ومن الضرورة انه تع بعيد
عن الاجسام غايب عن الابصار كيف والجواهر العقلية التى هى من مجعولاته برية عن هذه
الاجسام الكثيفة منزهة عن المكان والجهة والله سبحانه وتعالى اشد علوا وبراءة وتنزها
عن الاحياز والجهات من كل الجواهر المفردة المفارقة الذوات عن الاجسام والجهات
والاحياز والابعاد والازمنة والاوقات فما هو كذلك فمناجاته بظاهر الشكل والهيكل
من اجل المحالات فاذا قوله المصلى مناج ربه اراد بالمصلى العقل العارف وبالمناجاة
عرفانه كلام الله واستماعه بالسمع العقلى لا الالة والحاسة كما روى عنه انه قال ان
فى امتى محدثين متكلمين فالقسم الباطنى الحقيقى وهو روح الصلوة وسره عبارة عن
توجه وجه السر اليه تع وتضرع العقل العارف العالم بوحدانيته الحقة وعظمته وجلاله
ولطفه وجماله وكرمه وافضاله بالخشية والخضوع والهيبة والخشوع فالذوات العاقلة
والنفوس الكاملة يشاهدون الحق مشاهدة عقلية ويبصرون الآله ببصيرة ربانية
لا رؤية جسمانية ويسمعون كلامه بسمع قلبى لا بقرع اصوات ويفهمون منه الخطاب
ويردون الجواب وهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يدعون ربهم خوفا
وطمعا ويلتمسون من الله فك الاسير وجبر الكسير ويستدعون من ربهم تكميل نفوسهم
بمشاهدته واتمام النور والسعادة بمعرفته والامر العقلى والفيض القدسى من عالم
الاسماء ومعدن القضاء لاجتزاء ذواتهم وتنزل نفوسهم بهذه الصلوة والذكر الحقيقى
والتعبد العقلى ومن صلى هذه الصلوة خلص من عذاب حبس هذا الوجود الطبيعى ونجى
من اسر هذه القوى الحيوانية وارتقى الى المدارج العقلية والمعارج الربانية
واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر
فقد بان وتحقق لك ان الصلوة قسمان وعلمت ان كل قسم منهما على من يجب وان
القسمين جميعا يجب على العارف ما دام روحه فى الدنيا وان الروحانى اشد وجوبا

عن روحه من حياته في عبادته واذا ارتحل عن الدنيا وفارق المنزل الادنى لم تزل عنه الصلوة
الاخرى بل انقلبت معرفته مشاهدة وصار علمه عيانا وذكره حضورا ولكل من الصلوتين
احكام وآداب وشرائط اما صلوة الظاهر وصلوة العامة فلا حاجة الى بيان تفصيلها
لشهرتها وكتب الفقه مشحونة بذكرها واما صلوة الباطن وصلوة اهل الخصوص فلنذكر نبذا
من اسرارها وما ينبغي لك ان كنت من اهل القرب ان تحضر في قلبك باذن الله اما الطهارة
فاذا اتيت بها في ثياب بدنك وهو غلافك الابعد ثم بشرتك وهو قشرك الادنى
ولباسك الاقرب فلا تغفل عن تطهير قلبك وازالة رجز الشيطان عن نفسك بالتوبة
والانابة والندم على التفريط في جنب الله لقوله تعالى وثيابك فطهر والرجز فاهجر فطهر
بالتوبة باطنك الذي هو موضع نظر معبودك واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية
مقابح بدنك عن ابصار الخلق اعني سكان عالم الارض فاذا وجب ستر ظاهر بدنك
الذي موضع نظر الخلق فباطنك في عورات باطنك وفضائح سرك الذي هو موضع
نظر الملك وسكان ملكوته واهل سماواته فاخطر تلك الفضائح ببالك فاسترها وكفرها
بالندم والحيا والخوف وذلل نفسك وسكنها تحت الخجلة وقم بين يدي الله قيام العبد
المجرم الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحيا والخوف وقل يا منجي
الهلكى ويا غياث من استغاث انا ذا انا هبطت فاغتربت وتكدرت فانظر
وتذكرت فنازعت وندمت فقبل الوصول من سبيل واما الاستقبال فهو صرف
ظاهر وجهك عن ساير الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف ظاهر وجهك
الى جهة بيت معبودك اذا كان مطلوبا انه لا يكون صرف القلب عن ساير الامور
الى امر الله مطلوبا منك بل هذه الظواهر مبادي تحريكات للباطن وضبط للجوارح
وتسكين لها عن حركاتها الخارجة كما ان المتفكر في المعاني الهندسية ينظر ببصره
الى الاشكال المناسبة لها ليسكن الخيال اليها ولا يزاحم الحس العقل في طريقه
بل يوافقه ويتبعه في الحركة المطلوبة واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت
الا بالصرف عن غيرها فكذلك لا ينصرف وجه القلب الى الله الا بالفراغ عما سوى الله
واما القيام فليكن على ذكرك خطر القيام بين يدي الله في القيمة وفي هول المطلع
عند التعرض للحساب واعلم انك في الحال قايم بين يدي الله وهو مطلع عليك
فقم بين يديه قيام عبد ذليل بين يدي ملك عظيم من ملوك الزمان فانه تهدأ اطرافه
وتخشع جوارحه وتسكن جميع اعضائه خيفة سطوته وغضبه واذا احسست من نفسك
بتماسك جوارحك وهدوء اطرافك عند من تريد ان يعرفك بالصلاح وهو عاجز
مسكين مثلك فعاتب نفسك وقل انك تدعي معرفة الله وحبه افلا تستحيي

في استيلائك عليه مع توقيرك عبدا عاجزا من عباده وتخشى الناس ولا تخشى معبودك
وهو احق ان تخشاه واما التكبير فاذا نطق لسانك به فينبغي ان لا يكذبه قلبك فان
هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الها وكبرته فيوشك
ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد دون موافقة القلب فيشهد الله عليك بالكذب
كما شهد على المنافقين في قولهم انك لرسول الله فما اعظم الخطر في ذلك لولا التدارك بالاستغفار
والاعتراف بالذنب وحسن الظن بكرم الله وعفوه واما القراءة فالناس فيها على ثلثة
اقسام السابقون وهم المقربون واصحاب اليمين وهم اهل الجنة واصحاب الشمال وهم
المبعدون واهل النار فرجل يتحرك لسانه وقلبه غافل بل مشغول الى الفكر في اغراض
نفسه ومعاملاته وتجاراته وخصوماته ونحوها ورجل يتحرك لسانه بالتلفظ وقلبه يتبع
لسانه فيسمع منه ويفهم من الالفاظ معانيها وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه
الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه وفرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب
وبين ان يكون معلم القلب فالمقربون لسانهم ترجمان القلب ولا يتبعه قلبهم فاذا قلت
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فادفع وساوسك وتجبك عن نفسك ليتيسر لك الدخول
في باب الرحمة فينفتح لك باب الملكوت بالمغفرة والرحمة وباب الجبروت بالفضل
والكرامة واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك باسمه وافهم ان الامور
كلها بالله وهي من فيض رحمته في الدنيا والآخرة فاذا كانت النعم كلها من الله فلا جرم
لا حري ولا حقيق بالحمد والشكر الا هو فاذا قلت الحمد لله فان كنت ترى النعمة من غير الله
فتقصد الى غيره وتتوقع منه وتشكره دون الله او تشركه مع الله لا انه مسخر له
في توسيط انعامه كالقلم والمداد ويد الوزير وتخصيصه في انعام الملك عليك
بالترجيح لك ففي تسميتك وتحميدك نقصان وانك بقدر التفاتك الى غير الله
كاذب فيها واذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع غضبه وقهره على اهل
المعصية والكفر وآثار سطوته وعقابه كطبقات النيران وغيرها لينفتح لك باب
الخوف فاذا حصلت بين الرجاء والخوف فجدد الاخلاص والتوحيد بقولك اياك نعبد
ثم جدد حضور العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة لغيره تعالى بقولك واياك
نستعين لينفتح لك باب الاخلاص المتولد من معرفة النفس بالعبودية والفقر
ومعرفة الحق بالربوبية والجود فاذا فرغت من التفويض اليه بالبسملة ومن التحميد له
ومن العبودية ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين مسؤولك ولا تطلب
الا اهم حاجتك وما مولك وليس ذلك الا طلب القرب منه تعالى ولا يمكن ذلك
الا بالحركة نحوه وسلوك السبيل اليه على اقرب الطرق ولا يكون ذلك الا بالهداية فقل

كما علمك ربك اهدنا الصراط المستقيم الذي يوصلنا الى رضوانك وجوارك ويفضي بنا الى
عزيز دارك ويصرفنا عما سواك ثم زاده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهد بالذين افاض
عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من
الكفرة والمنافقين واليهود والنصارى والصابئين وساير اهل الغضب والضالين فاذن
يكون الى تحت ذلك حسبه ان يكون ممن قال الله فيه كما ورد في الحديث القدسي قسمت الصلوة
بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي فاذا قال بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله
ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله يقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى سمع الله لمن حمده
واذا قال الرحمن الرحيم يقول عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني
عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول هذا
بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما
سأل فقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب لقوله
فاذكروني اذكركم وقوله انا جليس من ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان
ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه والذكر مقام شريف عال ذكره الله في كثير من مواضع
القرآن وقوله اذا قال العبد الحمد لله يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد
اعلى من مقام الذكر لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح
بحمدك وآخر كلام في الجنة وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقوله اذا قال الرحمن
الرحيم يقول الله عظمني عبدي يدل على ان الاله الكامل المكمل الواحد المنزه عن الشريك
والمثل والنظير والضد والند هو في غاية الفضل والرحمة والرأفة والكرم واللطف
مع عباده ولا شك ان غاية ما يصل اليه العقل والفهم والوهم من تصور معنى الكمال
والجلال ليس الا هذا المقام الجامع بين غاية العلو والبراءة وغاية الدنو واللطف
وهذا هو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين يقول مجدني عبدي اي
نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث جعلت معادا يحشر اليه العباد
ليقضى فيه بين الظالم والمظلوم والقوي والضعيف وقوله واذا قال العبد اياك نعبد
واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على
اقدام العبد على الطاعة والعبادة وذلك لا يتم الا باعانة الله بخلق داعية فيه
خالصة عن المعارض فان العبد غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله
واياك نستعين وقوله اذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي
ولعبدي ما سأل تقريره ان اهل العلم وهم اخص الناس يختلفون بحسب آرائهم
بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية او في اكثرها وفي المعاد وفي النبوات وغيرها

مع استوائهم في العقل والنظر وطلب الصواب والتحرز عن الخطأ فلا يهتدي الى الحق
ليس الا بهداية الله وارشاده كما قال قل ان الهدى هدى الله وقالت الملائكة
لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابرهيم صلوات الرحمن على نبينا وعليه لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين فلا يمكن الخلاص عن ظلمات الجهل والغباوة والنجاة من ورطة
الخسران والضلالة لسلوك سبيل الرحمة والفوز بالمغفرة والنعيم الا بهدايته وارشاده
واما الركوع والسجود فينبغي ان تجدد ذكر كبريائه وترفع يديك مستجيرا بعفو الله
من عقابه ومتبعا لسنة نبيك في هيئة التواضع والخشوع والتذلل ثم تستأنف له
ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ذلك وعن هواك والقاء نفسك وعلو ربك
في تطاطؤ رأسك ومد عنقك وتسوية ظهرك عند الانحناء لكن تمكن اهدام نفسه في
ضرب عنقه وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة
وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على القلب لتؤكده بالتكرير ثم ترتفع عن ركوعك
راجيا انه راحم عليك لذلك تؤكد الرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده ثم تهوي
الى السجود وهو على درجات الاستكانة والتواضع والتذلل حيث تمكن اشرف اعضائك
وهو الجبهة من اذل الاشياء وهو التراب واذا وضعت نفسك موضع الذل وهو السجود
على الارض فاعلم بانك وضعته موضعه ورددته الى اصله فانك من التراب خلقت
واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك استشعار عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى
وبحمده واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثر واما التشهد فهو الشهادة
لله ولرسوله فاشهد له بالوحدانية ونفي الشريك ليكون تخصيصا منك بان لا معبود
سواه وان لا غاية لك في العبودية الا رضاه وابتغاء لوجهه وزلفا وتحمد بآله
لانه الواسطة في وصول فيضه ورحمته الى عباده فصل عليه وآله الذين هم وسائط
بينك وبين الرسول كما انه الواسطة بين الله وبين الخلق ليكون صلوتك عليه وعليهم
وسيلة لنزول الرحمة عليك فان صلوتك غير مقبولة الا بولايتهم ومحبتهم عليهم السلم
وليصدق املك ورجاؤك في ان سلامك يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه
ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتأمل ان يرد الله عليك سلاما
بعدد عباده الصالحين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة الحاضرين واختم
الصلوة به واستشعر شكر الله على توفيقه لاتمام هذه الطاعة المفروضة المكتوبة
ثم استشعر في قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلوة وخف ان لا تقبل صلوتك
وان تكون ملوثا بذنب ظاهر او باطن او تكون ممقوتا بسببه فترد صلوتك وتضرب
على وجهك وترجو مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه فهذا نبذ من اسرار الصلوة

واشارات اهل الاشارة واصحاب القلوب فيها وهذا قليل من كثير ما وصل الينا من اهل المعرفة واليقين
او خطر ببالنا بفيض رب العالمين ولولا مخافة الاطناب لذكرنا اطوارا اخرى من الاسرار اللطيفة
والمعاني الشريفة المتعلقة بالصلوة لكن هذا الموضع لا يسع زيادة التطويل واعلم ان العقل التام
كما يوجب اقامة الصلوة والمحافظة على حدودها واركانها وشرايطها واسرارها واذكارها وانوارها
فالجهل الراسخ يوجب اضاعتها والاخلال بها رأسا لان مبنى الصلوة على التواضع والاستكانة
والمذلة وهي تنافي التكبر والرعونة والغرور والاستعلاء وساير ما هو من لوازم الجهل فالجاهل
يتدرج بتضييع شيئا من آداب صلوته وكلما كثر جهله واتباعه للشهوات كثر اهماله واضاعته
للصلوة وكذلك الصوم وضده الافطار من خصال العقل وملكاته وجنوده في جهاد النفس
ومحاربتها وقتل النفس الامارة بالسوء بسيف الصوم وهو الامساك عن الشهوات ومن خصال
الجهل وعادته وجنوده في طاعة الهوى المتبع المطاع المتخذ الها وتقوية سلطان النفس
الامارة الافطار وهو تناول الشهوات وفعل المستلذات اعلم ان الصوم على ثلث
درجات صوم العوام وصوم الخواص وصوم اخص الخواص اما صوم العوام فشرايطه واحكامه
وما يجب الامساك عنه مشهور وفي الكتب الفقهية مسطور واما صوم الخصوص وهو صوم
العابدين واصحاب اليمين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة امور الاول غض
البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يلهي النفس عن ذكر الله
روى محمد بن مسلم عن ابي جعفر ع انه قال اذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك
وجلدك وعدد اشياء غير هذا وقال لا يكون يوم صومك كيوم فطرك والثاني حفظ
اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والخصومة والمراء والزامه
السكوت الا بذكر الله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان روى ابو بصير عن الصادق
انه قال ان الصيام ليس من الطعام والشراب وحده ان مريم ع قالت اني نذرت
للرحمن صوما اي صمتا فاحفظوا السنتكم وغضوا ابصاركم ولا تحاسدوا ولا تنازعوا
فان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب وقال الصادق عليه السلم لا تنشد الشعر
بليل ولا تنشده بليل ولا نهار فقال له اسمعيل يا ابتاه وان كان فينا قال وان
كان فينا وسمع رسول الله ص امرأة تسب جارية وهي صائمة فدعا رسول الله
بطعام فقال لها كلي فقالت اني صائمة فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك
ان الصوم ليس من الطعام والشراب فقط وجاء في الخبر ان امرأتين صامتا على
عهد رسول الله ص فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا
الى رسول الله ص تستأذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه
ما اكلتما فقاءت احديهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى

ملاتاه فتعجب الناس من ذلك فقال ص هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على
ما حرم الله عليهما قعدت احديهما على الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من
لحومهم الثالث كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه
ولذلك سوى الله بين آكلي السحت والمستمعين للكذب فقال تع سماعون للكذب
اكالون للسحت وقال لولا ينهاهم الربانيون عن قولهم الاثم واكلهم السحت فالسكوت
على الغيبة حرام وقال تع فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم
وعنه ص المغتاب والمستمع شريكان في الكذب الرابع كف بقية الجوارح من
اليد والرجل وغيرهما عن المكاره كف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم
وهو كف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصيام مثال من يبني قصرا
ويهدم مصرا فان الطعام الحلال يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار
من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها الخامس ان لا يستكثر
من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فما من وعاء ابغض الى الله من بطن ملي من حلال
وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصايم عند فطره
ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه من الوان الطعام كما استمرت العادة من
ادخار انواع الاطعمة لشهر رمضان فيأكل من الاطعمة فيه ما لا يوكل في غيره ومعلوم
ان مقصود الصوم كسر القوى الشهوية ليقوى النفس على التقوى واذا خلت المعدة
ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهواتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من انواع
اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعثت من الشهوات
ما كانت راكدة لو تركت على حالها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي
وسايل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل من الطعام
والاكتفاء على القدر الذي كان يأكل بالعشاء بل من الآداب ان لا يكثر النوم بالنهار
حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى ليصفو عند ذلك قلبه فيخلي الشيطان
لا يحوم على قلبه فينظر ملكوت السماء فليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها
شيء من الملكوت السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف
والرجاء اذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين
ومر بعض اصحاب القلوب بقوم يوم عيد وهم يضحكون فقال ان الله جعل شهر
رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام
فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون
وخاب فيه المبطلون فان قلت ان الذي ذكرته من الشرايط والآداب لا يوافق

ما افتى به الفقهاء فانهم حكموا بصحة صوم من اغتاب او اصغى الى الكذب او نحو ذلك فقلنا ان فقهاء الظاهر
يثبتون الشروط الظاهرة المشهورة للصوم بادلة ليست هي باقوى من هذه الادلة التي ذكرناها
في هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقهاء الظاهر من ايجابات التكليفات
الا ما يتيسر على عموم الخلق حتى الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علماء الآخرة فيعنون
بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويعلمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من
اخلاق الله وهو الصمدية والتشبه بالملائكة والاقتداء بهم في الكف عن الشهوات والاستغناء
عنها بحسب الطاقة والامكان فانهم منزهون عن الشهوات بحسب الفطرة الاولى والانسان
رتبته فوق رتبة البهايم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات
عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط الى اسفل السافلين والتحق
بالبهايم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملائكة لاقتدائه بهم
وتشبهه باخلاقهم وهم المقربون من الله تعالى والمتشبه بالمقرب مقرب ان ذلك القرب
ليس بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند اولى الالباب واصحاب
العقول والقلوب فاي جدوى لتاخير الاكلة وجمع الاكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات
ولو كان لمثله جدوى فما معنى ما روي عن النبي صه كم من صايم ليس له من صومه الا الجوع والعطش
ولهذا قال بعض العرفاء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون صوم الحمقى وسهرهم
ولذرة عبادة من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك
قال بعض العلماء كم من صايم مفطر وكم من مفطر صايم والمفطر الصايم هو الذي يحفظ جوارحه
عن الآثام ويأكل ويشرب والصايم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويرسل جوارحه
واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والاغراض الدنيوية وكفه عن
ماسوى الله تعالى بالكلية لدوام استغراقه بالحق عن الالتفات لغيره فالمفطر في هذا الصوم
الذي ضده هو الفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وصرف الهمة في غير ما يراد به طاعة الله
وطاعة رسوله من اغراض النفس ومقاصد الطبع وبالجملة الاشتغال بامر من امور الدنيا
الا دنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب
من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه في ليله كتب عليه خطيئة فان
ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وضعف اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء
والصديقين وبالجملة هذا الصوم عبارة عن الاقبال بكنه الهمة على الله والانصراف عن
غير الله وتحقق بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله حكاية عن خليله على نبينا
وعليه السلم فانهم عدو لي الا رب العالمين قوله ع والجهاد وضده النكول الجهاد محاربة
الكفار وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول او فعل يقال جهد الرجل

في الشيء اي جد فيه وبالغ وجاهد في الحرب مجاهدة وجهادا وقد تكرر في الحديث لفظ الجهد الجهد
وهو بالضم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة وقيل المبالغة والغاية وقيل هما لغتان
في الوسع والطاقة فاما في المشقة والغاية فالفتح لا غير ويراد في حديث ام معبد شاة
خلفها الجهد عن الغنم الهزال ومن المضموم حديث الصدقة اي الصدقة افضل قال جهد المقل
اي ما يحتمله القليل المال ومن المفتوح ما ورد في الدعاء اعوذ بك من جهد البلاء اي الحالة الشاقة
ويقال جهد الرجل فهو مجهود اذا وجد مشقة وجهد الناس فهم مجهودون اذا اجدبوا فاما ورد
الناس في جيش العسرة مجهودون معسرون فاما اجهد فهو مجهد بالكسر فمعناه ذو جهد ومشقة
او هو من اجهد دابته اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها ورجل مجهد اذا كان ذا دابة
ضعيفة من التعب فاستعارة للحال في قلة المال واجهد فهو مجهد بالفتح انه اوقع في الجهد
والمشقة والنكول من النكل بالتحريك والتنكيل وهو المنع والتنحية عما يريد يقال رجل
نكل ونكل كشبه وشبه اي ينكل به اعداؤه وقد نكل عن الامر ينكل ونكل ينكل اذا امتنع
ومنه النكول عن اليمين اي الامتناع منها وترك الاقدام عليها وفي الحديث في امير المؤمنين
غير نكل في قدم اي بغير جبن واحجام في الاقدام وقد نكل به تنكيلا اذا جعل عبرة لغيره
والنكال العقوبة التي تنكل الناس عن فعل ما جعلت له جزاء وفي الحديث يؤتى بقوم
في النكول يعني في القيود جمع نكل بالكسر ويجمع ايضا على انكال لانها ينكل بها اي يمنع
فاعلم ان من عادة العقل الجد والسعي في طلب الكمال والتقرب اليه تعالى بالقول والفعل
والجهاد مع اعداء الله بحقارة متاع الدنيا وشهواتها وعظم قدر الآخرة وما عند الله
فلا يبالي بهذه الحيوة العاجلة الزايلة ومن شان الجهل البطؤ والتكاسل عن طلب الرفعة
والانقياد والنكول عن السعي والجهاد مع الاعداء والاعراض عن الحق تعالى والاخلاد الى الارض
والتعلق بهذه الحيوة الدنيا والعكوف على باب الشهوة والهوى ولما كان الجهاد عبارة
عن المحاربة مع الاعداء والاعداء قسمان داخلية وخارجية اما الخارجية فهم الكفار ومن
يجري مجراهم من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم فيجب محاربتهم حتى يقتلوا او يقتلوا
او يوسروا ان لم يكونوا من اهل الكتاب او يعطوا الجزية وهم صاغرون ان كانوا من
اهل الكتاب واما الاعداء الداخلية فهي النفس وجنودها جنود الجهل والهوى والشيطان
واعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك كما ورد في الحديث فوجبت محاربتها اشد وجوب
واهمه واولاه لانها لو لم تكن فينا لم يحتج الى محاربة الكفار روى محمد بن بابويه مسندا عن
الكاظم عم عن آبائه عليهم السلم عن امير المؤمنين ع بعث رسول الله صه سرية فلما رجعوا
قال مرحبا بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد
الاكبر قال جهاد النفس ثم قال افضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه ولانها اقرب الينا

فقاتلوا التي يلونكم وكيفية الجهاد مع الاعداء الخارجة مشهورة مذكورة في الكتب الفقهية واما كيفية
المجاهدة مع هذه الاعداء وطرق المطاردة معها فقد اعتنى بتحقيقها وتبيينها علماء الآخرة وبينوها
في كتبهم العرفانية باتم بيان وجنود الطرفين كثيرة واعظمها هذه السبعين المذكورة في هذا الحديث
من جنود العقل والملك ومثلها في العدد من حزب الجهل والهوى والشيطان وهي ايضا بعضها
اعظم واقوى من بعض من قبيل الروساء للسرايا والكل من آحاد احدى الطائفتين قرن مقابل
من الاخرى يضاده كما علمت ويقاتله ويطارده مع امداد بعضها لبعض بما يناسبه ومعركة
هذه المطاردة والمدافعة ومعسكرها هو القلب الانساني مثلا قد تبتدي في القلب خاطر الهوى
وهو من اعاظم روساء الجهل فيدعو الانسان الى الشر فيلحقه خاطر الايمان وهو من اعاظم روساء
العقل فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها وهي جند آخر يناصر الهوى الى نصرتها
ونصرة خاطرها فتقوي الشهوة ذلك الخاطر وتحسن التمتع والتنعم فتنبعث العقل الى خاطر
الخير اعني العقل الذي هو من الجنود لا العقل الذي هو السلطان الاعظم لانه اجل من ان يتغير
ويتحرك من حيزه فيدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل الذي هو من الجنود اعني
الحمق ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة مبالاتها بالعواقب فتصغي النفس
عند ذلك الى نصح العقل وتميل الى ترك ذلك الشر فيحمل الشيطان وهو سلطان جنود
الشر وحزب الباطل على العقل بالاغواء ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج والزهد
البارد ولم تمتنع عن هواك وقد تيسر لك مبتغاك الذي كنت تشتاقه مدة وماذا
تؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه ومبتغاه
افتترك ملاذ الدنيا لهم وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما كئيبا حزينا مطعونا واعداؤك
في التنعم واللذة والعزة فيضحك عليك اهل زمانك وتغتم وتتألم بذلك اهلك
وعيالك من فعالك افتريد ان يزيد منصبك وصلاحك على فلان وفلان وقد فعلوا
مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان شرا
لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك بالارشاد وهو العقل
الاعظم سلطان جنود الخير وحزب الحق حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع
لذة الحال ونسي العاقبة واتكل افتقنع بلذة يسيرة ودنيا حقيرة في مدة قليلة و
تترك السعادة المخلدة ولذة الجنة ونعيمها ابد الآباد او تستثقل الم الصبر عن شهوة
ولا تستثقل وتستعظم الم النار وتغتر بغفلة الناس عن العاقبة ونسيانهم انفسهم
واتباعهم للهوى ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب النار لا يخففه عنك معصية
غيرك ارأيت لو كنت في ايام الصيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك
ظل ظليل او بيت بارد اكنت تساعد الناس وتوافقهم في عذاب الحر او تطلب لنفسك

الخلاص

الخلاص فكيف تخالفهم الناس وتهاجرهم خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند
ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال تردد باطن الانسان بين الجندين وتجاذب
الحزبين ويتقلب قلبه بين الاصبعين الى ان يغلب على باطنه من هواه وطباعه واشد مناسبة
اليه فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية الجبلية
التي ذكرت في هذا الحديث غلب جند الشيطان ومال القلب الى جنسه من فئة البغي والجهل
وحزب الضلال معرضا عن فئة الهدى وحزب الحق واولياء الرحمن مساعدا لاعداء الله و
اولياء الشيطان وجرى على جوارحه من سوابق القضاء ولواحق ما هو سبب بعده عن الله وان
كان الغالب على القلب الصفات الملكية لم يلتفت القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه
اياه على العاجلة وتهوينه امر الآجلة بل مال الى حزب الله وجنود العقل وظهرت الطاعة
بمقتضى ما سبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه
كيف يشاء اي بمجاذبة هذين الحزبين فينقلب من جند الى جند حتى يقع الى ما شاء الله وهذا
التقلب والاستقلال هو الغالب على اكثر اهل الايمان واما الثبات على الدوام مع حزب
الملائكة فهو شأن الانبياء والاولياء صلوات الله على نبينا وعليهم او مع حزب الشياطين
فهو حال الكفار والمنافقين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب ومكامن
القضاء الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه ايضا من خزائن الملكوت وهي
اذا ظهرت على الجوارح كانت علامات ودلالات يعرف بها ارباب الكشف والتبيين
سابق القضاء فمن خلق للجنة يسر له الطاعة واسبابها من جنود العقل وصفاته والقى
في قلبه الهام الملك ومن خلق للنار يسر له اسباب المعصية وجنود الجهل وسلط عليه
اقران السوء والقى في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحيل يغر الحمقى كقوله ان الله رحيم
فلا تخف وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان
الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم بهذه الحيل وما يجري مجراها وكل ذلك
غير خارج عن قانون القضاء والقدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب
لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة
وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة كل منهما فقال ان
الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين فهذا نبذ من كيفية المجاهدة
والمطاردة بين جنود العقل وحزب الملك وبين جنود الجهل وحزب الشيطان
التي وعدناك بيانها على ذيل ما ذكره بعض اهل العرفان والله ولي الفضل والاحسان
قوله ع والحج وضده نبذ الميثاق الحج في اللغة القصد الى اي شيء كان وخصه الشرع

بقصد معين ذي شروط معلومة وفيه لغتان الفتح والكسر وقيل الفتح المصدر والكسر الاسم
والحجة بالفتح المرة الواحدة على القياس وقال الجوهري الحجة بالكسر المرة الواحدة وهو من
الشواذ يقال نبذت الشيء انبذه فهو منبوذ اذا رميته وابعدته ومنه حديث الدجال
عليه اللعنة تلده امه وهي منبوذة في قبرها اي ملقاة والنبذ يكون بالقول والفعل في الاجسام
والمعاني قال تع فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ومنه نبذ الميثاق فاعلم
ان من جملة اخلاق العقل الوفاء بالعهود والمواثيق سيما عهد الله وميثاقه الذي واثقه
ومن عادة الجهل نسيان العهد ونبذ الميثاق وترك الوفاء ومنع حج بيت الله بالقصد
للزيارة الحج الاول والدخول في حريم الكعبة والطواف ببيته والسعي لمرضاته
والتقبيل وغيره من الاعمال ولنشر الى جملة من اسرار الحج واعماله الباطنة قال تع واذ
جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى الآية الاشارة
فيها ان البيت القلب فان قلب العارف بيت الله كما ان الكعبة بيت الله والمساجد
بيوت الله بوجه وقد جاء في الخبر ان الله تع اوحى الى داود قال يا داود فرغ لي بيتا
اسكن فيه فقال وكيف يا رب قال فرغ لي قلبك وذلك قوله تع لا يسعني ارضي
ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن فالمعنى اذ جعلنا القلب الان في المعنوي
مثابة يقصدونه ويرجعون اليه طالبا وزائرا كما يرجعون الى الكعبة في الظاهر
وبالصورة وامنا للسالك من تصرفات الشيطان ومكايده وحين بلغ منزل
القلب وحصل له سلوك مقاماته يامن عن غيلان جنود ابليس وقواطع طريق
الحق فان الشيطان وجنوده لا يقدر على دخول القلب كما لا يقدر طوائف الجن
والشياطين على الولوج الى السماء الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب فكذلك
سماء قلب العارف لكونه مزينا بزينة كواكب العلوم والمعارف معمور بذكر الله
محفوظ لا يقدر الشيطان على دخوله ولا يختطفه اتباعه وجنوده فان القلب خزانة
من خزائن الله والخزانة محروسة بحراسة الله وانما جولان لصوص الشيطان في حياض
الصدور كقوله تع الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقوله واتخذوا
من مقام ابرهيم مصلى يعني اذا وصلتم الى كعبة القلب فاجعلوا مقام الخلة والمحبة
معبدكم ومقام توجهكم فيكون قصدكم وتوجهكم الى الله لا ما سواه كقوله اتبعوا ملة ابرهيم
وكانت ملته وطريقته ما قال اني ذاهب الى ربي سيهدين ومما يدل على المعنى
الذي اشير اليه قوله وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين
والركع السجود اذ الاشارة فيها انه لما شرف الله البيت بالاضافة الى نفسه لقوله
بيتي اكرمه بكرامات مخصوصة عن غيره من المساجد الاول انه كان اول بيت وضع للناس

من بيوت

من بيوت الله والثاني تعيين موضعه بمكة من المواضع بارشاد جبرئيل وقد خلق الله موضع البيت قبل
الارض قال ابو جعفر ع لما اراد الله عز وجل ان يخلق الارض امر الرياح فضربن متن الماء
حتى صار موجا ثم ازبد فصار زبدا واحدا فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلا من زبد ثم دحى الارض
من تحته وهو قول الله عز وجل ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة فاول بقعة خلقت
من الارض الكعبة ثم مدت الارض من تحتها والثالث امر خليله ع ببنائه بيده والرابع جعله
مباركا على زواره ومستقبليه والخامس جعله سبب هدايتهم بقوله وهدى للعالمين والسادس
جعل حرمه حراما لا يصطاد صيده بل لا ينفر ولا يعضد شجره ولا يختلى خلاه ولا يلتقط لقطته
الا المنشد والسابع جعله امنا لا يحل دم من ياوي اليه ويغفر ذنوب من طاف له قال
حرما آمنا سأل عبد الله بن سنان ابا عبد الله ع عن قول الله ومن دخله كان آمنا قال
من دخل الحرم مستجيرا به فهو آمن من سخط الله عز وجل وما دخل من الوحش والطير كان آمنا
من ان يهاج او يؤذى حتى يخرج من الحرم والثامن جعله قبلة حبيبه فقال فول وجهك شطر
المسجد الحرام وقبلة امته الذين هم خير الامم وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والتاسع
جعل طوافه ركنا من اركان الاسلام ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا والعاشر
جعله محلا للآيات والحادي عشر جعله مغناطيس الافئدة تجذب القلوب اليه من المواضع
البعيدة فالقلوب مشتاقة اليه والى اهله لقوله واجعل افئدة من الناس تهوي اليهم والثاني عشر
جعل له كرامة ظاهرة وآية بينة ان الطير لا يقع على حائطه ولا يطير فوقه ولا يروث في حرمه
مع كثرة الحمامة فيه والثالث عشر جعله معظما مبجلا في الجاهلية والاسلام بل من لدن آدم
الى اليوم كانوا يعظمونه ويقصدونه ويزورونه ويعترفون به اهل الملل كلها حتى اهل
الكفر والشرك والرابع عشر انها منزلة من السماء قال الصادق ع ان الله انزل البيت
من السماء وله اربعة ابواب على كل باب قنديل من ذهب معلق الخامس عشر انها باقية
ما دامت السموات والارض روي عن الصادق ع انه قال ان الله اختار من كل شيء
شيئا اختار من الارض موضع الكعبة ولا يزال الدين قائما ما دامت الكعبة السادس عشر
انها كانت بيضاء مضيئة كضوء الشمس لكنها اسودت وستر ضوؤها لمعصية الخلق وذنوب
بني آدم روى محمد بن علي بن بابويه رحمه الله في كتاب الفقيه سأل محمد بن عمران العجلي
ابا عبد الله ع اي شيء كان موضع الكعبة حيث كان الماء في قوله تع وكان عرشه على
الماء قال كانت مهاة بيضاء يعني درة وفي رواية ابي خديجة عن ابي عبد الله ع ان الله تع
انزله لآدم من الجنة وكان درة بيضاء فرفعه وبقي اسه وهو بحيال هذا البيت يدخله
كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه ابدا فامر الله تع ابرهيم واسمعيل
ببنيان البيت على القواعد وفي رواية عيسى بن عبد الله الهاشمي عن ابيه عن ابي عبد الله

عن ابيه عليهما السلم قال كان موضع الكعبة ربوة من الارض بيضا تضيء كضوء الشمس والقمر حتى قتل
ابنا آدم احدهما صاحبه فاسودت فلما نزل آدم رفع الله له الارض كلها حتى يراها ثم قال
هذه لك كلها قال يا رب ما هذه الارض البيضا المنيرة قال هي حرمي في الارض وقد جعلت
لك ان تطوف بها كل يوم سبعماية طواف السابع عشر كون موضعها احب المواضع الى الله تعالى
ففي الفقيه الصدوق روى سعيد بن عبد الله الاعرج عن ابي عبد الله ع قال احب الارض الى الله تعالى
مكة وما تربة احب الى الله تعالى من تربتها ولا حجر احب الى الله تعالى من حجرها ولا شجر احب الى الله تعالى
من شجرها ولا جبل احب الى الله تعالى من جبالها ولا ماء احب الى الله تعالى من مائها الثامن عشر
كون النظر اليها احتراما وعرفانا عبادة ايضا قال الصادق ع من نظر الى الكعبة فعرف من
حقنا وحرمتنا مثل الذي عرف من حقها وحرمتها غفر الله ذنوبه كلها وكفاه هم الدنيا
والآخرة التاسع عشر انه تعالى جعل فيه الحجر الاسود وهو ياقوتة من يواقيت الجنة العشرون
انه تعالى جعل الحجر وهو جزء من البيت بمنزلة يمين الله ففي الفقيه في باب علل الحج وانما
يقبل الحجر ويستلم ليؤدي الى الله العهد الذي اخذ عليهم في الميثاق وانما وضع الله
الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يضعه في غيره لانه تعالى حين اخذ الميثاق اخذه في ذلك
المكان وجرت السنة بالتكبير واستقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا لانه لما نظر
آدم من الصفا وقد وضع الحجر في الركن كبر الله عز وجل وهلله ومجده وانما جعل الميثاق
في الحجر لان الله تعالى لما اخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمد بالنبوة ولعلي بالوصية اصطكت
فرايص الملائكة واول من اسرع الى الاقرار بذلك الحجر فلذلك اختاره الله تعالى والقمه
الميثاق وانما اخرج الحجر من الجنة ليذكر آدم ما نسي من العهد والميثاق وصار الحجر مقدار
ما هو لم يكن اقل ولا اكثر لان الله تعالى اهبط على آدم ياقوتة حمرا فوضعها في موضع البيت
فكان يطوف بها آدم وكان ضوؤها يبلغ موضع الاعلام فعلمت الاعلام على ضوئها
فجعله تعالى حرما وانما يستلم الحجر لان مواثيق الخلايق فيه وكان اشد بياضا من اللبن فاسود
من خطايا بني آدم ولولا ما مسه من ارجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة الا برئ فهذا
صفات وخصايص كريمة شرف الله بها بيته اختصرنا من صفاته وكراماته الغير المحصورة
على هذه العشرين مخافة التطويل ومن نظر فيها وتامل حق التامل وجد الجميع مطابقا
محاذيا لصفات القلب الانساني ولولا مخافة الاسهاب لبينا واحدة واحدة منها
كيف تصدق وتطابق لما في القلب اعني قلب المؤمن العارف ولكني اذكر شطرا
من وجوه المطابقة والموازنة بينهما على سايرها وليقاس اليه غيرها فاقول وبالله
التوفيق فمنها ان اول موضع خلق في ارض البدن وتعلق به الروح وسكن فيه القلب
الحقيقي هو القلب الصنوبري وقد تقرر عند الطبيعيين والاطبا انه اول ما يتكون

من الاعضا

من الاعضاء وتحرك وآخر ما يسكن ويموت فيكون اول بيت وضع للناس الذي ببكة
الصدر في الصورة او اول معبد ومسجد وضع للناس القلب الحقيقي الذي كان ببكة الصدر
المعنوي وذلك الصدر اشرف مقام من مقامات النفس وهو موضع ازدحامات القوى
الدراكة والمحركة ومنها كونه مباركا فان القلب ذو بركة الهية من الفيض الوارد عليه من جنبة
الروح المتصل منه بساير القوى التي في الاعضاء لما تقرر في كتب الطب وغيره ان قوة
الحس والحيوة يسري بواسطة القلب الى ساير الاعضاء وكذا بالنسبة القلب المعنوي الى القوى
الحيوانية والنباتية والطبيعية في وصول فيض الوجود من الله بواسطته اليها ومنها ان
يكون فيه هدى للناس لان من عرف النفس يعني القلب المعنوي فقد عرف ربه ومنها
ان فيه آيات من العلوم والمعارف والحكم والحقايق ومنها كونه موضع قدم ابرهيم
العقل يعني محل اتصال نور الروح وهو القلب الحقيقي ومن دخله من السالكين والمتجردين عن بيدا
الجهالات كان آمنا من اغوا غيلان المتخيلة وعفاريت احاديث النفس واختطاف
شياطين الوهم وجن الخيالات واغتيال سباع القوى النفسانية ومنها كون القلب
قبلة لقوى البدن وحاملها من الروح البخاري يتوجه اليه الجميع ومنه يصل اليها قسطها
من الحيوة والحس والحركة ومنها كونه مامنا يلتجي اليه القوى بجوالها ومراكبها وترجع
اليه عند ورود آفة او مرض او خوف ولاجل ذلك تقع الغشي ومنها ان طيور القوى
الحيوانية لا ترتفع فوقه ولا تقع على اطرافه ومنها كونه مكرما معظما عند الخلق جميعا فان
اصحاب القلوب معظمون عند المؤمن والكافر ومنها كون الروح والعقل مامورين من
قبل الله بتطهير بيت القلب عن ادناس التعلقات وارجاس الشهوات والسيئات
واوضار ملاحظة الاغيار على موازاة قوله تعالى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي
للطائفين وانما اضافه الى نفسه لتشريفه وليكون مخصوصا به عما سواه ولا يكون لغيره فيه
مثوى ولا مسكن واما الطائفون فواردات الحق والالهامات ولوامع انواره وطوالع
اسراره ففي القلوب ما يزوره ملايكة الرحمة في كل يوم سبعين مرة بل منها ما الملايكة
عاكفون حوله كما يعكفون حول العرش وقد ورد قلب المؤمن عرش الرحمن ومنهم
يسبحون الله ويقدسونه ومنهم ايضا سجود وركعون وركوع لا يسجدون شبه ملايكة
السموات ومنها انه يكن انسه بدوام البيت ان آدم ع لما اهبط الى الارض وفقد
ما كان يجد من روايح الالطاف الالهية في الجنة استوحش فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت
الجنة لها بابان باب شرقي وباب غربي وفيه قناديل من الجنة فكذلك لما اهبط الروح
الى ارض الجسد وفقد ما كان يجد من روايح الالطاف الحق في جنة حظيرة القدس استوحش
فانزل الله ياقوتة القلب فبواسطته تعلق الروح بالبدن وهو بحذا القلب الحقيقي

الذي ياقوت من يواقيت جنة القدس وهذا الصنوبري الاحمر مثاله وصورته وله بابان
كالحقيقي باب شرقي ايمن لاشراق نور القدس وحظيرة رب العالمين تطلع منها اليه
شوارق الالطاف والالهامات وباب غربي ايسر لا حزب الجسد منه ينزل آثار
تلك الشوارق الى الجسد وفيه قناديل الانوار العقلية وانزل الحجر الذرة المخاطبة بخطاب
الست بربكم منورا بنور جواب بلى وهو الايمان الفطري وهو الحجر الذي التقم كتاب
العهد يوم الميثاق وهو صورة يمين الله في ارضه وهو الذي يلزم ان يصافح ويستلم
ايمانا بوعده ووفاء بعهده فلما كان ايام طوفان آفات الصفات البشرية من ايام
الطفولية الى اوان البلوغ الحقا وفار تنور الشهوات فخربت معمورة القلب الى
السماء وصار حجر الذرة مختفيا في ابا قبيس صفات النفس وهواها فلما امر ابرهيم الروح
بعد البلوغ ببناية بيت القلب وعمارته امر ان يرفع قواعده من خمس اجبل اركان
الاسلام وهي خمس فلم يدر ابرهيم الروح اين يبني فبعث الله السكينة لتبين له محل
موضع البيت وفيه اشارة الى ان عمارة القلب لا يمكن الا بالسكينة التي ينزل الله تعالى
في قلوب عباده ولو كان العبد بناء من الابناء لقوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين وقال هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين فجعل اسمعيل النفس
المطمئنة المأمورة يجيء باحجار الاعمال الشرعية من جبال اركان الاسلام ويناولها
من الصدق ابرهيم الروح وهو يبني الى ان بلغ موضع الحجر فنودي من ابا قبيس
الهوى ان لك عندي وديعة فخذها فخلص حجر الذرة من استتار النفس والهوى
فوضعه مكانه وكان عند الميثاق ابيض فلمسه حيض اللذات الدنياوية ومشركوا
الشهوات النفسانية في جاهلية الطفولية فصار اسود فلما اتما قواعد البيت رجعا
الى الحضرة بصدق النية وما سألا ربهما من الاجرة الا قبول العبودية وقالا ربنا تقبل
منا انك انت السميع العليم بما نتكلم به وبما نضمره مما نحتاج اليه فهذه جملة من اسرار الحج
وطواف البيت اختصرنا عليها لما ذكرنا من الاملال والاضجار اذ اكثر المترسمين عن هذا
النوع من الكلام لجمود قرائحهم على الظواهر حيث لم يخرجوا من بيت حجابهم وعتبة باب
تجسمهم مهاجرا الى الله ولا بوتا ذي الشأن نرجع ونذكر فيها اسمه قوله عم وصون
الحديث وضده النميمة النميمة هي نقل الحديث من قوم الى قوم على جهة الافساد والشر
وقد نم الحديث ينمه فهو نمام والاسم النميمة ونم الحديث اذا ظهر فهو متعد ولازم
فالنميمة اخص من الافشاء لانه قد يكون بنقل الحديث وقد يكون بغيره كما ان صون
الحديث اخص من الكتمان لانه اعم من صون الحديث واخفائه واخفاء شيء آخر ولا شك
ان الاول صفة محمودة نافعة في سلوك الهداية فيكون من جنود العقل وان الثانية

صفة

صفة مذمومة ضارة في الحال والمآل فيكون من جنود الجهل وحزب الشيطان قوله عليه السلم
وبر الوالدين وضده العقوق البر بالكسر الاحسان ومنه بر الوالدين وهو في حقهما
وحق الاقربين من الاهل الاحسان اليهم وضده العقوق وهو الاساءة اليهم والتضييع
لحقهم فالبر مطلق ضده الاساءة مطلقا وقسم من الاساءة وهو الاساءة الى الاقربين يسمى
باسم خاص هو العقوق بخلاف البر فان التخصيص فيه انما يستفاد من ما اضيف اليه
والمبرة مثله يقال قد بررت والذي بالكسر من باب علم برا فانا بر به وبار وجمع البر
الابرار وجمع البار البررة وفلان بر خالقه يبره ويتبرره اي اطاعه وبر فلان
في يمينه صدق وبر حجه وبر الله حجه وابره برا وفي الحديث الحج المبرور ليس له ثواب
الا الجنة وهو الذي لا يخالطه شيء من المأثم والبيع المبرور الذي لا شبهة فيه ولا كذب
ولا خيانة وفي المثل لا يعرف الهر من البر اي لا يعرف من يكرهه ممن يبره وقيل دعاء
الغنم والبر سوقها وقيل البر الصلاح وقيل الخير قال بعضهم لا اعلم تفسيرا اشمل منه
واجمع لمواقع استعماله والحاصل ان البر مطلقا من خصال العقل فكيف بر الوالدين
والاثم مطلقا من خصال الجهل فكيف عقوقهما ومنه يعلم ان بر الوالدين له فضل عظيم
زائد على سائر اقسام البر حيث اختص بالذكر من بينها وكذا القياس في العقوق بالنسبة
الى سائر اقسام الاساءة والاثم قوله عم والحقيقة وضدها الرياء لنسبتهما الى الاخلاص
والشوب كنسبة الاخص الى الاعم فالحقيقة اخلاص العمل لله تعالى ابتغاء لوجهه لا لشيء آخر
من هوى او شهوة او عادة او رياء والرياء فعل الطاعة لكي يراها الخلق منه فيعظموه
فان قلت فكيف يكون داخلا تحت الشوب حيث هو رياء محض خالص للخلق قلنا لا يخلو
مع ذلك عن شوب للحق لاختياره من جملة الاعمال المقربة الى الخلق فعل الطاعة والعبادة
دون غيرها من الاعمال التي توافق طباعهم فكانه قد علم ان الطاعة في نفسها خير الاعمال
فيترائى بها الناس وفي الخبر من راءى راءى الله به اي من عمل عملا لكي يراه الناس
شهر الله رياءه يوم القيمة قوله عم والمعروف وضده المنكر المعروف اسم جامع
لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب
اليه الشرع من فعل الحسنات وترك المقبحات وهو من الصفات الغالبة اي
امر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه والمعروف ايضا النصفة وحسن الصحبة
مع الاهل وغيرهم من الناس والمنكر ضد ذلك جميعه وروي في الحديث اهل المعروف
في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة اي من بذل معروفه للناس في الدنيا اتاه الله
جزاء معروفه في الآخرة قيل من بذل جاهه لاصحاب الجرائم التي لا تبلغ الحدود فيشفع
فيهم شفعه الله في اهل التوحيد في الآخرة وروي عن ابن عباس في معناه انه قال

ياتي اصحاب المعروف في الدنيا يوم القيمة فيغفر لهم بمعروفهم وبقي حسناتهم جامة فيعطونها لمن
زادت سيئاته على حسناته فيغفر له فيجتمع لهم الاحسان الى الناس في الدنيا والآخرة وفيه
اشارة في الصلوة والمرسلات عرفا يعني الملائكة ارسلوا للمعروف والاحسان والعرف
ضد النكر وقيل انها ارسلت متتابعة كعرف الفرس قوله ع والستر وضده التبرج سترت
الشيء سترا بالفتح اي غطيته فاستتر ورجل ستير اي عفيف وجارية ستيرة وفي الحديث
ان الله حيي ستير يحب الحياء والستر والستير فعيل بمعنى فاعل اي من شأنه وارادته حب الستر
والصون برج الحصن ركنه والجمع بروج وابراج وربما سمي به الحصن ومنه ولو كنتم في
بروج مشيدة والبرج بالتحريك ان يكون بياض العين محدقا بالسواد كله لا يغيب من
سواده شيء وفي الحديث كان يكره عشر خلال منها التبرج بالزينة لغير محلها والتبرج اظهار
الزينة للاجانب وهو المذموم من المرأة مطلقا يقال امرأة برجاء في معرض الذم واما
للرجل فقيد كونه مذموما بقوله لغير محلها والمراد من التبرج هنا ما يقابل الحياء وهو التظاهر
بما يقبح ويستهجن عند الشرع والعرف قوله ع والتقية وضدها الاذاعة التقية كالتقاة
من اتقى يتقي اتقاء واصل اتقى اوتقى على افتعل فقلبوا الواو يا لكسرة ما قبلها ثم قالوا
اتقى يتقي بفتح التاء فيهما جميعا على توهم اصالة التاء والتقية اسم من الاتقاء وتاؤها بدل من
الواو لانها فعيلة من وقيت وهي ان يقي احد نفسه من اللائمة او من العقوبة بما يظهر
وان كان على خلاف ما يضمر وهي صفة حسنة جائزة الى يوم القيمة وربما كانت واجبة
وعن ابي عبد الله ع في قول الله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا قال بما
صبروا على التقية ويدرؤن بالحسنة السيئة قال الحسنة التقية والسيئة الاذاعة
وعنه ع انه قال ان تسعة اعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له والتقية
في كل شيء الا في النبيذ والمسح على الخفين وروي عن ابي بصير قال قال ابو عبد الله ع
التقية من دين الله قلت من دين الله قال اي والله من دين الله ولقد قال يوسف
ايتها العير انكم لسارقون والله ما كانوا سرقوا شيئا ولقد قال ابرهيم اني سقيم والله ما كان
سقيما فاذن ثبت ان التقية من مكارم الاخلاق والاذاعة يعني الاشاعة ضدها
فيكون من مساوي الاخلاق فعن الصادق عليه السلم انه قال ان الله عير اقواما
بالاذاعة في قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به واياكم والاذاعة
وقال ع من اذاع علينا حديثا فهو بمنزلة من جحد حقنا وقال للمعلى بن خنيس المذيع
حديثنا كالجاحد له وقال من اذاع علينا شيئا من امرنا فهو كمن قتلنا عمدا ولم يقتلنا
خطأ قوله ع والانصاف وضده الحمية الانصاف من النصف وهو اخذ احد جزئين
حقا وبين الشيء والنصف وايضا النصفة هو الاسم من الانصاف وهو العدل لانه

تسوية

تسوية وقد انصف من نفسه وانتصفت انا منه وتناصفوا اي انصف بعضهم بعضا من نفسه
ومنه وينبغي للقاضي ان ينصف الخصمين في مجلسهما اي يسوي بينهما عنده والانصاف بالفتح
اي يبلغ الى النصف والنصف المرأة بين الحدثة والمسنة وتصغيرها نصيف بلا هاء لانها صفة
ولتناصف الانصاف ورجل نصف وقوم انصاف والحمية من حماه حماية منعه ودفع عنه وحامى
القوم الذي يحميهم والتاء للمبالغة والحامي في القرآن الفحل اذا نتج ولد ولده لا يركب ولا يمنع
من مرعى والحمى موضع الكلاء يحمى من الناس فلا يرعى ولا يقرب وكان من عادات الجاهلية
فنفاه صلى الله عليه وآله فقال لا حمى الا لله ولرسوله اي الا ما يحمي للخيل الجهاد كذا في الصحاح
وقيل كان الشريف في الجاهلية اذا نزل ارضا في حيه استعوى كلبا فحمى مدى عواء
الكلب لا يشركه فيه غيره وهو يشارك القوم في ساير ما يرعون فيه فنهى النبي صلعم عن
ذلك واضاف الحمى الى الله ورسوله اي الا ما يحمى للخيل التي ترصد للجهاد والابل التي
يحمل عليها في سبيل الله وابل الزكوة وغيرها كذا في النهاية والحمية الانفة لانها سبب الحماية
وفي الحديث اخذته الحمية اي الغيرة والانفة وقوله تعالى حمية الشيطان انما اضافها
اليه لانها منه والمراد كون الانسان بحيث يحمله الغيرة النفسانية والتعصب لمذهب
او شيء حتى يتجاوز عن العدل ويتعدى عن الحق وهو من صفات الجهل لانه ضد الانصاف
والعدل قوله ع والتهيئة وضدها البغي التهيئة من الهيئة وهي الحالة الظاهرة للمتهيئ للشيء
وقوله اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم هم الذين لا يعرفون بالشر وقيل من لم يظهر منه
ريبة وهيأت للامر هياءة وتهيأت تهيأ بمعنى وهياءة اصلحته والتهايؤ تفاعل
من الهيئة وهو ان يتواضعوا على امر فيتراضوا به وحقيقته ان كلا منهم يرضى بحالة
واحدة والتهيئة ايضا بمعنى الاستعداد ولعل المراد هنا التأني والتثبت في الامور
او الكون على حالة واحدة كما هو شأن اهل العقل والبغي التعدي والتجاوز وبغى
عليه اي استطال وبغت السماء اشتد مطرها وبغى الوادي ظلم وكل مجاوزة و
افراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي قوله ع والنظافة وضدها القذر
النظافة النقاوة ونظف الشيء بالضم فهو نظيف ونظفته تنظيفا والتنظف
تكلف النظافة وهو كناية عن الاستنجاء وهو من النظافة كالاستطابة من الطيب
القذر بفتح الذال المعجمة ضد النظافة وقذر الشيء فهو قذر بين القذارة اي غير نظيف
وانما كان العاقل نظيفا والجاهل قذرا لان ما في الباطن يترشح الى الظاهر ولا شك
ان العقل مجرد الارجاس الجسمانية والقاذورات المادية وكذا قلبه مطهر عن رجس
العقايد الجاهلية وقذر الملكات الردية فلا جرم يسري هذه الحالة من القلب الى
القالب فيختار النظافة ويتأذى من القذر فلذلك امر الشارع بالطهارة عن الاحداث

والاخباث في الصلوة وغيرها من القربات وجوبا او استحبابا وندب الى التنظيف والتطيب
استحبابا وباطن اهل الجهالة والكفر مشحون بنجاسة الملكات والاعتقادات فيتعدى تلك
الحالة الى تلك الجوارح بالاقذار والانجاس من غير مبالاة بها والاستيحاش عنها قوله عليه السلم
والحياء وضده الخلع اصل الحياء الانكسار وآفة تغيب الحياة وذلك لا يصح فيه تعالى واطلاقه
عليه على سبيل المجاز والحياء غريزة انسانية توجد في بعض الناس وفي الحديث الحياء من الايمان
جعل الحياء وهو غريزة من الايمان وهو اكتساب لان المستحيي ينقطع عن المعاصي وان لم يكن له
تقوى كالايمان الذي يقطع بينه وبين المعاصي وانما جعله جزءا لان الايمان ينقسم الى ايتمار
بما امر الله به وانتهاء عما نهى الله عنه فاذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الايمان حاصلا
ومنه الحديث اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وله تاويلان احدهما ظاهر وهو المشهور اي
اذا لم تستحي من العيب ولم تخش العار مما تفعله فافعل ما تحدثك به نفسك من اغراضها
حسنا كان او قبيحا ولفظ الامر معناه توبيخ وتهديد وفيه اشعار بان الذي يردع الانسان
عن مواقعة السوء هو الحياء فاذا انخلع منه كان كالمامور بارتكاب كل ضلالة وتعاطي كل
سيئة والثاني ان يحمل على ما به تقول اذا كنت في فعلك آمنا ان تستحيي منه لجريك فيه على
سنن الصواب وليس من الافعال التي يستحيى منها فاصنع ما شئت والخلع اصله من
خلع ثوبه او نعله او نحوهما خلعا اي نزعه وخلع عليه خلعة وخالعت المرأة بعلها فهي خالع
والاسم الخلعة واختلعت منه فهي مختلعة اذا افتدت منه بمالها فاذا اجابها الى ذلك
فطلقها قيل خلعها والاسم الخلع بالاسم وقد تخالعا وانما قيل ذلك لان كلا منهما لباس
لصاحبه لقوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن فاذا فعلا ذلك فكانهما نزعا لباسهما
ويقال خلع الفرس عذاره اذا القاه وطرحه فهام على وجهه ولما كان الشرع كالقيد للانسان
والعقل كالعقال فمن خرج عن طريق الشرع او العقل فكانه كالفرس خلع عذاره فيقال
فلان خليع العذار اي منهمك في الشهوات ويفعل ما يشتهي كالدابة التي لا عقال عليها
او شبهت الطاعة بالثوب لاشتمالها على الانسان المطيع لامر الله فمن لم يطع الله
ورسوله فكانه خلع ثوب الطاعة عن نفسه فالخلع ضد الطاعة والحياء مستلزم لها كما يجي
فهما جندان متضادان قوله ع والقصد وضده العدوان قال تعالى واقصد في مشيك
اي بين الاسراع والابطاء وفي صفته صلعم كان ابيض مقصدا وهو الذي ليس بطويل ولا
قصير ولا جسيم كان خلقه نحا القصد من الامور والمعتدل الذي لا يميل الى احد طرفي الافراط
والتفريط وفي الحديث القصد القصد تبلغوا اي عليكم بالقصد من الامور في القول والفعل وهو
الوسط بين الطرفين وهو منصوب على المصدر المؤكد وفيه ايضا عليكم هديا قاصدا
اي طريقا معتدلا وفيه ايضا ما عال مقتصد ولا يعيل اي ما افتقر من لا يسرف في الانفاق

ولا يعتبر في القصد العدل والعدوان من العدو وهو التجاوز عن الحد والعادي الظالم وقد
عدى عليه عدوا وعدوا وعداء بالفتح والمد اي ظلم ومنه السبع العادي اي الظالم الذي
يفترس الناس والعدوان الظلم الصراح وقد عدا عليه وتعدى عليه واعتدى كله بمعنى فمن
صفات العقل وآدابه الاقتصاد والتوسط في الافعال والاقوال والافكار وساير ما
يتعلق باعمال القوى المدركة او المحركة كما في قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقوله
واقصد في مشيك وذلك كله نتيجة ملكة العدالة في القلب الذي هو رأس محاسن
الاخلاق المؤدي بسالكه الى الارتقاء الى عالم الجنان والصعود الى منزل الرضوان ومجاورة
الرحمن وشان الجهل التعدي عن قصد الطريق والعدول عن سنن الصواب والتجاوز
عن حد الاستقامة الى الافراط والتفريط والانحراف عن الصراط المستقيم صراط الله
العزيز الحميد الموجب للسقوط الى الجحيم والهوي الى اسفل درك الجحيم منزل الاشرار والشياطين
قوله ع والراحة وضدها التعب العاقل في راحة لقلة شغله بالامور الدنياوية لاستغنائه
بذكر الحق ورضائه بما جرى عليه وتسلمه لما قضاه الله صابرا على احكامه شاكرا لنعمه
لا يحسد احدا من الخلق ولا يريد ظلما ولا سوءا ولا يضمر دغلا ولا شرا فنفسه ساكنة عن
الوسواس وقلبه فارغ عن الخلق يستوي عنده انكارهم واذعانهم لعلمه بحقارة الدنيا
ودثورها كما قال امير المؤمنين ع والله ما دنياكم هذه عندي الا كعفطة عنز والجاهل
هو ابدا في تعب ومشقة تارة من جهة عاداته الردية وامراضه النفسانية كالحسد
والحقد والعداوة وغيرها من الملكات التي هي كشعلات نارية يحترق بها قلبه في الدنيا
والآخرة وتارة من جهة اغراضه النفسانية الشهوية والكمالات الشهيانية التي يتعب
بدنه في تحصيلها من ارتكاب الاسفار البعيدة وركوب البحار العميقة وقطع المفاوز
البعيدة وتارة من جهة حبه للرياسات والترفعات على الاقران بارتكاب المخاطرات
كتقرب السلاطين وتعرضه لمكافحة الخصماء ومحاربة الاعداء الى غير ذلك من الامور الباطلة
المتعبة للنفوس والابدان المعذبة للقلوب والارواح ومنشأ كلها الجهل بدناءة
هذه الحيوة وخساسة هذه الاغراض والشهوات ودثورها وزوالها فاتعس الناس
حالا ومالا من يجهل الثواب والعقاب ولا يؤمن بيوم الحساب فتمام عمره في تعب و
مشقة وفي الآخرة عذاب شديد كما قال تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا
ونحشره يوم القيمة اعمى الآية قوله ع والسهولة وضدها الصعوبة السهل له معنيان
احدهما ضد الحزن يقال ارض سهلة وسهل الموضع بالضم وفي صفته صلعم انه سهل الخدين
اي سائل الخدين غير مرتفع الوجنتين والآخر ضد الصعب يوصف به الدابة كالبعير ونحوه

يقال بعير صعب اي غير منقاد ولا ذلول وفي الحديث من كان مصعبا فليرجع اي من بعيره
صعبا غير ذلول يقال اصعب الرجل فهو مصعب في جنبه اي فلما ركب الناس الصعبة و
الذلول فمن صفات المؤمن السهولة والانقياد ولين الجانب ففي الحديث عن النبي ص المؤمنون
هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ هما مخففا الهين
واللين بالتشديد وقيل يمدح بالهين واللين مخففين ويذم بهما مثقلتين الانف الانف
وهو الذي عقره الخشاش انفه فهو لا يمتنع على قايده وقيل الانف الذلول يقال انف البعير
يانف انفا اذا اشتكى انفه من الخشاش وكان الاصل ان يقال مانوف لانه مفعول به
كما يقال مصدور ومبطون للذي يشتكي صدره وبطنه وانما جاء هذا شاذا ويروى كالجمل
الآنف بالمد وهو بمعناه وعن امير المؤمنين ع كان يعدّ في صفات المؤمن سهل الخليقة
لين العريكة حليم حمول الى غير ذلك من الصفات في حديث طويل والكافر الجاهل على ضد
هذه الصفة كالدابة الصايلة والفرس الجموح والبغلة الشموس والبعير الصعب الانقياد
صاحبه ويخرج من الطريق شمالا ويمينا لقوة نفسه وكثرة خوفه فلا يطيع لقايده ومرشده
قوله ع والبركة وضدها المحق في الحديث وبارك على محمد وآله اي اثبت له وادم
ما اعطيته من التشريف والكرامة وهو من برك البعير اذا اناخ في موضع فلزمه ويطلق
البركة على الزيادة والاصل الاول والمحق النقص والمحو والابطال وقد تكرر في الحديث
ومنه البيع الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة فالدوام والثبات وكذا الزيادة
من صفات العقل لارتفاعه عن عالم التغير والدثور والآفة وكونه مبدأ لكل خير والمحق
والبطلان والنقيصة والآفة من لوازم الجهل لتعلقه بعالم الشر والفساد والزوال
قوله ع والعافية وضدها البلاء ورد في الادعية المأثورة سؤال العفو والعافية
والمعافاة فالعفو محو الذنوب والعافية ان يسلم الانسان من الاسقام والمحن
والبلايا وهي الصحة والمعافاة هي ان يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك
اي يغنيك عنهم ويغنيهم عنك ويصرف اذاك عنهم واذاهم عنك وقيل هي
مفاعلة من العفو وهو ان يعفو عن الناس ويعفوهم عنه البلاء والبلوة والبلية
والبلوى واحد والجمع البلايا وقد ابليت وبليت وقوله ما لم يبل العذر اي لم يبينه
ولم يظهره وهو في الاصل متعدي الى مفعولين يقول ابليت فلانا اذا بينته لبيانا
لا لوم عليك بعده وحقيقته جعلته بالياً لعذري اي خابرا له عالما بكنهه من بلاه وابتلاه
وابلاه وتبلاه اي اختبره وجربه ومنه ابلى في الحرب اذا اظهر بأسه حتى بلاه الناس
وخبروه والبلاء الاختبار قال القتيبي يقال في الخير ابليته ابليه بلاء وفي الشر بلوته
ابلوه بلاء والمعروف ان الابتلاء يكون في الخير والشر معا من غير فرق بين فعليهما ومنه

قوله ع ونبلوناهم بالحسنات والسيئات ونبلوكم بالشر والخير فتنة والابتلاء الانعام والاحسان
يقال بلوت الرجل وابليته بلاءً حسنا والبلاء المذكور ههنا اسم لما هو ضد السلامة والعافية فان
العاقل من جهة عقله في عافية في اولاه واخراه والجاهل في تعب وبلاء في الدنيا والآخرة والاخلاق
له من رق الشهوات واسر الهوى والتبعات وارتكاب الخطيئات وخبط العشوات او نقول
المراد من العافية والبلاء ما هو بحسب الآخرة والنشأة الدائمة فلا يرد النقض بان حال المؤمن
والكافر في الدنيا على عكس ما ذكر للاحاديث الواردة في ذلك كقوله ص الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر وعن ابي عبد الله ع ان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الامثل فالامثل وعنه ع
انه قال ان عظيم الاجر لمع عظيم البلاء وما احب الله قوما الا ابتلاهم وقوله ان لله عبادا في الارض
من خالص عباده ما ينزل من السماء تحفة الى الارض الا صرفها عنهم الى غيرهم ولا بلية الا صرفها اليهم
الى غير ذلك من الاخبار المتواترة والروايات المتظافرة فالمصير في دفع التناقض الى ما ذكر
من الوجهين قوله ع والقوام وضده المكاثرة المراد بالاول القناعة بما يقوم به الشخص في الدنيا
ويتقوى به في العبادة والكفاية بالمقدور وبالثاني جمع الاسباب والحرص على التكاثر في
الاموال والاولاد والضياع والعقار والثياب والخيل والانعام وغير ذلك من متاع الحيوة
الدنيا مما يزول عن العبد ويبقى الحسرة الى يوم القيمة وقد ورد الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع
من لا عقل له قوله ع والحكمة وضدها الهوى الحكمة هي العلم بحقائق الاشياء كما هي بقدر الطاقة
والعمل على وفقه والهوى الرأي الفاسد واتباع النفس شهواتها الباطلة ويحتمل ان يكون المراد
بالحكمة ما يستعمل في كتب الاخلاق وهو التوسط في القوة الفكرية بين الافراط الذي هو الجربزة
والتفريط الذي هو البلاهة فيكون المراد بالهوى الجربزة بما يلزمها من الآراء الفاسدة
والعقايد الباطلة لانها تضاد الحكمة التي بهذا المعنى وكلا المعنيين من صفات العقل وملكاته
ومقابلاهما من صفات الجهل وتوابعه قوله ع والوقار وضده الخفة الوقار وهو الثبات
والسكينة والحلم والرزانة من خصايص العقل والخفة وهي الطيش والعجلة من فعل الشيطان
وتوابع الجهل قوله ع والسعادة وضدها الشقاوة السعادة نيل ما يشتهيه النفس مع الشعور
والشقاوة فقد ذلك مع الشعور به فيكون مقابلاتها تقابل التضاد واعلم ان الخير
بالحقيقة هو الوجود والسعادة الحقيقية هي ادراك ما هو الخير والشر الحقيقي هو العدم والشقاوة
الحقيقية هي ادراكه لكن الوجودات متفاوتة متفاضلة فكلما وجوده اشد واتم كانت
خيريته اقوى واعظم وادراكه الذ واشهى ومدركه اسعد وابهى واشرف الموجودات
واتمها هو الحق الاول وبعده الذوات القدسية على درجات شرفهم وقربهم من الحق
واخس الموجودات وانقصها هو المادة الجسمية والزمان والحركة وما يشبههما فاعظم
السعادات ادراك الحق تع وملكوته بالايمان في هذا اليوم بالله وملائكته وكتبه ورسله واوليائه

فان المعرفة واليقين في الدنيا ينقلب مشاهدة ورؤية في الآخرة والمرء يحشر على ما احبه وعلم
ان القدر الذي يناله العارف بالله من البهجة والسعادة خاف اليوم علينا فلا يمكننا ان نعلم
قدر ما يحصل للنفس منها فان البهجة تابعة للمشاهدة الا انها اشد انحاء الادراك وحيث تخفى
قدر المشاهدة يخفى قدر البهجة لكنه من المعلوم ان النفس التي ترتاح في هذه الحيوة الى
ذكر الله وتفرح بسماع صفاته وصفات جبروته جنانا وفيه مناسبة تؤذن بانه ينال من
روح السعادة عند الفراغ عن شواغل الدنيا قدرا يعتد به وخصوصا النفوس العاقلة التي
تزينت بمعرفة الله عز وجل فان لها مع الابتهاج مرتبة تكل الالسن عن وصفها ولا تظنن ان
روح العارف من الانشراح في رياض معرفته وبساتين علمه اقل من ان يدخل الجنة ويقضي فيها
شهوة البطن والفرج وانى يتساويان ولا يستبعد ولا ينكر ان يكون من العارفين من رغبته
في فتح ابواب المعارف لينظر الى ملكوت السما والارض وجلال خالقها ومدبرها وهو بعد في
الدنيا اكثر من رغبته في المأكول الهني والمنكوح الشهي والملبوس البهي فكيف في الآخرة التي يصير
فيها العلم عيانا والمعرفة مشاهدة والتخيل ابصارا ثم كيف لا يكون هذه السعادة اعظم من
لذة البطن والفرج والرغبة اليها اغلب على العارف البصير وهي مشاركة للملائكة في الفردوس
الاعلى وحظيرة القدس اذ لا حظ للملائكة في المطعم والمشرب والمنكح ولعل تمتع البهائم
بالمنكح والمطعم والمشرب ازيد من تمتع الانسان فان كنت ترى مشاركة البهائم في لذاتها
احق بالطلب والرغبة من مشاركة الملأ الاعلى في فرحهم وسرورهم بمطالعة جمال الحضرة الربوبية
فما اشد جهلك وغبنك وما اخس همتك وقيمتك على قدر همتك فالعارفون لما رزقوا
شهوة المعرفة ولذة النظر الى جلال الله تعالى فهم من مطالعتهم جمال الحضرة الربوبية في جنة عرضها
السموات والارض لا بل هي اكبر واوسع وادوم وابقى والعارفون ينظرون الى
العاكفين في حضيض الشهوات الحسية نظر العقلاء الى الصبيان عند عكوفهم على لذة اللعب
ولذلك تراهم يستوحشون من الخلق ويؤثرون العزلة والخلوة لذكر الله وهو احب
الاشياء اليهم ويهربون من الجاه والمال علما بانها تشغلهم عن لذة المناجاة ويعرضون
عن اهلهم واولادهم ترفعا عن الاشتغال بهم عن ذكر الله تعالى وترى الناس يضحكون
عليهم ويسخرون منهم وينسبون حالهم الى السفه والجنون وهم اعقل الناس وهم ايضا
يضحكون على الناس تعجبا منهم بمتاع الدنيا الفانية ويقولون ان تسخروا منا فانا نسخر
منكم كما تسخرون فسوف تعلمون فالعارف مشتغل بتهيئة سفينة النجاة لنفسه ولغيره
لعلمه بخطر المعاد فيضحك على اهل الغفلة ضحك العاقل على الصبيان اذا اشتغلوا
باللعب بالصولجان فالعجب ممن يشتغل ويمتنع عن النظر الى جلال الحضرة الربوبية
الى اللذات الباطلة والشهوات العاجلة مع غاية اشراقه وظهوره فانه اظهر الاشيا

واجلاها

واجلاها ولم يمنع القلوب من الاستمتاع بذلك الجمال الا عدم تزكيتها عن كدورات الشهوات
او شدة الاشراق وضعف الاحداق فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق لغاية جلائه واحتجب
عنهم لشدة ظهوره ولما علمت حال حقيقة السعادة ودرجاتها فقس عليه حال الشقاوة ودرجاتها
ولما ان السعادة راجعة الى الوجود والعقل فالشقاوة الى العدم والجهل الذي هو ضد العقل
قوله والتوبة وضدها الاصرار التوبة الرجوع من الذنب الى الطاعة تعالى وهو يدل
على ان الاصل في الانسان الذي فطره الله عليه هو الايمان والطاعة وانما يعصي الله
بسبب امر طار عليه كما دل عليه قوله صلعم كل مولود يولد على الفطرة والاصرار من الصر وهو
الشد وفلان مصرور اي مأسور موثق وصررت الناقة شددت عليها الصرار وهو
خيط يشد فوق الخلف والتودية لئلا يرضعها ولدها واصر على كذا اي اقام ودام عليه
وقد سبق ان التوبة اسبق المقامات للمريد السالك الى الله تعالى بعد العلم والارادة
وانها مسلطة من امور مترتبة علم وحال وعمل وذكرنا كيفية ترتيبها وتفصيلها واما وجوبها
وفضلها فاعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالآيات والاخبار وهو واضح بنور البصيرة
لمن انفتحت بصيرته وشرح الله صدره بنور الايمان حتى اقتدر ان يسعى بنوره الذي
بين يديه في ظلمات الارض مستغنيا عن قايد يقوده في كل خطوة فالسالك اما اعمى
لا يستغني عن القايد في كل خطوة واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه
وكذا الناس في سلوك طريق الآخرة والدين فالناس منقسمون بهذا الانقسام
فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من
كتاب او سنة وربما يعوزه ذلك فيتحير ويقف فسير هذا وان طال عمره وعظم
جده مختصر وخطاه قصيرة وحركته يسيرة ومن سعيد شرح صدره للاسلام فهو على نور
من ربه فيتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة فيشرق
في قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان ويكاد
زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء
فهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب
التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين
معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك ان معنى الواجب ما هو واجب
في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك السرمد ومعنى قول القايل صار كذا
واجبا بالايجاب حديث محض لا معنى له فان ما لا غرض لنا عاجلا وآجلا في فعله وتركه
فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف الوجوب وانه الوسيلة
الى سعادة الابد وعلم ان لا سعادة في دار البقاء الا بالقرب منه في الوصول اليه

وارد كراماته وكل محجوب عنه فهو شقي لا محالة يحول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار
جهنم وعلم ان لا مبعد له عن لقاء الله الا اتباع الشهوات وارتكاب الخطيئات والانس
بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه وعلم ان لا مقرب من لقاء الله الا قطع
العلاقة عن زخرف الدنيا ولذاتها والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس بذكره والمحبة له
بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وهمته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله كلا
[illegible] واتباع الشهوات ومحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته لكونه محجوبا
مبعدا عن الله فلا شك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب
وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب البعد
عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع عليه بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع
ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا شك في ان المعاني الثلثة ضرورية في الوصول
الى السعادة فهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما من لم يترشح قدمه لمثل هذا المقام
المرتفع وذروته المنخفض عن حدوده الكثير الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به
الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول الائمة المعصومين عليه
وعليهم الصلوة والسلم فقد قال الله تع وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون
وقال تع يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم
الآية ومعنى النصوح الخالص لله الخالي عن الشوائب ماخوذ من النصح ويدل على فضل
التوبة قوله تع ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله ص التائب
حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وفي رواية ابي عبيدة عن ابي جعفر ع
قال سمعته يقول ان الله اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء
فوجدها فالله اشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها وفي رواية
اخرى عن ابي عبد الله ع قال ان الله يفرح بتوبة عباده المؤمنين اذا تابوا كما
يفرح احدكم بضالته اذا وجدها وفي بعض الروايات الله افرح بتوبة عبده المؤمن
من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه
فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الجوع والعطش
او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع يده
على ساعده ليموت ثم استيقظ فاذن راحلته عنده عليها زاده وشرابه فقال من
فرحه اذا اراد شكر الله انا ربك وانت عبدي فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن
من هذا براحلته والاحاديث في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها
ولا خلاف فيه ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال والتدارك

لما

لما سبق من التقصير ولا شك في وجوبه واما الندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب
وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع تالم يحصل لا محالة عقيب
حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فهذه حقيقة التوبة ووجوبها وفضلها
فالاصرار على المعصية ضدها لانه في غاية الخلاف لما يجب اجزاؤها الثلثة من العلم والحال
والعمل جميعا كما يظهر بالتامل والمقايسة قوله ع والاستغفار وضده الاغترار الاستغفار
ماخوذ من الغفر وهو التغطية والستر ومنه المغفر وهو ما يلبسه الدارع على راسه من الزرد
ونحوه ومن اسماء الله تع الغفار والغفور وهما من ابنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب
عباده وعيوبهم المتجاوز عن خطاياهم يقال غفر الله لك يغفر غفرا وغفرانا ومغفرة والمغفرة
الباس الله تع العفو للمذنبين فمعنى الاستغفار طلب المغفرة والعفو منه تع والداعي للعبد
على طلب المغفرة من الله علمه بتقصيره في جنب الله واطلاعه على عيوب نفسه وزلاته ونقائصه
فالغرور ضده لانه غفلة وجهل الا انه نوع خاص من الجهل لانه يستدعي مغرورا فيه ومغرورا
وهو الذي يغره بخلاف الجهل مطلقا فانه لا يستدعي ذلك فمهما كان المجهول المعتقد شيئا
يوافق الهوى وكان السبب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون
دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فمن ظن نفسه على الخير وهو مخطئ فيه فهو مغرور وهذا حال
اكثر الناس فهم مغرورون وان اختلفت اقسام غرورهم ودرجاتها واظهرها غرور
الفساق والكفار والعصاة واخفاها غرور الزهاد والنساك والقراء فانهم يغترون بما
كل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لما علمت انه قسم خاص منه
قال سبحانه في ذم الغرور لا يغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال تع
ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني وعن الرسول ص انه قال كما
ذكرنا يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال
ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض عبادة من المغترين قوله عليه السلم
والمحافظة وضدها التهاون حفظت الشيء حفظا حرسته واستظهرته ايضا والحفظة
الملائكة الذين يكتبون اعمال بني آدم والمحافظة المراقبة والحفيظ المحافظ وحفظ الشيء
منعه من الضياع ومنه قولهم الحفظ خلاف النسيان وقد يجعل عبارة عن الصون وترك
الابتذال يقال فلان يحفظ نفسه ولسانه اي لا يبتذله فيما لا يعنيه ومنه قوله تع واحفظوا
ايمانكم في احد الوجوه اي صونوها ولا تبتذلوها والغرض صون المقسم به عن الابتذال
وبيانه في قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف والمراد من المحافظة
ههنا المراقبة والمداومة على فعل الخير كالصلوة ونحوها من الطاعات لكونها ضد التهاون
كما في قوله تع حافظوا على الصلوات اي بالمداومة عليها والاداء لوقتها من غير تهاون وح

من الهون بالضم والاسم الهوان والمهانة اى الذل والضعف واستهان به وتهاون به
استحقره واستخف به قوله والدعاء وضده الاستنكاف الدعاء طلب الرحمة من الله تعالى مع
الاستكانة والخضوع وهو من اسباب نزول الرحمة والخير كالمطر والرزق وغيرهما ووجوبه
وفضله معلوم من العقل والشرع لقوله تعالى ادعونى استجب لكم وروى زرارة عن ابى جعفر ع
قال ان الله عز وجل يقول ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين قال
هو الدعاء وافضل العبادة الدعاء قلت ان ابرهيم لاواه حليم قال الاواه الدعاء والاخبار
فى فضله لا تحصى وهو لا ينافى القضاء كما بيناه فى كتبنا الحكمية وعن ميسر بن عبد العزيز عن ابى عبد الله ع
قال قال لى يا ميسر ادع ولا تقل ان الامر قد فرغ منه ان عند الله عز وجل منزلة لا تنال
الا بمسألة ولو ان عبدا سد فاه ولم يسأل لم يعط شيئا فسل تعط يا ميسر انه ليس من
باب يقرع الا يوشك ان يفتح لصاحبه فقد ظهر من كلامه ع ان الدعاء سبب من اسباب
حصول المبتغى لكون الشئ متوقفا على سببه لا يدافع كونه مما قضى الله حصوله اذ كما جرى
فى القضاء حصوله فقد جرى ايضا حصول هذا السبب وكونه مسببا عنه ومن سخيف ما قاله
بعض الظاهريين المتكلمين انه لا فائدة فى الدعاء لان المطلوب ان كان معلوم الوقوع
عند الله تعالى كان واجب الوقوع والا فلا يقع لان الاقدار سابقة والاقضية واقعة وقد
جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد ولا ينقص فيها شيئا ولان المقصود ان كان من مصالح
العباد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحهم لم يجز طلبه ولان اجل مقامات
الصديقين الرضا واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء ينافى ذلك ولان الدعاء
شبيه بالامر والنهى وذلك خارج عن الادب ولهذا ورد فى الكلام القدسى من
شغله قراءة القرآن عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين وهذا ظن فاسد
وقول سخيف صادر عن جاهل لا يعرف الحقائق عن مواضعها واصولها فان الدعاء مما يقاوم
القضاء لا من حيث انه فعل العبد فانه من هذه الحيثية مما يتحكم فيه القضاء لانه لو لم يقض
عليه ان يدعو لم يكن يدعو ولكن من حيث ما علمنا الله عز وجل وامرنا به حيث قال
ادعونى استجب لكم وقال ادعوا ربكم فان الدعاء من هذه الحيثية انما ينبعث من حيث
ينبعث القضاء فلا تسلط للقضاء عليه فان كلا منهما من الله ولسان العبد والحالة هذه
ترجمان الدعاء لانه ما دعا بنفسه ولكن بامر الله عز وجل وكل من فعل شيئا بامر غيره
فيده يد الآمر كما امر الملك بعض خدامه ان يضرب ابنا للملك فان يد الخادم
والحالة هذه يد الملك ولو كان اليد يده لم يستطع ان يمد الى ابن الملك وهيبته
دون ذلك بيده وانك لتعلم ان الدعاء لا يتحكم على الله وانما يتحكم علينا والله غالب
على امره فاذا كان الدعاء موصول الاصل بالموضع الذى اتصل به القضاء فالقضاء والدعاء

سوا

سوا فيتقابلان والحكم لما غلب ومن غلب سلب هذا ما ذكره بعض المحققين وقال العلامة النيسابورى
فى تفسير قوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب قال جمهور العقلاء ان الدعاء من اعظم
مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين وآداب الانبياء والمرسلين والقرآن ناطق
بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا
مجال للعناد والسبب العقلى فيه ان كيفية علم الله وقضائه غير معلومة للبشر وغائبة عن العقول
والحكمة الالهية تقتضى ان يكون العبد معلقا بين الخوف والرجاء اللذين بهما تتم العبودية
وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله تعالى وجريان قضائه
وقدره فى الكل وما روى عن جابر انه جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله
بين لنا ديننا كانا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير
ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال
اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله مبنية على ما قلناه فان النبى ص علقهم بين الامرين
رهبتهم بسابق القدر ثم رغبهم فى العمل ولم يترك احد الامرين للآخر فقال كل ميسر لما خلق له
يريد انه ميسر فى ايام حياته للعمل الذى سبق له القدر قبل وجوده الا انك يجب
ان تعلم الفرق بين الميسر والمسخر لكيلا تغرق فى لجة القضاء والقدر وكذا القول فى
باب الرزق والكسب والحاصل ان الاسباب والوسائط والروابط معتبرة
فى جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائط والوسائل فى قضاء الاوطار الدعاء والالتماس
كما فى الشاهد فلعل الله سبحانه قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك
فلا بد ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ولم يكن شئ من ذلك خارجا عن قانون القضاء السابق وعما فى
الكتاب المسطور انتهى كلامه واما قول ان الاشتغال بالدعاء ينافى الرضا بالقضاء الذى
هو اجل مقامات الصديقين فالجواب انه انما ينافيه لو كان لاجل حظوظ النفس واما
اذا كان الداعى عارفا بالله عالما بانه لا يفعل الا ما وافق مشيته ودعا امتثالا لامر
مولاه فى قوله ادعونى ونحوه من غير ان يكون فى دعائه حظ من حظوظ نفسه فلا منافاة بينهما
واما قوله الدعاء شبيه بالامر والنهى ففى غاية الركاكة فان صيغة افعل ولا تفعل
مشتركة بين الطلب على صفة الاستعلاء والتسلط فيقال لها الامر والنهى وبين ما يكون
على هيئة الخضوع والتسفل فيقال لها الدعاء فلا شك ان الدعاء اظهار الذل والانكسار
والاقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح لنسبة العبودية والالتماس فى غمرات النقصان
والامكان والافلاس عن الترفع والاستعلاء الى حضيض الاستكانة والحاجة والفاقة
ولهذا ورد من لم يسأل الله يغضب عليه فاذن ثبت كونه من اجل المقامات وافضل
الحالات والاستنكاف الذى ضده من ارذل المقامات واخس الحالات الدالة على

مما هي الجهل وغاية الحمق قوله ع والنشاط وضده الكسل والفرح وضده الحزن في الحديث فكانما
انشط من عقال اي حل من عقدة وكثيرا ما يجي في الرواية كانما نشط من عقال وليس بصحيح يقال
نشط العقدة اذا عقدتها وانشطتها اذا حللتها يقال نشطت الدلو من البئر اذا جذبتها ورفعتها
اليك وفي الرواية بايعت النبي ص على المنشط والمكره المنشط مفعل من النشاط وهو الامر
الذي تنشط له وتخف اليه وتؤثر فعله وهو مصدر بمعنى النشاط ونشطت الدابة في سيرها
شذت والمراد هنا النهوض للعبادة على وجه الخفة والسهولة والكسل التثاقل عن الامر
وقد كسل بالكسر فهو كسلان وقوم كسالى وامراة كسال لا يكاد تبرح مجلسها فان النشاط
والخفة للسلوك والسير الحثيث الى الله تعالى والعود الى حظيرة القدس والماوي من شان
العقل والتثاقل الى الارض للرضا بالحيوة الدنيا من الاخرة والاخلاد الى ارض الابدان
والاجساد والاستيناس الهوى وقضاء الشهوة من عادة الجهل والفرح معناه السرور والنشاط
والفرح ايضا بمعنى البطر وهو مذموم ان الله لا يحب الفرحين والمراد هنا الاول والحزن
خلافه والوجه في كون الفرح من صفات العقل لانه من لوازم ادراك المحبوب وكلما كان
المطلوب اشرف والعلم فادراكه وادراك صفاته وافعاله وآثاره الذ والابهج فرحا
المدرك به اشد واكثر فالعارف افرح خلق الله وابهجهم وهو فرحان بالحق وبكل
شيء لانه يرى كل شيء من الحق راجعا اليه لانه ينظر الى الاشياء بنور ربه الذي هو نور السموات
والارض واما الجاهل الذي لم يدرك الاشياء الا من طرق الحواس ولم يطلبها الا بطريق
الشهوة والغضب فهو بمعزل عن الفرح والسرور لان هذه كلها آفات وامراض طرأت
على النفس واجلها يستدعي النفس ما يسكن لهيجانها وكربها من الاكل والشرب والجماع
وغير ذلك من الشهوات الدنيوية فزعم الجاهل ان هذه لذات حقيقية وتسمى ما يحصل له
عقيب انفعاله عنها فرحا وسرورا من باب الغلط والاشتباه فيحصل بسببه الغرور
كما قال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب
شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ومنشأ هذا الغلط وهذه التسمية
عدم وجدان ما هو اللذة والسرور بالحقيقة وعدم الاطلاع على ان اللذات الدنيوية كلها من
اكل الطيب وشرب العذب ولبس اللين وركوب البهيج وقهر العدو والتمتع بالحسناء
في الحقيقة حاجات متعبة وضرورات مزعجة وخصوصا عند العقلاء والمستيقظين من العلماء
لان الاكل والشرب انما هو لدفع الم الجوع والعطش واللبس لدفع الم الحر والبرد والركوب
لدفع الم المشي وقهر العدو لطلب التشفي من الم الغيظ والنكاح انما يعد لذة لدفع حرقة الشهوة
في مجاري العصب والفرج بورود المني عليها كالمرهم على الجراحة فيسكن به الما ثم مع ذلك

انما تحصل هذه المسماة باللذة بمباشرة عضو من حقه ان يستر ويستحيى من كشفه وخصوصا من
الرجال العقلاء الذين يكرهون ان يكشفوا عن سواءتهم مثلا فتلك الحال يحتاج الفاعل
الى كشف عضوه المستور ويضطر الى كشف مثله من المفعول فما اخس هذه اللذة عند العاقل
المستيقظ وما اهونها عليه واقبحها وافضحها لديه ثم الحاجة غير طيبة ولا لذيذة في نفسها وهذه
الاحوال كلها حاجات منشؤها نقايص وآفات والحاجات والآفات كلها آلام ومحن
ولو كانت فيها فضيلة لما تنزهت عنها الملائكة المكرمون المقربون وهذا دعية لبعض
الصالحين من العلماء اللهم اني اسئلك بحق علمك ان تكفيني مؤنة هذا الحد الذي يحوب
كل لذة واصل كل حاجة والجاذب الى كل بلية والطالب لكل خطيئة وان تيسر الخلاص
منه على اسهل وجه وافضل حال الى اجر معاد واحسن مال بمنك وفضلك يا ذا المن
والافضال قوله ع والالفة وضدها الفرقة الوجه في كون الالفة من صفات العقل انه
جوهر مرتفع الذات عن الاجسام والجسمانيات وعالمه عالم الوحدة والجمعية ومنه
تتفرع كل اثر وخير ورحمة والجهل صفة النفوس المتعلقة بالاجسام وصورها التي
وجودها بعين قبول الانقسام والافتراق ووحدتها بعين قوة الكثرة ووصلتها بعين
الانفصال والمباينة فكل واحد من ذوي النفوس الجزئية قبل ان تستكمل ذاته عقلا
بالفعل لا يحب الا نفسه بل يعادي غيره ويحسده على ما آتاه الله من فضله واذا احب
بعضهم بعضا فانما احبه ليتوسل به الى هواه وشهوته فما احب الا نفسه ولذلك اذا
ارتفعت الاغراض والاعواض بينهم كما في الآخرة رجعوا الى ما كانوا عليه من الفرقة
والعداوة كما في قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قوله عليه السلم
والسخا وضده البخل ان من مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات التي يقتضيها
العقل ويتصف بها العاقل وحث عليها الشرع هي السخاوة والكرم فينبغي للمرء
ان يكون حاله عند فقد المال القناعة وترك الحرص وعند وجوده البذل والايثار
واصطناع المعروف والتباعد من البخل والشح والسخا من اخلاق الانبياء عليهم السلم
وهو اصل من اصول النجاة وبركته تعود الى النفس قال تعالى ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون وعنه ص السخي شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية
الى الارض من اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وفي رواية اخرى السخا
شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة
والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى
يدخله النار واعلم ان السخا جزء من الايمان وعن جابر رضي الله عنه قال قيل
يا رسول الله اي الايمان قال الصبر والسماحة وعنه ص ما جبل الله تعالى

ولهذا الا على السخا وحسن الخلق ولا يخفى عليك ان الكرم لا ينحصر افراده في بذل المال
بل الشجاعة ايضا نوع من الكرم بل هي اعلى ضروبه لان الشجاع يجود بنفسه والنفس اعز
من المال فمن جاد بنفسه سهل عليه الجود بماله ومنه ايضا ترك الانتقام ونسيان ما
جرى عليه من ظلم الاعداء وكيد الحساد قال ابو علي بن سينا في الاشارات العارف
شجاع وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت وجواد وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل
وصفاح وكيف لا ونفسه اكبر من ان تجرحها زلة بشر ونساء للاحقاد وكيف لا وذكره
مشغول بالحق قال سلطان المحققين حامل عرش الحكمة والتحقيق نصير الدين الطوسي
قدس سره القدوسي في شرح هذا الكلام واجاد فيما افاد الكرم يكون اما ببذل
نفع لا يجب بذله او بكف ضرر لا يجب كفه والاول يكون اما بالنفس وهو الشجاعة
او بالمال وما يجري مجراه وهو الجود وهما وجوديان والثاني يكون اما مع القدرة
وهو الصفح والعفو واما مع عدم القدرة وهو نسيان الاحقاد وهما عدميان
والعارف موصوف بالجميع وعن رسول الله صه انه قال ان بدلا امتي لم يدخل
الجنة بصلوة ولا صيام ولكن دخلوها بسخا الانفس وسلامة الصدر والنصح للمسلمين
وعن علي بن ابي طالب عم اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت
عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد ⁂ لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ⁂ فليس ينقصها
التبذير والسرف ⁂ فان تولت فاحرى ان تجود بها ⁂ فالحمد منها اذا ما ادبرت
خلف ⁂ وعن الصادق عم اللؤم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من
الايمان واهل الايمان في الجنة وغير ذلك من الاخبار والآثار الدالة على فضيلة
السخا والجود مما لا يعد ولا يحصى وكذلك البخل والتقتير من صفات الجهل والكفر
كل ما يدل من العقل والشرع على مدح السخا فهو دال على ذم البخل لانهما متضادان
على ان الدال على مذمة البخل نصا من الكتاب والسنة ايضا متكاثر فقد قال تع
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وقال ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل الآية وقال الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
الى قوله فذوقوا ما كنتم تكنزون الى غير ذلك من الآيات وعن رسول الله صه انه
قال صه لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خاين ولا سيء الملكة وانه قال صه ثلث
مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وروى ابن بابويه رحمه الله
في الخصال عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر عم ثلث موبقات وثلث منجيات اما
الموبقات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمنجيات خوف الله عز وجل

في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وعن النبي صه خصلتان
لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق والاحاديث عنه صه وعن اهل بيته عليهم السلم في ذلك
كثيرة يطول الكلام بذكرها واعلم ان لكل من السخا والبخل درجات فارفع درجات السخا
بعد الموت الارادي او بذل المهجة في سبيل الله الايثار وهو ان تجود بالمال مع الحاجة
اليه لان السخا كما هو العرف عليه عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او غير محتاج فالبذل
مع الحاجة يكون اشد وكما ان السخاوة قد انتهى الى ان يسخو على غيره مع الاحتياج فالبخل
قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي
الشيء فلا يمنعه منه الا البخل بالثمن ولو وجده مجانا لاكله فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة
وذلك يؤثر غيره على نفسه مع ان له بذلك حاجة فانظر الى ما بين الرجلين من التباعد
وكلاهما بشر فالاخلاق عطايا ومواهب يضعها الله حيث يشاء قوله عليه السلم فاجمع
هذه الخصال كلها من اجناد العقل الى الخمسة والسبعين المذكورة من اخلاق العقل وملكاته
وقواه التي كل منها في الحقيقة بمنزلة جند من جنود العقل الكامل وعون من اعوانه ورعية
من رعاياه وخادم من خدمته وسادن من سدنته والعقل الكامل هو السلطان القاهر
عليها والرئيس المطاع فيها والمستخدم لها باذن الله في المسماة باسام متعددة
من جهة اعتبارات فانها من حيث كونها صفات راسخة تسمى بالاخلاق والملكات
ومن حيث كونها مبادي افعال وانفعالات تسمى بالقوى ومن حيث كونها لا تشتغل
شيئا ولا تشتغل بالاستقلال بل باشارة العقل ودرايته وهي مطيعة له تسمى بالخوادم
والسوادن ومن حيث يحفظها العقل ويحرسها عن الآفات وهي مضبوطة تحت ضبط
ورعايته كالراعي للغنم والسلطان لرعيته تسمى رعايا بل الراعي والرعية ههنا بحسب
الفطرة والجبلة التي فطرها الله تع عليها ابتدا وفي غيرها كصاحب الغنم وغنمه وصاحب
الحشم وحشمه انما يكون بحسب التكلف والتعمل ودعا النبي صه اللهم اصلح الراعي
والرعية اشارة الى اصلاح العقل او القلب المعنوي وقواه واما اسم الاجناد فهو باعتبار
مدافعة العقل ومعاونته بها لاضدادها التي هي جنود الجهل والهوى اذ الجند اسم لجمع
معد للحرب اعوانا وانصارا والجمع اجناد وجنود وقد جند الجنود اي جمعها وفي
الحديث الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف مجندة
اي مجموعة مهيأة كما يقال الوف مؤلفة وقناطير مقنطرة ومعناه الاخبار عن مبدا كون
الارواح الانسانية وتقدمها على الاجساد وانها ابدعت اول كونها قسمين من ائتلاف
واختلاف كالجنود المجموعة اذا تقابلت وتواجهت ومعنى تقابل الارواح ما جعلها الله
عليه من السعادة والشقاوة والاخلاق الحسنة والسيئة في مبدا الخلق يقول ان الا

التي فيها الارواح فتلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف بحسب ما خلقت عليه ولهذا ترى
الرجل الخير يحب الاخيار ويميل اليهم والشرير يحب الاشرار ويميل اليهم واعلم ان
هذه الاسامي المختلفة باعتبارات المختلفة كما هي جارية في اخلاق العقل فهي كذلك
بالنسبة لما يقابلها من توابع الجهل والهوى وهذه جنود باطنية في غاية البطون
فان لله جنودا في القلوب والارواح وغيرها من العوالم والنشآت لا يعلم
حقايقها وتفاصيل عددها الا هو كما قال سبحانه وما يعلم جنود ربك الا هو ومن جملتها
جنود القلب الان منها فان الاعضاء وقواها هي الرعايا والجنود وكلها مسخرة للقلب
خادمة له مجبولة على طاعته باذن الله تع وهي جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى
الا بالبصاير واما القسم الاول فهي الجوارح والاعضاء الظاهرة والباطنة اما الظاهرة
فكالعين والاذن واليد والرجل وغيرها واما الباطنة فكالقلب والدماغ والكبد والطحال
ونحوها وكلها مجبولة على طاعة القلب لا يستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح
انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالتكلم وجزم الحكم به
تكلم وكذا ساير الاعضاء واما القسم الثاني فهو على ثلثة اضرب مدرك وباعث
ومحرك فالجنود المدركة هي الحواس وهي قسمان ظاهرة كالسمع والبصر والشم
والذوق واللمس وباطنة كالحس المشترك والخيال والوهم والحافظة والذاكرة
واما الجنود الباعثة فهي كالارادة وبعدها الشهوة لجلب المنافع والغضب لدفع
المضار واما المحركة فهي الفاعلة للحركة بمباشرة القابل للحركة وهي المسماة بالقدرة
وهي مبثوثة في ساير الاعضاء بواسطة الاعصاب والاوتار فتجذبها او تبسطها
فتحصل منها الحركة المكانية والنقلة ويقع بسببها الفعل الذي يريده القلب كالكتابة
والمشي في الخارج فانظر الى حكمة الصانع القدير وتدبير العالم الخبير البصير كيف
دبر الامر واحكم التقدير في هذا العالم الصغير الذي هو انموذج للعالم الكبير اعلاه
لاعلاه واسفله لاسفله وملكوته لملكوته حذو النعل بالنعل ثم انظر كيف دبر وقدر
ترتيب الجنود ودرجتها على مقتضى حكمته ترتيبا بديعا يتحير فيه عقول ارباب البصيرة
والشهود حيث رتبها ترتيب الملك والمملكة والسلطان والرعايا وجعل اشرفها
واعلاها ذاتا ووجودا اقواها رياسة وحكومة واشدها سلطانا واكثرها
اتباعا ورعية وجعل اخسها جوهرا وانزلها وجودا اقلها رياسة وتاثيرا وادناها
محلا واسفلها موضوعا وانقصها مكانا وهكذا الى ان نزل الترتيب من اشرف الاشراف
الذي هو العقل الى الاخس الاخس الذي هو العضو الظاهر وهو خادم لا خادم له اذ
لا اسفل منه كما ان العقل مخدوم لا مخدوم له الا الله وهو خليفة الله في الملك والملكوت

وكلمة

وكلمة الله العليا ويطيعه القوى المدركة والمحركة والجنود الظاهرة والباطنة وتلك الجنود
الباطنة التي ايدنا بها من جنود لم تروها وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وهي النفس
وهواها التي هي كتاب الفجار والمكذبين وطاعة تلك الجنود له بوجه تشبه طاعة الملائكة لله تعالى
لا يستطيعون له خلافا ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان
بشيئين احدهما ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها بخلاف هذه وثانيهما انهم [...]
التي هي مواضع الشعور المستترات لا يسامون ولا يتعبون يسبحون الليل والنهار
لا يسأمون بخلاف القوى الانسانية ومواضعها فانها يعرضها الكلال والتعب والفتور
والدثور ولكن ما دامت في هذه الدنيا واما في الآخرة فامرها وامر ابدانها كامر تلك
الملائكة والسموات كما ذكره الله تع بقوله لهم فيها ما تشتهي انفسهم وهم فيها خالدون وان
ههنا اسرارا لا يحتملها المقام ويكل عن دركها اكثر الافهام واعلم ان هذه الجنود التي هي
القوى والاعضاء بعضها كالراجل وهي الاعضاء وبعضها كالفرسان وهي القوى المحركة
وبعضها كالطيور وهي القوى المدركة بل نقول بوجه آخر ان العقل كسليمن ع والاعضاء
كالبلدان والقوى المحركة كالحيوانات والقوى الغضبية والشهوية كالوحوش والطيور
والحواس الظاهرة كالبشر والباطنة كالجن والشياطين واما الاخلاق الفاضلة
والخصال المذكورة وهي الخمسة والسبعين فكاصحاب سليمن ع وندمائه الذين جلسوا
في مجلسه الشريف وكان من الانبياء والاولياء عليهم السلم ومؤمني زمانه وهذه الخصال
كلها لا تجتمع كما قال عليه السلم الا في نبي او وصي نبي او مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان
اي صفاه وجلاه بنار التكاليف والرياضات الشاقة والمحن الدنيوية حتى صار
كالمرآة المجلوة منورة بنور الايمان فان الايمان نور يقذفه الله في قلب من يشاء
من عباده عقيب تطهيره وتهذيبه وذلك لان معنى الامتحان في الاصل التصفية
والتهذيب والممتحن هو المصفى المهذب من قولك محنت الفضة اذا صفيتها و
خلصتها من الغش بالنار قوله عليه السلم واما ساير ذلك من موالينا فان احدهم لا يخلو
من ان يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل فعند ذلك يكون
في الدرجة العليا مع الانبياء والاوصياء معناه ان غير النبي والوصي والمؤمن المنور
قلبه بنور المعرفة واليقين بالله واليوم الآخر لا يخلو من اضداد هذه الجنود وهي الامراض
القلبية والرذايل النفسية فان كان من موالي اهل البيت وشيعتهم ومحبيهم فلا يخلو
احدهم من بعض هذه الجنود الحسنات فيجب ذلك البعض من الفضايل تصفو قلبه وترفع
درجته ويجب ما بقي فيه من الرذايل يكدر قلبه ويجذبه في النار حتى اذا استكملت
ذاته وتطهر وتزكى قلبه من جميع الامراض والكدورات فعند ذلك يكون في عليين مع

النبيين والصديقين وان لم يكن من الوسائط فان كان مشحون القلب بجنود الجهل كلها او جلها
الغالب على جوهر قلبه فهو في الدرجة السفلى محشورة مع الكفرة والمنافقين والشياطين وان
كان خاليا عن الرذائل والفضائل كلها لكونه ضعيف النفس عديم القلب كالاطفال وكاكثر
العوام فهو غير ماحض للايمان محضا ولا للكفر محضا فدرجته في الآخرة درجة الاتباع والمقلدين
فحشره في زمرة من شاء منهم وملحق من اهل الاسلام واهل الكفر قوله عليه السلام انما يدرك ذلك
بمعرفة العقل وجنوده ومجانبة الجهل وجنوده يعني انما ينال ذلك الاستكمال اي التخلق بجميع
تلك الخصال او الكون في الدرجة العليا مع الانبياء والاوصياء بمعرفة هذه العقل وجنوده
الجنود والخصال وهذا اشارة لما سبق ذكره من ان كلا من هذه المقامات الايمانية منتظم
من علم وحال وعمل وان الاصل في التخلق بها المعرفة ثم الحال ثم تكرار العمل ليصير الحال ملكة
راسخة لان تكرار الاعمال يجعل الاحوال ملكات قوله عليه السلام وفقنا الله واياكم لطاعته
ومرضاته دعا لنفسه ولشيعته المؤمنين بتوفيق الطاعة والرضوان واشارة الى
ان السعادة لا يدرك الا بعناية الله وتوفيقه والله ولي الهداية والتوفيق

الحديث الخامس عشر جماعة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن فضال
عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام قال ما كلم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد
بكنه عقله قط وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله انا معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس
على قدر عقولهم **الشرح** الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكليم الذي يكلمك
يقال كلمته تكليما وكلاما وتكلمت كلمة وتكلمة وكنه الشيء حقيقته وبمعنى نهايته وقد يجي
بمعنى وقته وقولهم لا يكتنهه الوصف بمعنى لا يبلغ حقيقته او لا يبلغ نهايته والمعنى ما كلم الناس
بحقيقة ما يعقله وهو صلى الله عليه وآله بنفسه المقدسة من المعارف الالهية والحقائق
الايمانية الا بكسوة الامثال كما هو في القرآن الكريم لقوله وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون واعلم ان المراد من العباد جمهور الناس والجمع المحلى
باللام وان كان ظاهره العموم فيدخل فيه كل عبد من عباد الله الا انا نعلم يقينا ان
امير المؤمنين عليه السلام غير داخل في هذا العموم لانه كان بمنزلة نفس الرسول صلى الله عليه وآله
وصاحب سره ونجواه فكان يعلم كل ما علمه الرسول وعرف كل منهما ما عرفه الآخر
ولقوله صلى الله عليه وآله انا مدينة العلم وعلي بابها واعلم ان بث العلوم والحقائق الى غير اهلها
مذموم في الطرائق كلها ولهذا كانت الاوائل من الحكماء يرمزون عن الحكمة في كلامهم ويمنعون
التصريح بها حذرا عن الاذاعة لئلا يقع بيد غير الاهل فيكون كتعليق الدرر في اعناق الخنازير
ولهذا لما جاء رجل الى ابن سيرين وقال رأيت في المنام كانه اعلق الدرر في اعناق
الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها وكان كما قاله وقد تواردت بذلك الانذارات

النبوية

النبوية والتحذيرات الامامية منها ما روي من قوله صلى الله عليه وآله لا تؤتوا الحكمة غير اهلها
فتظلموها ولا تمنعوا اهلها فتظلموهم وقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به
لم ينكره الا اهل الغرة بالله ومنها قول امير المؤمنين عليه السلام ان ههنا لعلما جما لو وجدت له حملة ومنها
الابيات المنسوبة الى زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام اني لاكتم من علمي جواهره الابيات
ومنها قول جعفر الصادق عليه السلام ان الله عير اقواما بالاذاعة في قوله واذا جاءهم امر من الامن او
الخوف اذاعوا به واياكم والاذاعة وقوله عليه السلام من اذاع علينا حديثنا فهو بمنزلة من جحدنا ومنها
ما قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم حق الاسرار صونها عن الاغيار

الحديث السادس عشر علي بن محمد عن سهل بن زياد عن النوفلي عن السكوني عن جعفر عن ابيه قال
قال امير المؤمنين عليه السلام ان قلوب الجهال تستفزها الاطماع وترهنها المنى وتستعلقها
الخدائع **الشرح** تستفزها اي تستخفها ورجل فز اي خفيف وافززته اذا ازعجته وافزعته
ورهنت فلانا الشيء ورهنت الشيء عنده وارهنته فالمرهون هو ذلك الشيء والمرتهن الذي
عنده المرهون والمنى بضم الميم جمع المنية بمعنى التمني والمنى بفتح الميم القدر ومنى له اي قدر
ودارى منادارة اي مقابلتها والمنية الموت لانها مقدرة والجمع المنايا والامنية واحدة
الاماني والخدائع جمع الخديعة وهي اسم ما يخدع به من خدعه فانخدع اي ختله واراد به المكروه من
حيث لا يشعر وفي الحديث الحرب خدعة ويروى بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال وبضمها
مع فتح الدال فالاول معناه المرة اي الحرب ينقضي امرها بخدعة واحدة من الخداع وهو افصح
الروايات واصحها ومعنى الثاني هو الاسم من الخداع ومعنى الثالث ان الحرب تخدع الرجال
وتمنيهم ولا تفي لهم كما يقال فلان رجل لعبة وضحكة للذي يكثر اللعب والضحك ذكر عليه السلام
من خصال الجهال ثلثة امور متقاربة الوقوع احدها انها ما يزعج قلوبها ويستخفها الاطماع وان
كانت فاسدة ظاهرة عن سبب صحيح فان الجاهل كثيرا ما ينزعج من مكانه بالطمع فاسدة لا اصل له
ولا طائل تحته وثانيها ان قلوبهم مقيدة مرتهنة بالاماني الفارغة والآمال الكاذبة فكثيرا
ما يفرحون بها ويطمئن قلوبهم اليها وثالثها انهم ينخدعون سريعا فيستولي على قلوبهم خدائع
المخادعين ويستعبدهم المكرة الماكرين ولهذا يعدهم الشيطان ويمنيهم بالاماني الباطلة ويغرهم
فيستفزهم ويستعبدهم بالخدائع وما يعدهم الشيطان الا غرورا **الحديث السابع عشر**
علي بن ابراهيم عن ابيه عن جعفر بن محمد الاشعري هو جعفر بن محمد بن عبيد الله له كتاب روى عنه
محمد البرقي وهو يروي عن القداح كثيرا عن عبيد الله الدهقان الواسطي ضعيف قال
النجاشي له كتاب روى عنه محمد بن عيسى بن عبيد عن درست بضم الدال وبعده راء وسين
مهملة والتاء المثناة فوقها الواسطي ابن ابي منصور وقيل ابن منصور له كتاب روى عنه
جماعة منهم سعد بن محمد ابو القسم الطاطري عن ابراهيم بن عبد الحميد وثقه الشيخ في الفهرست

وقال في كتاب الرجال انه واقفي من اصحاب الصادق عليه السلام قال سعد بن عبد الله ادرك الرضا عليه السلام
ولم يسمع منه فتركت روايته لذلك وقال الفضل بن شاذان انه صالح هذا ما في الخلاصة
وقال زين المجتهدين في الحاشية لا منافاة بين حكم الشيخ بكونه واقفيا وكونه ثقة وكذلك
قول الفضل انه صالح رحمه الله فلا يعارض ما قيل بكونه واقفيا انتهى قال قال ابو عبد الله عليه السلم
اكمل الناس عقلا احسنهم خلقا **الشرح** يعني ان حسن الخلق تابع لكمال العقل ولما كان
العقل قد يكون مطبوعا وقد يكون مصنوعا كذلك الخلق الحسن يكون فطريا ومكتسبا بالنظر
منه تابع للمطبوع من العقل والمكسوب للمكسوب لان الاول جوهر والثاني نعت وقد
علمت ان العقل مما يشتد جوهره ويكمل ذاته باقتناء المعرفة واليقين واذا كمل جوهر العقل
واستنار بنور العلم حسن خلقه لا محالة واذا حسن الخلق تم العمل وقام العدل فنتج السعادة
وسعى النور يوم القيمة واذا نقص العقل واحتجب عن نور البصيرة قبح الخلق واظلم القلب
فاسا الادب وضل عن الطريق وجاء الجور فنتج الشقاوة والظلمات يوم القيمة **الحديث
الثامن عشر** عنه عن ابي هاشم الجعفري اسمه داود بن القسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر
ابن ابي طالب كان رحمه الله من اهل بغداد ثقة جليل القدر عظيم المنزلة عند الائمة عليهم السلام
شاهد ابا جعفر وابا الحسن وابا محمد عليهم السلم وكان شريفا عندهم له موضع جليل عندهم
روى ابوه عن الصادق عليه السلام كذا في الخلاصة وزاد الشيخ الطوسي رحمه الله في الفهرست
انه روى ايضا عن الرضا عليه السلام مضافا الى الثلثة وكذا ذكر ابن داود رحمه الله قال كنا عند
الرضا عليه السلم فتذاكرنا العقل والادب فقال يا ابا هاشم العقل حباء من الله والادب
كلفة فمن تكلف الادب قدر عليه ومن تكلف العقل لم يزدد بذلك الا جهلا **الشرح**
الحباء بالكسر العطاء وحباه يحبوه اي اعطاه والادب ادب النفس وهو التعلم و
الدرس والمراد به السيرة العادلة وقد ادب بالضم فهو اديب وادبته غيره فتادب
واستادب وعن ابي زيد الادب اسم يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان
في فضيلة من الفضائل والكلفة ما تتكلفه الانسان وتتجشمه وكلفه تكليفا اي امره بما
يشق عليه اعلم ان كلامه عليه السلم يحتمل وجهين احدهما الظاهر المتعارف وهو ان
العقل غريزة من الله ليس للكسب فيه اثر والادب مما يمكن اذا لم يكن في جبلته
والثاني ان الادب بحيث متى شاء الانسان ان يتكلفه يمكنه وان لم يكن حاصلا
سابقا بخلاف العقل فان الرجل العامي لو اراد ان يتصف بالعلم والفضل لم يمكنه
ذلك كما في قوله لا اكراه في الدين لان الدين بالحقيقة هو الايمان والايمان هو العلم
بالله واليوم الآخر علما يقينيا وتصديقا قلبيا وليس ذلك مقدورا لكل احد وانما
الذي يقدر عليه جميع الناس هو الاقرار باللسان والعمل بالاركان وهو [illegible]

كسائر

كسائر امور الدنيا من البنايات والحركات والاشكال وغيرها ولذلك الفرق ثابت
بين الاسلام والايمان كما في قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم لان القلب من عالم الغيب والملكوت وهو بيد الله
يقلبه كيف يشاء ليس لاحد التصرف فيه وفي احواله واللسان والجوارح من عالم الخلق
والشهادة يتصرف فيه النفس بالتحريك والتشكيل فمن رام ان يتكلم بالشهادة او يصلي
او يصوم او يعطي الصدقة بماله او يحج براحلته وماله او يغزو فيمكنه في كل وقت ومن رام
ان يؤمن كما آمن اهل الحق لا يمكنه ذلك الا ان يتنور قلبه بالهام الله وهداه فالايمان
عطاء من الله وكذا العقل سواء كان اصله او كماله حباء من الله فان تكرر الادراكات والافكار
وكثرة التاملات والاذكار وان كان لها تاثير في ازدياد العقل واشتداده وتنوير
القلب وانفتاح بابه الى الملكوت لكن الفاعل المعطي هو الحق تعالى بلا توسط الخلق وتلك الامور
معدات ومهيات ولهذا قال بعض العرفاء ان كل من سلك سبيل الله بلا استعانة
يصير مجذوبا **الحديث التاسع عشر** عنه عن ابن ابرهيم عن ابيه عن يحيى بن المبارك ليس ذكر اسمه
في الخلاصة وذكر في بعض كتب الرجال انه من اصحاب الرضا عليه السلام عن عبد الله بن جبلة بالجيم المفتوحة
والباء المنقطة تحتها نقطة الموحدة واللام المخففة بن حيان بالحاء المهملة والياء المنقطة تحتها نقطتين
كنيته ابو محمد عربي صليب روى عن ابيه عن جده حيان ابن ابجر بالحاء المهملة المضمومة والراء المشددة
ادرك الجاهلية وبيت جبلة بيت مشهور بالكوفة وكان عبد الله واقفيا وكان فقيها ثقة
مشهورا الخ قال النجاشي له كتب مات سنة تسع عشرة ومائتين عن اسحق بن عمار عن ابي
عبد الله عليه السلم قال قلت جعلت فداك ان لي جارا كثير الصلوة كثير الصدقة كثير الحج
لا باس به قال فقال يا اسحق كيف عقله قال قلت جعلت فداك ليس له عقل قال فقال
لا يرتفع بذلك منه وفي بعض النسخ لا ينتفع بذلك والفاعل على الاول على ذلك
الشخص وضمير منه راجع الى الشخص وعلى الثاني يكون الامر بالعكس وقوله بذلك
اي بسبب انه ليس له عقل ومعنى الحديث ظ **الحديث العشرون** الحسين بن محمد بن
عمران بن ابي بكر الاشعري القمي ابو عبد الله ثقة والمذكور في الخلاصة هكذا الحسين الاشعري
القمي ابو عبد الله ثقة قال الشهيد الثاني في الحاشية كانه يريد به الحسين بن محمد بن عمران
بن ابي بكر الاشعري الثقة وهو شيخ محمد بن يعقوب الكليني يفهم ذلك من كتاب النجاشي
والرواية عنه في الكافي كثيرة جدا وكان الاولى التصريح باسم ابيه كما فعل في كتاب
النجاشي وهو غير مذكور في كتاب ابن داود انتهى عن احمد بن محمد السياري في الخلاصة احمد
ابن محمد بن سيار بالسين غير المعجمة والياء المنقطة تحتها نقطتين المشددة والراء بعد الالف
ابو عبد الله الكاتب بصري كان من كتاب آل طاهر في زمن ابي محمد عليه السلم ويعرف بالسياري

ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفو الرواية كثير المراسيل حكى محمد بن محبوب عنه في كتاب نوادر
المصنف انه قال بالتناسخ انتهى وقال الكشي انه اصبهاني ويقال بصري عن ابي يعقوب البغدادي
الكاتب اسمه يزيد بن حماد الانباري السلمي ثقة وفي الخلاصة عند وصف ابنه يعقوب انه ابن يزيد
ابن حماد الانباري السلمي ابو يوسف الكاتب من كتاب المنتصر وقال الكشي عن ابن مسعود
عن الحسن بن علي بن فضال انه كان كاتبا لابي دلف القسم وكان يعقوب من اصحاب الرضا ع
وروى يعقوب عن ابي جعفر الثاني ع واشتغل له ببغداد وكان ثقة صدوقا وكذلك ابوه قال
ابن السكيت اسمه يعقوب بن اسحق ابو يوسف كان متقدما عند ابي جعفر الثاني ع وابي الحسن
عليهما السلم قتله المتوكل لاجل التشيع وامره مشهور وكان عالما بالعربية واللغة مصدق
لا يطعن عليه صه لابي الحسن عليه السلم لماذا بعث الله موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء
وآلة السحر وبعث عيسى عليه السلم بآلة الطب وبعث محمدا صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب
فقال ابو الحسن عليه السلم ان الله لما بعث موسى كان الغالب على اهل عصره السحر فاتاهم
من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله وما ابطل به سحرهم واثبت به الحجة عليهم وان الله بعث
عيسى عليه السلم في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس الى الطب فاتاهم
من عند الله بما لم يكن عندهم مثله وبما احيى لهم الموتى وابرأ الاكمه والابرص باذن الله
واثبت به الحجة عليهم وان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على اهل
عصره الخطب والكلام واظنه قال الشعر فاتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما ابطل به
قولهم واثبت به الحجة عليهم قال فقال ابن السكيت تالله ما رأيت مثلك قط فما الحجة على
الخلق اليوم قال فقال عليه السلم العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب
على الله فيكذبه قال فقال ابن السكيت هذا والله هو الجواب الشرح السحر في اللغة
صرف الشيء عن وجهه وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر وقد سحره من باب منع سحرا والساحر
العالم به وسحره ايضا علله وخدعه ايضا وهو ساحر وهم سحرة ولفظ السحر في عرف الشرع
مختص بكل امر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه ومتى اطلق ولم يقيد
افاد ذم فاعله قال سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم و
عصيهم تسعى وقال يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقد يستعمل فيما يمدح ويحمد وقوله صلعم
ان من البيان لسحرا يحتمل الوجهين المدح والذم فمن حيث ان صاحبه قادر على استمالة
القلوب بحسن عبارته وابلاغ كلامه فمن هذا الوجه يشبه بيانه سحرا ويذكر في مقام المدح
ومن حيث يكون مقتدرا على تحسين ما يكون قبيحا وتقبيح ما يكون حسنا فذلك يشبه السحر
ويكون مذموما ولذا قال بعضهم في معنى قوله صلعم ان من البيان لسحرا اي فيه يصرف قلوب
السامعين وان كان غير حق وقيل معناه ان من البيان ما يكسب به من الاثم ما يكتسبه

الساحر

الساحر بسحره فيكون في معرض الذم وقيل يجوز ان يكون في معرض المدح لانه يستمال به
القلوب ويترضى به الساخط ويستنزل به الصعب واعلم ان السحر على اقسام كثيرة منها سحر
الكذابين يخدعون الناس ويخوفونهم باكاذيب الكلام ومنها تأثيرات النفوس والاوهام
مثاله ان الجذع مما يتمكن الانسان من المشي عليها لو كان موضوعا على الارض ولو كان
كالجسر على هاوية لا يمكنه المشي عليه وما ذلك الا ان يتخيل السقوط متى قوي او جبه ومنها
الرقى والتبخيرات والطلسمات بالاستعانة بالكواكب او بالنفوس الارضية او بالتمزيج
بين القوى السماوية والارضية ومنها ما يفعله المشعبذ من التخييلات والاخذ بالعيون
اما بسرعة التحريكات او باراءة الاشياء على خلاف ما هي عليه ومن هذا القبيل اغلاط البصر
كما يرى راكب السفينة السفينة ساكنة والشط متحركا وكما يرى الانسان النقطة الجوالة
دائرة والقطر النازل خطا مستقيما وامثال ذلك كثيرة ومنها ما يفعله المرايا والانعكاسات
الشعاعية ومنها ما يفعله بعضهم من الاعمال العجيبة المبتنية على تركيب الالات المركبة على
نسب وضعية واشكال هندسية وتحريكها اما بالتسخين بحرارة الشمس او النار او لضرورة
الخلا وغير ذلك ومن هذا الباب صندوق الساعات وجر الاثقال وهو ان يجر ثقيلا
عظيما بآلة خفيفة ولا ينبغي ان يعد من السحر لان لها اسبابا معلومة يقينية من اطلع عليها
قدر عليها لكن الاطلاع عليها لما كان عسرا شديدا لا يطلع عليها الا الفرد بعد الفرد
لا جرم عد اهل الظاهر ذلك سحرا ومنها الاستعانة بخواص الادوية كما يجعل في طعام
بعض الادوية المبلدة المزيلة للعقل فاذا تناوله الانسان يبلد ذهنه ويزول عقله
فربما يتكلم بكلمات مزخرفة ويفعل افعالا قبيحة ومنها غير ذلك ولعل الذي كان يجيء
سحرة فرعون به من ضروب تركيب الآلات على اشكال عجيبة حيوانية وتحريكها بالزئبق
وغيره فيخيل من سحرهم انها تسعى اي تحرك بنفسها واراد انها كمشي الحيوان بسرعة الطب
بحركات الطب والطبيب العالم به وجمع القلة الاطبة والكثرة الاطباء وما كنت طبيبا
ولقد طببت بالكسر والمتطبب المتعاطي علم الطب وكل حاذق في امر عارف به فهو طبيب
عند العرب وبه سمي الطبيب الذي يعالج المرضى ويستطب لوجعه اي يستوصف الدواء
ايها يصلح لدائه والطب ايضا السحر وقد طب الرجل فهو مطبوب اي اصابه سحر والطب
في الاصطلاح علم يعرف منه احوال بدن الانسان من جهة ما يصح ويمرض ليحفظ الصحة
اذا كانت حاصلة ويستردها اذا كانت زائلة وهو قسمان نظري لا يتعلق بعمل او
بكيفية عمل وعملي يتعلق به او بها وكلاهما قواعد نظرية وآراء كلية خارجة عن مباشرة
عمل او ممارسة فعل الزمانات جمع الزمانة آفة في الانسان بل في الحيوان او في عضو
منه يمنعه عن الحركة كالفالج واللقوة والبرص وغيرها ويطلق المزمن بصيغة الفاعل على كل

طال زمانه ويقال رجل زمن اي مبتلي بين الزمانة للذي طال مرضه زمانا قال ابو حامد الموت ليس
الا زمانة كلية حاصلة في جميع الاعضاء فيخرج به البدن عن تصرف النفس وتحريكها اياه كما
يخرج العضو بسبب الزمانة عن تصرفها وتحريكها اقول لعل ما ذكره من باب التشبيه والا فالفرق
ثابت بين الموت والزمانة سوا كانا في عضو واحد او في كل البدن فان تعلق النفس
ببدن او عضو منه قد يكون بكل القوى النفسانية والحيوانية والطبيعية وقد يكون ببعضها
الا يرى ان الانسان عند النوم وبعد زوال الموت تتجرد نفسه عن بدنه لا بجميع القوى والا لفسد
البدن في زمان قريب بل ببعضها كما يظهر من الحديث المنقول عن ابي عبد الله ع في هذا الكتاب
وغيره باسانيد معتبرة منها ما رواه ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله بسنده المتصل
الى محمد بن قاسم النوفلي قال قلت لابي عبد الله ع يرى الرؤيا فتكون كما يراه وربما راى
الرؤيا فلا يكون شيئا فقال ان المؤمن اذا نام خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة
الى السماء فكل ما رآه روح المؤمن في ملكوت السماء في موضع التقدير والتدبير فهو الحق وكل
ما رآه في الارض فهو اضغاث احلام فقلت له وتصعد روح المؤمن الى السماء قال نعم
قلت حتى لا يبقى منه شيء قال اذن لمات قلت فكيف يخرج فقال اما ترى الشمس في السماء
في موضعها وضوؤها وشعاعها في الارض فكذلك الروح اصلها في البدن وحركتها ممدودة
فاذن عند زمانة العضو كاليد مثلا ينقطع عنه قوة الحس والحركة الحيوانية ولا ينقطع
عنه القوى النباتية كالجذب والدفع والامساك والهضم ولهذا يبقى مدة من غير ان
يفسد والاكمه الذي يولد اعمى وقد كمه بالكسر كمها واستعاره لبعض الشعراء فجعلها عارضا
بقوله كمهت عيناه حتى ابيضتا والبرص داء مشهور وهو بياض يحدث في ظاهر الجلد
وقد يكون اسود ويقرب منه مرض آخر يسمى بالبهق وهو ايضا يكون ابيض واسود
والفرق بينهما ان البهق يكون في الجلد ولا يكون له غور والبرص يكون نافذا في الجلد
واللحم والى العظم والسبب العام للجميع كما ذهب اليه الاطباء الضعف خلط ردي
بارد كثيف في العضو لضعف معه فعل الهاضمة فانها اذا ضعفت لم تقدر على تمام
التشبيه لكن المادة في البهق ارق والقوة الدافعة اقوى فدفعت الى السطح والمادة
في البرص اغلظ والقوة الدافعة اضعف فارتبكت في الباطن وافسدت مزاج
ما نفذت وكانت زيادة الصاق بلا تشبيه واذا تمكنت هذه المادة احالت الغذاء
الذي يجي اليها الى طبعها وان كان اجود غذاء والبهق الابيض في سطح الجلد بخلاف الاسود في
فانهما يتخالفان من جهة اخرى وهي ان البرص الاسود يتقشر معه الجلد ويعرض له خشونة
عظيمة وتفليس كما يكون للسمك وتكونه من سوداء ردية فاثرت في العضو تاثيرا قويا
من تغير لونه وهو من مقدماته الجذام ابن السكيت بكسر السين الغير المعجمة والكاف المشددة

لسائل

المكسورة وكان اديبا فاضلا فاذا انفتحت معاني مفردات الالفاظ فنقول غرض هذا ا
وهو ابن السكيت في سؤاله عنه عليه السلم مطلبان الاول بيان العلة والفايدة في اختصاص
كل نبي من الانبياء عليهم السلم بمعجزة مخصوصة كاختصاص موسى ع بالعصا واليد البيضاء وما يبطل
به السحر ويناسبه وهو المخ من قوله وآلة السحر وكاختصاص عيسى ع بما هو من جنس الطب
من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى واختصاص خاتم الرسل عليه وعليهم السلم بالقرآن
وما هو من جنس الكتب والرسايل فاجاب ع بذكر ما هو السبب في ذلك وبيان الحاجة اليه
والفايدة فيه بان معجزة النبي ينبغي ان يكون من جنس ما هو الغالب على قومه ليظهر الحجة عليهم
باتيان ما لم يقدروا عليه وليس في وسعهم مع انه من جنس ما كانوا قادرين عليه اما قوم
موسى ع فكان الغالب عندهم وفيهم السحر والتخييل فاتاهم من عند الله بما لم يكن في مقدرتهم
فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين
قالوا آمنا برب العالمين لانهم علموا الفرق بين السحر والمعجزة فان السحر كما سبق ذكره انما
ليس الا تمويهات وتخييلات من باب الحيل والخدايع والمكايد ومن تاثيرات نفسانية
مستعملة في الشر كاصابة العين ونحوها بخلاف المعجزة والكرامة فانها جاءت من عند الله
بقوة ملكوتية ربانية يطيعها النفوس والابدان فيؤثر فيها تاثيرا تاما حقا مستعملا
لاجل الخير واصلاح الخلق وحفظ النظام فيها كملت الحجة وتمت النعمة واما قوم عيسى عليه السلم
فكان الغالب عليهم الطب اذ كثرت فيهم الزمانات والامراض المزمنة واحتاجوا
الى المعالجة بالطب فبعث الله عز وجل من كان يعالجهم ويبريهم من الكمه والبرص ويحيي
الموتى كل ذلك لا بصناعة طبية بل بقوة ربانية ونفس قدسية وكما علم ان ما فعله
الكليم من قلب العصا حية تسعى وانزال الرجز من السماء وتفجير الحجر اثني عشرة عينا
وتظليل الغمام عليهم متى شاء بالدعاء وانزال المن والسلوى ليس من باب السحر بل من
قبل الله تع فكذا يعلم يقينا ان ما فعله المسيح ع من احياء الموتى وغيره ليس من باب
صناعة المعالجين والاطباء واما قوم محمد صلى الله عليه وآله فكان الغالب على زمانهم انشاء
الخطب والرسايل والمبالغة في فصاحة الكلام وبلاغته وحسن البيان وسلاسة
ومراعاة المطابقة لمقتضى الحال والمحافظة على محاسن اللفظ وبدايع النكت الغريبة
ولطايف المناسبات العجيبة ووجوه الاستعارات والتخييلات وانحاء المجازات
والكنايات وساير ما يزيد في الكلام رونقا وتاثيرا في القلوب فبعث الله عليهم النبي
متحديا بالقرآن كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه ناطقا حججه وبيناته وسوره وآياته
عجز عن الاتيان بما يماثلها او يدانيها مصاقع الخطباء مشتملا على رموز واسرار وعلوم وانوار
تحيرت في ادراكها عقول الاولين ومواعظ وحكم تبلدت عن فهمها اذهان الحكماء ولم تقصد لمعارضته

اقصر سورة من سوره واحد البقضى ولم ينهض للقدح في كلمة من كلماته ناهض من اذكيا البلغا مع
طول المدة وكثرة العدة وشدة الحرص وقوة الكد وغاية العصبية ونهاية الانانية والافراط
في المضادة والمضارة والرسوخ في المعازة والمفاخرة فاختاروا المقاتلة بالسيف والسنان
على المعارضة بالكلام والبيان والحجة والبرهان بعد ما عجزوا بين الامرين وجربت لهم الآية
كلتا المعجزتين الحجة بالفصاحة اولا والسيف والنبي عم اخيرا فاختاروا المعارضة الا ان عجزوا وما
عارضوا الا بالسيف فعلم ان ما اتى به خارج عن مقدرة البشر وانما هو امر من عند خالق القوى
والقدر والنسبة بينهما كالنسبتين المذكورتين آنفا وقوله والظنة قال الشيخ شكر من
الراوي اخفا ابو يعقوب البغدادي ولما وقف ابن السكيت على نبذ من اسرار علمه عليه السلم
وانوار حكمته ومعرفته في باب كيفية ارسال الرسل بالمعجزات وفايدة انزال الكتب
والآيات قال ما رايت مثلك قط ولعله عرف بامامته وصدق بولايته وعصمته
سلام الله عليه وعلى آبائه اجمعين واما المطلب الثاني فهو انه على ظاهر كلامه ان
الحجة على الخلق في زمان كل نبي من الانبيا عليهم السلم كانت معجزة ذلك النبي عم وكانت من
جنس ما كان غالبا على قومه فاطاعوه وآمنوا به وعرفوا صدق دعواه لما شاهدوا
منه اظهار المعجزة واحسوا بها فان اكثر الناس اذعن واطوع للمحسوس منهم
للمعقول فالحجة عليهم عندما غابت عنهم الانبيا المؤيدون بالمعجزات والدليل النقلي
غير كاف في حصول الايمان واليقين والقرآن وان كان باقيا الآن لكن ليس
الغالب على الخلق اليوم عزيزة الفصاحة حتى يعرفوا حجيته فاجاب عليه السلم بان الحجة
عليهم في هذا الزمان العقل فقط به يعرف الحق من الباطل والصدق من الكذب
فيقع به اذعان الصادق على الله ورسوله وتكذيب المفترى عليه وعلى رسوله لاشتباههما
على ترقي الاستعدادات ولطافة القرايح في هذه الامة المسلمة حتى استغنوا بعقولهم
عن مشاهدة المعجزات المحسوسة فان حصول الايمان بالله واليوم الآخر من جهة المعجزة
الحسية دين العوام ومنهج العوام واهل البصيرة لا يقنعون بها اذ لا يحصل بها
الا العقيدة بالقلب دون الانكشاف على البصيرة والاذعان في الظاهر دون
انشراح الصدر بنور اليقين في القلب افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه وذلك لتطرق الشبهة في المعجزات الحسية ولا شبهة في اليقينيات العقلية ولذلك
من آمن بموسى عم بصيرورة العصا ثعبانا كفر به واذعن للسامري بعجل جسدا
له خوار فافاد عليه السلم ان العقل هو الحجة على الناس في هذا الزمان لا غير لما بايدي عقولهم
من الكتاب المنزل على نبيهم صلعم والميزان النازل معه من السما لقوله تع لقد ارسلنا رسلنا
بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط اخبر عم ذو عقل

ولبصيرة

ولبصيرة ان الميزان المقرون نزوله مع نزول القرآن هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة او
ان الميزان المقابل وضعه برفع السماء في قوله والسماء رفعها ووضع الميزان هو نحو الطيار والقبان
فما ابعد هذا الحسبان وما اعظم هذا البهتان وانما هو ميزان المعرفة والدين وقسطاس الحق واليقين
علمنا الله عز وجل طريق الوزن به في معرفة الله تع ومعرفة انبيائه وكتبه ورسله وملكه وملكوته
ومعرفة اليوم الآخر وثوابه وعقابه ورضوانه ونيرانه وساير ما جاءت به الانبيا واشارت
به الائمة والاوصيا المعصومون من اهل البيت سلام الله عليهم اجمعين فعلينا كيفية وزن المعارف
والعلوم بهذا الجنس من الميزان المنقسم الى الموازين الخمسة المنزلة في القرآن وهي في
الاصل ثلثة اقسام بالقسمة الاولية ميزان التعادل وميزان التلازم وميزان التعاند
لكن الاول ينقسم الى ثلثة اقسام الاكبر والاوسط والاصغر فيصير الجميع خمسة ولتعريف
كل منها واشكالها وشرايطها والفرق بين منتجها وعقيمها ومنخوضها وسقيمها ومعيار الوزن
بها مذكور في كتب بعض علما الاسلام وهي وان كانت موازين روحانية لا جسمانية لكنها
الموازين المحسوسة ولا اشتراك بين الروحانيات والجسمانيات في نحو الوجود ولكنها
مع ذلك لها مشاركة مع هذه الجسمانيات في كثير من المفهومات الذاتية اعني ما هو روح
المعنى مطلق عن قيد التجسم والتجرد سيما ميزان التعادل باقسامه فانه ذو كفتين متعلقتين
بالعمود والعمود مشترك في الكفتين به ترتبط كل منهما بما ارتبطت به الاخرى فاما
ميزان التلازم فهو بالقبان اشبه لانه ذو كفة واحدة لكن مقابلها من الجانب الآخر الرمانة
وبها يظهر التفاوت والتقدير فاعلم ان اول من استعمل شيئا من هذه الموازين النازلة
الينا في القرآن هو الخليل على نبينا وعليه السلم بتعليم الله فانه استعمل الميزان الاكبر
في احتجاجه مع نمرود فالميزان الاكبر ميزان الخليل فمنه نعلمن اخذ الميزان لكن بواسطة
القرآن كما حكى الله عنه انه قال ربي الذي يحيي ويميت وذلك لان الاله تعالى
هو القادر على كل شئ فقال ابرهيم عم الهي هو الاله الحق لان الهي يحيي ويميت وهو القادر
عليه وكل ما هو كذلك فهو الاله فالهي هو الاله فلبست بالآية اذ القرآن مبناه على الحذف والايجاز
كما هو كذلك في مواضع لا تحصى فقال نمرود وانا احيي واميت لزعمه انه يحيي النطفة بالوقاع
ويميت بالقتل فلما راى ابرهيم ان ذلك يعسر عليه فهمه عدل في الاحتجاج معه لما هو
اوضح عنده فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي
كفر وقد اثنى الله تع عليه ثنا عظيما فقال وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات
من نشاء فالحجة والبرهان في قوله وميزانه فرأيناه في حجته وميزانه اصلين ازدوجا فتولد
منها النتيجة التي هي المعرفة فصورة هذا الميزان ان نقول كل من قدر على اطلاع الشمس فهو
الاله فهذا اصل والهي هو القادر على الاطلاع هذا اصل آخر فيلزم من مجموعهما بالضرورة ان

التي هو الآلة دونك يا بني واعلم ان اشتغال هذه الموازين الخمسة كلها ثابتة في القرآن
نازلة في السور والآيات علم الله تعالى خلقه بها ولولا مخافة الاطناب لاوردناها بجميع
واحدا واحدا واوضحنا كيفية الوزن بها لكن فيما ذكرناه من مثال الميزان الاكبر من موازين
التعادل غنية وكفاية للمستبصر في ان يتفطن بالبواقي فقد علمت اذن ان المعلم الاول
في معرفة هذه الموازين هو الله والثاني جبرئيل بلسان الشريعة وهو المسمى بروح القدس
عند قوم وبالعقل الفعال عند طائفة والمعلم الثالث هو الرسول صلى الله عليه وآله والخلق كلهم يتعلمون
من الرسول ما لهم طريق غير سبيله ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يتقبل منه الا ان
بعضهم كالائمة عليهم السلام يستفيضون المعارف من سره وباطنه بلا واسطة وبعضهم
بسواهم واعلم ان الرأي والقياس من جملة موازين الشيطان وهو واضعه ومستعمله
اولا فان اول من قاس ابليس ثم اتباعه من اخوان الشياطين وهو قياس في غاية
التعارض والالتباس ومن زعم من رفقائنا ان ذلك ميزان المعرفة فنسأل الله
ان يكفي شره وضرره عن الدين وعن اخواننا الصالحين فانه للدين صديق جاهل وهو
شر من عدو عاقل ثم اعلم ان استعمال هذه الموازين يجري في انحاء التعاليم وهي
صنوف الاغذية الروحانية كما يوزن بموازين الاجسام اصناف الاغذية البدنية
كالحنطة والشعير واللحم واللبن وغيرها قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
لقوم والموعظة الحسنة هذه لقوم آخرين وجادلهم بالتي هي احسن هذا لقوم غيرهما فالحكمة
ان غذي بها اهل الموعظة اضرت بهم كما يضر بالطفل الرضيع التغذية باللحم والمجادلة ان
استعملت مع اهل الحكمة اشمأزوا عنها كما يشمئز طبع الرجل القوي عن الارتضاع بلبن
الآدمي وان استعمل الجدل مع اهل الجدال لا بطريق الاحسن اضر بهم ايضا لعدم
الفهم وعادتهم الا بما نشأوا فيه واعتادوا به بل ينبغي لهم ان يتلطف باصحاب
المجادلة القاصرين عن درك الحقائق الحكمية بان يستعمل لاجلهم ما يلائم طباعهم ويوا
فق مزاجهم من الاغذية العلمية فان التغذية بالغذاء الموافق احفظ والعلاج بما لا يوافق
اخفى وهذه دقائق لا يدرك الا بنور التعليم المقتبس من مشكاة النبوة واشراق
الولاية الحديث الحادي والعشرون الحسين بن محمد عن معلى بن محمد البصري بالباء الموحدة
تحتها نقطة ابو الحسين قال في الخلاصة مضطرب الحديث والمذهب وقال ابن الغضائري
المعلى بن محمد البصري ابو محمد نعرف حديثه وننكره يروي عن الضعفاء ويجوز ان يخرج شاهدا
عن الوشاء هو الحسن بن علي بن زياد الوشاء بجلي كوفي قال الكشي يكنى بابي محمد الوشاء
وهو ابن بنت الياس الصيرفي خزاز من اصحاب الرضا عليه السلام وكان من وجوه هذه الطائفة
وروى الصدوق رحمه الله في عيون اخبار الرضا عن ابيه عن سعد عن صالح بن ابي حماد

عن الحسن

عن الحسن بن علي الوشاء قال كنت قبل ان اقطع على الرضا عليه السلام جمعت ما روي عن آبائه عليهم السلام
وغير ذلك مسائل كثيرة في كتاب واحببت ان اثبت في امره واختبره فحملت الكتاب في
كمي وصرت الى منزله اريد منه خلوة اناوله الكتاب فجلست ناحية متفكرا في الاحتيال للدخول
فاذا بغلام قد خرج من الدار في يده كتاب فنادى ايكم الحسن بن علي الوشاء فقمت اليه وقلت
انا قال فهاك خذ الكتاب فاخذته وتنحيت ناحية فقرأته فاذا والله فيه جواب
مسألة مسألة فعند ذلك قطعت عليه وتركت الوقف عن المثنى الحناط المذكور في الخلاصة
بهذا الاسم رجلان احدهما مثنى بن عبد السلام قال الكشي قال ابو النضر محمد بن مسعود قال علي بن
الحسن انه كوفي حناط لا بأس به وثانيهما مثنى بن الوليد قال الكشي قال ابو النضر محمد بن مسعود
قال علي بن الحسن مثل ما مر وقال الفاضل الاسترابادي المثنى بن عبد السلام له كتاب عنه
القسم بن اسمعيل ست حبش بن عبد السلام العبدي مولى بني هاشم كوفي ثقة وقال المثنى
بن الوليد الحناط ست حبش مولى كوفي روى عن ابي عبد الله له كتاب عنه جماعة منهم الحسن
ابن علي بن يوسف بن بقاح حبش عن قتيبة الاعشى بن محمد المؤدب ابو محمد المقرئ مولى
الازد ثقة عين روى عن ابي عبد الله عليه السلام عن ابن ابي يعفور هو عبد الله بن ابي يعفور
بالياء المنقطة تحتها نقطتين والعين المهملة الساكنة والفاء والراء بعد الواو واسم ابي يعفور
واقد بالقاف وقيل وقدان يكنى ابا محمد ثقة ثقة جليل في اصحابنا كريم على ابي عبد الله عليه السلام
ومات في ايامه وكان قاريا يقرئ في مسجد الكوفة وروى الكشي عن محمد بن قولويه عن سعد
عن علي بن سليمن بن داود الرازي عن علي بن اسباط عن ابيه اسباط بن سالم عن ابي الحسن
ابن سالم عن ابي الحسن بن موسى عليه السلام ان عبد الله بن ابي يعفور من حواري ابي جعفر محمد
ابن علي وحواري جعفر بن محمد عليهما السلام وعن علي القتيبي عن الفضل بن شاذان عن ابن
ابي عمير عن عدة من اصحابنا قال كان ابو عبد الله عليه السلام يقول ما وجدت احدا يقبل وصيتي
ويطيع امري الا عبد الله بن ابي يعفور رحمه وفي تهذيب الحديث للشيخ الطوسي عليه الرحمة
في باب الشهادة ان ابن ابي يعفور هذا الزمته شهادة فشهد بها عند ابي يوسف القاضي
فقال له ابو يوسف ما عسيت ان اقول فيك يا ابن ابي يعفور وانت جاري ما علمتك
الا صدوقا طويل الليل ولكن تلك الخصلة قال وما هي قال ميلك الى الترفض فبكى ابن ابي
يعفور حتى سالت دموعه ثم قال يا ابا يوسف تنسبني الى قوم اخاف ان لا اكون منهم
قال واجاز شهادته عن مولى لبني شيبان عن ابي جعفر عليه السلام قال اذا قام قائمنا
وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت احلامهم الشرح قوله عليه السلام
اذا قام قائمنا هو المهدي صاحب الزمان صلوات الله وسلامه وهو اليوم موجود حي
الا انه غائب عن ابصار الناس مستور عن الحواس وانما سمي بالقائم لانه موجود يخرج الى الوجود

لا يذبل ولا يمرض ولا يهرم ولا يتأثر بتغيرات الامور ولا يحلله صروف الدهور ولا يعتريه الموت
والهلاك بتأثير حركات الكواكب والافلاك بل انما يحيى ويموت حسب ارادة الله تعالى ومشيته
من غير تسبب اسباب وتوسط علل واستعدادات مواد ومع ذلك ليس ان جوهر روحه
مفارق عن الجسد بل ياكل ويشرب ويتكلم ويتحرك ويسكن ويمشي ويجلس ويكتب كما دل عليه
ما في كلام امير المؤمنين ع في الحديث المشهور الذي نقلته الثقات من رواية كميل بن زياد النخعي
من قوله صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالملأ الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة
الى دينه وذلك بعد ان قال اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مشهور
او مستتر مغمور لئلا يبطل حجج الله وبالجملة كيفية حيوته وبقائه عليه السلم في الارض ككيفية حيوة
عيسى وبقائه عليه السلم في السماء ومن انكر وجود المهدي عليه السلم الآن او استبعد طول حيوته
هذا القدر فذلك لقصور علمه وضعف ايمانه او قلة معرفته بكيفية ذلك ومن قوله اذا قام
اي خرج وظهر وهذا الخروج لا محالة كائن ولو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد للاخبار والروايات الصحيحة
الواردة في هذا الباب الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى رواها الموالف والمخالف جميعا وعليه اتفق
اطباق الائمة المسلمين سيما ارباب القلوب واصحاب المكاشفات وقد نقل شيخنا البهائي
روح روحه في شرحه للاحاديث الاربعين ملخصا ما ذكره الشيخ العارف المحقق محيي الدين
الاعرابي في هذا المطلب من الفتوحات المكية ونحن نذكر ذلك الفصل بعينه من غير حذف
شيء منه ليحيط الناظر باطراف كلامه ويزيده بصيرة ووضوحا قال الباب الثالث والستون
وثلثمائة في معرفة وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان اعلم ايدنا الله ان لله خليفة
يخرج وقد امتلأت الارض ظلما وجورا فيملؤها قسطا وعدلا لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد
طول الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله صلعم من ولد فاطمة يواطي اسمه
اسم رسول الله صلعم جده الحسين بن علي بن ابي طالب يبايع بين الركن والمقام يشبه
رسول الله صلعم في الخلق بفتح الخاء وينزل عنه في الخلق بضم الخاء لانه لا يكون احد مثل رسول الله
في خلقه والله يقول فيه وانك لعلى خلق عظيم هو اجلى الجبهة اقنى الانف اسعد الناس به
اهل الكوفة يقسم المال بالسوية ويعدل في الرعية ويفصل في القضية ياتيه الرجل فيقول
يا مهدي اعطني وبين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله يخرج على فترة من الدين
يزع الله به ما لا يزع بالقرآن يمسي الرجل جاهلا جبانا بخيلا ويصبح اعلم الناس اكرم الناس
اشجع الناس يصلحه الله في ليلة يمشي النصر بين يديه يعيش خمسا او سبعا او تسعا يقفي
اثر رسول الله لا يخطئ له ملك يسدده من حيث لا يراه ويقوي الضعيف ويعين على نوائب
الحق يفعل ما يقول ويقول ما يعلم ويعلم ما يشهد يفتح المدينة الرومية بالتكبير في سبعين الفا
من المسلمين من ولد اسحق يبيد الظلم واهله ويقيم الدين ينفخ الروح في الاسلام يعز الاسلام

ويحيى

ويحيى بعد موته يضع الجزية ويدعو الى الله بالسيف فمن ابى قتل ومن نازعه خذل يظهر من الدين
ما هو الدين في نفسه ما لو كان رسول الله يحكم به يرفع المذاهب من الارض فلا يبقى الا الدين
الخالص اعداؤه مقلدة العلماء واهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهب اليه ائمتهم
فيدخلون كرها تحت حكمه خوفا من سيفه وسطوته ورغبة فيما لديه يفرح به عامة المسلمين اكثر من
خواصهم يبايعه العارفون من اهل الحقايق عن شهود وكشف بتعريف الهي له رجال الهيون
يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء يحملون اثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله ينزل
عليه عيسى بن مريم بالمنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين متكئا على ملكين ملك عن
يمينه وملك عن يساره يقطر راسه ماء مثل الجمان يتحدر كانما خرج من ديماس والناس في صلوة
العصر فيتنحى له الامام من مقامه فيتقدم فيصلي بالناس يؤم الناس بسنة محمد صلعم يكسر الصليب
ويقتل الخنزير ويقبض الله المهدي اليه طاهرا مطهرا ثم قال ؛ الا ان ختم الاولياء شهيد
وعين امام العالمين فقيد ؛ هو السيد المهدي من آل احمد ؛ هو الصارم الهندي حين يبيد
هو الشمس يجلو كل غم وظلمة ؛ هو الوابل الوسمي حين يجود ؛ وقد جاءكم زمانه واظلكم اوانه
وظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلثة الماضية قرن رسول الله صلعم وهو قرن
الصحابة ثم الذي يليه ثم الذي يلي الثاني ثم جاء بينهما فترات وحدثت امور وانتشرت اهواء
وسفكت دماء وعاثت الذئاب في البلاد وكثر الفساد الى ان طم الجور وطمس سبيله
وادبر نهار العدل بالظلم حين اقبل ليله فشهداؤه خير الشهداء وامناؤه افضل الامناء
وان الله يستوزر له طائفة خباهم له في مكنون غيبه اطلعهم كشفا وشهودا على الحقايق
وما هو امر الله عليه في عباده فبمشاورتهم يفصل ما يفصل وهم العارفون الذين عرفوا
ما ثم واما هو في نفسه فصاحب سيف حق وسياسة مدنية يعرف من الله قدر ما يحتاج
اليه مرتبته ومنزلته لانه خليفة مسدد يفهم منطق الحيوان يسري عدله في الانس والجان
من اسرار علم وزرائه الذين استوزرهم الله قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين
وهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم من الاعاجم ما فيهم عربي لكنهم لا يتكلمون الا بالعربية
لهم حافظ ليس من جنسهم ما عصى الله قط هو اخص الوزراء وافضل الامناء فاعطاهم
في هذه الآية التي اتخذوها هجيرا في ليلهم سميرا افعلوا ان الصدق سيف الله في ارضه
ما قام باحد ولا اتصف به احد الا نصره الله لان الصدق نعته والصادق اسمه فنظروا
باعين سليمة من الرمد وسلكوا باقدام ثابتة في سبيل الرشاد فلم يروا الحق قيد مؤمنا
من مؤمن بل اوجب على نفسه نصرة المؤمنين ثم قال واصحاب علم الرسوم ليست لهم
هذه المرتبة اي مرتبة التعريف الالهي والاخذ عن عالم الالهام لما اكبوا عليه من الجاه و
الرياسة والتقدم على عباد الله واحتقار العامة اليهم فلا يفلحون في انفسهم ولا يفلح بهم

وهي حالة فقهاء الزمان الراغبين في المناصب من قضاء وحسبة وتدريس وشهادة واما المتشبهون
منهم بالدين فيحجبون اكفاهم وينظرون الى الناس من طرف خفي نظر الخاشع ويحركون شفاههم
بالذكر ليعلم الناظر اليهم انهم ذاكرون ويتعجبون في كلامهم ويتشدقون ويغلب عليهم رعونات
النفس وقلوبهم قلوب الذئاب لا ينظر الله اليهم هذا حال المتدينين منهم لا الذين هم قرناء
الشيطان لا حاجة للناس بهم لبسوا للناس جلود الضأن من اللين اخوان العلانية اعداء
السريرة فالله يراجع بهم فيأخذ بنواصيهم الى ما فيه سعادتهم واذا خرج هذا الامام المهدي
فليس له عدو مبين الا الفقهاء خاصة فانهم لا يبقى لهم رياسة ولا تمييز عن العامة ولا يبقى لهم
علم بحكم الا قليل ويرتفع الخلاف من العالم في الاحكام بخروج هذا الامام ولولا ان السيف
بيده لافتى الفقهاء بقتله ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطيعون ويخافون ويقبلون
حكمه من غير ايمان بل يضمرون خلافه بل يعتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير مذهبهم انه على ضلالة
في ذلك الحكم لانهم يعتقدون ان اهل الاجتهاد وزمانه قد انقطع وما بقي مجتهد في العالم
وان الله لا يوجد بعد ائمتهم احدا له درجة الاجتهاد واما من يدعي التعريف الالهي بالاحكام
الشرعية فهو عندهم مجنون فاسد الخيال لا يلتفتون اليه فان كان ذا مال وسلطان
انقادوا له في الظاهر رغبة في ماله وخوفا من سلطانه وهم ببواطنهم كافرون انتهى
كلامه واعلم ان اكثر ما ذكره في ما نقلناه من عبارته اولا موجود في كتب الحديث بعضها
على طريقة اصحابنا وبعضها على غير طريقتهم وانظروا ايها الاخوان الى ما في كلامه من المعاني
الدالة على كيفية مذهبه كقوله ان الله خليفة وقوله اسعد الناس به اهل الكوفة وقوله
اعداؤه مقلدة العلماء اهل الاجتهاد وقوله انه على ضلالة وقوله لانهم يعتقدون ان اهل
الاجتهاد وزمانه قد انقطع الى آخره ثم في كلامه فوايد شريفة ولطايف عجيبة تأملوا
فيه لعلكم تهتدون الى مقاصده هداية حكمية ان الثابت بالشرع والعرفان
والشهود والايمان وجود مولانا المهدي صاحب الزمان صلوات الرحمن وبقائه
من حين ولادته الى الآن ولنا في تحقيق هذا المرام وامثاله مسلك انيق ومنهج دقيق
ليس هنا موضع تفصيله واجماله ما اشرنا اليه آنفا من كون وجوده ع وحيوته
في عالم الارض كوجود عيسى ع وحيوته في عالم السماء ومما يلزم الاعتقاد به ما قاله
صاحب الفتوحات في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة منها وهو المعقود
في ارض العبادة واتساعها من قوله فاذا نظرت الى النشأة البدنية فان
معها الارض التي خلق منها وجعل منها غذاؤه وما به صلاح نشأته لم يرزقه الله
في العادة من غيرها ومن اخرق الله فيه العادة بان لم يرزقه منها رزقه من امر خفي
وهو السبب الذي ابقى عليه حيوته فوفر عليه حرارته ورطوبته التي هي مادة حيوته

بامر

بامر لطيف لا يعلمه الا الله ومن اطلعه عليه لان الله ما وضع الاسباب لم يرفعها عن
حق احد وانما اعطى البعض من عباده من النور ما اهتدى به المشي في ظلمات الاسباب من غير ذلك فعلى
هذا يحوا من ذلك على قدر انوارهم فحجب الاسباب مسدلة لا ترفع ابدا فلا تقطع وان تعلق الحي
من سبب فانما تعلق بسبب آخر فلا تطمع فيما لا مطمع فيه ولكن سل الله رشحة من ذلك النور على ذلك
واظهر الامور اللطيفة ان جعل بدنك ذا مسام واحاط بك الهواء الذي هو مادة الحيوة الطبيعية
فانه حار رطب بالذات وجعل فيه قوة جاذبة فهي تجذب في كل وقت فيدرك الاسباب المعتادة
الهواء من مسام بدنك فيغتذي به بدنك وانت لا تشعر دق علينا ان من الحيوانات من يكون غذاؤه
من مسام بدنه ما يجذبه من الرطوبة على ميزان خاص ليكون له البقاء من غير افراط ولا تفريط انتهى
كلامه تبصرة ملكوتية قوله عليه السلم وضع الله يده على رؤس العباد اعلم ان الله منزه
عن الجوارح والاعضاء بل منزه عن التكثر والتغير مطلقا وعن التشبه بشيء من الاشياء اذ ليس
كمثله شيء في الارض ولا في السماء بل منزه عن هذا التنزيه ايضا كما انه منزه عن التشبيه الا انه
يعبر عن واسطة جوده وفيضه وهو ملك من الملائكة باليد او الاصبع كما في قوله تع بل يداه
مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقول النبي ص قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه
كيف يشاء والمراد برؤس العباد نفوسهم الناطقة وعقولهم الهيولانية لان العقل في الادمي
ارفع شيء من قواه واجزائه الباطنة والظاهرة وقوله ع فجمع بها عقولهم اي جمع الله بواسطة
ذلك الملك القدسي والجوهر العقلي عقول العباد من جهة التعليم والالهام فان العقول الانسانية
في اوائل نشأتها متفرقة في طبايع الابدان متفرقة في الحواس متوزعة في ميولها واشواقها
الى الاغراض والشهوات منتشرة في همها ودواعيها [illegible] وشعب الرغبات
ثم اذا ساعده التوفيق وتنبه بان وراء هذه النشأة نشأة اخرى فعلم ذاته وعرف
نفسه واستكمل عقله بالعلم والحال ورجع الى ذاته وارتقى الى معدنه الاصلي وعاد من مقام
التفرقة والكثرة الى المقام الجمعية والوحدة ومن الفصل الى الوصل ومن الفرع الى الاصل
ولما ثبت وتقرر ان النفوس الانسانية من زمن ابينا آدم ع الى وقت بعثة الرسول الخاتم
صلى الله عليه وآله كانت متدرجة في التلطف والتصفي مترقية في حسن القبول والاستعداد
ولهذا كلما جاء رسول بعد رسول كانت معجزة النبي المتأخر اقرب الى المعقول من المحسوس
والى الترقي من التجسم من معجزة النبي المتقدم ولاجل ذلك كانت معجزة نبينا صلى الله عليه وآله
وعلى ساير الانبياء والمرسلين القرآن والكتاب وهو امر عقلي انما يعرف كونه اعجازا
اصحاب العقول الذكية ولو كان منزلا على الامم السابقة لم يكن حجة عليهم لعدم استعدادهم
لدركه ثم من بعثة الرسول ص الى آخر الزمان كانت الاستعدادات في الترقي والنفوس
في التلطف والتزكي ولهذا لم يحتج الى رسول آخر يكون حجة من الله عليهم وانما الحجة منه

عليهم هو العقل الذي هو الرسول الداخلي كما دل عليه الحديث السابق والحديث اللاحق اما
في آخر الزمان بترقية الاستعدادات من النفوس لا قدة لا يحتاجون بعد ما تعلموا من خارج
على الرسم المعهود بين الناس الآن بل يكتفون بالالهام الغيبي عن التأديب الوطني وبالمسدد
الداخلي عن المؤدب الخارجي وبالكمل العقلي عن المعلم الحسي كسائر الاولياء فذلك وحين
هو يد الله يجمع عقولهم ويكمل احلامهم فتأمل في هذا الحديث والذي قبله بعين البصيرة
وتدبر فيما اهدناك في شرحهما طالبا للانكشاف آخذا بالعدل والانصاف معرضا عن
الجدل والاعتساف ليظهر لك بعض الاسرار المختفية تحت الحجب والاستار ويطلع على
بسيط قلبك نور كوكب دري من مطالع عالم الانوار

الحديث الثاني والعشرون

علي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمن ما يحتمل ان يكون في هذه المرتبة من المسمى محمد بن
سليمن مشترك بين الضعفاء والمجاهيل عن علي بن ابرهيم الظاهر انه علي بن ابرهيم بن محمد
بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ابو الحسن
الجواني بفتح الجيم وتشديد الواو ثقة صحيح الحديث خرج مع ابي الحسن الى خراسان
عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله عليه السلم قال حجة الله على العباد النبي عليه السلم
والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل **الشرح** قد علمت مما اشرنا اليه في الحديث
السابق ان النفوس البشرية من ابتداء العالم الى عصر خاتم الانبياء عليه وآله وعليهم السلم
كانت في الترقي وكانت الاديان والشرائع حسب ترقيهم في التكامل والانبياء بعثوا اليهم
في التفاضل الى ان انتهت الاديان الى دين الاسلام وهو اكمل ما يتصور من الاديان
لقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وانتهت
الرسالة والنبوة الى اشرف الرسل وافضل الانبيا وانتهت الامم الى خير امة
اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وشرط الامر والنهي
العلم باحكام الله بمعرفة ما في كتاب الله وسنة نبيه فاذن لا حاجة بعده الى
بعثة نبي آخر او شريعة اخرى ولهذا لم يبعث ولا يبعث بعد ختم الانبياء نبي ولا
بعد شريعته شريعة لما ذكر من السبب اذا علمت ذلك فنقول مراده ع من الحجة
في قوله حجة الله على العباد هي الحجة الظاهرة الواردة من قبل الله لاجل قصور العقول
عن درجة الاكتفاء بما اعطاهم الله من العقل فما هي الا نبي مبعوث من قبل الله ظاهرا
مقرونا بالمعجزات والآيات الواضحة الجلية وفي قوله ع والحجة فيما بين العباد وبين الله
العقل هي الحجة الباطنة لان النفوس لما بعثت عليهم الانبياء ع وجاءت لهم الشرائع
وانزلت اليهم الكتب غاية ما يمكن ان يكون عليه شيء من الحجج الخارجة من النبي والكتاب
والشريعة فلم يبق حجة بعد ذلك فيما بين الخلق والحق الا الحجة الباطنة وما هي الا العقل

الصريح

الصريح النير البصير والحاصل ان الحجة حجتان خارجية وداخلية والناس اما اهل بصيرة
عقلية ام اهل حجاب فالحجة على غير اهل البصيرة هي الخارجية لان الاعمى يحتاج في قطع السبيل
الى قايد خارجي يتبعه تقليدا في كل قدم والحجة على اهل البصيرة المستفادة من اتباع الحجج الخارجية
هي نور البصيرة الداخلية فهم لنور بصيرتهم يسلكون سبيل الله بعقولهم المقتبسة من مشكوة
النبوة والمستنيرة بانوار الكتاب والسنة فلا حاجة لهم في سلوك السبيل في كل قدم الى
قايد خارجي وحجة خارجية بل حجة الله عليهم بصيرتهم ونور عقلهم وهداهم

الحديث الثالث والعشرون

عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد مرسلا قال ابو عبد الله عليه السلم دعامة الانسان
العقل والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم وبالعقل يكمل وهو دليله ومبصره
ومفتاح امره فاذا كان تأييد عقله من النور كان عالما حافظا ذاكرا فطنا فهما فعلم بذلك
كيف ولم وحيث وعرف من نصحه ومن غشه فاذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله
ومفصوله واخلص الوحدانية لله والاقرار بالطاعة فاذا فعل ذلك كان مدركا لما
فات ووارداً على ما هو آت يعرف ما هو فيه ولاي شيء هو ههنا ومن اين ياتيه والى
ما هو صاير وذلك كله من تأييد العقل **الشرح** دعامة البيت الاسطوان الذي
يعتمد عليه السقف ودعامة كل شيء هي اصله الذي ينشأ منه فروع احواله وشعب اوصافه
وكانه قيل هذه الدعامة في الانسان هي العقل لاغير اذ منه ينشأ ساير الصفات
الحسنة والاحوال والملكات والقوى والاستعدادات كالفطنة والفهم والحفظ
والعلم وغيرها من الاحوال والكمالات كما ينشأ اضدادها من ضده الذي هو الجهل فيكون
هو الاصل المعتمد عليه في جميع الخيرات وكيف ولم وحيث كلمات استفهامية يطلب
بكل منها شيء من المطالب وكذلك ما واي واين وكم ونحوها فكيف سؤال عن صفة الشيء
المستقرة فيه ولم سؤال عن سبب وجوده وحيث سؤال عن جهته وسمته وما سؤال
عن كنه حقيقة الشيء سواء كانت بحسب الحقيقة او بحسب المفهوم الاسمي واي سؤال عن فصله
المميز ذاتيا كان المميز او عرضيا وكم سؤال عن مقدار الشيء او عدده اعلم انه عليه السلم
افاد اولا ان اصل الانسان ودعامته في كل ما ينشأ منه ويعود اليه هو العقل واوضح
ذلك بآثاره ولوازمه وبكونه مكملا للانسان ودليلا وحجة له او عليه ومبصرا له في رؤيته
للاشيا كما هي ومفتاحا لابواب العلم والرحمة ولكن بعد ما كان مؤيدا متقويا واشار
الى ان ذلك التأييد انما يكون بالنور ومعلوم ان النور الذي يتقوى به جوهر العقل ويؤيد
ويستكمل ويخرج من سنخ الملكوت الاعلى ليس نورا من الانوار المحسوسة الكائنة في
عالم الظلمات اذ الشيء لا يتقوى ولا يستكمل ولا يتغذى الا بما هو من سنخ ذاته ونوعه
بل لا بد وان يكون هو من الانوار الملكوتية كالعلم والحفظ والذكر والفطانة والفهم والفرق

بين هذه الانوار الحقة عما قد علمت فيما سبق من الكلام ثم افاد عليه السلم بعد ما بين ان ما به
العقل الانسان ليس الا بما هو من جنس العلم والمعرفة ان العلم المؤيد بنور البصيرة العقلية
اعني العلم بالله واليوم الآخر مما يهتدي به الانسان سلوك السبيل الى الله ويتمكن من الخلاص
عن الجحيم والنجاة من العذاب الاليم الذي منشأ البعد عن عالم الرحمة والرضوان والاحتجاب
عن الحق بالهوى الى عالم الغضب والنيران وبين ذلك بانه يعلم الانسان بذلك اي بسبب
نور البصيرة التي ابتدعها به كيفية السلوك الى الآخرة ويعلم علة ذلك السلوك وهي
الداعية الى الخروج من النقص الى الكمال ومن الهبوط والدنو الى الشرف والعلو ومن الشقاوة
الى السعادة ومن الظلمات الى النور ويعلم ايضا جنة الآخرة ومنازلها وصراطها المستقيم
ويعلم ايضا الائمة الهداة من ائمة الضلال والضلال والعلم الناصح من المغوي الغاش
فاذا عرف هذه الامور معرفة صحيحة وعلما يقينا عرف مجراه ومسلكه المستقيم الى ائمته
او معدول عنه او موصول للمطلوب الذي يقصده او مفصول عنه وقوله موصوله ومفصوله
يحتمل ان يراد بكل منهما اسم المفعول او المصدر الميمي او اسم مكان ما يوصل به الى المطلوب
وما يفصل به عنه واذا علم العاقل المؤيد هذه الامور اي طريقي الخير والشر وسبيلي
النجاة والهلاك وما مبدأ طريق الخير والنجاة وما غايته وما الواقع في سمته وما العدول
عنه وما الموصل اليه وما المنقطع عنه فلا بد ان يخلص قلبه بالوحدانية باطنا وقلبا من غير
شوب رياء او غرض ويقر له بالطاعة والانقياد والعبودية ظاهرا وبدنا فيكون سره
وعلنه ونفسه وبدنه وقلبه وقالبه منخرطا في سلك خدمته وعبادته عارفا بحقه مستغرقا
في بحر معرفته وطاعته طالبا اياه معرضا عما سواه فاذا فعل ذلك ودام عليه كان
مستدركا لما فات عنه بالتقصير والتفريط في جنب الله بالتوبة والتلافي الى فرط
والخضوع والخشوع ووارد على ما هو آت من الموت والبعث وما بعدهما بقلب
سليم وسر صحيح ونفس خاشعة لله صابرة على بلائه شاكرة لنعمائه وعقل عارف
به عاشق لحضرته طالب لما عنده من النعيم المقيم والسرور الدائم والحضور في الجنان
والروح والريحان والرحمة والرضوان فاذا حصل له ذلك عرف حقيقة ما هو فيه الآن
وهيئة هذه النشأة وعرف العلة التي بها هبط الى هذا المنزل الادنى الذي وقع فيه
وعرف انه من اي مرتبة وعالم انتقل الى هذا العالم الذي هو فيه اليوم والى اي مقام
ومصير سيرجع من هذا العالم ففي ما ذكره اشارة الى العلم باحوال المبدأ والمعاد
وما بينهما والنظر اليها حق النظر والاعتبار بها طبق ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام حيث
قال رحم الله امرأ اعد لنفسه واستعد لرمسه وعلم من اين وفي اين والى اين فالاول
اشارة الى معرفة الاول تعالى وملائكته ورسله وكتبه والثاني اشارة الى معرفة النفس

وكيفية

وكيفية كونها في هذه النشأة ومعرفة عبوديتها وافتقارها وكيفية سلوكها منهج النجاة وصراط
الآخرة والثالث اشارة الى العلم باحوال المعاد ومنازلها من القبر والبرزخ والصراط
والميزان والكتاب والحساب والعرض والجنة والنار ومعرفة ذلك كله من تأييد العقل
اي من العقل المنور ذاته بنور العلم والبصيرة اذ بذلك النور يخرج ذاته من النقص والقصور
ويسير الى الله بقدمي الايمان والعبودية ويطير بجناحيه العلمي والعملي الى فضاء عالم القرب
والشهود اعلم ان اهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون فالواقف من لزم
عتبة الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى والملكوت فهو من اهل التقليد فيكون مشربه
من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم العقل ومعاملاته فهو محبوس في
قيد الصورة وعليه ملكان موكلان يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير والسائرون
هم المسافرون من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق المحسوسات الى متسع المعقولات
وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الآخرة
وسبل الجنان والطيار من يطير بجناحي العرفان والعشق في فضاء الحقيقة الى عالم الربوبية
ومعدن الالهية متوجها بشراشر قلبه وسره الى حضرة مولاه غير ملتفت الى ما سواه

الحديث الرابع والعشرون علي بن محمد عن سهل بن زياد عن اسمعيل بن مهران بن محمد بن ابي نصر
السكوني واسم ابي نصر زيد مولى كوفي يكنى ابا يعقوب ثقة معتمد عليه روى عن جماعة
من اصحابنا عن ابي عبد الله ع كذا ذكره العلامة في صه والشيخ في الفهرست وذكر الشيخ
ايضا انه لقي الرضا ع وروى عنه وروى النجاشي ايضا انه من اصحاب الرضا عليه السلم
وقال الشيخ ابو الحسين احمد بن الحسين بن عبيد الله الغضايري ره انه يكنى ابا محمد ليس
حديثه بالنقي يضطرب تارة ويصلح اخرى وروى عن الضعفاء ويجوز ان يخرج شاهدا
وقال الفاضل الاسترابادي والاقوى عندي الاعتماد على روايته لشهادة الشيخ والنجاشي
له بالثقة قال الكشي حدثني محمد بن مسعود يكذبون عليه كان تقيا ثقة خيرا فاضلا كذا في صه
عن بعض رجاله عن ابي عبد الله عليه السلم قال العقل دليل المؤمن **الشرح** معناه
ان المؤمن في الحقيقة لا يكون الا من كان عارفا بالله واليوم الآخر بنور البرهان العقلي
لا بتقليد او سماع او رواية او شهادة او حكاية وغير ذلك من الامور التي منتهى الامر
الحس والمحسوس فان شيئا من ذلك وان حصلت به اذا تأكد العقيدة الجازمة التي
تصير مبدأ للعمل الصالح والاجتناب عن العمل السيء الذي يحصل به النجاة عن العقاب
والفوز بالجزاء والثواب كما لسائر المسلمين الناجين ولكن الذي يحصل به القرب من الله
والارتقاء الى عالم القدس لا يمكن حصوله الا بنور البصيرة العقلية التي بها يعرف الحقائق
بالبرهان ويرى الاشياء كما هي وذلك النور العقلي هو الايمان الحقيقي فاذا كان المؤمن هذا

فليس دليله وحجته في جميع ما له ان يعلم او يعمل الا العقل لا غيره من الامور المذكورة الا في بعض المسائل
الفرعية العملية **الحديث الخامس والعشرون** الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشاء عن حماد بن عثمن
الناب ثقة جليل القدر من اصحاب الرضا ع ومن اصحاب الكاظم ع وروى الكشي عن حمدويه سمعت
اشياخي يذكرون ان حمادا وجعفرا والحسين بني عثمن ثقات وقال انه ممن اجمعت العصابة
على تصحيح ما يصح عنه والاقرار له بالفقه عن السري بن خالد الناجي من اصحاب الصادق عليه السلم
عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي لا فقر اشد من الجهل
ولا مال اعود من العقل **الشرح** اعود من العائدة وهي المنفعة والعطف يقال هذا
اعود عليك من كذا اي انفع ومعنى الحديث ظاهر وسببه معلوم فان بالعقل ينال الرجل
من المنافع والحظوظ والخيرات ما لا ينال منها بالمال وبالجهل الذي هو عدم العقل ينفقد عنه
من الحظوظ ما لا ينفقد بالفقر الذي هو عدم المال وايضا بالعقل يمكن الوصول الى المال
وبالمال لا يمكن الوصول الى العقل فالفقير بالحقيقة من لا عقل له وان كان ذا مال كثير والغني
من كان ذا عقل وان لم يكن له مال **الحديث السادس والعشرون** محمد بن الحسن الطائي الصفار
مولى عيسى بن موسى بن طلحة ابو عبد الله بن السايب بن مالك بن عامر الاشعري ابو جعفر
الاعرج كان وجها في اصحابنا القميين ثقة عظيم القدر راجحا قليل السقط في الرواية توفي
بقم سنة تسعين ومايتين ره ويحتمل ايضا ان يكون محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد ابو جعفر
شيخ القميين وفقيههم ومتقدمهم ووجههم ويقال انه نزيل قم وما كان اصله منها ثقة ثقة
عين مسكون اليه جليل القدر عارف بالرجال موثوق به عظيم المنزلة يروي عن الصفار
وسعد ره عن سهل بن زياد عن ابن ابي نجران هو عبد الرحمن بن ابي نجران بالنون والجيم
والراء والنون اخيرا واسمه عمرو بن مسلم التيمي مولى كنيته ابو الفضل روى عن الرضا ع
وروى ابوه ابو نجران عن ابي عبد الله ع وكان عبد الرحمن ثقة ثقة معتمدا على ما يرويه
عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلم قال لما خلق الله العقل قال له
اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احسن منك
اياك آمر واياك انهى واياك اثيب واياك اعاقب **الشرح** هذا الحديث
مما ورد عن رسول الله ص بالفاظ متغايرة من طرق العامة والخاصة وقد روي في هذا الباب
خاصة بروايات خمس بالفاظ وثلث منها عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر
لكن الذي روي في اول الاحاديث عن ابي جعفر ع والذي روي عن ابي عبد الله ع
كانت فيهما زيادات على الروايات الباقية سيما الحديث الثالث منها المشتمل على
جنود العقل وقد فرغ شرح ما فيه غنية لكن الذي يخطر بالبال هاهنا في التاويل انه يحتمل
ان يكون المراد بالعقل العقل الجزئي الذي في الانسان فانه ايضا اول ما خلق الله

فيه

فيه بالنسبة الى ساير قواه واعضائه لست اقول ان حدوثه في مادة خلقة الانسان متقدم بالزمان
على وجود ساير القوى والاعضاء المتدرجة في الحدوث المتعاقبة في الكون ولكن اقول جميع
القوى والاعضاء التي في الشخص عند تمام الخلقة وهو بفيضان النفس الناطقة العاقلة على
مادة بدنه مفتقرة في وجودها وثباتها الى جوهر النفس الناطقة وهذه القوى التي تستخدمها
النفس بالفعل هي بالعدد غير التي كانت في المادة البدنية سابقة على وجود النفس بحسب
الزمان وانما تلك معدات لهذه غير باقية بعد فيضان النفس لانها الحافظة اياها وهي
مبدأها وفاعلها وغايتها باذن الله تعالى والقوى انما هي فروعها وشعبها وخوادمها وجنودها
ولا شبهة ان الجوهر العقلي من الانسان لكونه من عالم الملكوت احسن خلقة واشرف وجودا
من ساير قواه ومن جميع الاكوان الدنيوية ولهذا قال تعالى بعد قوله ثم انشأناه خلقا آخر
فتبارك الله احسن الخالقين ومعنى اقبال النفس الناطقة الى الله تعالى قربها اليه بواسطة
تحصيل المعرفة واليقين وسلوك منهج الصدق والارتقاء الى عالم القدس والتجرد عن
الدنيا وشهواتها والخلاص من مضايق الابدان وسجون الحدثان فهذا حركة من الخلق الى
الحق فاذا بقي في المحو ولم يرجع الى الصحو كان مستغرقا في الحق غافلا عن الخلق على عكس حال
المحجوبين المستغرقين في الخلق الغافلين عن الحق فهذا حال بعض اولياء الله لكن الولي الكامل
من رجع بالوجود الحقاني الموهوب الى الصحو بعد المحو وعاد الى التفصيل بعد الجمع ووسع
صدره لغاية الانشراح للحق والخلق فانتصب في مقام الخلافة والتكميل وتنزل الى المعاشرة
مع الخلايق كما قيل في حق امير المؤمنين عليه السلم كان فينا كاحدنا فهذا هو الفضل العظيم
يؤتيه من يشاء من عباده فظهر ان للانسان الكامل في العقل حركتين احديهما اقبالية
صعودية تكميل ذاتية والثانية ادبارية نزولية لتكميل غيره فقوله ع قال له اقبل
فاقبل اشارة الى الحركة الاولى الصعودية وقوله ادبر فادبر اشارة الى الثانية النزولية
وقوله اياك اثيب يعني عند استكمال ذاتك وصيرورتك راجعا الى عالم جوهرك
القدسي المفارق عن الموذيات والمولمات وقوله اياك اعاقب يعني عند انغمارك
في التعلقات الجسمانية واستغراقك في الشهوات الدنياوية والا فالجوهر العقلي
من جهة ذاته بذاته سعيد في الدنيا والآخرة لا ذنب له ولا معصية وانما تعتريه شيء
من ذلك لاجل صحبة البدن ومخالطة الوهم والخيال والنزول الى منزل الارذال
الحديث السابع والعشرون عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن الهيثم بن ابي مسروق النهدي
واسم ابي مسروق عبد الله وكنيته ابو محمد قريب الامر قال الكشي قال حمدويه عن اصحابنا
انه فاضل وقال قال حمدويه لابي مسروق ابن يقال له الهيثم سمعت اصحابنا يذكرونهما
كلاهما فاضلان ره قال النجاشي له كتاب روى عنه محمد بن علي بن محبوب عن الحسين بن خالد

من اصحاب الكاظم ع و في بعض النسخ البصري من اصحاب الرضا ع ويحتمل ان يكون الحسين بن خالد
ابن طهمان وهو ابن ابي العلاء الخفاف وقال احمد بن الحسين هو مولى بني عامر واخواه علي و
عبد الحميد روى الجميع عن ابي عبد الله ع وكان الحسين اوجههم كذا قاله النجاشي وله كتاب يعد
في الاصول روى عنه ابن ابي عمير وصفوان كذا في الفهرست عن اسحق بن عمار قال قلت
لابي عبد الله عليه السلم الرجل آتيه واكلمه ببعض كلامي فيعرفه كله ومنهم من آتيه فاكلمه بالكلام
فيستوفي كلامي كله ثم يرده علي كما كلمته ومنهم من آتيه فاكلمه فيقول اعد علي فقال يا اسحق
وما تدري لم هذا قلت لا قال الذي تكلمه ببعض كلامك فيعرفه كله فذاك من عجنت نطفته
بعقله واما الذي تكلمه فيستوفي كلامك فذاك الذي ركب عقله فيه في بطن امه واما
الذي تكلمه بالكلام فيقول اعد علي فذاك الذي ركب عقله فيه بعد ما كبر فهو يقول لك
اعد علي **الشرح** لما ذكر اسحق بن عمار عند ابي عبد الله ع تفاوت احوال المخاطبين
في استماع الكلام بان بعضهم كان بحيث اذا اتاه وكلمه ببعض كلامه فهم من ذلك البعض
معنى الكلام كله ومنهم من اذا كلمه وسمع بعض الكلام يحتاج في فهم المعنى الى استيفاء سماع
الجميع حتى يفهم المراد اذا استمع الجميع فهم معناه وعرفه فيرده كما سمعه حافظا للالفاظ والمعاني
ومنهم من اذا سمع الكلام لم يفهم اول سمعه بل يحتاج الى الاعادة والتكرير وكان غرضه
الاستكشاف عن لمية هذا التفاوت في افراد البشر فاشار عليه السلم الى علة ذلك وسره
واعلم ان الله تعالى خلق جواهر النفوس الانسانية مختلفة في الصفاء والكدورة وعقولها
متفاوتة في القوة والنورانية فبعضها شريفة نورانية مايلة الى الخير مستعدة لقبول النور
والعلم بادنى وسيلة كاستعداد الكبريت للاشتعال يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار ومنها خاسية الجوهر كدورة الذات خبيثة ظلمانية في غاية الجمود نور الفطرة وجمود
نار القريحة بحيث لا ينجع فيها التعليم والتهذيب اصلا ومنها ما يتوسط بينهما والى هذا
التفاوت والاختلاف اشير في قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله اولئك في ضلال مبين ثم اعلم ان هذه
النفوس كما هي مختلفة متفاوتة في جواهرها وذواتها وقبولها واستعدادها لاقتناص
العلوم والانوار كذلك ايضا موادها وابدانها متفاوتة في اللطافة والاعتدال فاشرف
النفوس لالطف الاجساد واعدلها وابعدها عن التضاد واخسها لاكثفها واخرجها عن
التسوية والاعتدال كما في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي جعل نفخ الروح متوقفا
على التسوية والتعديل فاذا كانت المواد متفاوتة في اللطافة والاعتدال فكلما كانت
المادة الطف واجود كان تعلق النفس بها اقدم واسرع فاذا تقرر ما ذكرناه فنقول
اشار ع الى منشأ تفاوت النفوس في الفهم بتفاوتها في الجوهر شرفا وخسة ونورانية

وظلمانية

وظلمانية ولا تفاوتها في الجوهر تبعا وتفاوتها في اللطف والمواد فبعض النفوس ممن عجنت
مادة بدنه بآثار نور العقل حين كانت نطفة فتلك النفس في الدرجة العليا من القبول
وبعضها ممن عجنت مادة بدنه بذلك حين كونه في بطن امه فهي في الدرجة الوسطى وبعضها
ممن ركب فيه اثر العقل عندما تولد بدنه وبلغ فنفسه في الدرجة السفلى فالقسم الاول
من افراد البشر من اذا تكلم احد ببعض كلامه عرف الكل والثاني من اذا تكلم احد بتمام
كلامه جميعا عرف المعنى فحفظه او يرده والثالث من اذا استمع كلاما واستوفاه لم يفهم الكلام
ولم يعرف معناه فيقول اعد علي كلامك حتى انظر الى معناه فالاول سابق بالخيرات والثاني
مقتصد والاخير ظالم لنفسه لظلمة جوهره والله اعلم بالصواب **الحديث الثامن والعشرون**
عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن بعض من رفعه عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله اذا رأيتم الرجل كثير الصلوة كثير الصوم فلا تباهوا به حتى تنظروا
كيف عقله **الشرح** المباهاة المفاخرة وقد باهى به يباهي مباهاة افتخر ومنه قوله ع
انا اباهي بكم الامم يوم القيمة ومنه الحديث من اشراط الساعة ان يتباهى الناس
في المساجد ومعنى الحديث واضح غني عن الشرح **الحديث التاسع والعشرون** بعض اصحابنا
رفعه عن مفضل بن عمر [illegible] الجعفي ابو عبد الله ضعيف كوفي فاسد المذهب
مضطرب الرواية لا يعبأ به متهافت مرتفع القول خطابي وقد زيد عليه شيء كثير
وحمل الغلاة في حديثه حملا عظيما ولا يجوز ان يكتب حديثه روى عن ابي عبد الله وابي
الحسن عليهما السلم وقد اورد الكشي احاديث تقتضي مدحه والثناء عليه واحاديث
تقتضي ذمه والبراءة منه عن ابي عبد الله ع قال يا مفضل لا يفلح من لا يعقل ولا يعقل
من لا يعلم وسوف ينجب من يفهم ويظفر من يحلم والعلم جنة والصدق عز والجهل ذل
والفهم مجد والجود نجح وحسن الخلق مجلبة للمودة والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس
والحزم مساءة الظن وبين المرء والحكمة نعمة العالم والجاهل شقي بينهما والله ولي من عرفه
وعدو من تكلفه والعاقل غفور والجاهل ختور وان شئت ان تكرم فلن وان شئت
ان تهان فاخشن ومن كرم اصله لان قلبه ومن خشن عنصره غلظ كبده ومن فرط
تورط ومن خاف العاقبة تثبت عن التوغل فيما لا يعلم ومن هجم على امر بغير علم جدع انف
نفسه ومن لم يعلم لم يفهم ومن لم يفهم لم يسلم ومن لم يسلم لم يكرم ومن لم يكرم يهضم
ومن يهضم كان الوم ومن كان كذلك كان احرى ان يندم **الشرح** الفلاح هو الفوز
بالمطلوب والنجاة والبقاء وفي الاذان حي على الفلاح اي هلموا الى سبب الفوز بالجنة
والبقاء فيها والنجابة الكرامة في الذات ورجل نجيب اي كريم بين النجابة وهو نجبة
القوم اي النجيب منهم وانجب الرجل ولد نجيبا وامرأة منجبة ومنجاب تلد النجباء ونسوة

مناجح وقد يجب نجابة اذا كان فاضلا نفيسا في نوعه والحلم بالضم ما يراه النائم وحلم
الغلام حلما من باب طلب اى احتلم والحالم في الاصل المحتلم ثم عم فقيل لمن بلغ مبلغ الرجال حالم
واولوا الاحلام والنهى اى ذووا الالباب والعقول واحدها الحلم بالكسر وكانه من الحلم بمعنى الاناة
والحليم ذو الاناة ومن اسماء الله تعالى الحليم وقيل في معناه هو الذى لا يستخفه شئ من عصيان
العباد ولا يستفزه الغضب عليهم ولكنه جعل لكل شئ مقدارا فهو منته اليه والجنة السترة
وما استترت به من سلاح والاجتنان الاستتار وانما سميت دار النعيم الاخروى بالجنة
لتكاثف اشجارها وتظليلها بالتفاف اغصانها كما يفعل تكاثف الاشجار في هذه البساتين
من الاظلال فيستتر به من تحتها عن حر شعاع الشمس وبالجملة الجنة ههنا الوقاية من كل شر وآفة
والمجد الكرم والنجح بالضم والنجاح الظفر بالمطالب والحوائج وانجح الرجل صار ذا نجح
فهو منجح وقوم مناجح وما انجح فلان ولا نجح وانجحت حاجته قضيتها لجلبة المودة اى مكتسبها
وهى اسم ما جلب به والهجوم الاتيان بغتة واللوابس جمع اللابسة واللبس بالضم مصدر
لبست الثوب بالكسر واللبس بالفتح اختلاط الظلام ومصدر لبست عليه الامر وفي الامر
لبسة بالضم اى شبهة والختر الغدر يقال ختر يختر فهو ختار وختار للمبالغة وكذا الختور
يعنى الغدار الكثير الغدر وفي الحديث ما ختر قوم بالعهد الا سلط عليهم العدو واللين
ضد الخشونة والهون بالضم الهوان والاهانة الاستخفاف وعنصر الشئ اصله ونسبه
والتفريط التقصير والورطة الهلاك وهى في الاصل ارض مطمئنة لا طريق فيها والتورط
الوقوع في الورطة والتوغل الدخول في شئ واصله من وغل الرجل يغل وغولا دخل
في الشجر وتوارى فيه واوغل في السير وتوغل اذا اسرع والجدع بالدال المهملة قطع
الانف او الاذن او الشفة وهو بالانف اخص والهضم في الاصل الكسر وهضمته
اى كسرته يقال هضم له حقه واهتضمه اذا ظلمه وكسر عليه حقه وهضمت لك من حقى
طائفة اى تركتها وكسرتها من حقى واهتضمه ظلمه ورجل هضيم ومهتضم اى مظلوم والقوم
العدل ولا له ما كذى اى فهو ملوم تنبيه هذا الحديث مشتمل على نبذ من فضائل
العقل ومحاسنه ورذائل الجهل ومقابحه ومتضمن لجملة من المواعظ العقلية والنصائح
الحكمية والحث والترغيب على اقتناء الاخلاق الحسنة والزجر عن الملكات والصفات
الردية مقرونة بدلائل واضحة وشواهد ساطعة فقوله والعالم بزمانه لا يهجم عليه
اللوابس اى من علم طور زمانه وعرف عادات ابناء دهره لم يقع في الشبهات ولا يهجم
عليه الاغاليط فيكون ذا حزم واحتياط والرجل لا يتوقع من اهل زمانه فوق ما هم عليه
لحسن الظن بهم بل الحزم مساءة الظن اى منشاء سوء الظن اذ بها يحصل الاحتياط و
المراد بسوء الظن ههنا ما يقع به الحزم والاحتياط لا وقوع الظن بمساءتهم فان ذلك مذموم

بل ينبغى ان يكون الانسان حسن الظن بالخلائق ولا منافاة بين الامرين لان الاول
من باب التجويز العقلى الباعث على الحزم والثانى من باب الاعتقاد الفاسد والقول بالشئ
رجما بالغيب وقوله وبين المرء والحكمة نعمة العالم والجاهل شقى بينهما لعل المراد به ان
الرجل الحكيم من لدن عقله وتميزه الى بلوغه حد الحكمة متنعم بنعمة العلم ونعيم العلماء فانه لا يزال
في نعمة من اغذية العلوم وفواكه المعارف فان معرفة الحضرة الالهية لروضة فيها عين
جارية واشجار مثمرة قطوفها دانية بل جنة عرضها كعرض السماء والارض والجاهل بين مبدأ
امره ومنتهى عمره في شقاوة عريضة وطول امل طويل ومعيشة ضنك وضيق صدر وظلمة
قلب لا يقام ساعته ولكشف غطائه وفي الآخرة عذاب شديد وقوله والله ولى
من عرفه لان عرفان الشئ مستلزم لحصول عنده والتقرب اليه كما في الحديث الالهى
انا جليس من ذكرنى وهذا القرب ليس بالمكان وانما هو بالمكانة والمنزلة لاجل شرف
المناسبة بينه وبين المؤمن العارف والمناسب للشئ محبوب عنده وما يقرب
من الشريف فهو شريف والشريف يحب لنفسه فيحب القريب منه بقدر قربه وشرفه
وانما يكون زيادة القرب والشرف بقدر شدة المعرفة وقوة العلم ولذلك قال الله
تعالى الله ولى الذين آمنوا الآية واذا علمت ان المعرفة منشأ ولاية الله وقربه فقس عليه
حال الجهل وكونه منشأ عداوة الله والبعد من رحمته كما قال والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت الآية اذ من كان وليه الطاغوت والطاغوت عدو الله فيكون هو ايضا
من اعداء الله واعلم ان المتكلف بالعرفان المتصنع المرائى به هو اخبث ذاتا
واشد بعدا عن الحق من الجاهل المحض اذ النفاق اسوء من الكفر وقوله والعاقل
غفور لانه قريب التشبه بالذى هو منبع الرحمة والمغفرة والجاهل ختور لانه قريب
التشبه بمعدن المكر والخديعة وان شئت ان يكرم ظنك اى ان اردت ان يكون
عزيزا كريما عند الخلق بل عند الخالق ايضا فتواضع للناس ولين لهم في الكلام واخفض
السلام فان الله وصى به رسوله الكريمين موسى وهرون عليهما السلام حين بعثهما
الى فرعون وملائه حيث قال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وكذلك وصى
وامر به حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله بمثل قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله
وقوله واخفض جناحك للمؤمنين وقوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله وقوله ع
وان شئت ان تهان فاخشن يعنى ان الخشونة من لوازمها المهانة والمذلة فمن فعل
الخشونة بارادته واختياره فكانما شاء ان يكون مهانا ذليلا ثم حاول عليه السلم
ان يبين السبب الذاتى لحسن الخلق ولين القلب ولطافته ورحمته وكذا السبب

الاصل لمعايبه اعنى سوء الخلق وقساوة القلب وغلظته وجفاه فقال ومن كرم اصله لان قلبه ومن
خشن عنصره غلظ كبده لما علمت سابقا ان الابدان تابعة للارواح وهي معادن كمعادن الذهب
والفضة وان الاخلاق والعادات مترتبة على اجتماع النفس والبدن فاشرف الارواح و
ازكاها الطف الابدان فيترتب على العلاقة بينهما لين القلب وحسن الخلق وان اخس الارواح
واظلمها اكثف الابدان واخشنها عنصرا فيحصل من العلاقة بينهما ضيق الصدر وغلظ القلب
واورد بدل لفظ القلب لفظ الكبد تنبيها على نفي استحقاقه لهذا الاسم لان اسم القلب غالبا
يطلق على محل المعرفة والايمان فيقال مثلا هم من اصحاب القلوب وكذا قوله تعالى لمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد قوله ع ومن فرط تورط اي من قصر في طلب الخير والنجاة وقع في
ورطة الشر والهلاك وقوله ع ومن لم يعلم لم يفهم الى قوله كان اللوم بمنزلة قياسات
مترادفة مطوية ذكر النتايج والصغريات لدلالة الكلام عليها والكبريات فيكون حاصل
الجميع اعني النتيجة الحاصلة من موضوع الصغرى الاولى ومحمول الكبرى الاخيرة هو ان من لم يعلم
كان اللوم اي من لم يكن من اهل العلم والمعرفة كان من اهل اللوم والعيب فهو احرى المنازل
بالحسرة والندامة **الحديث الثلثون** محمد بن يحيى رفعه قال قال امير المؤمنين عليه السلم
من استحكمت لي فيه خصلة من خصال الخير احتملته عليها واغتفرت فقد ما سواه ولا اغتفر
فقد عقل ولا دين لان مفارقة الدين مفارقة الامن فلا يتهنا بحيوة مع مخافة وفقد العقل
فقد الحيوة ولا يقاس الا بالاموات **الشرح** هذا الحديث لطيف مختصر اللفظ كثير المعنى
وقبل الخوض فيه يجب ان يعلم ان للنفس الانسانية قوتين احديهما نظرية والاخرى
عملية فبالاولى تتأثر وتنفعل عما فوقها وعن المبدأ الاعلى وبالثانية تؤثر وتفعل فيما تحتها
وفي المادة السفلى ونسبة الاولى الى الثانية كنسبة الروح الى البدن ولكل منهما
صفات وخصال وهي ان كانت غير راسخة تسمى حالات وان كانت راسخة مستحكمة
تسمى اخلاقا وملكات اذا تقرر هذا فنقول كمال النفس من جهة القوة العملية هي اتصافها
بالفضايل العملية كالعفة والكرم والشجاعة ونحوها وهي خصال الخير وتخليها عن الرذايل
كالشهوة والحسد والبخل والكبر والجبن وغيرها وهي خصال الشر ويرجع الجميع الى العدالة
والطهارة وكمالها من جهة القوة النظرية هو كونها ذا عقل يعلم الاشياء كما هي وتلك
العلوم اما بحيث لا غاية لها غير حصولها انفسها واما بحيث لها غاية غير حصولها انفسها
وهي العمل بمقتضاها كالعلم بكيفية الصلوة والزكوة والحج والجهاد وساير المعاملات
والسياسات المدنية وغيرها وقد يعبر عن الاول بالايمان وعن مباديه بالعقل كما في
هذا الحديث وعن الثاني بالدين فاذا تقررت عندك هذه المقدمات فاعلم انه ع
كان يقول حكاية عنه تعالى من استحكمت لي فيه اي رسخت لاجلي في نفسه خصلة واحدة

من خصال

من خصال الخير يعني من جملة الاخلاق الفاضلة التي هي محاسن القوة العملية من النفس احتملته
اي حملته وترحمت عليه بناء على وجدانه تلك الخصلة الواحدة من خصال الخير واغتفرت له
وعفوت عنه فقده لما سوى تلك الخصلة فان الله كريم لا يعذب المؤمن الكريم ولو من جهة
كرامة واحدة وهو خير محض لا يعذب العبد الخير ولو بصفة واحدة ولكن بشرطين احدهما
ان يكون تلك الصفة ملكة راسخة غير زايلة والثاني ان يكون متحققة مع العقل والدين
فان فقد شي منهما غير مغتفر اصلا ولو تحقق معه الف حسنات فانه اذا كان العبد فاقد
العقل او فاقد الدين فلا يغتفر عنه شي من الذنوب والنقايص لان اصل العقل بمنزلة
الحيوة في النشأة الباقية ونسبته الى ساير الخصال كنسبة القلب ههنا الى ساير اعضاء
البدن ونسبة الدين اليه كنسبة الامن والسلامة في البدن فمن فقد عقله كان في تلك
كمن فقد حيوته في هذه النشأة فلا عبرة فيه بحصول شي من الخصال كما لا عبرة لفاقد الحيوة
بحصول الاعضاء فيلحق بالجمادات ولا يقاس الا بالاموات ومن فارق الدين وان
كان مع العقل كان بمنزلة انسان حي مقطوع الاطراف فهو وان كان باقيا لكنه ليس
متهنئ الحيوة رغيد العيش بل يكون مع الم وخوف وشدة وبوس وكما ان من كان
حيا في الدنيا صحيح البدن سليم الاعضاء غير عليل ولا مريض فيمكن ان يتدارك فقد
ما سوى ذلك عنه فكذلك حال من كان ذا عقل ودين وله خصلة من خصال الخير اذا حشر
في الآخرة فان الله سبحانه يمكن ان يتجاوز عن ذنوبه ويعفو عن سيئاته ويغتفر فقده
لكثير من الخصال الحسنة بان لا يدخله النار ولا يعذبه اصلا واعلم انه لا يدوم في النار
من كان له حيوة عقلية فان اصل الايمان ينافي التخليد في العذاب فلا بد ان يخرج
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ولو بعد حين كما دلت عليه الاخبار والروايات
الصحيحة كما سيجيء في كتاب الايمان ومراده ع ان من كانت له مع العقل والدين خصلة
من خصال الخير فلا يعذب بالنار بل يغتفر ساير ذنوبه والله اعلم **الحديث الحادي
والثلثون** علي بن ابرهيم بن هاشم عن موسى بن ابرهيم المحاربي مجهول عن الحسن بن موسى
الخشاب من وجوه اصحابنا مشهور كثير العلم والحديث ص عن موسى بن عبد الله بن
عبد الملك بن هشام عن ميمون بن علي مجهول مهمل عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال
امير المؤمنين عليه السلم اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله **الشرح** الاعجاب
عبارة عن استعظام المرء نفسه بما يرى فيه من علم او عمل او مال او جاه او نعمة اخرى
من نعم الله فيه مع نسيان اضافتها الى الله تعالى فان انضاف الى ذلك ان غلب
على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد
ان يجري عليه مكروه استبعادا زايدا على استبعاده بما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا

بالعمل فكأنه يرى نفسه على الله دالة وكذلك يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا بنفسه
فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقه كان مدلا عليه قال بعض
المفسرين في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله
وسنة نبيه قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك في معرض الانكار وقال تعالى وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا يرجع الى العجب وقال صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وآفة العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد
اسبابه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات العظيمة التي لا تخفى هذا مع العباد واما
مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها
لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد
في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها
ويتبجح بها ويمن على الله تعالى بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا
اعجب بها عمي عن آفاتها فكان اكثر سعيه ضايعا وانما يتفقد من يغلب عليه الخوف
والاشفاق دون العجب لانه يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه
عند الله بمكان وان له عليه منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمائه وعطية من عطاياه
ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وربما يعجب برايه واعتقاده الخطاء
فيتمادى في الاصول الايمانية فيمنعه العجب عن الاستكشاف والسؤال فيهلك ولو
اتهم نفسه ولم يغتر ولم يثق برايه فاستضاء بنور القرآن والحديث او استعان
بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم والتلمذ والسؤال عن اهل البصيرة لكان ذلك
يوقظه ويوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب ولذلك كان من المهلكات
ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وقد استغنى وهو الهلاك الصريح
الذي لا شبهة فيه فقد ثبت وتبين ان منشأ الاعجاب قلة العقل وقصور العلم فهو مرض
قلبي وآفة نفسانية منشأه ضعف العقل في البصيرة وعلاجه تحصيل المعرفة
بحال نفسه وبكونه عاجزا مضطرا ذليلا بين يدي ربه لا يقدر على جلب شيء مما يريده
و دفع شيء مما يكرهه ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة فكل ما يزعم انه
حاصل له من علم او مال او نعمة فيمكن زواله عنه في لحظة واحدة فلا بد ان يخاف من سوء
عاقبته ويتوكل على الله ويرجو رحمته ويخشى عقابه ويتعوذ به دايما من شر نفسه ومن شر
عدوه ومكره وغروره واحزابه واعوانه كما هو حال العارفين الخاضعين الخاشعين
الخايفين منه وانما يخشى الله من عباده العلماء فعلاج آفة العجب ليس الا بالعلم والمعرفة

الحديث الثاني والثلثون

ابو عبد الله العاصمي اسمه احمد بن محمد بن عاصم المحدث

ويقال

ويقال له العاصمي ثقة في الحديث سالم الجنبة اصله الكوفة وسكن بغداد وروى عن شيوخ
الكوفيين كذا في فهرست عن علي بن الحسن عن علي بن اسباط بن سالم بياع الزطي ابو الحسن كوفي قال الكشي
انه كان فطحيا ولعلي بن مهزيار رسالة في النقض عليه مقدار جزء صغير قالوا فلم ينجع ذلك ومات
على مذهبه وقال النجاشي انه كان فطحيا جرى بينه وبين علي بن مهزيار رسائل في ذلك فرجعوا
فيها الى ابي جعفر الثاني عليه السلم فرجع علي بن اسباط عن ذلك القول وقد روى عن الرضا عليه السلام
من قبل وكان ثقة اوثق الناس واصدقهم لهجة قال العلامة فانا اعتمد عليه وقال الشيخ في
الفهرست له اصل وروايات روى عنه محمد بن الحسن بن ابي الخطاب وموسى بن جعفر البغدادي
عن الحسن بن جهم عن ابي الحسن الرضا عليه السلم قال ذكر عنده اصحابنا وذكر العقل قال فقال
لا يعبأ باهل الدين ممن لا عقل له قلت جعلت فداك ان ممن يصف هذا الامر قوما لا بأس بهم
عندنا وليست لهم تلك العقول فقال ليس هؤلاء ممن خاطب الله ان الله خلق العقل فقال له
اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر فقال وعزتي ما خلقت شيئا احسن منك واحب الي
منك بك آخذ وبك اعطي

الشرح

قوله لا يعبأ بصيغة المجهول اي لا يبالي به ولا يلتفت
اليه وقوله ممن لا عقل له بدل من قوله باهل الدين والمراد انه لا يعبأ بالذي لا عقل له وان كان
بحسب الظاهر معدودا من اهل الدين وفي بعض النسخ ممن لا عقل له بدل بمن لا عقل له وقوله
ممن يصف هذا الامر اي ممن يدعي القول بالامامة ويقول بهذا الاعتقاد الصحيح قوما
لا بأس بهم عندنا اي في اعمالهم الظاهرة الموافقة لمذهب هذه الطايفة قوله عليه السلام ليس
هؤلاء ممن خاطب الله الخ معناه ان مدار التكليف والخطاب من الله تعالى بالاوامر
والنواهي على العقل وكذا الثواب والعقاب انما يترتبان على الاعمال الصادرة عن
ذوي العقول دون الاغبياء فلا تكليف عليهم من قبل الله اذ لا حجة منه تعالى عليهم وانما
للحاكم ان يكلفهم بالاعمال الظاهرة ويسوسهم بالسياسات المدنية ويفرض عليهم امورا
بها صلاحهم وصلاح الامة ويكون لهم بسببها حسن معيشة في الدنيا ونجاة في الآخرة فان قلت
كلما كان العقل كان مطيعا لله تعالى مؤتمرا بامر الله منتهيا بنهيه وكلما لم يكن لم يكن مكلفا فاين
العقاب قلنا قد علمت ان العقل ذو درجات متفاضلة والذي هو التام الكامل هو
اول المبدعات واكرم المجعولات وهو العبد المطيع والملك الاشرف ليس فيه الا الطاعة
والخدمة لله تعالى من غير شوب تمرد او عصيان واما العقول الذين هم دونه اعني النازلة
المعرفة في الابدان البشرية فلشوب التركيب فيها والاقتران بالقوى الحسية والقوى
الحيوانية من الشهوة والغضب وغيرهما فيتصور منها الطاعة والعصيان والتوفيق و
الخذلان بحسب زيادة قوة العقل ونور البصيرة ونقصانهما فالعقاب انما يترتب على اقتراف
سيئة او تفريط في جنب الله ممن كان له في ذاته ملكة قوة عقلية يمكنه الارتقاء الى عالم

الملكوت فضلا عما خلقت لاجله واما من ليس له عقل فيه استعداد التخلص عن عالم الظلمات
والشرور ولا شوق الارتقاء الى عالم النور ولا يكلف الله نفسا الا وسعها الحديث الثالث
والثلثون علي بن محمد عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه وهو محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن علي البرقي
ثقة من اصحاب الرضا عليه السلام ابو عبد الله مولى ابي موسى الاشعري وقال ابن الغضائري
انه مولى جرير بن عبد الله حديثه يعرف وينكر ويروي عن الضعفاء كثيرا ويعتمد المراسيل
وقال النجاشي انه ضعيف الحديث قال العلامة في الخلاصة والاعتماد عندي على قول الشيخ ابي
جعفر الطوسي من تعديله وقال الكشي قال نصر بن الصباح لم يلق البرقي ابا بصير بينهما القسم
ابن حمزة ولا اسحق بن عمار وينبغي ان يكون صفوان قد لقيه والبرقي دون رتبته من سواد
عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام قال ليس بين الايمان والكفر الا قلة العقل
قيل وكيف ذاك يا ابن رسول الله قال ان العبد يرفع رغبته الى مخلوق فلو اخلص
نيته لله لاتاه الذي يريده في اسرع من ذلك الشرح لما علمت في تضاعيف ما ذكر
في تحقيق جنبة العقل وجنبة الجهل ان الايمان عبارة عن نور العقل والكفر عبارة عن
ظلمة الجهل فمتى كان عقل الرجل كاملا كان مؤمنا حقا ومتى كان جاهلا محضا كان كافرا
صرفا ومتى كان متوسطا في مراتب العقل والجهل كان ضعيف الايمان فلا واسطة بين
الايمان الحقيقي والكفر الحقيقي الا قلة العقل وقصور نور البصيرة كما لا واسطة بين البصر
والعمى الا قلة نور العين ولا بين الضياء والظلمة الا الظل وهو قلة الضوء ضرب عليه السلام
لهذا مثالا ليفهم السائل عن كيفيته ما ذكره ان كل ما وقع من العبد من ذلة او معصية فذلك
من قلة عقله فمن جملة ما يقتضيه كمال العقل ان لا مؤثر في الوجود ولا معطي للجود الا الله
سبحانه فاذا رفعت الحاجة الى غيره تعالى كان ذلك لقلة العقل الموجب لضعف الايمان
وكذا القياس في سائر ابواب الدين ومقابلاتها الحديث الرابع والثلثون عدة
من اصحابنا عن سهل بن زياد عن عبيد الله الدهقان عن احمد بن عمر بن ابي شعبة الحلبي
ثقة روى عن ابي الحسن الرضا عليه السلام وعن ابيه من قبل وهو ابن عم عبيد الله وعبد الاعلى
وعمران ومحمد الحلبيين وروى ابوهم عن ابي عبد الله عليه السلام وكانوا ثقات صه عن يحيى بن
عمران الحلبي بن علي كوفي كانت تجارته الى حلب فقيل بن عمران بن علي بن ابي شعبة الحلبي
روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلام ثقة ثقة صحيح الحديث صه وفي الفهرست
للشيخ له كتاب روى عنه النضر بن سويد وقال النجاشي روى عنه ابن ابي عمير عن ابي
عبد الله عليه السلام قال كان امير المؤمنين عليه السلام يقول بالعقل استخرج غور الحكمة
وبالحكمة استخرج غور العقل وبحسن السياسة يكون الادب الصالح قال وكان يقول
التفكر حياة قلب البصير كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور بحسن التخلص وقلة التربص

الشرح

الشرح اما قوله عليه السلام بالعقل استخرج غور الحكمة فمعناه ظ فان الانسان بقوة نور البصيرة
اعني بالعقل النظري يستخرج غوامض المعارف الحكمية والعلوم الالهية التي بها يصير الانسان
من جملة سكان العالم العلوي بتجرده عن شوائب الشبهات وجنود التعلقات ورق الهوى
والشهوات وظلمة الطبايع والجسمانيات واما قوله عليه السلام وبالحكمة استخرج غور العقل فالمراد
ان بادراك الحقايق العقلية وتحصيل المعارف الحكمية تستخرج النفس من حد القوة الى
الفعل ومن حد النقص الى الكمال في باب العقل والمعقول فتصير عقلا كاملا بالفعل وهو المراد
من غور العقل والحكمة يبلغ غايته وكماله الاقصى كما ان غور البحر عمقه واصله الاقصى وبالجملة
كل واحد من العقل والحكمة يوجب خروج الاخر من القوة والنقص الى الفعل والكمال على وجه
لا يكون دورا مستحيلا فان كلا منهما ذو مراتب في الشدة والضعف فكل مرتبة من العقل
يقتضي استعداد الوصول الى مرتبة من الحكمة اذا حصلت للنفس تجعلها مستعدة لفيضان
مرتبة اخرى من العقل فوق المرتبة الاولى وكذا العكس وهكذا يتدرجان في الاشتداد
والازدياد الى ان تبلغا الى الغاية القصوى والدرجة العظمى فبكل منهما يقع الوصول
الى غور الاخر وغايته واما قوله عليه السلام وبحسن السياسة يكون الادب الصالح فنقول لما علمت
ان الانسان له قوتان احديهما العقل النظري وهو كالاصل والمخدوم وغايته كماله ان يصير
جوهرا مفارقا وعقلا بالفعل ولا يصير كذلك الا بالحكمة الغايرة في ادراك الحقايق
والاخرى وهو كالفرع والخادم وهو العقل العملي وكماله هو ان يصير الانسان متأدبا
بالآداب الصالحة والاعمال الشرعية ويكفي في ذلك حسن السياسة سواء السايس من
خارج كالسلطان او من داخل كحسن تدبر النفس ولما ظهر من كلامه عليه السلام حال غاية العقل
وهي ادراك اعماق الحكمة واغوارها وحال غاية الحكمة وهي الوصول الى اقصى درجات
العقل وكمالاته وهو الوصول الى قرب الحق الاول وحال غاية السياسة وهو الادب
الصالح وتهذيب النفس بالاعمال الحسنة والطاعات والاجتناب عن القبايح والسيئات
اراد ان يشير الى كيفية استخراج الحكمة والامر الذي به يقع السير الى عالم القدس
والمرور على صراط الله العزيز الحميد فقال التفكر حياة قلب البصير يعني كما ان حيوة الابدان
التي يقع بها الامتياز بين الجماد والحيوان هي قوة الحس والحركة فكذلك حيوة القلوب و
الارواح انما هي بقوة التفكر ونور الفهم الذي يقع به الانتقالات والحركات في ظلمات
النفس الى عالم النور ودار الحيوان وبه يقع الفرق بين الجمود على الصورة الساكن
في بيت الطبيعة الواقف في هذا المنزل الادنى وبين المهاجر الى الله الساعي الى منزل
الرضوان ودار الحيوان فظهر ان قوة التفكر ونور التحدس في الحيوان العقلي الماشي
دار الحيوان بمنزلة قوة الحركة والحس في الحيوان الحسي المحيي في دار الابدان فمن لم يتفكر

آيات الله تعالى وصنايعه وخلق سمواته وارضه وملكه وملكوته بنور البصيرة لم يتخلص من عالم الظلمات
واسر الشهوات بل اما ان يقف في اول منازل الحس فيكون كالبهايم والحشرات وذلك
اذا كان جامد الطبع خامد نور الفهم واما ان يتورط في المهلكات ويتيه في الشبهات والجهالات
فيكون كابناء الشياطين والمنافقين المتشابهين للدرك الاسفل من السجين وانهم اسوء حالا
من الجهال واخسر اعمالا من الاراذل اذ قد ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا ثم انه ضرب مثلا للذين يمشون على سبيل الحق بنور الفكر وقوة الاشتغال
الى منازل اليقين وهم بعد في ظلمات اراضي النفوس وليالي الابدان بماش من الحيوان
يمشي في ظلمات الليالي بنور السراج ونحوه فيحصل له حسن التخلص من غير تورط وخطا التزلزل
بسرعة المشي من غير تبطؤ وانتظار كثير والله ولي الهداية والتفضل قال الشيخ اعلى الله درجته
هنا آخر كتاب العقل والحمد لله رب العالمين كذا وقعت العبارة في النسخ التي رايناها
ولو قال هنا آخر باب العقل لكان اوفق باب فرض العلم ووجوب طلبه
والحث عليه وهو الباب الثاني من كتاب العقل وفيه تسعة احاديث الاول وهو الخامس
والثلثون اخبرنا محمد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسن بن ابي الحسين
الفارسي لم اجد هذا الاسم في كتب الرجال عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم التنوخي المدني
من اصحاب الصادق عم عن ابيه زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب من اصحاب الصادق ع
المدني العدوي ضه قال الشيخ الطوسي فيه نظر عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله طلب العلم فريضة على كل مسلم الا ان الله يحب بغاة العلم الشرح
بغاة العلم اي طلابه وهي جمع باغ كالهداة جمع هاد يقال بغى يبغي بغاء بالضم اذا طلب
وقد يجمع الباغي على بغيان كما في الحديث انطلقوا بغيانا اي ناشدين وطالبين كرعيان
ورعاة جمع راع واما حديث عمار رضي الله عنه تقتلك الفئة الباغية فهي فيه بمعنى الفئة
الخارجة عن طاعة الامام واصل البغي مجاوزة الحد ومنه قوله تعالى فلا تبغوا عليهن سبيلا
اي ان اطعنكم لا تبغوا لكم عليهن طريقا الا ان يكون بغيا وجورا اعلم ايدك الله ان
هذا الحديث المنقول عن رسول الله صلعم بالاتفاق مشتمل على مقصدين الاول فضل العلم
وشرفه مطلقا والثاني تعيين العلم الذي وجب على كل مسلم اما فضل العلم فشواهده
من القرآن قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فانظر كيف بدأ
بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالة وقوله تعالى
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضه
للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعماية درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسماية عام
وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده

العلماء

العلماء وقال قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذين اوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير بين ان عظم قدر الآخرة لا يعرف الا بالعلم وقال وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون بين ان رموز القرآن واسراره واغواره
لا يعلمها الا اولوا العلم ولذا قال وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم على قراءة
الوصل وقال ايضا تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق
دل بمفهومه على ان غيرهم لا يعلم المنزل على الرسول صلعم حقا ومن الحديث قوله صلعم يا علي
نوم العالم افضل من عبادة العابد يا علي ركعتان يصليهما العالم افضل من الف ركعة
يصليها العابد يا علي لا فقر اشد من الجهل ولا عبادة مثل التفكر وعن الصادق عم اذا
كان يوم القيمة جمع الله الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين فيوزن دماء الشهداء
مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء وقال صلعم العامل على غير بصيرة كالسائر
على غير الطريق لا يزيده سرعة السير من الطريق الا بعدا وقال صلعم الانبياء قادة و
العلماء سادة ومجالستهم عبادة وقال النظر الى وجه العالم عبادة وروي في كتاب الاحياء
عن رسول الله صلعم انه قال اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا
الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى انتم عندي كبعض الملائكة
اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعلماء المعلمين ومن اجل
العلم المتعدي لا العلم اللازم الذي لا يتعدى وقال صلعم ان الله وملائكته واهل السموات
والارض حتى النملة في جحرها والحوت في البحر ليصلون على معلم الناس بالخير وقال صلعم
اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا بثلث علم ينتفع به او صدقة جارية او ولد صالح
يدعو له وقال صلعم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس
ورجل آتاه الله مالا فسلطه على انفاقه في الحق فهو ينفق منه سرا وجهرا واستيفاء احاديث
عن الائمة عليهم السلام في باب صفة العلم وفضله فيها غنية لهذا المقصد من طريق الخبر واما
طريق العقل منه فاعلم ان العلم عبارة عن حضور الصورة المجردة عن المواد والاجسام
عند العقل ولا شك ان اشرف الممكنات واعلاها وانورها هو الموجود الذي لا تعلق له
بالامور الجسمانية وايضا قد تقرر في علم النفس ان النفس في اول الفطرة امر بالقوة
في باب العقل والمعقول كالهيولى التي لا صورة لها في ذاتها في باب الحس والمحسوس
فاذا ادركت اوايل العلوم والضروريات حصل لها استعداد ادراك النظريات
وصارت عقلا بالملكة ثم اذا تكررت منه الافكار والانظار صارت باشراق النور
العقلي على ذاتها من المبدأ الاعلى عقلا بالفعل وعاقلة ومعقولة فيصير وجودها وجودا
آخر عقليا بعد ما كان وجودها وجودا حسيا حيوانيا فيكون احد سكان عالم الجبروت

بعد ما كانت احد سكان العالم الادنى اذ لا فضيلة وكمال اشرف واعلى من فضيلة العلم وكماله
الذى يجعل الاموات احياء والظلمات انوارا اعنى الاموات بلباس الحيوة العقلية
واعنى بالظلمات ظلمات الجهل والعمى كما سبق ذكره واما المقصد الثانى وهو تعيين
العلم الذى وقع فى قوله صه طلب العلم فريضة على كل مسلم وكذا فى قوله صه اطلبوا العلم ولو
بالصين فاعلم ان الناس اختلفوا فى العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم وتحزبوا
فيه احزابا وافترقوا على فرق كثيرة ولا حاجة فى تفصيل الاقوال ونقلها جميعا وحجة كل فريق
ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو
علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته وقال الفقهاء رحمهم الله هو علم
الفقه اذ به يعرف العبادات والحلال والحرام وكيفية المعاملات وما يحرم منها وما يحل
وقال المفسرون والمحدثون رحمهم الله هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم
كلها وقالت المتصوفة المراد به هذا العلم اى التصوف وهو علم السلوك وعلم الشهود فقال
بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله وعند الله وقال بعضهم هو علم الباطن وهو
العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك عن لمة الشيطان وذلك يجب على
اقوام مخصوصين وهم اهل لذلك وقد صرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكى
هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام وهو قوله صه بنى الاسلام على خمس
لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب اقول التحقيق فى
هذا المقام ان لفظ العلم كلفظ الوجود من الالفاظ المشككة وهو الذى له معنى واحد مشترك
متفاوت الحصول كمالا ونقصانا شدة وضعفا اذا كان كذلك ولا شبهة فى انه شئ يستكمل به
الانسان ويحتاج اليه فى معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة انبيائه ورسله وحججه وآياته
ومعرفة العمل بما يبعده ويقربه الى الله وبما يخلصه من الشقاوة والعذاب والبعد عن الله
ودار كرامته فكلما حصل له شئ من العلم وجب عليه مرتبة اخرى فوقه ولا حد له يقف
عنده اذ مراتب القرب ومنازل الوصول غير متناهية ولهذا قال اعلم الخلائق
رب زدنى علما فعلى هذا كان معنى هذا الحديث ان طلب جنس العلم وطبيعته واجب على كل
مسلم سواء كان المسلم جاهلا او عالما ناقصا او كاملا اعنى بالنسبة الى ما دونه والا
فلا حد لكمال العلم وقريب من هذا المعنى ما ذكره صاحب كتاب الاحياء وليس بذاك وهو
قوله ان العلم ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة
والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلث اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ
الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة النهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادتين
وفهم معناهما وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والاستدلال والبحث

عن تحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس
وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان اذ اكتفى رسول الله صه من اجلاف
العرب بالتصديق والاقرار من غير تعليم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب وقته وكان
العلم الذى هو فرض عين فى وقته تعلم الكلمة وفهمها بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات
مطيعا لله تعالى غير عاص وانما يجب غير ذلك بعارض يعرض وليس ذلك ضروريا فى حق
كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض اما ان يكون فى الفعل واما فى الترك
واما فى الاعتقاد واما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول
وقت الظهر تعلم الطهارة والصلوة وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس
لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل خرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقول
الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذى هو شرط
العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا فى بقية الصلوات فان عاش الى
شهر رمضان يتجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وكيفيته فان تجدد له مال او كان عنده مال
لزمه تعلم ما يجب من الزكوة ولكن لا فى الحال انما يلزمه بعد تمام الحول من وقت الاسلام وكذا
الكلام فى الحج والجهاد وغيرهما من الواجبات التى هى فروض الاعيان واما الترك فيجب
علم ذلك ايضا بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف باختلاف الشخص فلا يجب على الاعمى
تعلم ما يحرم من النظر ولا على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على البدوى تعلم ما لا يحل الجلوس
فيه من المساكن وذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له
يجب تنبيهه فيه كما لو كان عند الاسلام لابسا الحرير او جالسا فى مكان الغصب او ناظرا الى غير
محرم فيجب تعريفه ذلك وكذا ما هو بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى
اذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما
وجب تعليمه وجب عليه تعلمه واما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر
فان خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمة الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى
ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم او حادث
او انه مرئى او غير مرئى او انه محل الحوادث او لا الى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات
فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن كلما خطر له خاطر شك او نحوه فى معتقده فيجب عليه
تعلمه وطلب العلم بدفعه هذا حاصل ما ذكره وفيه نظر اما اولا فتخصيص ذلك العلم بعلم الاعمال
والمعاملات دون غيره من العلوم التى لا يتعلق بعمل او كيفية عمل ليس بوجه لان العلم
بوحدانيته تعالى وبرائته عن النقايص كلها يجب طلبه واكتسابه وكذا العلم بكيفية صفاته
وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته وخلقه وامره واحاطته بالاشياء كلها علما

وحفظا ورحمة وجودا وكذا العلم باحوال النفس وصفاتها واحوالها ونشاتها وخلقها و بعثها
لله تعالى في النشأة الآخرة وسعادتها وشقاوتها مما يجب تعلمه وطلبه على كثير من الناس
ولا يلزم ان يكون العلم الذي يجب تعلمه على كل مسلم علما واحدا بعينه ولا الواجب على احد
بعينه هو الواجب على الآخر واما ثانيا فنقول ظاهر الحديث يفيد ان وجوب طلب العلم
غير منفك عن المسلم في وقت من الاوقات كما قيل من المهد الى اللحد فان هذا هو المدلول
الحقيقي الموافق لحفظه من غير تجوز اذ قوله طلب العلم فريضة اي بالفعل يجب ان يكون متلبسا
بطلبه ودل عليه الدليل العقلي الذي ذكرناه فلا باعث على صرف الحديث عن ظاهره
كما فعله واما ثالثا فان الذي تصوره وصوره يلزم على مقتضاه سقوط هذا الفرض عن اكثر
الناس بناء على ما حصل له في اول بلوغه سيما اذا لم يختلج بباله شك في صدق كلمة الشهادة
فيكون باقي عمره فارغا عن طلب وكسب وذلك في غاية البعد واما رابعا فالذي ظهر
من كلامه ان وجوب الاعتقاد بمدلول كلمة الشهادة انما هو لتوقف صحة العمل والعبادة عليه
لا غير ثم بل الحق ان ذلك مع قطع النظر عن توقف الاعمال امر واجب على كل واحد ولا منافاة
بين كون الشيء واجبا في نفسه وواجبا لغيره فالاولى ان يحمل صيغة الحديث على ما حملنا
من ان طلب العلم واجب على كل احد في كل وقت فان طبقة العلم مختلفة واحد منها ليس له
حد مخصوص والانسان لا سيما العاقل المدرك دايم الاشتغال من نشأة الى نشأة ومن
طور الى طور وكلما يبلغ الى مرتبة كمالية كان حكمه حكم الصبي اذا بلغ فيجب عليه من التعلم او التفكر
ما لا يجب قبل ذلك ويكون حكمه في الاعراض عنه او التقاعد او الجحود له والانكار حكم
ما سبق في ترتب العقاب ولزوم الشقاوة والعذاب الا ان يتداركه الله تعالى بلطفه
ورحمته او يمحوه ويعفو عنه ويتجاوزه **الحديث الثاني** وهو السادس والثلثون محمد بن
يحيى عن محمد بن الحسين بن ابي الخطاب واسم ابي الخطاب زيد ويكنى محمد بابي جعفر الزيات
الهمداني انه جليل من اصحابنا عظيم القدر كثير الرواية ثقة عين حسن التصانيف مسكون الى
روايته له تصانيف صه ويحتمل ان يكون ابن سعيد الصايغ وهو كوفي نزل في بني ذهل
ابو جعفر ضعيف وقيل انه غال احمد بن محمد بن رباح روى عنه بكتبه ومات سنة تسع
وستين ومائتين صه عن محمد بن عبد الله مشترك بين جماعة ضعفاء عن عيسى بن عبد الله
العمري الظاهر انه عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب الهاشمي وله كتاب
وقد جمع ابو بكر محمد بن سالم الجعابي روايات عيسى عن آبائه ويحتمل ان يكون سعد بن
مالك الاشعري روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلام وله مسايل للرضا ع
قال علي بن احمد العقيقي انه يشبه اباه وكان وجها عند ابي عبد الله ع مختصا به صه
روى الكشي عن حمدويه بن نصير عن محمد بن الحسين بن ابي الخطاب عن احمد بن عيسى عن يونس

ابن يعقوب ان الصادق ع قبل بين عينيه وقال له انت منا اهل البيت قال الكشي روى محمد بن
مسعود قال حدثني علي بن محمد قال حدثني احمد بن محمد عن موسى بن طلحة عن ابي محمد اخي يونس بن يعقوب
قال كنت بالمدينة فاستقبلني جعفر بن محمد عليهما السلام في بعض ازقتها قال فقال اذهب
يا يونس فان بالباب منا رجل اهل البيت قال فجئت الى الباب فاذا عيسى بن عبد الله
القمي قال فقلت من انت فقال انا رجل من اهل قم قال فلم تكن من ان اقبل ابو عبد الله قال
فدخل على الحمار الدار ثم التفت الينا فقال ادخلا ثم قال يا يونس بن يعقوب احسبك
انكرت قولي لك ان عيسى بن عبد الله منا اهل البيت قال قلت اي والله جعلت
فداك لان عيسى بن عبد الله رجل من اهل قم فقال يا يونس بن يعقوب عيسى بن
عبد الله هو منا حي وهو منا ميت عن ابي عبد الله عليه السلام قال طلب العلم فريضة
الشرح قد مضى ما فيه كفاية لشرحه **الحديث الثالث** وهو السابع والثلثون
علي بن ابرهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين مولى بني اسد بن خزيمة ابو جعفر العبيدي
اليقطيني يونسي قال العلامة اختلف علماؤنا في شانه فقال شيخنا الطوسي ره انه
ضعيف استثناه ابو جعفر بن بابويه من رجال نوادر الحكمة وقال لا اروي ما يختص به
وقيل انه كان على مذهب الغلاة وقال الكشي حدثني علي بن محمد القتيبي كان الفضل بن شاذان
يحب العبيدي ويثني عليه ويمدحه ويميل اليه ويقول ليس في اقرانه مثله وقال النجاشي جليل
في اصحابنا ثقة عين كثير الرواية حسن التصانيف روى عن ابي جعفر الثاني ع مكاتبة ومشافهة
وذكر ابو جعفر بن بابويه عن ابن الوليد انه قال ما تفرد به محمد بن عيسى من كتب يونس وحديثه
لا يعتمد عليه قال ورأيت اصحابنا ينكرون هذا القول ويقولون من مثل ابي جعفر محمد بن عيسى
سكن بغداد وله كتب قال العلامة والاقوى عندي قبول روايته عن يونس بن عبد الرحمن
مولى علي بن يقطين ابو محمد كان وجها في اصحابنا متقدما عظيم المنزلة روى عن ابي الحسن موسى
وعن الرضا عليهما السلام وكان الرضا ع يشير اليه في العلم والفتيا وكان ممن بذل له
على الوقف مال جليل فامتنع من اخذه وثبت على الحق وروى الشيخ المفيد عن ابي القسم
جعفر بن محمد بن قولويه عن علي بن الحسين بن بابويه عن عبد الله بن جعفر الحميري رحمهم الله
قال قال لنا ابو هاشم داود بن القسم الجعفري ره عرضت على ابي محمد صاحب العسكر ع
كتاب يوم وليلة ليونس فقال لي تصنيف من هذا قلت تصنيف يونس مولى آل يقطين
فقال اعطاه الله بكل حرف نورا يوم القيمة صه وروى الكشي عن علي بن محمد القتيبي
عن الفضل بن شاذان قال حدثني عبد العزيز بن المهتدي وكان خير قمي رايته و
كان وكيل الرضا ع وخاصته قال سالت الرضا ع فقلت اني لا القاك في كل
وقت فعمن آخذ معالم ديني قال خذ عن يونس بن عبد الرحمن وقال العلامة وغيره

صحيح عن علي بن محمد القتيبي عن الفضل بن شاذان عن محمد بن الحسن الواسطي وجعفر بن عيسى ومحمد بن
يونس ان الرضا عليه السلام ضمن ليونس الجنة ثلث مرات وقال النجاشي ومدايح يونس كثيرة
ليس هذا موضع بيانها وانما ذكرنا هذا حتى لا تخليه من بعض حق قدره وقال زين المتأخرين
طاب ثراه اورد الكشي في ذمه نحو عشرة احاديث وحاصل الجواب عنها يرجع الى ضعف
سندها وجهالة بعض رجالها والله اعلم بحاله قال النجاشي قال محمد بن علي بن الحسين سمعت
محمد بن الحسن بن الوليد ره يقول كتب يونس بن عبد الرحمن التي هي بالروايات كلها
صحيحة معتمد عليها الا ما ينفرد به محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس ولم يروه غيره فانه لا يعتمد عليه
ولا يفتى به عن بعض اصحابه قال سئل ابو الحسن عليه السلم هل يسع الناس ترك المسئلة
عما يحتاجون اليه فقال لا **الشرح** المسئلة والسؤال بمعنى الانسان وسالته الشيء
وعن الشيء سواء ومسئلة قوله عما يحتاجون اليه اي في امور دينهم كما هو الظاهر يجب على المسئول
الجواب عنه اذا كان السؤال في الواجبات ويستحب اذا كان في المندوبات والسؤال
في كتاب الله وفي الحديث نوعان احدهما ما كان على وجه التبيين والتعليم مما مست الحاجة
اليه وهو مباح او مندوب او مأمور به والآخر ما كان على طريق التكلف والتعنت
وهو مكروه ومنهي عنه وكلما كان من هذا الوجه فان وقع السكوت عن جوابه فانما هو ردع
وزجر للسائل وان وقع الجواب عنه فهو عقوبة وتغليظ فقوله عما يحتاجون اليه
اشارة الى تخصيص السؤال بما يكون من القسم الاول سواء كان الحاجة اليه لشخص بخصوصه
او للامة فان كان الاول كان الفرض المستفاد من المنع عن ترك السؤال فرض عين
وان كان الثاني كان الفرض فرض كفاية فما ورد في بعض الاحاديث من النهي عن كثرة
السؤال قيل هو الذي كان من القسم الثاني فلا يجب الجواب عنه ولا يستحب بل ربما
يحرم وقيل هو من سؤال الناس اموالهم وكذا ما ورد عنه صلعم انه كره المسائل وعابها
المراد بها المسائل الدقيقة التي لا تحتاج اليها الناس ولا يصلح لهم التفتيش عنها والخوض
فيها فيحرم الجواب عنها كما في قوله صلعم لا تؤتوا الحكمة غير اهلها فانه من قبيل تعليق الدر
باعناق الخنازير **الحديث الرابع** وهو الثامن والثلثون علي بن محمد وغيره عن
سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى جميعا عن حسن بن محبوب عن هشام بن
سالم الجواليقي الجعفي مولى بشر بن مروان ابو الحكم من سبي الجوزجان روى عن ابي
عبد الله وابي الحسن عليهما السلم ثقة ثقة قال النجاشي له كتاب روى عنه ابن
ابي عمير وفي الفهرست له اصل روى عنه ابن ابي عمير وصفوان بن يحيى وعلي بن الحكم
قال ابن طاوس قدس سره ظاهره انه صحيح العقيدة معروف الولاية غير مدافع قال
بعض الفضلاء وما رواه الكشي من انه يزعم ان الله عز وجل صورة وان آدم مخلوق

على

على مثال الرب تعالى في الطريق محمد بن موسى بن عيسى الهمداني وهو ضعيف واسحق بن
عبدك الكيساني وعبد الملك بن هشام الحناط وهما مجهولا الحال على ان كون عبدك كيسانيا ثم
ما خرا انتهى اقول لا حاجة في الاعتذار عما نسب اليه الى ما ذكره لان القول بان الله صورة
لا يستلزم القول بالتجسم فان مثله قد يصدر عن العرفاء الكاملين فان لفظ الصورة مشترك
عند العلماء بين معان غير ما هو مرجع في العرف من معنى الشكل والخلقة فانهم يطلقون تارة
على ماهية الشيء وتارة على وجوده في العقل وتارة على كمال الشيء وتمامه وتارة على الموجود
البحت الذي لا تعلق له بجسم ولا جسمانية كالذوات المفارقة عن المواد والاجرام فيقولون
ذاته تع صورة الصور وحقيقة الحقائق كان غيره سبحانه بالقياس اليه ناقص الوجود والحقيقة
حيث يحتاج الى مصور يصوره ويخرجه من حد القوة والامكان الى حد الفعل والوجود فعلى هذا
لا يلزم من اطلاق الصورة عليه تع اعتقاد التجسم سواء كانت التسمية بها ماذونا فيها من
الشرع اولا ثم قد ورد في الحديث المشهور بين العامة والخاصة ان الله خلق آدم على صورته
كما سيجيء في هذا الكتاب والمراد منه كونه مخلوقا على مثال الرب تع والفرق حاصل بين
المثال والمثل والاول لا يستلزم الثاني فان مثل الشيء هو المشارك له في تمام الحقيقة
ومثاله هو ما يشاركه في النسب والاضافات والله سبحانه منزه عن المثل لا عن المثال
لقوله تع ولله المثل الاعلى في السموات عن ابي حمزة الثمالي اسمه ثابت بن دينار ابو صفية
مولى عربي ازدي ثقة قال النجاشي لقي علي بن الحسين وابا جعفر وابا عبد الله وابا الحسن
عليهم السلم وروى عنهم وكان من خيار اصحابنا وثقاتهم ومعتمدهم في الرواية والحديث
وقال الكشي قال الفضل بن شاذان سمعت الثقة يقول سمعت الرضا يقول ابو حمزة
الثمالي في زمانه كلقمان في زمانه وذلك انه خدم اربعة منا علي بن الحسين ومحمد بن علي
وجعفر بن محمد وبرهة من عصر موسى بن جعفر ويونس في زمانه كسلمان في زمانه وفي بعض
النسخ سلمان بدل لقمان كما في كتاب النجاشي وفيه مات سنة خمسين ومائة واختلف
في بقائه الى وقت ابي الحسن عليه السلم عن ابي اسحق السبيعي عمرو بن عبد الله بن علي
تابعي ثقة كما في رجال الشيخ على ما يوجد من نسخه وفي القاموس السبيع كامير
ابن سبع ابو بطن من همدان منهم الامام ابو اسحق عمرو بن عبد الله ومحلة بالكوفة منسوبة
اليهم ايضا انتهى وقال ابن الاثير في النهاية السبيع هو بفتح السين وكسر الباء محلة من محال
الكوفة منسوبة الى القبيلة وهم بنو سبيع من همدان انتهى وقال بعض الفضلاء في رجاله
هو وولده يونس من العامة عمن حدثه قال سمعت امير المؤمنين يقول ايها الناس
اعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به الا وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال
ان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون

عند اهله وقد امرتم بطلبه من اهله فاطلبوه **الشرح** قد علمت فيما سبق ان الاعمال الدينية كالصلوة
والصيام وغيرهما انما يراد للاحوال اعني طهارة القلب وصفاءه عن الاخباث والشهوات والتعلقات
والاحوال انما يراد للعلوم فهذا معنى قوله ع ان كمال الدين طلب العلم اي غاية الاعمال الدينية
والتكاليف الشرعية طلب العلم ثم العلم قسمان علم مكاشفة كالعلم بذات الله وصفاته وافعاله
وعلم معاملة وهو العلم المتعلق بكيفية اعمال الطاعات وترك المعاصي والسيئات فالاول
يراد لنفسه والثاني يراد للعمل به والعمل يراد للعلم ايضا فالعلم هو الاول والآخر والمبدأ
والغاية فضرب من العلم وسيلة وضرب من العلم غاية وهو الاشرف الاعلى والعمل لا يكون
الا وسيلة لانه من الدنيا والدنيا وسيلة الى العمل المؤدي الى الحال المؤدي الى العلم الاخروي المعرفة
الخالصة لوجه الله فقوله ع والعمل به اشارة الى ثمرة ضرب من العلوم واوليها وحياتها
دون غاياتها ونهاياتها واما قوله ع الا وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال فهو من قبيل
دعوى الشي ببينة ومن قبيل قضايا قياساتها معها لكون ان اربعة زوج لكونها منقسمة بمتساويين
وذلك لان نسبة العلم الى الروح كنسبة المال الى البدن بحيث ان العلم غذاء للروح يحيى به
ويتقوى ويتكمل كما ان بالمال يتغذى البدن ويحيى وينمو ويتكمل ولا شك ان الروح اشرف
من البدن وحيوته ادوم وابقى من حيوة البدن لانها حيوة زايلة منقطعة وحيوة الروح
ابدية لا نهاية لها فطلب ما يوجب حيوة الروح وهو العلم اوجب من طلب المال والمراد انه
لو فرض ان طلب المال واجب فطلب العلم اوجب منه فهذا لا ينافي فضيلة الزهد وما يستفاد
ايضا من قوله ع ان المال مقسوم اه وبيانه ان رزق العبد وما ينوط به في الدنيا امر
مقدر مقسوم في القدرة لا صنع للعبد فيه اصلا ولا دخل للطلب والتدبير فيه كما هو مكشوف
عند من علم كيفية انتظام الامور الكائنة الارضية بالاسباب السماوية والاغراض العلوية
التابعة للاحكام القدرية ومع ذلك قد اخبر الله تع بان الرزق مقسوم في الازل واكد
ذلك بالضمان والاقسام المنفي للاريب اما الاول فقوله تع نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا وقوله تع وفي السماء رزقكم وما توعدون واما الثاني فقوله فورب السماء
والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون واما العلم فلا يمكن حصوله للعبد الا بالكسب والسعي
والطلب والجهد ومع ذلك فقد وقع الامر من الله ورسوله علينا بطلبه فان العلم مخزون
في خزاين الله الغيبية من الاذهان العالية والسافلة وهي اهل العلم والناشئ اول
الفطرة خالية عنه لكونه بعيد المناسبة الى عالم الملكوت العلوي وانما يمكن ان يصير اهلا
للعلم والاخبار ان اذا طلب وارتاض بالفكر والسعي وامعن في تصفية القلب وتهذيبه
حتى يصير مشابها لمعادن العلم وخزاين المعرفة كالحديدة الحامية تتشبه بالنار لمجاورتها
فيصير مثلها في الاضاءة والاحراق فكذلك النفوس الانسانية اذا تفكرت في الملكوت

وطلبت

وطلبت العلم بالمواظبة على تحصيله تشبهت بالخزائن العقلية فصارت مثلها ولهذا امر بعد
امر الله ورسوله صلعم بقوله فاطلبوه تامل تعرف والله اعلم **الحديث الخامس** وهو الخامس
والثلثون عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقي عن يعقوب بن يزيد الكاتب الانباري
ويعرف بالثقة وقد مر اسم ابيه ابو يعقوب ووصفه بالثقة في الحديث العشرين قال
النجاشي بن يزيد بن حماد الانباري السلمي ابو يوسف الكاتب من كتاب المنتصر روى عن
ابي جعفر الثاني ع واشتغل الى بغداد وكان ثقة صدوقا وكذلك ابوه وقال الشيخ انه كثير
الرواية ثقة عن ابي عبد الله مشرك بن جماعة اكثرها ضعفاء ومجاهيل عن رجل من
اصحابنا رفعه قال قال ابو عبد الله عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه واله طلب العلم
فريضة وفي حديث آخر قال قال ابو عبد الله عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه واله
طلب العلم فريضة على كل مسلم الا وان الله يحب بغاة العلم **الشرح** قد مر شرحه
برمته وعلمت بالعلم الذي هو فرض عين مطلقا والذي هو فرض عين لكل احد بخصوصه
وانه ليس امرا معينا بل ذلك مما يختلف بالقياس الى الاشخاص والاوقات فان
استثنيت ان تعرف العلم الذي هو من فروض الكفايات والذي هو محمود والذي هو مذموم
فاستمع فيه كلاما سنذكره قال ابو حامد الغزالي في كتاب الاحياء اعلم ان العلم ينقسم الى
شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء عليهم السلم ولا يرشد العقل اليه
مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة والعلوم التي ليست شرعية
تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب
والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة اما فرض
الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في المعاملات وقسمة المواريث والوصايا وغيرها
وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد في الحرج واذا قام بها
واحد كفى وسقط الغرض عن الآخرين واما ما يعد فضيلة لا فريضة فكالتعمق في دقائق
الحساب وخفايا الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه زيادة قوة في القدر المحتاج
اليه واما المذموم من العلم فكعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما
المباح فكالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار ونحوها واما العلوم الشرعية
وهي المقصودة بالبيان ولكنه قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم
الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات اما الاصول
ففي الكتاب والسنة والاجماع واما الفروع فما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها
بل بمعان تنبهت لها العقول واتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره كما
فهم من قوله ص لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان جايعا وحاقنا

وقتاً لما لمرض او عطشاً او شبههما مما يشغله عن الاحتياط فيما هو بصدده واما المقدمات فهي التي تجري
منها مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلتان لعلم الكتاب والسنة وليسا في ذاتهما من العلوم
الشرعية ولكن لزوم الخوض فيهما بسبب الشارع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب فيصير
تعلم اللغة والنحو من الآلات واما المتممات فهي في علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ
كعلم القراءة ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة
الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض
وهو العلم المسمى باصول الفقه قال فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض
الكفايات فيجعل علم الفقه ملحقاً بعلم الدنيا والحق الفقهاء بعلماء الدنيا وبين ذلك ببيان تفصيلاً
يطول ذكره فمن اراد ان يطلع عليه فليرجع الى ما ذكره ثم قال فان قلت فقد سويت
بين الفقه والطب اذ الطب يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد ويتعلق به صلاح الدين وهذه التسوية
تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف منه
من ثلثة اوجه احدها انه علم شرعي اي مستفاد من النبوة بخلاف الطب والثاني انه لا يستغنى
عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب فلا يحتاج اليه الا
المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر في اعمال
الجوارح ومصدر الاعمال ومنشؤها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر من الاخلاق
المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم من المذمومة ولا يخفى اتصال الجوارح بالقلب واما
الصحة والمرض فمنشؤهما صفات في المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من
اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف الى علم طريق الآخرة
ظهر شرف علم الآخرة وانه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة والاول هو علم الباطن
وذلك غاية العلوم وهو علم الصديقين والمقربين وهو عبارة عن نور يظهر في القلب
عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة فينكشف في ذلك النور امور كان يسمع من قبل
اسمائها ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة فيتضح له ذلك حتى يحصل له المعرفة الحقيقية بذات
الله تعالى وبصفاته التامات وافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيب
الآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين
وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء عليهم السلام وكيفية وصول
الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم
جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة
والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى وكفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون

ومعنى لقاء الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى السعادة
والشقاوة وتفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب
الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله قال واما القسم الثاني من علم الآخرة وهو
علم المعاملة فهو العلم باحوال القلب اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والزهد
والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الاحوال ومعرفة الاحسان وحسن
الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها
واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال
حتى يعود هي من علم الآخرة واما ما يذم فخوف الفقر والغل والحسد والحقد والغش وطلب العلو
وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والعداوة والبغضاء
والطمع والبخل والاشر والبطر والفخر والخيلاء والمباهاة والاستكبار عن الحق والعجب والمكر
والخيانة والمداهنة وطول الامل والقسوة والفظاظة الى غير ذلك من رذائل الاخلاق
فهذه وامثالها هي مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها هي
الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها
وعلاماتها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة والمعرض
عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك
بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة
الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني
حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه
فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق
والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج
الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلاد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب
فيه ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين ويزعم انه مشتغل
بعلم الدين ويلبس على نفسه وعلى غيره والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر
في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من
بلد ليس فيه طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام
الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل به ويتهافتون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات
والبلد مشحون من الفقهاء وليس الباعث الا ان الطب ليس يتيسر الوصول به الى
تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به
على الاقران والتسلط على الاعداء هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء

والله المستعان واليه الالتجاء في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك
الشيطان انتهى كلامه ثم لا يخفى ان قوله ع ان الله يحب بغاة العلم اي طالبيه مما يدل على ان
العلم الذي طالبوه محبوبون لله ينبغي ان يكون علما شريفا الهيا مقصودا لذاته لا الذي
هو مقصود لغيره مما يتعلق بالامور الخسيسة فان الذي يكون مقصودا لغيره لا يكون هو مرادا و
محبوبا لنفسه بل ذلك الغير ويكون هو وسيلة والوسيلة للشيء دائما يكون اخس رتبة من ذلك
الشيء فالعلم المتعلق بالعمل ادون منزلة من العمل والعمل امر جسماني خسيس وذلك العلم
اخس منه واما العلم المطلق المجرد عن التعلقات فلا شبهة في انه رفيع القدر شريف المنزلة
فطالبه وصاحبه هو الحري بان يكون من محبوبي الحق تعالى ومقربيه ومجاوريه في الملأ الاعلى
والله اعلم **الحديث السادس** وهو الاربعون علي بن محمد بن عبد الله عن احمد بن محمد بن
خالد عن عثمن بن عيسى هو ابو عمرو العامري الكلابي الرواسي من ولد عبد الله بن رواس
بتثنية الواو بعد الراء والسين المهملة اخيرا واقفي من اصحاب الكاظم والرضا كذا في
الخلاصة علي وفق ما ذكره النجاشي كان شيخ الواقفة ووجهها واحد الوكلاء المستبدين
بمال موسى بن جعفر ع ذكر نصر بن الصباح ان عثمن بن عيسى كان واقفيا وكان وكيل ابي الحسن
موسى ع وكان يروي عن ابي حمزة الثمالي ولا يتهمون عثمن بن عيسى قال حمدويه قال محمد
ابن عيسى ان عثمن بن عيسى رائى في منامه انه يموت بالحيرة ويدفن في ارض الكوفة
ومنزله وخرج الى الحير واتاه بعير فقال لا ابرح حتى يقضي الله تعالى ما يريد واقام يعبد
ربه عز وجل حتى مات ودفن ونقل الكشي قوله بان عثمن بن عيسى ممن اجمعت العصابة
على تصحيح ما يصح عنهم واقروا لهم بالفقه والعلم وذكر الفاضل محمد الاسترابادي ان العلامة
حسن طريق الصدوق الى سماعه وفيه عثمن بن عيسى وقال هنا الوجه عندي التوقف
فيما ينفرد به وفي كتب الاسناد الجزم بضعفه عن علي بن ابي حمزة الثمالي قال سمعت
ابا عبد الله عليه السلم يقول تفقهوا في الدين فانه من لم يتفقه منكم في الدين فهو اعرابي
ان الله يقول في كتابه ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
الشرح قد علمت فيما سبق معنى التفقه في الدين وما الفقه الذي يترتب عليه الانذار
والتخويف فلا نعيده وقوله فهو اعرابي اي عامي جاهل بامر الدين لان الاعراب سكان
البادية الذين لا يقيمون الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة فهم جهلة لا يعرفون مناهج
الشريعة والدين حتى عليه السلم من لم يكن متفقها في الدين اعرابيا لكونه مثلهم في
الصفة مما يتعلق بحال العاقبة وامر الآخرة وانما جعل المهاجر ضد الاعرابي لاجل
اكتسابه للدين وتعلمه للفقه واليقين والا فيكون مثله لا ضده **الحديث السابع**
وهو الحادي والاربعون الحسين بن محمد عن جعفر بن محمد عن القسم بن الربيع مشترك بين

اثنين

اثنين احدهما من روى عنه علي بن ابرهيم بكتابه وجعفر بن محمد بن مالك الفزاري الكوفي قال
حدثنا القسم بن الربيع بن بنت زيد الشحام والثاني المذكور في الخلاصة بن الربيع الصحاف
كوفي ضعيف في حديثه غال في مذهبه لا التفات اليه ولا ارتفاع به عن مفضل بن عمر قال
سمعت ابا عبد الله يقول عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في
دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيمة ولم يزك له عملا **الشرح** معنى النظر ههنا الاعتبار
والرحمة والعطوفة قال تعالى ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم وفي الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم
واموالكم ولكن الى قلوبكم ونياتكم فترك النظر مقابل الرحمة والمحبة اعني الغضب والنقمة
لان النظر في الشاهد دليل المحبة وترك النظر دليل البغض والكراهة والنظر يتعلق بالاجسام
المحسوسة وبالمعاني المعقولة فما كان بالابصار فهو للاجسام وما كان بالبصائر فهو للمعاني
والله مقدس عن شبه المخلوقين فجعل نظره الى ما هو السر واللب وهو القلب واحواله فمن
كان ذا قلب منور بالعلم والفقه كان منظورا له تعالى باللطف والعناية ومن لم يكن كذلك
بل كان حكم قلبه في القساوة والظلمة حكم الاجسام لم يكن منظورا بعناية الله تعالى ولا تنور
القلب وتجرده عن شبه الجسم الا بنور المعرفة واليقين فمن لا علم له لا قلب له اعني اللطيفة
الملكوتية فليس في مثل هذا الانسان شيء ينظر اليه الحق تعالى فقد دل كلامه ع على ان باكتساب
العلم والتفقه يصير الصورة معنى والمحسوس معقولا وبه يخرج النفس العاقلة من القوة الى
الفعل ويصير وجود الانسان به وجودا آخر اخرويا غير الوجود الدنيوي الذي كان
اولا ولما كان العمل تابعا للذات كانت زكوته وطهارته تابعة لتزكية القلب
وتطهيره فتامل تعرف **الحديث الثامن** وهو الثاني والاربعون محمد بن اسمعيل
هذا الاسم مشترك بين اثني عشر رجلا من الرواة سوى محمد بن اسمعيل بن بزيع وهم محمد
ابن اسمعيل بن ميمون الزعفراني ومحمد بن اسمعيل بن احمد البرمكي الرازي صاحب الصومعة
وعشرة آخرون اما العشرة الباقون فلم يوثق احد علماء الرجال احدا منهم فانهم لم يذكروا
من حال الاثنين منهم وهم الكناني والجعفري الا ان لكل منهما كتابا ومن حال الاثنين
الآخرين وهما الصيمري والبلخي الا انهما من اصحاب ابي الحسن الثالث ومن حال الستة
البواقي الا انهم من اصحاب الصادق وبقاء احدهم الى عصر الكليني بعيد جدا وقد اطبق
متأخروا علمائنا رحمهم الله على تصحيح ما يرويه عن محمد بن اسمعيل فبقي الاحتمال في ابن بزيع
والرجلين الباقيين وهما محمد بن اسمعيل بن ميمون الزعفراني ومحمد بن اسمعيل بن احمد البرمكي
الرازي صاحب الصومعة ولنذكر اولا حال كل من هؤلاء الثلثة ثم نتكلم في ان المراد ههنا
اي واحد منهم اما المطلب الاول فنقول فيه اما محمد بن اسمعيل بن بزيع فهو ابو جعفر مولى
ابي جعفر المنصور وولد بزيع بيت منهم حمزة بن بزيع وكان من صالحي هذه الطائفة وثقاتهم

كثير العمل قال الشيخ الطوسي ره ان محمد بن اسمعيل بن بزيع ثقة صحيح الرواية من صالحي هذه الطائفة
موالي المنصور وقال الكشي كان من رجال ابي الحسن موسى ع وادرك ابا جعفر الثاني ع قال
حمدويه عن اشياخه انه واحمد بن حمزة كانا في عداد الوزراء وكان علي بن النعمان وصى بكتبه
لمحمد بن اسمعيل وقال علي بن الحسن انه ثقة ثقة عين وحكى بعض اصحابنا عن ابن الوليد قال وفي
رواية محمد بن اسمعيل بن بزيع قال الرضا ع ان لله تعالى بابواب الظالمين من نور الله به
البرهان ومكن له في البلاد ليدفع بهم عن اوليائه ويصلح الله به امور المسلمين لانهم ملجأ المؤمنين
من الضرر واليه مفزع ذي الحاجة من شيعتنا بهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار
الظلم اولئك المؤمنون حقا اولئك امناء الله اولئك نور الله في رعيتهم يوم القيمة ويزهر
نورهم لاهل السموات كما يزهر الكواكب الدرية لاهل الارض اولئك من نورهم نور القيمة
يضيء منهم القيمة خلقوا والله للجنة وخلقت الجنة لهم فهنيئا لهم ما على احدكم ان لو شاء لنال
هذا كله قال قلت له بماذا جعلني الله فداك قال يكون معهم فيسرنا بادخال السرور
على المؤمن من شيعتنا فكن منهم يا محمد وروى الكشي عن علي بن محمد قال حدثني بنان بن
محمد عن علي بن مهزيار عن محمد بن اسمعيل بن بزيع قال سألت ابا جعفر ع ان يأمر لي بقميص
من قمصه اعده لكفني فبعث به الي قال فقلت له كيف اصنع به جعلت فداك قال انزع
ازراره قال الكشي وجدت في كتاب محمد بن الحسن بن بندار القمي بخطه حدثني محمد بن
يحيى العطار عن محمد بن احمد بن يحيى قال كنت بفيد فقال لي محمد بن علي بن بلال مر بنا الى
قبر محمد بن اسمعيل بن بزيع لنزوره فلما اتيناه جلس عند رأسه مستقبل القبلة والقبر امامه
ثم قال اخبرني صاحب هذا القبر يعني محمد بن اسمعيل انه سمع ابا جعفر ع يقول من زار
قبر اخيه المؤمن فجلس عند قبره واستقبل القبلة ووضع يده على القبر وقرأ انا انزلناه
في ليلة القدر سبع مرات امن من الفزع الاكبر وقال النجاشي بعد الحكاية المذكورة
وله كتب روى عنه احمد بن محمد بن عيسى ومعوية بن حكيم وابرهيم بن هاشم ومحمد بن
ابي الخطاب واما محمد بن اسمعيل بن ميمون الزعفراني وكنيته ابو عبد الله فهو عين ثقة
روى عنه الثقات وروى عنهم ولقي اصحاب ابي عبد الله ع قال النجاشي له كتاب
روى عنه عبد الله بن محمد بن خالد واما محمد بن اسمعيل بن احمد بن بشير البرمكي فهو ابو عبد الله
المعروف بصاحب الصومعة سكن قم وليس اصله منها ذكر ذلك ابو العباس بن نوح
قال النجاشي له كتب روى عنه محمد بن جعفر الاسدي وقال العلامة اختلف علماؤنا في
شانه فقال النجاشي انه ثقة مستقيم وقال ابن الغضائري انه ضعيف وقول النجاشي
عندي ارجح واما المطلب الثاني فاعلم انه قال شيخنا المكرم بهاء الملة والدين محمد العاملي
عظم الله قدره في كتابه المسمى بمشرق الشمسين بهذه العبارة [illegible]

في كتاب

في كتاب الكافي انه يأتي في كل حديث بجميع سلسلة السند بينه وبين المعصوم ع ولا يحذف
من اول السند احدا ثم انه كثيرا ما يذكر في صدر السند محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان وهو
يقتضي كون الرواية عنه بغير واسطة فربما ظن بعضهم ان المراد به الثقة الجليل محمد بن اسمعيل
ابن بزيع وايد ذلك بما يعطيه كلام الشيخ تقي الدين حسن بن داود ره حيث قال في
كتابه اذا وردت رواية عن محمد بن يعقوب عن محمد بن اسمعيل ففي صحتها قول لان في لقائه
له اشكالا فتقف لجهالة الواسطة بينهما وان كانا مرضيين معظمين انتهى كلامه والظاهر ان
ظن كونه ابن بزيع من الظنون الواهية ويدل على ذلك وجوه الاول ان ابن بزيع من
اصحاب ابي الحسن الرضا وابي جعفر الجواد عليهما السلم وقد ادرك عصر الكاظم ع وروى
عنه كما ذكره علماء الرجال فبقاؤه الى زمن الكليني مستبعد الثاني ان قول علماء الرجال ان
محمد بن اسمعيل ادرك ابا جعفر الثاني ع يعطي انه لم يدرك من بعده احدا من الائمة ع
فان مثل هذه العبارة انما يذكر وهنا في آخر امام ادركه الراوي كما لا يخفى على من انس
بكلامهم الثالث انه رحمه الله لو بقي الى زمن الكليني نور الله مرقده لكان قد عاصر ستة
من الائمة عليهم السلم وهذه مرتبة عظيمة لم يظفر بها احد من اصحابهم عليهم السلم فكان ينبغي
لعلماء الرجال ذكرها وعدها من جملة مزاياه وحيث ان احدا لم يذكره علم انه غير واقع الرابع
ان محمد بن اسمعيل الذي يروي عنه الكليني بغير واسطة يروي عن الفضل بن شاذان
وابن بزيع كان من مشايخ الفضل بن شاذان كما ذكره الكشي الخامس ما اشتهر على
الالسنة ان وفاة ابن بزيع كانت في حيوة الجواد السادس انا استقرينا جميع
احاديث الكليني المروية عن محمد بن اسمعيل فوجدناه كلما قيده بابن بزيع فانما يذكره
في اواسط السند ويروي عنه بواسطتين هكذا محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن محمد بن
اسمعيل بن بزيع واما محمد بن اسمعيل الذي يذكره في اول السند فلم نظفر بعد الاستقراء
الكامل والتتبع التام بتقييده مرة من المرات بابن بزيع ويبعد ان يكون هذا من
الاتفاقات المطردة السابع ان ابن بزيع من اصحاب الائمة الثلثة اعني الكاظم
والرضا والجواد عليهم السلم وقد سمع منهم سلام الله عليهم احاديث كثيرة بالمشافهة
فلو لقيه الكليني لنقل عنه شيئا من تلك الاحاديث التي نقلها عنهم بغير واسطة ليكون
الواسطة بينه وبين كل من الائمة الثلثة ع واحدا فان قلة الوسائط شيء مطلوب
وشدة اهتمام المحدثين بعلو السناد امر معلوم ومحمد بن اسمعيل الذي يذكره في
اوايل السند ليس له رواية عن احد المعصومين سلام الله عليهم بدون واسطة اصلا
بل جميع رواياته عنهم ع انما هي بوسائط عديدة فان قلت للمناقشة في هذه الوجوه
مجال واسع كما ناقش في الاول بان لقاء الكليني من لقي الكاظم ع غير مستنكر ان

وفاته سنة ثلث وثمانين ومائة ووفات الكليني سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وبين
الوفاتين مائة وخمس واربعون سنة فغاية ما يلزم بقاء ابن بزيع لادراك مائة سنة
وهو غير مستبعد وفي الثاني منع كون تلك العبارة نصا في ذلك ولو سلم فلعل المراد
بالادراك الرواية لا ادراك الرؤية ولا ادراك الزمان فقط وفي الثالث بان
المزية العظمى رؤية الائمة عليهم السلم والرواية عنهم بلا واسطة لا مجرد المعاصرة
لهم من دون رؤية ولا رواية فيجوز ان يكون ابن بزيع عاصر بابة الائمة لكنه لم يرهم
قلت اكثر هذه الوجوه وان امكنت المناقشة فيه بانفراده لكن الانصاف انه
يحصل من مجموعها ظن غالب يتاخم العلم بان الرجل المتنازع فيه ليس هو ابن بزيع
وليس الظن الحاصل منها دون من ساير الظنون المعول عليها في علم الرجال
كما لا يخفى على من خاض في ذلك الفن ومارسه والله اعلم انتهى كلامه زيد اكرامه فقول
اذا تقرر هذا وظهر ضعف القول وبعد الظن بان المذكور هو ابن بزيع وقد اطبق
علماؤنا المتاخرون قدس الله ارواحهم على تصحيح ما يرويه الكليني عن محمد بن اسمعيل
الذي فيه النزاع واطباقهم هذا قرينة على انه ليس احدا من اولئك الذين لم يوثقهم
احد من علماء الرجال فبقي الامر دائرا بين الزعفراني والبرمكي فانهما ثقتان من اصحابنا
لكن الزعفراني ممن لقي الصادق ع كما نص عليه النجاشي فيبعد بقاؤه الى عصر الكليني
فيقوى الظن في جانب البرمكي فانه مع كونه رازيا كالكليني قريب زمانه في غاية القرب
من زمانه لان النجاشي يروي عن الكليني بواسطتين وعن محمد بن اسمعيل البرمكي
بثلث وسايط والصدوق يروي عن الكليني بواسطة واحدة وعن البرمكي بواسطتين
والكشي حيث انه معاصر للكليني يروي عن البرمكي بواسطة وبدونها وايضا محمد بن
جعفر الاسدي المعروف بمحمد بن ابي عبد الله الذي كان معاصر البرمكي توفي قبل
وفاة الكليني بتقريب من ستة عشر سنة فلم يبق مزية في قرب زمان الكليني من زمان
البرمكي جدا واما روايته عنه في بعض الاوقات بتوسط الاسدي فغير قادح في
المعاصرة فان الرواية عن الشيخ تارة بواسطة واخرى بدونها امر شايع متعارف
لا غرابة فيه والله اعلم هذا ما ذكره ايضا شيخنا البهائي جل بهاؤه وجده بعدما
زيف القول بكون المذكور ابن بزيع او واحدا من العشرة الباقية عن الفضل بن
شاذان بالشين والذال المعجمتين والنون ابن الخليل بالخاء المعجمة ابو محمد الازدي
النيسابوري كان ابوه من اصحاب يونس وروى عن ابي جعفر الثاني ع وقيل
عن الرضا ع ايضا وكان ثقة جليلا فقيها متكلما له عظم شان في هذه الطائفة قيل انه
صنف مائة وثمانين كتابا وترحم عليه ابو محمد عليه السلم مرتين وروى ثلثا ولاء

ونقل

ونقل الكشي عن الائمة عليهم السلم مدحه ثم ذكر ما ينافيه وقد اجبنا عنه في كتابنا الكبير
وهذا الشيخ اجل من ان يغمز عليه فانه رئيس طائفتنا رضي الله عنه صه وقال النجاشي
اجل اصحابنا الفقهاء والمتكلمين وله جلالة في هذه الطائفة وهو في قدره اشهر من ان
نصفه وقال الشيخ في الفهرست متكلم فقيه جليل القدر له كتب ومصنفات روى الكشي
عن الملقب بنوري من اهل البوزجان من نيسابور ان ابا محمد الفضل بن شاذان كان وجهه
الى العراق فذكر انه دخل على ابي محمد ع فلما اراد ان يخرج سقط عنه كتاب وكان من
تصنيف الفضل فتناوله ابو محمد ع ونظر فيه وترحم عليه وذكر انه قال اغبط اهل
خراسان بمكان الفضل بن شاذان بين اظهرهم ابن ابي عمير وهو محمد بن زياد بن
عيسى ابو محمد مولى الازد من موالي المهلب بن ابي صفرة وقيل مولى بني امية والاول
اصح بغدادي الاصل والمقام لقي ابا الحسن موسى ع وسمع منه احاديث كناه في
بعضها فقال يا ابا احمد وروى عن الرضا ع جليل القدر عظيم المنزلة فينا وعند المخالفين
صه قال الكشي انه ممن اجمعت اصحابنا على تصحيح ما يصح عنه واقروا له بالفقه والعلم
وقال الشيخ الطوسي انه اوثق الناس عند الخاصة والعامة وانسكهم نسكا واورعهم
واعبدهم ادرك من الائمة ثلثة ابا ابراهيم موسى بن جعفر ولم يرو عنه وروى عن
ابي الحسن الرضا وابي جعفر الثاني ع عن جميل بن دراج بالدال غير المعجمة والراء
والجيم ودراج يكنى بابي الصبيح ابن عبد الله ابو علي النخعي وقال ابن فضال ابو محمد
شيخنا ووجه الطائفة ثقة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم واخوه نوح
ابن دراج القاضي ايضا من اصحابنا وكان يخفي امره ومات في ايام الرضا ع وكان
اكبر من نوح وعمي في آخر عمره واخذ عن زرارة له اصل صه قال الكشي ممن اجمعت العصابة
على تصحيح ما يصح عن هؤلاء وتصديقهم لما يقولون واقروا لهم بالفقه جميل بن دراج وعبد الله
ابن مسكان وعبد الله بن بكير وحماد بن عيسى وحماد بن عثمان وابان بن عثمان قالوا وزعم
ابو اسحق الفقيه يعني ثعلبة بن ميمون ان افقه هؤلاء جميل بن دراج وهم احداث اصحاب ابي عبد الله ع
عن ابان بن تغلب بالتاء المنقوطة فوقها نقطتين المفتوحة والغين المعجمة الساكنة ابن
رباح ثقة جليل القدر عظيم المنزلة في اصحابنا لقي ابا محمد علي بن الحسين وابا جعفر وابا عبد الله
عليهم السلم وقدم له المدينة وروى عنهم وقال له الباقر ع اجلس في مسجد المدينة
وافت الناس فاني احب ان يرى في شيعتي مثلك ومات في حيوة ابي عبد الله ع
فقال الصادق ع لما اتاه نعيه اما والله لقد اوجع قلبي موت ابان ومات في سنة
احدى واربعين ومائة وروى ان الصادق قال له يا ابان ناظر اهل المدينة فاني
احب ان يكون مثلك من رواتي ورجالي عن ابي عبد الله عليه السلم قال لوددت

ان اصحابه ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا **الشرح** معناه واضح والسياط جمع سوط
وهو الذي يجلد به والاصل سواط بالواو وقلبت ياء لكسرة ما قبلها وقد يجمع على الاصل
اسواط والذي نقل عن ابي هريرة فجعلنا نضرب باسياطنا وقسينا بالياء هو شاذ
والقياس اسواطنا كما يقال في جمع ريح ارياح شاذ والقياس ارواح وهو المطرد
المستعمل وانما قلبت الواو في سياط لكسرة ما قبلها ولا كسرة في اسواط **الحديث التاسع**
وهو الثالث والاربعون عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن عيسى عمن رواه عن ابي عبد الله
عليه السلام قال قال له رجل جعلت فداك رجل عرف هذا الامر لزم بيته ولم يتعرف الى
احد من اخوانه فقال كيف يتفقه هذا في دينه **الشرح** اعلم ان الناس اختلفوا في ان
لزوم البيت والعزلة من الخلق افضل او المخالطة والصحبة معهم والتحقيق ان كلا منهما قد
يفضل على الآخر في وقت ومن جهة وذلك يختلف باختلاف حال الاشخاص بل باختلاف
حال شخص واحد بحسب الاوقات فان كثيرا من المقاصد الدينية والدنياوية يتوقف
حصولها على الاستعانة بالغير واعظم ذلك كله التعلم والتفقه في الدين فانه اعظم واهم
من كل عبادة وطاعة ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة والصحبة مع المعلمين والاستاذين
وكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة فالمحتاج الى التعلم كما هو فرض عليه فالعزلة
وهو العزلة حرام عليه فهو يكون عاصيا بالعزلة ولزوم البيت اللهم الا ان يائس
منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة والاكتفاء بالتقليد فيما سمعه عند
اول الامر واعتقده اولا فلا يبعد ان يكون العزلة في حقه راجحا سيما اذا لم يتمكن
من انتفاع الغير ولا اكتساب الخيرات الدنيوية فان عبادة الجاهل ليس
فيها كثير خير واما من كان يقدر على التبرز في علوم الدين واصول اليقين فالعزلة
في حقه قبل التعلم والتفقه هي الخسران المبين ولهذا قال بعضهم تفقه ثم اعتزل
ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكر في هوس وغايته
ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها وهو لا ينفك في اعماله بالبدن والقلب
عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده
في الله تعالى وصفاته عن اوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها
فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل الدين
فلا خير في عزلة العوام والجهال قال بعض العلماء مثال النفس مثال مريض يفتقر الى
طبيب متلطف ليعالجها فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب
تضاعف لا محالة مرضه فلا يليق العزلة الا بالعالم **باب** صفة العلم وفضله
وفضل العلماء وهو الباب الثالث وفيه تسعة احاديث **الحديث الاول** وهو

الرابع والاربعون محمد بن الحسن وعلي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن عيسى عن عبيد الله بن
عبد الله الدهقان عن درست الواسطي عن ابراهيم بن عبد الحميد عن ابي الحسن موسى عليه السلام
قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فاذا جماعة قد اطافوا برجل فقال ما هذا فقيل
علامة فقال وما العلامة فقالوا له اعلم الناس بانساب العرب ووقائعها وايام الجاهلية
والاشعار العربية فقال النبي صلى الله عليه وآله ذاك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه
ثم قال النبي صلى الله عليه وآله انما العلم ثلثة آية محكمة او فريضة عادلة او سنة قائمة
وما خلاهن فهو فضل **الشرح** قوله فقيل علامة اي عالم جدا والتاء فيه للمبالغة قوله
قال وما العلامة كلمة ما من جملة كلمات الاستفهام التي يقع بها السؤال عن حقيقة الشيء او
سببه او وجوده او كمه او كيفه او متاه او اينه او غير ذلك فالسؤال عن حقيقة الشيء
بما هو وعن سببه بلم هو وعن وجوده بهل هو وعن مقداره او عدده بكم هو وعن صفته
بكيف هو وعن زمانه بمتى هو وعن مكانه باين هو فان قلت المناسب هنا ايراد كلمة
لم بدل ما قلنا قد تقرر في العلوم العقلية ان مطلب ما هو ولم هو في كثير من الاشياء
متحدان وهي كالمفارقات العقلية التي وجودها الخاص عين ماهيتها فمن علم ان العقل
مثلا ما هو علم انه لم هو وكما اذا اخذت الماهية مع وجودها الخاص فان سبب وجود الشيء
وان كان خارجا عن نفس ماهيته لكنه داخل في قوام وجوده فاذا كان السؤال عن الماهية
الموجودة صح ايراد كلمة لم بدل ما وكذا اذا كان السؤال عن سبب وجود الشيء بما هو
نفس الوجود صح ايراد كلمة ما بدل لم ونظير ذلك انه اذا اخذ الموصوف مع صفته كالجسم
مع البياض كانهما امر واحد مركب من مادة وصورة فاذا سئل عن المجموع بما هو
ويقع في الجواب الجسم الابيض كما يقع الحد المركب من الجنس والفصل ففي هذا المثال
قد وقع في جواب ما هو ما كان يقع في جواب كيف هو ففي ما نحن فيه لما كان غرضهم
الاستكشاف عن حقيقة عالمية ذلك الرجل المقيد بالعلم المأخوذ بكونه عالما فكان
السؤال عن سبب اتصافه بالعلامة راجعا الى السؤال عن حقيقة كونه علامة ولهذا وقع الجواب
بنحو علمه الداخل في كونه علامة بزعمهم وهو علمه بانساب العرب وحكاياتها وعلمه بالاشعار
العربية فذلك العلم داخل في حقيقة عالميته وعلة لاتصافه في ذاته بنعت العلم وهذا كما
اذا سئل ما الخسوف يقع الجواب بانه محو ضوء القمر لحيلولة الارض بينه وبين
الشمس عند المقابلة الحقيقية واذا سئل لم الخسوف يقع الجواب بحيلولة الارض
بينهما عند المقابلة فيمحي نوره فاذن يشارك فيه الجوابان اعني الحد والبرهان فافهم
هذا فانه من غوامض العلوم ثم لما زعموا ان ما حصل لذلك الرجل هو من العلوم المعتبرة
الحقيقية نبههم رسول الله ص بان الذي حصل ليس علما بالحقيقة اذ العلم بالحقيقة هو الذي

يضر جهله في المعاد و ينفع اقتناؤه ذخرا ليوم يقوم فيه الاشهاد لا الذي يستحسنه العوام و يكون مسيرة
للطعام ثم انه صلعم ان الذي العلم يضر جهله و ينفع علمه في الآخرة ما ذا فقال انما العلم ثلثة آية
واعلم انك قد علمت سابقا ان العلوم الاخروية قسمان علوم معاملة و علوم مكاشفة والظاهر ان
هذه الاقسام التي ذكرها رسول الله صلعم وحصرها فيها ثلثة هي علوم المعاملة لانها التي ينتفع بها
لاكثر الخلق واما علوم المكاشفة فلم توجد ولا يوجد في كل وقت الا في اقل قليل من الناس
وهي اعز من الكبريت الاحمر كما دل عليه بعض الاحاديث الآتية في كتاب الايمان والمذكور منها
في القرآن انما كان على سبيل الرمز في متشابهات القرآن التي لا يعلم تأويلها الا الله و
الراسخون في العلم ولما كانت العلوم الدينية النافعة في الآخرة اما متعلقة بالاصول الاعتقادية
او بالفروع العملية والثانية اما متعلقة بالافعال واعمال الجوارح من الحلال والحرام واما متعلقة
بالاحوال واعمال القلب من حسن الاخلاق وقبائحها ونيات الضمائر واغراضها فهي ثلثة
اقسام فقوله صلعم آية محكمة اشارة الى القسم الاول وهو اصول العقائد واركانها المستفادة
من الآيات المحكمات القرآنية وقوله صلعم او فريضة عادلة اشارة الى العلم بفرائض الاعمال
وواجباتها ومحرماتها التي يجب على المكلفين الاتيان بها والكف عنها وقوله او سنة قائمة
اشارة الى العلم بالسنن والنوافل فانها من الاعمال التي يؤثر في جلب الاحوال القلوب
وكسب الاخلاق الحسنة وازالة الملكات الردية وكلها ثابتة من طريق الحديث والسنة
ويحتمل ان يكون الثالث اشارة الى علوم الاخلاق وصفات القلب وان اكثرها مما يستقل
العقل بادراكه اعني محاسن تلك الاحوال ومقابحها والثالث وهو قوله صلعم او سنة
قائمة اشارة الى العلم باعمال المكلفين واحكامها المستفاد جلها بل كلها من السنة
القائمة اي الاحاديث الصحيحة الثابتة بنقل الرواة العدول والرجال الثقات وقوله صلعم
ما خلاهن فضل اي ما خلا هذه الثلثة المذكورة سواء كان محمودا كالطب ونحوه او مذموما
كعلم السحر والشعبدة والفال واحكام النجوم وغيرها فان اكثر ما يعده العامة من العلوم
المستحسنة المحمودة ليس منها بل يكون مذموما فان قلت العلم هو معرفة الشيء على ما هو عليه
وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ومع كونه علما مذموما قلنا ان العلم لا يذم
لعينه ولا لكونه علما على الاطلاق وانما الذم متوجه اليه لاحد اسباب ثلثة احدها ان
يكون مؤديا الى ضرر اما بصاحبه او بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ
شهد القرآن له وبه يتوسل الى ما يفرقون به بين المرء وزوجه الثاني ان يكون مضرا
بصاحبه في اكثر الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم اذ هو قسمان قسم يتعلق
بالحساب والهيئة وقد نطق القرآن بان سير الكواكب محسوب اذ قال والشمس
والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقال ولتعلموا عدد

السنين

السنين والحساب والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب
وهو كاستدلال الطبيب بالنبض وحركة الشرايين على ما سيحدث في بدن الانسان من
الصحة والمرض ولكنه ذمه الشرع وزجر عنه وانما زجر عنه لثلثة اوجه الاول انه مضر باكثر
الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير هذه الكواكب وقع
في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرات وانها الآلهة المدبرة لانها جواهر شريفة كريمة
سماوية يعظم وقعها في القلوب فيلتفت اليها ويرى الخير والشر مرجوا او محذورا
من جهتها وينمحي ذكر الله عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم
الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه والثاني
ان احكام النجوم تخمين محض ليس يعلم لا باليقين ولا بالظن فالحكم به حكم بجهل فيكون
مذموما على هذا من حيث انه جهل وكذب لا من حيث انه علم وحق ولقد كان ذلك
معجزة لادريس النبي عم وقد اندرس وانمحى وما يتفق احيانا من اصابة المنجم
فهو اتفاق والثالث الوجه انه لا فائدة فيه واقل احواله انه خوض في فضول لا يغني
وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فائدة وهو غاية الخسران فالخوض
في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز
عنه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته مما يطلع عليه السبب
الثالث غموض بعض العلوم الحقة ودقته فان الخوض في علم لا يستقل الخائض بدركه
مذموم فيجب كف الناس عن البحث عنه والخوض فيه ولهذا قال رسول الله صلعم
اذا ذكر القدر فامسكوا وقال امير المؤمنين عم كما رواه الصدوق في كتاب التوحيد
باسناده عن الاصبغ بن نباتة الا ان القدر سر من سر الله وستر من ستر الله
وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله مطوي عن خلق الله مختوم بخاتم الله الحديث
بطوله واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في معالجات المرضى يستبعدها
من لا يعرفها فكذا الانبياء عليهم السلام اطباء القلوب عارفون باسباب الحيوة الاخروية
فلا تحكم بمعقولك على سننهم واحكامهم ففي اسرار الشريعة ولطايفها الخفية لصفا
القلوب وطهارتها واصلاحها للترقي الى جوار الله والوصول الى دار كرامته امور
تكل عن ادراكها الافهام وتدق عن ادراكها عقول الانام بقوة افكارها واستنباطها
وكل ما لم يصل عقلك الى وجه الحكمة فيه فاعزل العقل عن الفكرة فيه ولازم الاتباع
ولذلك ورد عن النبي صلعم انه قال ان من العلم جهلا وان من العقل عيا ومعلوم ان
العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار وانه قال صلعم قليل من التوفيق
خير من كثير من العلم فقد تبين ان معنى كون علم مذموما ما ذا وان العلم في نفسه اي علم

كان نوع من النور والظهور قل أو كثر والنور لا يكون إلا محموداً بحسبه وإنما الذم لأجل ما لزم من ضرر
أو شر **الحديث الثاني** وهو الخامس والأربعون محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن
محمد بن خالد عن أبي البختري بالباء المنقطة تحتها نقطة والخاء المعجمة والتاء المنقطة فوقها نقطتين
والراء اسمه وهب بن وهب بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن عبد العزى
روى عن أبي عبد الله ع وكان كذاباً قاضياً عامياً إلا أن له أحاديث عن جعفر بن محمد عليهما السلام
كلها لا يوثق بها وله أحاديث مع الرشيد في الكذب قال سعد تزوج أبو عبد الله ع بأمه
قال الكشي عن علي القتيبي عن الفضل بن شاذان كان أبو البختري من أكذب البرية وقال
الشيخ في الفهرست إنه ضعيف عامي المذهب له كتب روى عنه السندي بن محمد وإبراهيم
ابن هاشم وسهل بن [illegible] عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن العلماء ورثة الأنبياء
وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن
أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل
خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين **الشرح**
الحديث لغة يرادف الكلام سمي به لأنه يحدث شيئاً فشيئاً وفي الاصطلاح كلام خاص
عن النبي ص أو الإمام أو الصحابي أو التابعي ومن يحذو حذوه يحكي قولهم أو فعلهم أو تقريرهم
وبعض المحدثين لا يطلق اسم الحديث إلا على ما كان عن المعصوم والانتحال من النحلة وهي
النسبة بالباطل وتنحلت القول من باب منع نحلاً أضفت إليه قولاً قاله غيره وادعيته عليه
وانتحل فلان شعر غيره أو قول غيره إذا ادعاه لنفسه وتنحله مثله وفلان ينتحل مذهب كذا
وقبيلة كذا إذا انتسب إليه قوله ع إن العلماء ورثة الأنبياء اعلم أيها الطالب المدرك
الفهم أصلح الله قلبك بأنوار العلم والعرفان أنه كما أن الولادة قسمان أحدهما الصورية
وهي المعروفة عند الناس في هذه النشأة البدنية والأخرى المعنوية وهي ولادة الروح
في النشأة الباطنة وأشار المسيح على نبينا وعليه السلام إلى الولادتين جميعاً بقوله لن يلج
ملكوت السماوات من لم يولد مرتين فكذا الوراثة قسمان مالية وعلمية والأنبياء عليهم السلام
من حيث كونهم أنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً بل ميراثهم هو العلم والكلام فوراثهم
لم يكونوا إلا العلماء قال بعض الفضلاء المتأخرين في معرض تحقيق الآل ما حاصله أن
آل النبي ص كل من يؤول إليه وهم قسمان الأول من يؤول إليه مآلاً صورياً جسمانياً
كأولاده ومن يحذو حذوهم من أقاربه الصوريين الذين يحرم عليهم الصدقة في الشريعة
المحمدية والثاني من يؤول إليه مآلاً معنوياً روحانياً وهم أولاده الروحانيون من العلماء
الراسخين والأولياء الكاملين والحكماء المتألهين المقتبسين من مشكاة أنواره سواء سبقوه
بالزمان أو لحقوه ولا شك أن النسبة الثانية آكد من الأولى فإذا اجتمعت النسبتان

كان

كان نوراً على نور كما في الأئمة المشهورين من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين
كما حرم على أولاده الصوريين الصدقة الصورية حرم على الأولاد المعنويين الصدقة المعنوية
أعني تقليد الغير في العلوم والمعارف انتهى ملخص كلامه قوله ع وإنما أورثوا أحاديث
من أحاديثهم أي أحاديث هي بعض من كل أحاديثهم وكما أن المواريث الصورية متفاوتة
في القدر والعدد حسب تفاوت القرابة فكذا في هذه الوراثة المعنوية من كان أكثر
نصيباً وأوفر استفادة من النبي ص كان أشد قرابة وآكد نسبة وليس المراد من أخذ الأحاديث
منهم عليهم السلام مجرد حفظ ألفاظ الكتابة فإن ذلك شيء قليل النفع ليس من الميراث
العلمي بشيء بل اللفظ من الدنيا والأخذ به شبه الميراث الصوري وإنما المراد أخذ حقائقها
العلمية ومطاويها العقلية ومضامينها الحكمية كما دل عليه قوله ع فمن أخذ بشيء منها
فقد أخذ حظاً وافراً لأن قليلاً من العلم والمعرفة خير مما طلعت الشمس عليه من شرق
الدنيا إلى غربها قوله ع فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه أي تأملوا في علمكم الذي به تكونون
من جملة العلماء الذين هم من وراث الأنبياء فإن لكل علم وصنعة بيتاً وأهل بيت مخصوصين
والأئمة المعصومون عليهم السلام أهل بيت النبوة والعلم وأصل شجرة العلم المعبر عنه بلسان
الشريعة بطوبى في دارهم والشجرة الخبيثة كناية عن العلوم الباطلة والمغالط الوهمية التي
لا حقيقة لها ولا ثبات كما قال في إشارة إلى الأولى كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها
في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وقال في الثانية كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة لا تبديل لكلمات الله والشجرة الملعونة في القرآن التي نزلت في آل
أبي سفيان كناية عما ينتحل به الفجار المنافقون والأمراء الباغون والرؤساء الضالون
والأئمة المفسدون فالمأخوذ من أهل بيت النبوة عليهم السلام هو ميراث العلم والآخذون
العلم منهم ورثة الأنبياء المستضيئون بأنوارهم دون من أخذ النصيب من غيرهم فإن
ذلك ليس علماً ولا حكمة بل ما كان آلة جدل يخاصم به طالب المباهاة بالغلبة والإفحام
أو فتوى حكومة يستعين بها القضاة وغيرهم على الحكومة وفصل الخصام أو خطابة ينتفع
به الواعظ في مجمع العوام أو سجعاً مزخرفاً يتوسل به الحطام قوله عليه السلام فإن فينا
أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه أي يجب أن فينا في كل ما يخلف عن النبي ص
من العلوم الحقيقية جماعة عدولاً أي أئمة وسطاء لهم الاستقامة في طريق الحق من غير تحريف
ولا غلو ولا تقصير فينفون عن العلم ويذبون عن الدين تحريف الغالين وإضلال المضلين
ويدفعون انتحال المبطلين أي المنتحلين بالشرع على الوجه الباطل وهم أكثر المنتسبين
إلى الشريعة والدين من غير بصيرة ولا يقين ويبطلون تأويلات الجاهلين المؤولين لكلام الله

الى طريقة المحرفين للكلم عن مواضعها فاهل البيت عليهم السلم هم الراسخون في العلم عندهم تاويل الاحاديث
واهل الله والقشر بمعزل عن معرفة بطون القرآن وتاويل الاحاديث اذ القشر لا يعرف
الا القشر واللب لا يعرفه الا اولوا الالباب وهم الذين عبرت ارواحهم عن عالم الصورة
والحس الى عالم المعنى والعقل فهم ياخذون العلم عن الله بنور الاحوال وغيرهم ياخذون عن
الرجال وليس سبيلهم الا جمع الاقوال واعلم ان الفرق بين اهل البيت ع اعني الاولياء الكاملين
وبين غيرهم من العلماء في باب الوراثة عن النبي ص ان الاولياء المعصومين من الخطاء لا ياخذ العلم الذي
هو ميراث الانبياء والرسل الا بعد ان يرث الله منهم ثم يلقيه اليه واما ساير علماء الرسوم
ياخذون العلم خلف عن سلف حتى ينتهي الى النبي ص او الى الوارث الالهي وهكذا
الى يوم القيمة فبعد النبي واما الاولياء ع فهم ياخذون ميراثه منه ص عن الله من حيث
كونه ورثة وجاذبة على بصيرة فهم ورثة الرسل ورواة الاحاديث عنهم بمثل هذا السند العالي
المحفوظ الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولاجله قال بعض
اهل الحق اخذتم علمكم ميتا عن ميت واخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت وقال الله في مثله
في مثل هذا المقام بعد ذكر الانبياء عليهم السلم في سورة الانعام اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وكانوا قد ماتوا وورثهم الله وهو خير الوارثين ثم جاذبة على النبي ص
بذلك الهدى الذي هداهم به وهذا عين ما ذكرنا في علم الاولياء وهداهم بهدى النبي و
هدى الانبياء عليه وعليهم صلوات الله اجمعين هذا خلاصة ما ذكره بعض العرفاء وهو تحقيق
شريف حقيق بالتصديق والله ولي التوفيق **الحديث الثالث** وهو السادس والاربعون
الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشا عن حماد بن عثمن عن ابي عبد الله عليه السلم
اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين **الشرح** يستفاد من هذا الحديث ان العلم
امر وهبي لا يحصل بمجرد العمل والسعي بل يتعلق بمشية الله بل للانسان بحسب النشاة الباطنة
انواع مختلفة والعالم مخالف لغيره من افراد البشر في النشاة ذاتية كما دل عليه قوله تع هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقول النبي ص الناس معادن كمعادن الذهب والفضة
الحديث وقد مر غير مرة ان المراد من التفقه في الدين ما ذا فلا نعيده **الحديث الرابع**
وهو السابع والاربعون محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن حماد بن عيسى الجهني
البصري ابو محمد موله وقيل عربا اصله الكوفة وسكن البصرة روى عن ابي عبد الله وابي
الحسن والرضا عليهم السلم ومات في حيوة ابي جعفر الثاني ع ولم يحفظ عنه رواية عن الرضا
ولا عن ابي جعفر وكان ثقة في حديثه صدوقا قال سمعت من ابي عبد الله سبعين حديثا
فلم ازل ادخل الشك على نفسي حتى اقتصرت على هذه العشرين ودعا له ابو عبد الله ع
بان يحج خمسين حجة فحجها وغرق بعد ذلك ص قال ابن الجنيد كان الغرق في غسل الاحرام

الحج الى وادي والخمسين وكان من جهينة وتوفي سنة تسع ومائتين وقيل ثمان ومائتين بوادي قناة
وهو واد يسيل من الشجرة الى المدينة وهو غريق الجحفة وله نيف وتسعون سنة ص وقال الشيخ
في الفهرست له كتب وقال الكشي اجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه واقروا له بالفقه في آخرين
روى الكشي عن حمدويه عن العبيدي عن حماد بن عيسى قال دخلت على ابي الحسن الاول فقلت
جعلت فداك ادع الله ان يرزقني دارا وزوجا وولدا وخادما والحج في كل سنة فقال
اللهم صل على محمد وآل محمد وارزقه دارا وزوجة وولدا وخادما والحج خمسين سنة فلما شرط
خمسين سنة علمت انه لا احج اكثر من خمسين سنة قد رزقت كل ذلك وحججت ثمان واربعين سنة
فحج بعد هذا الكلام حجتين تمام الخمسين ثم خرج بعد حاجا فلما صار في موضع الاحرام دخل يغتسل
فجاء الوادي فحمله فغرقه الماء رحمه الله عن ربعي بن عبد الله بالباء المنقطة تحتها وبعدها العين المهملة
ابن عبد الله بن جارود بن ابي سبرة بفتح المهملة وسكون الموحدة ابو نعيم بصري ثقة
روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم وصحب الفضيل بن يسار واكثر الاخذ عنه
وكان خصيصا به ص في الفهرست روى عنه ابن ابي عمير وحماد بن عيسى قال الكشي قال
محمد بن مسعود سالت ابا محمد عبد الله بن محمد بن خالد الطيالسي عن ربعي بن عبد الله فقال
هو ابن جارود بصري ثقة عن رجل عن ابي جعفر عليه السلم قال الكمال كل الكمال التفقه في
الدين والصبر على النائبة وتقدير المعيشة **الشرح** النائبة هي ما ينوب الانسان
اي ينزل به من المهمات والحوادث من ناب عني فلان ينوب منابا اذا قام مقامي و
انتاب فلان القوم انتيابا اتاهم مرة بعد اخرى والنائبة المصيبة واحدة نوائب الدهر
قدر على الانسان رزقه قدرا مثل ضرب وقدر على عياله قدرا مثل قتر ومعناه ضيق و
قدرت الشيء قدرا من التقدير والمراد من تقدير المعيشة هنا اما الضيق والعسرة واما
كون المعيشة على قدر الكفاية من غير تقتير ولا توسعة كما في قوله تع في معرض المدح والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولكل منهما وجه في الكتاب
الحكم فالاول من جهة رياضة النفس وتصفية الذهن وترقيق القلب والثاني من جهة
فراغ البال وقلة الاشتغال بامور الدنيا **تنبيه وتذكرة** جعل عليه السلم مجامع
الكمالات الانسانية منحصرة في ثلثة امور العلم والصبر وتقدير المعيشة وذلك لان
الخير والكمال بالحقيقة عبارة عن الاحاطة بالمعلومات والتجرد عن الدنيات وبهما يحصل
التخلق باخلاق الله والتشبه بالملائكة المقربين اما التفقه في الدين فبه يحصل الاحاطة
بالمعلومات واما الصبر فهو عبارة عن ثبات باعث الدين وجنود العقل في مقابلة
باعث الهوى وجنود الشهوة وذلك لان التجرد المحض للتجرد ات الملائكة المقربين و
التجرد للشر دون الخير جبلة اهل الشهوة والهوى كالبهائم والشياطين والرجوع الى الخير

بعد الوقوع في الشر من خواص الآدميين والانسان خلق في ابتداء الصبى ناقصا مثل البهيمة لم يخلق
فيه الا قوة الشهوة فليس فيه الا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله فضله ورفع درجته عن درجة
البهائم والشياطين بان وكل به ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فاختص بصفتين احدهما قوة
معرفة الله ومعرفة رسوله والعلم باليوم الآخر وهو المنفعة في الدين والثانية قدرة وقوة
يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهد بتلك القوة وهي عبارة عن الصبر اذ به فارق الانسان
البهائم في قمع الشهوات والتحمل للشدائد والنائبات واما التقدير في المعيشة فلان لكون
فارغ البال لا يهتم بشيء غير طلب العلم للكمال وقمع الاعداء للارتحال فالاول هو الكمال بالحقيقة
والاخيران هما المطلوبان بالتبع لتوقفه عليهما **الحديث الخامس** وهو الثامن والاربعون
محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن اسمعيل بن جابر الجعفي الكوفي ثقة ممدوح
وما ورد فيه من الذم فقد بينا ضعفه في كتابنا الكبير وكان من اصحاب الباقر ع وحديثه
اعتمد عليه صه قال النجاشي ثقة ممدوح له اصول رواها عنه صفوان بن يحيى وهو من اصحاب
الباقر ع روى عنهما عليهما السلم ايضا عن ابي عبد الله قال العلماء امناء والاتقياء حصون والاوصياء
سادة وفي رواية اخرى العلماء منار والاتقياء حصون والاوصياء سادة **الشرح**
اما كون العلماء امناء الله في ارضه فلانهم حملة كتابه وحفظة لاسراره وخزنة لحكمته وليس
لغيرهم هذا الشان حتى يكون امينا اذ ليس عنده من الحمل والحفظ والخزانة في شيء واما كونهم
منارا في بلاده كما في الرواية الاخرى فلانهم بهم يعرف معالم دين الله وسبيل طاعته
وطريق رضوانه واما كون الاتقياء حصونا للشريعة فلان بالتقوى يرتفع فساد المفسدين
فان مواظبة اهل التقوى واصحاب الورع على فعل الطاعات وترك المنكرات
تؤثر تاثيرا عظيما في قلوب الناس فلا يجترؤن على هتك حرمة الشريعة وهدم حصونها
واما كون الاوصياء سادة فلانهم اجل العلماء وافضلهم واعظمهم والعلماء سادات
الناس لانهم في رتبة الانسانية وحقيقة الآدمية وهي العقل والتميز والروية والنطق
اعظمهم واكملهم والافضل من الافضل اولى بان يكون افضل واجل فالاوصياء ع
اولى بان يكونوا سادة الخلائق اجمعين سوى النبيين عليهم الصلوة والسلم والسادة
جمع السيد من ساد قومه يسودهم سيادة وسوددا وسيدودة فهو سيد وقوم سادة
اي جل وعظم عليهم وتقديره سيد فعيل لانه يجمع على سيائد بالهمزة كتبيع وتبايع وقيل
فيعل وسوده قومه وهو اسود من فلان اي اجل منه وهذا اسيد قومه اليوم وهو
سائد قومه عن قليل وفي النهاية انه جاءه رجل فقال انت سيد قريش فقال السيد الله
اي هو الذي يحق له السيادة كانه كره ان يحمد في وجهه واحب التواضع ومنه الحديث
لما قالوا له انت سيدنا قال قولوا بقولكم اي ادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله

ولا تسموني سيدا كما تسمون رؤساءكم فانهم كانوا يحسبون انه ممن يسودهم في اسباب الدنيا
وفي الحديث انا سيد ولد آدم ولا فخر قاله اخبارا عما اكرمه الله تعالى من الفضل والسودد
وتحدثا بنعمة الله عنده واعلاما لامته ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه
بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها
بقوتي فليس لي ان افتخر بها ومنه كل بني آدم سيد فالرجل سيد اهل بيته والمرأة
سيدة اهل بيتها وفيه قال للانصار قوموا الى سيدكم يعني سعد بن عبادة اراد
افضلكم رجلا وفي رواية انظروا الى سيدكم اي مقدمكم **الحديث السادس** وهو
التاسع والاربعون احمد بن ادريس ابو علي الاشعري القمي كان ثقة فقيها في اصحابنا
كثير الحديث صحيح الروايات عن محمد بن حسان عن ادريس بن الحسن مجهول غير مذكور في
كتب الرجال التي رأيناها عن ابي اسحق الكندي عن بشير الدهان روى عن ابي عبد الله ع
وقيل بشير بالياء والسين غير المعجمة من اصحاب الكاظم عليه السلم قال قال ابو عبد الله عليه السلم
لا خير فيمن لا يتفقه من اصحابنا يا بشير ان الرجل منهم اذا لم يستغن بفقهه احتاج اليهم
فاذا احتاج اليهم ادخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم **الشرح** لما كانت الفرقة الناجية
الفائزة مذهبهم يخالف مذهب العامة وجماهير الفرق في اكثر الاصول كما دل عليه
قول الصادق ع حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد
امتحن الله قلبه للايمان فلا بد للمرء الذي هو شيعي امامي المذهب ان يكون متفقها عارفا
باصول هذا المذهب عالما بماخذه وقواعده ليكون على بصيرة في دينه متخلقا باخلاق
الائمة عليهم السلم ناهجا منهجهم سالكا طريقتهم والا لكان آثما متحيرا في دينه لما رأى
من مخالفته لمذاهب الجمهور المنتسبين الى العلم والفضيلة او داخلا في ضلال اهل الاهواء
مفتونا بطريقة علماء الدنيا الراغبين الى طلب الجاه والرياسة الضالين المضلين للخلق
لانهم ليسوا من دين الله ومعرفته ومعرفة الآخرة في شيء ولا خبر لهم من مفسدات
الاعمال ومشوشات القلوب ومكدراتها ومبعدات النفوس عن الله والدار الآخرة
لاغترارهم بمجرد حفظ الاقوال ونقل الاخبار والروايات وضبط اسامي الرجال
فوجب ان لا يكون المتحلي بهذا المذهب عاميا مقلدا من غير بصيرة بل عارفا
فقيها متدينا صالحا ورعا معرضا عن الخلق مؤثرا للخلوة مع الله بالمناجاة والفكر
والصمت عن محمد بن احمد بن ابي نصر البزنطي قال قال ابو الحسن ع من علامات الفقه
الحلم والعلم والصمت **الحديث السابع** وهو الخمسون علي بن محمد عن سهل بن زياد
عن النوفلي عن السكوني عن ابي عبد الله عليه السلم عن آبائه عليهم السلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله لا خير في العيش الا لرجلين عالم مطاع او مستمع واع **الشرح** اي ليس العيش الحيوة

والمراد بعيش الآخرة وهي العيشة الراضية وقد سبق في هذا الكلام ان حيوة الآخرة لا تحصل الا بالعلم بل الحيوة الاخروية نفس قوة العلم والادراك واليه الاشارة بقوله او من كان ميتا فاحييناه الآية واما العمل الصالح فانما يطلب لكونه وسيلة الى العلم والمعرفة واذا تقرر هذا فنقول الناس على اربعة اقسام لانه اما جاهل او غير جاهل والثاني اما عالم بالفعل او بالقوة وهو المستعد والاول اما جاحد للعلم او غير جاحد واذا كانت حيوة الآخرة وعيشها بالعلم فالقسمان الاولان من اهل العيشة الراضية والنعيم الباقية الا انها للاول بالذات وللثاني بالتبعية لان الاول منته الى الغاية والثاني في سبيل الهداية واما الاخيران فالثالث من اهل النقمة والعذاب والمعيشة الضنك والرابع في مشية الله او في الرحمة الواسعة **الحديث الثامن** وهو الحادي والخمسون علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن ابي عمير عن سيف ابن عميرة عن ابي حمزة عن ابي جعفر عليه السلم قال عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد **الشرح** قد علمت ان العقل وهو الصورة المفارقة عن المواد والتغيرات والنقايص والاعدام والشرور اقرب المجعولات اليه تعالى واكرم المخلوقات لديه وان الانسان في اول النشأة عقل بالقوة جسماني بالفعل ومن شأنه ان يخرج من القوة الى الفعل ومن الظلمة الى النور فيصير عقلا بالفعل بعد ما كان عقلا بالقوة نفسا بالفعل وانما الشيء الذي به يصير جوهرا نورانيا عقلا بالفعل هو العلم اعني الملكة الراسخة الحاصلة للنفس الانسانية عقيب تكرر الادراكات والانظار العقلية وتكثر التأملات والافكار العلمية واذا حصلت تلك الملكة النورية في قلب المؤمن بالفيض الرباني يحصل له بصيرة عقلية يتراءى له حقايق الاشياء كما هي فيرا[ها] رؤية عقلية كما يرى صور الاشياء الحسية ببصره الحسي وهو نور حسي يفيض على العين الصحيحة باشراق الشمس عليها فتلك الملكة العلمية اصل كل سعادة وخير ودفع كل شقاوة وشر وهو غاية كل سعي وحركة ونهاية كل عمل وطاعة فاي فضيلة ومنقبة افضل واشرف من ما يجعل به الحيوان البشري ملكا مقربا والجوهر الظلماني نورا عقليا والاعمى بصيرا والقتال حديا[؟] والسفلي علويا والمسجون في سجين صايرا في عليين فالعلم هو الاكسير الكبير اذ به يصير القلب الاسود الكاسد نقدا رايجا في سوق الآخرة والحديد القاسي الجامد درة بيضاء بل كوكبا دريا يستضيء بنوره اهل الارض والسماء وهو الدرياق الفاروق الذي به يفرق بين الحق والباطل وبه يميز الخبيث من الطيب وهو النور الذي يحيى به الاموات ويسعى بين ايدي المؤمنين وبايمانهم يوم جزاء الحسنات والسيئات وهو القوة التي يتيسر بها الطيران الى عالم العرش فوق السموات وأية نسبة في الفضل والشرف بينه

وبين الاعمال والحركات وآداب الجوارح في الطاعات ونسبة العلم الى العمل كنسبة القلب الى القالب والروح الى الاعضاء فمعنى ان عالما ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد وهذه النسبة ايضا اي نسبة السبعين الى الواحد انما يكون لحفظه لاجل ما في العبادة من رايحة العلم اذ النية معتبرة فيها والنية ضرب من المعرفة والا فالنسبة بين العلم ومجرد العمل بلا نية **الحديث التاسع** وهو الثاني والخمسون الحسين بن محمد عن احمد بن اسحق المسمى باحمد بن اسحق رجلان اثنان كلاهما ثقتان احدهما الرازي من اصحاب الهادي عم ثقة اورد الكشي ما يدل على اختصاصه بالجهة المقدسة صه حكى بعض الثقات بنيسابور انه خرج لاسحق بن اسمعيل من ابي محمد عم توقيع يا اسحق بن اسمعيل الى ان قال فليقرأ حقوقنا الى ابرهيم وليحمل ذلك ابرهيم بن عبدة الى الرازي رضه او الى من يسمى له الرازي فان ذلك عن امري ورأيي ان شاء الله انتهى وقد اورد من ذلك في ابن اسحق القمي ويحتمل الاتحاد والثاني القمي وهو اسحق بن عبد الله ابن سعد بن مالك بن الاحوص الاشعري وكان وافد القميين روى عن الجواد والهادي عم وكان خاصة ابي محمد عم ورأى صاحب الزمان وهو شيخ القميين وكان صالحا ثقة صه وروى الكشي عن ابي محمد الرازي قال كنت انا واحمد بن ابي عبد الله بالعسكر فورد علينا رسول من الرجل فقال لنا الغايب العليل ثقة وايوب بن نوح وابرهيم بن محمد الهمداني واحمد بن حمزة واحمد بن اسحق ثقات جميعا وقال الشيخ في كتاب الغيبة وقد كان في زمان السفراء المحمودين اقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الاصل ثم قال ومنهم احمد بن اسحق وجماعة خرج التوقيع في مدحهم روى احمد بن ادريس عن محمد بن احمد عن محمد بن عيسى عن ابي محمد الرازي قال كنت واحمد بن ابي عبد الله بالعسكر فورد علينا رسول من قبل الرجل فقال احمد بن اسحق الاشعري وابرهيم بن اسحق الاشعري وابرهيم بن محمد الهمداني واحمد بن حمزة اليسع ثقات وفي ربيع الشيعة انه من الوكلاء وانه من السفراء والابواب المعروفين الذين لا يختلف الشيعة القايلون بامامة الحسن بن علي عليهما السلم فيهم والظاهر ان المذكور ههنا هو الاول لكونه رازيا كالكليني رحمهما الله واحتمال الاتحاد ايضا قوي كما مر عن سعدان بن مسلم اسمه عبد الرحمن كوفي من اصحاب الصادق عم قال النجاشي ابو الحسن العامري مولى ابي العلاء كرز بن جميد العامري من عامر ربيعة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم وعمر عمرا طويلا وقال الشيخ في الفهرست له اصل روى عنه محمد بن عذافر وصفوان بن يحيى والعباس ابن معروف وعبد الله بن الصلت القمي واحمد بن اسحق انتهى عن معوية بن عمار بن ابي معوية خباب بن عبد الله الدهني مولاهم كوفي ودهن بضم الدال واسكان الهاء من بجيلة هو دهن بن معوية بن مسلم بن احمس بن الغوث بن انمار كان وجها في

ابا معوية روى عن ابي عبد الله وابي الحسن موسى عليهما السلم ومات سنة خمس وسبعين
ومائة صه قال الكشي انه كان صبيح السابري وعاش مائة وخمسا وسبعين سنة وقال علي
ابن احمد العقيقي لم يكن معوية بن عمار عند اصحابنا بمستقيم كان ضعيف العقل مأمونا في
حديثه وقال النجاشي يكنى ابا معوية وابا القسم وابا حكيم وكان له من الولد القسم وحكيم
ومحمد وقال في الفهرست له كتب روى عنه ابن ابي عمير ومحمد بن سكين وصفوان بن يحيى قال
قلت لابي عبد الله عليه السلم رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدده في
قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعل عابدا من شيعتكم ليست له هذه الرواية ايهما افضل قال
الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا افضل من الف عابد **الشرح** الراوية الراوي والتاء
للمبالغة كما في العلامة والنسابة معناه كثير الرواية ويبث الحديث ينشره واظهاره وفي
حديث ام زرع زوجي لا ابث خبره اي لا انشره لقبح آثاره ويبث الخبر وابثه بمعنى
وانبثثه ايضا اي اظهرته لك ويبث الخبر بشدد للمبالغة وفيه ايضا لا تبث
حديثنا تبثيثا والشدة القوة وشد عضده اي قواه ويشدده اي اوثقه فقوله
ويشدده في قلوبهم اي يؤكد حديثكم ويقويه في قلوب العامة وقوله يشد به قلوب شيعتنا
اي يقوي بسبب بث الحديث عقيدة قلوبهم ويزداد ايمانهم ومحبتهم لنا اهل البيت
فان قلت الوارد في الحديث السابق ان العالم المنتفع بعلمه افضل من سبعين الف
عابد وفي هذا الحديث ان الراوية افضل من الف عابد فما وجه التوفيق بينهما حيث ان
مرتبة الثاني في الفضل جزء من سبعين جزءا من مرتبة الاول فيه قلنا له وجهان احدهما
ان الراوي للحديث لا يعتبر في مفهومه ومعناه الا ضبط الفاظ الحديث ونقلها او
مع فهم مدلولاتها اللغوية ولا يعتبر فيه ان يكون له علم بحقايق معانيها او له قوة الفكر
والروية في استنباط معانيها العقلية فليس كل حامل حديث عالما فقيها فظهر ان
رتبة الراوي والمحدث دون رتبة العالم والفقيه ومع ذلك
لا يبعد ان يكون افضل من العابد بالف درجة لان رواية الراوي وسيلة لحصول
العلم واستفادة المعرفة واليقين بخلاف عبادة العابد فانها لا يتعدى غيرها
ولو تعدت لم يتعد بان يصير وسيلة لحصول علم ومعرفة فشتان ما بين
الوسيلتين وسيلة العلم ووسيلة العمل كما بين اصليهما وثانيهما ان يكون المراد من
الالف والسبعين الف مجرد الكثرة اللامعدودة والعدد اللامحصور لا خصوصية المرتبة
كما هو المتعارف بين الناس في بيان التفاضل الفاحش بين شيئين والله اعلم

باب اصناف الناس وهو الباب الرابع وفيه اربعة احاديث

الحديث الاول وهو الثالث والخمسون علي بن محمد عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن
احمد بن محمد بن عيسى جميعا عن ابن محبوب عن ابي اسامة هو زيد الشحام بن يونس وجميل بن موسى
وقال زين المتأخرين في حاشية صه جميل بن دراج وابن موسى عن ابن يونس وانه واقفي ونسبا
في قسم الضعفاء ما يناسبه انتهى وهو ابو اسامة موسى شديد بن عبد الرحمن بن نعيم الازدي
الغامدي الكوفي روى عن ابي عبد الله وابي الحسن ع ثقة عين صه عن هشام بن سالم عن ابي
حمزة عن ابي اسحق السبيعي عمن حدثه ممن يثق به قال سمعت امير المؤمنين عليه السلم يقول ان الناس
آلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الى ثلثة آلوا الى عالم على هدى من الله قد اغناه الله
بما علم عن علم غيره وجاهل مدع للعلم لا علم له معجب بما عنده وقد فتنته الدنيا وفتن غيره
ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة ثم هلك من ادعى وخاب من افترى **الشرح**
قوله ع آلوا بفتح اللام من آل الشيء يؤول الى كذا اي رجع وصار اليه وفيه من صام الدهر
فلا صام ولا آل اي لا رجع الى خير والاول الرجوع وقد قرأ النبي ص وهم بالجنة الذي
آلوا اليه في طريق الهداية ومنهج الحق والتين الفتنة في الاصل الامتحان والاختبار
وافتتن الرجل وفتن فتونا فهو مفتون اذا اصابته فتنة فذهب ماله وعقله وكذلك
اذا اختبر والفاتن المضل عن الحق والفتان بالضم جمع الفاتن وبالفتح هو الشيطان
لانه يفتن الناس عن الدين وفتان من صيغ المبالغة في الفتنة وقد كثرت في الحديث
الاستعاذة من فتنة القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات وغير ذلك وقوله ع
وقد فتنته الدنيا وفتن غيره اي قد امتلئت الدنيا واوقعته في فتنة الجاه والمال
وحب الرياسة وهو اضل غيره واوقعهم في ما وقع فيه من المهالك لاستحسانهم
ما راوا منه بسبب اشتهاره بالعلم الظاهر مع افلاسه باطنه من حقيقة العلم والحال
ومعنى الحديث ان الناس كانوا في عهد رسول الله ص على قسمين اما علماء في دين
واما متعلمين مهتدين لانا لك ثم فصاروا بعد رسول الله الى ثلثة اقسام احدها
عالم على هدى من الله وبينة من ربه اخذ علمه من الله على وجه الالهام في القلب والالقاء
في الروع لا جرم قد اغناه الله بعلمه الفايض من لدنه من علم غيره وثانيها جاهل القلب
مغرور ممكور مدع للعلم لاجل حفظه للاقوال وحمله للاسفار او وقوعه في صحبة المشايخ
والرجال والحال انه جاهل لا علم له وقلبه اعمى لا بصيرة له معجب بما عنده من ظواهر الاقوال
وصور الاحاديث او المجادلات الكلامية والمغالطات الفلسفية او الخيالات
والتمويهات الصوفية او الخطابات الشعرية التي يجلب بها قلوب العوام وساير
ما اغترت به علماء الدنيا الراغبون في المال والجاه والصيت والشهرة فهو من الذين
غرتهم الحيوة الدنيا عن الآخرة والذين نسوا الله فانساهم انفسهم والذين يخادعون الله
والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وهم الذين

اتخذوا دينهم هزوا ولعبا والذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا والذين اذا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن الى غير ذلك من ذمايم الاخلاق والاحوال المذكورة عنهم في القرآن وثالثها
طالب العلم متعلم ممن علمه الله فهو وان لم يكن بالفعل عالما هاديا لكنه واقع على سبيل الهدى
والنجاة من العذاب كما ان العالم على هدى من الله وفضل ورحمة والحاصل ان الاقسام
الثلثة احدها واصل الى المطلوب والثاني معرض عنه منحرف من سمته والثالث سالك
اليه واقع في طريقه فان قلت ههنا قسم رابع كما ذكرته فيما سبق وهو الجاهل الغافل
الذي ليس بمتعلم ولا ضال قلنا الكلام فيمن ليس له من اهل الضرر والزمانة والبلاهة
بل فيمن كانت له قوة الارتقاء الى الملكوت الاعلى ولا نزاع في ان الناس اتوا بعد رسول الله
يدل على ان الكلام فيمن كان من الصحابة الذين ادركوا الخدمة والصحبة وشاهدوا الوحي
وراوا الايات والمعجزات ومثلهم لا يخلو عما يتزين به الانسان او يتنزه به على القرآن
اما الحق او شبهة حق ثم قال ع بعد ما ذكر الاقسام هلك من ادعى وخاب من افترى
وانما هلك المدعي للعلم وخاب المفتري على الله لان الحيوة الاخروية والبقاء السرمدي
انما يحصل بالعلم بالله واليوم الآخر وهو الايمان الحقيقي فالعالم بالفعل حي بتلك
الحيوة وانما يمنعه التحقق بها والالتذاذ بمشتهياتها الاحتجاب بهذا البدن وبهذه
الحيوة الطبيعية والمتعلم ايضا حي بالقوة اذ فيه استعداد الوصول الى تلك الحيوة
وهو على سبيلها واما المدعي للعلم مع جهله المستغني بالغرور والاستكبار المقرون
بالاستنكاف عن التعلم مع اللجاج والعناد والفرح بما عنده من شبه العلم فقد ابطل
استعداده وضل عن طريق معاده فهو من الهالكين في المآل اذ بطلت قوته في الحال
وانما خاب وخسر لانه قد صدئت مرآة قلبه لما ارتكمت عليها من الغشاوات
والظلمات وعميت بصيرته بالغشاوات والكدورات كقوله تع بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
تبصرة وتذكرة اعلم ان اكثر هؤلاء غرورا وعجبا جماعة اقتصروا على علم الفتاوى
والاحكام وحفظ مسائل الحلال والحرام وزعموا انه علم الدين وعلم كتاب الله وسنة
سيد المرسلين وتركوا علم طريق الآخرة ومجاهدة النفس وتهذيب الباطن عن
ذمايم الاخلاق ونهي النفس عن الهوى وتطهير القلب بالزهد والتقوى عن رجاس
الشهوات وادناس الخطيئات ورفضوا بالكلية طريق المعرفة والفقه عن الله
بادراك عظمته وجلاله وتوحيده وتقديسه وان منه المبدء والانشاء واليه العود
والمرجع وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع وبه يقع الاطلاع على حقارة

الدنيا

الدنيا ودثورها وفنائها وعظمة الآخرة ودوامها وبقائها وبه يحصل الوقوف والعثور
على حقيقة البعث والنشور وذلك من اغمض المعارف وادق العلوم والاكثر الخلق عنه
غافلون بل عنه معرضون قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون وكثير من القائلين بالبعث
على توهمات سخيفة وتخيلات فاسدة اوهمية وغاية ما تخيلوا ان الموت عدم والبعث
ايجاد وهيئته بانه بعد عدم مثل الايجاد الاول والجميع ضلال واضلال وغلط ووبال فاما
ظنهم ان الموت عدم فهو غلط بل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وان القبر اما روضة من
رياض الجنة او حفرة من حفر النيران والميت اما سعيد او شقي اما السعداء فلا تحسبوا
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله واما الاشقياء فهم ايضا
احياء بضرب آخر من الحيوة ولذلك ناداهم الرسول صلعم في واقعة بدر ثم لما قال له
عمر انهم موتى لا يسمعون قال ما انتم لما اقول باسمع منهم لكنهم لا يقدرون على الجواب
وقال تع النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم القيمة ادخلوا آل فرعون اشد
العذاب واما ظنهم ان البعث ليس الا ايجادا ثانيا وهو مثل الايجاد الاول فهو ايضا
غير صحيح بل البعث انشاء آخر لا يناسب الانشاء الاول اصلا بل للانسان نشآت كثيرة
ولوجوده شئونات وتقلبات وحركات جوهرية ذاتية من نشأة الى نشأة ومن طور
الى طور بعد نشأة الدنيا في القبر والبرزخ والحشر والعرض الى ان يثبت الله كل نشأة
في اطوار الخلقة الا ان انشاءه انشاء خلقا آخر وهو احسن اطوار الخلقة الدنياوية ولهذا
عقب ذكره بقوله سبحانه فتبارك الله احسن الخالقين وقال تع وقد خلقكم اطوارا ثم
ظهور خاصية الولاية لمن يرزق له نشأة اخرى ثم ظهور نشأة النبوة طورا آخر والله
باعث الرسل ع كما انه باعث يوم القيمة وكما يعسر على ابن المهد فهم حقيقة التميز
وما ينكشف في طور العقل من العجايب يعسر فهمه على المميز قبل حصول العقل فكذلك
يعسر فهم طور الولاية والنبوة في طور العقل الذي عليه اكثر الناس وكما ان من
طباع الناس انكار ما لم يبلغوه ولم ينالوه فمن طباعهم ايضا انكار الولاية وعجايبها
والنبوة وغرايبها بل من طباعهم انكار النشأة الثانية والحيوة الآخرة وهو حيوة العلم
وشهود الملكوت لان نشأة الولاية والنبوة ايضا من ظهور سلطان الآخرة فمن انكر
حقيقة الآخرة فقد انكرهما لا محالة ولم يعرف النبي بما هو نبي والولي بما هو ولي ولا شك
ان هؤلاء المغترين بصورة العلم المشعوفين بما عندهم من العلم منكرون لهذه النشآت
اذ لا خبر لهم عن العلوم التي هي بالحقيقة علوم وعن المعارف التي اشرنا اليها فلا جرم
اعرضوا عنها وجحدوها استكبارا وعتوا وقالوا مثل ما قال الاولون واذ لم يهتدوا به
فسيقولون هذا افك قديم والاكثر على طباع السباع والاساود وخلقهم الايذاء وطبعهم التفاخر

تقوم الساعة ظ

والاستيلاء على الاقران والتطاول على الناس ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم من المباهاة
فكل علم لا يحصل به المباهاة والتظاهر والتفاخر فلا وقع له عندهم كعلم القلب وعلم سلوك الآخرة
ومحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة بل انهم يستحقرونه ويسمونه التزويق والتخييل وانما التحقيق
عندهم انما معرفة المجادلات الكلامية في المذاهب وتفاصيل العربية والنزاع بين ارباب المذاهب
واصحاب الدعاوي والخصومات ومعرفة الفروع الخلافية والترجيحات في قوانين حفظ الابدان
والانساب والاموال فحفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الانساب بشروط المناكحات
وحفظ الابدان بدفع القتل والجراحات والحكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب وان الدنيا آلة
وعلف للدابة الماشية في طريق الله والبدن مركب والنفس راكبة عليه في الذهاب الى الله
كما قال المسيح النوراني على نبينا وعليه الصلوة والسلم وزاد الآخرة العلم والتقوى وانما
العلم المهم هو معرفة النفس وحفظها عن المهلكات والموذيات ومعرفة زاد الآخرة وطريقها الى الله
والمشي منها على الصراط ومعرفة قواطعها وعقباتها التي هي الصفات المذمومة وهي الحجب
بينها وبين الله فاذا مات العبد ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن ربه كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون ومن احتجب عن ربه كان في عذاب الجحيم ثم انهم لصالوا الجحيم بل كل ميسر
لما خلق له ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل

الحديث الثالث وهو الرابع والخمسون الحسين بن محمد
الاشعري عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن احمد بن عائذ بالذال المعجمة ابو حبيب
الاحمسي بالسين المهملة البجلي مولى ثقة كان صحب ابا خديجة سالم بن مكرم واخذ عنه
وعرف به وكان حلالا صه قال الكشي قال محمد بن مسعود سألت ابا الحسن علي بن الحسن
ابن فضال عن احمد بن عائذ كيف هو فقال صالح كان يسكن بغداد وانا لم القه وفي كتاب
الفضل الاسترابادي احمد بن عائذ بن حبيب ابو حبيب كما في صه سهو من اصحاب
الصادق علا انتهى عن ابي خديجة اسمه سالم بن مكرم بن عبد الله ويقال ابو سلمة الكناسي
ويقال صاحب الغنم مولى بني اسد الجمال يقال كنيته كانت ابا خديجة وان ابا عبد الله
سماه ابا سلمة ثقة ثقة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم وكتاب روى
الحسن بن علي الوشاء عنه قاله النجاشي وسيأتي تتمة شرح احواله عند اسم سالم بن مكرم
عن ابي عبد الله عليه السلم قال الناس ثلثة عالم ومتعلم وغثاء

الشرح الغثاء
بالغين المعجمة المضمومة والثاء المثلثة والالف الممدودة ما يجيء فوق السيل مما يحمله من
الزبد والوسخ وجاء في كتاب مسلم كما تنبت الغثاءة يريد به ما احتمله السيل من البزورات
وفي حديث القيمة كما تنبت الحبة في غثاء السيل وقد تكرر في الحديث اراد اراذل الناس
وسقطهم والوجه في حصر اصناف الناس في هذه الثلثة ان لكل نوع من انواع الموجودات

الطبيعة

الطبيعية غاية لاجلها خلقت وبها تمامه وكماله وغاية خلقة الانسان ان يستكمل بالعلم والطاعة
ويحيى حيوة ثانية هي حيوة العلم والعرفان وبها يستحق النعيم الدائم والسعادة الابدية فالناس
اما واصلون الى هذه الغاية وهم العلماء اي الذين خرجت نفوسهم من القوة الى الفعل في باب العقل
والمعقول لا في باب الادراكات الخيالية او الوهمية وساير ما يعده الجمهور علما وفضلا واما
في طريق الوصول وسبل الهدى وهم المتعلمون الذين اشتغلوا باكتساب العلوم الحقيقية
التي تصير النفس بها عقلا وعاقلا بالفعل والقسم الثالث هو الذي ليس بواصل الى ما خلق
لاجله ولا في طريق الوصول اليه فهو من الهالكين اذ بطل معاده وفسد استعداده وانما استعير
له اسم الغثاء لمشاركته معناه في بطلان الصورة وفساد القوة التي تحرك المادة الى صورة
اخرى فوقها هي غاية الاولى وكما انها كانت في ساير الطبايع التي هي متوجهة بالفطرة التي فطر
الله عليها الى ما هو اشرف منها واقرب الى جنبة الآخرة ودار البقاء والقرار اذ الموجودات
كلها على مراتبها ومنازلها والقرب والبعد من الحق في متوجهة نحوه سايرة اليه ما دامت
على صورتها وفطرتها الاصلية لكن اذا فسدت وانسلخت عن صورتها بعروض عارض
مفسد كالغثاء ونحوه من المواد المتعفنة والصور العاطلة الضايعة وقفت عن طلب غايتها
وتعطلت عن سيرها قال تعالى ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات الا ترى المعادن
تستحيل الى اجسام النبات والنبات تستحيل الى اجسام الحيوان واشرف الحيوانات
هو الانسان فصورة النبات صراط ممدود وقد جاوزتها النفس الحيوانية ونجت منها
ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وصورة الحيوان صراط ممدود
وقد جاوزتها النفس الانسانية ونجت منها وصورة الانسان صراط مستقيم بين النار و
الجنة واقع على متن جهنم التي قال تعالى في شأنها وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وهذه الصورة آخر باب في جهنم فاي نفس
جاوزتها نجت من جهنم ودخلت الجنة التي فيها الصور الخالصة الطاهرة كصور الملائكة
والروحانيين والا ردت الى اسفل السافلين كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الآية فالعلماء الربانيون هم الذين جاوزوا هذه الصراط
والحجب ووصلوا الى المرتبة والمقام الى النعيم المقيم واما المتعلمون منهم المقتدون
بهم فهم في سمتهم سالكون سننهم سايرون على آثارهم معتقبون فان وصلوا الى الغاية
وفازوا بالبلوغ الى النهاية فذاك والا فاجرهم على الله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله فهؤلاء الاتباع حشرهم مع اولئك الاخيار
واما القسم الثالث فان لم يكن جهلهم مقرونا بالعناد والاستكبار فهم في رحمة الله
والا فهم كما افصح الله عنه بقوله والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب

وبجعل الخبث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون واحسن من هذا
البيان واوضح واصرح من هذا القرآن النازل من عند الله الرحمان لا يكون ولا كان ولكن الجاهل
المغرور بما عنده من القشور عسوف والجمود على صورة ما في يده من العلم مشغوف ليظن ان العلم
الممدوح المشكور عند الله ورسله هو الذي اخذه من افواه الرجال ويحفظ به الابدان والانساب
والاموال وينتظم به هذه الجهود بدفع الجراح والقتال وانما الموجب للشهرة والجاه والتسلط
على الاقران والاشباه ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون

الحديث الثالث وهو الخامس والخمسون محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد كاتبه عبد الله
ابن محمد بن حصين الحصيني بالحاء المهملة والنون قبل الياء وبعدها الاهوازي روى عن الرضا ع
ثقة ثقة جرت الخدمة على يده للرضا ع او عبد الله بن محمد بن خالد بن عمر الطيالسي ابو العباس
وهو ايضا ثقة كما نص عن علي بن الحكم من اهل الانبار قال الكشي عن حمدويه عن محمد بن عيسى
ان علي بن الحكم هو ابن اخت داود بن النعمان بياع الانماط وهو نسيب بني الزبير الصيارفة
وعلي بن الحكم تلميذ ابن ابي عمير ولقي من اصحاب ابي عبد الله ع مثل ابن فضال وابن بكير
عن علاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن ابي حمزة الثمالي قال قال لي ابو عبد الله عليه السلم اغد
عالما او متعلما او احب اهل العلم ولا تكن رابعا فتهلك ببغضهم الشرح اغد صيغة
امر من الغدو بالضم وهو سير اول النهار نقيض الرواح وقد غدا يغدو غدوا والغدوة
ايضا ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس وقد تكرر في الحديث اسما وفعلا واسم فاعل
وغيره والمراد هنا مطلق الصيرورة اي اصبح عالما او متعلما او كن محبا لاهل العلم
ولا تكن قسما رابعا اي غير عالم ولا متعلم ولا محب لهما فتكون من الهالكين اي المعذبين
بنار الجحيم وقوله ع فتهلك ببغضهم اي بسبب عداوتك وحسدك لهم باضافة المصدر
الى المفعول وفيه اشعار بان القسم المنقسم الى هذه الاقسام ما سوى النفوس الناقصة
الساذجة عن الكدورات النفسانية والاغراض والامراض الباطنية وفي بعض النسخ
بالعين المهملة وعلى تقديره كان فيه مضاف محذوف اي بعداوة بعض هذه الثلثة
او جميعه وترجح الاقسام في هذا الحديث في غاية ثلثيها كما في الحديث السابق فان
القسمين الآخرين هنا داخلين في القسم الثالث الذي هناك كما وقعت الاشارة اليه

الحديث الرابع وهو السادس والخمسون علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن
جميل عن ابي عبد الله عليه السلم قال سمعته يقول يغدو الناس على ثلثة اصناف عالم ومتعلم
وغثاء فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء الشرح اعلم يا حبيبي
ايدك الله انه يستفاد من هذا الحديث امور قد اكثرنا ذكرها وكررنا بيانها عند اصحابنا
المعاصرين واستبعد عنه اكثرهم بل كلهم ما ادعيناه كسائر ما تفردنا بتحقيقه منها ان

المراد

المراد من العلم الممدوح عند الله ليس ما اصطلح عليه الجمهور وسموه فقها واعتقدوا الماهر فيه
من علماء الدين فان اختصاص العلم بهم عليهم السلم ومن يتلوهم من الاولياء الكاملين والعلماء الراسخين
كما في هذا الحديث نص على ان المراد به العلم الالهي والحكمة اللدنية المشار اليها في القرآن الحكيم في
مثل قوله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وقوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ومحبة العبد لله فرع عرفانه بالله و
ظاهر ايضا ان المحبوبين لله لا يكونون الا العلماء الربانيين ومنها ان المراد من شيعتهم ع و
اولاده عليه وعليهم السلم ليس بمجرد المحب لهم بقلبه ولسانه من غير ان يعرف بما هم عليه من خصائص
العلوم الباطنة والاسرار الغامضة التي هم عليه دون علماء الرسوم فانهم اهل التأويل و
الراسخون في العلم بخلاف علماء الدنيا الذين هم حملة اسفار ونقلة اخبار وهم المصطلح عليهم
عند اولئك المصطفين الاخيار بالعامة اذ المراد بهم المقتصرون على الظواهر الشرعية المترسمون
بالعلم من غير بصيرة قلبية وروية عقلية من اية فرقة كانوا من فرق الاسلام ويؤيد هذا ما ذكره
الشيخ العارف المحقق عبد الرزاق القاساني في كتابه المسمى باصطلاحات الصوفية العامة هم
الذين اقتصرت علومهم على الشريعة ويسمى علماؤهم علماء الرسوم ومنها ان الايمان عبارة عن
معرفة الله ومعرفة الملائكة والكتب والرسل والائمة ومعرفة اليوم الآخر ويندرج فيها
معرفة النفس ودرجاتها واحوالها ومنازلها في القيمة والعلم بالقبر والبعث والحشر والحساب
والميزان وتطاير الكتب وغير ذلك وهذه مرتبة عظيمة فوق الاسلام الذي يقع به حقن
النفوس والاموال وصحة العقود والمناكحات والمعاملات ولذلك قال تع وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال قالت الاعراب آمنا الآية ويدل عليه ايضا ما ورد
من الاحاديث في فضل المؤمن وعظم منزلته عند الله

باب ثواب العلم والتعلم

وهو الباب الخامس وفيه ستة احاديث

الحديث الاول وهو السابع
والخمسون محمد بن الحسن وعلي بن محمد عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد جميعا عن جعفر بن
محمد الاشعري عن عبد الله بن ميمون القداح بن الاسود كان يبري القداح مولى بني مخزوم
روى ابوه عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم وروى هو عن ابي عبد الله ع كان ثقة
وروى الكشي عن حمدويه عن ايوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن ابي خالد القماط عن عبد الله
ابن ميمون عن ابي جعفر ع قال يا ابن ميمون كم انتم بمكة قلت نحن اربعة قال انكم نور الله
في ظلمات الارض قال العلامة في حقه هذا لا يفيد العدالة لانه شهادة منه على نفسه لكن الاعتماد
على ما قاله النجاشي وروى الكشي عن جبرئيل بن احمد قال سمعت محمد بن عيسى يقول كان عبد الله
ابن ميمون يقول بالتزيد وفي هذا الطريق ضعف صح وعلي بن ابراهيم عن ابيه عن حماد بن عيسى
عن القداح عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سلك طريقا

يطلب فيه علما سلك الله به طريقا في الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا به وانه
يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الارض حتى الحوت في البحر وفضل العالم على العابد كفضل
القمر على سائر النجوم ليلة البدر وان العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما
ولكن ورثوا العلم فمن اخذ منه اخذ بحظ وافر **الشرح** هذا الحديث يشتمل على حكم احكام
في فضيلة العلم ونحن نريد ان نبين كل واحد منها ببيان حكمي وبرهان عقلاني اما قوله
من سلك طريقا الى قوله في الجنة فالوجه العقلي فيه ان الامور على اربعة اقسام قسم يرضاه
العقل ولا يرضاه الشهوة وقسم يرضاه الشهوة ولا يرضاه العقل وقسم يرضاه العقل
والشهوة وقسم لا يرضاه العقل والشهوة فالاول هو الامراض والمكاره في الدنيا
واما الثاني فهو المعاصي اجمع واما الثالث فهو العلم واما الرابع فهو الجهل فمن اشتغل
بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة اذ الجنة ما تشتهيه الانفس وفيها النعيم ومن رضي بالجهل
فقد رضي بنار حاضرة اذ الجحيم ما يسخط ويستكرهه النفس ثم من اختار العلم وسلك سبيله
يقال له غدا تعودت المقام في الجنة فادخل الجنة ومن اكتفى بالجهل يقال غدا تعودت بالنار
فادخل النار والذي يزيدك ايضاحا ان العلم جنة والجهل نار ان كمال اللذة في ادراك
المحبوب وكمال الالم في البعد عن المحبوب لكن محبوب كل قوة ما هو من جنسه فلذة البصر
ادراك الملونات ولذة اللمس ادراك الملموسات ولذة الشهوة ادراك المشتهيات
التي من جنسها فلشهوة البطن المأكولات ولشهوة الفرج المنكوحات ولذة القوة الغضبية
بنيل الظفر والانتقام وحقيقة الانسان ليست شيئا من هذه القوى المذكورة ومحالها
من الجوارح والاعضاء بل النفس الناطقة الباقية بعد موت هذا البدن الكاين الفاسد
ولها قوى وحواس اخروية باقية معها وبدن مكتسب كما حقق في مقامه اذا تقرر
وتبين ان اللذة ادراك المحبوب والالم ادراك المكروه فنقول كلما كان الادراك
اغوص واشد والمدرك اشرف والمحل وابقى واتم وجب ان يكون اللذة اشرف
واشد ولا شك ان محل العلم هو الروح وهو اشرف من البدن ولا شك ان الادراك
العقلي اغوص واشرف اما انه اغوص من ادراك الحواس لانه يتعلق بباطن الشيء
وظاهره وبحقيقته وعارضه وكنهه ووجهه واما الحواس فيتعلق بظواهر الاشياء
وسطوحها واطرافها ولا شك ان المعلوم اشرف من المحسوس لانه هو رب العالمين
وصفاته وافعاله من الملائكة والانبياء عليهم السلام والعقول والنفوس وحقايق الانواع
الكونية من الافلاك وما فيها وما تحتها وامره وتكاليفه واحكامه وكتبه المنزلة ووعده
ووعيده واي محسوس اشرف من ذات الله تعالى وافعاله وآثاره فثبت ان لا لذة
ولا كمال فوق لذة العلم وكماله ولا شقاوة ولا نقصان فوق شقاوة الجهل ونقصانه

فاذا

فاذا ثبت ذلك ثبت ان كل من سلك طريقا الى العلم سلك طريقا الى الجنة وان كل باب
في العلم باب في الجنة واما قوله وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا به فاوله ان
طالب العلم بالله وتوحيده شانه ان يتفكر في المعقولات ويتنقل من معقول الى معقول حتى
ينتهي الى معرفة الله وصفاته وخواصه وكيفية صنعه وابداعه وامره وخلقه واقرب الطرق
واشرفها طريق النفس فمن عرف النفس انتقل منها الى معرفة العقل وما فوقه بان
ينتقل الى عالم الملكوت ومنه الى عالم الجبروت ومنه الى عالم الالهية ولفظ الملائكة يطلق
على الجواهر القدسية الغائبة عن الابصار واجنحتها عبارة عن جهاتها وقواها العلمية والعملية
شبهت باجنحة الطيور التي بها يقع الطيران الى فوق او تحت وجناح الطاير يده
والجوانح الاضلاع مما يلي الصدر وهي جمع الجانحة وقيل معنى تضع اجنحتها ان تضعها لتكون
وطاء له اذا مشى وهو استعارة بليغة لاشتغال النفس بقوتها الفكرية عليها وطيها
بقدم العقل وقيل هو بمعنى التواضع تعظيما لحقه وهو ايضا حسن موجه ووجه ذلك
ان النفس اذا ادركتها واحاطت بها علما فكانها نزلت من سماء ملكوتها وعقائدها ووضعت
عند نفس العالم حتى وطاتها وقيل اراد بوضع الاجنحة نزولهم في مجالس العلم والوجه
الحق فيه ما ذكرنا على انا لا ننكر تصورها بصورة الطيور الباسطة اجنحتها لطالب العلم باذن الله
الا ان ذلك مجرد احتمال وتجويز غير ثابت وما ذكرناه امر محقق واما قوله وانه يستغفر
لطالب العلم من في السماء ومن في الارض حتى الحوت في البحر فالوجه العقلي فيه ان كل نعمة من
نعم الله التي انعم بها على الانسان وقد وجب عليه شكرها ولا يمكن الشكر على نعمة
ما لم يعرف قدرها ولا يعرف قدر نعمة من النعم من لم يعلمها ولا ما يتوقف عليه من اسبابها
وعللها ولا كيفية الانتفاع بها وما من نعمة من النعم ولو شيء حقير كفتح العين او اقل منه الا ويتوقف
وجوده على وجود الاسباب التي لا يتناهى ومن كفر به كفر بها جميعا فمن كفر بفتح العين
كفر بنعمة الله في خلق الاجفان التي من جملتها خلق اطرافها حادة منطبقة على الحدقة ليكون
كالمصقلة للمرآة وداخلا لاصابة الغبار اياها وقد انفتلت من الغبارات بتطبيق اطراف
الجفن عليها مرة ومرتين وخرجت الاقذاء لاذواها العين ومنها الى الخارج فقد كفر
نعمة الله في خلق العين وما يتوقف عليه من الموجودات المتسلسلة عرضا الى ما لا يقف
وطولا الى ما يقف عند الله اذ الاجفان لا يقوم الا بالعين والعين لا يقوم الا بالراس
ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالارض والماء والهواء
والمطر والغيم والسحاب ولا هي الا بالشمس والقمر والنجوم المسخرات بامره ولا يقوم
شيء منها الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة المدبرات ولا يقوم هذه المدبرات
الا بحملة العرش واهل الجبروت واللوح المحفوظ والقلم الاعلى فان العالم كله كالشخص

يرتبط البعض منها بالبعض فمن يكفر بنعمة النظر فقد واحدة فقد كفر بكل نعمة منه في الوجود من منتهى
العرش الى الارض السفلى ومن اعلى الثريا الى الثرى فلم يبق ملك ولا فلك ولا حيوان ولا
نبات ولا حجر ولا مدر الا ويلعنه ويتبرأ منه ولذلك ورد في الخبر ان كل بقعة يجتمع فيها قوم اما
ان يلعنهم اذا تفرقوا او يستغفر لهم ففي هذا القياس لما كان العالم هو الذي يعرف قدر نعم الله
عظايمها ودقايقها وظواهرها وبواطنها واصولها وفروعها وما يتوقف عليه من المبادي والاسباب
وما يترتب عليها من الغايات والمسببات وقد عرفت ان افضل ضروب الشكر المنعم هو
معرفتها فلا يقدر على شكر نعمة واحدة هي احقر نعم الله كفتح عين او تنفس او اكل لقمة او شربة
الا الحكيم العالم بكيفية النظام وارتباط النعم بعضها ببعض ولهذا قال تعالى وقليل من عبادي
الشكور فكما ان كل من كفر نعمة من نعم الله تعالى استحق ان يلعنه كل من في السماء والارض حتى
الجماد والنبات فكل من يعلم نعمة من الله حق له ان يستغفر له كل ملك في السماء وكل حيوان
في الارض والماء حتى الحيتان في البحر فهذا هو الوجه العقلي والسر الحكمي في هذا الكلام واما قوله
فضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير النجوم فاعلم ان العلم يطلق على ثلثة معان احدها
اضافة بين العالم والمعلوم يشتق منها اسم الفاعل واسم المفعول وغيرهما كالقدرة
اذا اريد بها نسبة اضافية الى المقدورية وثانيها الصورة الحاصلة في النفس من الامر العيني
كليا كان ذلك الامر كصورة الانسان وصورة الفرس او جزئيا كصورة زيد وصورة
عمرو وصورة هذا الفرس وذاك الشجر وثالثها الملكة الراسخة التي بها ينكشف المعلومات
وتنجلي الحقايق وهذه كملكة القدرة التي بها يتمكن القادر من فعل مقدوراته متى شاء
وكذلك في الابصار ثلثة امور اضافة بين البصر والمبصر ويقال لها الرؤية وصورة حاصلة
من المرئي في العين وقوة فيها يتمكن الحيوان من الرؤية متى اراد فالعلم بالمعنى الاضافي
ليس هو المراد هاهنا اذ لا وجود له مستقرا ولا المعنى الثاني هو المراد لانه مطابق للمعلوم
متحد الماهية معه متكثر بتكثر المعلومات قابل للتغير والزوال ولهذا قالت الصوفية علم
واحد خير من سبعين الف حال بل المراد من العلم انما هو تلك الملكة الحاصلة في نفوس
العلماء بعد كثرة الافكار والانظار والتأملات والتعقلات وهي تختلف شدة وضعفا و
كمالا ونقصا بحسب تفاوت صفاء النفس وكثرة التعقلات والرياضات توفيقا
من الله وتأييدا منه ولا شك انها نور عقلي يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهو الايمان الحقيقي لقوله الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور وبه الحيوة الاخروية الدائمة لقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقوله نورهم
يسعى بين ايديهم وبايمانهم وهذا النور يتفاوت في اهل الايمان بقدر تفاوت قوة

ايمانهم

ايمانهم وتفاوت قربهم من الله فمنهم من نوره كنور الشمس وهم الانبياء والاولياء الكاملون في العلوم عليهم والسلم
ومنهم كنور القمر ومنهم كنور اعظم الكواكب ثم اصغر منه وهكذا الى السها وبعدها كانوار
السراجات فمنهم من نوره في القيمة مد بصره ومنهم من نوره عند ابهام قدمه وهو اخرهم وعلى
قياس قوة هذا النور وضعفه سرعة المشي على الصراط وبطؤه فمنهم من يمر عليه كلمح البصر او اقرب منه
ومنهم كالبرق الخاطف ومنهم كهبوب الريح العاصف ومنهم كعدو الفرس الشديد العدو وهكذا
الى ان ينتهي الى من يضع رجله مرة ويكبو اخرى والنار تصيب من اطرافه فليس النور هناك
بكثرة الاعمال انما النور بقدر قوة العلم والايمان وانما يعظم ثواب الاعمال بحسب اماكن النيات
وبحسب مدخليتها في اكتساب العلوم والاحوال فاذا تقرر ما ذكرنا وتحقق ان مدار الفضل
والتفاضل بين العباد عند الله هو بحصول نور العلم في قلوبهم وفيه يقع الموازنة والمفاضلة
ميزان يوم الحساب فنقول لما كان النور الحسي البصري مثالا للنور المعنوي العقلي والتفاوت
بين مراتبه مثال التفاوت بين مراتب ذلك النور وان كان التفاوت فيما هناك
يبلغ الى حد اللانهاية بخلاف ما هاهنا لامتناع اللاتناهي في الاجسام والجسمانيات فوقع
التمثيل في التفاضل بين علم العالم وعبادة العابد بنور القمر ونور النجوم وانما يصح هذه
المقايسة في العبادة من اشتراط ضرب من العلم المتميز في عمل العابد واشترط في هذا
التمثيل ايضا امران كون القمر بدرا لا هلالا ولا في حالة التربيع وغيره وكون البدر واقعا
في الليل لا في النهار اذ نور البدر ضعيف في النهار واما الليلة القمراء فاكثر النجوم
مضمحلة النور فيها والقليلة منها في غاية ضعف النور ثم يحصل الغرض في هذا التمثيل
الذي لبيان التفاوت في الفضل بين العالم والعابد ثم لا يخفى عليك ان المراد بالعالم
المذكور في هذا الحديث غير العالم الرباني الذي علمه لدني حاصل بالموهبة الربانية
كعلوم الانبياء والاولياء عليهم السلم كما يدل عليه التمثيل بالقمر والا لكان اللايق ان يمثل
له بالشمس لانها التي نورها مستفاد من افاضة الله تعالى بلا توسط شي آخر من نوعه او جنسه
بخلاف ساير الاجرام الكوكبية كالقمر والنجوم كما هو التحقيق عند حكماء الفرس والاشراقيين
وتبعهم الشيخ السهروردي في حكمة الاشراق حيث قال وهو رخش اي الشمس بلغة
الفرس قاهر الغسق رئيس السماء فاعل النهار يعطي جميع الكواكب ضوءها ولا يأخذ
منها فاذن الشمس مثال النبي والولي عليهما السلم ونورها الذاتي مثال الله في هذا العالم
ولله المثل الاعلى في السموات وانوار الكواكب على تفاوتها امثلة علوم العلماء المستفادة
من علم النبي والولي على تفاوت مراتبهم في العلم والنسبة بين نور القمر وانوار النجوم المختفية
على البصر في ليلة البدر مثال فضل العالم على العابد فلا تغفل واما قوله صلعم ان العلماء ورثة
الانبياء فقد تقرر بيانه على حسب ما في وسعنا ومن الله التوفيق والعصمة الحديث الثالث

وهو الثامن والخمسون محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح الاسدي
ثقة وجه روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلام ذكره ابو العباس في كتاب الرجال رحمه الله
وقال الشيخ في الفهرست ابن صالح الكوفي له اصل من اصحاب الصادق ع عن محمد بن مسلم عن ابي
جعفر عليه السلام قال ان الذي يعلم العلم منكم له مثل اجر المتعلم وله الفضل عليه فتعلموا العلم
من حملة العلم وعلموه اخوانكم كما علمكموه العلماء **الشرح** قوله ع منكم ليس صلة للتعليم بل
المراد به من جملتكم يعني الطائفة الفائزة اشعارا بانه لا ثواب في التعليم والتعلم لغيرهم ولا
من اصحاب المذاهب العامية وقوله كما علمكموه العلماء الضمير المخاطب الجمع هو المفعول
الاول لفعل التعليم والضمير المفرد العائد الى الموصول المفعول الثاني والفاعل هو لفظ
العلماء وههنا مسائل الاولى ان اجر التعليم والتعلم وثوابهما من جنس ثواب الاعمال دون
ثواب العلم لان ثواب العلم هو القرب والمنزلة عند الله بل العلم الذي هو العلم بالحقيقة
هو نفس التقرب الى الله والارتقاء اليه واما ثواب الاعمال البدنية فهو على حسب المشقة
والتعب فافضل الاعمال اشقها واحمزها ولهذا اجر التعليم كاجر التعلم او ازيد منه
بقليل وهذا معنى قوله وله الفضل عليه الثانية ان التعلم واجب بالسنة والاجماع
والدليل العقلي اما الاول فلقوله ص طلب العلم فريضة على كل مسلم وقوله اطلبوا العلم
ولو بالصين وغير ذلك من الاحاديث وقد مر كيفية وجوبه وان اي العلوم من فروض
العين وايها من فروض الكفاية واما الاجماع فلاتفاق الامة على ان الكافر مخلد في
النار وان الكفر ليس الا الجهل بالتوحيد والنبوة والمعاد وان المؤمن يستحق الثواب
الدائم والايمان ليس الا العلم بهذه الاركان وكل ما يوجب استحقاق الثواب الدائم
وضده يوجب العذاب الدائم فتعلمه واكتسابه واجب واما الدليل العقلي فبيانه على
الوجه المفصل مذكور في كتب الحكماء والعرفاء واجماله ان النفس الانسانية في مبدأ تكونها
ناقصة بالقوة قابلة للموت والحيوة وحيوتها بالعلم وموتها بالجهل فيجب عليها عقلا اكتساب
ما يوجب حيوتها الابدية وازالة ما يوجب موتها الابدي والثالثة ان المتعلم يجب عليه
ان يتعلم من حملة العلم لا من غيرهم والا لكان كمريض يستعلج من مريض آخر مثله بل مرض
النفس وهو الجهل اشد واقرب الى الهلاك من مرض البدن وهلاك النفس ابدي
لانه هلاك الذات الانسانية وهلاك البدن هلاك غير ابدي اذ المادة من شأنها ان
تنبعث بصورة اخرى والبدن بمنزلة آلة للنفس وفساد الآلة لا يوجب فساد الذات
المستعملة اياها فالمريض بمرض الجهل اولى بان يكون طبيبه وهو المعلم عالما بما ينفعه في
الآخرة او يضره حتى لا يهلكه هلاكا ابديا الرابعة ان التعليم واجب كما دل عليه قوله ع
فعلموه من اخوانكم اذ صيغة الامر ظاهرة تدل على الوجوب ولقول النبي ص لا تؤتوا الحكمة

غير

غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وقوله من اخوانكم اشارة الى اهله بل المستحق للتعليم
ولانه كما وجب على كل احد وجوبا على الكفاية تخليص المسلم من الهلاك او العذاب او ارشاده
بما يخلصه فكذلك وجب على كل من يقدر على تعليمه ما يوجب نجاته من الهلاك الدائم ان يعلمه
ويهديه وجوبا على الكفاية بل هذا اولى بالوجوب كما علمت فثبت ان التعليم واجب عقلا وشرعا
والخامسة انه يجب ان يكون تعليمه وارشاده للمتعلمين مثل ما تعلمه من العلماء الراشدين من غير تحريف
ولا تغيير ولا نقصان او كتمان للحق كما فعله قوم من احبار اليهود للاغراض النفسانية والمآرب
الدنيوية قال تعالى فيهم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم
يعلمون وقال ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون **الحديث الثالث** وهو التاسع والخمسون
علي بن ابرهيم عن احمد بن محمد البرقي عن علي بن الحكم عن علي بن ابي حمزة هذا الاسم مشترك بين رجلين
احدهما علي بن ابي حمزة الثمالي وقال الكشي سألت ابا الحسن حمدويه بن نصير عن علي بن ابي حمزة
الثمالي والحسين ومحمد اخويه وابيه فقال كلهم ثقات فاضلون والثاني علي بن ابي حمزة سالم
البطائني ابو الحسن مولى الانصار قائد ابي بصير يحيى بن القسم وله اخ يسمى جعفر بن ابي حمزة
روى عن ابي الحسن موسى وابي عبد الله عليهما السلام وهو احد عمد الواقفة ره قال الشيخ
في الفهرست له اصل روى عنه ابن ابي عمير وصفوان وقال علي بن الحسن بن فضال
علي بن ابي حمزة كذاب متهم ملعون قد رويت عنه احاديث كثيرة وكتبت تفسير القرآن
كله من اوله الى آخره الا اني لا استحل ان اروي عنه حديثا واحدا قال ابن الغضائري
علي بن ابي حمزة لعنه الله اصل الوقف واشد الخلق عداوة للولي من بعد ابي ابرهيم ع
وروى الكشي في ذمه روايات كثيرة منها عن حمدويه عن الحسن بن موسى عن داود بن محمد
عن احمد بن محمد قال وقف علي ابو الحسن ع فقال وهو رافع صوته يا احمد قلت لبيك قال
انه لما قبض رسول الله ص جهد الناس في اطفاء نور الله فابى الله الا ان يتم نوره بامير
المؤمنين ع فلما توفي ابو الحسن ع جهد علي بن ابي حمزة واصحابه في اطفاء نور الله فابى الله
الا ان يتم نوره عن ابي بصير هذا ايضا مشترك بين رجلين احدهما ليث بن البختري
بالباء المنقطة تحتها نقطة والخاء المعجمة الساكنة والتاء المنقطة فوقها نقطتين المفتوحة والراء المكسورة
المرادي ويكنى ابا محمد ايضا روى الكشي عن حمدويه بن نصير عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن
ابي عمير عن جميل بن دراج قال سمعت ابا عبد الله ع يقول بشر المخبتين بالجنة بريد بن
معوية العجلي وابو بصير ليث بن البختري المرادي ومحمد بن مسلم وزرارة اربعة نجباء امناء الله
على حلاله وحرامه لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست وقال الكشي ان ابا بصير
الاسدي احد من اجمعت العصابة على تصديقه والاقرار له بالفقه وقال بعضهم موضع ابي بصير

الاسدي ابو بصير المرادي وهو ليث المرادي وروى احاديث في مدحه وجرحه ذكرنا ما ذكرنا منها الكبير
واجبنا عنها وقال ابن الغضائري ليث بن البختري المرادي ابو بصير كان ابو عبد الله عليه السلام يتضجر به
ويتبرم واصحابه يختلفون في شانه قال وعندي ان الطعن انما وقع على دينه لا على حديثه وهو عندي
ثقة قال العلامة والذي اعتمد عليه قبول روايته وانه من اصحابنا الامامية للحديث الصحيح الذي ذكرناه
اولا وقول ابن الغضائري لا يوجب الطعن انتهى وفي رجال الميرزا محمد الاسترابادي ليث بن البختري
ابو محمد وقيل ابو بصير الاصغر روى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام قاله النجاشي عن ابي عبد الله
وابي الحسن عليهما السلام كما في الفهرست روى الكشي عن الحسين بن الحسن بن بندار القمي قال حدثني
سعد بن عبد الله عن محمد بن عبد الله المسمعي عن علي بن حديد وعلي بن اسباط عن جميل بن دراج
قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول اوتاد الارض واعلام الدين اربعة محمد بن مسلم وبريد بن معاوية
وليث بن البختري المرادي وزرارة بن اعين وبهذا الاسناد عن محمد بن عبد الله المسمعي عن
علي بن اسباط عن محمد بن سنان عن داود بن سرحان قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول ان
اصحاب ابي كانوا زينا احياء وامواتا اعني زرارة ومحمد بن مسلم ومنهم ليث المرادي وبريد
العجلي هؤلاء القوامون بالقسط هؤلاء القوالون وهؤلاء السابقون السابقون اولئك المقربون
ورواه ايضا عن محمد بن قولويه عن سعد بن محمد بن عبد الله المسمعي وعن حمدويه قال حدثني
يعقوب بن يزيد عن ابن ابي عمير عن هشام بن سالم عن سليمان بن خالد الاقطع قال سمعت
ابا عبد الله عليه السلام يقول ما اجد احدا احيا ذكرنا واحاديث ابي الا زرارة وابو بصير ليث المرادي
ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية ولولا هؤلاء ما كان احد يستنبط هذا هؤلاء حفاظ الدين وامناء
ابي على حلال الله وحرامه وهم السابقون الينا في الدنيا السابقون الينا في الآخرة وبهذا
الاسناد عن ابن ابي عمير عن جميل بن دراج قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول بشر المخبتين بالجنة
بريد بن معاوية العجلي وابو بصير ليث بن البختري المرادي ومحمد بن مسلم وزرارة اربعة
نجباء امناء الله على حلاله وحرامه لولا هؤلاء لانقطعت آثار النبوة واندرست وروى في
ذمه ما لا يصلح معارضا ولا حجة انتهى كلامه والثاني يحيى بن القاسم الحذاء ابو علي المحدث من اصحاب
الكاظم عليه السلام يعرف بابي بصير الاسدي مولاهم واختلف علماؤنا فيه فالشيخ ره قال انه
واقفي وروى الكشي روايات تتضمن ذلك وقال النجاشي يحيى بن القاسم ابو بصير الاسدي
وقيل ابو محمد ثقة وجيه روى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام كذا قال العلامة في صه
وقال ايضا فيه والذي اراه العمل بروايته وان كان مذهبه فاسدا والظاهر ان المراد
في هذا الحديث وكذا المراد من علي بن ابي حمزة المذكور هو علي بن ابي حمزة البطائني الواقفي
لانه كان قائد ابي بصير يحيى بن القاسم كما تقدم وكثيرا ما يروي عنه قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام
يقول من علم خيرا فله مثل اجر من عمل به قلت فان علمه غيره يجري ذلك له قال ان علمه

الناس كلهم جرى ذلك له قلت فان مات قال وان مات **الشرح** قوله يجري بالجيم
والزاي وعلى صيغة المجهول ويحتمل ان يكون بالحاء والراء المهملتين وصيغة المعلوم وكذا في آخر
قوله جرى ذلك ومعنى الحديث واضح مكشوف لكن يجب ان يعلم ان المراد بالخير في قوله عليه السلام
من علم خيرا هو قاعدة كلية في علم من علوم الدين نظرية ليست بديهية ولا يجب من شان
كل احد ان يتفطن به حتى يظهر وجه صحة الحكم الذي ذكره عليه السلام من انه اجر من عمل به ولو كان جميع الناس
ولو بعد وفاته الى يوم القيمة اذ لا استبعاد في ان اجر المعلم لقاعدة عملية ونشره كاجور جميع
العاملين بها الى يوم القيمة والدليل على ما ذكرنا انه ورد في الحديث الآتي تبديل قوله من علم خيرا
قوله عليه السلام من علم باب هدى وكذا الحال في مقابل كل منهما اعني شرا وباب ضلال في ترتب
الوزر **الحديث الرابع** وهو الستون وبهذا الاسناد عن محمد بن عبد الحميد بن سالم العطار
ابو جعفر روى عبد الحميد عن ابي الحسن موسى عليه السلام وكان ثقة من اصحابنا الكوفيين صه قال ابن
الفقهاء في الحاشية هذه عبارة النجاشي وظاهرها ان الموثق الاب لا الابن اقول كون
الظاهر الاب غير مسلم بل الظاهر ان التوثيق المذكور في مثل هذا الموضع راجع الى اصل
الاسم عن العلاء بن رزين عن ابي عبيدة الحذاء اسمه زياد بن عيسى الكوفي ثقة روى عن
ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقال الحسن بن علي بن فضال انه مات في حياة ابي عبد الله عليه السلام
وقال الكشي حدثني احمد بن محمد بن يعقوب قال اخبرنا عبد الله بن حمدويه قال حدثني محمد بن
عيسى عن بشير عن الارقط عن ابي عبد الله عليه السلام قال لما دفن ابو عبيدة الحذاء قال انطلق
بنا حتى نصلي على ابي عبيدة قال فانطلقنا فلما انتهينا الى قبره لم يزد على ان دعا له فقال اللهم
برد على ابي عبيدة اللهم نور قبره اللهم الحقه بنبيه ولم يصل عليه فقلت هل على الميت
صلوة بعد الدفن قال لا انما هو الدعاء وقال السيد علي بن احمد العقيقي العلوي ابو عبيدة زياد
الحذاء حسن المنزلة عند آل محمد عليهم السلام وكان زامل ابا جعفر الى مكة له كتاب يرويه علي بن
رئاب عن ابي جعفر عليه السلام قال من علم باب هدى فله مثل اجر من عمل به ولا ينقص اولئك
من اجورهم شيئا ومن علم باب ضلال كان عليه مثل اوزار من عمل به ولا ينقص اولئك
من اوزارهم شيئا **الشرح** قوله عليه السلام باب هدى الهدى الرشاد وخلاف الضلالة وانما
يراد به المبدأ والمنشأ فرشاد الخلق المصدري ثم ان المراد بالهدى المستعمل المذكور
في الكتاب والسنة عند التحقيق نور معنوي فائض من الله على قلب من استقام على سبيل
المعرفة والطاعة وانما سمي هدى اذ بذلك النور يرى الاشياء على ما هي عليه ويهتدي
الى الحق ويسلك سبيل القرب من الله كما ان بالنور الحسي يرى المحسوسات ويهتدي
الى المآرب الحسية كما في قوله تعالى وبالنجم هم يهتدون وذلك النور سماه اهل الحكمة الحقيقية
عقلا بالفعل وهو الايمان الحقيقي قال تعالى ان الهدى هدى الله وقال اولئك على هدى من ربهم

وانما سمي القرآن هدى كما في قوله عز وجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده وقوله هذا
هدى لكونه وسيلة اليه تسمية للسبب باسم المسبب ولذلك الهدى ابواب متعددة وطرق
كثيرة وهي بالحقيقة مسايل علمية ومقاصد دينية اذ كل قاعدة كلية علمية انما تدخل في تحصيل
تلك الملكة النورانية المسماة بالهدى فانها ان كانت نظرية فلها تاثير بالذات في تنوير
القلب وان كانت عملية فلها تاثير بواسطة العمل بها في صفاء الضمير وتهذيب الخاطر وطهارة
النفس فاذا تقرر ما ذكرناه ظهر لمية قوله من علم باب هدى فله مثل اجر من عمل به اي اجر
كل من عمل به الى يوم القيمة كما يعلم بقرينة قوله ولا ينقص اولئك من اجورهم شيئا وبما ذكر
في غير ذلك من الاحاديث وكذا المراد بالضلال ظلمة باطنية متراكمة في النفس لرسوخ
الجهالات والاعراض عن سماع الحق وقبول الصدق وتلك الملكة النفسانية الظلمانية
اصل كل شر وآفة في الدين والانحراف عن سبيل المسلمين والتوسل عن الحق واليقين ولها
شعب كثيرة وابواب مختلفة هي ابواب الجحيم لكل باب جزء مقسوم كباب الشهوة وباب
الغضب وباب الحرص وباب الحسد وباب المكر والخديعة وباب التكبر والعجب وباب
طول الامل والاخلاد الى الدنيا وغير ذلك فاذن قد ظهر سر قوله من علم باب ضلال كان
عليه مثل اوزار من عمل به **تكملة استنارية** اعلم انه ليس المراد من هذا الحديث
وامثاله مثل ما روي عن رسول الله صلعم قوله ايما داع دعى الى الهدى فاتبع كان له
اجر من تبعه لا ينقص من اجرهم شيئا وايما داع دعى الى الضلالة فاتبع كان عليه مثل
وزر من تبعه ولا ينقص منه شيء ان الله تعالى يوصل الثواب والعقاب الذي يستحقه
الاتباع الى القادة والرؤسا لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله ولا تزر وازرة
وزر اخرى والا لما دخل احد من الناس الجنة الا الرسل عليهم السلم ولا دخل النار احد
بل كانت مقصورة على ابليس وحده بل المعنى ان المعلم الهادي الواضع لسنة او هدى
يهتدي به انما يصدر تعليمه عن نفس ذات صفا واشراق لكل نوره فاشرق على غيره
من النفوس القابلة التابعة لها فاستضاءت بنوره وذلك الباب العلمي المفتوح منه
او السنة المأخوذة منه من جملة انواره التي انبعثت عنها على النفوس التابعة التي اقتبستها
فكان في النفس المتبوعة من الاستكمال بالنور الالهي والهدى الرباني الذي هو اصل
كل نور ورأس كل هدى ما هو في قوة جميع الانوار المقتبسة من ذلك القانون العلمي
او السنة العملية ومثل لها جميعا فكان لتلك النفس المتبوعة من الاجر والثواب
مثل ما للتابعين لها من غير نقصان من اجور التابعين وكذلك في جانب السيئات والضلال
فان المراد ان الرئيس المضل اذا علم باب ضلال او وضع سنة سيئة تكون [illegible]
وضلالا لهم لم يصدر ذلك الاضلال او تلك السيئة الا عن نفس قد استولت عليها ظلمة

الجهل

الجهل المركب المضاد لنور اليقين وصارت ملكة من ملكاتها متمكنة وحجابا عن قبول
الانوار الالهية وصارت تلك حجابا بينها وبين قبول الرحمة بحيث يكون ذلك في القوة
والشدة اضعاف حجب التابعين له والمقتدين به الناشئة من فتنته واضلاله اياهم
فان تلك الحجب الطارية على قلوب التابعين مستندة الى ذلك الحجاب الحاصل في نفسه
وهو اصلها فلا جرم يكون وزره وشقوته في قوة اوزار اتباعه وسيئاتهم التي حصلت
بسبب اضلاله لا كل سيئاتهم من كل جهة ولذلك قال تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم اي
بعض اوزارهم وهي الحاصلة بسبب المضلين فقال الواحدي ان من في هذه الآية ليست
للتبعيض بل لبيان الجنس والا لخفف عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك يناقض قوله
من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وفيه نظر فان الذي حمله وان كان حسنا الا ان
الالزام الذي ذكره غير لازم على كونه للتبعيض لان القايل بكونها كذلك يقول ان المراد
ليحملوا بعض امثال اوزار التابعين لا بعض اعيان اوزارهم **اعتضاد تمثيلي**
ومما يويد ما ذكرناه ما ورد في مثل هذا الباب من الاشارة الواردة في الخبر ان حسنات
الظالم ينقل الى ديوان المظلوم وسيئات المظلوم ينقل الى ديوان الظالم فانك
تعلم ان الحسنة والسيئة اعراض واحوال لا يمكن نقلها من محل الى محل فليس ذلك
نقلا حقيقيا بل على وجه الاستعارة كما يقال انتقلت الخلافة من فلان الى غيره وانما المقصود
من نقل سيئات المظلوم الى الظالم حصول امثالها في قلب الظالم ومن نقل حسنات
الظالم الى المظلوم حصول امثالها في قلبه وذلك لان للطاعة تاثيرا في النفس بالتنوير
وللمعاصي تاثيرا فيها بالقسوة والظلمة وبانوار الطاعة يستحكم مناسبة النفس
من استعداد القبول لمعارف الالهية ومشاهدة حضرة الربوبية وبالقسوة والظلمة
يستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة الجمال الالهي فالطاعة مورثة لذة المشاهدة بواسطة
الصفا والنور الذي تحدث في النفس والمعصية مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة
التي تحدث عنها وبين الحسنات والسيئات تضاد وتعاقب على النفس كما قال تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ولا تبطلوا اعمالكم وقال صلعم اتبع السيئة
بالحسنة تمحها والالام ممحصات للذنوب ولذلك قال صلعم ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة
التي تصيب رجله وقال الحدود كفارات لاهلها والظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه قسوة
القلب ويسود لوح النفس فيمحو اثر النور الذي يكون من طاعته فكانه احبط طاعته
والمظلوم يرتاض نفسه وتنكسر شهوته ويستكين قلبه ويرجع الى الله تعالى فيفارقه الظلمة
والقسوة التي حصلت له من اتباع الشهوات فكان النور انتقل من قلب الظالم الى قلب
المظلوم واشتغل السواد والظلمة من قلبه الى قلب الظالم وذلك انتقال على سبيل الاستعارة

كما علمت وكما يقال اشتغل ضوء الشمس من مكان الى مكان واعلم ان ذلك الثقل وحمل الظالم
اوزار المظلوم وان كان امرا حاصلا في الدنيا الا انه لم ينكشف للبصاير الا في يوم القيمة
لا جرم خصص بيوم القيمة وسيأتي لذلك بيان وظايف المعلم في تعليمه ووظايف المتعلم في تعلمه
في باب بذل العلم ان شاء الله تعالى الحديث الخامس وهو الواحد والستون الحسين بن محمد
عن علي بن محمد بن سعد مجهول رفعه عن ابي حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلم قال لو يعلم الناس
ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج ان الله تعالى اوحى الى دانيال ان
امقت عبيدي الى الجاهل المستخف بحق اهل العلم التارك للاقتداء بهم وان احب
عبيدي الى التقي الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء
الشرح السفك الاراقة والاجراء لكل مايع يقال سفك الدم والدمع والماء سفكا
وكانه بالدم اخص وقد تكرر في الحديث والمهج جمع المهجة وهي الدم وقيل دم القلب خاصة
وخرجت مهجته اي روحه لاستلزام الدم الروح الحيواني لكونه مركبه فكان خروجه
خروج الروح والخوض اصله المشي في الماء وتحريكه يقال خضت الماء اخوضه خوضا ثم
استعمل في التصرف في شيء والاقتحام فيه ويقال خضت الغمرات اقتحمتها واللجج جمع
اللجة بالضم وهي معظم الماء ومنه بحر لجي والمقت مقته مقتا ابغضه فهو مقيت وممقوت والمقت
اشد من البغض ونكاح المقت كان في الجاهلية وهو ان يتزوج الرجل امرأة ابيه
اذا طلقها او مات عنها اعلم ان المطلوب كلما كان اعز واشرف واجل كان
طلبه آكد واوجب وارتكاب التعب والمشقة في تحصيله اسهل على النفس واهون
ثم قد لاح لك فيما سبق وسنزيدك وضوحا ان قلب الانسان اي نفسه الناطقة
ميت بالفعل من شانه ان يحيى بروح الحيوة الدائمة وان حيوته بالعلم وحيوة القلب
هي الحيوة الدائمة الذاتية التي لا يمكن زوالها وافتقادها فالعلم اشرف المقاصد
واجل المآرب فاولى به ان يصرف الهمم في طلبه وترتكب المخاطرات وخوض
الغمرات في تحصيله ثم انا نرى كثيرا من الناس يتعبون انفسهم ويفرغون وسعهم
ويبذلون جهدهم ويقعون في المخاوف والمهالك وسفك الدماء وخوض اللجج الخضر
كل ذلك في طلب المال وهو احد اسباب المعيشة الدنياوية في مدة قليلة مع ما لها
من شوايب الآفات والعاهات والامراض والمكروهات التي لا محيص عنها
فما بالهم لا يرتكبون ادنى مشقة في طلب العلم وبه الحيوة الابدية من غير شوب آفة
وخلل وما السبب في ذلك الا جهلهم بحقيقة العلم وذهولهم عن شرفه وجلالته ونوره
ولهذا قال ع لو يعلم الناس ما في طلب العلم الخ تنبيها على ان عدم توجه الخلق الى
اكتساب العلم بسبب عدم شعورهم بما فيه من الفايدة العظيمة التي لا يوجد مثلها في طلب

ش

شيء من الاشياء قال بعض الحكماء القلب ميت وحيوته بالعلم والعلم ميت اي مفقود عن القلب اولا واذا
فهو عين الحيوة العقلية وهو ضد الموت ولا يمكن اتصاف احد الضدين بالآخر وحيوته اي وجدانه
بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوي بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة
واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا
آخر له وان نملة واحدة نالت الرياسة لمسئلة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون
كانها اشارت الى تنزيه الانبياء عليهم السلم عن المعصية وايذاء البري عن غير جرم فقالت
لو حطمكم سليمن فانما يصدر منه لانه لم يشعر بكم فمن علم حقايق الاشياء من الموجودات
قديمها وحادثها جواهرها واعراضها جسمانياتها وروحانياتها وملكها وملكوتها دنياها و
اخراها مشهوداتها ومغيباتها فكيف لا يستحق الرياسة العظمى والخلافة الكبرى من الله
في الدين والدنيا وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ذكيا ببركة العلم مع انه نجس
الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة الاولى اذا تلوثت باوضار المعصية كيف لا تطهر
ولا تتقدس ببركة العلم بالله واليوم الآخر حتى تنخرط في سلك القدسيين وحزب الملئكة
المقربين وقيل السارق اذا كان عالما لا يقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا
الشارب الخمر يقول حسبته خلا فشربتها وكذا الزاني يقول في غير ذات البعل تزوجتها
وفيها حسبتها زوجتي فانه لا يحد ومن الدليل على فضيلة العلم ان يوسف على نبينا وعليه السلم
مع ما له من الملك والمال والجاه وحسن الخلق والخلق ذكر منة الله على نفسه بالعلم
حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث فانت يا عالم اما تذكر نعمة الله عليك حيث
جعلك من اهل تاويل الاحاديث فضلا عن تفسير ظاهرها ومن العارفين باسرار الحقيقة
واليقين فضلا عن الواقفين على الظواهر والقشور من فروع الشريعة والدين وجعلك
سميا لنفسه وهو العليم الحكيم وجعل شهادتك قرينا لشهادته وشهادة ملائكته في باب
التوحيد حيث قال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وجعلك وارثا لسنة
العلماء ورثة الانبياء وداعيا للخلق وسراجا لاهل بلاده ومنارا في عباده لقوله تعالى وجعلنا له
نورا وقوله نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وقوله ص فضل العالم على العابد كفضل القمر
ليلة البدر على ساير الكواكب وشفيعا يوم القيمة لما روي عنه ص يشفع يوم القيمة ثلثة
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وامينا في ارضه لقوله ص العالم امين الله في الارض
وسعيدا وقايدا للخلق الى جنته وثوابه وزاجرا لهم عن ناره وعقابه كما قال ص العلماء
سادة والفقهاء قادة ومجالستهم عبادة وخليفة لنبيه ص كما قال ص اللهم ارحم خلفائي
فقيل يا رسول الله من خلفاؤك قال الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي
ومن لطايف الشواهد اليقينية على جلالة قدر العالم وارتفاع مكانه ان من اخص الاعمال

الباطنة التي يفعلها ويشبه باسم المفيض للارواح المحيي للاحباب وهو انه بقوته الفكرية ينزع
من كل مادة حسية صورة عقلية مجردة عن الشوائب الدنيوية ثم يجعلها مخزونة في خزينة من
خزائن الملكوت يحضرها متى شاء باذن الله فالعالم الحقيقي الرباني هو الذي يجرد المعاني
من الشخصيات ويأخذ الكليات من الجزئيات فمن شانه نزع الارواح من الاشباح وتصويرها
تارة في عالم العقل بصورة العقليات وتارة اخرى بصورة تحاكيها في عالم التمثل من
الحسيات فمن كان هذا صنيعه وديدنه ما دام مبتلى بهذه الدار الكائنة المستحيلة الداثرة
فعند المفارقة كيف يحبس في سجون التعلقات ويقيد بقيود الشهوات وشبكة الدنيات
وانى يحشر مع الاموات في قبور الابدان الدارسات او يقف على الصراط مدة يمكث
ذوي الحجبات لا والله بل هداية الله ادركتهم وجذبة نوره اخذت قلوبهم من فوق
حجب السموات رفعتهم من منازل السافلين ومواطن المجرمين الى درجات العليين عند
ذي العرش اله العالمين وتحت كبريائه قوم مصطفون كالواله حبوتهم الدنيوية باسطي
ايديهم ينتظرون الرزق السماوي ويدعون ربهم خوفا وطمعا ويلتمسون النور وهم في
ظلمة ليل داج والتوحد مع الحق وهم بعد قرين ازواج ذات تركيب وامتزاج ولما
انفتحت ابصارهم بنور الله وحدوه وعظموه وعبدوه عبادة الاحرار شوقا وطربا.
ففريق عبدوه عبادة الاجراء وعبيد الغلة فيطلبون منه غيره من حظ شهوة او
دفع الم فاولئك ليسوا احباء الله واوليائه واما العلماء بالله فهم اولياء الله على الحقيقة
لانهم قوم يحبهم ويحبونه ولولا وجودهم في الارض لتنوير قلوب الناس وتطهير نفوسهم
عن الارجاس والادناس لتدكدكت السموات وبالا على من في الارض لانها تطحن
بدورانها حبوب الكائنات وهو الهيد الظلمات ليصير بالتلطف والتصفية اغذية
للصالحات من النفوس العائدات الى جوار الله فسبحان الذي برزت له الذوات
الصالحات وخرجت من ظلمات الهياكل ومضايق الابدان الى فسحة انوار القدس
واصفوا الرحمن ولنمسك عنان القلم عن صوب هذا النحو من الكلام لانه مما يشمئز عنه
طباع الاكثرين وربما يحرك سلسلة الحمقى المجانين ولنصرفه الى منهج اشياع الحسي لان
الجماهير اطوع للحس والرواية منهم للبرهان والدراية فنقول دل بل فضيلة العلم من طرف
النقل عن الكتاب والسنة وآثار السلف كثيرة لا تعد ولا تحصى ولنذكر جملة منها اما من
الكتاب فوجوه الاول انه تع سمى العلم بالحكمة ثم انه عظم امر الحكمة في كثير من مواضع القرآن
فذلك يدل على عظم شان العلم اما بيان الاول فهو ان المفسرين قالوا ان الحكمة جاءت
في القرآن على اربعة وجوه احدها مواعظ القرآن قال في البقرة وما انزل عليكم من
الكتاب والحكمة وفي النساء وانزل عليكم الكتاب والحكمة يعني المواعظ ومثلها في آل عمران

وثانيها

وثانيها الفهم والعلم قوله واتيناه الحكم صبيا وفي لقمن ولقد آتينا لقمن الحكمة يعني الفهم والعلم وفي الانعام
اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم وثالثها النبوة في النساء ولقد آتينا آل ابرهيم الكتاب
والحكمة يعني النبوة وفي ص وآتيناه الحكمة يعني النبوة ورابعها القرآن في النحل ادع الى سبيل
ربك بالحكمة وفي البقرة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق
يرجع الى العلم واما الثاني فهو ظاهر مكشوف من صريح القرآن في مواضع الامتنان ثم تامل
حيث سمى الله الدنيا بحذافيرها قليلا قل متاع الدنيا قليل وما سماه قليلا لا يحيط بجميعه خلائقها
فما ظنك بما سماه خيرا كثيرا كيف يعلم احد قدره الا الله ثم البرهان العقلي قائم على قلة الدنيا
كما وكيفا وكثرة الحكمة قدرا وشرفا لان الدنيا متناهية الابعاد والكميات وكذا القوى
والكيفيات المتعلقة بها والحكمة لا نهاية لقدرها وعدتها ومدتها لانها فوق الكميات وورا
الاعداد والمدد وبها قامت السموات والارض في الدنيا واجنت الجنة وطبقات
الجنات في الآخرة فهذا ينبهك على فضيلة العلم الثالث قوله تع هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون اعلم انه عز وجل قد فرق في كتابه بين سبعة امور واضدادها فرق بين
الخبيث والطيب فقال قل لا يستوي الخبيث والطيب وبين الاعمى والبصير قال هل
يستوي الاعمى والبصير وبين النور والظلمة وبين الجنة والنار وبين الظل والحرور
واذا تاملت وجدت كل ذلك ماخوذا من الفرق بين العلم والجهل اما بالحقيقة او على
التشبيه والتمثيل الثالث قوله تع اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
والمراد منه على اصح الاقوال اما العلماء بالله واليوم الآخر عامة والائمة المعصومون ع
كما هو عند اصحابنا لانهم اعلم العلماء فالمرجع في القولين الى العلم وكما ان الملوك يجب
عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس ثم انظر الى هذه المرتبة فانه تع ذكرهم في موضعين من كتابه
في المرتبة الثانية فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط
وقال اطيعوا الرسول واولي الامر منكم ثم انه زاد في التعظيم والاكرام فجعلهم في المرتبة
الاولى في آيتين قال وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم وقال وكفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب الرابع قوله تع يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات قال بعض المفسرين انه تع ذكر الدرجات لاربعة اصناف
اولها للمؤمنين من اهل بدر وهو قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
الى قوله لهم درجات عند ربهم الثانية للمجاهدين لقوله فضل الله المجاهدين على القاعدين
درجة والثالثة لمن عمل الصالحات قوله ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك
لهم الدرجات العلى والرابعة للعلماء والذين اوتوا العلم درجات فالله فضل اهل العلم
على غيرهم من المؤمنين بدرجات وفضل المجاهدين على القاعدين بدرجات وفضل الصالحين

في هولاء بدرجات ثم فضل العلماء في جميع الاصناف بدرجات فوجب كون العلماء افضل الناس
الخامس قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اعلم ان الله تعالى وصف العلماء في كتابه بخمس مناقب
التوحيد والشهادة شهد الله الى قوله واولوا العلم وثانيها البكاء ويخرون للاذقان يبكون
ورابعها الخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله وخامسها الخشية انما يخشى الله من عباده العلماء
ق اما الحديث فكثير منها ما مر في طريقتنا وما سياتي وما نحن فيه من قوله ع ان امقت عبيدي
الى الجاهل اذا كان الجاهل المستخف بحق العلماء التارك للاقتداء بهم امقت الناس عند الله
وكان التقي الصالح الطالب للثواب الجزيل في لزومه للعلماء واتباعه لهم وقوله عنهم احب
الناس اليه تعالى دل ذلك على فضل العلم وشرفه اتم دلالة واوضحه ومنها ما في طريق
الجمهور من وجوه احدها عن انس قال صلعم من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى
المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة
سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الارض والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له
وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وثانيها عن انس قال رسول الله صلعم من طلب العلم
فهو كالصائم نهاره وكالقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من ان يكون له ابو قبيس ذهبا
فينفقه في سبيل الله وثالثها الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام
كان بينه وبين الانبياء درجة واحدة في الجنة ورابعها ابو موسى الاشعري مرفوعا يبعث الله
يوم القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء اني لم اضع نوري فيكم الا لعلمي بكم ولا اضع علمي فيكم
لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وخامسها قال صلعم معلم الخير اذا مات بكى عليه طير الهواء
ودواب الارض وحيتان البحر وسادسها ابو هريرة مرفوعا انه قال من صلى خلف عالم
من العلماء فكانما صلى خلف نبي من الانبياء وسابعها ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد
سبعين درجة بين كل درجة حضر الجواد المضمرة سبعين سنة وذلك ان الشيطان
يضع البدعة للناس فيبصرها العالم ويزيلها والعابد مقبل على عبادته لا يتوجه لها
ولا يعرف بها وثامنها الحسن مرفوعا رحمة الله على خلفائي فقيل يا رسول من خلفاؤك
قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وتاسعها قال صلعم من خرج يطلب بابا من العلم
ليرد باطلا الى حق او ضلالا الى هدى كان علمه كعبادة اربعين عاما وعاشرها قال صلعم حين
بعثه الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما يطلع عليه الشمس او تغرب
الحادي عشر ابن مسعود قال صلعم من طلب العلم ليحدث به الناس ابتغاء لوجه الله اعطاه
الله اجر سبعين نبيا الثاني عشر عامر الجهني مرفوعا يؤتى بمداد طالب العلم ودم الشهداء
يوم القيمة لا يفضل احدهما على الآخر وفي رواية فيرجح مداد العلماء والثالث عشر ابو واقد
انه صلعم بينما هو جالس والناس معه اذ اقبل ثلثة نفر فاما احدهم فراى فرجة في الحلقة

فجلس

فجلس اليها واما الآخر فجلس خلفهم واما الثالث فانه رجع وقد فلما فرغ من كلامه قال
الا اخبركم عن النفر الثلثة اما الاول فاوى الى الله فاواه الله واما الثاني فاستحيى من
الناس فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه والرابع عشر قيل
يا رسول الله اي الاعمال افضل قال العلم بالله تعالى فقيل اي الاعمال تريد قال العلم بالله
فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلعم ان قليل العمل ينفع مع العلم وكثير العمل لا ينفع
مع الجهل الخامس عشر قال النبي صلعم اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين
ادخلوا الجنة فيقول العلماء انهم بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله انتم عندي
كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون وهذا انما يكون للعلم المتعدي بالتعليم
لا العلم اللازم الذي لا يتعدى السادس عشر قال صلعم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله
وما والاه او معلما او متعلما السابع عشر قال صلعم ان الله تعالى وملائكته واهل السموات والارض
حتى النملة في جحرها والحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير الثامن عشر انه صلعم خرج ذات
يوم فراى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال صلعم
اما هؤلاء فيسألون الله تعالى ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس
وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم والتاسع عشر لا حسد الا في اثنين رجل
آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه مالا فسلطه على نفاقه في الحق فهو
ينفق منه سرا وجهرا العشرون قال صلعم نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي
عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة فهذه عشرون حديثا رواها علماء
العامة بعضها متفق عليه وفي كتاب الاحياء لابي حامد الغزالي قال علي ع يا كميل العلم
خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال
تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال ع العالم افضل من الصائم القائم المجاهد واذا
مات ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا نظما وقيل انه لابنه الحسين
عليهما السلم :: الناس من جهة التمثال اكفاء :: ابوهم آدم والام حواء :: فان يكن لهم في اصلهم
شرف :: يفاخرون به فالطين والماء :: ما الفخر الا لاهل العلم انهم :: على الهدى لمن استهدى
ادلاء :: ووزن كل امرء ما كان يحسنه :: والجاهلون لاهل العلم اعداء :: ففز بعلم تحز طيب
الحيوة به :: فالناس موتى واهل العلم احياء :: واما الآثار فقيل العلماء سرج الازمنة
كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره اقول قد تقرر ان العلم في الحقيقة نور عقلي
ووجود صوري مجرد عن الجسم وظلماته وغواشيه ومثاله في الحس هو النور
الحسي الذي يبصر لذاته ويبصر به سائر المبصرات وكان النور المحسوس يتفاوت
شدة وضعفا وكمالا ونقصا فمراتبه امثلة لمراتب النور العقلي الا ان من العلم ما هو مجرد

عن المواد والاجرام ثابت الذات من غير تغير لكن غير بري الذات عن الهيئة ولوازمها من
الامكان والحاجة اليه تعالى وهو علم الذوات العقلية التي هي كلمات الله من الملائكة والانبيا
عليهم السلم وضرب من الاوليا ومنه ما هو مع كونه زايدا على الذات فهو علم متغير زمانا وهو
العلوم النفسانية الفايضة على النفوس بواسطة العقول التامة وهو علم ساير العلما
على تفاوت فيهم اذا تقرر هذا فنقول لو كان في النور الحسي ضو قايم بذاته لكان مثالا للعلم الاعلى
والله نور السموات والارض واما الشمس فمثال لعلم الملائكة والانبيا والاوصيا عليهم السلم
فان علومهم زايدة على ذواتهم فايضة عليهم من الله ضرورة كالشمس وضوءها اللازم لها
لا بواسطة نير آخر والكواكب امثلة لعلوم الاوليا المستفادة من الله بتابعية النبي صلعم
على وجه الاعتداد لا الايجاد كانوار الكواكب عند من جعلها فايضة من الله على اجرامها بتبعية
نور الشمس بتبعية لازمة واما النيرات والمصابيح والسرج فانوارها امثلة لعلوم
العلما النظار والمجتهدين لان علومهم ليست مستفادة من الله وملكوته الا على كعلوم الانبيا
والاوليا عليهم السلم بل انما هي حاصلة لهم بتعليم بشري خارجي لا باستفاضة باطنية
بطريق الوحي او الالهام فالمراد من العلما في قوله العلما سراج الازمنة هو العلما النظار
واهل الاجتهاد واما ساير المتعلمين والمقلدين فمثالهم في علمهم الحاصل بالتقليد كمثال
نور الارض من الجدار والسطح وصحن الدار قال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم
قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا
في سبيل الله تعالى شهدا ان يبعثهم الله علما لما يرون من كرامتهم قال يحيى بن معاذ العلما
ارحم بامة محمد صلعم من آبايهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان آبايهم وامهاتهم يحفظونهم
من نار الدنيا وهم يحفظون من نار الآخرة وقال معاذ بن جبل تعلموا العلم فان تعلمه لله
حسنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة
وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الهدى و المصباح
في السرا والضرا والدين عند الاخلا والقرب عند الغربا والسلاح على الاعدا و منار
سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة فيقتدى بهم ادلة في
الخير فتقتص آثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل
رطب ويابس يستغفر لهم حتى الحيتان في البحر وهوامه وسباع البر وانعامه وهوام الارض
والسما ونجومها لان العلم حيوة القلب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان
من الضعف يبلغ به العبد منازل الاخيار والدرجات العالية به يطاع الله وبه يعبد
وبه يوحد وبه يتورع ويزهد وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام وهو امام
العمل والعمل تابعه يلهمه السعدا ويحرمه الاشقيا والله اعلم وسئل ابن المبارك

من الناس

عن الناس فقال العلما قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي ياكل
بدينه وانما لم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التي بها يتميز الانسان عن البهايم
هي العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى
منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا باكله فان
الحمار اوسع منه بطنا ولا بالجماع فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق
الا للعلم ولا يشرف الا بذلك وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب
والدوا يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع العلم والحكمة ثلثة ايام ولقد صدق فان
غذا القلب العلم والحكمة وبهما حيوته كما ان غذا الجسد الطعام ومن فقد العلم والحكمة فقلبه مريض
وموته لازم ولكنه لا يشعر اذ حب الدنيا واشتغاله بحيوة الجسد ابطل احساسه بالموت
واذا حط عنه موت الجسد اعبا الدنيا احس بهلاكه وقال الاحنف كاد العلما ان يكونوا
اربابا وكل عز لم يوكد بعلم فالى ذل مصيره وقال ابن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثة
ماية درهم واعتقني فقلت باي حرفة احترف فقال باحسن حرفة فاحترفت بالعلم فما
تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زايرا فلم آذن له وقيل لبعض الحكما اي الاشيا تقتني
قال الاشيا التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم ولعله اراد بغرق
السفينة هلاك البدن بالموت وهذا اي تشبيه البدن بالسفينة والدنيا بالبحر يوافق
كلام فيثاغورس في رسالته في معاتبة النفس حيث قال يا نفس ان هذا المركب
الذي قد ركبته في هذا البحر الاعظم جوهره من جوهر هذا الما انما هذه السفينة مياه جامدة
وبالغرور ركبت ويوشك ان تطلع عليها الشمس فتنحل عقودها اعضاوها وتتركك
جالسة على وجهها ان امكنك الجلوس ولا مركب لك الا ما امكنته من جودة السباحة
وحسن الهدى انتهى والمراد ان النفس عند هلاك البدن لا يمكنها الخلاص من لجج الطبيعة
التي سيبرز في القيمة نار جهنم الا بسفينة العلم والهدى ولا المشي على الصراط الا بنور
اليقين والتقوى وقيل للاسكندر ما بالك تجل معلمك اكثر مما تجل اباك فقال
لان معلمي سبب حيوتي الروحانية الاخروية وابي وسيلة حيوتي الجسمانية ومن
وصايا لقمن لابنه يا بني جالس العلما وزاحمهم بركبتك فان الله يحيي القلوب بنور
الحكمة كما انه يحيي الارض بوابل السما واعلم ان ساير كتب الله ناطقة بفضل العلم
اما التورية ففيها انه قال تعالى لموسى ع عظم الحكمة فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد
الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا
والآخرة واما الزبور فقال الله تعالى يا داود قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم
حادثوا من الناس الاتقيا فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلما فان لم تجدوا فحادثوا

العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي واريد هلاكه وانما
قدم التقى على العلم لان التقى لا يوجد بدون العلم كما بين في موضعه من ان الخشية لا تحصل الا مع العلم
ولا شك ان الموصوف بالامرين اشرف من الموصوف باحدهما ولهذا السر قدم العالم على العاقل
لان كل عالم عاقل ولا عكس كليا قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله بل اقول التقوى يوجب تجرد النفس
عن الدنيا والاجرام والتجرد مستلزم للعلم وكل مجرد عن المواد ذاتا وتعلقا فهو كامل بالفعل دائما
الانجيل فقال تعالى في السورة السابعة ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى
النار اطلبوا العلم وتعلموا فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم
لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ان الله يقول يوم القيمة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون
ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير
اردته بكم فادخلوا في صالح عبادي الى جنتي برحمتي وقال مقاتل وجدت في الانجيل ان الله تعالى
قال لعيسى عليه السلام يا عيسى عظم العلماء واعرف فضلهم واني فضلتهم على جميع خلقي الا النبيين والمرسلين
كفضل الشمس على الكواكب وكفضل الآخرة على الدنيا وكفضلي على كل شيء وروي عن عيسى ع
انه قال ان من امة محمد صلى الله عليه وآله علماء حكماء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير
من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل ويدخلون الجنة بلا اله الا الله واعلم ان المراد
بهذه الكلمة في مثل هذا الموضع هو علم التوحيد لا مجرد التلفظ بها لسانا او الاخطار بالبال
مفهوما ولا التصديق بها تقليدا ولا الاعتقاد بها قلبا بادلة مجردة المتكلم وان كان شيء من هذه
المقامات يكتفى به لعامة المكلفين ويحكم باسلامهم في الشريعة وعلم التوحيد علم شريف
يتشعب منه سائر العلوم ويختص بدركه اخص خواص هذه الامة كما قيل جل جناب الحق
عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحدا بعد واحد وروى مسلم عن رسول الله
انه قال يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوي فالعلم مرتبة هي واسطة
بين النبوة والشهادة وعنه صلعم الناس كلهم موتى الا العالمون والخبر مشهور والناس
موتى واهل العلم احياء ∴ والناس مرضى وهم فيهم اطباء ∴ والناس ارض واهل العلم فوقهم
سماء نور وما في النور ظلماء ∴ وزمرة العلم روح الخلق كلهم ∴ وسائر الناس في التمثيل اعضاء
قال ابو سعيد الخدري يقسم الجنة على عشرة آلاف جزء تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعون
للذين عقلوا عن الله امره فكان قدر قواهم قدر ما قسم لهم من العقول يقسمون المنازل
فيها وجزء للمؤمنين الضعفاء وقال آخر وقد نسب للعامة ∴ وفي الجهل قبل الموت موت
لاهله ∴ واجسادهم قبل القبور قبور ∴ وان امرا لم يحي بالعلم ميت ∴ وليس له حتى النشور
نشور ∴ وقال سقراط اذا اقبلت الحكمة خدمت الشهوات العقول واذا ادبرت خدمت
العقول الشهوات وقيل لذيمقراطيس لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له

لا تكلم

لا تكلم فوضع يده على شفتيه قيل له لم فعلت قال لا اقدر ان امنع ما ارى وان البواطن من عالم الملكوت
بامر الله لا تندرج تحت الاختيار فاشار الى ضرورة السر واختيار الظاهر ولما كان الانسان
بصورته الظاهرة من عالم الخلق والحدوث كان معزول الولاية عن التصرف في قلبه ولهذا
قال صلعم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وانما خص ذلك بالمؤمن
اذ الكافر لا قلب له ودل هذا الكلام على فضيلة العلم التمييز الحاصل بين الادراك العقلي والادراك
الحسي فالاول امر بانه لا يتصور الانفكاك عنه لمن كان له ولا الاعراض عنه او النسيان
له بالاختيار بخلاف الادراكات الحسية فدل على ان العلم ليس من جنس الحس ولا العقل من
عالم البدن وقال ارسطو سلطان العقل على باطن العاقل اشد تحكما من سلطان السيف
على ظاهر الاحمق وقال العقل لا يتألم في طلب معرفة الاشياء بل الجسد يتألم ويتألم واخذ يوما
تفاحة فقال ما الطف قبول هذه البسوط لصورتها وانفعالها لما يؤثر الطبيعة فيها من الاصباغ
والروائح والطعوم التي هي دلايل وآثار روحانيتها حسب تمثيل النفس لها وكل ذلك
دليل على ابداع مبدع الكل وآية الكل وقيل وما الطف منها قبول هذه النفس الانسانية
العلامة لصورتها العقلية وانفعالها لما يؤثر العقل الكلي فيها من العلوم الروحانية حسب
تمثيل العقل اياها وكل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل وآية الكل وقال الشيخ اليوناني
وهو من قدماء الفلاسفة كما ان البدن اذا خلا من النفس يفوح منه نتن الجيف كذلك النفس
الخالية من العلم والادب يختبر نقصها بالكلام والافعال اقول ويظهر خبثها ونجاستها
وموتها على مشام اهل العقل ولهذا قال تعالى انما المشركون نجس وقال انك لا تسمع الموتى
وقال افلاطون عند هبوط النفس الى هذا العالم سقوط ريشها فاذا ارتاشت ارتفعت
الى عالمها الاول اراد بالريش العلم والمعرفة شبها للنفس بالطاير وعلمها بالريش
اذ به يصعد الى عالم الملكوت وجهلها وخطاياها لسقوط ريشها لانه الموجب لهبوطها وقال
ارسطاطاليس من قدر على خلع بدنه وتسكين حواسه ووساوسه وقدر في فكره الرجوع
الى ذاته والصعود بعقله الى العالم الاعلى فيرى حسنه وبهاءه ونوره وبقاءه وذهب
اسكندر الافروديسي وهو احد تلامذة ارسطو الى ان الذي يبقى مع النفس من جميع
ما لها من القوى هي القوة العقلية وخالف استاده والمتأخرون يثبتون بقاءها عينا
اخلاقية استفادتها من مشاركة البدن فيستعد بها لقبول هيات ملكية في ذلك العالم
ونحن قد حققنا الكلام في هذا المرام بما لا مزيد عليه في سائر كتبنا وقال زينون الكبير
في رسالة له نقلا عن معلمه ارسطو حكاية عن معلمه افلاطون ان شاهق المعرفة ارفع من ان
يطير اليه كل طاير وسرادق البصيرة احجب من ان يحوم حوله كل سائر وقال فيثاغورس
في رسالته المسماة بالذهبية يا نفس اعلمي ان اربعة هي سبب هلاك النفس الجهل

والجور والفقر والخوف فمن بحث عن العلم عدم الجهل ومن ترك المقتنيات الخارجية عدم الجور ومن
ترك الشهوات وعف عنها عدم الفقر ومن تشوق الى الموت الطبيعي عدم الخوف يا نفس هذه
رتب جماعة ثلث فكوني في اشرفها واجلها فان ادناها رتبة عامل غير عالم كرجل ذي سلاح لا شجاعة له
وما عسى يصنع الجبان بالسلاح والرتبة الثانية رجل عالم غير عامل وهو كرجل شجاع لا سلاح معه
وكيف يلقى عدوه ولا سلاح معه غير ان الشجاع بلا السلاح اقدر من الجبان في الشجاعة وكذلك عامل
غير عالم والرتبة الثالثة هي رجل عالم عامل وهو كرجل ذي شجاعة وسلاح وهذه ينبغي ان يكون
الرتبة الشريفة اقول ههنا دقيقة غفل عنها الاكثرون وهي ان العلم علمان علم غيره تعلق له بالعمل
وعلم غيره متعلق بالعمل وبعبارة اخرى العلم علمان علم هو وسيلة العمل ومبداه وعلم هو نتيجة
العمل وثمرته وبعبارة اخرى العلم علمان علم السلوك وعلم الوصول اذا تقرر هذا فنقول ان
الذي وقع عليه التقسيم بهذه الاقسام الثلثة في كلام هذا الحكيم انما هو العلم المتعلق بالاعمال و
العبادات لا العلم بالله واليوم الاخر وهو العلم الاعلى المطلق الحر الذي ساير العلوم خدمه وعبيده
وصاحبه ارفع حالا من ان يورث جهة عداوة اعدا او كيد كايد او حسد حاسد لان سره مشغول
بالحق خارج من عالم الظلمات الى عالم النور ونفسه اكبر من ان يخرجه زلة بشرا ويغويه شيطان
مريد وقال ايضا يا نفس اني تاملت اللذات كلها فلم اجد الذ من ثلثة هي الاصل الامن
والعلم والغنى ولكل من هذه الثلثة اصل وينبوع يحركه فمن طلب العلم فليذهب الى منبع التوحيد
فانه بالتوحيد يكون المعرفة والعلم وبالتخمين والاشراك يكون النكرة والجهل والشك ومن
طلب الغنى فليذهب الى رتبة القنوع فانه حيث لا قنوع لا غنا ومن طلب الامن فليعتقد التوى
بمفارقة عالم الطبيعة وهو الموت الطبيعي اقول لقد صدق هذا الفيلسوف في قوله بالتوحيد
يكون المعرفة والعلم وذلك ان من امعن في النظر وجدان كل علم وعرفان انما يرجع الى
ضرب من التوحيد وان مدار العلم بحقايق الاشيا بالاطلاع على جهة وحدتها وكل من كان علمه
احكم واقوى وارفع واعلا كان اطلاعه على حقيقة الوحدة اكثر وهو على ارجاع الكثرات الى
الوحدة اقدر وايضا كل موجود هو اشد وحدة واتم بساطة فهو اكثر جمعية للفضايل والمعاني
واوفر احاطة بالموجودات حتى ان العقل لبساطته كل المعقولات والبسيط الحقيقي كل
الموجودات وهو مع ذلك متفرد عن جميع الاشيا غني عن ما عداه وقال ايضا ان من اعجب
الاشيا ان تعمل صناعة الصياغة بآلة الفلاحة او صنعة النجارة بآلة الخياطة ولكل صنعة
اداة لن يستوي عملها الا بها فمن اراد ان يعمل الخياطة فينبغي ان يرمي من يده آلة الفلاحة
ويأخذ للخياطة اداتها التي تصلح لها فكذلك يا نفس ينبغي لمن اراد عمل الآخرة ان يترك
من يده اداة الجهل والشر ويأخذ للعلم والخير اداتهما فانه متى عملتهما باداتهما حصلا بغير
تعب ولا نصب واعلمي ان الشهوة والعلم وحب الدنيا والخير لا يجتمعان في قلب ابدا فتحرى

يا نفس

يا نفس حقيقة هذا وان بالعلم يدرك ويبصر عقلك اتصالك ببارئك ومنه يستنبط اياه فتلتذي
بذلك لذة الحق وانه بالجهل تعدمين ذلك فتنكرينه وذلك لعماك وظلمتك وقال ايضا يا نفس
ان الموت الطبيعي ليس هو شيء غير غيبة النفس عن الجسد فاذا تقرر هذا في علمك فتعلمي ان الرجل
الحكيم العالم عند حضوره هو حكيم عالم في مغيبه لن يشتغل عن حكمته وعلمه اينما توجه واينما سلك
فينبغي يا نفس لهذا المعنى وينبغي ايضا بان غارس شجرة الخير وغارس شجرة الشر يعلمان
لان شجرة الخير لن يثمر الا خيرا وشجرة الشر لا يثمر الا شرا فهذا الفعل ضرورة وعقلا وحسا ان
الشيء لا يثمر الا نوعه وشكله ولا يلد الا مثله فهل رايت حمارا ولد انسانا او انسانا ولد فرسا
فان انضحت لك يا نفس هذه المعاني فاطلبي العلم بحقايق الاشيا واغرسي شجرة العلم
والخير ليتجلى بصرك فيستنير من علمك علما ومن فعلك الخير خيرا ومن استبصارك بصيرة
ونورا وهدى فتستكملي بذلك العمل الاعلى وتتم لك السعادة القصوى والراحة الابدية
اقول قد اشرنا فيما سبق ان المعرفة في هذا العالم بذر المشاهدة وان العلم بحقايق
الامور وعظايم الموجودات كالباري جل اسمه بذر لملاقاتها فان باطن الانسان وسره
يصير في القيمة ظاهره وعلنه ويصير بصيرته بصره الذي به يبصر هناك فمن عمي ههنا وكل
من كان جاهلا ناسيا ههنا يحشر في الاخرة اعمى وكل من الف الدنيا ومحسوساتها وشهواتها
يحترق في القيمة بنار الجحيم وقال يا نفس تاملي جوهرك واعتبري واعلمي ان جوهرك جوهر
عال شريف وذلك لمناسبتها جميع العوالم فتارة تنبسط الى عالم الطبيعة فتكون انسانية
حسية مشاهدة للمحسوسات مشاقة الماكل والمشارب والشهوات وجميع معاني الطبيعة
وتارة تنبسط الى عالم الاخص بها فتكون متخيلة مدبرة مستعملة محركة لقوى الوهم والخيال
ذات استنباطات وتامل واختيار وارادة فهذه المعاني هي معاني النفس والحيوة المنبثة
في جميع ما يحتوي عليه ملكوت النفس وتارة تنبسط الى عالم العقل فتكون منتزعة للصور
من الهيولى مدركة للبسايط الاوائل مميزة مصورة عاقلة لجميع المعاني المفارقة وتارة
تنبسط الى العالم الاعلى فتكون عاقلة للخير والجود ومأمورة به خالية من الشر والجور حكيمة
الافعال متقنة الاعمال ومن اوضح الدلالة على انها تنبسط الى العقل الاول انها تسمو الى
الاحاطة بجميع الاشيا التي يحتوي عليه الملكوت الاعظم وانها لن تلقى مستقرة راضية تامة
الرضا دون ان يبلغ العالم العقلي بجميع ما فيه فهي تلقى تامة مستقرة تامة الرضا وقال
يا نفس ان القليل من العمل مع العلم به خير من كثير العمل مع قلة العلم به انتهى ما استخرجنا
من كلام هذا الحكيم وقال بعض الفضلا لا شك ان الانسان افضل الحيوانات وليست
تلك الفضيلة لقوته وصورته فان كثيرا من الحيوانات يساويه او يزيد عليه فاذن ليست
تلك الفضيلة الا اختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا

لادراك حقائق الاشياء والاطلاع عليها والاشتغال بعبادة الله تعالى كما قال وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وايضا الجاهل كانه في ظلمة شديدة لا يرى شيئا البتة والعالم كانه
يطير في اقطار الملكوت ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم والواجب
والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط والمركب
ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها وانواع انواعها وتحليلها الى اجزائها واجزاء اجزائها
والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره حتى ينتهي في الضرب الاول
الى الاجناس البسيطة العالية وفي الضرب الثاني الى الفصول البسيطة القاصية ويعرف
اثر كل شيء ومؤثره ومادته وصورته وجنسه وفصله ولازمه وملزومه وواحده وكثيره
حتى يصير عقله كالنسخة المعقولة الماخوذة من جميع الموجودات اثبت فيها صور جميع المعلومات
بتفاصيلها واقسامها فاي سعادة فوق هذه الدرجة سيما وقد علمت ان علوم الانسان
يصير في القيمة اعيانا خارجية فيكون في ذاته عالم عظيم مفارق متعال عن كل درن وظلمة
وآفة وتحت حيطته وتصرفه يفعل فيه ما يريد وهذا هو الملك الدائم الذي لا يزول
والجاه الرفيع الذي لا يرتفع ثم انه بعد صيرورته كذلك يصير مكملا للناقصين جاعلا
للنفوس الجاهلة عالمة فيصير كالشمس في عالم الارواح سببا للحيوة الابدية لسائر
النفوس فيكون كبعض الملائكة وسائط بين الله وبين عباده في نفخ روح الحيوة العقلية
على قوابل نفوسهم ولهذا قال تعالى تنزل الملائكة والروح من امره على من يشاء فالعلم حيوة النفس
والمفسرون فسروا هذا الروح بالعلم والقرآن فكما ان البدن بلا روح اي نفس ميت
فاسد فكذا الروح بلا علم ميت ونظيره قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
وقوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا الاية فالعلم روح الروح ونور النور
ولب اللب ومن خواص هذه السعادة انها تكون باقية آمنة من الفساد والتغير
فان التصورات الكلية لا يتطرق اليها الزوال والتغير فاذا كانت هذه السعادة
في نهاية الجلالة في ذاتها ثم انها باقية ابد الآباد ودهر الداهرين كانت لا محالة اكمل السعادات
وايضا ان الانبياء صلوات الله عليهم ما بعثوا الا للدعوة الى الحق قال تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة الآية وقال قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني ثم خذ من اول
الامر فانه سبحانه لما قال اني جاعل في الارض خليفة فلما قالت الملائكة اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء قال سبحانه اني اعلم ما لا تعلمون فاجابهم بكونه سبحانه عالما
ولم يجعل سائر صفات الجلال من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم
والاستغناء جوابا لهم وذلك يدل على ان صفات الجلال والكمال وان كانت في نهاية
الشرف الا ان صفة العلم اشرف ثم انه سبحانه لما اراد ان اقام الحجة عليهم في استحقاق

ادم

آدم منصب الخلافة انما اظهر فضيلته عليهم بالعلم وذلك ايضا يدل على ان العلم اشرف من العمل
سيما عمل الملائكة وهو التسبيح والتقديس ثم انه تعالى لما اظهر علمه جعله مسجود الملائكة وخليفة العالم
السفلي وهو يدل على ان تلك المرتبة انما استحقها آدم عم بالعلم ثم ان الملائكة افتخروا بالتسبيح
والتقديس والافتخار بهما انما يحصل لو كانا مقرونين بالعلم واما ان حصلا بدون العلم كان ذلك
نفاقا والنفاق اخس المراتب وان وقعا تقليدا فالتقليد مذموم فثبت ان التسبيح والتقديس
انما صارا موجبا للافتخار ببركة العلم ثم آدم عم انما وقع عليه اسم المعصية لانه اخطأ في مسألة
واحدة اجتهادية فلاجل هذا الخطأ وقع فيما وقع فيه والشيء كلما كان الخطر فيه اكثر كان اشرف
فذلك يدل على غاية جلالة العلم ثم انه ببركة العلم لما تاب واناب وترك الاصرار والاستكبار
وجد خلعة الاجتباء واما اللعين فلما اصر على جهله واستكباره طوقه الله المحنة واللعن ثم
انظر الى ابرهيم على نبينا وآله وعليهم السلم كيف اشتغل في اول امره بطلب العلم على ما قال
سبحانه فلما جن عليه الليل راى كوكبا ثم اشتغل من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس
ولم يزل يشتغل بفكره من شيء الى شيء الى ان وصل بالدليل الزاهر والبرهان الباهر الى المقصود
واعرض عن الشرك فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فلما وصل الى هذه
الجنة مدحه الله باشرف المدائح وعظمه على اتم الوجوه فقال تارة وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض وتارة اخرى وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات
من نشاء ثم انه عم بعد الفراغ عن معرفة المبدأ اشتغل بمعرفة المعاد فقال واذ قال ابرهيم
رب ارني كيف تحيي الموتى ثم لما فرغ من التعلم اشتغل بالتعليم والمحاجة تارة مع ابيه
على ما قال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وتارة مع قومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
واخرى مع ملك زمانه الم تر الى الذي حاج ابرهيم الآية وكذلك حال موسى عم مع فرعون
ووجوده وبليته معه ثم انظر الى حال سيدنا ومولانا محمد صلعم كيف من الله عليه بالعلم
مرة بعد اخرى فقال ووجدك ضالا فهدى وقال ايضا ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان وقال ما كنت تعلمها انت ولا قومك ثم انه اول ما اوحي اليه قوله اقرأ
باسم ربك الذي خلق ثم قال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
وقال في معرض الامتنان على امته هو الذي ارسل رسوله بالهدى هو الذي انزل
على عبده الكتاب هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة فاشار الى العلم والحكمة بقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم وهو صلى الله عليه وآله كان يقول في دعائه رب ارنا الاشياء
كما هي وقال يوسف عم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث و
قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم ولم يقل اني نسيب حسيب فصيح مليح وايضا

فمعانيه المخبر المرء باصغريه قلبه ولسانه لان الاول محل الاعتقاد والراي والثاني محل الحكاية
والقول فيعلم بجنانه ويتكلم بلسانه قال الشاعر: لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم: والرابعة فانه عز وجل قدم عذاب الجهل على عذاب النار
فقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم وعن علي عليه السلم عين العلم من العلو
ولامه من اللطف وميمه من المروة وقيل العلم عشرة علم التوحيد للاديان وعلم السر لرد
الشيطان وعلم المعاشرة للاخوان وعلم الشريعة للاركان وعلم السياسة للسلطان
وعلم النجوم للازمان وعلم المبارزة للفرسان وعلم الرؤيا للعيان وعلم الطب للابدان
وعلم الحقيقة للرحمن وقيل ضرب الله المثل في العلم بالماء قوله انزل من السماء ماء الآية
لانه سبب الحيوة الباقية والمياه اربعة والعلوم اربعة ماء العين لعلم التوحيد
لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر ولذا لا ينبغي البحث عن كيفية ذات الله وقضائه لئلا يحصل الكفر
وماء القناة لعلم الفقه يزداد بالاستنباط كما ان القناة يزداد بالحفر وماء المطر لعلم الزهد
ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهوا وكذلك علم الزهد يتكدر بالهوى والطمع وماء السيل
لعلم البدع والمقاييس كما ان السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق فهذه جملة من الاخبار
والآثار دالة على فضيلة العلم وقد علمت الوجه العقلي في ذلك ولو ذهبنا الى ذكر
الدلايل والشواهد والحكايات الدالة على هذا المطلب لادى ذلك الى المجلدات
الكثيرة والله اعلم **الحديث السادس** وهو الثاني والستون علي بن ابرهيم عن
القسم بن محمد الظاهر ان يكون المراد به قاسم بن محمد الاصبهاني المعروف بكاسولا
لمشاركته مع سليمن في البلد كما في صه ويحتمل ان يكون قاسم بن محمد الخلقاني كوفي
قريب الامر صه قال النجاشي له كتاب روى عنه احمد بن ميثم عن سليمن بن داود
المنقري ابو ايوب الشاذكوني بصري قال النجاشي ليس بالمتحقق بنا غير انه روى
عن جماعة اصحابنا من اصحاب جعفر بن محمد عليهما السلم وكان ثقة انتهى وفي صه مثله الا
ان فيها الاصبهاني بدل بصري وابو جعفر بدل جعفر بن محمد وقال ابن الغضائري انه
ضعيف جدا لا يلتفت اليه يوضع كثيرا على المهمات وفي الفهرست والنجاشي له كتاب
يروي عنه القسم بن محمد عن حفص بن غياث القاضي عامي المذهب له كتاب معتمد صه
قال النجاشي بن غياث بن طلق بن معوية ابو عمرو القاضي الكوفي من اصحاب الصادق ع
روى عنه وعن ابي الحسن عليهما السلم وولي القضاء ببغداد الشرقية لهرون ثم ولاه
قضاء الكوفة ومات بها سنة اربع وتسعين ومائة روى عنه ابن عمر قال قال
ابو عبد الله عليه السلم من تعلم العلم وعمل به وعلم لله دعي في ملكوت السموات
عظيما فقيل تعلم لله واعمل لله وعلم لله **الشرح** قوله ع علم به بالتشديد

للمتعدية وقوله لله اولا متعلق بكل واحد من الافعال الثلثة اعني التعلم والعمل والتعليم
بدليل ما فصل اخيرا والملكوت اسم مبني من الملك كالجبروت والرهبوت من الجبر والرهبة
والمراد بملكوت كل شي باطنه المتصرف فيه المالك لامره باذن الله فان لكل موجود في
هذا العالم الحسي الشهادي صورة باطنية في عالم آخر روحانية نسبتها اليه نسبة الروح
الى البدن وكما يتفاوت الموجودات في هذا العالم شرفا وفضيلة كذلك يتفاضل الموجودات
في ذلك العالم فملكوت الانسان اشرف من ملكوت الاخس اذ لا شبهة في ان باطن
الحيوان اشرف من باطن الجماد مثلا لكن التفاضل في الدرجات هناك اكثر واعظم كما
في قوله تعالى والآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ولما كان اشرف الاجسام في هذا العالم
هو السموات بما فيها من الاجرام الكريمة النورانية فملكوت السموات وما فيها اشرف و
اعلى من ملكوت الارض وما فيها ثم من كان يدعى عظيما في ملكوت السموات كان مقامه اشرف
واعلى من مقام اهل الملكوت الاعلى فما اجل واعظم فضيلة العلم حيث يجعل به الانسان
السفلي الارضي اعظم من اهل الملكوت العلوي السماوي ثم لا يخفى ان العلم كما مر قسمان
علم معاملة وعلم مكاشفة والثاني اشرف من الاول والمذكور في هذا الحديث هو الاول
لدلالة قوله ع واعمل به فاذا كان حال القسم الاول من العلم هذا فما ظنك بحال القسم
الاعلى المطلق الالهي **باب** صفة العلماء وهو الباب السادس من كتاب
العقل وفيه سبعة احاديث **الحديث الاول** وهو الثالث والستون محمد بن يحيى
العطار عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن معوية بن وهب البجلي ابو الحسن
كوفي عربي صميم ثقة صحيح حسن الطريقة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم
صه قاله النجاشي وفي الفهرست له كتب منها فضائل الحج روى عنه ابن ابي عمير وعلي
بن الحكم قال سمعت ابا عبد الله ع يقول اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار
وتواضعوا لمن تعلمونه وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب
باطلكم بحقكم **الشرح** الحلم والوقار متقاربان في المعنى والحليم من اسماء الله وهو الذي
لا يستخفه شي من عصيان العباد ولا يستفزه الغضب عليهم وفي الحديث اولوا الاحلام
والنهى اي ذووا الالباب والعقول واحدها حلم بالكسر وهو الاناة والتثبت في
الامور وذلك شعار العقلاء وقد مر في الحديث الرابع عشر انه من جنود العقل وضده
السفه وهو من توابع الجهل ومن شعب الانحراف عن طريق العلم وكذا الوقار وضده
الخفة والطيش والعجلة من فعل الشيطان والتواضع التذلل والانكسار امر عليه السلم
بعد الامر باكتساب العلم بتزيين النفس اي تكميلها بالحلم والوقار والتواضع للمعلم
والمتعلم فضلا عن التواضع والتذلل لمن خلق العلم والتعلم والتعليم واوجد العالم والعلم

والمتعلم اما التواضع للمعلم فلكونه كالاب في كونه وسيلة لحيوة المتعلم في الدار الباقية فكما
اوجب الشرع طاعة الابوين والانقياد والتواضع لهما وليس ذلك الا لجعلهما وسيلة لهذه
الحيوة للولد فلذلك اوجب العقل والشرع التواضع وحسن الانقياد للمعلم واما التواضع
للمتعلم فذلك لماله من المدخلية في حصول الاجر والثواب للمعلم ولكونه باعثا لمزيد العلم
للاستاد وتمرنه بالمذاكرة والتكرار معه ثم نهى عليه السلم عما هو ضد التواضع وهو التجبر
والتكبر فقال ولا تكونوا علماء جبارين ثم افاد بقوله ع فيذهب باطلكم بحقكم اي الجبارية
والكبر امر باطل فيما سوى الرب تع وانه ممحق للعلم مزيل له لان كون العبد عالما بانه
ينافي كونه جبارا فمتى كان الرجل متجبرا استحال كونه عالما بالحقيقة فمن ادعى العلم وتكبر
على خلق الله فدل ذلك على ان علمه ليس بعلم حقيقي بل انما هو مجرد حفظ اقوال من غير
بصيرة والله قاصم ظهر المتكبرين ومهلك الجبابرة والفراعنة قال اليس في جهنم
مثوى للمتكبرين وفي الحديث الالهي الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما
قصمت ظهره ثم ان قوله ولا تكونوا علماء جبارين دال على ان دفع هذا المرض المهلك
وعلاجه مما هو واقع تحت اختيار العبد والا لكان التكليف به تكليفا بما لا يطاق و
علاجه مذكور في كتب الاخلاق مستفاد من الشرع وهو المداومة على افعال المتواضعين
والمواظبة على سننهم وطريقتهم بل نقول دواء هذا المرض الباطني معجون مركب من اجزاء
علمية وعملية اما العلمية فان يعلم بالله وتوحيده في الذات والصفات والافعال
وان كل وجود وكمال وجود من حيوة وعلم ومعرفة فهو لا يكون الا بفيض جوده ورحمته
وان يعلم بان جميع ما سواه ليس لها في ذاتها متفردة عن اثار فيضه وكرمه الا الليس
الصرف والعدم الساذج وان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ويعلم بان نفس
الادمية في اول نشئتها كانت من ارذل الاشياء وادونها واضعفها واخسها فخلقها
الله واوجدها بعد العدم وخلقها من النطفة القذرة ودم الطمث وصورها اولا
بصورة العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم الجنين المشتمل على اللحم والعظم والرباط
والعصب وساير الاعضاء طورا بعد طور ونشأة بعد نشأة الى ان استعد لصورة
الانسانية القابلة للامر الربانية والسر المودع الملكوتية ويعلم انه لا يملك لنفسه نفعا
ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ويعلم ايضا ان السبب في استكمالات الاشياء
وترقياتها سواء كانت طبيعية او ارادية كما يظهر عند التفتيش والتحقيق ليس الا
انكسار وضعف وعجز لحقها اولا فصارت بها متهيئة لقبول صورة او صفة كمالية
اخرى الا يرى ان العناصر ما لم ينكسر سورة كيفياتها الشديدة المتضادة لم تستعد
لصورة اخرى كمالية وهكذا البذر والنواة المدفونة في الارض ما لم يصر قرينة من التعفن

والنوا

والنواة في صورة جمادية لم يفض عليها صورة النباتية وكذا الباقي في صيرورة النبات
حيوانا والحيوان ناطقا وهكذا حال الانسان في التدرج على الاطوار الكونية ونشأتها فما لم يمت
عن نشأة او ما لم يحي بحيوة اخرى فالعلم الذي به يكمل النفس الانسانية لا يحصل الا بعد
رياضة شاقة وتذلل وتخشع لله ولرسوله صلعم والائمة من بعده عليهم السلم ولساير المعلمين
والمشايخ الذين هم ايضا الوسايط بين المبدأ الفياض للعلوم وبين النفس القابلة المستعدة
لها فاذا كان الامر كما بينا فمن اين للعبد سيما العالم التجبر والتكبر فهذا هو الدواء العلمي
واما الدواء العملي فهو التواضع بالفعل لله تع والمواظبة على ما ذكرنا اقتداء بسنة الرسول صلعم
وسيرة الائمة الطاهرين عليهم السلم وغيرهم من العلماء الكاملين والاخيار الصالحين
فان من احوال الرسول صلعم كما هو المنقول انه كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد
آكل كما تأكل العبيد وكان صلعم يركب على الحمار مردوفا مع آخر وروي ان عليا عليه السلم
اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقال له احد انا احمل عنك يا امير المؤمنين فقال لا
ابو العيال احق ان يحمل شيئا لعياله وعوتب عليه السلم في ازار مرقوع فقال يقتدي
به المؤمن ويخشع له القلب وحال امير المؤمنين ع وتواضعه مع الناس سيما
مع عبيده وخدمه مشهور لا يحتاج الى البيان وكذا روي ان الحسن عليه السلم اجتاز
بالمدينة في طريق وهو راكب فرأى جماعة من المساكين وقد اخرجوا كسرا يابسة وهم
يأكلونها فسلم عليهم فقالوا هلم يا ابن رسول الله الى الغداء فجلس معهم على الارض
وشاركهم في الاكل حتى فرغوا ثم قام وروي انه ع مر يوما بجماعة من المجذومين وهم
يأكلون وكان عليه السلم صايما فقالوا هلم الى الغداء فقال انه صايم وخشي ان يكون لهم
قد حصل لهم كسر قلب بذلك فقال تاتون الي غدا جميعا لافطر معكم فاتوه عند المساء واكل
معهم على خوان واحد جبرا لقلوبهم وربما روي ذلك عن الامام زين العابدين عليه السلم
وروي انه تكلم رجل في زين العابدين ع وافترى عليه فقال ع له ان كنت كما قلت
فاستغفر الله وان لم اكن كما قلت فغفر الله لك فقام اليه الرجل وقبل راسه
وقال جعلت فداك لست كما قلت فاغفر لي قال غفر الله لك فقال الرجل الله اعلم
حيث يجعل رسالاته وخرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت اليه العبيد والموالي
فقال لهم ع مهلا عن الرجل ثم اقبل عليه وقال ما ستر عنك من امرنا اكثر الك حاجة
نعينك عليها فاستحيى الرجل فالقى اليه خميصة كانت عليه وامر بالف درهم وقيل
لسلمان رضي الله عنه لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما
لبست اشار به الى العتق في الاخرة قال الغزالي في الاحياء ولا يتم التواضع بعد المعرفة
الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على رسول الله صلعم بالايمان وبالصلوة جميعا.

وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلوة اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملة ذلك ما فيها من
التواضع بالمثول بين يدي الله قائما وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديما يانفون
من الانحناء فكان يسقط من الواحد سوط فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس راسه
لاصلاحه فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذلة والضعة امروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم
ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر ساير الخلق فان الركوع والسجود
والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه
الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق
بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لعلاقة خفية ارتباطية بل اتحادية بين
النفس والبدن وسر الارتباط الذي بين عالمي الملك والملكوت والغيب و
الشهادة لا يعرفه الا الكاملون في المعرفة واعلم ان الذي يعرض للمتكبرين له اسباب
سبعة ليس شيء منها بكمال حقيقي انما الكمال بالحقيقة هو العلم الحقيقي لانه باق لا يزال والعمل
الصالح وسيلة اليه واما ما عداه مما يفنى بالموت فهو كمال وهمي فمن هذا تقتصر على المتصف
بالعلم الظاهري ان لا يتكبر وطريق العلاج في كل من تلك الاسباب السبعة بالعلم
والعمل مذكور في موضعه ولنذكر انموذجا من ذلك السبب الاول النسب فمن يعتريه
جهته فليعالج قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث تعزز بكمال غيره ولذلك
قيل لئن افتخرت باباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر
بالنسب ان كان خسيسا في صفات نفسه فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي
ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت دودة
خلقت من بولي والثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب
نطفة قذرة وجده البعيد تراب وقد عرفه الله نسبه فقال وبدا خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن كان هذا اصله كيف يتكبر اذ يقال له
يا اذل من التراب ويا انتن من الحماة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه
اقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة
اقرب اليه من الاب فليفتخر بهما فهذا هو النسب الحقيقي للانسان الطبيعي ومن
عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء عن حقيقة
اصله كرجل لم يزل عند نفسه انه هاشمي لما اخبره بذلك والداه فكان ذا نخوة لشرف
نسبه فبينما هو كذلك اذ اخبره عدول ثقات لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى
القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه بحيث لم يبق له شك في صدقهم افترى يبقى
من كبره وتشرفه بالنسب شيء بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فكذا البصير

اذا تفكر في اصله السبب الثاني التكبر بالجمال وهو صفاء ورد اخذ ظاهر البدن وتناسب في الاشكال
والصور فلو نظر المتكبر به نظر العقلاء الى باطنه ولا ينظر نظر البهائم الى الظاهر لراى من الفضايح ما
يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اعضائه والرجيع في امعائه والبول في مثانته
والمخاط في انفه والبزاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته
والصنان تحت ابطه يغسل الغائط كل يوم دفعتين ويتردد الى الخلاء مرتين يخرج من باطنه
ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا من ان يمسه الى غير ذلك من المستقذرات التي يصعب ما يؤدي
ذكره الى التطويل مع ما كان عليه في بداية امره من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم
الحيض وخروجه من مجرى القذر مرتين وما يؤدي اليه في نهاية امره من الجيفة في القبر والصديد
والرفات والتراب الذي تذروه الرياح فمن عرف حاله هكذا لم يفتخر بجماله الذي هو
كخضراء الدمن السبب الثالث القوة والايد ويمنعه من التفاخر بهما ان يعلم ما سلط عليه
من العلل والامراض فانه لو توجع عرق واحد في بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل
من كل ذليل وان سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه وان بقة لو دخلت انفه او نملة
دخلت اذنه لقتلته فمن لا يقدر ان يدفع عن نفسه ذبابة ولا يقاوم بقة ويعجزه شوكة دخلت
في رجله فلا ينبغي ان يفتخر ثم راى الفيل والجمل والحمار والبقر اقوى منه السبب الرابع
الغنى وكثرة المال والسبب الخامس كثرة الاتباع والانصار وولاية السلاطين وقربهم
والتمكن من جهتهم والتكبر بهذين السببين اقبح انواع التكبر لانه بمعنى خارج عن ذات
الانسان وصفاته كالجمال والقوة والعلم فالمتكبر بفرسه وداره لو مات فرسه
وانهدم داره بقي ذليلا والمتكبر بتمكين السلاطين وولايتهم بنا امره على قلب اشد
غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وبالجملة فكل متكبر بامر خارج عن ذاته
فهو ظاهر الجهل فكيف المتكبر بالغنى والثروة والتجمل فان هذه شرف لسبقة اليهود
وانه شرف يأخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا ذا وبال ونكال
فالتفاخر به غاية الجهل السبب السادس التفاخر بالعلم وهذه الافة اعظم الافات
واشد الادواء لان قدر العلم عظيم عند الله وعند الخلايق وهو مع ذلك مشتبه بالجهل
ولهذا قيل اذا ذل العالم ذل بذلته العالم فينبغي للعالم ان لا يستعظم نفسه بالاضافة
الى الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وانه من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته افحش
اذ لم يقض حق نعمة الله في العلم ولذلك قال عيسى ع يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار
فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك
فيقول كنت امر بالخير ولا اتيه وانهى عن الشر واتيه وقد مثل الله تعالى للعالم الذي
لا يعمل بعلمه او لا يطابق ظاهره باطنه ولسانه قلبه تارة بالحمار مثل الذين حملوا التورية

ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء اليهود وتارة بالكلب واتل عليهم نبأ الذي
آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان الى قوله فمثله كمثل الكلب اراد به بلعم بن باعورا
فالعالم وان كان قدره اعظم من قدر الجاهل لكن خطره اعظم من خطر غيره والجاهل اقرب الى
السلامة من العالم لكثرة آفاته وعظم اخطاره نعم لو خلص من آفاته ونجى يوم القيمة من العذاب
كان نعيمه اعظم من نعيم الجاهل لكن ذلك غير معلوم فكم من عالم لشيء في الآخرة سلامة الجهال
والعباد فاذا تدبر هذا الخطر يمنع عن التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف
يتكبر فان قلت فكيف يتواضع للفاسق الظاهر الفسق وللمبتدع الكافر واعظم قلت ان كان
هذا العالم عالما حقيقيا ربانيا فهو مستغرق في شهود الحق وغافل عن نفسه وعن علمه وعرفانه و
التكبر على الغير فرع على الالتفات بالنفس وبكمالها وعرفانها والعارف بالحق المحتجب له
لا يعرف ولا يحب غيره تعالى وان كان ذلك الغير نفسه او عرفانه ونعم ما قال صاحب
الاشارات في مقامات العارفين واحوالهم من آثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني
ومن وجد العرفان فكانه ما وجده بل وجد المعروف به فقد خاض لجة الوصول وان لم يكن
عالما حقيقيا فليتفكر في خطر العاقبة بل لو نظر الى كافر فيحتمل له بالايمان وحسن العاقبة ويفضل
هذا العالم ويختم له بالكفر وسوء العاقبة ثم ان المتكبر ممقوت عند الله معذب في الآخرة
قال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين والكلب والخنزير احسن حالا ممن هو عند الله من
اهل النار وهو لا يدري انه ناج من العذاب ام لا فكم من مسلم نظر الى عظيم من عظماء
الصحابة قبل اسلامه كابي ذر وحذيفة ونحوهما رضي الله عنهم فاستحقره وازدراه
وقد رزقه الله الاسلام وعظم منزلته وفاق على اكثر الصحابة فاذا حق العالم ان
لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اقرب
الى العذر مني وان نظر الى عالم هو اعلم منه فيقول انه يعلم ما لم اعلم فكيف اكون
مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه قال انه اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان نظر
الى صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر
قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان
يرفع عن نفسه الكبر وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله
لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه
وحق كل منهما ان يكون مصروف الهم الى اصلاح نفسه ومشغول القلب بخوفه
لعاقبته لا ان يشتغل بخوف العاقبة لغيره السبب السابع التكبر بالورع والعبادة
وذلك ايضا فتنة عظيمة ومرض شديد قلما يقبل العلاج مع حسن العمل وجودة
الظن وما ورد في الكتاب والسنة من مدائح اهل الورع والعبادة ربما يكون حشبي

جامد

جامد القريحة خامد الفطنة وقد صح ان المقصود من العلم هو العمل لا غير سيما وقد راى من بعض
العلماء ما يقبح عنده فيزدريهم وينظر اليهم بعين الحقارة فهذا مما يشق علاجه وهو من الهالكين
ولكن اذا كان في ذاته لطيف الجوهر ذكي الطبع يمكن قبوله للعلاج بان يعلم ان من يتقدم عليه
بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفت من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال صلى الله عليه وآله فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من
اصحابه الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم
فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون
حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت
الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه فلم يجز له ان يحتقر عالما بل وجب
عليه ان يتواضع له ويخدمه فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهو اما مستور
الحال واما مكشوف الفسق وعلى التقديرين لا ينبغي له التكبر عليه اما الاول فلعله اقل ذنبا
واكثر عبادة منه واشد حبا لله تعالى واما الثاني فلا ينبغي للعابد ان يتكبر عليه بظاهر
حاله اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة
في صفات الله تعالى وتخيل الخطأ فيه كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك
من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا مطرودا عن باب رحمته وقد جرى للفاسق
الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله واخلاصه والخوف عنه والتعظيم له
وللائكته وانبيائه واوليائه عليهم السلام ما انت خال عنه وقد كفر ذلك سيئاته فاذا انكشف
الغطاء يوم القيمة فتراه ارفع منك بدرجات فهذا ممكن فاذا تفكرت في هذا الخطر
كان عندك شغل شاغل عن التكبر على غيرك فهذا وامثاله يمكن دواء هذا المرض المهلك

الحديث الثاني وهو الرابع والستون علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس
عن حماد بن عثمان عن الحرث بن المغيرة النصري بالنون والصاد غير المعجمة روى
الكشي عن محمد بن قولويه قال حدثنا سعد بن عبد الله عن احمد بن محمد بن عيسى عن عبد الله
ابن محمد الحجال عن يوسف بن يعقوب قال كنا عند ابي عبد الله عليه السلام فقال اما لكم
من مفزع اما لكم من مستراح تستريحون اليه ما يمنعكم من الحرث بن المغيرة النصري
وروى ايضا حديثا في طريقه سجادة انه من اهل الجنة وقال النجاشي حارث بن
المغيرة النصري من بني نصر بن معوية بصري روى عن ابي جعفر الباقر والصادق
والكاظم عليهم السلام وعن زيد بن علي عليه السلام ثقة ثقة عن ابي عبد الله عليه السلام في قول
الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ومن
لم يصدق فعله قوله فليس بعالم

الشرح قد علمت ان العلم علمان علم حقيقي هو العلم

بحقائق الاشياء على ما هي عليها كما هو مسؤول النبي ص ودعائه وعلم غير حقيقي هو معرفة الجزئيات المتغيرة
وما يتعلق بالاعمال والافعال والعلم بحقائق بالحكايات والروايات ولكل منهما خواص ولوازم
يعرفها العارفون فمن لوازم الاول الخشية عن الله والخشية في الباطن لما يخطر في القلب من جلاله
والخشية في الباطن بما يخطر في القلب وخوف العقوبة والرجاء خوف المعصية والمحبة له والشوق
اليه والملكوة الاعلى والانزجار عن الدنيا والزهد فيها وتمني الموت لاجل لقاء الله والصدق
في جميع الاقوال والاعمال والقناعة بالقليل والتواضع ومن خصايص الثاني الامن من مكر الله
والخوف من عذاب المعصية من لا استحقاقه العقوبة والاستحياء من الخلق الظاهر من الذي
يتجلى في القلب ويطلع على الضماير والذكر والتمسك باللسان والجوارح والظاهر لا الذكر
بالقلب والضماير في السر فالعالم الحقيقي يلزمه الخشية لله والتقوى والورع عن محارمه ظاهرا و
باطنا فلا جرم يصدق فعله قوله وظاهره باطنه وغيره في الاغلب بخلاف ذلك **الحديث الثالث**
وهو الخامس والستون عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقي عن اسمعيل بن مهران عن ابي سعيد
القماط هو خالد بن سعيد ابو سعيد كوفي ثقة روى عن الصادق عم وفي كتاب الكشي قال حمدويه
اسم ابي خالد القماط يزيد وقال الشيخ الطوسي رحمه الله خالد بن يزيد يكنى ابا خالد القماط
قيل انه ناظر زيديا فظهر عليه فاعجب الصادق عليه السلم ذلك عن الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلم
قال قال امير المؤمنين عليه السلم الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله
ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة عنه الى
غيره الا لا خير في علم ليس فيه تفهم الا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر الا لا خير في عبادة
لا فقه فيها الا لا خير في نسك لا ورع فيه **الشرح** قد مر سابقا ان اسم الفقه كان في
اصل اللغة بمعنى الفهم مطلقا سواء كان في امور الدين او في امور الدنيا يقال فقه الرجل
بالكسر يفقه فقها اذا فهم وعلم وفقه يفقه بالضم اذا صار فقيها عالما وقد جعله العرف
السابق خاصا بعلم حقائق الدين ومعارف الايمان وعلم طريق الآخرة وكيفية سلوك
سبيلها ثم خص بعلم الفروع الشرعية في العرف اللاحق فقال لمن عرف المسائل الفرعية
من العبادات والمعاملات والحدود وغيرها وان لم يعرف اصول المعارف واحوال
المبدأ والمعاد انه رجل فقيه والقنوط اشد اليأس من الشيء يقال قنط يقنط وقنط
يقنط فهو قانط وقنوط والقنوط بالضم هو المصدر وقوله عم لا يقنط الناس من باب التفعيل
للتعدية اي لا يجعلهم قانطين من رحمة الله وقوله لا يؤمنهم اي لا يجعلهم امنا والا حرف تنبيه يفتتح
به الكلام للتنبيه تقول الا ان زيدا ضارب ذكر سلام الله عليه للفقيه بالعرف المتقدم
علامات اربع يعرف بها الاولى ان لا يقنط الناس من رحمة ربهم والثانية ان لا يؤمنهم
من عذابه والثالثة ان لا يرخص لهم في شيء من معاصيه والرابعة ان لا يترك القرآن

من حيث

من حيث تلاوته والتدبر في آياته وسوره واستفادة العلوم كلها منه رغبة عن القرآن
الى غيره من الكتب سواء كانت سماوية او غيرها اذ فيه علم الاولين والآخرين لمن كان له
فقه فمن اعرض عن القرآن وحاول اكتساب العلم والعرفان من كتب الفلاسفة وغيرهم
فهو ليس بفقيه ولا عالم ولعله عليه السلم انما اخبر الناس بالفقيه او عن الفقيه بذكر هذه
العلامات على الخصوص له دون غيرها لان اكثر من يسمى عند الجمهور بهذا الاسم في كل زمان
يكون موصوفا باضداد هذه الصفات ويؤيد ما ذكرنا ان هذه المذكورات الاربعة كلها
من باب السلوب فدل على ان الغرض التعريض بحال العلماء السوء المتظاهرين بالفقه
والتشبه على ان الفقيه بالحقيقة من الذي صفاته على نقايض صفات هؤلاء المشهورين
عند الخلق باسم الفقيه وهذا من باب تعريف الشيء بضده وفي تصريح قوله من لا يقنط
الناس من رحمة الله اشارة الى ابطال مذهب المعتزلة القائلة بايجاب الوعيد وتخليد
صاحب الكبيرة في النار وقوله ولم يؤمنهم من عذاب الله اشارة الى اهل المرجئة ومن
يجري مجراهم من المغترين بالشفاعة وقوله ولم يرخص لهم في معاصي الله اشارة الى اهل
الاباحة ومن يشبههم كاكثر المتصوفة وقوله ولم يترك القرآن رغبة عنه الى غيره اشارة
الى اهل الحنفية لانهم عملوا بالقياس وتركوا القرآن مهجورا وفي كلامه اشارة الى ان
الفقيه غير هؤلاء واشباههم فتدبر وكن على بصيرة في دينك ثم اشار عليه السلم في التنبيه
على ان ظواهر هذه الصفات الحسنة المشهورة سواء كانت من باب العلم او من باب
العمل اذا كانت معراة عن الاحوال السنية الباطنية مما لا خيرية فيها ولا طائل تحتها
بل ضررها في الآخرة اكثر من نفعها وخسارتها اكبر من فائدتها كما نبه الله تعالى عليه بقوله
هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية وبقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر وما هم بمؤمنين الآيات وقوله مخاطبا لنبيه ص ومن الناس من يعجبك قوله
في الحيوة الدنيا الآية والمراد من العلم الذي ليس فيه تفهم هو احد امرين احدهما العلم
التقليدي او الظني الذي ليس عليه برهان ولا حصل من دليل قاطع والثاني العلوم
النقلية والحكايات فان حافظي القصص والاخبار وناقلي الاحاديث والروايات
ربما ظنوا بانفسهم انهم من جملة العلماء وانهم كذلك عند اكثر الناس والله يشهد انهم
لكاذبون وكذا القراء ومن يجري مجراهم اذا لم يكونوا من المتدبرين فالعالم بلا تفهم
والقاري بلا تدبر لا ينفكان غالبا عن ضرب من النفاق العلمي وهو شعبة من النفاق
واشار عم الى القسم الآخر وهو النفاق في العمل بقوله الا لا خير في عبادة ليس فيها فكر
وانما كانت تلك العبادة كذلك اي لا خير فيها لان صاحبها لا يخرج عن الحجاب بنفسه والحجاب
المؤمنة من المهلكات كما مر وههنا نكتة لطيفة وهي ان النفاق بالحقيقة عبارة عن ايثار

الدنيا على الآخرة واختيار الادون الاخس على الارفع الاشرف فكل من آثر العمل على العلم واعمال
الجوارح على الحركات الفكرية واستعمال الحواس والمشاعر الجزئية على استعمال العقل والمدارك
الكلية العقلية وكذا العلوم والصنايع الجزئية على العلوم الكلية والمعارف الحكمية فهو من اهل
النفاق عند ذوي البصاير واصل هذه النفاقات انسية القوة الوهمية التي هي رئيس
القوى الحيوانية والشيطانية وهي اعظم جنود الكفر وحزب الشيطان قبل ان اسلمت واطاعت
وخضعت للقوة العقلية التي هي رئيس القوى الملكية والقوى المسلمة المطيعة وهي اعظم
جنود الحق وحزب الرحمن واما الرواية الاخيرة فلا تخالف ولا تزيد على هذه الرواية الا
بتبديل لفظ ليس فيها فكر بلفظة لا خير فيها في قوله الا لا خير في عبادة اه وبايراد [illegible]
الاخيرة ههنا وهي قوله عليه السلام الا لا خير في نسك لا ورع فيه والنسك وان كان معناه معنى
العبادة كما هو المذكور في كتب اللغة ولكن الانسب ان يكون فيه زيادة تاكيد وكانه عبادة
مع زهد وهو الورع فكان المراد انه لا خير في عبادة لا زهادة معها فان الزهد الحقيقي لا يتحقق الا مع
العرفان فلا يتحقق الا مع العلم ولعل فايدة هذه الزيادة الواقعة في الرواية الاخيرة
التنبيه على ان العبادة لا تتم بدون الزهد في الدنيا ومعلوم ان ذلك لا يتحقق الا بالعلم
بحقارة الدنيا وجلالة قدر الآخرة وان ما عند الله خير وابقى فثبت ان العلم هو الاصل
في كل عمل صالح فعلا كان كالعبادة او تركا كالزهد الحديث الرابع وهو السادس والستون
محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى ومحمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان النيشابوري جميعا
عن صفوان بن يحيى هو ابو محمد البجلي بياع السابري كوفي قال الشيخ الطوسي رحمه الله انه
اوثق زمانه عند اصحاب الحديث وغيرهم وكان يصلي كل يوم خمسين ومائة ركعة
ويصوم في السنة ثلثة اشهر ويخرج زكوة ماله كل سنة ثلث مرات وذلك انه
اشترك هو وعبد الله بن جندب وعلي بن النعمن في بيت الله الحرام فتعاقدوا جميعا
ان مات واحد منهم يصلي من بقي ويصوم عنه ويزكي عنه زكوته فمات صاحباه وبقي
صفوان بعدهما وكان يصلي لهما فيصلي عنهما ويصوم عنهما ويزكي عنهما ويحج عنهما وكل
شيء من البر والصلاح يفعله لنفسه كذلك يفعله عن صاحبيه وكان وكيل الرضا عليه السلام
وقال ابو عمرو الكشي اجمع اصحابنا على تصحيح ما يصح عن صفوان بن يحيى والاقرار له بالفقه
وروى عن محمد بن قولويه عن سعد عن احمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن معمر بن خلاد قال
قال ابو الحسن عليه السلام ما ذئبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها باضر في دين المسلم
من حب الرياسة ثم قال لكن صفوان لا يحب الرياسة وكانت له عند الرضا عليه السلام
منزلة شريفة وتوكل للرضا وابي جعفر عليهما السلام وسلم مذهبه من الوقف وكانت له
منزلة من الزهد والعبادة صح وقال النجاشي انه ثقة ثقة عين روى ابوه عن الصادق عليه السلام

ذكره

ذكره الكشي في رجال موسى عليه السلام وسلم مذهبه من الوقف وجماعة من الواقفة بذلوا له مالا كثيرا
وكانت له منزلة من الزهد والعبادة وكان من الورع والعبادة على ما لم يكن احد من طبقته
وروى الكشي عن علي بن محمد عن احمد بن محمد عن علي بن الحسين بن داود القمي قال سمعت ابا جعفر عليه السلام
يذكر صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان بخير وقال رضي الله عنهما فما خالفاني وما خالفا ابي عليه السلام
قط بعد ما جاءهما ما قد سمعه غير واحد وروى عن محمد بن قولويه عن سعد عن احمد بن محمد بن عيسى
مثل ما تقدم الا ان فيه رضي الله عنهما برضاي عنهما فما خالفاني قط وعن ابي طالب عبد الله
بن الصلت القمي قال دخلت على ابي جعفر الثاني عليه السلام في آخر عمره فسمعته يقول جزى الله
صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان وزكريا بن آدم عني خيرا فقد وفيا لي وعن صفوان بن
يحيى فقال رحم الله اسمعيل بن خطاب ورحم الله صفوان فانهما من حزب آبائي ومن
كان من حزبنا ادخله الله الجنة مات صفوان بن يحيى في سنة عشر ومائتين بالمدينة وبعث
اليه ابو جعفر عليه السلام بحنوطه وكفنه وامر اسمعيل بن موسى بالصلوة عليه عن ابي الحسن الرضا عليه السلام
قال ان علامات الفقه الحلم والصمت الشرح قوله عليه السلام من علامات الفقه يدل على
ان كون الرجل فقيها امر مختف غامض لا يمكن لاكثر الناس الاطلاع على حقيقته وكنهه
فاحتيج في معرفة الفقيه الى هذه العلامات واللوازم ولو كان المراد من الفقه معرفة
الفتاوى الغريبة في الاحكام الفرعية والوقوف على الاقوال المختلفة فيها وحفظ المقالات
المتعلقة بها لكان الموصوف به معروفا مشهورا عند الناس ولم يحتج في الاطلاع عليه
الى مثل هذه العلامات العامة التي قد يوجد في غيره فعلم من هذا ان المراد به غير ما هو
المشهور عند الجمهور وذكر الغزالي في كتاب الاحياء انه سئل رجل عن الحسن البصري
عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك وهل رأيت
فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم
على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم ولم يقل
في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقيه لم يكن متناولا
للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع
وكان اطلاقهم على علم الآخرة اكثر فثار من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على
التجرد له والاعراض عن علم الآخرة واحكام القلب ووجدوا على ذلك معينا من
الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسر والتوصل به الى طلب القضاء والولاية
والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص
اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع به الحديث الخامس وهو السابع والستون
احمد بن عبد الله هو اما ابن عيسى بن مصقلة بن سعد القمي الاشعري ثقة له نسخة عن ابي جعفر عليه السلام

واما ابن احمد بن جلين بضم الجيم وفتح اللام المكسورة ابو بكر الوراق كان من اصحابنا ثقة
في حديثه مسكونا الى روايته روى عنه الغضايري عن احمد بن محمد البرقي عن بعض اصحابه رفعه
قال قال امير المؤمنين عليه السلم لا يكون السفه والغرة في قلب العالم **الشرح** السفه هو
الخفة والطيش وسفه فلان رايه اذا كان مضطربا لا استقامة فيه ولهذا وقع في مقابلة
الحلم في حديث جنود العقل والجهل والسفيه الجاهل وفي الحديث انما البغي من سفه الحق
اي من جهله وقد مر شرح معناه والظاهر ان السفه لازم الجهل لانه نفس جنوده ونتيجته
احد المتلازمين بالآخر شايع والغرة هي الغفلة عن لوازم الشيء وقلة الفطنة للشر الذي تحته
وترك البحث والتفتيش عنه واعلم انه يستفاد من هذا الحديث ان اكثر الموصوفين
بالعلم عند الناس ليسوا من العلماء وانما هم من الجهلة بالحقيقة وذلك لما نشاهد من الكثير
من تعاطي افعال السفهاء والمغترين وذلك لركونهم الى اهل الدنيا وسعيهم في طلب
الجاه والشهرة وميلهم الى الشهوات واللذات وتشوقهم الى قرب السلاطين والتفوق
على الاقران والامثال وتهالكهم على كثرة الاتباع والمريدين واظهار العداوة لمن لم
يعدهم او يرد عليهم او يناظرهم ولو في مسئلة واحدة وربما يتهجموا على من يلزمهم
بالضرب والشتم والايذاء ان كانت لهم قدرة او بالتكفير والطعن والافتراء
ان لم يكن وساير ما يصدر عنهم مما يجري مجرى هذه الامور وجميع ذلك سفه وغرور
كما لا يخفى على من له بصيرة قلبه فثبت ان العلم الممدوح عند الله ورسوله واوليائه عليه
وعليهم السلم نوع آخر من العلم يباين هذا الذي هو المعروف عند الناس تباينا بالحقيقة
لا لاجل الزيادة والنقصان والشدة والضعف فان هذا المشهور كلما ازداد واكثر او
وقع الامعان فيه اشد كان صاحبه اكثر احتجابا عن المعبود وازيد بعدا من الحق والى
هذا اشار بقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين
وقوله واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم
هم السفهاء ولكن لا يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا **الحديث السادس**
وهو الثامن والستون وبهذا الاسناد عن محمد بن خالد عن محمد بن سنان رفعه قال قال
عيسى بن مريم عليه السلم يا معشر الحواريين لي اليكم حاجة اقضوها لي قالوا قضيت حاجتك
يا روح الله فقام وقبل اقدامهم فقالوا كنا نحن احق بهذا يا روح الله فقال ان
احق الناس بالخدمة العالم انما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس
كتواضعي لكم ثم قال عيسى عليه السلم بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر وكذلك في السهل
ينبت الزرع لا في الجبل **الشرح** المراد بالحواريين اصحاب عيسى ع اي خلصانه
والقصارة واصله من التحوير التبييض قيل انهم كانوا قصارين يحورون الثياب

اي

اي يبيضونها ومنه الخبز الحواري الذي نخل مرة بعد مرة قال الازهري الحواريون خلصان
الانبياء وتاويله الذين اخلصوا ونقوا من كل عيب قوله قضيت بصيغة المجهول رعاية للادب
وقعت بدل قضينا حاجتك وفي بعض النسخ وقع تغسل اقدامهم بدل وقبل اقدامهم والسهل
من الارض خلاف الحزن او الصعب الغرض من هذا الحديث اثبات ان العالم يجب ان يكون
متواضعا لا متكبرا والاشارة الى لمية ذلك فذكر ان عيسى روح الله ع مع غاية رفعته وجلالته
وعلمه وشرافة ذاته تواضع لاصحابه غاية التواضع من وجوه الاول حيث اراد تقبيل اقدامهم
وهذا غاية ما يصنع للتواضع والثاني انه ع استاذن في ذلك عنهم اولا رعاية للادب
والثالث انه جعله مطلوبا له وسماه حاجة اليهم والرابع انه صنع ما صنع لمن هو دونه وهم
تابعوه وتلامذته والمستفيدون منه والمقتبسون من مشكوة نوره ثم قال في جواب قولهم
نحن احق بمثل هذا الصنع ان احق الناس بالخدمة هو العالم اي وان كان بالقياس الى من
دونه ثم اخذ في بيان فايدة ما فعله وغاية ما صدر من التواضع والخدمة وجعلها غايتين احديهما
متعدية والاخرى لازمة اما التي تتعدي الى الغير فهو تعليمهم ذلك منه واقتداؤهم به ع
في ذلك لكيلا ينتفعوا كما انتفع به ويستكملوا واما الثانية وهي الغاية الذاتية واللب
الاصلي في فعل التواضع فما اشار اليه بقوله ع بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر والكلام في
بيان هذا الحكم بمثال كما هو عادة الانبياء والرسل عليهم السلم حيث اتوا بالامثال و
صوروا الحقايق الغامضة العقلية بكسوة الامثلة الحسية وذلك لان اكثر الناس
يغلب عليهم الجنبة الحسية فلا يمكنهم ادراك البراهين العقلية ولا تجريد المعاني عن ملابس
الصور واما الذين صفت اذهانهم وكملت عقولهم وهم الاقلون فلفرط ذكائهم وقوة حدسهم
يتفطنون بالحقايق بواسطة الامثال المضروبة للناس كما قال سبحانه وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون واما الوجه العقلي والسبب اللمي في ذلك ان
العلم الحقيقي كمال عقلي لا يحصل للانسان الا بجد وشغل وفطرة ثانية ونشاة اخرى له
غير الفطرة الاولى المشتركة بين الناس كلهم ونسبة الاولى الى الثانية كنسبة الجنس
الى النوع ونسبة الحيوانية الى الانسانية العاقلية ولا يمكن الترقي من نشاة الى نشاة اخرى
الا باستحالات وتبدلات من شان الى شان موجبة لعدم الاولى وزوالها واحكام
الثانية وبقايها فالتواضع والخضوع ولين الجانب وخفض الحال ورقة القلب
وساير ما هو من هذا القبيل مما له مدخلية في لطافة النفس وصفائها وصيرورتها بمنزلة
زجاجة لا لون لها وصحيفة لا نقش لها فلاجل ذلك يقبل الهيئات العقلية والعلوم
الالهية فاذا امعن المريد للحق في الرياضة ورفض الانانية ومحو الصفات والآثار
المستحدثة للنفس فطرة ثانية وصار قلبه كمرآة مجلوة يتراءى بها الحقايق كما هي واما

اذا اتصفت نفس الانسان باضداد تلك الصفات فازدادت قساوة وفظاظة فانجمدت وتراكمت عليها الظلمة والجهالة فشقت وبعدت عن قبول اثر الرحمة وفيض النور فهذا هو بيان

لمية قوله ع بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر **الحديث السابع** وهو التاسع والستون محمد بن ابرهيم

عن ابيه عن محمد بن معبد قال النجاشي هو بغدادي من اصحاب الهادي ع له كتاب روى عنه ابرهيم

ابن هاشم وفي التهذيب روى عنه موسى بن جعفر عمن ذكره عن معوية بن وهب عن ابي عبد الله

عليه السلم قال كان امير المؤمنين عليه السلم يقول يا طالب العلم ان للعالم ثلث علامات العلم

والحلم والصمت وللمتكلف ثلث ينازع من فوقه بالمعصية ويظلم من دونه بالغلبة ويظاهر

الظلمة **الشرح** لما كان كثيرا ما يقع للطلبة المريدين للعلم اشتباه بين العالم النحرير و

المتكلف الجاهل المتكبر فيتبعون لمن يضلهم عن الطريق ويغويهم عن سواء السبيل فيختل امر معادهم

ويضطرب احوال معادهم فاراد امير المؤمنين ع ترحما عليهم واشفاقا بهم ان يعرفهم طريق

معرفة الهداة المعلمين والتميز بينهم وبين المدعين المضلين لئلا يضيع اوقاتهم في طلب

ما لا يمكن الوصول لهم اليه ولا يتعطلوا عما خلقوا لاجله بسبب الانحراف عن منهج الهداية

والخوض في مسلك الغواية فضلوا ضلالا بعيدا وخسروا خسرانا مبينا فعين ع لهم علامات

واوصاف يوصف بها العالم الحق المستبصر وعلامات واوصاف يوصف بها الجاهل

المتجبر ليحصل لهم التميز بينهما ويرتفع الاشتباه بها اما علامات العالم المذكورة هنا فثلث

احديها وجود العلم فان قلت هذا يرجع الى تعريف الشيء بنفسه وهو ظ قلنا المطلوب معرفة

العالم الحقيقي الذي يصلح للاقتداء به والاهتداء بهديه وله علامات متعددة يحصل من مجموعها

تلك المعرفة ثم العلم الذي هو احدى العلامات ليس يجب ان يكون نفس العلم الذي

هو بها عالم حقيقي فان ذلك ملكة نفسانية ونور رباني يقذفه الله في قلب من يشاء و

فضل الهي يختص به من يشاء من عباده وهذا كرشحة صادرة من لجة ذلك النور فيجوز ان

يكون من جملة العلامات وثانيتها الحلم وهو التمكين والوقار خلاف السفه والطيش

وثالثها الصمت وهو السكوت الا عند الضرورة واما علامات الجاهل المموه بصورة

العلم والمنافق المتكلف بزي العلماء فيجب ما ذكرها هنا في ايضا ثلث احديها ان من

عادته وصنيعه انه ينازع من فوقه بالمعصية وذلك لان غرضه الاصلي من المباحثة

والمناظرة اظهار الفضيلة والعلم عند العوام والجهال فاذا ناظر من هو دونه لم يظهر له

عندهم فضيلة واذا ناظر من فوقه فلا يمكنه المعارضة معه بوجه الحق فلا بد ان ينازعه

بوجه العذر او المراوغة او الافتراء ونحوها ليدلس على الناس انه الزم الفاضل

الفاضل في البحث فيحصل مطلوبه هو الجاه والقبول عند الخلق وان كان عاصيا

مردودا عند الله والثانية انه يظلم من دونه بالغلبة اي بفعل الزام من هو دونه

في الغدر

في الغدر والاعتبار بسبب الغلبة بالمال والجاه ونحوهما لا بسبب قوة العلم والثالثة انه يظاهر

سلاطين الظلم وامراء الجور ويعاونهم على ظلمهم ويصدقهم في كذبهم وجورهم لانه بالتقرب

اليهم يصل الى اغراضه الدنياوية من الجاه والمال والشهرة التي لاجلها اكتسب العلم ومعلوم

ان التقرب اليهم والمنزلة عندهم لا يمكن الا بعد مراتهم ومعاونتهم على ظلمهم وجورهم وكذبهم

ويحتمل ان يراد باللفظ صيغة المصدر فقوله ع يظاهر الظلمة اي يعاون وينصر جانب الظلم

والظلمة كما في حديث علي ع انه بارز يوم بدر وظاهر اي نصر واعان الحق والاسلام واما

فعل الجاهل المدعي للعلم من اعانة الظلم والجور لانه عند ظهور العدل واقامة الحق لم يبق له

فضيلة ومنزلة عند احد بل ينكشف عواره وتدحض حجته ويزهق باطله وهكذا حال اعداء الله

يوم الحساب ولهذا قيل يوم العدل اشد على الظالم من يوم الجور على المظلوم والله اعلم

باب حق العالم وهو الباب السابع من كتاب العقل والعلم وفيه حديث واحد

هو الحديث السبعون محمد بن محمد بن عبد الله ابو الحسن القزويني القاضي وجه من وجوه

اصحابنا ثقة في الحديث قدم بغداد سنة ست وخمسين وثلثمائة ومعه من كتب العياشي

قطعة وهو اول من اوردها بغداد ورواها عن ابي جعفر احمد بن عيسى الزاهد عن العياشي

كذا نص عليه في كتاب النجاشي وفيه اشكال وهو ان هذا التاريخ بعد وفاة الكليني رح

لان وفاته سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ويمكن التفصي عنه بانه يحتمل ان يكون ملاقاة

الشيخ اياه قبل قدومه بغداد بمدة هي ازيد من اثنين وعشرين سنة عن احمد بن محمد

ابن خالد عن سليمن بن جعفر الجعفري بن ابرهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيار

ابو محمد الطالبي الجعفري روى عن الرضا وروى ابوه عن ابي عبد الله وابي الحسن

وروى الكشي عن الحسن بن علي عن سليمن الجعفري قال قال العبد الصالح يا سليمن

ابن جعفر يا سليمن ولدك رسول الله ص قال نعم وولدك علي مرتين قال نعم قال وان

لجعفر رحمه الله عليه قال نعم قال ولولا التي انت عليها ما انتفعت قال النجاشي له كتاب

عبد الله بن محمد بن عيسى روى عنه عمن ذكره عن ابي عبد الله عليه السلم قال كان امير المؤمنين

عليه السلم يقول ان من حق العالم ان لا تكثر عليه السؤال ولا تاخذ بثوبه واذا دخلت

عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعا وخصه بالتحية دونهم واجلس بين يديه ولا تجلس

خلفه ولا تغمز بعينيك ولا تشر بيدك ولا تكثر من القول قال فلان وقال فلان خلافا

لقوله ولا تضجر بطول صحبته فانما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء

والعالم اعظم اجرا من الصائم القائم الغازي في سبيل الله ان شاء الله تعالى **الشرح**

قوله ع لا تغمز من غمزت الشيء بعيني او بالحاجب من باب ضرب اذا اشار اليه فحذف

المفعول وهو الضمير العائد الى العالم وكذا في قوله ولا تشر بيدك اي لا تغمزه بعينيك ولا تشر اليه

نو النضر [illegible] وكان [illegible] ابن جعفر [illegible] الرضا والكاظم عليهما السلم

بدنك ويحتمل ان يكون المراد ان النهي عن فعل الغمز بالعين والاشارة باليد في حضوره
وان كان بالقياس الى غيره لان ذلك ينافي التعظيم والحرمة ولذلك حذف المفعول
لان الغرض ترك اصل الفعل مطلقا وكذا الحال اذا كان المطلوب اتيان اصل الفعل
كقولك فلان يكتب وفلان يزرع اذا المقصود اثبات اصل الكتابة او الزراعة وقوله
لا تكثر من القول اي لا تكثر من نقل قول الغير عنده فانه لغو وقوله لا تفتنه صيغة نهي
من باب تفعل اي لا تتفتنوا فحذفت احدى التائين كما هو القياس وباقي الفاظ الحديث
واضحة لاسترة فيها تذنيب اعلم ان لكل من العالم في تعليمه والمتعلم في تعلمه حقوقا
على الآخر ووظايف بالقياس اليه اما حق المعلم على المتعلم فلا يعرف قدره الا الله
لان حقه اعظم من حق الوالد لولده وانما وقعت الاشارة في هذا الحديث الى ما هو
الجلي المكشوف منه من رعاية الآداب الظاهرة بالنسبة اليه واما وظيفته الى المتعلمين
فامور الاول الشفقة عليهم وان يجري بهم مجرى بنيه كما روي عنه صلعم انه قال انما
انا لكم مثل الوالد لولده فيكون قصده انقاذهم من نار الآخرة التي تطلع على الافئدة
ولذا كان حقه اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الدنيوي المنقطع والحيوة
الدنية المنقطعة واما المعلم هو المفيد للحيوة الاخروية الشريفة الدائمة اعني معلم العلوم
الاخروية ولولا تعليمه لانساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدايم واما التعليم
لعلوم الدنيا لا على قصد الآخرة فذلك هلاك واهلاك نعوذ بالله منه الثاني
ان يقتدي بصاحب الشرع ع فلا يطلب على افادة العلم اجرا ولا يقصد جزاء منهم
ولا شكورا بل يعلّم لوجه الله تع وطلبا للتقرب لديه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كان
المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ ثوابه في التعليم اكثر من ثوابهم في التعلم
عند الله تع ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب ومثاله في المحسوس كالذي يعيرك
الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض
فالمتعلم ايضا بمنزلة ارض علمه لان تتقرب الى الله بزراعة العلوم فيها واشتغالك
منها ازيد من اشتغاله فلا تطلب الاجر الا من الله فان الله قال لنبيه ص قل لا اسئلكم
عليه اجرا الثالث ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغ عقله اياه فينفره
او يخبط عليه عقله اقتداء بسيد المعلمين عليه وآله السلم حيث قال نحن معاشر الانبياء
امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم ويقول المعلم كما قال امير المؤمنين ع واومى
الى صدره الشريف ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة فان قلوب الاحرار قبور
الاسرار فلا ينبغي ان يفشي المعلم كل ما يعلمه الى كل احد وعن النبي صلعم لا تعلقوا الجواهر
في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهرة ومن كرهها شر من الخنزير وسئل بعض العلماء

عن مسئلة فلم يجب فقال السائل اما سمعت النبي صلعم حيث يقول من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة
ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمني وقوله
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم
في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق وما احسن ما قيل ، فمن منح الجهال
علما اضاعه ، ومن منع المستوجبين فقد ظلم ، الرابع ان يزجر المتعلم عن الاخلاق الردية
بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك
حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار وعنه صلعم
لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء ومما ينبهك على هذا
قصة آدم وحوا عليهما السلم وقصدهما الى ما نهيا عن تناوله وهو ادون شيء من ثمار الجنة
ولان التعريض بالشيء ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط
معانيه فيزيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لم يعزب عن
فطنته الخامس ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر
والعمل بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل
من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه
وزاد حرصهم عليه ويقولون لولا انه اطيب الاشياء والذها لما كان يستأثر به
قال تع اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في
المعاصي ازيد لانه يزل بزلته عالم فيقتدون به فهذه خمس وظايف من جملة وظايف
المعلم وهي كثيرة لكن معظمها وواجبها ما ذكرناه واما وظايف المتعلم وآدابه فهي ايضا
كثيرة نذكر منها ستة الوظيفة الاولى تقديم طهارة النفس عن رذايل الاخلاق
وذمايم الصفات اذ النفس القابلة لتجلي الصور العلمية بمنزلة المرآة القابلة لتجلي
الصور الحسية والمرآة اذا تكدرت بالرين والغشاوة والطبع لم تقبل شيئا
وكذا النفس اذا تلطخت بادناس الاخلاق الذميمة وارجاس الصفات البهيمية
والسبعية والشيطانية لم تقبل شيئا من العلوم الحقة فلا بد من تهذيبها وتطهيرها اولا
ثم لا تنويرها وتصويرها بالعلم ثانيا وايضا العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة
الباطن الى الله تع فكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر
عن الاحداث والاخباث فكذلك لا يصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد
طهارته عن خبايث الاخلاق وانجاس الصفات وقال تع انما المشركون نجس تنبيها
للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك
قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث

والنجاسة عبارة عما يجتنب ويتنفر منه وخبائث الباطن اهم بالاجتناب لانها مع خبثها
في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل
الملائكة ومهبط اثرهم والصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب
واخواتها كلاب نابحة وسباع ضارية فانى يدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب والسباع
ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملائكة لقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا الآية وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب
انما يتولاها الملائكة الموكلون بالعلوم وهم اجل قدرا واصفى جوهرا من الملائكة الموكلين
بالاعمال هم المقدسون المطهرون المنزهون عن المذمومات راسا فلا يلاحظون الا
طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزاين رحمة الله الا طاهرا فان قلت نحن نرى من الطلاب
من هو ردي الاخلاق وقد حصل العلوم قلنا هيهات ما ابعدك عن معرفة العلم الحقيقي
النافع في الآخرة والذي تظنه العلم ليس بعلم ولهذا ورد ان العلم نور يقذفه الله في
القلب وليس ذلك بكثرة الرواية وحفظ الاقوال ولا بقوة المباحثة والجدال ولو انك
عرفت مراتب العلم وعرفت علم الآخرة استبان لك ان اكثر من يعدون من العلماء
الفحول والبارعين في الفروع والاصول الذي اشتغلوا به وسموه علم الدين ليس
يغني عن الحق شيئا من حيث كونه علما وانما الفايدة والغناء فيه من حيث العمل اذا كان
القصد فيه التقرب الى الله والاخلاص له والحاصل ان هذه العلوم المشهورة عند
الجمهور من باب الاعمال لانها متعلقة بها وثوابها ثواب الاعمال واجرهم فيها لا يزيد
على اجر الاعمال لانها كالجزء منها واما العلم المحض المطلق الذي يترتب عليه نيل رتبة
العلماء من حيث كونهم علماء فذلك علم آخر غير متعلق بعمل ولا بكيفية عمل ولا حاجة فيه
الى نية التقرب زايدة عليه لانه نفس التقرب اليه تعالى الوظيفة الثانية
ان يقلل علايقه من شواغل الدنيا كالاهل والولد والوطن والمال والجاه وغيرها بل
يجب ان يكون المريد الطالب لبسيط المطلب احدي الهمة حتى لا يشغله شيء عن سلوك
ذلك لان الذي لا يشغله شان عن شان ويمكنه الجمع بين الحق والخلق ولا يلهيه
تجارة ولا بيع عن ذكر الله انما يمكن ذلك ان يحقق له بعد تحصيل الكمال وحصول الملكة
الراسخة في العلم لا قبله سيما في بداية السلوك واوايل الحال اللهم الا ان يكون
جوهر نفسه جوهرا قدسيا في غاية الانارة والصفاء يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار وهذا يقع على سبيل الشذوذ كنفس النبي صلى الله عليه وسلم والولي الكامل ع واما نفوس امثالنا
فكما قال تعالى وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فمهما توزعت افكارنا قصرت عن
ادراك الحقايق كما هي ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك والفكرة

الموزعة على امور متفرقة كجدول يتفرق ماؤه فينجذب الارض بعضه ويختطف الهواء
بعضه فلا يبلغ شيء منه الزرع الوظيفة الثالثة ان يلقي المتعلم المريد زمام امره بالكلية
الى المعلم المرشد ويذعن له في كل ما يعين له من العلم المناسب لرتبته وحاله حتى يجعل
نفسه بين يديه كالمريض الجاهل بين يدي الطبيب الحاذق يداويه بما يشاء من الدواء
بل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء فيذعن لما ينقله من علم الى علم الوظيفة
الرابعة ان يتواضع له في الظاهر ويخدمه كما يعتقده وينقاد له في الباطن فان الاعمال الظاهرة
موكدات للاحوال القلبية فيطلب الثواب بخدمته وطاعته وينيل الشرف الذي لم يلازمه قال
الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس رضي الله عنه
فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل
بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم
روي عنه صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم ومن تكبر على العلم بان يستنكف
من الاستفادة الا من المشهورين فهو من عين الحماقة فان العلم سبب النجاة من الهلاك
الدايم فما له كمن يطلب الهرب من سبع ضار يفترسه فيرشده رجل الى المهرب فلا يقبل
منه الارشاد لانه خامل غير مشهور فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة
لمن ساقها اليه كائنا من كان الوظيفة الخامسة ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم
المحمودة ونوعا من الانواع الا وينظر فيه نظرا يطلع على مقصده وغايته ويقف على جمع
معضلاته وجمل مسايله فان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالعلم الذي
هو الاهم فاستوفاه واكتفى من البقية بطرف واياه وانكار شيء من العلوم المتعارفة
فان ذلك منشؤه الجهل به كما قيل الناس اعداء ما جهلوا قال تعالى واذ لم يهتدوا به
فسيقولون هذا افك قديم قال الشاعر ⁂ ومن يك ذا فم مر مريض ⁂ يجد مرا به
الماء الزلالا ⁂ فالعلوم على درجاتها انوار متفاوتة بعضها فوق بعض فهي اما مقربة للعبد
الى الله او معينة له على سلوك طريق القرب نوعا من الاعانة ولكل منها رتبة وللتعبد
بحسبه اجر في الآخرة اذا قصد به وجه الله وذلك برعاية الترتيب في تحصيلها زمانا
وكمية وشرفا واهتماما حتى لا يصير بعضها حاجبا عن بعض سيما الادنى على الاعلى
الوظيفة السادسة ان يعرف المتعلم السبب الذي به ينال شرف العلم ويعلم
ان اي العلوم اشرف واجل وذلك قد خفي على اكثر الطلبة وغيرهم واعلم
ان ذلك يراد به ثلثة امور احدها شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل والثالث
نباهة الموضوع فاذا قيس بين علم وعلم فانما يحكم بشرف احدهما على الآخر بواحد
من الامور الثلثة او باكثر وربما كان احدهما اشرف من الآخر بوجه والآخر اشرف منه

بوجه آخر وذلك كعلم الشريعة وعلم الطب فان ثمرة احدهما سلامة العاجلة وثمرة الآخر
سلامة الدنيا فيكون علم الشريعة اشرف اذ لا تفاضل بينهما في وثاقة الدليل لكون الدليل
في كل منهما ظنيا ولا في فضيلة الموضوع لكون الموضوعين متقاربين لان موضوع احدهما
بدن الانسان وموضوع الآخر فعله ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان الحساب اشرف
لوثاقة ادلته واذا نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار الثمرة و
الحساب باعتبار الادلة وملاحظة الثمرة اولى ومثل علم الحيوان وعلم المعادن
فان الاول اشرف باعتبار الموضوع واذا نسب علم الحيوان الى الحساب كان الاول
اشرف باعتبار الموضوع والثاني اشرف باعتبار الادلة وبما ذكرنا تبين ان
اشرف العلوم العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه
العلوم وهو علم النفس اما من جهة الموضوع فلان موضوعه اجل وارفع من ذات الله تعالى
وبعده من جواهر الملائكة والقلم الاعلى واللوح المحفوظ والكتب المكرمة عن الدنس
والرسل المطهرة عن الآثام والوسواس واما من جهة الدليل فبراهين هذا العلم
يقينيات ضرورية دائمة غير مقيدة بزمان او وصف او شرط واما الثمرة فلان ثمرته
اشرف من السعادة الحقيقية الاخروية اعني لقاء الله تعالى ومجاورة المقدسين ومصاحبة
المقربين فاياك وان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه فكن حريصا على معرفة هذا
السر المكنون والكنز المخزون الخارج من بضاعة الفقهاء والمتكلمين ومن صناعة المتفلسفة
والطبيعيين وانما يستنبط من النظر في كتاب الله المبين واحاديث رسوله الامين
وكلمات اهل بيته الطاهرين سلام الله عليه وعليهم اجمعين وهو بحر لا يدرك
منتهى غوره واقصى درجة البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم
وحكى انه رويت صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد وفي يد احدهما رقعة
وفيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله وتعلم انه
مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل ان عرفت الله
اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب فهذه ست وظايف في وظايف
الطالب المتعلم خصصناها بالذكر لان لكل من المعلم والمتعلم وظايف وآدابا كثيرة
وانما اخترنا واوردنا ما هو اهم وادق واشرف وتركنا سائر الآداب الجزئية
والوظايف التفصيلية تعويلا على المذكور في كتب الاخلاق وغيرها كرسالة آداب المتعلمين
للمحقق الطوسي قدس سره واخرى لزين الملة والدين رحمه الله واعلم ان العلوم
بالقياس الى سلوك الآخرة وطلب المقصد الاعلى والثمرة العظمى على ثلث درجات
واقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة في السفر وذلك كعلم الفقه و

علم الطب وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا لان البدن مركب النفس في سفر الآخرة
وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو علم تطهير الباطن عن كدورات
الصفات وخبائث الملكات وقطع تلك العقبات الشامخة ودفع موذياتها عن الطالب
هو سلوك طريق السعادة ولا بد فيه من علم متكفل لمعرفة جهات هذا الطريق ومنازله
وهو علم تهذيب الاخلاق وعلم السياسات والعلم بهذه الامور التي هي الاعمال
القلبية غير نفس العمل والمباشرة ولكنه لا يتم العمل بدون العلم والقسم الثالث
يجري مجرى حضور اركان المنزل واعيان الموطن وبشارة بهما وهو العلم بالله و
صفاته وملائكته وافعاله الاولية وهذا العلم يقال له علم المكاشفة والقسمان الاولان
يقال لهما علم المعاملة واعلم ان النجاة غير والفوز بالسعادة غير فالنجاة والسلامة
حاصلة لكل سالك للطريق بنية صادقة واما الفوز بالسعادة فلا يناله الا العارفون
اولئك المقربون المنعمون فلهم روح وريحان وجنة نعيم واما السالكون الناجون
فهم اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما الواقفون عن السلوك نحو
المقصد فهم من اصحاب الشمال فنزل من حميم وتصلية جحيم **باب** فقد العلماء
وهو الباب السابع من كتاب العقل والعلم وفيه ستة احاديث **الحديث الاول** وهو الواحد
والسبعون عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن عثمن بن عيسى عن ابي ايوب الخزاز
بالخاء المعجمة والزاء قبل الالف والزاي بعده وقيل قبلها الياء اسمه ابرهيم بن عثمن وقيل
ابن عيسى في النجاشي من اصحاب الصادق وفي صه ثقة كبير المنزلة روى عن ابي عبد الله
وابي الحسن الكاظم عليهما السلم وفي كتاب ابن داود قال محمد بن مسعود عن علي بن الحسين
ابو ايوب الخزاز كوفي اسمه ابرهيم بن عيسى وقيل ابن عثمن ثم فيه ابرهيم بن عثمن الخزاز
المكنى بابي ايوب لم ست ثقة وعن الشهيد الثاني نوره ظاهر الحال ان بن عثمن هذا هو
ابن زياد والذي فيه قولان ابن عثمن وابن عيسى وهو الذي يقتضيه طبقته وكلام غيره
من علماء الفن انتهى قال الفاضل الاسترابادي بعد ما نقل كلام الشهيد فلا يخفى ان ما فيه
من علامة لم سهو اليه عن سليمن بن خالد بن دهقان بن نافلة مولى عفيف ابو الربيع
الاقطع خرج مع زيد فقطعت اصبعه لم يخرج من اصحاب ابي جعفر غيره ثقة صاحب
القرآن وقال البرقي سليمن بن خالد البجلي الاقطع كوفي كان خرج مع زيد بن علي فافلت
وفي كتاب سعد انه خرج مع زيد فافلت فمن الله عليه وتاب ورجع وكان فقيها
وجها روى عن الصادق والباقر عليهما السلم وكان الذي قطع يده يوسف بن عمر بنفسه
مات في حيوة ابي عبد الله ع وروي في معناه احاديث ذكرناها في كتابنا الكبير
صه وقال الشهيد الثاني رحمه الله سليمن بن خالد لم يوثقه النجاشي ولا الشيخ الطوسي ولكن

روى الكشي عن حمدويه انه سئل ايوب بن نوح عنه اثقة هو فقال كما يكون الثقة فاصل في ثقة
ايوب بن نوح وناهيك به انتهى وقال الكشي محمد بن الحسن وعثمن بن خالد قالا حدثنا محمد بن داود
عن محمد بن الحسن عن الحسن بن علي بن فضال عن مروان بن مسلم عن عمار الساباطي قال كان سليمن بن
خالد خرج مع زيد بن علي فقال له رجل ونحن وقوف في ناحية وزيد في ناحية ما تقول في زيد هو
خير ام جعفر قال سليمن قلت ليوم من جعفر خير من ايام الدنيا من زيد قال فحرك دابته واتى
زيدا وقص عليه القصة قال فمضيت نحوه فانتهيت الى زيد وهو يقول جعفر امامنا في الحلال والحرام
عن ابي عبد الله عليه السلم قال ما من احد يموت من المؤمنين احب الى ابليس من موت فقيه
الشرح معنى الفاظه واضح ودليله معلوم لانه اذا كانت زلة العالم زلة العالم كما سبق
فكان موته موت العالم فان حيوة العلم بحيوة من تقلده من العابدين الحديث الثاني وهو
الثاني والسبعون علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلم
قال اذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء الشرح الثلم الخلل في الحائط
وغيره والثلم من باب علم هو الثلم بين الثلم والثلمة من باب ضرب ثلما فانثلم وتثلم وقد يقال
ثلمه بالتشديد للتكثير وفي السيف ثلم وفي الاناء ثلم اذا انكسر من شفته شيء وفي الحديث
نهى عن الشرب من ثلمة القدح اي موضع الكسر قيل انما نهى عنه لانه لا يتماسك عليها فم الشارب
وربما انصب الماء على ثوبه وبدنه وقيل لان موضعها لا يناله التنظيف التام اذا غسل الاناء
وقد جاء في لفظ الحديث في بعض الرواية انه مقعد الشيطان ولعله اراد به عدم النظافة
واعلم ان قوله ثلم في الاسلام استعارة بالكناية لتشبيه الاسلام بحائط او بيت
والعالم بمنزلة ما يسد به من الخلل وهذا كما روي ان رسول الله صلعم مثل النبوة بالحائط
من اللبن وقد كمل الا موضع لبنة واحدة وكان صلعم تلك اللبنة فختمت به النبوة وههنا اشكال
وهو انه اذا مات فقيه يحتمل ان يوجد بدله فقيه واحد او اكثر افضل منه يسد به الخلل
الواقع في الاسلام ويمكن دفعه بان المراد باللام المؤمن الفقيه الجنس وقد ثبت ان
ارتفاع الطبيعة برفع جميع افرادها فلذا كم الموت لانه عدم الحديث الثالث وهو الثالث
والسبعون محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن محبوب عن علي بن ابي حمزة قال سمعت ابا الحسن
موسى بن جعفر عليه السلم يقول اذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الارض التي كان
يعبد الله عليها وابواب السماء التي كان يصعد فيها باعماله وثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها
شيء لان المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام كحصون سور المدينة لها الشرح اعلم
ان العالم الحقيقي هو الذي يستحضر عنده صور الاشياء وحقايقها والاشياء ضربان ضرب
منها ما صورة ذاته مخلوطة بالامور الغريبة والغواشي والعوارض التي اذا عرضت
لشيء تجعلها جزئية قابلة للتجزي والانقسام والعدم والفساد وضرب آخر ليس كذلك

بل صورة ذاته له لا لشيء آخر وحقيقة ذاته مجردة عن الملبوسات الحسية والغواشي المادية
فالقسم الاول كعالم الدنيا وكل ما فيها والقسم الثاني عالم الآخرة وعالم الملكوت
اذا تقرر هذا فنقول شان العالم الحكيم ان ينظر اولا في الموجودات التي في هذا العالم
ويعرف حقيقة كل نوع من الجمادات والنباتات واجسام الحيوانات ويفرق بين ذاتياتها
وعرضياتها ويجرد صورة ذاتها ولب حقيقتها عما يلابسها من القشورات والغواشي
الغريبة ثم ينظر في اسبابها وعللها وغاياتها ومنافعها فيعرف بها موجدها الحقيقي و
مسبب اسبابها فيتكمل ذاته بتلك المعارف والصور العقلية فيصير كانها اجزاء
ذاتها ثم ينتقل منها ويترقى بذهنه الى عالم الربوبية ويشاهدها هناك تلك الحقايق
الصافية عن الكدورات المطهرة عن الادناس والظلمات مسافرا من الخلق الى الحق
فاذا كان الامر كذلك فلكل موجود مما في عالم الارض وبقاعها رابطة معنوية وجذبة ذاتية
وانجذاب طبيعي الى ذات العالم لما علمت من كون هو الهيها وارواحها متصلة به اذ كل
ما في هذا العالم له حقيقة روحانية بها يسبح ربه ويحمده فاذا مات المؤمن العارف
اي صعد روحه الى العالم الاعلى بكت عليه الملائكة الارضية واهل البقاع الارضية لان
هوياتها الجزئية من جنس ما يصحبه من الهويات الروحانية وكذا ابواب السماء اي طبايعها
ونفوسها التي يصعد اليها اعمال بني آدم اي نتايج اعمالها وافعالها وغاية علو مبادي افكارها
التي لا يزيد على ذاتها وكمالات ذاتها واما قوله وثلم في الاسلام الى آخره فوجهه كما مرت
سابقا الاشارة اليه ان الاسلام عبارة عن مجموع اعتقادات عقلية وقواعد كلية
معلومة بالبراهين واهل الاسلام اما عارفون بهذه الاعتقادات عرفانا عقليا
او كشفيا او معتقدون تقليدا ورسما والاعتقاد التقليدي قابل للانحلال والزوال
بادنى شبهة فلو لم يكن في هذا العالم ذوات كاملة نورية حاملة لهذه الاصول الاسلامية
حافظة لها بالبراهين دافعة عنها شبه المنكرين واوهام المضلين لما بقيت قواعد الدين
وعقايد المسلمين مستمرة محفوظة مصونة الى يوم الدين بل تنثلم شيئا فشيئا الى
ان يندرس ويضمحل بالكلية نعوذ بالله من ذلك فقد شبه الاسلام بمدينة هي
مدينة السلام المحفوظة اهلها من جور الطغاة وعفاريت الجن ومردة الشياطين و
العلماء والفقهاء بمنزلة حصونها وحيطانها وكل مؤمن عارف بمنزلة حصة من حصن او جزء
من حايط فاذا مات ثلم ثلمة لا يسدها شيء آخر الا خلف مثله في المعرفة واليقين
الحديث الرابع وهو الرابع والسبعون وعنه عن احمد بن محمد عن ابن محبوب عن
سليمن بن خالد عن ابي عبد الله عليه السلم قال ما من احد يموت من المؤمنين احب الى
ابليس من موت فقيه الشرح معنى الفاظه واضح واما الوجه في سرور ابليس بموت

الغيبة وهو العالم بالمعارف الايمانية وكيفية السلوك على الصراط بالاعمال الصالحة الاعتدالية
فلان شانه وصنعه هذا هو شان الحبيس وصنعه لان شان العالم افادة العلم وتعليم الحق والارشاد
الى سبيل الهداية والحث على طاعة الله والتقرب اليه وشان الحبيس القاء الشك والوسوسة
في النفوس واراءة الباطل في صورة الحق واضلال الخلق وازاغتهم عن سبيل الصواب والحث
على المعاصي فاذا كان العالم ربانيا واقعا على طرف الضد وغاية الخلاف من الحبيس هو ابغض
كل شيء عنده والمتضادان متغالبان متفاسدان في التغالب فلاجرم كل منهما يحب فقد صاحبه
غاية المحبة لانه بمنزلة حب الذات وليس موت سائر المؤمنين بهذه المنزلة لان كلا منهم
ان كان من شانه استعداد هذه الدرجة فيكون كونه على طرف الضد من حال الحبيس امرا له
بالقوة لا بالفعل وما بالقوة انقص مما بالفعل فاحباب الحبيس موته اضعف وانقص من
احبابه موت ما هو ضد له بالفعل بالنسبة حال القوة والاستعداد الى حال الفعلية والحصول
وان لم يكن من شانه ذلك الاستعداد ايضا فالحال في ضعف السرور بموته اظهر والله اعلم

الحديث الخامس وهو الخامس والسبعون علي بن محمد عن سهل بن زياد عن علي بن اسباط
قال الشيخ في العدة له اصل وروايات روى عنه محمد بن الحسين بن ابي الخطاب وموسى
بن جعفر البغدادي قال النجاشي روى عنه محمد بن ايوب الدهقان واحمد بن هلال واحمد بن
يوسف بن حمزة بن زياد الجعفي عن عمه يعقوب بن سالم الاحمر الكوفي اخو اسباط بن سالم
ثقة من اصحاب ابي عبد الله ع عن داود بن فرقد مولى آل ابي السمال الاسدي النصري الكوفي
وفرقد يكنى ابا يزيد كوفي ثقة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم واخوته يزيد وعبد الرحمن
وعبد الحميد قال ابن فضال داود ثقة ثقة صح قال الشهيد الثاني ره في الحاشية كذا في كتاب
النجاشي بني السمال وفي كتاب الشيخ وابن داود آل ابي السمال واكثر نسخ الكتاب وفي جميع
النسخ لغيره من الكتب السمال باللام وفي بعض نسخ الكتاب بالكاف وفي كتاب الكشي محمد بن
مسعود قال حدثني عبد الله بن محمد قال حدثني الوشاء عن علي بن عقبة عن داود بن فرقد قال
قلت لابي عبد الله ع جعلت فداك كنت اصلي عند القبر واذا رجل خلفي وهو يقول اتريدون
ان تهدوا من اضل الله والله اركسهم بما كسبوا قال فالتفت اليه وقد تاول على هذه الاية
وما ادري من هو وانا اقول ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم
لمشركون فاذا هو هرون بن سعيد قال فضحك ابو عبد الله ع ثم قال اصبت الجواب
قبل الكلام باذن الله ثم قال جعلت فداك لا جرم والله ما تكلم بكلمة فقال ابو عبد الله
ما احد اجهل منهم ان في المرجئة فتيا وعلما وفي الخوارج فتيا وعلما وما احد اجهل منهم قال قال
ابو عبد الله عليه السلم ان ابي كان يقول ان الله تعالى لا يقبض العلم بعدما يهبطه ولكن يموت
العالم فيذهب بما يعلم فتليهم الجفاة فيضلون ويضلون ولا خير في شيء ليس له اصل **الشرح**

الجفاة

الجفاة جمع الجافي من الجفاء وهو الغلظة في العشرة والخرق في المعاملات وغيرها وترك الرفق واللين
والمراد من الجفاة ههنا اهل النفوس الغليظة والقلوب القاسية الذين ليس لهم استعداد
اكتساب العلوم والمعارف والحاصل ان ذهاب العلم من الدنيا ليس كذهاب صفات الاجسام
من الاجسام كالطعوم والروايح لان العلم اذا حصل في نفس العالم يصير صورة ذاته ونحو
وجوده وبه يصير ذاته ذاتا عقلية غير قابلة للموت والزوال وهذا معنى قوله ان الله
لا يقبض العلم بعدما يهبطه بل ذهاب العلم عن الدنيا انما يتحقق بموت العلماء وانقراضهم وان
يخلفهم ويتولاهم نفوس جافية غليظة يلوا امور الناس فهم لقصور جوهرهم وسوء طبعهم
يضلون عن طريق الحق ثم بادعائهم للفضل وادعائهم استتباعهم للناس يضلونهم واذ
لا يكون للمتبوع علم فكيف يحصل للتابع علم فبعدم العلم والعدل عن العالم ينتشر الجور والظلم
وهذا معنى قوله ع ولا خير في شيء ليس له اصل كالولاية بدون العلم والعدل ويحتمل ان
يكون المراد منه ان الخيرات كلها في هذا العالم تابعة للعلم اذ العلم اصل العبادات و
الاعمال الحسنة وهو الخير الكثير كما في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فاذا انتفى
العلم انتفى الخير مطلقا ولا خير في عبادة ليس معها علم كما ورد في الحديث **الحديث السادس**
وهو السادس والسبعون عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن محمد بن علي وعمن ذكره عن
جابر بن يزيد الجعفي ابو عبد الله تابعي اسند عنه روى عنهما ع وقيل ابو محمد الجعفي
عربي قديم لقي ابا جعفر وابا عبد الله عليهما السلم ومات في ايامه سنة ثمان وعشرين
ومائة وقال يحيى بن معين مات سنة اثنين وثلثين ومائة قال العلامة في الخلاصة روى فيه
الكشي مدحا عظيما وروى بعض الذم والطريقان ضعيفان ذكرناهما في الكتاب الكبير
وقال السيد علي بن احمد العقيقي العلوي روى ابي عن عمار بن ابان عن الحسين بن
ابي العلاء ان الصادق ع كان ترحم عليه وقال انه كان يصدق علينا وقال ابن عقدة
روى محمد بن احمد البرا الصايغ عن احمد بن الفضل عن حنان بن سدير عن زياد بن
ابي الحلال ان الصادق ع ترحم على جابر وقال انه كان يصدق علينا ولعن المغيرة
وقال انه كان يكذب علينا وقال ابن الغضايري جابر بن يزيد الجعفي الكوفي ثقة
ولكن جل من روى عنه ضعيف فممن اكثر عنه من الضعفاء عمرو بن شمر الجعفي ومفضل بن
صالح السكوني ومنخل بن جميل الاسدي واري الترك لما روى هؤلاء عنه والتوقف
في الباقي الا ما خرج شاهدا وقال النجاشي جابر بن يزيد الجعفي لقي ابا جعفر وابا عبد الله
عليهما السلم ومات في ايامه سنة ثمان وعشرين ومائة وروى عنه جماعة غمز فيهم و
ضعفوا منهم عمرو بن شمر ومفضل بن صالح ومنخل بن جميل ويوسف بن يعقوب وكان
في نفسه مختلطا وكان شيخنا ابو عبد الله محمد بن النعمان ينشدنا اشعارا كثيرة

في معناه تدل على الاختلاف ليس هذا موضع ذكره قال العلامه والاقوى عندي التوقف فيما
يرويه جوة عنه لشدة ضعفهم في انفسهم الموجب لرد رواياتهم وانما كان ينبغي التوقف فيما
يرويه الجابر بنفسه لاختلاف الناس في مدحه وذمه ان لم يرجح الجارح على كل حال فلا وجه
لادراجه في هذا القسم انتهى واقول وايضا لا منافاة بين ما قال الشيخ ابن الغضايري ومن نقل
راه وقواه العلامه ره فان الذي قاله ابن الغضايري في حق الجابر وراه التركي لما روى
جوة عنه والتوقف في الباقي التوقف فيما رواه جوة عنه فاراد لفظة كلمة في كلامه ليس كما
حبثني عن ابا جعفر عليه السلم قال كان علي بن الحسين عليه السلم يقول انه يسخي نفسي في سرعة
الموت والقتل فينا قول الله عز وجل الم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها
وهو ذهاب العلما الشرح السخا والسخى ذو الجود والطرف الناحية من النواحي
والطائفة من الشيء وفلان كريم الطرفين يراد به نسب ابويه واطراف الشخص ابواه واخوته
واعمامه وكل قريب له محرم ولا يدري اي طرفيه اي ذكره ولسانه ولا يملك طرفيه اي
فمه واسته اذا سكر والاطراف الاشراف وقوله عم يسخي نفسي من باب التفعيل ونفسي
مفعوله وفاعله قول الله اي مفاد هذه الاية يجعل نفسي سخية في باب سرعة الموت او
القتل فينا اهل البيت يعني تجود نفسي بهذه الحيوة اشتياقا الى لقا الله تعالى ويرغب في
سرعة وقوع الموت او الشهادة الواقعة فينا لان المراد من نقصان الارض من اطرافها
وهي نهايتها ذهاب العلما واعلم ان الذي ذكره المفسرون في هذه الاية وجهان فعن
ابن عباس في تفسير هذه الاية ان المراد من قوله انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها
موت اشرافها وكبرائها وعلمائها وذهاب الصلحاء والاخيار وقال الواحدي وهذا القول
وان احتمله اللفظ الا ان اللائق بهذا الموضع هو المراد انا نأتي الارض الكفرة وننقصها
من اطرافها لان المسلمين يستولون على اطراف مكة فيأخذونها من الكفرة قهرا وجبرا و
ذلك لانه تعالى لما وعد رسوله صلعم بان يريه بعض ما وعده او يتوفيه قبل ذلك بين
في هذه الاية ان آثار تلك المواعيد قد ظهرت وعلاماتها قويت وهو قوله انا نأتي
الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب فانتقاص احوال
الكفرة وازدياد قوة المسلمين من اقوى العلامات والامارات على ان الله منجز ما وعده
ونظيره قوله تعالى اولا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقال
الفخر الرازي في الكبير ويمكن ان يكون ذلك الوجه ايضا لايق بهذا الموضع وتقريره ان
يقال اولم يروا ما يحدث في الدنيا من الاختلافات خراب بعد عمارة وموت بعد
حيوة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت التغيرات محسوسة مشاهدة فما الذي
يؤمنهم ان يقلب الله الحال على هولاء الكفرة بان يجعلهم ذليلين بعدان كانوا عزيزين و

مقهورين

مقهورين بعدان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه فانه يحسن اتصال هذا الكلام بما قبله وقيل ننقصها
من اطرافها بموت اهلها وتخريب ديارهم وبلادهم فهؤلاء الكفرة كيف آمنوا من ان يحدث
امثال هذه الوقايع بهم هذا غاية ما ينتهي اليه افكارهم وآراؤهم فان قلت فما تاويل هذه الاية
ومعنى اتيانه تعالى الارض وما الوجه في كونها سببا لان يصير العالم الرباني سخيا بجوده بنفسه
في طلب سرعة الموت او القتل قلت للاية تاويلان احدهما بحسب الآفاق والثاني بحسب
الانفس فالاول ان الكفرة لما كانوا منكري المعاد ومعتقدين ان الدنيا باقية فاشار تعالى
الى انهم لو نظروا وتاملوا في احوال الارض وتقلباتها واستحالاتها لرأوا انها تتلطف و
يتصفى فيصير نباتا ثم حيوانا ثم انسانا فتبدل صورة بصورة فكانت صورة كثيفة ارضية
فتدرجت في اللطافة فصارت طبيعة حافظة للتركيب والكيفية الاعتدالية ثم نفسا فاعلة
للجذب والتغذية والنمو والتوليد ثم نفسا ذات حس وارادة ثم صارت ذا روحانية
ذات توهم وتفكر وروية فاشتدت لطافة وروحانية الى ان خرجت من هذه النشأة
الى نشأة اخرى فنقصت ارضيتها من جهة اطرافها وانضافت الى عالم الروحانية والمراد من
اطرافها هو اواخر مراتبها اللطيفة التي بعدت عن غاية الكثافة والارضية وقربت من غاية التصفي
والتزيد الى عالم الآخرة وذلك كله باتيان القوى الفعالة باذن الله المتصرفة في المواد
الارضية المحركة لها الى غاياتها الكمالية وتلك القوى الملكوتية الجاذبة والسائقة متفاوتة
المراتب حسب مراتب الانواع الارضية فان في النبات قوة تجذب المواد العنصرية
وتلطفها وتصفيها عن بعض الكدورات وتجعلها صاعدة الى درجة الصورة النباتية و
في غاية الحيوان قوة اخرى اعلى منها درجة شانها تصفية الصور الطبيعية الواقعة في الاوضاع
والامكنة والجهات وتجريدها عن هذه الاغشية والقبوسات الى ان تجعلها صورة محسوسة
حيوانية مجردة عن المادة والجهة والمكان لكن بشرط حضور المادة الخارجية وفي خواص
الحيوان قوة اخرى اعلى وارفع من الاولى تجرد الصورة الحسية تجريدا اتم وتصفيها تصفية
اكثر عن المادة ومن النسبة اليها الا نسبة وضعية فيسوقها من درجة الحس الى درجة
التمثيل والصور المثالية ولخواص البشر قوة الهية تجرد صوره الادراكية من الغشاوات
الجزئية والخيالية وتجعلها كلية عقلية وتنقلها من حد التخيل الى حد التعقل باشراق نور العقل
عليها وتجعل ذاته النفسانية بنور العلم ذاتا عقلية من الله حيدا ولا الله حيثما
وهذا على ضرب الحيوة بعد الموت عن النشأة السابقة وهو معنى قوله تعالى أفمن كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا واذا علمت هذا فنقول النفوس ثلثة اقسام النباتية والحيوانية
والانسانية ولكل منها جاذب الى جهة الفوق باعمال يناسبه ومدرك محيط لا محالة بادراكات
يناسبه قال تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد اشارة الى قوتيه الادراكية والتحريكية

او العلمية والعملية فكما ان هذه النفوس متفاوتة المراتب فكذا الملائكة الموكلة عليها المباشرة
لاخذها باذن الله السابقة اياها والشاهدة عليها متفاوتة الدرجات وهو القاهر فوق
عباده فقوله انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي نأتي بلا تمكننا عالم الارض ونأخذ كملاءها
وافرادها وصورها الشريفة على التدريج الى ان يستوفيها فيبقى ناقصة مظلمة لا خير فيها فيقوم
الساعة واليه الاشارة في قوله صلى الله عليه وآله لا يقوم الساعة وفي وجه الارض من يقول الله الله
الثاني بحسب الانفس الانسانية وهو ان الانسان بكماله العقلي نشأة جامعة مشتملة
على جملة ما في الكون منفصلا فله في ذاته درجات كالية يرتقي من بعضها الى بعض طبعا وارادة
فكان اولا في الرحم كجوهر نباتي يجذب الغذاء وينمو في المقدار نماء ثم صار حيوانا ذا حس
وحركة وشهوة وغضب ثم اشتغل الى درجة الحيوانية واول درجة الانسانية وهو استعداد
العقل والعلم بسبب النطق والفكر والروية وفيه يشترك جميع افراد البشر فان ساعدته
العناية الالهية والجذبة الربانية التي توازي عمل الثقلين واستكمل بنور العلم والعرفان
تصير ذاته ذاتا اخرى عقلية بعد ما كانت عقلية بلا واسطة امر متوسط بينه تعالى وبين
عبده من ملك او معلم بشري فقوله تعالى انا نأتي الارض اي ارض النفس القابلة لما ينزل اليها
من سماء العقل من الصور والهيئات المشرقة بنور ربها ننقصها من اطرافها اي يزيل عنها
جهة النفسية والتغير والانفعال فيجعلها عقلا صرفا وجوهرا قدسيا محضا واصلا الى جوار
رحمة الله ناجيا من عذاب الطبيعة ونار الفرقة فاذا تقررت لك هذه المعاني فنقول
لما دلت الآية على ان الله تعالى هو المتوسط المباشر لتوفية نفوس العلماء الكاملين وقبض
ارواحهم اليه تعالى ولا شك ان الائمة المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين بحسب ذواتهم
الشريفة المقدسة النورانية من اعاظم العلماء الراسخين وساداتهم واشرافهم ففي
رغبتهم في لقاء الله وشوقهم لا طول الاجل وورود الموت والقتل سريعا وزهوق
روحه الشريف من الدنيا وخلعه لباس البدن وعطاء النفس اليه فيجود ويسخو بنفسه
وروحه بروحه حتى يلحق الى لقاء الله وشهود جماله وجلاله وذلك هو الفوز الكبير

باب مجالسة العلماء وصحبتهم

وهو الباب التاسع من كتاب العقل والعلم وفيه خمسة احاديث

الحديث الاول وهو السابع والسبعون علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس رفعه
قال قال لقمن لابنه يا بني اختر المجالس على عينك فان رأيت قوما يذكرون الله
فاجلس معهم فان تكن عالما نفعك علمك وان تكن جاهلا علموك ولعل الله ان يظلهم
برحمة فيعمك معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فان تكن عالما
لم ينفعك علمك وان كنت جاهلا يزيدوك جهلا ولعل الله ان يظلهم بعقوبة فيعمك
معهم **الشرح** قوله اختر المجالس اي اطلب خيارها واجتنب عن ما لا يكون لك

قوله

قوله على عينك اي بعينك او في عينك كما يقال كان ذلك على عهد فلان اي في عهده وقوله ان
يظلهم برحمة اي يلقي عليهم ظل رحمته وستر ذنوبهم بغفرانه يقال اظلك كذا اي سترك والقى
ظله عليك ويقال ايضا اظل عليه قوله فان رأيت قوما يذكرون الله اي قوما يكونون من
اهل الذكر يعني من اهل العلم كما في قوله فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون او قوما يتذاكرون
بالفعل ويذكرون محامد الله والمعارف الالهية قوله فان تكن عالما نفعك علمك وذلك
باحد وجهين اما بان يتذاكر معهم فيحصل له التمرن في علمه والقوة في حفظه والرسوخ في ملكته
واما بان يعلمهم ويفيدهم ما عنده لنفسه ويثبت الفاظ الحديث ومعانيها واضحة **الحديث الثاني**
وهو الثامن والسبعون علي بن ابراهيم عن ابيه ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى جميعا عن ابن
محبوب عن درست بن ابي منصور عن ابراهيم بن عبد الحميد عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام
قال محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي **الشرح** الزبل السرجين
وموضعه مزبلة والزرابي النمارق والنمرقة وسادة صغيرة وربما سموا الطنفسة التي فوق
الرحل نمرقة ومعنى الحديث واضح **الحديث الثالث** وهو التاسع والسبعون عدة من اصحابنا
عن احمد بن محمد البرقي عن شريف بن سابق بالباء المنقطة تحتها نقطة قبل القاف التفليسي
ابو محمد روى عن الفضل بن ابي قرة السمندي عن ابي عبد الله وهو ضعيف مضطرب الامر
صه وفي الفهرست روى عنه البرقي احمد عن ابيه ايضا والنجاشي اصله كوفي انتقل
الى تفليس صاحب الفضل بن ابي قرة عن الفضل بن ابي قرة التفليسي من اصحاب الصادق عليه السلام
التميمي السمندي بلده من بلاد آذربيجان انتقل الى ارمينية ضعيف لم يكن بذاك صه
قال النجاشي له كتاب روى عنه شريف بن سابق عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله قالت الحواريون لعيسى يا روح الله من نجالس قال من
يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله **الشرح** الحواريون
اصحاب عيسى عليه السلام قيل لانهم كانوا قصارين والتحوير التبييض والحور اي بيض ويقال
الحواري الناصر وقيل للنساء الحواريات لبياضهن والحور كوكب وهو المشتري
والحور شدة بياض العين في شدة سوادها وامرأة حوراء بينة الحور وقال ابو عمرو
الحور ان تسود العين كلها مثل اعين الظباء والبقر وقال ليس في بني آدم حور وانما
قيل للنساء حور العين لانهن شبهن بالظباء والبقر والغرض من هذا الحديث الحث
والترغيب في مجالسة العلماء ومصاحبتهم لان الصفات الثلث المذكورة لا يوجد الا في
العالم اما كون رؤيته تذكر الله تعالى فلان سيماه وخضوعه وخشوعه يدل على خوفه من الله
وخشيته له تعالى واما كون منطقه موجبا لزيادة العلم للجالس عنده فلانه لا ينطق ولا يتكلم
حشوا من الكلام وقل ما ينطق الا بذكر الله واحوال صفاته وافعاله وذكر الآخرة واحوالها

واما كون علمه مرغبا للآخرة فان علمه داع الى القناعة والزهد في الدنيا والانقطاع عن شهواتها والبغض فان غير العالم لا يعلم شرف الآخرة ودوامها وخسة الدنيا ودثورها

الحديث الرابع وهو الثمانون محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن ابن ابي عمير عن منصور بن حازم بالحاء المهملة بعد الالف ابو ايوب البجلي كوفي ثقة عين صدوق من جلة اصحابنا وفقهائهم روى عن الصادق والكاظم عليهما السلام وفي الكشي عن جعفر بن محمد بن ايوب عن صفوان عن منصور بن حازم ما يشهد بحسن عقيدته واستقامة طريقته وانه عرض ذلك على الصادق عليه السلام وانه عليه السلام قال له رحمك الله وضحك وقال له سلني عما شئت فلا انكرك بعد اليوم عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله مجالسة اهل الدين شرف الدنيا والآخرة

الشرح الدين في اللغة العادة والشأن ودانه اي اذله واستعبده يقال دنته فدان ودانه دينا بالكسر اي جازاه يقال كما تدين تدان اي كما تجازي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت وقوله انا لمدينون اي مجزيون ومنه الديان في صفات الله تعالى ويوم الدين يوم الجزاء والدين في العرف هو مذهب الاسلام وطريق الحق والمراد باهل الدين هم العلماء العارفون باركانه واصوله وقواعده وفروعها

الحديث الخامس وهو الواحد والثمانون علي بن ابراهيم عن ابيه عن القسم بن محمد الاصبهاني عن سليمن بن داود المنقري عن سفيان بن عيينة بالعين المهملة المضمومة والياء المنقطة تحتها نقطتين ثم الياء المنقطة تحتها نقطتين والنون بعدهما ليس من اصحابنا ولا من عدادنا صه النجاشي بن عيينة ابن ابي عمران الهلالي مولاهم ابو محمد الكوفي اقام بمكة كان جده ابو عمران عاملا من عمال خالد القسري له نسخة عن جعفر بن محمد عليهما السلام روى عنه محمد بن ابي عبد الرحمن الكشي حمدويه عن نصير عن محمد بن عيسى عن علي بن اسباط قال قال سفين بن عيينة لابي عبد الله عليه السلام انه يروى ان علي بن ابي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن من الثياب وانت تلبس القوهي المروي قال ويحك ان عليا عليه السلام كان في زمان ضيق فاذا اتسع الزمان فابرار الزمان اولى به عن مسعر بن كدام غير مذكور في كتب الرجال التي رأيناه قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول لمجلس اجلسه الى من اثق به اوثق في نفسي من عمل سنة

الشرح يعني اي لمجلس من المجالس اجلس فيه عند من اعتمد عليه في علمه وحاله اوثق في نفسي في اكتساب الخير والثواب وحسن العاقبة من عبادة سنة فيها نفي ذلك والله اعلم

باب سؤال العالم وتذاكره وهو الباب العاشر من كتاب العقل والعلم في الحث على السؤال عن الاشياء المجهولة والتعلم من العالم بها والمذاكرة معه وفيه عشرة احاديث

الحديث الاول وهو الثاني والثمانون علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن بعض اصحابه عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن مجدور اصابته جنابة فغسلوه

فمات

فمات قال قتلوه الا سألوا فان دواء العي السؤال

الشرح المجدري بفتحتين وبضم الجيم داء معروف وقد جدر فهو مجدّر والمجدور ما به الجدري والجدر بفتح الجيم نبت واجدر المكان وارض مجدرة ذات جدري والا مشددة كهلا حرف تحضيض فمعناها اذا دخلت على الماضي التوبيخ واللوم على ترك الفعل كما في هذه العبارة واذا دخلت على المضارع الحض على الفعل والطلب له فهي في المضارع بمعنى الامر ولا يكون التحضيض في الماضي الذي قد فات الا انه يستعمل في لوم المخاطب على انه ترك في الماضي شيئا يمكن ان يتداركه في المستقبل فكانها من حيث المعنى للتحضيض على فعل مثل ما فات والعي خلاف البيان وقد عي في منطقه وعيي ايضا فهو عيي على فعيل وعي على فعل وعي بامره وعيي اذا لم يهتد لوجهه والمراد ههنا الجهل وهو مرض يحتاج فيه الى الدواء والعلاج قوله سألته عن مجدور اصابته جنابة فغسلوه الغرض من هذا السؤال استعلام حكم المسألة في هذا المقام وحكم من غسل المجدور عند ما اصابته جنابة وادى غسله الى الموت فقال عليه السلام ان الذين غسلوه قتلوه قتل الخطأ لان حكم المريض اذا اجنب ولم يقدر على الغسل او انه يتضرر به هو التيمم فمن غسله او اعان عليه فهو ضامن ثم وبخهم على ترك السؤال اذ لو سألوا اولا عن كيفية الامر في هذا المقام وبين لهم الحكم في الجواب لما وقعوا فيما وقعوا من هلاك انفسهم في الآخرة بهلاك غيرهم في الدنيا اللهم الا ان يتوبوا ولم يكن منشأ ذلك الا الجهل فاشار عليه السلام بقوله فان دواء العي السؤال الى ان الجهل داء عظيم ومرض في القلب الذي من شأنه ان يبقى بعد البدن في النشأة الآخرة لكونه لطيفة روحانية واذا لم يتداوى هذا المرض القلبي يهلك هلاكا اخرويا دائما كما قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ودواء هذا الداء العظيم والمرض المهلك السؤال فان كثيرا من المجهولات يعلم بالسؤال والتعلم من الخلق وما لا يستعلم من جهة الخلق من العلوم الالهية والاسرار فيحتاج فيها الى التضرع والابتهال الى الله والسؤال منه بلسان المقال على طبق لسان الحال

الحديث الثالث وهو الثالث والثمانون محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن حماد ابن عيسى عن حريز بالراء قبل الياء المنقطة تحتها نقطتين والزاي اخيرا بن عبد الله السجستاني ابو محمد الازدي من اهل الكوفة كثير السفر والتجارة الى سجستان فعرف بها وكانت تجارته في السمن والزيت قيل روى عن ابي عبد الله عليه السلام وقال يونس لم يسمع من ابي عبد الله عليه السلام الا حديثين وقيل روى عن ابي الحسن موسى عليه السلام قال النجاشي ولم يثبت ذلك قال الشيخ الطوسي ره ثقة وقال النجاشي كان حريز ممن شهر السيف في قتال الخوارج بسجستان في حيوة ابي عبد الله عليه السلام وروي انه جفاه وحجبه عنه وهذا القول من النجاشي لا يوجب الطعن لعدم العلم بتعديل الراوي للجفاء وروي ان ابا عبد الله عليه السلام

جبه عنه وفي طريقه رحمه محمد بن عيسى وفيه قول مع ان الجب لا يستلزم الجرح لعدم العلم بالتسر فيه صه
وقيل يحتمل ان يكون المراد بالجب في الرواية السابقة مجرد الجب ويكون عطف جبه على جفاه عطف
تفسير قال الكشي حمدويه ومحمد عن محمد بن عيسى عن صفوان عن عبد الرحمن بن الحجاج قال سأل المفضل
البقباق لحريز الاذن على ابي عبد الله ع فلم يأذن فعاوده فلم يأذن فقال اي شيء للرجل ان
يبلغ في عقوبة غلامه قال على قدر جريرته فقال قد عاقبت والله حريزا باعظم مما صنع قال
ويحك انا فعلت ذلك ان حريزا جرد السيف ثم قال اما لو كان حذيفة بن منصور ما
عاوده فيه بعد ان قلت لا انتهى وقيل بعد ما ذكرنا قال العلامة ره انه وان كان في
محمد بن عيسى قول لكنه قوي مقبول روايته مع ان الرواية صريحة في الجرح فيه عن زراره
ابن اعين بن سنسن بضم السين المهملة واسكان النون وبعدها سين مهملة شيخ اصحابنا
في زمانه ومتقدمهم وكان قاريا فقيها متكلما شاعرا اديبا قد اجتمعت فيه خلال الفضل
والدين ثقة صادق فيما يرويه وقد ذكر الكشي احاديث تدل على عدالته وعارضت
تلك الاحاديث اخبار اخر تدل على القدح فيه قد ذكرناها في كتابنا الكبير وذكرنا وجه
الخلاص عنها والرجل عندي مقبول الرواية مات رحمه الله سنة خمسين ومائة صه
قال الشهيد الثاني في الحاشية حاصل ما ذكره الكشي في حق زراره احاديث تزيد على
العشرين يقتضي ذمه وكلها ضعيفة السند جدا وفي اكثرها محمد بن عيسى العبيدي الا حديثا
واحدا طريقه صحيح الا انه مرسل لان راويه محمد بن قولويه عن محمد بن ابي القسم ابن ماجيلويه
عن زياد بن ابي الحلال عن الصادق ع وظاهر ان زيادا الذي هو من رجال الباقر والصادق
عليهما السلم لم يبق الى زمن ابن ماجيلويه المعاصر لابن بابويه ومن في طبقته وتلك الاخبار
الواردة بمدحه خالية عن المعارض المعتبر ومنها خبر صحيح السند يدل على ثقته وجلالته
وقد تقدم متنه وسنده في باب الي هذا ما يتعلق بكتاب الكشي الذي اشار اليه المصـ
ووقفت في الكافي للكليني على اربعة اخبار اخر يقتضي القدح فيه اثنان منها في كتاب
الايمان وفي طريقهما محمد بن عيسى عن يونس والاخران في كتاب الميراث وطريقهما كذلك
ايضا ولكن احدهما بطريق آخر حسن ولكنه مرجوح عند معارضة الصحيح الذي ورد في
مدحه وبالجملة فقد ظهر اشتراك جميع الاقوال القادحة في اسنادها الى محمد بن عيسى
وهو قرينة عظيمة على الميل والانحراف منه على زراره مضافا الى ضعفه في نفسه وقال
السيد جمال الدين بن طاوس ونعم ما قال ولقد اكثر محمد بن عيسى من القول في زراره
حتى لو كان بمقام عدالة كادت الظنون تسرع اليه بالتهمة فكيف وهو مقدوح انتهى
كلام المحشي ره وقال الكشي اجمعت العصابة على تصديقه والانقياد بالفقه في ستة
هم افقه الاولين من اصحاب ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم قالوا وافقه الستة

زرارة وذكر احاديث كثيرة تدل على علو رتبته وعظم منزلته وجلالة قدره بعضها في المقام
عن ايرادها وقد تقدم منها خبر بريدة وعارض ذلك باخبار تدل على القدح فيه وكفى جوابا عنها
وعذرا فيها ما روي في الصحيح ان ابا عبد الله ع ارسل اليه انما اعيبك دفاعا مني عنك
فان الناس والعدو يسارعون الى كل من قربناه وحمدنا مكانه لادخال الاذى فيمن نحبه
ونقربه ويذمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه منا ويرون ادخال الاذى عليه وقتله ويحمدون
كل من عبناه فانما اعيبك لانك رجل اشتهرت بنا وبميلك الينا وانت في ذلك
مذموم عند الناس فيكون ذلك دافع شرهم عنك يقول الله عز وجل واما السفينة فكانت
لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا
هذا التنزيل من عند الله صالحة هو لا ما عابها الا لكي تسلم من الملك فافهم المثل يرحمك الله
فانك احب الناس الي واحب اصحاب ابي حيا وميتا فانك افضل ذلك البحر القمقام
وان من ورائك ملكا ظلوما غصوبا يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليغصبها
واهلها فرحمة الله عليك حيا ورحمته ورضوانه عليك ميتا هذا مع اسنادها مقدوح
وبلوايح الكذب اكثرها مشحونة ومحمد بن مسلم بن رباح ابو جعفر الاوقص الطحان مولى
ثقيف الاعور وجه اصحابنا بالكوفة فقيه ورع صاحب ابا جعفر وابا عبد الله عليهما السلم
وروى عنهما وكان من اوثق الناس وقد مضى شرح حاله وبريد العجلي بضم الباء وفتح
الرا ابن معوية ابو القسم عربي روى انه من حواري الباقر والصادق عليهما السلم
وروى عنهما ومات في حيوة ابي عبد الله ع وهو وجه من وجوه اصحابنا ثقة فقيه له محل
عند الائمة عليهم السلم قال الكشي انه ممن اجمعت العصابة على تصديقه وممن اقر له
بالفقه وروى في حديث صحيح عن جميل بن دراج قال سمعت ابا عبد الله ع يقول بشر
المخبتين بالجنة بريد بن معوية العجلي وذكر آخرين ومات في سنة مائة وخمسين صه
الحديث بهذا بشر المخبتين بالجنة بريد بن معوية العجلي وابو بصير ليث بن البختري المرادي
ومحمد بن مسلم وزرارة اربعة نجباء امناء الله على حلاله وحرامه لولا هؤلاء انقطعت آثار
النبوة واندرست قالوا قال ابو عبد الله لحمران بن اعين في شيء سأله انما يهلك
الناس لانهم لا يسألون **الشرح** قد مر في الحديث السابق ان الجهل داء يهلك
ودواءه السؤال ولكن الجاهل اذا لم يشعر بجهله وظن بنفسه انه عالم يستنكف عن السؤال
فبقي على جهله ابدا فيهلك هلاكا سرمدا ولهذا قالت الحكماء ان صاحب الجهل المركب المشفوع
بالعناد معذب ابدي ووجه ذلك ان حيوة النشأة الآخرة انما يكون بالعلم والمعرفة
فصاحب الجهل المركب وهو من يعلم شيئا او اشياء على غير ما هي عليه فعلمه مركب مع الجهل
فحيوته الاخروية ممتزج بالموت كما قال لا يموت فيها ولا يحيى فله غاية الاذى والالم اذ

كل الم وعذاب انما هو بادراك فقد ما يلايم اوضد ما له من الحالة الملايمة كتفرق الاتصال العضو
او حصول حرارة محرقة فيه او برودة شديدة فيه ونحوها وهذه الاعدام والاضداد الموجبة
للالام الشديدة ههنا انما وقعت في امور خارجة عن ذات المدرك كالاعضاء ونحوها ولكن
يصل اثرها الى النفس للعلاقة التي لها للنفس فما ظنك بادراك العدم الحاصل في نفس
المدرك وذاته وما هو اشد واعظم من الم وعذاب يكون بادراك هلاك النفس وفقد
الذات وموت الهوية وذلك هو الخسران المبين نعوذ بالله من ذلك الحديث الثالث
وهو الرابع والثمانون علي بن محمد عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الاشعري عن عبد الله بن ميمون
القداح عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان هذا العلم عليه قفل ومفتاحه السؤال الشرح
اشار عليه السلام بقوله هذا العلم مشيرا الى ان العلم الذي هو مقفل مغلق هو ما يوجد عندهم عليهم السلم
وعند من ينهج على مناهجهم ويسلك سبيلهم ومفتاحه السؤال منهم او ممن اخذ منهم لا العلم
الذي اكب عليه الاكثرون من علماء العامة ومن يجري مجراهم من المتصوفين واهل الكتاب
فانه يمكن اخذه من الكتب والصحايف فالعلوم الحقيقية انما نزل من عند الله او من عند
من نزل عليه من عنده تعالى ومفتاحه السؤال اما بلسان الحال او بلسان المقال ويمنع من
من الاستبهال الحديث الرابع وهو الخامس والثمانون علي بن ابرهيم عن ابيه
عن النوفلي عن السكوني عن ابي عبد الله عليه السلم مثله الحديث الخامس وهو السادس
والثمانون علي بن ابرهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن عن ابي جعفر الاحول
محمد بن علي بن النعمن الملقب بمؤمن الطاق هو من الجلة من اصحاب الكاظم عليه السلم وكان
يلقب بالاحول والمخالفون يلقبونه بشيطان الطاق كان دكانه في طاق المحامل
بالكوفة يرجع اليه في النقد فيخرج كما ينقد فيقال شيطان الطاق وكان كثير العلم حسن
الخاطر وفي الكشي حمدويه بن نصير قال حدثنا محمد بن الحسين بن ابي الخطاب عن
النضر بن شعيب عن ابان بن عثمن عن عمر بن يزيد عن ابي عبد الله عليه السلم قال زرارة وبريد
ابن معوية ومحمد بن مسلم والاحول احب الناس الي احياء وامواتا ولكنهم يجيئوني
فيقولون لي فلا اجد بدا من ان اقول علي بن محمد بن الحسن قال حدثني محمد بن احمد عن
يعقوب بن يزيد عن ابن ابي عمير عن ابي العباس البقباق عن ابي عبد الله عليه السلم
انه قال اربعة احب الناس الي احياء وامواتا بريد العجلي وزرارة ومحمد بن مسلم
والاحول حمدويه قال حدثنا محمد بن عيسى عن ابي محمد القسم بن عروة عن ابي العباس
قال ابو عبد الله عليه السلم زرارة بن اعين ومحمد بن مسلم وبريد بن معوية والاحول احب
الناس الي احياء وامواتا ولكن الناس يكثرون فيهم فلا اجد بدا من متابعتهم قال
فلما كان من قابل قال انت الذي تروي علي ما تروي في زرارة وبريد ومحمد بن مسلم

والاحول

والاحول قال قلت نعم فكذبت عليك قال انما ذلك اذا كانوا صالحين قلت هم صالحون
حدثني حمدويه عن يعقوب بن يزيد عن القسم بن عروة عن ابي العباس الفضل بن عبد الملك
قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول احب الناس الي احياء وامواتا اربعة بريد بن معوية
العجلي وزرارة ومحمد بن مسلم والاحول وهم احب الناس الي احياء وامواتا وروايات
اخر تدل على حسن خاطره وجودة ذهنه وقوة مناظرته وروي في ذمه عن محمد بن مسعود
عن علي بن محمد القمي قال حدثني احمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن فضل بن عثمن عن ابي عبد الله
انه اشار بعد ان جرى حديث كون صاحب الطاق جدلا الى انه ان قال له احد اخبرني
عن كلامك هذا من كلام امامك فان قال نعم كذب علينا وان قال لا قال له كيف تتكلم
بكلام لا يتكلم به امامك ثم قال انهم يتكلمون بكلام ان انا اقررت به ورضيت اقمت على
الضلالة وان برئت منهم شق علي نحن قليل وعدونا كثير قلت جعلت فداك فابلغه
عنك ذلك قال اما انهم قد دخلوا في امر ما يمنعهم من الرجوع عنه الا الحمية قال فابلغت
ذلك ابا جعفر الاحول فقال صدق بابي وامي ما يمنعني من الرجوع الا الحمية وعنه قال
حدثنا محمد بن احمد عن محمد بن عيسى عن مروك بن عبيد عن احمد بن النضر عن المفضل بن عمر
قال قال لي ابو عبد الله عليه السلم ائت الاحول فمره لا يتكلم فاتيته في منزله فاشرف علي فقلت
له يقول لك ابو عبد الله عليه السلم لا تتكلم قال اخاف ان لا اصبر واجيب ان في سنده الاول
علي بن محمد القمي ويحتمل كونه ابن محمد بن يزيد كما في روايات اخر وهو غير معلوم الحال
ولا مذكور في كتب الرجال قال احمد بن طاوس ظاهر كلام الصادق عليه السلم راجع الى ايثار
التقية في ايثار ترك اصحابه للخوض في الكلام واما قوله ما يمنعهم من الرجوع عنه
الا الحمية ففيه اشارة الى ان الكلام المشار اليه لم يقارنه نية الاخلاص وفي
سند الثاني محمد بن عيسى والمفضل وفيهما قول وبعد فمن الذي يامن ان يخطي
مع ما في روايات المدح ما يصير عذرا عن مثل ذلك فتنبه عن ابي عبد الله عليه السلم
قال لا يسع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا امامهم ويسعهم ان ياخذوا
بما يقول وان كانت تقية الشرح اي لا يسع الناس ولا يجوز لهم ان يقفوا
على الجهل بالمعارف الدينية والمسائل العملية الفرعية بل يجب عليهم الطلب والسؤال
والتفقه في الدين ومعرفة امام المسلمين حتى يسألوا منه لقوله تعالى فاسألوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون واذا عرفوا امامهم حق معرفته الواجبة عليهم من كونه معصوما
عن الخطأ يسعهم ان ياخذوا بقوله ويعملوا بمؤداه وان كانت الحالة تقية او وان كان
فيما قاله تقية اما منصوبة بالخبرية لكانت وهي ناقصة او مرفوعة بالفاعلية لها وهي تامة
الحديث السادس وهو السابع والثمانون علي عن محمد بن عيسى عن يونس عمن ذكره

عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اف لرجل لا يفرغ نفسه في كل جمعة لامر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه وفي رواية اخرى لكل مسلم **الشرح** اف بالتشديد كلمة تضجر يقال افّ له وافّة له اي قذرا له والتنوين للتنكير وافّة وتفّة وقد افّف تأفيفا اذا قال افّ وفيه ست لغات حركات الفاء منونا وغير منون ومضمومة وقوله في كل جمعة كل يوم جمعة او في كل اسبوع والمراد الاول لانه ينبغي بل يجب على كل رجل مسلم ان يفرغ نفسه في كل يوم جمعة عن شواغل الدنيا ومكاسب المعيشة لاستعلام ما هو من امور دينه وحلاله وحرامه فعليه ان يتعاهد يوم الجمعة ويتحفظ حتى لا يفوت عنه حضور الجمعة ويسأل عن مسائل دينه وما يحل له ويحرم عليه

الحديث السابع وهو الثامن والثلاثون علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله عز وجل يقول تذاكر العالم بين عبادي مما تحيى عليه القلوب الميتة اذا هم انتهوا فيه الى امري **الشرح** لما كان هذا الباب متضمنا لمقصدين احدهما الحث على السؤال عما هو ضروري في امر الدين لكل مسلم وثانيهما مذاكرة العالم فالاحاديث الستة الماضية كانت في المقصد الاول وهذا الحديث والثلاثة البواقي في تذاكر العلوم المتعلقة بامر المبدأ والمعاد واصول الاعتقاد فالمعنى ان تذاكر العالم علومه ومعارفه بين جماعة من عباد الله المستعدين لكلامه المستفيدين منه مما به يحيى قلوبهم الميتة حيوة اخرى وقد سبقت الاشارة مرارا الى ان العلوم الحقيقية والمعارف الالهية مما يتنور بها باطن الانسان وقلبه المعنوي ويحيى بها حيوة عقلية يصعد بها الى عالم القدس ويصير ذاته من جوهر الملائكة المقربين والعقول المقدسين وقوله اذا هم انتهوا فيه الى امري يعني ان مذاكرة العلوم انما توجب حيوة القلوب الميتة اذا كانت مؤدية الى المعارف الالهية والعلوم الربانية من احوال المبدأ وصفاته وافعاله واحوال النبوة والمعاد ويحتمل ان يكون هذه الشرطية من كلام النبي صلى الله عليه وآله اي بشرط ان العلوم التي يتذاكر بها مقتبسة من مشكوة خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليه وآله فان العقول البشرية بمجرد حركاتها الفكرية قاصرة عن البلوغ لمدارك ما ينكشف في طور وراء العقل فان كثيرا من المعارف الايمانية التي شهدت بصحتها اعاظم الاولياء والاماثل الكبراء مما احالته جمهور العقلاء منها هذه المسألة التي نحن فيها من صيرورة الانسان جوهرا قدسيا وحيوانا عقليا بعدما كان جوهرا نفسانيا وحيوانا بشريا حسيا فان اكثر الفلاسفة كابن سينا ومن في طبقته ينكرون هذه الحركة الجوهرية الواقعة في حدود الانسانية ومنازلها ومقاماتها ونحن بفضل الله الذي يؤتيه من يشاء اوضحنا بيانه واقمنا برهانه مستمدا من بحار القرآن وآيات الرحمن مستضيئا بانوار التنزيل واسرار التأويل

الحديث الثامن وهو التاسع والثلاثون محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان

عن ابي الجارود زياد بن المنذر الهمداني بالدال المهملة الخارفي بالخاء المعجمة وبعد الالف راء مهملة وفاء وقيل الحرقي بالحاء المهملة المضمومة والراء والقاف واختار ابن داود قولا ثالثا وهو انه الحوفي بالحاء المهملة والفاء وحكى القولين المذكورين ههنا الكوفي الاعمى تابعي زيدي المذهب واليه ينسب الجارودية من الزيدية وكان من اصحاب ابي جعفر عليه السلام وروى عن الصادق عليه السلام وتغير لما خرج زيد رضي الله عنه وروى عن زيد وقال ابن الغضائري حديثه في حديث اصحابنا اكثر منه في الزيدية واصحابنا يكرهون ما رواه محمد بن سنان عنه ويعتمدون ما رواه محمد بن بكر الارجني وقال الكشي زياد بن المنذر ابو الجارود الاعمى السرحوب بالسين المهملة المضمومة والراء والحاء المهملة والباء المنقطة تحتها نقطة واحدة بعد الواو مذموم لا شبهة في ذمه وسمي سرحوبا باسم شيطان اعمى يسكن البحر قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول رحم الله عبدا احيا العلم قال قلت وما احياؤه قال ان يذاكر به اهل الدين واهل الورع **الشرح** انما قيد اهل تذاكر العلم بان يكونوا من اهل الدين والورع حتى يكون في تذاكرهم احياء العلم لوجهين احدهما ما مر من كون العلم الحقيقي لا يكون الا مقتبسا من مشكوة النبوة والثاني ان طهارة القلب بالورع والتقوى شرط حصول العلم كما قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله فان جلاء المرآة وصفاءها عن الكدورات شرط حلول الصور فيها والتخلية قبل التحلية

الحديث التاسع وهو الاربعون محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن عبد الله بن محمد الحجال بالحاء المهملة والجيم الاسدي مولاهم كوفي المزخرف ابو محمد وقيل انه مولى بني تيم ثقة ثقة ثبت صه وفي النجاشي قال الشيخ مولى بني تيم الله ثقة من اصحاب الرضا عليه السلام وفي الفهرست قيل انه من موالي بني تيم روى عن علي بن حسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة عن ابيه عنه بكتابه عن بعض اصحابه رفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا فان الحديث جلاء للقلوب ان القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤه الحديث **الشرح** الرين الطبع والدنس وران على قلبه ذنبه يرين رينا وريونا اي غلب عليه وقيل هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب وقال ابو عبيد كل ما غلبك فقد ران بك وران عليك وقال ابو زيد رين بالرجل اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج عنه ولا قبل له به وران النعاس في العين ورانت الخمر عليه غلبته هكذا في الصحاح وغيره ولعل اصل معنى الرين الطبع والدنس كما ذكر اولا وهو مما يتفاوت شدة وضعفا واذا اشتد غلب على محله وسلب وقد مر ان القلوب كالمرائي والمعاصي والشهوات كالادناس والطبايع فاذا كثرت وترادفت المعاصي تراكمت الادناس والظلمات عليها فغشيت ذواتها وبطلت فلم ينجع فيها نصيحة ولا تعليم فقوله صلى الله عليه وآله ان القلوب لترين كما يرين السيف

الحديث اشارة الى رين القلوب قبل ان لا يشتد ويستحكم وينفع الحديث والتذاكر فاما اذا اشتد
واستحكم فلا ينفع الذكرى كما في قوله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقوله طبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون **الحديث العاشر** وهو الواحد والستون عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد
عن ابيه عن فضالة بن ايوب الازدي من اصحاب ابي ابراهيم موسى الكاظم ع سكن الاهواز
روى عن الكاظم ع وكان ثقة في حديثه مستقيما في دينه صه الكشي قال بعض اصحابنا انه ممن
اجمع اصحابنا على تصحيح ما يصح عنهم وتصديقهم واقروا لهم بالفقه والعلم قيل ابن ايوب وفي نسخة
الحسين بن سعيد وهو ممن لم يرد فتامل فيه عن عمر بن ابان الكلبي ابو حفص موثوق ثقة
روى عن ابي عبد الله ع صه وفي النجاشي له كتاب روى عنه جماعة منهم عباس بن عامر
القصباني وفي الفهرست عن الحسن بن محمد بن سماعة عن منصور الصيقل بن الوليد من اصحاب
الباقر ع يكنى ابا محمد روى عنهما قال سمعت ابا جعفر عليه السلم يقول تذاكر العلم دراسة والدراسة
صلوة حسنة **الشرح** درست الكتاب درسا ودراسة ودارسته وتدارسته قراءته
قال ابن الاثير في الحديث تدارسوا القرآن اي اقرأوه وتعهدوه لئلا تنسوه واصل الدراسة
الرياضة والتعهد للشيء ومنه حديث اليهودي الزاني فوضع مدراسها كفه على آية الرجم المدراس
صاحب دراسة كتبهم ومفعل ومفعال من ابنية المبالغة يعني ان مذاكرة العلم بمنزلة دراسة
القرآن في الفضيلة والثواب ودراسة القرآن بمنزلة صلوة حسنة لان فضل الصلوة
على غيرها من العبادات لاجل اشتمالها على الذكر كما في قوله اقم الصلوة لذكري وحقيقة الذكر
هي ما يتذكر به القلب لا ما يتحرك به اللسان والمخارج متى كان في صلوته حاضر القلب بذكر الله
وخضوعه وخشوعه كانت صلوته احسن وبقدر غفلته ينقص ثوابه ويقل حسن صلوته
فمذاكرة العلم افضل واحسن من صلوة لا تذكر فيها قال ابن عبد الحكيم كنت عند مالك
اقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصليها فقال يا هذا ما الذي انت اليه بافضل من الذي
كنت فيه اذا صحت النية وليس غرضنا من هذا النقل الاعتضاد بكلام مالك في ما نحن فيه
بل الاشعار بان هذا الامر ما لم يخف على مثله مع كونه من اهل الظاهر فكيف على من له
فطانة في كشف المعاني والاسرار **باب** بذل العلم وهو الباب
الحادي عشر من كتاب العقل والعلم وفيه اربعة احاديث **الحديث الاول** وهو الثاني
والستون محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن اسمعيل بن بزيع عن منصور بن حازم
عن طلحة بن زيد ابو الخزرج بالخاء المعجمة والزاي ثم الراء ثم الجيم كما في الايضاح النهدي الشامي
ويقال له الجزري بالجيم المهملة والزاي ثم الراء عن جعفر الصادق عليه السلم عامي المذهب قال
الشيخ الطوسي ره في موضع انه بتري وفي آخر انه عامي المذهب الا ان كتابه معتمد صه
النجاشي الجزري القرشي من اصحاب الصادق ع النهدي الشامي وفي كتاب البرقي ابو الخزرج

النهدي

النهدي الشامي ابن الجزري عن ابي عبد الله عليه السلم قال قرأت في كتاب علي عليه السلم ان الله
لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى اخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال لان العلم كان قبل
الجهل **الشرح** العهد في اللغة لمعان كثيرة منها الامان ومنه لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد
في عهده ومنها الذمة والحفاظ والوصية ويقال عهدت اليه اي اوصيته ومنه العهد الذي
يكتب للولاة والمعهود الذي عهد وعرف وعهدته بمكان كذا لقيته وعهدي به قريب ومنه
عهدك بفلان اي متى عهدته ومنه متى عهدك بالخف ونحوه اي متى لبسته والتعهد التحفظ
بالشيء والعهد المطر يكون بعد المطر والجمع العهاد والمعهود والمعاهد الذي وقرية عهيدة
اي قديمة اتى عليها عهد طويل ومنها اليمين وهو العهد الموثق قوله تع الذين ينقضون
عهد الله والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من
حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ
الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد فقط كان تخييلا ورمزا الى ما هو من روادفه
وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم
يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته ووضع
العهد مطلق لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية والذمة واليمين ويقال للدار والقرية
ونحوهما من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ واما عهد الله فهو الذي
جعل الله يوم الميثاق في قوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم الآية وهو في الحقيقة
ما ركز في العقول وفطر ذوات النفوس الآدمية عليه من الحجج والآيات الدالة على
توحيده ووجوب وجوده واتصافه بالصفات الكبرى والاسماء الحسنى وبراءته عن
النقايص والشرور ورجوع الخلايق اليه في العقبى وعليه اول قوله تع واشهدهم على
انفسهم فهذا هو العهد المأخوذ به العباد وكذلك المأخوذ به على الامم الرسل والانبياء ع
وهو انهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالبينات والمعجزات صدقوه وآمنوا به
واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب ونظايره واما المأخوذ به الرسل فهو التبليغ والتعظيم والهداية والتاديب
كما في مثل قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ونظايره واذا انكشف لك حال
عهد الله على الامم بالاتباع وعلى الرسل بالتبليغ فقس عليه حال عهده على الجاهل
بطلب العلم وعلى العالم ببذله ولهذا قيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان
يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه
على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه وعن النبي ص من علم علما فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من
نار واما قوله لان العلم كان قبل الجهل فيحتمل ان يكون من تتمة كلام امير المؤمنين ع كما هو الظ

او من كلام الصادق عليه السلام وعلى التقديرين فلا يخفى معناه من خفاء وغموض اذ فيه اشكال وهو ان كل
واحد من افراد الناس يكون في اول خلقه جاهلا ثم يكتسب العلم ويصير عالما او يبقى على جهله
فما معنى كون العلم قبل الجهل والجواب من وجوه احدها ان العلم كمال وخير والجهل نقصان وشر
والكمال والخير هو غاية كل شيء فالعلم متقدم على الجهل تقدم بالغاية والثاني ان النفوس الانسانية
لها كينونة سابقة على البدن عند اخذ الميثاق وكونهم في ظهور آبائهم العقلية وتلك الكينونة
ضرب من الوجود العقلي والوجود العقلي لا ينفك عن العلم بالذات وبجميع الذات
فكان الانسان هناك عالما فاذا نزل الى الدنيا صار جاهلا ناسيا واليه الاشارة
في قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ثم ان ساعده التوفيق يصير عالما راجعا الى
عالمه الذي نزل منه والا فيبقى في الجحيم شيئا جاهلا في غفلته وعذاب اليم والثالث
ان العلم اشرف من الجهل فله قبلية بالشرف عليه والرابع ان طبيعة العلم قبل طبيعة الجهل
لان وجود الحق سبحانه ووجود الجواهر العقلية والنفسية قبل الاجسام والاغشية الظلمانية
التي يلزمها الاعدام والجهالات والشرور والخامس ان الجهل عدم ملكة العلم والاعدام انما
تعرف بملكاتها فالجهل لا يعرف الا بالعلم والعلم يعرف بذاته لا بالجهل فالعلم يتقدم على الجهل
بالمهية والحقيقة وبالكمال والغاية وبالشرف وبالرتبة وبالذات وبالزمان ايضا اذا اعتبر
حال النوع وايضا لولا وجود العالم لم يكن للجاهل وجود لانا انما خلقنا لاجلهم لقوله تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون الحديث الثاني وهو الثاني والستون
عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقي عن ابيه عن عبد الله بن المغيرة بضم الميم وكسر الغين
المعجمة قبل اليا المنقطة تحتها نقطتين ابو محمد البجلي مولى جندب بن عبد الله بن سفيان العلقي
كوفي ثقة ثقة لا يعدل به احد من جلالته ودينه وورعه روى عن ابي الحسن موسى عليه السلام قال
الكشي روى انه كان واقفيا ثم رجع ثم قال انه ممن اجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه
والاقرار له بالفقه صه وقال النجاشي قيل انه صنف ثلثين كتابا روى عنه ايوب بن
نوح والحسن بن علي بن عبد الله بن ابيه ومحمد بن سنان عن طلحة بن زيد عن ابي عبد الله
عليه السلام في هذه الآية ولا تصعر خدك للناس قال ليكن الناس عندك في العلم
سواء الشرح الصعر ميل في العنق وانقلاب في الوجه الى احد الشقين عن الليث وقال
داء اصاب البعير يلوي منه عنقه وقد صعر خده وصاعره اي اماله تكبرا ومنه الحديث
كل صعار ملعون والصعار المتكبر لانه يميل بخده ويعرض عن الناس بخده ويروى
بالقاف بدل العين وبالصاد المعجمة والفاء والزاي وقوله تعالى ولا تصعر خدك للناس
اي لا تعرض عنهم تكبرا وهذا التاويل الذي ذكره عليه السلام تاويل حسن لان المعلم ينبغي ان
يكون الثقافة وتعلمه بالقياس الى جميع الناس على درجة واحدة فان كان الثقافة

الى البعض دون البعض او يستنكف من تعليم البعض او نصحه فكانه مال بوجهه عنه او تكبر
والدليل على صحة هذا التاويل ان هذا الخطاب وقع من مثل لقمن الحكيم الى ابنه والمجالس لمجلسه
والمصاحب له لا يكونون الا طلاب العلوم فكانت النصيحة منه لابنه المتوجه بين الطلاب
في افادة العلم والهداية والارشاد والله اعلم بالصواب الحديث الثالث وهو الرابع
والستون وبهذا الاسناد عن ابيه عن احمد بن النضر بالنون والضاد المعجمة ابو الحسن
الجعفي مولى كوفي ثقة صه وفي الفهرست له كتاب يروي عنه محمد بن خالد البرقي ومحمد بن
سالم عن عمرو بن شمر بن يزيد ابو عبد الله الجعفي الكوفي روى عن ابي عبد الله وعن جابر
ضعيف جدا زيد احاديث في كتب جابر الجعفي ينسب بعضها اليه والامر ملتبس فلا اعتمد
على شيء مما يرويه صه عن جابر عن ابي عبد الله عليه السلام قال زكوة العلم ان تعلمه عباد الله
الشرح كما ان للمال زكوة وزكوته الانفاق للمستحقين فكذلك للعلم زكوة وزكوته
التعليم لمن هو اهله ومستحقه من عباد الله تعالى وكما ان المال يزداد بالانفاق فكذا العلم
يزداد ويشتد بالتعليم وفيه الاجر والثواب للآخرة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله
مالا فسلطه على انفاقه في الحق فهو ينفق سرا وجهرا الحديث الرابع وهو الخامس والستون
علي بن ابرهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن عمن ذكره عن ابي عبد الله
عليه السلام قال قام عيسى خطيبا في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تحدثوا الجهال
بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم الشرح اراد عليه السلام بما حكاه عن كلام عيسى عليه السلام
واهتمامه في ذلك حيث ذكره حين قام خطيبا في محتشد من بني اسرائيل التنبيه على ما
ينبغي ان يفعله المعلم من ملاحظة احوال المتعلمين والنظر في مراتب افهامهم وقابلياتهم
بالقياس الى درجات العلوم فرب متعلم يفهم مرتبة من العلم دون اخرى فوقها فضلا
عمن لم يفهم شيئا ورب علم يفهمه بعض المتعلمين دون غيرهم فضلا عما لا يدركه احد
منهم فلا ينبغي للمعلم ان يفشي ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولكن لم يكن
من اهل الانتفاع به فكيف فيمن لا يفهمه او كيف فيما لا يفهمه بل ينبغي ان يقتصر بالمتعلم
على قدر فهمه وعلى قدر ما ينتفع به اذ فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه
عقله اقتداء بسيد الانبياء والمعلمين عليه وآله الصلوة والسلام حيث قال نحن معاشر
الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم فنكلم الناس على قدر عقولهم ولتبث اليه
الحكمة والحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمه وقد روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال ما احد يحدث قوما
بحديث لا يبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي عليه السلام واومى بيده الى صدره
الشريف ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق سلام الله عليه فان قلوب الابرار

فهو الاسرار وعن رسول الله صلى الله عليه وآله لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر
الثمين ومن كرهها فهو شر من الخنزير فيكون اعطاؤه اياه ظلماً في حقها لانه وضع لها في غير
موضعها وسئل بعض العلماء رحمهم الله عن مسئلة فلم يجب فقال السائل اما سمعت ان
النبي صلى الله عليه وآله حيث يقول من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيمة ملجماً بلجام من نار فقال اترك اللجام
واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمني وقول الله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم شبه
فيه ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى ومما يؤيد ما نحن فيه انه ذكر في كتاب بصائر
الدرجات لمحمد بن الحسن باسناده عن عبد الله بن سليمان قال سمعت ابا جعفر عليه السلام وعنده
رجل من اهل البصرة يقال له عثمن الاعمى وهو يقول ان الحسن البصري يزعم ان الذين
يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم اهل النار فقال ابو جعفر عليه السلام فهلك اذن مؤمن آل فرعون
وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً عليه السلام فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله لا يوجد
العلم الا ههنا ثم انه ليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق
بل الظلم في الثاني اقل منه في الاول لانه مما يتدارك دون الاول وذلك لان
الاول تفويت والثاني تأخير والتأخير يتدارك دون التفويت ونعم ما قيل
نظماً : فمن منح الجهال علماً اضاعه : ومن منع المستوجبين فقد ظلم باب
النهي عن القول بغير علم وهو الباب الثاني عشر من كتاب العقل والعلم وفيه تسعة
احاديث الحديث الاول وهو السادس والتسعون محمد بن يحيى عن احمد وعبد الله
ابني محمد بن عيسى وهو يلقب بنان صرح به الكشي عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة
عن مفضل بن يزيد كونه من اصحاب الصادق عليه السلام وليس بمهمل في الخلاصة قال قال
ابو عبد الله عليه السلام انهاك عن خصلتين فيهما هلك الرجال انهاك ان تدين الله
بالباطل وتفتي الناس بما لا تعلم الشرح النهي خلاف الامر ونهيته عن كذا فانتهى
عنه وتناهى اي كف وتناهوا عن المنكر نهى بعضهم بعضاً وانه لامور بالمعروف ونهو
عن المنكر فعول للمبالغة ويتعدى الى المفعول الثاني بحرف عن فقوله عليه السلام انهاك ان تدين
اي انهاك عن ان تدين الله بالباطل وعن ان تفتي الناس بما لا تعلم فاراد بالاول
جميع الاعتقادات الفاسدة في اصول الدين وبالثاني الاحكام الفرعية الاجتهادية
فالنهي في الاول عن نفس التدين به اي الاعتقاد وفي الثاني عن الفتيا والحكومة
بها لان في الثاني لو اعتقد صاحب ظنه الفاسد ولم يفت به الناس لم يكن فيه
كثير محذور لانه من الفروع العملية فاذا عمل به صاحب ظنه وان كان فاسداً ولم يتعد
منه الى غيره فلا يبعد ان لا يؤاخذ به عليه في الآخرة الحديث الثاني وهو السابع
والتسعون علي بن ابرهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن بن الحجاج

البجلي

البجلي مولاهم ابو عبد الله الكوفي بياع السابري سكن بغداد ورمي بالكيسانية روى عن ابي
عبد الله وابي الحسن عليهما السلام وبقي بعد ابي الحسن عليه السلام ورجع الى الحق ولقي الرضا عليه السلام وكان ثقة ثقة
ثبتاً وجهاً وكان وكيلاً لابي عبد الله عليه السلام ومات في عصر الرضا عليه السلام على ولايته صه وفي النجاشي له
كتب عنه جماعة منهم ابن ابي عمير وفي الكشي حمدويه عن محمد بن الحسين عن عثمن بن عيسى عن حسين
ابن ناجية قال سمعت ابا الحسن عليه السلام وذكر عبد الرحمن بن الحجاج فقال انه لثقيل على الفؤاد
ابو القسم نصر بن صباح قال عبد الرحمن بن الحجاج شهد له ابو الحسن عليه السلام بالجنة وكان ابو عبد الله
يقول لعبد الرحمن يا عبد الرحمن كلم اهل المدينة فاني احب ان يرى في رجال الشيعة مثلك
انتهى وفي هذا الكتاب اعني الكافي في باب تاديب يحيى بن حبيب من كونه من اهل الجنة وقيل
لا يبعد ان يكون المراد من حديث الاول ان هذا الاسم ثقيل على الفؤاد من حيث عبد الرحمن
والحجاج مع احتمال المدح فليتدبر قال قال لي ابو عبد الله عليه السلام اياك وخصلتين ففيهما
هلك من هلك اياك ان تفتي الناس برأيك او تدين بما لا تعلم الشرح فيه نهي
عن الفتوى بمجرد القياس الفقهي وهو اجراء الحكم الشرعي الوارد في مادة على مادة اخرى
لاشتراكهما مع تلك المادة في معنى يوجد فيهما وللاقسام ليس ههنا موضع بيانها وقد
ذكرنا بيان احواله واقسامه في كتاب الاصول الفقهية الحديث الثالث وهو الثامن والتسعون
محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب الكوفي له اصل
كبير وهو ثقة جليل القدر صه وفي النجاشي الطحان السعدي مولاهم كونه من اصحاب
الصادق عليه السلام وابو الحسن مولى جرم بطن من قضاعة وقيل مولى بني سعد بن بكر بن طحان
روى عن ابي عبد الله عليه السلام ذكره ابو العباس وغيره وروى عن ابي الحسن عليه السلام له كتب
وذكر المسعودي في مروج الذهب ان علي بن رئاب كان من علية علماء الشيعة وكان
اخوه اليمان بن رئاب من علماء الخوارج وكانا يجتمعان في كل سنة ثلثة ايام يتناظران فيها
ثم يفترقان ولا يسلم احدهما على الآخر ولا يخاطبه عن ابي عبيدة الحذاء عن ابي جعفر عليه السلام
قال من افتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر
من عمل بفتياه الشرح ان من افتى بغير علم مستنبط من الكتاب والسنة استنباطاً
صحيحاً وبغير هدى والهام من الله كان غرضه حب الدنيا والثروة والجاه والشهرة والرياء
وسائر الاغراض الفاسدة فهو من اسوء الناس عذاباً يوم القيمة وابعدهم من الله
فطردته ملائكة الرحمة المتعلقة بطبقات الجنان والمدبرة لنفوس الاخيار للارتقاء
لادارتقائها بهم في الحيوان وملائكة العذاب المتعلقة بعالم الاكوان السابقة لنفوس
الاشرار الى منازلهم في دركات الجحيم والنيران وبالجملة لعنته ملائكة الآخرة وملائكة
الدنيا لان في ما هو بصدده فساد الآخرة والدنيا جميعاً اما الاول فلاجل اعتقاده

الفاسدة واغراضه الباطلة واما الثاني فلاجل احكامه وفتاويه التي قد يحلل ما حرم الله
وقد يحرم ما احل الله فيؤدي الى فساد النظام في الفروج والدماء واموال الناس و
حقوق الايتام وذوي الارحام وغير ذلك فلا جرم اليه يعود وزر من عمل باحكامه و
فتاويه الى يوم القيمة **الحديث الرابع** وهو التاسع والتسعون عدة من اصحابنا عن احمد
ابن محمد بن خالد عن الحسن بن علي بن زياد الوشا بجلي كوفي يكنى بابي محمد الوشا وهو ابن
بنت الياس الصيرفي خير من اصحاب الرضا عليه السلام وكان من وجوه هذه الطائفة صه وقد يستثنى
ذكر احواله قيل لفظ خير ان خزاز الا ان في عامة نسخ الكشي هكذا وهو تصحيف عن ابان
الاحمر وهو ابان بن عثمن الاحمر قال الكشي قال محمد بن مسعود حدثني علي بن الحسن قال
كان ابان بن عثمن من الناووسية وكان مولى لبجيلة وكان يسكن الكوفة ثم قال ان
العصابة اجمعت على تصحيح ما يصح عن ابان بن عثمن والاقرار له بالفقه قال العلامة طاب
ثراه والاقرب عندي قبول روايته وان كان فاسد المذهب للاجماع المذكور انتهى
وقال فخر المحققين قال سألت والدي عنه فقال الاقرب عدم قبول روايته لقوله تعالى
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ولا فسق اعظم من عدم الايمان وقد يقال فذلك يقتضي
عدم الحكم بكونه ثقة وسيما مع الاجماع الثابت بنقل الكشي العدل عن زياد بن
ابي رجا بالجيم بعد الراء واسم ابي رجا منذر كوفي ثقة صحيح صه وهو من اصحاب الباقر عليه السلام
قال الكشي قال محمد بن مسعود سألت ابن فضال عن زياد بن ابي رجا فقال ثقة عن ابي جعفر
عليه السلم قال ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فقولوا الله اعلم ان الرجل لينتزع الاية
من القرآن يخر فيها ابعد ما بين السماء والارض **الشرح** نزعت الشيء من مكانه
نزعا وانتزعته ايضا فانتزع اي قلعته فانقلع وقد جمع بين اللغتين في قوله نزع من
رجل فانتزع المنزوعة سنه سن النازع ويجوز المنتزع سنه ويخر بالضم و
الكسر اذا سقط من علو وخر الماء يخر بالكسر صوت ومنه خرارة وعن ابن عباس
من ادخل اصبعيه في اذنيه سمع خرير الكوثر وخرير الاصوات اراد انه مثل
صوت خرير الكوثر وخر لله ساجدا خرورا اي سقط ومنه الحديث في الوضوء الا
خرت خطاياه اي سقطت وذهبت يعني اذا سألكم سائل عن شيء فما علمتموه يقينا
فقولوا واجيبوا عن مسئلته وما لم تعلموه علما يقينيا ان كانت المسئلة اصولية
ولا ظنا راجحا مستندا الى الادلة الشرعية ان كانت فقهية فلا تفتوا بها ولا
تجيبوا عنها بل قولوا الله اعلم اي اعلم العالمين من الملائكة والانبياء ومن والاهم في العلم
والاظهر بحر الجاهل ان يقول الله اعلم مني لان صيغة التفضيل ان يكون للمفضل عليه
شركة في طبيعة ماخذ التفضيل وهو مبدأ الاشتقاق وليست للجاهل العامي حصة من العلم

اليقيني

اليقيني والمعرفة الحقيقية فلا يجوز له ان يقول الله اعلم كما سيجيء في الحديث الثامن لهذا الحديث
ولا يخفى ان قوله فقولوا في الاول ليس امر ايجاب بل امر اباحة او استحسان الا ان
لا يكون في البلد من يعلم الجواب وكان الحكم مما يحتاج اليه وكذا في الثاني لجواز السكوت
وقوله ان الرجل لينتزع الآية الخ اي يستخرج الرجل من القرآن آية للاستدلال بها
على مقصوده من الحكم الذي يفتي به والحال انه يسقط في هذه الانتزاع للاية على الاستدلال
بها ويهوي الى مكان سحيق ابعد من السحيق مما بين السماء والارض فضمير فيها راجع الى الاية
على حذف مضاف اي في انتزاعها وفي بعض النسخ يخر فيها بدل يخر فيها وكانه تصحيف
الحديث الخامس وهو المائة محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن حماد بن عيسى عن ربعي بن
عبد الله عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلم قال للعالم اذا سئل عن شيء وهو لا يعلمه ان
يقول الله اعلم وليس لغير العالم ان يقول ذلك **الشرح** قد مضى وجه ذلك وانا
بحمد الله تفطنت به وكتبته في شرح الحديث السابق قبل ان انظر الى هذا الحديث والآن تحققت
بذلك قوله كما سيجيء في الحديث الثامن فان قلت حكم العالم فيما سئل عما لا يعلمه حكم الجاهل
فكيف يصح له ان يقول الله اعلم قلت يصح نظرا الى جنس العلم الموجود منه في العالم دون
الجاهل نعم ينبغي ان يكون العالم عالما ربانيا علومه من باب العقليات واليقينيات الدائمة
التي لا تتبدل ولا تتغير لا من باب الظنيات والعمليات والتقليديات وسائر العلوم
والادراكات المسلوبة عن الباري جل شانه مما يوجب نقصا او تكثرا او تغيرا تعالى عنه علوا كبيرا
فاذن ليس لغير العالم الرباني ان يقول الله اعلم مرادا انه اعلم منه وانما يصح للعالم الرباني
وان كان علمه بالنسبة الى علم الله كنسبة القطرة بل الرشحة الى البحر ونهاية لجعه **الحديث السادس**
وهو الواحد والمائة علي بن ابراهيم عن احمد بن محمد بن خالد عن حماد بن عيسى عن حريز بن عبد الله
عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلم قال اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا ادري
ولا يقل الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه شكا واذا قال المسئول لا ادري فلا يتهمه السائل
الشرح اتهمه فهو متهم وذاك متهم والتهمة فعلة من الوهم والتاء بدل من الواو وقد يفتح
الهاء كذا في النهاية وقال الجوهري الاسم التهمة بالتحريك نهى عليه السلم عن ان يقول المسئول
عن شيء لا يعلمه الله اعلم بدل لا ادري وعلل ذلك بانه يوقع غالبا في قلب السائل شكا
فيتهمه اي بالعلم واذا قال لا ادري فلا يتطرق اليه تهمة من جانب السائل ولا غيره قال
ابو حامد الغزالي في الاحياء في باب آفات ومنها ان لا يكون متسرعا الى الفتوى
بل يكون متوقفا متحرزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا افتى وان
سئل عما شك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع
عن نفسه واحال الى غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم

ومن الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقال الشعبي لا ادري نصف العلم
ومن سكت حيث لا يدري لله فليس اقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالنقص اشد
على النفس ولهذا كانت عادة الصحابة قال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس لمجنون وكان
يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال جنة العالم لا ادري قال
ابرهيم بن ادهم ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا
الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة
اي لا يتكلمون حتى يسئلوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا وان اضطروا اجابوا
وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية من الكلام ومر علي عليه السلم
وعبد الله بن مسعود برجل يتكلم على الناس فقالا هذا يقول اعرفوني وكان ابرهيم التيمي
اذا سئل عن مسئلة بكى ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان من الفقهاء من يقول
لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس والفضيل بن
عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين
من اصحاب رسول الله ص ما منهم من احد يسأل عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه
كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى الآخر ويردها
الى الآخر حتى يعود الى الاول ولهذا كانت اصحاب الصفة فيما اهدي الى واحد منهم
فاهداه الى الآخر فدار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس امر العلماء
فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا الحديث السابع وهو الثاني والمائة
الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن علي بن اسباط عن جعفر بن محمد بن سماعة ثقة في الحديث
واقفي صحح في النجاشي ابو عبد الله اخو ابي محمد الحسن وابرهيم ابي محمد وجعفر الاكبر
اخوته عن غير واحد عن ابان يحتمل رجلين كلاهما ثقتان جليلا القدر احدهما من ذكره
وهو ابن عثمن الاحمر والثاني ابان بن تغلب بالتاء المنقوطة فوقها نقطتين المفتوحة
والغين المعجمة الساكنة ابن رباح بن سعيد البكري الجريري بالجيم المضمومة والراء
قبل الياء المنقطة تحتها نقطتين وبعدها حوط بني جرير ثقة جليل القدر عظيم المنزلة في اصحابنا
لقي ابا محمد علي بن الحسين وابا جعفر وابا عبد الله عليهم السلم وتقدم وروى عنهم قال له
الباقر ع اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فاني احب ان يرى في شيعتي
مثلك ومات في حيوة ابي عبد الله ع فقال الصادق ع لما اتاه نعيه اما والله
لقد اوجع قلبي موت ابان ومات في سنة احدى واربعين ومائة وروى ان
الصادق ع قال له يا ابان ناظر اهل المدينة فاني احب ان يكون مثلك من رواتي
ورجالي وفي الفهرست والنجاشي كان قاريا فقيها لغويا وفي النجاشي ايضا

انه

انه من وجوه القراء لغوي سمع العرب وحكى عنهم وكان مقدما في كل فن من القرآن والفقه
والحديث والادب واللغة والنحو وله كتب وله قراءة مفردة مشهورة عند القراء وروي
انه دخل على ابي عبد الله فلما بصر به امر بوسادة فالقيت له وصافحه واعتنقه وسائله
ورحب به وانه كان اذا قدم المدينة تقوضت اليه الخلق واخليت له سارية النبي ص
عن زرارة بن اعين قال سالت ابا جعفر عليه السلم ما حق الله على العباد قال ان
يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون الشرح فان قلت حق الله على العباد كثير
فما وجه اختصاص هذا بالذكر قلنا ليس المراد الانحصار ولعل المراد من العباد ههنا
العلماء من اهل الكتب والفتاوي بقرينة حالية او مقالية تحققت عند السؤال وفي
موضع في القرآن كثيرا ميثاق اهل الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ولا تفتروا
على الله كذبا وكل من افتى بغير علم فهو من افترى على الله كذبا وقال بعض من حظر ان
من حق الله الواجب عليهم ان لا يقولوا الا ما علموه علما حقيقيا ولا يفتوا في المسائل
الا ما فيه نص صريح من كتاب او خبر ثابت صحيح من سنة او انعقد عليه اجماع قطعي
وان يسكتوا عند عدم العلم وورود الشبهات ولهذا كان دأب العلماء الزاهدين
والفقهاء المتورعين وفي الخبر اذا رأيتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه
يلقي الحكمة الحديث الثامن وهو الثالث والمائة علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير
عن يونس عن ابي يعقوب واسحق بن عبد الله بن سعد بن مالك الاشعري قمي ثقة
روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم وابنه احمد بن اسحق مشهور عن ابي عبد الله
عليه السلم قال ان الله خص عباده بآيتين من كتابه ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم
يعلموا وقال تعالى الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق وقال بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله الشرح يعني ان الله خص عباده الذين
هم من اهل الكتاب والكلام كان من سواهم ليس مضافا اليه تعالى بالعبودية له
بآيتين من كتابه ان لا يقولوا على الله اي على كتابه او شريعته الا ما علموا انه الحق الثابت
باليقين والبرهان وان لا يردوا ايضا ما لم يعلموا انه المردود والآيتان هما اللتان
ذكرهما وفيه ان الآيات المخصوص بها هؤلاء العباد كثيرة فوق اثنتين كقوله تعالى ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون وقوله ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقوله فاولئك هم الظالمون وقوله فاولئك
هم الفاسقون الى غير ذلك من الآيات ويحتمل ان يكون المراد بآيتين هما جنس
او جنسان من الآيات وفيه بعد ولا يبعد ان يكون لفظ بآيتين تصحيفا للفظ باثنين
اي خصهم الله بامرين من امور كتابه اي حكمين من احكام الكتاب احدهما ان لا يقولوا

على الله الا الحق وان شأنهم ان لا يردوا ما لم يعلموا حتى لا يقعوا في تحليل حرام وتحريم حلال كما في قوله
ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ثم ذكر آيتين
من جملة الآيات الدالة على النهي عن القول بغير علم والافتراء على الله ومن هذا الباب قوله تعالى فويل
للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا **الحديث التاسع**
وهو الرابع والمائة علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن داود بن فرقد عمن حدثه عن ابن
شبرمة اسمه عبد الله وشبرمة بالشين المعجمة وبعدها باء منقطة تحتها نقطة والراء قبل الميم من
اصحاب علي بن الحسين عليهما السلام كان قاضيا لابي جعفر على سواد الكوفة مات سنة اربع
واربعين ومائة صه ابن شبرمة الضبي الكوفي ابو شبرمة وكان شاعرا قال ما ذكرت
حديثا سمعته عن جعفر بن محمد عليه السلام الا كاد ان يتصدع قلبي قال حدثني ابي عن جدي عن
رسول الله صلى الله عليه وآله قال ابن شبرمة واقسم بالله ما كذب ابوه على جده ولا جده
على رسول الله صلى الله عليه وآله من عمل بالمقاييس فقد هلك واهلك ومن افتى الناس
وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك واهلك **الشرح** اعلم ان القياس
المراد به ما اصطلحت عليه علماء الميزان وهو القول المؤلف من قضايا اذا سلمت لزم عنه لذاته
قول آخر وهو ينقسم الى اقسام خمسة افضلها واشرفها البرهان المؤلف من اليقينيات لانه
المعطي لليقين الدائم الذي لا يزول ابدا ولا يزلزله الشكوك والاوهام وبعده الخطابة المؤلفة
من المظنونات وهي مما يفعل فعل البرهان ولكن في الاذهان الصافية والقلوب اللطيفة ثم الجدل
المؤلف من المشهورات والمسلمات وهو مما ينفع للنفوس العامية ويقع به كسر قوة الجاحدين
للحق ودفع صولة انكارهم حتى يستعدوا لسماع الحق بالبرهان ولا يستنكفوا عما يخالف ما ألفوه
تقليدا من الآباء والاسلاف ولكن هذا هو الغرض من استعمالها عند المجادلة لا مجرد الغلبة
لكون بالتي هي احسن ولاجل هذه الثلاثة التي هي العمدة اشير في الكتاب الالهي تعليما من الله
لنبيه صه لدعوة الخلق في قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتي هي احسن واما القسمان الآخران فهما الشعر المؤلف من المخيلات والمغالطة المؤلفة
من المشبهة باليقينيات او الجدليات وليستا اياهما ويقال لاول القياس السفسطي
وللثاني المشاغبي فاحدهما وهو الشعر لا ينبغي لنبي صه لارتفاع منصب النبوة عما يشبه
الهزل انه لقول فصل وما هو بالهزل وكذا الثاني وهو المغالطة لان فائدتها اما الحذر
عن الغلط او تغليط الخصم المجادل ومرتبة النبي صه وكذا من ينوب منابه من اهل العصمة شأنه ان
يغلط ويتعالى عن ان يغلط والشعر وان كان مفيدا استمالة للعوام فان التخييل ربما يؤثر
في بعض الناس اقداما واحجاما اكثر من التصديق الا ان مداره على الاكاذيب فلا يليق
بالصادق المصدوق كما شهد به قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له بل المراد به ما سماه المنطقيون

التمثيل وهو كما سبقت الاشارة اليه اثبات الحكم في جزئي لثبوته في جزئي آخر لمعنى مشترك بينهما
كقول القائل العالم مؤلف فيكون حادثا قياسا على البيت وهو اضعف الحجج غير مفيد لليقين
بل ولا الظن قويا ويسمى القياس الفقهي لان الفقهاء يسمونه قياسا وكثير منهم كابي حنيفة واصحابه
يعولون عليها والغزالي جعله باطلا وعد صورة هذا القياس من موازين الشيطان حيث
قال اما ميزان الرأي والقياس فحاش لله ان اعتصم به ومن زعم من اصحابه ان ذلك
ميزان المعرفة فأسأل الله ان يكفيني شره عن الدين فانه صديق جاهل وهو شر من عدو
عاقل انتهى كلامه ويفوح منه رائحة التشيع ثم ان حدود هذا القياس اربعة الاصل والفرع
والعلة والحكم فالاصل هو الصورة التي الحكم فيها ثابت بالاتفاق كالبيت في مثالنا هذا
والفرع هو الصورة الاخرى التي يراد اثبات الحكم فيها كالعالم والعلة وهي المعنى المشترك
بينهما الجامع كالتأليف والحكم هو القول المترتب عليه وهو كون العالم حادثا وانما قرر اصحاب
الرأي وجعل هذا النمط بطريقين احدهما ويسمى الطرد والعكس عند قدماء الجدليين والدوران
عند متأخريهم هو ان المعنى الشامل حيث وجد كما في البيت والسرير ونحوهما كان مقترنا بهذا
الحكم وكذا بالعكس اي وحيث انتفى المعنى الشامل انتفى الحكم كالحدوث فهما متلازمان وجودا
وعدما فيقترنان في محل النزاع وهم في حيز الانقطاع والعجز عند مطالبة لمية عدم جواز
انفكاكهما في موضع لم يعهدوه فاذا جاز انفكاكهما في موضع لا يلزم تلازمهما وجودا وعدما
والثاني ويسمى السبر والتقسيم وهو انهم يعدون صفات ما وجد فيه الحكم بالاتفاق الذي
سموه الاصل او الشاهد كقولهم علة حدوث البيت اما التأليف او الامكان او الموجودية
او الجوهرية او الجسمية وهو ايضا ليس بشيء لانا لا نسلم انحصار العلة فيما ذكر والجواز وصف
آخر وهو العلة والمناط لان الترديد غير دائر بين النفي والاثبات فرب حكم متعلق بشيء
لا يطلع عليه احد الا بعد حين فهذا خلاصة البيان في تقرير هذا القياس وما يرد عليه فظهر
انه مما لا يعول عليه في المقاصد العقلية والدينية ولهذا فرع الحكم في هذا الحديث على هلاك
من عمل به سيما في اصول الاعتقاديات او في مقابلة النص وهلاك من اتبعه في العمل
بمثل عمله او في العمل بما يستخرجه بهذا العمل فهو هالك ومهلك لكونه ضالا مضلا واول
من عمل بهذا القياس في مقابلة النص هو الشيطان حيث امره الله بسجدة آدم فابى
وعارض الامر بالقياس وهو قوله كما حكى الله عنه خلقتني من نار وخلقته من طين يعني ان
النار اشرف من الطين فانا لتكوني منها اشرف وافضل من آدم لتكونه من الطين والشريف
كيف يسجد للخسيس والفاضل كيف يخدم المفضول فخبط التعيين وغلط وخلط اذ قاس
شرف الروح على شرف البدن وفضيلة التراب على فضيلة الطين فالغلط هنا انما نشأ من
باب اخذ ما ليس بعلة علة او اخذ ما بالقوة مكان ما بالفعل وقوله ومن افتى الناس اه اعلم ان

في آيات القرآن احكاما كثيرة متقابلة فيكون ناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها ومجملا ومبينا ومنطوقا ومفهوما
وظاهرا ومأولا وعاما وخاصا ومطلقا ومقيدا وغير ذلك من الاقسام وكذلك في الحديث كما بين وفصل
معانيها في كتب الاصول الفقهية والمفتي للناس لا بد ان يعلم هذه الاقسام ويميز عنده بعضها عن بعض
والا فهلك ذاته واهلك غيره ممن يتبعه في الفتوى او العمل

باب من عمل بغير علم

وهو الباب الثالث عشر من كتاب العقل والعلم وفيه ثلثة احاديث

الحديث الاول وهو الخامس والمائة
عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه عن محمد بن سنان عن طلحة بن زيد قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام
يقول العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير الا بعدا

الشرح توضيح هذا
المرام وتحقيق هذا المقام بان تعلم اولا ان الانسان يكون في هذه النشأة الدنياوية مركبا من بدن جسماني
مظلم سفلي ومن روح ملكوتي علوي ولكل منهما خاصية اخرى غير خاصية صاحبه فخاصية الروح الادراك
العلم والمعرفة وخاصية البدن الذاتي الحركة والاستحالة وايضا خاصية الروح البقاء والدوام وخاصية
البدن الدثور والانعدام ومع ذلك كل منهما محتاج الى الآخر في هذه النشأة التعلقية وعند تعلق النفس
بهذا البدن الكثيف الظلماني وهبوطها من عالم النور ومعدن السرور لنقصها وقصورها فيحتاج في
استكمالها وبلوغها من حد النقص الى درجة الكمال الى سعي وعمل وحركات علمية وعملية واعمال
وطاعات بدنية وقلبية وكل ذلك لا يمكن الا بالبدن فهي محتاجة في تحصيل الكمال الى البدن والبدن
ايضا ما دام تجاوزه وحيوته محتاج في التغذية والتكميل وتوليد المثل الى النفس مدبرة له فكل منهما
مفتقر الى الآخر ومنتفع به ومثالهما مثال المقعد والاعمى فالنفس كبصير لا قدرة له على المشي
والبدن كماشي لا يبصر شيئا فاذا اعان كل منهما صاحبه امكنهما سلوك طريق يؤدي الى المطلوب
والظفر بان يركب البصير المقعد على الاعمى الراجل فيسيرا معا في بساتين العشرة ومنازل
الشهوة ومراحل النعمة واللذة فيتنعمان بالمشارب والمآكل والمناكح فاما اذا اراد الاعمى
ان يمشي منفردا من غير ان يقوده البصير فيوشك ان يقع في بئر او هاوية او يفترسه سبع
فيهلك وهذا الغالب لكن على غير سمت المطلوب وبعد الكلام يزداد سيرا وسرعة فهذا
مثال جذب للنفس والبدن في سلوك سبيل الله والمشي الى دار المغفرة والجنان وبساتين
الرحمة والرضوان فاذن حال العامل بلا علم والناسك بلا بصيرة كحال السائر الاعمى بلا قائد
يبصر هذه اللذة باللذة وهذا امر محقق بالبرهان مكشوف عند ذوي العيان الا انه اكتفي بمجرد
المثال اذ قد مر ان التمثيل مما تعويل عليه سيما في مثل هذه المقاصد الاصولية ولولا خوف
التطويل لاوردنا بيانا برهانيا على ان عبادة الجاهل لا يزيده الا تجافيا عن الحق وبعدا عن المعبود

الحديث الثاني وهو السادس والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان
عن ابن مسكان هو عبد الله بن مسكان بالميم المضمومة والسين الساكنة المهملة ابو محمد مولى عنزة ثقة
عين روى عن ابي الحسن موسى عليه السلام وليس بثبت وروي انه لم يسمع من الصادق عليه السلام

الا حديث من ادرك المشعر فقد ادرك الحج وكان من اروى اصحاب ابي عبد الله وكان لا يدخل
على ابي عبد الله شفقة ان لا يوفيه حق اجلاله وكان يسمع من اصحابه ويأبى ان يدخل عليه اجلالا و
اعظاما له اقول ولعله انما دخل على الكاظم عليه السلام مع امتناعه من الدخول على ابيه لترقيه في
العلم والعمل حتى صار في زمن الكاظم اهلا للدخول قال الكشي وهو ممن اجمعت العصابة على تصحيح ما
يصح عنهم واقروا لهم بالفقه قال النجاشي مات في ايام ابي الحسن قبل الحادثة له كتب يروي عنه
محمد بن سنان والحسين بن هاشم عن حسين الصيقل قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول لا يقبل الله
عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل فمن عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان
الايمان بعضه من بعض

الشرح قد مر ان الايمان وكل مقام من مقاماته كالصبر والشكر
والتوكل وغيرها ينتظم من المعارف والاحوال والاعمال فكل معرفة تثمر حالا وكل حال تثمر عملا
وبالعكس من هذا الترتيب بعينه فان كل عمل يتأدى الى اثر وحال في النفس وكل حال وصفة
في النفس يتأدى الى معرفة اخرى فيها فكل من هذه الامور الثلثة يكون اولا وآخرا فيتقدم
على نفسه لكن لا على سبيل الدور المستحيل لان الذي في الاول غير الذي في الآخر بالعدد ولكنه
التقدم والتأخر والعلية والمعلولية في احد الترتيبين غيرها التي في عكسه فان تقدم المعرفة على الحال
وبتوسطها على العمل تقدم بالذات والطبع كتقدم الفاعل على فعله وتقدم العمل على الحال وبتوسطها
على المعرفة تقدم بالزمان لا بالذات كتقدم القابل واستعداده على المقبول الحادث بعده
فظهر ان كلا من العلم والعمل له مدخلية في حصول الآخر بوجه دون وجه لكن العلم كالروح وهو الاصل
والعمل كالبدن والفرع والآلة فقوام العمل بالعلم كقوام البدن بالروح ولكن شرط دوام العلم
وكماله وازدياده مواظبة الاعمال ومثالهما كمن يمشي في الليل المظلم وبيده مصباح فكل خطوة
منه لا يحصل الا بوقوع الضوء على موضع قدم فاذا قطع ذلك الموضع بالحركة مع الضوء على
موضع آخر فلا يزال كل حركة يتوقف على ضوء يستضيء به موضع وكل ضوء يحصل عقيب حركة
يطلع بها موضع آخر وهكذا يترادفان معا ويتعاقب الحركات الى ان يتأدى الماشي
الى الغاية ومعه المصباح وانتهت الحركة فهكذا يتكامل ايمان المرء بالمعرفة والطاعة حتى
بلغ الغاية وخلص من التعب والمشقة ومعه نور اليقين والمعرفة فيمشي به في الآخرة ويلتذ
بمشاهدة الحضرة الالهية التي صورتها الجنة التي عرضها كعرض السماء والارض اذا تمهدت
هذه المقدمات فلنرجع الى شرح الحديث قوله ع لا يقبل الله عملا الا بمعرفة لان قوام العمل
في العبادة كالصلوة والصوم بمعرفة الله ونية التقرب اليه وقصد الطاعة والخضوع له
والتشوق الى ثوابه ورضوانه فمن لا معرفة له بالله واليوم الآخر فكيف ينوي
ويقصد التقرب اليه وهو لم يعرفه بعد ولكن اذا عرفه يعلم انه انما يجب طاعته والتوسل اليه
بطاعته وعبوديته وهو معنى قوله ع فمن عرف دلته المعرفة على العمل فظهر ان المعرفة والنية

روح العمل وان كان العمل ايضا وسيلة اليه كالبدن للروح والبذر للثمرة كما نظمه بعض العرفاء
الروح جسم والنبات فعل * يحيى بها الحيوة الارض بالمطر * فتصير الزهر للاشجار بارزة * وكل
ما تخرج الاشجار من ثمر * كذلك تخرج من اعمالنا صور * لها روايح من نتن ومن عطر * ثم لما كان
كمال المعرفة وازديادها ونور القلب لا يحصل الا بتكرار الاعمال وترادف الاحوال فمن لم يعمل
عملا صالحا فلا تتم ولا تبقى له معرفة وهو قوله ومن لم يعمل فلا معرفة له فان العمل والعبادة والرياضة
مما يصفي النفس ويرقق القلب ويطهره حتى يستعد بذلك لفيضان الصور العلمية عليه والمادة
الا ان الايمان بعضه من بعض فيحتمل معنيين لان الايمان اما ان يراد به نفس المعرفة والعلم
بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر او مجموع العلم والعمل والمعرفة والطاعة فمعناه على
الاول ان كل مرتبة من مراتب الايمان في القوة والكمال يحصل من مرتبة اخرى منه سابقة
لاجل العمل بها وهي دونها في القوة والكمال ثم يؤدي هذه المرتبة ايضا بوسيلة العمل
الى مرتبة اخرى لاحقة هي اشرف واكمل من الاولين وهكذا الى الغاية التي ليست بعدها غاية
وعلى الثاني ما كان المقصود ان الايمان كل من جزئيه العلمي والعملي يحصل من الآخر فعلمه يحصل من عمله
وعمله يحصل من علمه على الوجه الذي مر بيانه وبالله التوفيق الحديث الثالث وهو التاسع
والمائة عنه عن احمد بن محمد عن ابن فضال عمن رواه عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله من عمل على غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح الشرح قد علمت
ان نفس العمل واصلاحه ليس من الخيرات الحقيقية انما الفايدة فيه اصلاح القلب وتطهيره
وتصفيته وتهذيبه عن الغواشي والكدورات وشوايب الدنيا وشواغل الخلق
وهذه الفايدة ايضا ليست مقصودة بالذات لان هذه الاحوال من التطهير والتصفية
ونحوهما كالاعدام للملكات والعدم لا يكون مطلوبا الا بالعرض انما المطلوب التكشف
للمعارف الحقيقية من جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله فمن اقتصر في سلوكه على مجرد
العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة لقضيته لتقصيره وبالا عليه اذ تحرك
النفس تحريكا بالخواطر الوهمية ويستولي عليه الوساوس النفسانية فيتشوش القلب
حيث لم يتقدم رياضة النفس بحقايق العلوم والافكار الصحيحة فيتشبث بالقلب خيالات
فاسدة اذ شانه عدم الثبات والسكون على حالة واحدة ولا اطمينان عليها كما روي عنهم ع
انه قال قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانه وقال قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
فحيث لم يكن قلب العابد مهذبا بالعلوم الحقة فبفكره الفاسد تصورات باطلة واوهام
كاذبة وربما يتخيل في ذات الله وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر والزندقة
وهو زعم انها صحيحة حقة نعوذ بالله ثم مع ذلك قل ما يخلو من اعجاب بنفسه وافتخار بعمله
واغترار بعبادته ونظره لساير الناس بعين الحقارة والنقص والعيب وربما يشتغل

باطنه

باطنه بامراض نفسانية وعلل قلبية وهو غافل عنها غير ملتفت الى معالجة النفس وازالتها
عن القلب لجهله بذمايم الاخلاق عن محامدها فيزعم الرذايل فضايل ويزعم مثلا الجمود عفة وعدم
الغيرة حلما والتهور شجاعة ونحو ذلك ويبقى طول عمره في العمل والنسك الى ان يحصل الاجل
هو على هذه الحالة زاعما منه انه على شيء وهو كما قال تعالى قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قصم ظهري
رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فهذا معنى قوله عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله من عمل على غير علم الخ

باب استعمال العلم وهو الباب الرابع عشر من كتاب العقل والعلم وفيه
سبعة احاديث الحديث الاول وهو الثامن والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى
عن حماد بن عيسى عن عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن اذينة بضم الهمزة وفتح الذال المعجمة وسكون
اليا المثناة تحتها نقطتين وفتح النون شيخ من اصحابنا البصريين ووجههم روى عن ابي عبد الله ع
بمكاتبة له كتاب الفرايض وكان ثقة صحيحا صح قال الكشي قال حمدويه سمعت اشياخي منهم
العبيدي وغيره ان ابن اذينة كوفي وكان هرب من المهدي ومات باليمن فلذلك
لم يرو عنه كثير ويقال اسمه محمد بن عمر بن اذينة غلب عليه اسم ابيه وهو كوفي مولى لعبد القيس
وقال الشيخ في الفهرست له كتاب روى عنه ابن ابي عمير وصفوان والحسن بن محمد بن
سماعة واحمد بن ميثم عن ابان بن ابي عياش بالعين غير المعجمة واسمه فيروز بالفاء المفتوحة
واليا المثناة تحتها نقطتين الساكنة وبعدها راء وبعد الواو زاي تابعي ضعيف روى
عن انس بن مالك وروى عن علي بن الحسين ع لا يلتفت اليه وينسب اصحابنا وضع كتاب
سليم بن قيس اليه هكذا قاله ابن الغضايري وقال السيد علي بن احمد العقيقي في كتاب
الرجال ابان بن ابي عياش كان سبب تعريفه هذا الامر سليم بن قيس الهلالي حيث
طلبه الحجاج ليقتله حيث هو من اصحاب امير المؤمنين ع فهرب الى ناحية من ارض فارس
ولجا الى ابان بن ابي عياش فلما حضرته الوفاة قال لابن ابي عياش ان لك حقا
وقد حضرني الموت يا ابن اخي انه كان من الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كيت وكيت واعطاه
كتابا فلم يرو عن سليم بن قيس احد من الناس سوى ابان وذكر ابان في حديثه قال كان شيخا
متعبدا له نور يعلوه قال العلامة والاقوى عندي التوقف فيما يرويه لشهادة ابن الغضايري
عليه بالضعف وكذا قال شيخنا الطوسي في كتاب الرجال عن سليم بن قيس الهلالي بضم
السين روى الكشي احاديث تشهد بشكره وصحة كتابه وفي الطريق قول وفيه القول الذي ذكره
الشهيد الثاني رحمه ان في الطريق ابرهيم بن عمر الصنعاني وابان بن ابي عياش وقد
طعن فيهما ابن الغضايري وفي الفهرست سليم بن قيس الهلالي يكنى ابا صادق له كتاب
اخبرنا به ابن ابي جيد قال حدثنا محمد بن الحسن بن الوليد قال حدثنا محمد بن ابي القاسم

بن

ماجيلويه عن محمد بن علي الصيرفي عن حماد بن عيسى وعثمن بن عيسى عن ابان بن ابي عياش عن سليم
قيس قال حماد بن عيسى وحدثناه ابرهيم بن عمر اليماني عن سليم بن قيس وقال السيد علي بن احمد
العقيقي كان سليم بن قيس من اصحاب امير المؤمنين ع طلبه الحجاج ليقتله الى آخر الحكاية وهو قوله
وزيعلوه وقال ابن الغضائري سليم بن قيس الهلالي العامري روى عن ابي عبد الله و
الحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلم وينسب اليه هذا الكتاب المشهور وكان اصحابنا
يقولون ان سليما لا يعرف ولا ذكر في خبر وقد وجدت ذكره في مواضع من غير جهة
كتابه ولا من رواية ابان بن عياش عنه وقد ذكر له ابن عقدة في رجال امير المؤمنين ع
احاديث عنه والكتاب موضوع لا مرية فيه وعلى ذلك علامات فيه تدل على ما ذكرناه
منها ما ذكر ان محمد بن ابي بكر وعظ اباه عند الموت ومنها ان الائمة ع ثلثة عشر
وغير ذلك واسانيد هذا الكتاب تختلف تارة برواية عمر بن اذينة عن ابرهيم
ابن عمر الصنعاني عن ابان بن ابي عياش عن سليم وتارة يروي عن عمر عن ابان
بلا واسطة فالوجه عندي الحكم بتعديل المشار اليه والتوقف في الفاسد منه قال الشهيد
الثاني ره وانما كان الذي ذكر اولا من علامات وضعه لان محمد بن ابي بكر ولد في
حجة الوداع وكانت خلافة ابيه سنتين واشهرا فوعظه اباه غير معقول وذكر بعض
الفضلاء ان ما وصل الينا من نسخه المذكور فيها انما هو عبد الله بن عمر وعظ اباه عند الموت
وان الائمة ثلثة عشر مع النبي ص وشي من ذلك لا يقتضي كون الكتاب موضوعا انتهى
اقول ومما يدل على حسن حاله وعدالته وصحة كتابه وعقيدته وجلالة شأنه وصحبته امير المؤمنين ع
ما روى عنه محمد بن علي بن بابويه في كتاب الاعتقادات من حديث طويل في باب الاعتقاد
في الحديثين المختلفين انه قال قلت لامير المؤمنين ع اني سمعت من سلمان والمقداد وابي ذر
شيئا من تفسير القرآن ومن الاحاديث عن نبي الله ص غير ما في ايدي الناس ثم سمعت
منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في ايدي الناس اشياء كثيرة من تفسير القرآن
ومن الاحاديث عن نبي الله ص انتم تخالفونهم فيها وتزعمون ان ذلك كله باطل افترى
الناس يكذبون على رسول الله ص متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم قال علي ع
قد سألت فافهم الجواب ان في ايدي الناس الخ في حديث طويل مشتمل على غالب
الاعتقاد الذي عليه اهل الحق والنص على واحد واحد من الائمة ع الى ان تم عهدي في هذه
الامة ثم قال والله اني لاعرفه يا سليم حيث يبايع بين الركن والمقام واعرف انصاره
وقبائلهم قال سليم بن قيس ثم لقيت الحسن والحسين ع بالمدينة بعد ما ملك معوية فحدثتهما
الحديث عن ابيهما فقالا صدقت قد حدثك امير المؤمنين بهذا الحديث ونحن جلوس
وقد حفظنا ذلك عن رسول الله ص كما حدثك فلم يزد فيه حرفا ولم ينقص منه حرفا قال

سليم

المؤمنين ع

سليم ثم لقيت علي بن الحسين ع وعنده ابنه محمد الباقر ع فحدثته بما سمعت من ابيه ومن امير
فقال ع قد اقرأني امير المؤمنين ع عن رسول الله وهو مريض وانا صبي ثم قال ابو جعفر ع
اقرأنيه عن رسول الله ص وانا صبي قال ابان بن ابي عياش فحدثت علي بن الحسين كله
عن سليم بن قيس الهلالي فقال صدق وقد جاء جابر بن عبد الله الانصاري الى ابني محمد
وهو يختلف الى الكتاب فقبله واقرأه السلام من رسول الله ص فقال ابان بن ابي عياش
فحججت بعد موت علي بن الحسين عليهما السلم ولقيت ابا جعفر ع فحدثته بهذا الحديث كله عن
سليم فاغرورقت عيناه وقال صدق سليم رحمة الله عليه وقد اتى ابي بعد قتل
جدي الحسين ع وانا عنده فحدثه بهذا الحديث بعينه وقال له ع صدقت والله يا سليم
قد حدثني بهذا الحديث ابي عن امير المؤمنين ع وهذا الحديث قد رواه ايضا محمد بن
يعقوب الكليني ره في هذا الكتاب بسنده المتصل هكذا عن علي بن ابرهيم عن ابيه عن
حماد بن عيسى عن ابرهيم عمر اليماني عن ابان بن ابي عياش عن سليم بن قيس الا انه اختصر
على بعض الحديث اكتفاء بموضع الحاجة والقول بان الذي دل فيه على فضله وحسن حاله
من باب الشهادة على نفسه خروج عن الانصاف قال سمعت امير المؤمنين عليه السلم
يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال في كلام له العلماء رجلان رجل عالم آخذ بعلمه
فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتأذون من ريح العالم
التارك لعلمه وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى الله فاستجاب له
وقبل منه فاطاع الله فادخله الله الجنة وادخل الداعي الى النار بتركه علمه واتباعه
الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول الامل ينسي الآخرة

الشرح

قوله ع العلماء رجلان اي صنفان من الرجال والمراد من العلم الذي هو داخل في المقسم
هو مطلق العلم وما يسمى علما اعم من ان يكون علما حقيقيا او علما عرفيا غير حقيقي فان
اكثر ما يسمون في عرف الناس علماء ليسوا بالحقيقة علماء وكان حاصل علومهم مجرد حفظ
الاقوال المشهورة وضبط الاحاديث والروايات او القدرة على جدال الخصوم
بايراد المقدمات الجدلية والابحاث الكلامية وكل ذلك ليس بعلم حقيقي انما العلم
بالحقيقة نور يقذفه الله في قلب المؤمن كما ورد في الخبر وذكر في مواضع من القرآن
باسامي مختلفة من الحكمة والهدى والفضل والنور وغير ذلك فالمقسم الصادق على
القسمين هو المعنى الاعم من الحقيقي والرسمي او المراد منه العلم المتعلق بالاعمال و
كيفيتها واحوالها وهو المشهور بين الناس والعالم به ان عمل بعلمه فهو ناج وان
لم يعمل به فهو هالك فالعلماء قسمان علماء الآخرة وعلماء الدنيا فالاول ناج والآخر هالك
واما العالم الحقيقي والعارف الرباني فهو خارج عن القسمين ولا يكون هالكا ابدا ولا يكون

الا ناجيا وانه بحيث اذا وقع منه زلة او ذنب يكون سريع التذكر والاستغفار لربه كثير التضرع
اليه شديد التشوق الى عالم الآخرة والرجوع الى الحق تع واما العالم الرسمي فهو ايضا ناج ان
كان قصده من علمه منحصرا في طلب الآخرة والنشأة الباقية والزلفى عند الله ومجاورة الملائكة
واما ان كان قصده من العلم الدنيا ولذاتها والجاه والشهرة فهو لا يكون الا هالكا وهو
الى السبب الخفي والوجه الخفي في ذلك قوله ع وان اهل النار يتاذون من ريح العالم
التارك لعلمه اعلم انه قد وردت في العلماء السوء اعني علماء الدنيا تشديدات عظيمة
دلت على انهم اشد الناس عذابا يوم القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة
بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة اما التي وردت من الاخبار فمنها ما في طرق اصحابنا كهذا
الحديث والتي نتلوه في هذا الباب والتي في مواضع اخرى من هذا الكتاب ومنها ما
ذكر في الكتب المشهورة فقد روي فيها عن النبي ص انه قال اشد الناس عذابا يوم
القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال ايضا العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله
على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون في آخر الزمان
عباد جهال وعلماء فساق وقال من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا
وعن اسامة بن زيد سمعت رسول الله ص يقول يؤتى بالعالم فيلقى في النار فتندلق
اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك
فيقول كنت آمرا بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه واما الوجه العقلي اللمي في كون
عذاب العالم كثوابه مضاعفا هو انه عصى عن علم وان مزاولة العلوم الفكرية والرياضات
الادبية يحرك النفوس تحريكا شديدا ويخرج ما كمن في ذواتها من الصفات والافعال
من حد القوة الى حد الفعل سواء كانت من باب الخيرات او من الشرور والنفس
اذا قويت واشتدت وخرجت من القوة الى الفعل كان تالمها وتحسرها من فوات
الملائمات اقوى وتاذيها من ادراك الموذيات ونيل المكروهات اشد بخلاف
النفوس الناقصة التي هي بعد بالقوة في باب الشر والخير كالبله والصبيان
وغيرهما من ضعفاء النفوس وساير العوام الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا فهؤلاء لقصور جواهرهم ونقصان غرايزهم اذا عذبوا لم يكن عذابهم شديدا
وكذا اذا اثيبوا لم يكن ثوابهم عظيما فهذه الاخبار تبين ان العالم الذي هو من ابناء
الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفايزين المقربين هم علماء الآخرة
وللعالم الاخروي الرباني علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه ومنها ان
لا يكون مسرعا الى الفتوى بل يكون محترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما شك
فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ومنها ان يكون اكثر اهتمامه

بعلم

بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في الحق وجهة القدس ومنها
ان يكون مؤثرا للخلوة والانقطاع عن الناس والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب
وصفاء الذكر فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة
مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على عمل الباطن ومراقبة القلب فتح الله
عليه من لطايف الحكمة والمعارف ما يحار فيه عقول ذوي الالباب ولهذا يشير ما قاله
رسول الله ص من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لا يعلم وفي بعض الكتب يا بني اسرائيل
لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر
فياتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بادب الروحانيين وتخلقوا باخلاق
الصديقين اظهروا العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم ومنها ان يكون اكثر بحثه في علم الاعمال
عما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي
من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومنها ان يكون اكثر بحثه في العلوم
النظرية عما يغيب عن المحسوسات والجسمانيات ويكون اكثر فكره في احوال الروحانيات
وعالم الملكوت واحوال الآخرة ومقاماتها واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرايب
التفريعات والاقضية والحكومات ودقايق المجادلات ويتعبون انفسهم في وضع
مسئلة فقهية غريبة لا يتفق مثلها في انقضاء الدهور وما ابعد عن السعادة من باع
مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا لقبول الخلق والتقرب اليهم على قبول
الحق والقرب من الله فرحا وسرورا بان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا
علامة بالدقايق فجزاؤه ان كانت حاله هذه ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق ثم يرد القيمة
مفلسا خاسرا متحسرا على ما يشاهده من ربح العلماء ونور المقربين وذلك هو الخسران المبين
ثم ان هذا العالم الطالب للدنيا المعرض عن الآخرة ممن يزيد حسرته وندامته في ان
يرى من تلامذته ومستمعي كلامه ووعظه من عمل بما تعلم منه واتعظ بما سمعه منه واستجاب
له فيما دعاه اليه فحسن حاله يوم الآخرة ودخل الجنة بروح وريحان وسرور ونعيم
لاجل قبوله دعوة الحق وطاعته وهو في النار بغصته وعذاب اليم ونزل من زقوم وجحيم
وتصلية جحيم بترك العمل بما علم واتباعه الهوى وطول الامل وذلك لان اتباع الهوى
والشهوات يصد النفس عن طريق الحق ويحجب القلب عن فهم المعارف اذ الشهوة
والعقل كانهما متضادان وكل من غلبت شهوته نقص عقله ومن غلب عقله انكسرت شهوته
فاعتبر بحال الملائكة والبهايم فالمتجرد للعقل كالملك والمتجرد للشهوة كالبهيمة وان
طول الامل في الدنيا يوجب نسيان الآخرة اذ الدنيا والآخرة كانتا ضرتان ان
متى ارضيت احديهما اسخطت الاخرى على انا قد اشرنا سابقا ان النشأة الآخرة نشأة

الذكر ودار المعرفة والمنسي معدوم من الناسي فكل من نسي الآخرة يكون من الهالكين وكل من جحد اشياء
من مواقعها ومقاماتها الواردة في الشريعة يكون من المعذبين **الحديث الثاني** وهو التاسع
والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن سنان عن اسماعيل بن جابر عن ابي عبد الله عليه السلام قال العلم
مقرون الى العمل فمن علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه
الشرح الهتف الصوت من باب ضرب وهتف به هتافا صاح به ودعاه وقال سمعت
هاتفا يهتف اذا كنت تسمع الصوت ولا تبصر احدا قد علمت ان العلم والعمل كالروح والجسد
يتصاحبان ويتكاملان معا وان كل مرتبة من العلم يقتضي عملا بحسبه وكل عمل يهيئا بضرب
من الحال والعلم كل ذلك اذا كانت النية صحيحة والعمل خالصا فقوله والعلم يهتف
بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه يعني ان العلم اذا عمل بما يستدعيه ويقتضيه يتقوى به
ويتكامل واذا لم يعمل بمقتضاه ومؤداه يمحي ويفنى ويزول بالكلية **الحديث الثالث**
وهو العاشر والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن علي بن محمد القاساني
اصبهاني من ولد زياد مولى عبد الله بن عباس من آل خالد بن الازهر ضعيف قال الشيخ
انه من اصحاب ابي جعفر الثاني الجواد ع ثم قال علي بن شيره بالشين المعجمة المكسورة
والياء الساكنة المنقوطة تحتها نقطتين والراء انه من اصحاب الجواد ع والذي يظهر انهما
واحد لان النجاشي قال علي بن محمد بن شيره القاساني ابو الحسن كان فقيها مكثرا من الحديث
فاضلا غمز عليه احمد بن محمد بن عيسى وذكر انه سمع منه مذاهب منكرة وليس في كتبه ما يدل
على ذلك انتهى وقال الفاضل الاسترابادي رحمه الله لم اجد قول الشيخ الا في رجال
الهادي ع هكذا علي بن شيره ثقة علي بن محمد القاساني ضعيف اصبهاني من ولد زياد مولى
عبد الله بن عباس من آل خالد بن الازهر عمن ذكره عن عبد الله بن القسم الجعفري
غير معروف عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته
عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا **الشرح** الزلل هو انتقال الجسم من مكان
الى مكان وزل اي زلق وفي صفة الصراط مدحضة مزلة وهي مفعلة من زل يزل
اذا زلق اريد انه يزلق عليه الاقدام ولا تثبت استعير هنا اعني في قوله زلت
موعظته لعدم اثر الموعظة وثباتها في قلوب المستمعين والصفا صخرة ملساء والجمع
صفي واصفا والصفوا والصفوان الحجارة والواحدة صفوانة وقوله كما يزل المطر
عن الصفا كانه شبه العلم والموعظة بالمطر وعدم تاثيره وثباته في القلوب بعدم
استقرار المطر في الحجر الاملس والسر في عدم تاثير الموعظة اذا صدرت عمن لا يوصف
بمقتضاها وهو يعمل بخلافها ان الكلام من حيث مبتدئ مصدره من القائل يلزم ان ينتهي
مورده الى مثل ذلك من السامع فان كان ابتداؤه من قلب المتكلم كان انتهى صعوده

الى قلب السامع فيتاثر منه القلب وان كان الابتداء من اللسان دون مشاركة القلب
كان الانتهاء الى ظاهر السمع فيتاثر منه الصماخ بمقارعة الهواء دون القلب فلا وقع لمثل
هذا الكلام فلا تاثير لروحانية قوية ولا الجسمانية للجسمانية **الحديث الرابع** وهو الحادي عشر
والمائة علي بن ابرهيم عن ابيه عن القسم بن محمد المنقري وهو سليمن بن داود كما ذكره
عن علي بن هاشم بن البريد ابو الحسن الزبيدي الخزاز مولاهم الكوفي من اصحاب الصادق ع
عن ابيه غير مذكور في كتب الرجال قال جاء رجل الى علي بن الحسين عليه السلام فسأله عن
مسائل فاجاب ثم عاد ليسال عن مثلها فقال علي بن الحسين عليه السلام مكتوب في الانجيل
لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا
كفرا ولم يزدد من الله الا بعدا **الشرح** قوله عن مثلها اي عن مسائل اخرى هي مثلها
في نوع العلم وقوله لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم الا وهالمية اي لا تسالوا
عن اشياء لا تعلمونها وانتم لم تعملوا بشيء مما علمتم او علمتم الى الآن واعلم ان العلوم كما مر
على قسمين فمنها ما يتعلق بالعمل ويقال له علم المعاملة وثمرتها وغايتها نفس العمل ومنها
ما لا يتعلق بعمل ولا المقصود منه شيء من الاعمال والمعاملات وهو العلم المحض والمعرفة
الخالصة ولا غاية له الا الجلايا القدسية كالعلم بذات الله وصفاته وافعاله فهذا العلم
كلما يزداد يزداد صاحبه بصيرة وفي قلبه نورا وبالحق استيناسا والى عالم الآخرة
ودار الملكوت اشتياقا وعن دار الدنيا استيحاشا واما العلم المتعلق بالاعمال
والمعاملات فليس في ازدياده واستزادته فايدة الا بقدر ما يحتاج اليه لاجل العمل
فغايته اذن انما هي نفس العمل بحسبه فاذا لم يعمل به كان وجوده في النفس لكونه
علما جزئيا متعلقا بامور جزئية جسمانية متغيرة حجابا عن الحق وزيادته والاستغراق
فيه شاغلا عن الآخرة وسدا من الرجوع الى جانب القدس والاشتغال بما سواه طول
العمر ثم تنشعب منه اثار ردية ينبعث منه عادات ممرضة للنفس مميتة للقلب فهذا
هو المراد من قوله فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا والمراد به انه
اذا وقع الاهتمام به لا على قصد العمل والاستغراق فيه **الحديث الخامس** وهو الثاني عشر
والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر عن ابي
عبد الله عليه السلام قال قلت له بم يعرف الناجي قال من كان فعله لقوله موافقا فاثبت
له الشهادة ومن لم يكن فعله لقوله موافقا فانما ذلك مستودع **الشرح** قوله فاثبت
يحتمل ان يكون بصيغة الماضي المجهول او بصيغة الامر المخاطب وفي بعض النسخ فانما له
الشهادة والمراد انه انما يعرف الناجي يوم القيمة من الهالك بان يكون قوله لفعله
موافقا او لا يكون فمن كان فعله لقوله موافقا وعمله لعلمه مطابقا فيكون ايمانه وشهادته

ثابتا مستقرا ومن لم يكن كذلك كان ايمانه مستودعا مستعارا وعليه يحمل قوله في مستقر ومستودع
فالذي ايمانه بعلم ويقين وبصيرة فذلك اثبت في قلبه من الجبال الرواسي فهو من اهل النجاة
والفوز بالدرجات بلا شك وريب وعلامته ان يعمل بمقتضاه والذي ايمانه
ليس عن بصيرة ويقين بل حصل له من افواه الرجال او من جهة التقليد او الاستحسان
فذلك لا اعتماد عليه ويزول بادنى شبهة فهو في مشية الله ان شاء سلبه عنه واهلكه
وان شاء تممه وانجاه من النار **الحديث السادس** وهو الثالث عشر والمائة عدة

من اصحابنا عن احمد بن خالد عن ابيه رفعه قال قال امير المؤمنين عليه السلم في كلام له
خطب به على المنبر ايها الناس اذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون ان
العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله بل قد رايت ان الحجة
عليه اعظم والحسرة ادوم على هذا العالم المنسلخ عن علمه منها على هذا الجاهل المتحير في جهله
وكلاهما حائر باير لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا ولا ترخصوا لانفسكم
فتدهنوا ولا تدهنوا في الحق فتخسروا وان من الحق ان تفقهوا ومن الفقه ان لا تغتروا
وان انصحكم لنفسه اطوعكم لربه واغشكم لنفسه اعصاكم لربه ومن يطع الله يامن ويستبشر
ومن يعص الله يخب ويندم **الشرح** المنبر مفعل من النبر وهو الرفع استفاق
من مرضه وسكره ويستفيق اي خلص وكذا افاق يفيق افاقة بمعناه فقوله عم لا يستفيق
عن جهله اشعار بان الجهل كالسكر والجاهل كالسكران الخفا اما قوله عم اذا علمتم فاعملوا
بما علمتم لعلكم تهتدون فالمراد كما اشرنا اليه ان العلم هو المبدأ والغاية فالانسان
اذا عمل بمقتضى علمه يؤدي عمله الى صفائه قلبه واستعد لعلم اخر فوق ما علمه اولا عدة
وشدة ثم اذا عمل بمقتضى العلم الحاصل بعد ذلك العلم الاول يحصل له استعداد اخر
ويحصل علم وانكشاف آخر وهكذا يتزايد العلم قوة وضعفا حسب تتابع الاعمال
حتى ينتهي الى الاهتداء بهدى الله وهو نور اليقين والايمان الحقيقي وذلك النور
غاية كل علم وعمل وحركة وسعي يفعله الانسان الموفق قوله عم ان العالم العامل بغيره اي
بغير علمه او بغير ما يقتضيه علمه كالجاهل الذي لا يتنبه بشيء من العلوم اصلا ولا يخرج من جهله
الساذج البسيط وهذه المساواة لان العلم الذي هو الكمال والفضل هو العلم الحقيقي
الثابت والنور العقلي المسمى في القرآن بالهدى والحكمة والفضل لا العلوم الجزئية المتعلقة
بالاعمال والافعال فهذه اذا لم يعمل بها كان وجودها كعدمها ولان مثل هذه العلوم
لتغيرها وتجددها لا تدوم يوم القيمة فتمحو وتزول فيكون حال مثل هذا العالم الذي لم يعمل
بعلمه في عدم العلم والانسلاخ عنه كحال الجاهل المتحير الذي لم يتعلم اصلا ولم يفق عن جهله
ابدا قوله عليه السلم بل رايت ان الحجة عليه اعظم والحسرة ادوم على هذا العالم المنسلخ عن العلم

منها على هذا الجاهل المتحير في جهله اما ان الحجة عليه اعظم فظاهر اذ لم يبق له مجال عذر في ترك العمل والطاعة
واتيانه المعصية واما ان الحسرة عليه ادوم فلوجهين احدهما انه يرى منازل العلماء الذين لم يخرجوا
عن العلم في الجنة ودرجاتهم في القرب منه تعالى فيشتد حسرته وندامته بادراك انه لو لم ينسلخ
عن علمه بترك العمل لكان مثلهم في النعيم والقرب وهذا بخلاف حال الجاهل المحض الذي لم
يدرك رتبة العلم قط والثاني ان النفس كلما كانت اقوى كان ادراكها للامور المولمة اشد
فان الحركات الفكرية سواء كانت في جانب الخير بمقتضى العقل الصحيح او في جانب الشر
بمقتضى الوهم الغالط تخرج بها النفس من القوة الى الفعل واما النفوس العامية فكانها
لم تخرج بعد من القوة الى الفعل في شيء من طرفي الخير والشر فلاجل ذلك يكون الحسرة والنكال
على اهل الغواية والضلال اشد وادوم منها على اهل الغباوة والجهل قوله وكلاهما
حائر باير اي كلاهما مشترك في الحيرة والجهل لان احدهما لم يكن عالما قط والثاني انسلخ
عن علمه ونسيه فصار مثله وفي البوار والهلاك يفوت الجهالة والنسيان لان عالم الاخرة
عالم الذكر والعرفان وحياتها حيوة العلم والايمان فالجاهل الناسي لا يموت فيها ولا يحيى
لانه يدرك الالام الواصلة التي هي من باب الشرور واعدام الملكات الوجودية
ولا يدرك الخيرات والابتهاجات الروحانية قوله عم لا ترتابوا فتشكوا الى كلام متين
فيه خطابات علمية ومواعظ برهانية في باب اكتساب العلم والعمل والاجتناب عن
الارتياب والمداهنة والكسل اي لا ترتابوا ولا تمكنوا الريب والشك في قلوبكم
بل ادفعوا عنكم لئلا يستقر في قلوبكم واعتادوا به فتصيروا من اهل الشك والوسواس
فتكونوا كفارا فان من غلب عليه الشكوك والوساوس يصير من اهل الكفر هذا من باب
العلم واما في باب العمل فقوله عم ولا ترخصوا لانفسكم فتدهنوا اي اعزموا على الطاعات
وترك المعاصي والمحرمات ولا تساهلوا بان ترخصوا لانفسكم في ارتكاب الشهوات
والمنكرات فتقعوا في المداهنة في امر الدين والمساهلة في باب الحق فتخسروا خسرانا
مبينا فان من الحق اللازم عليكم اولا ان تتفقهوا في الدين وتعلموا الحلال والحرام
والخير والشر ثم اعملوا بما فقهتم وافعلوا الخير واجتنبوا عن الشر حسبما علمتم ولا
تغتروا بعلمكم ولا بعملكم فان الغرور من المهلكات والمغرور بالعلم والطاعة اسوء
حالا من الجاهل والعاصي وان انصحكم لنفسه بتخليتها عن المعاصي والرذائل وتحليتها
بالعلوم والفضائل اطوعكم لربه وان اغشكم لنفسه باهمالها عن الطهارة والعلم وارسالها
في مرعى الشهوات وهوى الجهالات لان الرب تعالى غني عما سواه وانما الغاية في الامر
بالطاعة والعبودية اصلاح النفوس واكمالها وتخليصها عن النقايص والشرور و
الظلمات قوله عم ومن يطع الله يامن الى اخره لما اشار عم الى ان مدار الطاعة والعصيان

على نفع النفس والغش لها عقب ذلك بان من يطع الله ينصح نفسه ويجردها عن التعلقات و
تطهيرها عن الرذايل وتنويرها بالفضايل يأمن من العذاب ويستبشر بالمثوبات والمشاهدات
ومن يعص الله يغش نفسه ويلطخها بالشهوات وارسالها في هوى الجهالات يخسر خسران نفسه
ويندم على تفويت الفرصة وتضييع العمر واكتساب السيئات واقتراف الخطيئات الحديث السابع
وهو الرابع عشر والماية عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه عمن ذكره عن محمد بن عبد الرحمن
ابن ابي ليلى الانصاري القاضي الكوفي مات سنة ثمان واربعين ومائة من اصحاب الصادق ع
روى ابن عقدة عن عبد الله بن ابراهيم بن قتيبة عن ابن نمير وسئل عن ابي ليلى فقال كان صدوقا
مامونا ولكنه سيء الحفظ جدا وهذه الرواية لا توجب تعديلا صحه عن ابيه عبد الرحمن بن ابي
ليلى الانصاري من اصحاب امير المؤمنين ع كونه ضربه الحجاج حتى اسود كتفاه على ما ثبت عنه ع
صه وفي الكشي يعقوب بن شيبة قال حدثنا خالد بن ابي يزيد العرني قال حدثنا ابن شهاب
عن الاعمش قال رأيت عبد الرحمن بن ابي ليلى وقد ضربه الحجاج حتى اسود كتفاه ثم اقامه للناس
فجعل يقول العن الكذابين عليا وابن الزبير والمختار قال ابن شهاب اصحاب العربية
يقولون سمعك بعلم ما تقول لقوله عليا اي ابتدأ الكلام قال سمعت ابا جعفر عليه السلم
يقول اذا سمعتم العلم فاستعملوه ولتتسع قلوبكم فان العلم اذا كثر في قلب رجل لا يحتمله
قدر الشيطان عليه فاذا خاصمكم الشيطان فاقبلوا عليه بما تعرفون فان كيد الشيطان كان
ضعيفا فقلت وما الذي نعرفه قال خاصموه بما ظهر لكم من قدرة الله الشرح قوله ع
اذا سمعتم العلم فاستعملوه اي اعملوا بما تعلمتم وليكن اهتمامكم بالعمل لا بكثرة السماع والحفظ
وقوله ولتتسع قلوبكم اي ينبغي ان لا تكثروا من العلم على قدر تضيق قلوبكم عن احتماله وتضعف
عن الاحاطة وهذا كما قاله اهل التصوف واصحاب الاحوال لمريديهم ولتكن انت متكلما
عليك ونحن نرى كثيرا من مزاولي العلم يفوت منهم كثير من الفضايل والخيرات ويضيق
قلوبهم عن التحلي بساير محاسن الاخلاق لعدة مسايل تلقفوها وبحثوا عنها فيجب ان يكون
طلب الرجل العلم متسع المجال لا يشغله كثرة العلم عن فعل الخير وطاعة المعبود فان القلب
اذا ضاق عن قبول الحق وضعف يتسلط عليه الشيطان بالوسواس والاغواء والكيد ثم اشار
بقوله ع فان العلم اذا كثر في قلب رجل لا يحتمله قدر الشيطان عليه ثم اذا كان لقايل
ان يقول فماذا نخاصم الشيطان اذا كانت كثرة العلم سبب اقتدار الشيطان واستيلائه
علينا اشار الى الجواب بقوله ع فاذا خاصمكم الشيطان فاقبلوا عليه بما تعرفون يعني اذ
المعرفة يكفي لدفع كيد الشيطان لان كيده ضعيف ثم اشار الى هذه المعرفة التي تكفي لمخاصمة
الشيطان ودفع شره وكيده وهي معرفة ما ظهر من قدرة الله تعالى على كل الاشياء فيقدر
على انشاء النشأة الاخرى فيثيب المطيع ويعاقب العاصي فهذا القدر من المعرفة كاف اولى

لان ينبعث به العبد على فعل الطاعات وترك السيئات ثم كلما ازداد علما وسعيا في طلب الآخرة
ازداد يقينا وانكشافا وبصيرة فظهر ان العلم الممدوح في الكتاب والسنة الذي هو غاية كل علم
وعمل ليس عبارة عن كثرة المسايل والادراكات التصورية والتصديقية وانما هو نور وضياء
في القلب يحصل عقيب الرياضات العملية والفكرية مع اخلاص النية وصدق العمل وقوة
التقوى باب المستأكل بعلمه والمباهي به وهو الباب الخامس عشر من كتاب
العقل والعلم وفيه ثلثة احاديث الحديث الاول وهو الخامس عشر والماية محمد بن يحيى
عن احمد بن محمد بن عيسى وعلي بن ابراهيم عن ابيه جميعا عن حماد بن عيسى عن عمر بن اذينة عن ابان بن
ابي عياش عن سليم بن قيس قال سمعت امير المؤمنين عليه السلم يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على
ما احل الله له سلم ومن تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم
من اهله وعمل بعلمه نجا ومن اراد به الدنيا فهي حظه الشرح النهمة بالفتح الشهوة والحاجة
وقيل النهمة بلوغ الهمة في الامر وقد نهم بكذا فهو منهوم اي مولع به ونهم بهيما من باب ضرب
زجره ونهم من باب لبس تناهى افراط الشهوة في الطعام اعلم ان اهل الطلب في الناس
صنفان طالب الدنيا المزاولون لاعمالها كالتجار والصناع وارباب الحرف وطالب العلم
المزاولون لتحصيله المباشرون للبحث والتكرار والتعليم والتعلم وكل منهما اما حريص
في شانه كالمنهوم في شهوة الطعام الذي لا يشبع واما مقتصد في امره قانع بما رزقه الله
غير حريص فاشار ع الى ان الحريص من كل منهما هالك والمقتصد ناج فخرج من الجميع اقسام
اربعة اثنان سالمان واثنان هالكان والفاظ الحديث واضحة غنية عن الشرح وقد
سبق ان العلم الذي لا اكثار منه مذموم غير العلم الذي كلما ازداد كان افضل وانور
الحديث الثاني وهو السادس عشر والماية الحسين بن محمد بن عامر بن عمران
ان هذا بعينه الحسين بن محمد بن عمران بن ابي بكر الذي مر ذكره في سند الحديث
العشرين كما نبه عليه بعض علماء الرجال وهو شيخ محمد بن يعقوب مصنف هذا الكتاب
كما يفهم من كتاب النجاشي عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن احمد بن عائذ عن ابي
خديجة اسمه سالم بن مكرم ومكرم يكنى ابا سلمة قال الشيخ الطوسي ره انه ضعيف وقال
في موضع آخر انه ثقة وروى الكشي عن محمد بن مسعود قال سألت ابا الحسن ع عن اسم ابي
خديجة فقال سالم بن مكرم فقلت له ثقة فقال صالح وكان من اهل الكوفة وكان جمالا ذكر انه
حمل ابا عبد الله ع من مكة الى المدينة قال اخبرنا عبد الرحمن بن ابي هاشم عن ابي خديجة
قال قال ابو عبد الله ع لا تكنى بابي خديجة قلت فبم اكتني قال بابي سلمة قال الكشي وكان
سالم من اصحاب ابي الخطاب وقال النجاشي انه ثقة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن ع

والوجه عندي التوقف فيما يرويه لتعارض الاقوال فيه وقال الكشي بعد قوله كان سالم من اصحاب
ابي الخطاب وكان في المسجد يوم بعث عيسى بن موسى بن علي وكان عامل المنصور على الكوفة الى ابي
الخطاب لما بلغه انهم قد اظهروا الاباحات ودعوا الناس الى نبوة ابي الخطاب وانهم يجتمعون
في المسجد ولزموا الاساطين يرون الناس انهم قد لزموها للعبادة وبعث اليهم فقتلهم جميعا لم يفلت
منهم الا رجل واحد فسقط بين القتلى يعد فيهم فلما جنه الليل خرج من بينهم فتخلص وهو ابو سلمة سالم
ابن مكرم الجمال الملقب بابي خديجة فذكر بعد ذلك انه تاب وكان ممن يروي الحديث عن ابي عبد الله
عليه السلم قال من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ومن اراد به الآخرة اعطاه
الله خير الدنيا والآخرة **الشرح** اما وجه الاول فانه جعل الدين طريقا الى الدنيا والدنيا
غاية له ومقصودا وطلب الدنيا بعمل الدين واستخدم عقله للشهوات ومن كانت غاية سعيه
وعمله ومنتهى قصده ونيته الدنيا والشهوات وهي امور فانية باطلة فلم يكن له في الآخرة الا
النار واعلم ان هذا اسوء حالا من ساير طلبة الدنيا لانهم طلبوا الدنيا بالدنيا وطلبوا الجسمانيات
والمحسوسات بالاعضاء والحواس وهذا الرجل الذي تعلم الحديث لمنفعة الدنيا طلب هذه
المنشور الكثيفة الحسية بلب ذاته ولطيف جوهره وعقله فهو ممن يجعل مادة عقله مصورة
بصورة الشهوات الفانية والاماني الباطلة فيتعذب في الآخرة عذابا اليما بخلاف
عامة اهل الدنيا حيث لم يجمعوا بين المتضادين ولم يتعبوا بين المتجاذبين المتفاسدين واما
وجه الثاني فانه لما قصد الآخرة وسعى لها سعيها حصلت لنفسه ملكة فاضلة وتصورت ذاته
بصورة الآخرة وصورة العلم والعرفان كان في الآخرة سعيدا مقربا وفي الدنيا عزيزا
مكرما **الحديث الثالث** وهو السابع عشر والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه عن القسم بن محمد المنقري
عن حفص بن غياث عن ابي عبد الله عليه السلم قال اذا رايتم العالم محبا لدنياه فاتهموه
على دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما احب وقال عليه السلم اوحى الله الى داود عليه السلم
لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فان اولئك قطاع
طريق عبادي المريدين ان ادنى ما انا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم
الشرح اتهمت فلانا بكذا اي توهمته كذا والاسم التهمة بالتحريك والمراد بقوله عليه السلم
فاتهموه على دينكم اي اعتقدوه متهما على هذا الدين ليس على حقيقة فيه وذلك لان حب الدين
وحب الدنيا لا يجتمعان في قلب واحد وحاط يحوط حوطا وحياطة اذا حفظه وصانه وذب
عن مصالحه وفي حديث العباس قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك يعني ابا طالب
فانه كان يحوطك ويغضب لك والنجوى السر بين اثنين يقال نجوته نجوا وناجيته اي
ساررته وانتجيته اي خصصته بمناجاتك وحاصل الكلام ان العالم المحب للدنيا
ليس بعالم بالحقيقة ولا متدين بل جاهل غاو وضال ومغو مضل صاد عن طريق محبة الله

وشوق

وشوق الآخرة وهذا انتقم الله منه في الدنيا وهو اوفى اشتغاله حيث نزع عن قلبه لذيذ مكالمة
العقلية وهي عبارة عن الاعلامات الحكمية والالهامات العلمية التي كانت قابلة لها في
اوايل فطرته ومبادي حاله قبل ان تتدنس قريحته وطبع على قلبه كما في قوله تعالى فطبع على قلوبهم
الحديث الرابع وهو الثامن عشر والمائة علي عن ابيه عن النوفلي عن السكوني عن ابي عبد الله
عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الفقهاء امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا
قيل يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا قال اتباع السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم
على دينكم **الشرح** قيل العلماء ثلثة اما مسعد نفسه وغيره واما مهلك نفسه وغيره واما
مهلك نفسه مسعد غيره اما الاول فهم الداعون الى الله المعرضون عن الدنيا ظاهرا وباطنا
واما الثاني فهم المصرحون لطلب الدنيا والمقبلون عليها صريحا وهم اتباع السلاطين لان
الوصول الى الثروة والمال والجاه والترفع على الامثال لا يحصل الا باتباعهم والخلطة بهم
واما الثالث وهو الذي يدعو الناس الى الآخرة ونصب نفسه في مقام الوعظ والتذكير
والامامة وقد رفض الدنيا في الظاهر وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه وربما
لكن في باطنه باعث الهوى فيما هو بصدده من دعوة الخلق وارشادهم وهو بحيث لا يدري
ذلك وزعم ان باعثه الدين وداعيه ثواب الآخرة في الارشاد والتعليم ومثله مسخرة
الشيطان في تمام عمره وغاية امره ان يحرق نفسه ويضيء غيره **الحديث الخامس** وهو التاسع
عشر والمائة محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبد الله
عمن حدثه عن ابي جعفر عليه السلم قال من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف
وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح الا لاهلها **الشرح**
المباهاة التفاخر وتباهوا تفاخروا والمراء بالكسر الجدال والتماري والمماراة المجادلة
في الحديث لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر وباء يبوء بوءا اذا رجع والباءة المباءة
وهي الموضع الذي يتبوء اليه الابل هذا اصلها ثم جعلت عبارة عن المنزل مطلقا وتبوء
من كذا اي تتخذه منزلا ويقال بوأه الله منزلا اي اسكنه اياه فقوله فليتبوأ مقعده
من النار اي لينزل منزله من النار ومقعده منصوب لكونه مفعولا له لا لكونه مفعولا به
لان فعله لازم والمعنى ان من طلب العلم لغرض من اغراض النفس ولمنفعة الدنيا
فهو من اهل النار وانما ذكر منها هذه الثلثة لان علماء الدنيا الذين يطلبون العلم
لا للعمل به ولا للكشف عن وجوه الحقايق تقربا اليه تعالى انما تدور اغراضهم حول احد
هذه الامور اما المباهاة والافتخار بالعلم على العلماء والامثال واما المماراة والمجادلة
مع السفهاء لاظهار القدرة والغلبة عليهم في البحث عند العامة ليقولوا فلان رجل
منطيق فايق في البحث وفي ذلك لذة نفسانية واما لطلب الرياسة وصرف وجوه

النفس اليه لما في ذلك من نيل كل لذة دنيوية من الجاه والعزة والمال والثروة ولذلك نبه
على خطر امر الرياسة وعظم آفتها بانها لا يصلح الا لاهلها وهم الكاملون في قوتي العلم والعمل
الجالسون في الحد المشترك بين العالمين الجامعون بين الحق والخلق من النفوس القدسية
التي لا يشغلهم شان عن شان كما في قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

باب لزوم الحجة على العالم وتشديد الامر عليه وهو الباب السادس عشر

من كتاب العقل والعلم وفيه اربعة احاديث **الحديث الاول** وهو العشرون والمائة
علي بن ابرهيم عن ابيه عن القسم بن محمد عن المنقري عن حفص بن غياث عن ابي عبد الله عليه السلم
قال قال يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد **الشرح**
قد سبق منشأ هذا الحكم وليس الوجه كما زعمه اكثر الناس قياسا من فعل الله في المغفرة
والعقوبة على فعل الناس القادرين على العقوبة لواحد والعفو عنه فراوا انهم لا يواخذون
للطفل والغافل والساهي على ذنوبهم وجرائمهم ويواخذون العقلاء على معاصيهم طلبا
للتشفي والانتقام ودفعا لما يعتريهم من اشتعال الغضب بثوران دم القلب وليس
غضب الله من هذا الباب تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانما هي نتايج افعال واقوال ونيات
حسنة وسيئات بل الوجه كما مر ان اللذات والالام من باب الادراكات فكلما قوى
الادراك لقوة النفس كان الالم ومقابله اشد ومن ثم كان من النفوس ما هي بعيد
بالقوة كنفوس ضرب من العوام ومنها ما حصلت له ملكة الشوق الى الكمال بما يناسب
الاخروي فاذا نزع عنه او اشتغل بما هو ضده من الدواعي الحيوانية الباطلة كان له
في الآخرة عذاب اليم **الحديث الثاني** وهو الحادي والعشرون والمائة وبهذا الاسناد
قال قال ابو عبد الله عليه السلم قال عيسى بن مريم ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار
الشرح اصله تتلظى حذفت احدى التائين للتخفيف اي تلتهب وتضطرم ولظى
اسم من اسماء النار لا ينصرف للعلمية والتانيث **الحديث الثالث** وهو الثاني والعشرون
والمائة علي بن ابرهيم عن ابيه ومحمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان جميعا عن ابن
ابي عمير عن جميل بن دراج قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول اذا بلغت النفس
هاهنا واشار بيده الى حلقه لم يكن للعالم توبة ثم قرا انما التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة **الشرح** النفس بالتحريك واحد الانفاس وهو ما يخرج من الحي حال
التنفس وكل ذي رية يتنفس ودواب الماء لا نفس لها ونفس الصبح تبلج واما
قوله ص اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن فقيل عنى به الانصار لان الله نفس بهم
الكرب عن المؤمنين وهم يمانون لانهم من الازد وهو مستعار من نفس الهواء الذي
يرده التنفس الى الجوف فيبرد من حرارته ويعدلها او من نفس الريح الذي يتنسمه

فيستروح

فيستروح اليه يقال انت في نفس من امرك ومن عمرك اي في سعة ووقت بلوغ النفس
الى الحلقوم هو عندما يغرغر النفس وهو اول وقت الاحتضار ومعاينة الغيب وقبل المعاينة
وان كان متصلا بها يكون التوبة مقبولة لقوله ص ان الله يقبل التوبة ما لم يغرغر واما عند
المعاينة وبعدها فلا تاثير للتوبة والندم فقوله ص اذا بلغت النفس الى هاهنا المراد به الوقت
القريب منه المتصل به والوجه في صحة توبة الجاهل دون العالم ان ذنوب العالم باطنية
وصفات قلبية وملكات ردية نفسانية لا يمكن محوها عن النفس دفعة وفي اقل زمان
بل لا بد من مرور زمان حتى تبدل سيئاته الى الحسنات بخلاف معاصي الجهال الناشئين
فانها من الاعمال البدنية والاحوال النفسانية الخارجة عن صميم القلب وباطن الروح
فيمكن محوها في لحظة وقوله تعالى انما التوبة على الله اي قبول التوبة كالامر المحتوم على الله بمقتضى
وعده وهو من تاب عليه اذا قبل توبته وهو مبتدا وخبره قوله للذين يعملون السوء
بجهالة حال عن الضمير في الظرف او الخبر للذين يعملون وعلى الله حال من محذوف تقديره
انما التوبة اذا كانت على الله والعامل فيه اذا للذين يعملون وكانت تامة وصاحب
الحال ضمير الفاعل وهذا النحو كقولك هذا بسرا اطيب منه رطبا وقوله بجهالة اما في
موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين او منصوب المحل على التمييز اي متلبسين بها سفها
وجهالة فان ارتكاب المعصية سفه وتجاهل ولذا قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع
من جهالته وقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية المراد من هؤلاء هم
البالغون في المعصية المتعمدون فيه ولهذا سوى الله تعالى بين من سوف التوبة الى حين
حضور الموت من الفسقة وبين من مات على الكفر في نفي التوبة ولهذا قيل المراد بالذين
يعملون السوء عصاة المسلمين وبالذين يعملون السيئات المنافقون **الحديث الرابع**
وهو الثالث والعشرون والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد
ابن حماد بن مهران الاهوازي مولى علي بن الحسين عليهما السلم ثقة جليل القدر روى
عن الرضا وعن ابي جعفر الثاني وابي الحسن الثالث عليهم السلم اصله كوفي واشتغل
مع اخيه الحسن الى الاهواز ثم تحول الى قم فنزل على الحسن بن ابان وتوفي بقم
عن النضر بن سويد الصيرفي من اصحاب الكاظم ع كوفي ثقة صحيح الحديث انتقل الى بغداد
له كتاب عنه في النجاشي روى عنه عيسى بن عبيد وفي الفهرست عنه ابو عبد الله البرقي
والحسين بن سعيد عن يحيى الحلبي عن ابي سعيد المكاري اسمه هاشم بن حيان روى
عن ابي عبد الله ع له كتاب عنه جماعة منهم القسم بن اسمعيل عن ابي بصير عن ابي
جعفر عليه السلم في قول الله عز وجل فكبكبوا فيها هم والغاوون قال هم قوم وصفوا
عدلا بالسنتهم ثم خالفوه الى غيره **الشرح** كبه على وجهه صرعه فاكب هو على وجهه

وهذا من النوادر ان يقال افعلت انا وفعلت غيري وكب الله عدو المسلمين ولا يقال اكب و
كب الا انا قلبه من باب طلب ولكبكبوا اي كبوا والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على
التكرير في المعنى والغي الضلال والخيبة الخ وقد غوى من باب ضرب غيا وغواية فهو غاو و
الغاوون جمعه وقوله فكبكبوا فيها هم والغاوون قال اهل التفسير اي الالهة والكفرة وبانما
ضمير جمع العقلاء بخلاف قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فيجوز كون ما تعبدون
اصناما الهة والذي ذكره ع والانسب ان يكون المراد بضمير الجمع العلماء السوء الذين
لم يعملوا بعلمهم ووصفوا عدلا اي عادلا او صفة عدالة بالسنتهم ثم لم يعملوا بموجب ما وصفوا
وخالفوه معرضا عنه الى غيره فضلت وغوت اتباعهم ومقلديهم بما راوا منهم وصنيعهم
هذا الصنيع ويؤيد ذلك قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله واعلم
انه قد وردت في العلماء السوء اي علماء الدنيا الراغبين في مالها وجاهها تشديدات
غليظة وشكايات كثيرة يتبين منها انهم اقبح حالا واشد عذابا يوم القيمة وقد اشرنا الى
لمية ذلك وهو انهم في الحقيقة ليسوا بعلماء انما هم ظاهرون متشبهون بالعلماء في حفظهم المنقولات
ونقلهم الروايات والاحاديث والحكايات فما يعده الجمهور علماء وحالا والا فلا ينفك
العلم عن مقتضاه قال عيسى ع كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل
على دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به قال صالح بن
حيان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وقد ورد
في هذا الباب من غير طريق اصحابنا الاماميين هو ما روى ابو الدرداء انه ص قال
اوحى الله الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا
بعمل الآخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من
العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزؤون لاتيحن لهم فتنة تذر الحكيم حيرانا
وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبي ص انه قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله
علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان
الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى سيدا شريفا حتى يرافق
المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى
به ثمنا قليلا فذلك يأتي به يوم القيمة ملجما بلجام من نار وينادي مناد على رؤوس الخلائق
هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى
به ثمنا قليلا يعذب حتى يفرغ الله من حساب الخلق واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم
موسى ص فجعل يقول حدثني موسى ع حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى اثرى
وكثر ماله ففقده موسى ع فجعل يسأل عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده

خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب
اسألك ان ترده الى حاله حتى اسأله فيم اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني
به آدم ومن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين
واغلظ من هذا ما ورد عن معاذ بن جبل ان رسول الله ص قال من فتنة العالم ان يكون
الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ
وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد في غيره فذلك في الدرك
الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شيء من علمه او تهون
بشيء من علمه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه
لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة اهلا له فذلك في الدرك الثالث من النار
ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا ويفتي بالخطأ والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك
الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك
الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك
السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان
وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار وفي الخبر ان العبد لينشر له من الثناء
ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وعنه ص العلماء امناء
الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل
فاحذروهم وقال ص شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون
العلماء وعنه ص سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن
كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله فقيل افلا نقتلهم قال لا ما صلوا
وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم
على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه
الا القراء الزوار للملوك **باب** **النوادر** وهو الباب السابع عشر
من كتاب العقل والعلم وفيه خمسة عشر حديثا **الحديث الاول** وهو الرابع والعشرون
والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن حفص بن البختري بالخاء المعجمة بعد الباء
المنقطة تحتها نقطة مفتوحة بغدادي اصله كوفي ثقة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن ع
ذكره ابو العباس وانما كان بينه وبين آل اعين نبوة فغمزوا عليه بلعب الشطرنج
رفعه قال كان امير المؤمنين عليه السلم يقول روحوا انفسكم ببديع الحكمة فانها
تكل كما تكل الابدان **الشرح** الروح والراحة من الاستراحة واراح الرجل
رجعت اليه نفسه بعد الاعياء وراحت يده بكذا اذا خفت له والكلال الضعف

والشغل اعلم ان البدن في عالم الطبيعة مثال للنفس في عالم المعاد وكما ان البدن يحتاج الى
اغذية وادوية يناسبها فكذا النفس تحتاج الى اغذية وادوية يناسبها من العلوم وكما ان
البدن قد يعتريه كلال وثقل ثم يرجع الى قوته وراحته بتناول شيء من المقويات والمفرحات
فكذا النفس قد يعرض لها كسالة وقبض ثم تتروح وتنتعش بسماع خبر او حكاية لما فيه نوع
او لذة اما النفوس العامية فهي تستريح بامور فيها اغراض دنيوية ولذات حيوانية
ولكن النفوس الفاضلة التي من شانها ادراك المقاصد العالية والمطالب العقلية
لا يفرحون الا بذكر الله ولا يتلذذون الا بالمعارف الالهية فهذا الخطاب منه سلام الله عليه
كانه انما وقع لخواص اصحابه وتلامذته مثل كميل بن زياد النخعي وابن عباس ونحوهما
والا فكثير من الناس من مزاولة الكتب والكلام نراهم تشمئز قلوبهم وتكل نفوسهم من
استماع بدايع الحكم وطرايف العرفان **الحديث الثاني** وهو الخامس والعشرون والمائة
عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن نوح بن شعيب النيسابوري الذي ذكره في كتب الرجال
نوح بن شعيب البغدادي من اصحاب ابي جعفر الثاني عليه السلام ذكر الفضل بن شاذان انه كان
فقيها صالحا وفي رجال الشيخ عالما صالحا مرضيا وقيل انه نوح بن صالح عن عبيد الله بن
عبد الله الدهقان الواسطي عن درست بن ابي منصور عن عروة بن اخي شعيب العقرقوفي
عن شعيب العقرقوفي ابو يعقوب ابن اخت ابي بصير يحيى بن القاسم روى عن ابي
عبد الله وابي الحسن عليهما السلام ثقة عن ابي بصير قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام
يقول كان امير المؤمنين عليه السلام يقول يا طالب العلم ان العلم ذو فضائل كثيرة فراسه
التواضع وعينه البراءة من الحسد واذنه الفهم ولسانه الصدق وحفظه الفحص
وقلبه حسن النية وعقله معرفة الاشياء والامور ويده الرحمة ورجله زيارة العلماء
وهمته السلامة وحكمته الورع ومستقره النجاة وقائده العافية ومركبه الوفاء
وسلاحه لين الكلمة وسيفه الرضا وقوسه المداراة وجيشه محاورة العلماء وماله
الادب وذخيرته اجتناب الذنوب وزاده المعروف وماواه الموادعة
ودليله الهدى ورفيقه محبة الاخيار **الشرح** كانه عليه السلام حاول التشبيه لطالب
العلم على ان العلم لا يحصل الا لمن له هذه الفضائل والحسنات فشبه العلم بشخص كامل
روحاني له اعضاء وقوى كلها روحانية بعضها ظاهرة وبعضها باطنة فالظاهرة كالراس
والعين والاذن واللسان واليد والرجل والباطنة كالحفظ والقلب والعقل
والهمة والحكمة وله مستقر روحاني وقائد روحاني وله مركب روحاني وسلاح وسيف
وقوس وجيش ومال وذخيرة وزاد وماوى ودليل ورفيق كلها روحانية معنوية
فاستعار هذه الالفاظ الموضوعة في اللغة لهذه المحسوسات لاجل تلك الفضائل

ترشيحا

ترشيحا او تمثيلا كل لما يشابهه او لما يناسبه من جهة او لما هو غاية له فجعل الراس الذي هو موضع
الكبر والنخوة للتواضع لان الاصل والمبدا في تحصيل العلم التواضع والمذلة وترك العلو
والافتخار والعين التي هي آلة التجسس وطلب المشتهيات للبراءة والتعفف وجعل
الاذن للفهم لانه غايتها واللسان للصدق لانه غايته وكذا القياس في اكثر المذكورات
فمن اجتمعت في ذاته هذه الفضائل فهو عالم رباني بالحقيقة ومن اتصف باضدادها او باضداد
اكثرها فهو جاهل مردود الى دار الجحيم وما بين المرتبتين منازل ومراتب لا تحصى ونال كل احد
من المتردد بينهما ما هو الغالب عليه من المحاسن والمساوي والعلم عند الله وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت **الحديث الثالث** وهو السادس
والعشرون والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن احمد بن محمد بن ابي نصر زيد مولى السكوني
ابو جعفر وقيل ابو علي المعروف بالبزنطي كوفي لقي الرضا عليه السلام وكان عظيم المنزلة عنده ثقة جليل القدر
صه وفيها ايضا وفي الكشي وكان له اختصاص بابي الحسن الرضا عليه السلام وابي جعفر عليه السلام اجمع اصحابنا
على تصحيح ما يصح عنه واقروا له بالفقه وفي النجاشي لقي الرضا والجواد عليهما السلام وكان عظيم
المنزلة عندهما وفي الفهرست روى عنه احمد بن محمد بن عيسى ومحمد بن الحسين بن ابي الخطاب
ومحمد بن عبد الحميد وفي الخلاصة والنجاشي انه مات رحمه الله سنة احدى وعشرين ومائتين
بعد وفاة حسن بن علي بن فضال قيل وفيهما ان حسن بن فضال مات سنة اربع وعشرين
ومائتين وعلى هذا فقبل وفاة الحسن بثلاث سنين والظاهر ان هذا النسبة وفاة ابن محبوب
لا وفاة ابن فضال او بالعكس عن حماد بن عثمن عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله نعم وزير الايمان العلم ونعم وزير العلم الحلم ونعم وزير
الحلم الرفق ونعم وزير الرفق العبرة وفي نسخة الصبر **الشرح** نعم وبئس فعلان
ماضيان لا يتصرفان تصرف الافعال لانهما استعملا للحال بمعنى الماضي فنعم مدح و
بئس ذم وفيهما اربع لغات فتح العين وسكونها وكل منهما مع فتح الفاء وكسرها فاذا
قلت نعم الرجل زيد فالرجل فاعل نعم وزيد اما مبتدا قدم عليه خبره او خبر مبتدا
محذوف تقديره هو زيد واذا قلت نعم رجلا زيد فاضمرت في نعم الرجل بالالف
واللام ويراد تعريف الجنس لا تعريف العهد او نكرة منصوبة ولا يليها علم ولا غيره ولا
يتصل بها الضمير فلا يقول نعم زيد ولا الزيدون نعموا وتقول نعم المراة هند ونعمت
المراة هند وقد يحذف المخصوص بالمدح كما في قوله تعالى نعم العبد وبئس المصير والوزير
الموازر كالاكيل لانه يحمل عنه وزره اي ثقله وقد استوزر فلان وهو يوازر الامير
واطلق الوزير هنا بمعنى تسمية اللازم الاعم باسم الملزوم الاخص او استعير من
باب التشبيه استعارة مصرحة لتشبيه الايمان بالسلطان والعلم بوزيره وكذلك

في البواقي واعلم ان المراد بالايمان ههنا هو النور القلبي والعقل الاجمالي الذي به يدرك
الحقايق ويفعل الخيرات وبالعلم التصور الادراكية التفصيلية التي بتكررها يشتد قوة الايمان
وباقي الحديث غني عن الشرح الحديث الرابع وهو السابع والعشرون والمائة علي بن محمد
عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الاشعري هو جعفر بن محمد بن عبيد الله يروي عن ابن القداح
كثيرا كما مر ذكره عن عبد الله بن ميمون القداح عن ابي عبد الله عليه السلم عن آبائه عليهم السلم
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ما العلم فقال الانصات
قال ثم مه قال الاستماع قال ثم مه قال الحفظ قال ثم مه قال العمل به قال ثم مه يا رسول الله
قال نشره الشرح عرف صلى الله عليه وآله العلم بهذه الامور الخمسة من باب تعريف
الشيء بلواحقه اللازمة وباسبابه وغاياته فعلته حصول العلم في احد كونه خمسة وسبب
حدوثه الاستماع من المعلم خارجا كان او داخليا بالاذن الحسي او الاذن العقلي كما للانبياء
والاولياء عليهم السلم وسبب بقائه حفظه والعمل بموجبه وغايته المتفرعة عليه في الدنيا
نشره واما غايته الذاتية فالتقرب الى الله وملكوته الحديث الخامس وهو الثامن
والعشرون والمائة علي بن ابرهيم رفعه الى ابي عبد الله عليه السلم قال طلبة العلم ثلثة
فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل
وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض للمقال في اندية
الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه
وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله
من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا
خبره وقطع من آثار العلماء اثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك
في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شانه عارفا
باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله من هذا اركانه واعطاه يوم القيمة
امانه الشرح انقسام طلاب العلم الى هذه الاقسام الثلثة انما يعلم بالاستقراء ولا وجه
ان يقال الداعي لهم اما طلب الدنيا او طلب الآخرة وطلب الدنيا اما لغرض التفوق
والجاه او لغرض المال والثروة فبحسب كل واحد من الغايات يحصل قسم واحد فيحصل
اقسام ثلثة بحسب الغاية او يقال مبدأ الفعل والتحصيل اما مبدأ عقلي او مبدأ نفساني
حيواني والمبدأ النفساني ينقسم الى ما الغالب عليه اما قوة غضبية سبعية او قوة
شهوية بهيمية فيحصل اقسام ثلثة بحسب المبدأ لكن قد يتركب بعض هذه الدواعي والاغراض مع
بعض بحيث يعسر التميز ههنا في الافراد الا لمن له مكاشفة القلوب والبواطن فيعلم في
كل واحد من الطلبة منشأ ما يصدر عنه من الافعال والاقوال وغرضه ودواعيه اذا تقرر

هذا

هذا فلنرجع الى معاني الالفاظ قوله ع فاعرفوهم باعيانهم وصفاتهم اي بذواتهم الشخصية و
نعوتهم الكلية اذ يمكن معرفة الاشخاص التي تحت كل صنف من حيث هي كذلك من جهة الاوصاف
والعلامات التي لذلك الصنف قوله ع صنف يطلبه للجهل المراد به ليس عدم العلم مطلقا
ليلزم تحصيل الحاصل بل المراد مثل الانفة والغضب والشتم ونحوها الذي يصدر من
اهل الجاهلية وفي الحديث ولكن استجهلته الجفاء اي حملته على الجهل وفيه ان من العلم جهلا
قيل هو ان يتكلف العالم القول فيما لا يعلمه فيجهله ذلك وفيه انك امرء فيك جاهلية
قيل وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الاسلام من الجهل بالله ورسوله وباليوم
الآخر والمفاخرة بالانساب والكبر والتجبر قوله ع للاستطالة والختل طال عليه واستطال
وتطاول اذا علاه وترفع عليه وختله وخاتله اذا خدعه ومنه قولهم اختل من ذيب
والتخاتل التخادع قوله ع للفقه والعقل لعله اراد بالاول معرفة الاشيا كما هي
وبالثاني التخلق بالاخلاق الحسنة او العقل العملي او ملكة العلوم المتعلقة بالاعمال او
اراد بالاول العلوم الكلية التصورية والتصديقية وبالثاني الملكة التامة العلمية التي
تحصل عقيب المعقولات والافكار الكثيرة التي يقال لها العقل الاجمالي والعقل البسيط
عند طائفة قوله ع فصاحب الجهل موذ ممار لخبث باطنه وسبعيته مع قدرته على التكلم
فيؤذي الخلق بلسانه كما يؤذي السباع والحيات بالاظفار والانياب ويماري مع امثاله
من السفهاء قوله ع متعرض للمقال في اندية الرجال لان غرضه اظهار التفوق والغلبة
في البحث والجدال وانما يحصل ذلك في المجامع والاندية وهي جمع النادي وهو
مجلس القوم ومتحدثهم ويقال له الندي على فعيل والندوة والمنتدى ايضا ماداموا
يندون اليه اي يجتمعون فاذا تفرقوا فليس بندي ومنه سميت دار الندوة بمكة
التي بناها قصي لان قريشا كانوا يجتمعون فيها للمشورة ثم صار مثلا لكل دار يرجع
اليها ويجتمع فيها وقوله تع فليدع ناديه يريد عشيرته وانما هم اهل النادي كما يقال
تقوض المجلس قوله ع بتذاكر العلم وصفة الحلم الجار متعلق بقوله للمقال وقوله قد تسربل
بالخشوع وتخلى من الورع تفعل من السربال وهو القميص اي اظهر الخشوع بالتشبه بالخاشعين
والتزيي بزيهم مع خلوه عن الورع اللازم له قوله ع فدق الله من هذا خيشومه
دعا عليه والخيشوم اقصى الانف وكذا قوله وقطع منه حيزومه والحيزوم والحزيم
وسط الصدر وما يضم عليه الحزام قوله ع وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق
الخب بكسر الخاء الخدعة والجربزة وقد خببت خبا من باب علم وخببه خدعه والخب بالفتح
الخداع الجربز وقد تكسر خاؤه واما المصدر فبالكسر لا غير والملق الود واللطف الشديد
ورجل ملق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه قوله فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم اي ياكل من حلوائهم

الفذيذة و يعطيهم من دينه فوق ما يأخذ من مالهم فلا جرم يحطم دينه ويهدم ايمانه قوله ع فاعمى الله
على هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره دعاء عليه بالاستيصال بحيث لم يبق منه خبر ولا اثر وعمى
عليه الخبر اي خفي مجاز من عمى البصر وهو ذهاب البصر وعمي عليه الامر التبس واغادي ع
على هذين الصنفين من طلبة العلم بالفنا والاستيصال لان لا فايدة في وجودهم لهم ولا لغيرهم
وضررهم على العلماء المحقين اكثر من ضرر الكفار المتمردين قوله ع وصاحب الفقه ذو كآبة
اي سوء حال وانكسار قلب من الحزن فهو كئيب حزين لكثرة خوفه من امر الآخرة وشدة
خشيته لله ولما يجده من المشقة والتعب وطول الفكر والسهر ولما يرى من مقاساة
الزمان وشدايد الدوران وجفا الاقران ونفاق الاخوان لا لغير ذلك من تبجح الجهلة
والارذال ورثاثة حال الافاضل والاماثل وساير اسباب الحزن لمثله فلا يخلو
عنها قط قوله ع قد تحنك في برنسه التحنك التلحي وهو ادارة العمامة ونحوها من تحت الحنك
وتحنيك الميت ادارة الخرقة تحت الحنك والبرنس قلنسوة طويلة وكان النساك
يلبسونها في صدر الاسلام وقد تبرنس اذا لبسه قوله ع وقام الليل في حندسه الليل
منصوب بنزع الخافض والحندس الليل الشديد الظلمة والاضافة الى الضمير الراجع الى
الليل اما بيانية او بتقدير من قوله يعمل ويخشى اي رتبته على ضد حال المغترين بالعلم من
احد الصنفين حيث لا يعملون ويرجون الفلاح آمنين من مكر الله قوله ع وجلا داعيا
مشفقا اي خايفا من عذاب القيمة متضرعا اليه تعالى لطلب المغفرة حذرا عن سوء العاقبة
وكل من الثلثة منصوب على الحالية من ضمير الفاعل والاول يحتمل المصدرية قوله ع
مقبلا على شانه لاصلاح نفسه وتهذيب باطنه لا لغيره من الذين يقبلون على الناس
بالوعظ والنصيحة وقد اهملوا امر انفسهم واصلاح بواطنهم وقد تلطخت بالرذايل
والآثام واعتلت بالامراض المهلكة والاسقام قوله ع عارفا باهل زمانه اي
باحوال نفوسهم واغراض بواطنهم لما شاهد من افعالهم واعمالهم الدالة على اخلاقهم
واغراضهم قوله ع مستوحشا من اوثق اخوانه لاجل ما ذكر من عرفانه باحوال نفوسهم
فيعلم ان استيحاشه منهم خير من الخلطة معهم والاستيناس بهم وقوله ع فشد الله من
هذا اركانه واعطاه يوم القيمة امانه دعاء له بالتثبيت على العلم واليقين واحكام
اركان الايمان والدين واعطاء الامن له والامان يوم يقوم الناس لرب العالمين
ولهذا الحديث طريق آخر للمصنف رحمه الله وهو قوله حدثني به محمد بن محمود ابو عبد الله
القزويني عن عدة من اصحابنا منهم جعفر بن احمد الصيقل بقزوين عن احمد بن عيسى العلوي
العمري ثقة من اصحاب العياشي ره قال ابن داود العياشي بالياء المنقطة تحتها نقطتين
والشين المعجمة عن عباد بن صهيب البصري قال الكشي انه بتري وقال النجاشي انه

يكنى

يكنى ابا بكر التميمي الكلبي اليربوعي البصري ثقة روى عن ابي عبد الله ع وفي ابي الصباح جزم بانه
ثقة وضبط الكلبي بالياء المثناة تحتها او الباء الموحدة وذكر انه صح الكلبي وفي الكشي ايضا
حيث قال بن صهيب المازني الكلبي بصري من اصحاب الصادق ع عامي بتري والاصح الكلبي
كما صرح به في ابي الصباح عن ابي عبد الله عليه السلم **الحديث السادس** وهو التاسع والعشرون
والماية على بن ابرهيم عن ابيه عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم
يقول ان رواة الكتاب كثير وان رعاته قليل وكم من مستنصح للحديث مستغش للكتاب
فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية والجهال يحزنهم حفظ الرواية فراع يرعى حيوته وراع يرعى
هلكته فعند ذلك اختلف الراعيان وتغاير الفريقان **الشرح** الرعاة جمع الراعي
والرعي في الاصل مصدر رعت الماشية ويقال الراعي للوالي والرعية العامة وفي الحديث
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وراعيت الامر نظرت الى ما يصير وراعيته لاحظته
وراعيته من مراعاة الحقوق استنصحه عده نصيحا وكل شيء خلص فقد نصح والمستنصح للحديث
المهذب له عن الغلط والتصحيف واللحن وغيرها من عيوب اللفظ وغشه غشا فهو مغشوش
اي مخلوط ولبن مغشوش اي مخلوط بالماء ودرهم مغشوش واستغشه خلاف استنصحه
والحزن خلاف السرور واحزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه وكذا يحزنه ويحزنه
بضم الياء وكسر الزاي او بفتح الياء وضم الزاي بمعنى واحد يعني ان رواة الكتاب وحملة
الاسفار كثيرة وان رعاته وهم المتأملون في معناه العاملون بمؤداه قليلة وان
مثله اشارة في قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
اي حملوا صورة الفاظها وما يتعلق بالالفاظ من نكات الفصاحة ودقايق البلاغة
وصنايع فن الكلام ولم يحملوا حقايق معانيها وما لاجله غرض الانزال والتنزيل وكم من
مستنصح للحديث اي معين بتصحيحه وتخليصه عن السقم والغلط وهو مستغش لمعناه مخلط له
بالباطل من عقايده وجهالاته ووضع ههنا المظهر موضع المضمر للاشعار بانه بهذا شأنه
بالنسبة الى الكتاب مطلقا سواء كان من كتب الحديث او غيره ويحتمل ان يكون المراد
بالكتاب القران فان كثيرا من اهل الحديث رواية وحفظا وتصحيحا يهجرون القران
ولا يرعونه حق رعايته بل يتركونه مغشوشا وقد يفهمون من ظاهر الفاظ الحديث معاني
واحكاما خلاف ما في القران لجهلهم بمعاني الآيات القرآنية وبالتوفيق بينهما قوله عليه السلم
فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية لان همومهم ومقصودهم في تعلم الكتاب والحديث مقصورة على التفهم
متعلقة بالتفقه في الدين وسلوك منهج اليقين والوصول الى اقصى منازل القرب والتخلص
من ورطة الهلاك وعذاب البعد والجحيم فلا جرم يحزنهم ترك الرعاية ويغمهم عدم التفهم
وفقد العمل ولا يحزنهم ترك الرواية ولا ترك ضبط الالفاظ وحفظ صورها اذ لا يهمهم

ذلك الى تعاهدوله. والجهال يحزنهم حفظ الرواية كما في اكثر النسخ وفي بعضها الرعاية بدل الرواية
ولعل المراد منه انه يهمهم حفظ الرواية ويحزنهم ما يتعلق بها من ترك الحفظ ونحوه او يكون على
حذف المضاف او يكون المعنى ان حفظ الرواية يؤدي الى حزنهم في العاقبة ويحتمل ان يكون
يحزنهم بالحاء المهملة والياء المنقوطة تحتها نقطتين اي الجهال اذا حفظوا الرواية دون الرعاية
فذلك مما يوجب حزنهم ووبالهم يوم القيمة قوله ع فراع يرعى حيوته يعني ان الراعي على
ضربين احدهما راع يرعى حيوته الاخروية فانه في علومه واحواله واقواله وافعاله يقصد الاخرة
ويسلك سبيل الهدى ويحافظ على التقوى والاخر راع يرعى هلكته اي ما يوجب هلاكه
وعذابه في الاخرة لانه يقصد في ما يدركه او يقوله او يفعله غرض الدنيا وهوى النفس
واستجلاب الخلق ومراعاة العزة عند الناس وطلب الرياسة والتقرب الى السلاطين
والتشبه بهم في الملابس والمراكب وغير ذلك من المهلكات وقوله ع فعند ذلك
اختلف الراعيان وتغاير الفريقان يعني في الآخرة التي فيها يظهر المكامن وتبرز البواطن
وتكشف الاغطية وترفع الحجب الحسية بخلاف الذاتان وتتغاير النوعان لا في الدنيا
فانها دار تشتبه فيها المتضادان ويتلابس فيها الخصمان وتوضيح هذا المرام ان الاختلاف
بين الانواع المتخالفة الذوات قد يكون بامور حسية كالاختلاف بين انواع الحيوان
والنبات وغيرها من انواع الجواهر والاعراض الجسمانية وقد يكون بامور معنوية كالاختلاف
بين انواع النفوس والعقول والانسان لما كانت حقيقته وذاته مركبة من ظاهر محسوس
وباطن مستور فهو بحسب ظاهره ومحسوسه نوع واحد متماثل الافراد واما بحسب باطنه
الذي يكون في اول الامر شيئا هيولانيا بالقوة ثم يخرج من القوة الى الفعل في الاحوال
والملكات النفسانية في جانبي الخيرات والشرور فيصير انواعا متخالفة الذوات
متضادة الصفات لان تلك الاحوال اذا اشتدت وتأكدت وتجوهرت
تصير صورا ذاتية وصورا اخروية فاذا قامت القيمة وبعث من في القبور وحصل ما في
الصدور يحشر الانسان انواعا كثيرة متخالفة منه ملك ومنه شيطان او سبع او بهيمة
فالانسان من حيث ظاهره وجوده الطبيعي نوع واحد ومن حيث باطنه انواع كثيرة اذا عرفت
ما ذكرناه تبين ما اراده ع بقوله وعند ذلك اختلف الراعيان وتغاير الفريقان وفي القرآن
آيات كثيرة مشيرة الى هذا المعنى كقوله تعالى يومئذ يتفرقون وقوله فهم يوزعون وقوله حتى
يميز الخبيث من الطيب وقوله ذلك يوم الفصل وغير ذلك الحديث السابع [illegible]
والثانية الحسين بن محمد الاشعري عن معلى بن محمد عن محمد بن جمهور العمي عربي بصري غال ضعيف
في الحديث فاسد المذهب وقيل فيه اشياء الله اعلم بها روى عن الرضا ع له كتب عنه
ابنه الحسن كذا في النجاشي وقال في صه ضعيف في المذهب فاسد في الرواية لا يلتفت اليه

حديثه

حديثه وهو يعتمد على ما يرويه عن عبد الرحمن بن ابي نجران عمن ذكره عن ابي عبد الله عليه السلم
قال من حفظ من احاديثنا اربعين حديثا بعثه الله يوم القيمة عالما فقيها الشرح هذا الحديث
مشهور مستفيض بين الخاصة والعامة بل قال بعضهم بتواتره وقد رواه اصحابنا بطرق كثيرة
مع اختلاف في اللفظ فمنها ما رواه محمد بن علي بن بابويه القمي اعلى الله درجته عن احمد بن محمد عن ابيه عن علي
ابن اسمعيل عن عبد الله بن عبد الله عن موسى بن ابرهيم المروزي عن الكاظم موسى بن جعفر ع قال قال
رسول الله ص من حفظ على امتي اربعين حديثا مما يحتاجون اليه في امر دينهم بعثه الله عز وجل يوم القيمة
فقيها عالما ومنها ما رواه هو ايضا مرفوعا عن ابي الحسن ع قال قال رسول الله ص من حفظ من امتي
اربعين حديثا فيما يحتاجون في امر دينهم بعثه الله عز وجل فقيها ومنها ما رواه في كتاب الخصال
ايضا مرفوعا عن ابن عباس عن النبي ص قال من حفظ من امتي اربعين حديثا من السنة كنت له
شفيعا يوم القيمة ومنها ما رواه ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه ايضا رفعه عن انس قال قال
رسول الله ص من حفظ عني من امتي اربعين حديثا في امر دينه يريد به وجه الله عز وجل والدار
الآخرة بعثه الله يوم القيمة فقيها عالما ومنها ما روي ايضا عن حنان بن سدير قال سمعت
ابا عبد الله ع يقول من حفظ عنا اربعين حديثا من احاديثنا بعثه الله يوم القيمة فقيها عالما
ولم يعذبه ومنها ما رواه ايضا محمد بن علي بن بابويه قال حدثنا علي بن احمد بن موسى الدقاق
والحسين بن ابرهيم بن احمد بن هشام المكتب ومحمد بن احمد السناني رضي الله عنهم قالوا حدثنا
موسى بن عمران النخعي عن عمه الحسين بن يزيد عن اسمعيل بن فضل الهاشمي واسمعيل بن ابي زياد
جميعا عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين بن علي عليهم السلم
قال ان رسول الله ص اوصى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلم فيما كان اوصى به
ان قال له يا علي من حفظ من امتي اربعين حديثا يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة
حشره يوم القيمة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولنرجع
الى الشرح قوله ع من حفظ قيل الظاهر ان المراد منه الحفظ عن ظهر القلب فانه هو المتعارف
المعهود في الصدر السالف فان مدارهم كان على النقش في الخواطر لا على الرسم في الدفاتر
حتى منع بعضهم من الاحتجاج بما لم يحفظه الراوي عن ظهر القلب وقد قيل ان تدوين الحديث
من المستحدثات في المائة الثانية من الهجرة ولا يبعد ان يراد بالحفظ الحراسة عن الاندراس
بما يعم الحفظ عن ظهر القلب والكتابة والنقل بين الناس ولو من كتاب وامثال ذلك وقد
يقال المراد بحفظ الحديث تحمله على احد الوجوه الستة المقررة في الاصول اعني السماع من
الشيخ والقراءة عليه والسماع حال قراءة الغير والاجازة والمناولة والكتابة وبعده
ظاهر اقول ان للحفظ مراتب كثيرة وان مجامعها ثلثة احدها حفظ صور الالفاظ على
انشائها المذكورة سواء كانت في الخيال او في الكتابة وثانيها حفظ معانيها الاولية و

مدلولاتها التي يحصل بها اتمام الكراس وثانيها حفظ معانيها العقلية وحقايقها العرفانية
ولكل من الحفظ استحقاق اجر وثواب لصاحبه مقامه في الحفظ اذا ثبت هذا فنقول
الظاهر عند من له بصيرة قلبية ينظر بها الى الاشياء بنور تلك البصيرة ان المراد بحفظ الاحاديث ههنا
الذي يستحق به الانسان ان يبعثه الله تعالى يوم القيمة عالما فقيها هو الحفظ بالمعنى الثالث
واما غير ذلك من اقسام الحفظ فلا يبعد ان يترتب عليه اجر وثواب ولكن ثوابه من قبيل
ثواب الاعمال البدنية ونحوها ان كان مع قصد التقرب ويشترك ايضا في المطلب
الثالث الله تعالى في ذكر روايته من حفظ على امتي الظاهر ان على بمعنى اللام اي حفظ لاجلهم كما قالوه
في قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هديكم اي لاجل هدايته اياكم ويحتمل ان يكون بمعنى من كما قيل
في قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويؤيده ما في بعض الروايات من حفظ من
امتي قوله من احاديثنا اي الاحاديث التي اخذت منا اهل البيت وفيه اشارة
الى ان تلك الاحاديث مما فيه زيادة اختصاص وفضيلة وشرف ليس في غيرها مما
رواه العامة ويؤيد هذا ما رواه الصدوق عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال حديثنا صعب
مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للايمان والحديث
في اللغة يرادف الكلام سمي به لانه يحدث شيئا فشيئا وفي اصطلاح عامة المحدثين
كلام خاص عن النبي او الامام او الصحابي او التابعي ومن يحذو حذوه يحكي قولهم او فعلهم
او تقريرهم وعند بعض المحدثين لا يطلق اسم الحديث الا على ما كان عن المعصوم وقوله ع
اربعين حديثا ربما يتردد الذهن في ان هذه الاحاديث من اي باب من الامور فيحتمل
عنده ان يكون مطلقا سواء كانت في الامور الدينية كالاعتقادات والعبادات
او في الدنيوية كالتي وردت في توسعة الرزق وفي الاطعمة والاشربة لان الجميع
مشتركة في انتسابها الى صاحب الشرع ولامكان التوسل بها الى تحصيل الآخرة
والحق ان المراد ما تدعو اليه الحاجة الدينية لا الدنيوية لما ورد في بعض الروايات
مما يحتاجون في امر دينهم ولما اشرنا اليه ولعل الوجه في تعيين عدد الاربعين
من جهة نور الاستبصار على وجه التقريب لا على التعيين لان ذلك غير ممكن الا
باقتباس نور من مشكوة النبوة والعصمة هو ان الانسان متى تعلم واكتسب
من المسائل الدينية التي بعضها علمية كالعلم بالله وتوحيده وآياته وملائكته وكتبه
ورسله وبالنبوة والامامة والشريعة وبالقيمة والقبر والبعث والكتاب والصراط
والميزان والجنة ونعيمها والنار وجحيمها وبعضها عملية خلقية كالعلم بمحاسن الاخلاق
ومنجياتها من العلم والحلم والتوكل والصبر والشكر والعفة والرضا بقضاء الله
والشوق الى الآخرة وغير ذلك وبمساوي الملكات كالجهل والتكبر والغضب

والبخل

والبخل والرعونة والعجب والرياء وحب الدنيا والياس عن الآخرة والامن من مكر الله
واشباه ذلك وكمسائل الصلوة والزكوة والصيام والحج والجهاد وواجباتها ومندوباتها
وآداب المعاشرة والمناكحة والمواخاة والمسافرة والمتاجرة وامثال هذه الامور
نحو هذا العدد او ما يقرب منه واحتفظ بها في ذهنه وعمل بموجبها فعند ذلك تحصل للنفس
ملكة علمية نورانية وللقلب قوة بصيرة كشفية تقتدر بها على استحضار غيرها من المعلومات
فيبعث يوم القيمة في زمرة العلماء الربانيين والفقهاء العارفين ومما يؤيد ما ذكرناه
ما في تتمة الحديث المنقول آنفا بطريق اهل العصمة عليهم السلام عن رسول الله ص فيما اوصى به
امير المؤمنين ع وهي بعد قوله ص وحسن اولئك رفيقا بهذه العبارة فقال علي ع
يا رسول الله ما هذه الاحاديث فقال ان تؤمن بالله وحده لا شريك له وتعبده
ولا تعبد غيره وتقيم الصلوة بوضوء سابغ في مواقيتها ولا تؤخرها فان في تاخيرها
من غير علة غضب الرب عز وجل وتؤتي الزكوة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت
اذا كان لك مال وكنت مستطيعا وان لا تعق والديك ولا تاكل مال اليتيم ظلما ولا
تاكل الربوا ولا تشرب الخمر ولا شيئا من الاشربة المسكرة وان لا تزني ولا تلوط
ولا تمشي بالنميمة ولا تحلف بالله كاذبا ولا تسرق ولا تشهد شهادة الزور لاحد قريبا
كان او بعيدا وان تقبل الحق ممن جاء به صغيرا كان او كبيرا وان لا تركن الى ظالم
وان كان حميما قريبا وان لا تعمل بالهوى ولا تقذف المحصنة ولا ترائي فان ايسر الرياء
شرك بالله عز وجل وان لا تقول للقصير يا قصير ولا للطويل يا طويل تريد بذلك
عيبه وان لا تسخر من خلق الله وان تصبر على البلاء والمصيبة وان تشكر نعم الله التي
انعم بها عليك وان لا تامن عقاب الله على ذنب تصيبه وان لا تقنط من رحمة الله وان
تتوب الى الله عز وجل من ذنوبك فان التائب من ذنوبه كمن لا ذنب له وان لا تصر
على الذنوب مع الاستغفار فتكون كالمستهزئ بالله وآياته ورسله وان تعلم
ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وان لا تطلب
سخط الخالق برضا المخلوقين وان لا تؤثر الدنيا على الآخرة وان تؤثر الآخرة على الدنيا
لان الدنيا فانية والآخرة باقية وان لا تبخل على اخوانك بما تقدر عليه وان تكون
سريرتك كعلانيتك وان لا تكون علانيتك حسنة وسريرتك قبيحة فان فعلت
ذلك كنت من المنافقين وان لا تكذب ولا تخالط الكذابين وان لا تغضب اذا سمعت
حقا وان تؤدب نفسك واهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة وان تعمل
بما علمت ولا تعاملن احدا من خلق الله عز وجل الا بالحق وان تكون سهلا للقريب
والبعيد وان لا تكون جبارا عنيدا وان تكثر من التسبيح والتهليل والدعاء وذكر الموت

وما بعده من القيمة والجنة والنار وان تكثر من قراءة القرآن وان تستغنم البر والكرامة بالمؤمنين
والمؤمنات ولا تمل من فعل الخير وان تنظر الى ما لا ترضى فعله لنفسك فلا تفعله باحد من المؤمنين
ولا تثقل على احد وان لا تمن على احد اذا انعمت عليه وان تكون الدنيا سجنا عندك حتى
يجعل الله لك جنته فهذه اربعون حديثا من استقام عليها وحفظها عني من امتي دخل الجنة
برحمة الله وكان من افضل الناس واحبهم الى الله عز وجل بعد النبيين والصديقين و
حشره الله يوم القيمة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
قوله ع بعثه يوم القيمة عالما فقيها قد علمت فيما سبق ان المراد بالفقيه عند الاوايل
وفي الصدر الاول هو ما ذا دون الذي يتعارف عند الناس الآن من العلم بالاحكام
الشرعية العملية عن ادلتها التفصيلية اصطلاح مستحدث وان الفقه اكثر ما يأتي في
الحديث بمعنى البصيرة في امر الدين وان الفقيه صاحب هذه البصيرة سواء كانت [illegible]
كما في الانبياء وبعض من الاولياء او كسبية كما في غيرهم من ذوي البصاير واليه
الاشارة في قوله ص لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى
يرى للقرآن وجوها كثيرة ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا فعلى هذا الظاهر كل الظهور
ان المراد بالحفظ المذكور في هذا الحديث ليس مجرد حفظ اللفظ كما توهمه بعض الاعلام حيث
قال الظاهر من قوله ص من حفظ ترتب الاجر على مجرد حفظ لفظ الحديث وان معرفة معناه
غير شرط في حصول الثواب اعني البعث يوم القيمة فقيها عالما وهو غير بعيد فان حفظ
الفاظ الحديث طاعة كحفظ الفاظ القرآن وقد دعا ص لناقل الحديث وان لم يكن عالما
بمعناه كما يظهر من قوله ص رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها فرب حامل فقه
ليس بفقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه ولا يبعد ان يندرج يوم القيمة بمجرد
حفظ اللفظ في زمرة العلماء فان من تشبه بقوم فهو منهم انتهى كلامه لانا نقول ليس فيما
نقله من الحديث دلالة على كون الحافظ للحديث مرحوما الا على ان له في القيمة درجة العلماء
والثاني هو المبحوث عنه دون الاول واما قوله حفظ الفاظ الحديث طاعة فعلى تقدير
تسليمه وذلك عند سلامته عن الاغراض الدنيوية والآفات النفسانية كان اجره
كاجر ساير الطاعات البدنية كما مر واما قوله من تشبه بقوم فهو منهم فعلى تقدير اجرائه
في كل نوع من التشبه فلا نسلم ان التشبه هنا متحقق فان العلم ونحوه من الامور العقلية
الباطنية وانما يحصل التشبه بالعالم بمجرد حفظ الفاظ مسموعة ثم انه تعالى قد ذم من
كان همه حفظ الالفاظ دون المعاني وشبههم بالحمار الذي يحمل الاسفار في قوله مثل الذين
حملوا التورية ثم لم يحملوها الآية وايضا قال تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
واضل سبيلا وهو عمى القلب لا عمى العين وذلك العمى هو الجهل بالمعارف الدينية

وهو

وهو لا يزول بمجرد حفظ صور الالفاظ والاقوال دون ادراك المعاني والاحوال وبالله
التوفيق

الحديث الثامن وهو الحادي والثلاثون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن
محمد بن خالد عن ابيه عمن ذكره عن زيد الشحام عن ابي جعفر عليه السلم في قول الله تعالى فلينظر
الانسان الى طعامه قال قلت ما طعامه قال علمه الذي يأخذه عمن يأخذه

الشرح لما علمت
ان الانسان مركب من جوهرين احدهما ظاهر محسوس هو بدنه الذي به يشارك ساير
الحيوانات فيأكل ويشرب وينكح ويحيى ويموت كساير انواع الحيوان والآخر باطن مستور
عن الحواس ثابت بالعقل والقياس وهو نفسه الناطقة التي هي لطيفة نورانية بها يمتاز
عن غيره من انواع جنسه فيعقل ويفكر ويروي في العاقبة من شأنه ان يبقى بعد البدن
ولا يموت بموته اما سعيدا او شقيا فاعلم انه كما ان للبدن صحة ومرضا وغذاء يتقوت
ويتقوى ويزيد جثته فكذلك للنفس الناطقة المسماة بالقلب بلسان الشريعة صحة ومرض
كما قال في الا من اتى الله بقلب سليم وقال في قلوبهم مرض وموت هو موت الجهل
وحيوة هي حيوة العلم ونور المعرفة كما اشار اليه بقوله في او من كان ميتا فاحييناه الآية
وقوله انك لا تسمع الموتى وغير ذلك من الآيات ولها ايضا غذاء يتغذى به فيتقوى
ذاتها وتكمل وتخرج من القوة الى الفعل ومن الضعف والنقص الى القوة والكمال وغذاء
كل شيء ما يكون من جنسه وكل غذاء يشبه المغتذي فغذاء الجسم بالجسم وغذاء العقل بالعقل
وهو المعقول بذاته ولما كانت انسانية الانسان وما به حقيقة ذاته هو جوهره العقلي الذي
هو في اول الامر عقل بالقوة ويقال له العقل الهيولاني لانه جوهر ناقص في باب العقل
والمعقول كما ان الجنين جوهر حيواني ناقص في باب الحيوانية وانما يصير حيوانا بالفعل
تام الخلقة في الحيوانية بورود الاغذية الصالحة حتى يزيد في مقداره اللايق ويكمل في ذاته
كذلك العقل بالقوة يخرج من حد النقص الى حد الكمال العقلي بورود اغذية عقلية و[illegible]
صالحة مناسبة له شبيهة به وانما هي العلوم الحقيقية والتصورات العقلية فاذا تقرر هذا
فيكون معنى قوله فلينظر الانسان الى طعامه ما ذكره ع اذ الانسان من حيث هو انسان
شيء غير الحيوان بما هو حيوان وغير الانسان من حيث هو حيوان فاذا اطلق وقيل الانسان
نظر الى كذا او فعل كذا فالاصل والظاهر ان يكون المراد به ذاته المخصوصة على الوجه المخصوص
لا على وجه الاعم الا لمانع من خارج بما ينسب اليه من الفعل او الصفة او غيرهما كما يقال الانسان
ماش او اسود وهيهنا ليس كذلك لان الطعام ما يتغذى به وهو اعم من الجسماني والروحاني
كما في قوله ص ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ومعلوم ان طعامه ص عند الرب الذي يطعمه
الرب ليس من جنس طعام الحيوانات اللحمية ولا شرابه من هذه الاشربة وانما المراد بهما
طعام العلم وشراب المحبة فاذن الانسان بما هو جوهر عاقل ليس غذاؤه وطعامه

الا العلم والمعرفة واذا كان كذلك فصح ان يكون معنى الآية فلينظر الانسان الى طعامه فليلاحظ علمه الذي
يأخذه عمن يأخذه اي ينبغي ان يأخذ علمه من النبي والامام عليهما السلم لانه بمنزلة الصبي في اوان
الاكتساب للعلم الذي هو غذاء روحه وهما بمنزلة الابوين فكما لا يجوز للولد ان يأخذ رزقه من غير ابويه
بالتكدي فكذلك لا يجوز لمسلم الشيعة ان يأخذ علمه من غير كتاب الله والعترة كما هو قوله صلى الله عليه وآله اني
تارك فيكم الثقلين الحديث التاسع وهو الثاني والثلثون والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد
ابن عيسى عن علي بن النعمن الاعلم النخعي ابو الحسن مولاهم كوفي روى عن الرضا ع واخوه داود
اعلى منه وابنه الحسن بن علي وابنه احمد رويا الحديث وكان علي ثقة وجها ثبتا صحيحا واضح
الطريقة صح قال النجاشي له كتاب عنه ابن ابي الخطاب عن عبد الله بن مسكان عن داود بن
فرقد عن ابي سعيد الزهري مجهول عن ابي جعفر عليه السلم قال الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام
في الهلكة وتركك حديثا لم تروه خير من روايتك حديثا لم تحصه الشرح اقتحم الانسان
الامر العظيم وتقحمه اذا رمى نفسه فيه من غير روية وتثبت وفي الحديث اخذ بحجزكم عن النار
وانتم تقحمون فيها اي تقعون فيها لم تحصه من الاحصا وهو العد والحفظ ومن اسماء الله تعالى
المحصي وهو الذي احصى كل شيء بعلمه واحاط به فلا يفوته دقيق منها ولا جليل ومنه ان
لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة اي من احصاها علما بها وايمانا وقيل احصاها
اي حفظها على قلبه وفي الحديث اكل القرآن احصيت اي حفظت وقول المرأة احصيها
حتى نرجع اي احفظها وفي الحديث ظاهر غني عن الشرح وفي وصايا امير المؤمنين لابنه الحسن ع
ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لا تكلف وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته
فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال وقال ايضا ع فيها وترك كل شائبة
اولجتك في شبهة او اسلمتك الى ضلال فاذا ايقنت ان قد صفى قلبك فخشع وتم
رأيك واجتمع وكان همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك وان انت
لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشوا
وتتورط الظلما وليس طالب الدين من خبط ولا من خلط والامساك عن ذلك امثل
فتفهم يا بني الحديث العاشر وهو الثالث والثلثون والمائة محمد عن احمد عن ابن
فضال عن ابن بكير مجهول عن حمزة بن الطيار روى الكشي عن حمدويه وابرهيم عن محمد بن
عيسى عن ابن ابي عمير عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله ع الترحم عليه بعد موته والدعا
له بالنضرة والسرور وانه كان شديد الخصومة عن اهل البيت ومحمد بن عيسى وان كان
فيه قول ولكن الارجح عندي قبول روايته صح ثم الذي قاله الكشي حمدويه وابرهيم عن
محمد بن عيسى عن يونس عن ابي جعفر عن ابي عبد الله ع قال ما فعل ابن الطيار فقلت
توفي فقال رحمه الله ادخل الله عليه الرحمة ونضرة فانه كان يخاصم عنا اهل البيت فضالة

ابن

ابن جعفر عن ابان عن حمزة بن الطيار ان ابا عبد الله ع اخذ بيدي ثم عد الائمة اماما اماما
حتى انتهى الى ابي جعفر فكف فقلت جعلت فداك لو فلقت رمانة فاحللت بعضها وحرمت
بعضها لشهدت ان ما حرمت حرام وما احللت حلال فقال حسبك ان تقول بقوله وما انا
الا مثلهم لنا ما لهم وعلينا ما عليهم فان اردت ان تجيء يوم القيمة مع الذين قال الله تعالى يوم
ندعو كل اناس بامامهم فقل بقوله انه عرض على ابي عبد الله عليه السلم بعض خطب ابيه
حتى اذا بلغ موضعا منها قال كف واسكت ثم قال ابو عبد الله عليه السلم لا يسعكم فيما
ينزل بكم مما لا تعلمون الا الكف عنه والتثبت والرد الى ائمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد
ويجلوا عنكم فيه العمى ويعرفوكم فيه الحق قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
الشرح القصد من الامور المعتدل الذي لا يميل الى احد طرفي التفريط والافراط وفيه القصد
القصد تبلغوا اي عليكم بالقصد من الامور في القول والفعل وهو الوسط بين الطرفين
وهو منصوب على المصدر المؤكد وتكراره للتأكيد وجلا لي الشيء وتجلى اي وضح وانكشف
وجلوته اي كشفته والجلا بالفتح والقصر الاثمد لانه يجلو البصر وقيل بالكسر والمد وبالفتح
ضرب من الكحل والجلا الامر الجلي وجلوت السيف جلا صقلته اعلم انه كما ان القرآن منه
ما هو محكم ومنه ما هو متشابه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم كذلك في
احاديث النبي والائمة عليه وعليهم السلم وخطبهم ورسايلهم قد توجد الفاظ متشابهة
مأولة ليس لجمهور الناس ان يتكلموا فيها ولا لهم رخصة ان يحكموا فيها وعليها بحكم من عند
انفسهم الا من خصه الله بعلم من لدنه وهو على بينة من ربه وانما شانهم الكف عن الخوض
فيها والسكوت عن الكلام على غير بصيرة والرد فيها على ائمة الهدى المعصومين عن
الزيغ والخطأ حتى يحملوهم من بعض وجوهها ما يطيقون حملها ويسع اذهانهم فهمها على وجه
الاقتصاد في الاعتقاد ويحجزوهم عن الوقوع في الشبهات والتورط في الهلكات
والتخبط خبط عشوات ويجلوا عن عيون قلوبهم عمى الجهالة وكمه الضلالة ويعرفوهم فيها
وجه الحق الذي يحملونه وجه الصدق التي يطيقونها والمراد باهل الذكر الذين وقع
الامر في هذه الآية بسؤالهم في المجهولات المعضلات هم اصحاب المكاشفات الذين
يمكنهم استفاضة العلم من عالم الذكر الحكيم اعني اللوح المحفوظ اما بالاستقلال كالنبي ص
او تبعا بعده كاهل بيته عليهم السلم الحديث الحادي عشر وهو الرابع والثلثون والمائة
علي بن ابرهيم عن ابيه عن القسم بن محمد عن المنقري وهو سليمن بن داود المنقري وقد مر
ذكره عن سفيان بن عيينة قال سمعت ابا عبد الله يقول وجدت علم الناس كله في
اربع اولها ان تعرف ربك والثاني ان تعرف ما صنع بك والثالث ان تعرف
ما اراد منك والرابع ان تعرف ما يخرجك عن دينك الشرح الوجه في هذا الانحصار

ان العلوم الحقيقية التي لا يتغير بتغير الازمنة واختلاف الاديان علينا ولا خلاف لاحد من
اهل الحق فيها اما الغاية فيها مجرد العلم او العمل بموجبه والاول اما متعلق باحوال المبدأ
او باحوال المعاد والثاني اما المطلوب فيه اقتناء فضيلة او اجتناب رذيلة فهذه اربعة
اقسام فقوله ع اولها ان تعرف ربك اشارة الى الاول ويسمى الحكمة النظرية من العلوم العقلية
ويندرج فيه البحث عن معرفة ذات الله ووحدانيته ومعرفة صفاته العليا واسمائه الحسنى
ومعرفة آثاره وافعاله وقضائه وقدره وقوله ع والثاني ان تعرف ما صنع بك اشارة
الى الثاني ويسمى الحكمة النظرية ايضا ويندرج فيه معرفة النفس واحوالها ومقاماتها ومعرفة
ما تعود اليه وتنبعث منها وكيفية نشو الآخرة من الدنيا ومعرفة القبر والبعث والصراط
والحساب والميزان والثواب والعقاب والجنة والنار فان جميع هذه الامور مما
صنع الله تع بالنفس الانسانية وفيها ومنها وليس شي منها خارجا عن ذات النفس
وقوله ع والثالث ان تعرف ما اراد بك اشارة الى الاول ويسمى الحكمة العملية منها و
يندرج فيها معرفة جميع الفضايل النفسانية لكمال الاكتساب بها وهي المنجيات من الاخلاق
والملكات كالعلم والكرم والجود والشجاعة والعفة والتوبة والصبر والشكر والتوكل
والرضا وما يجري مجراه وقوله ع والرابع ان تعرف ما يخرجك عن دينك اشارة الى
ثاني قسمي الحكمة العملية ويندرج فيه معرفة جميع الرذايل النفسانية لكمال التبري عنها وهي
اما اعدام تلك الفضايل او اضدادها فالاول كالجهل البسيط والخمول والبلاهة والجبن
ونحوها والثانية كالجهل المركب والفجور والمكر والتهور والحرص والعصبية والعناد
والكبر والعجب والحسد وغير ذلك ومن اجتمعت فيه هذه الفضايل وطهرت نفسه
عن تلك الرذايل لصار ملكا في صورة بشر بل كاد ان يصير انسانا الهيا تحل طاعته
بعد طاعة الله **الحديث الثاني عشر** وهو الخامس والثلثون والمائة علي بن ابرهيم
عن ابيه عن ابن ابي عمير عن هشام بن سالم قال قلت لابي عبد الله عليه السلم ما حق الله
على خلقه فقال ان يقولوا ما يعلمون ويكفوا عما لا يعلمون فان فعلوا ذلك فقد ادوا
الى الله حقه **الشرح** لعل المراد من حق الله ميثاقه في على اهل العلم والكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق **الحديث الثالث عشر** وهو السادس والثلثون والمائة
محمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن ابن سنان عن محمد بن مروان العجلي عن علي بن حنظلة
العجلي الكوفي من اصحاب الباقر والصادق عليهما السلم اخو عمر من اصحاب الصادق ع
قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول اعرفوا منازل الناس على قدر روايتهم
عنا **الحديث الرابع عشر** وهو السابع والثلثون والمائة الحسين بن الحسن الطائة
الحسني الاسود فاضل يكنى ابا عبد الله رازي عن محمد بن زكريا الغلابي مولى بني غلاب

بالعين

بالعين المعجمة واللام المخففة والباء المنقطة تحتها نقطة ابو عبد الله بن زكريا بن دينار مولى بني غلاب
قبيلة بالبصرة من بني نصر بن معوية قيل ليس في غير البصرة منهم احد وكان هذا الرجل وجها من
وجوه اصحابنا بالبصرة وكان اخباريا واسع العلم وصنف كتبا كثيرة ومات سنة ثمان وتسعين
ومائتين عن ابن عائشة البصري رفعه ان امير المؤمنين عليه السلم قال في بعض خطبه ايها الناس
اعلموا انه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه الناس
ابناء ما يحسنون وقدر كل امرء ما يحسن فتكلموا في العلم تبين اقداركم **الشرح** ازعجه اي
اقلعه وقلعه من مكانه وانزعج بنفسه ولم يستقر وفي رواية انس رايت عمر يزعج ابا بكر
ازعاجا يوم السقيفة اي يقيمه ولا يدعه يستقر حتى بايعه والزور الكذب والباطل والتهمة
وكل شي يتخذ ربا من دون الله وشهادة الزور وهي من الكباير وفي الحديث عدلت شهادة
الزور الشرك بالله وانما عادلته لقوله تع والذين لا يدعون مع الله الها آخر ثم قال
بعده والذين لا يشهدون الزور والمعنى ان العاقل من لا يزعجه قول الزور ولا يحزنه
افتراء المفترين في حقه وان الحكيم من لا يرضى نفسه بثناء الجاهل عليه اذ العاقل الحكيم يعلم ان
الاول لا ينقص من كماله ان كان شيئا ولا يقدح في فضله بشي والثاني لا يزيد عليه كمالا
لم يكن ولا يفيده شرفا وكرامة لم يحصل بل الكريم من اكرمه الله والذليل من اذله الله وقوله ع
الناس ابناء ما يحسنون يعني ان الانسان لا يصير سعيدا ولا شقيا الا بما يكسبه او يكتسبه
نفسه لنفسه فالناس كانهم اولاد انفسهم بحسب ما يصنعون ويعدونه حسنا وقدر كل امرء
ما يحسن اي قدره ما يجعله حسنا وليس ذلك الا فضيلة العلم وقيمته في الواقع بحسب همته
وحاله ما يعده كمالا وفضيلة وقوله ع فتكلموا في العلم تبين اقداركم اي لما ظهر ان ذم
الذامين لا ينقص من قدر احدكم ولا مدح المادحين يزيد في قدره وظهر ايضا ان لا شرف
الا بالعلم فان اردتم ان تبين اقداركم فتكلموا في العلم ان كنتم من اهله اذ لا منقبة
ولا فضيلة فوقه وليس يمكن لاحد انكار فضله وشرفه وان لم تكونوا من اهله فالسكوت
اولى بالجاهل اذ لا منقصة فوق الجهل وكل عيب وآفة يرجع اليه **الحديث الخامس عشر**
وهو الثامن والثلثون والمائة الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشاء عن ابان بن عثمن
عن عبد الله بن سليمن الصيرفي مولى كوفي روى عن جعفر بن محمد ع له اصل عنه جعفر بن علي
كذا ذكره النجاشي وقيل لعله عبد الله بن سليمن العبسي الكوفي يعرف بالصيرفي قال سمعت
ابا جعفر عليه السلم يقول وعنده رجل من اهل البصرة يقال له عثمن الاعمى وهو يقول
ان الحسن البصري يزعم ان الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم اهل النار فقال
ابو جعفر عليه السلم فهلك اذن مؤمن آل فرعون ما زال العلم مكتوما منذ بعث الله
نوحا فليذهب الحسن يمينا وشمالا فوالله ما يوجد العلم الا ههنا **الشرح** اعلم ان ليس

قدم راسخ في فقه الاخبار واخذ العلوم من منابعها الالهية ويريد ان ياخذ علمه من ظواهر الاحاديث
او اخبار الرجال فالغالب عليه في اكثر الامر الخبط والخطأ والزلل والعمى ويقع عليه امور متناقضة
لا يمكنه التفصي عنها فكل من سلك سبيل الظاهريين والعقلاء المترسمين اذا نظر الى ظاهر الحديث
المروي عن الرسول صلى الله عليه وآله مثل بلغوا الى الحسن وكما روي عنه صلى الله عليه وآله من علم علما فكتمه الجم يوم القيمة بلجام
من النار ونحو ذلك ذهب الى ظاهره واعتقده كذلك وربما اغتر بان لا علم الا ما بلغه من
المنقولات وما قرع سمعه ووصل اليه فهمه وعقله ولم يدر انه ليس المراد بالنهي عن الكتمان
في كل علم وفي كل زمان وبالقياس الى كل متعلم كيف ولو حمل الحديث على ظاهر عمومه وحمله على
طبقه لنقض احاديث اخرى وردت في خلافه فتناقضت احاديث من لا ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى وقد روي عنه صلى الله عليه وآله لا تؤتوا الحكمة غير اهلها فتظلموها وروي ايضا عنه صلى الله عليه وآله
لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير وعنه صلى الله عليه وآله نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس
منازلهم فنكلم الناس على قدر عقولهم وعنه صلى الله عليه وآله ما احد يحدث قوما بحديث لا يبلغه عقولهم
الا كان فتنة على بعضهم وعن امير المؤمنين عليه السلام ان هيهنا لعلوما جمة لو وجدت حملة وعن علي
بن الحسين عليهما السلام ابيات مشهورة في كتمان علمه اولها :: اني لاكتم من علمي جواهره
كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا :: وامثال ذلك في طرق الخاصة والعامة كثيرة وقد تقرر
الكلام في هذا الباب مستقصى وايضا قد لزم على هذا الرجل من اهل الظاهر وهم الحشوية والحنابلة
وكل من يجري مجراهم من اصحاب الحديث وارباب الرواية دون الدراية ان يكون
مؤمن آل فرعون ومثله ممن يكتم ايمانه من الهالكين الذين يؤذي ريح بطونهم اهل النار
ومن الذين يلجمهم الله بلجام من النار لان حقيقة الايمان ليست الا بابا من العلم بل عمدة
ابواب العلم هي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واللازم باطل بالاتفاق
فكذا الملزوم واما قوله عليه السلام فليذهب الحسن يمينا وشمالا الخ فالمراد ان الحسن وامثاله
من الوعاظ والحكويين واصحاب النقول والروايات ممن تشاهم اشباه الناس
على الكثرة محفوظاتهم ووفور رواياتهم سيما اذا انضم اليها ما في حفظهم من تحسين
الكلام وترويج الحديث بتبليغ العبادات والاستعارات كثيرا ما يغترون بعلمهم
وحالهم ويزعمون ان لا علم الا ما وصل اليهم بالنقل عن الصحابة والتابعين وليس
سوى ذلك علم من علوم الدين بل لا يكون ما سواه الا من بدع المبتدعين وضلالات
المتفلسفين وهذا سفه وغرور اغتر به اكثر علماء الرسوم ووقعوا بهذا الجهل في
مهوى المعطلين ومهبط الجاحدين ومثوى المتكبرين فنبه عليه السلام امثاله بان الذهاب
يمينا وشمالا والخروج الى البلدان والاطراف لطلب الحديث وتحري الاسانيد
العالية وجمع الروايات الكثيرة ورؤية الشيوخ مما لا فايدة فيها الا مجرد نقل الفاظ

الاخبار

الاخبار لكونه الا سفار وليس في ذلك من النفع الا بقدر من وجدان نسخة صحيحة فيكون غاية هذا السعي
يمينا وشمالا وثمرة هذا التطواف في الاطراف والتدوار في الاقطار حصول كتاب لا حصول
علم الكتاب واما علم الكتاب فلا يحصل الا من عند الله العزيز الوهاب او عند من اخذ من
لدنه علما من اوليائه الذين عندهم علم الكتاب فان الذين اوتوا الكتاب ليسوا كالذين
اوتوا العلم يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا

باب رواية الكتب وفضل الكتابة والتمسك بالكتب

وهو الباب الثالث والخمس عشر من كتاب العقل والعلم وفيه خمسة عشر حديثا

الحديث الاول وهو التاسع والثلثون والمائة علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن منصور بن
يونس بزرج بضم الباء المثلثة وفتحها وضم الزاي واسكان الراء والجيم اخيرا ابو يحيى
وقيل ابو سعيد من اصحاب الكاظم عليه السلام قال الشيخ انه واقفي وقال النجاشي انه ثقة روى
عن ابي عبد الله عليه السلام والوجه عندي التوقف فيما يرويه والرد لقوله لوصف الشيخ له بالوقف
وقال الكشي عن حمدويه عن الحسن بن موسى عن محمد بن الاصبغ عن ابرهيم عن عثمن بن عيسى
ان منصور بن يونس بزرج جحد النص على الرضا عليه السلام لاموال كانت في يده قال قلت
لابي عبد الله عليه السلام قول الله جل ثناؤه الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
قال هو الرجل يسمع الحديث فيحدث به كما سمعه لا يزيد فيه ولا ينقص الشرح هذه الذي
ذكره عليه السلام احد وجوه معاني هذه الآية وليس اذا اخذ معنى من آية يكون من شرطه ان لا يكون
لها معنى سواه نعم يجب ان لا يكون لها معنى ينافيه او يناقضه والاقرب انه يكون
لها معان كثيرة غير محصورة كلها صحيحة حسب درجات الافهام قال بعض العلماء لكل آية
ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال آخر القرآن يحوي سبعة وسبعين الف
الف علم ومائتي علم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن

الحديث الثاني وهو الاربعون والمائة محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن ابن ابي عمير
عن ابن اذينة عن محمد بن مسلم قال قلت لابي عبد الله عليه السلام اسمع الحديث منك
فازيد وانقص قال ان كنت تريد معانيه فلا باس الشرح انما دفع التقييد
بهذا الشرط في عدم الباس اذ ربما كان لخصوصية اللفظ مدخل في المقصود من ايراد
الحديث فعند تبديله بلفظ آخر ربما فات المقصود او حصل الالتباس واعلم انه قد وقع
الاختلاف في جواز نقل الحديث بالمعنى والنزاع فيمن هو عارف بمواقع الالفاظ واما
غيره فلا يجوز منه اتفاقا والمختار جوازه كما يستفاد من هذا الحديث والذي تلوه
مع ان الاولى نقله بصورته مهما امكن وقيل انما يجوز بلفظ مرادف اي بتبديل اللفظ
بما يرادفها وروي عن ابن سيرين وابي بكر الرازي منعه ووجوب نقله بصورته

ويروى عن بعض ائمة العامة انه كان يشدد في ذلك والثاني مثل باذنه تامته فلا يجوز احدهما مكان الآخر
مع ترادفهما وتوازنهما وذلك ان يستدل على الجواز بوجوه الاول بانا نقطع انهم نقلوا عنه ص
احاديث في وقايع متحدة بالفاظ مختلفة والذي قاله ص واحد قطعا والرواة نقل بالمعنى وتكرر
ذلك وشاع وذاع ولم ينكره احد فذلك يدل على جوازه قطعا والثاني انه روي عن ابن عباس
وغيره انهم قالوا قال رسول الله ص كذا او نحوه وذلك تصريح بعدم تذكر اللفظ بعينه وان المروي
هو المعنى فكان جائزا والا لوقع الانكار على ذلك لكثرة وقوعه عنهم شايعا ذايعا والثالث
انه اجمع على جواز تفسيره بالعجمية فتفسيره بالعربية اولى بالجواز لانه اقرب نظما واوفى بمقصود
تلك اللغة من لغة اخرى والرابع انا نعلم ان المقصود في الحديث والتخاطب انما هو المعنى ولا عبرة
باللفظ فان قلت تجويز ذلك يؤدي الى الاخلال بمقصود الحديث فانا نجزم باختلاف العلماء
في معاني الالفاظ وتفاوت افهامهم في الشبه على المعاني فربما يتنبه بعضهم على ما لا يتنبه الآخر
فاذا قدر النقل بالمعنى مرتين وثلثا ووقع في كل مرة ادنى تغير حصل بالتكرار تغير كثير
وانهدم المقصود بالكلية فالجواب ان فرض تغير ما في كل مرة مما لا يتصور في محل النزاع
فان الكلام فيمن نقل بالمعنى سواء من غير تغير فيه اصلا والا لم يجز بالاتفاق ويستدل ايضا
على المنع بنقل الحديث بالمعنى بانه قال ص نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها
الجواب ان ذلك لا يدل على مطلوبكم فانه دعا لمن نقلها بصورتها لانه اولى ولم يمنع
فيه النقل بالمعنى بل يمكن ان يقال ايضا بالموجب فان من نقل المعنى اداها كما سمع ولذلك
يقول المترجم اديته كما سمعته **الحديث الثالث** وهو الواحد والاربعون والمائة وعنه
عن محمد بن الحسين عن ابن سنان عن داود بن فرقد قال قلت لابي عبد الله عليه السلم
اني اسمع الكلام منك فاريد ان ارويه كما سمعته منك فلا يجيء قال فتعمد ذلك قال لا
قال تريد المعاني قلت نعم قال لا باس **الحديث الرابع** وهو الثاني والاربعون
والمائة وعنه عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن القسم بن محمد عن علي بن ابي حمزة
عن ابي بصير قال قلت لابي عبد الله عليه السلم الحديث اسمعه منك ارويه عن ابيك
او اسمعه من ابيك ارويه عنك قال سواء الا انك ترويه عن ابي احب الي وقال
ابو عبد الله عليه السلم لجميل ما سمعت مني فاروه عن ابي **الشرح** اما قوله ع سواء
فالوجه فيه ان علومهم كلها من معدن واحد وعين واحدة كما ان ذواتهم عليهم السلم من نور
واحدة واما قوله ع ترويه عن ابي احب الي فلعل الوجه فيه ان علو السند وقرب
الاسناد من الرسول ص مما له رجحان عند الناس في قبول الرواية وخصوصا فيما يختلف
فيه الامة من الاحكام وفيه وجه آخر وهو ان من الواقفية من توقف على الاب فلا يكون
قول الابن حجة عليه فيما يناقض رايه بخلاف العكس اذ القايل بامامة الابن قايل بامامة

الاب

الاب دون العكس كليا **الحديث الخامس** وهو الثالث والاربعون والمائة وعنه عن
احمد بن محمد ومحمد بن الحسين عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان قال قلت لابي عبد الله عليه السلم
يجيئني القوم فيستمعون مني حديثكم فاضجر ولا اقوى قال فاقرأ عليهم من اوله حديثا ومن وسطه
حديثا ومن آخره حديثا **الشرح** الضجر القلق من الغم وضيق نفس مع كلام وقد ضجر من كذا
وتضجر منه فهو ضجر وضجور واضجرته فلان فهو مضجر عن صنعة الاستعلام عن الحكم فيما يعرضه سببا
من العجز والضعف عند قراءة الحديث على قومه واهل مذهبه فاجازه ع ورخصه ان يقرأ
بعض الحديث اذا كان طويلا على هذه الكيفية وهي ان يقرأ عليهم من اوله حديثا اي كلاما
مفيدا بالاستقلال وكذا من وسطه وآخره وهذا اذا اشتمل الحديث الواحد على احكام
وجمل متعددة فاستنبط في صحته اي صحة الاقتصار على البعض في القراءة والرواية اذا
لم يكن متعلقا بما بعده ونقل العلامة الحلي طاب ثراه الاتفاق على ذلك كقول النبي ص
من فرج عن اخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن كان
في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن ستر على اخيه ستر الله عليه في الدنيا والآخرة
والله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه فهذا حديث واحد مشتمل على جمل اربع
كل منها بانفراده كلام مستقل في الحكم الذي فيه فيجوز الاقتصار على نقله وعده حديثا
ولا ينافي ذلك كونه جزء حديث آخر مشتمل عليه وعلى غيره واما امره ع بقراءته حديثا
من اوله وحديثا من وسطه وحديثا من آخره فهو امر استحسان لا امر حتم ولعل وجه
حسنه ان الجمل المتقاربة يكون في اكثر الامر من نوع واحد فليست الفايدة فيها كالتي
يكون في الجمل المتباعدة اذ الكلام فيها اشتمل من نوع لا نوع يباينه فالفايدة فيها اكثر
لاحتوائها على فنون مختلفة من الاحكام كل منها نوع آخر برأسه واما آخر الحديث
الواحد التي ترتبط بعضها ببعض فلا يجوز الاقتصار على نقل البعض كالاقتصار على قوله
من نزل على قوم فلا يصومن تطوعا من دون ان يضيف اليه الا باذنهم وكالاقتصار على
قوله ص لا سبق الا في نصل من دون ان يضاف اليه او خف او حافر **الحديث السادس**
وهو الرابع والاربعون والمائة عنه باسناده عن احمد بن عمر الحلال بالحاء غير المعجمة
واللام المشددة كان يبيع الحل وهو الشيرج نقل الشيخ ره وقال انه كان ردي
الاصل فعندي توقف في قبول روايته لقوله هذا وكان كوفيا انماطيا من اصحاب
الرضا ع ص ويرد عليه ان رداءة الاصل لا يدفع صحة روايته وقبولها مع ثبوت
ثقته قال زين المجتهدين ره في الحاشية ما ذكره وجها للتوقف غير جيد بعد شهادته
له بالتوثيق لان رداءة الاصل لا ينافي الثقة وابن داود ضبطه بالخاء المعجمة وذكر ان
الحلال بالحاء المهملة رجل آخر لم يرو عن الائمة نقل ذلك عن الشيخ الطوسي ره في رجاله انتهى

كلام المحشي وقال النجاشي يروي عن الرضا عليه السلام وله عنه مسائل عنه عبد الله بن محمد وفي الفهرست روى
عنه محمد بن علي الكوفي قال قلت لابي الحسن الرضا عليه السلام الرجل من اصحابنا يعطيني الكتاب
ولا يقول اروه عني يجوز لي ان ارويه عنه قال فقال اذا علمت ان الكتاب له فاروه عنه
الشرح معناه واضح وهذا الذي اجازه عليه السلام يقال له المناولة في عرف المحدثين وهي احد
وجوه تحمل الحديث وروايته من الوجوه الستة المقررة في الاصول اعني السماع من الشيخ والقراءة
عليه والسماع حال قراءة الغير عليه واجازة الشيخ له ان يروي عنه ومناولته اياه كتابا يروي
عنه ما فيه او كتابته اليه بما يرويه عنه وهذه الستة متفاوتة المراتب فالاول هو قراءة الشيخ
عليه اعلى المراتب على الاصح دون قراءته على الشيخ وتصديقه واما قراءته على الشيخ من غير ان ينكر
الشيخ عليه ولا وجود امر يوجب السكوت عنه من اكراه او تقية او ذهول او غيرها من الامور
المفروضة المانعة عن الانكار فقد اختلف في انه هل يعمل به ام لا فمنعه بعض الظاهرية والصحيح
انه معمول لانه يفهم عرفا تقريره وانه تصديق وانه في سكوته ايهام الصحة وذلك يبعد من
العدل عند عدم الصحة واما قراءة غيره على الشيخ بحضوره بالشروط المذكورة فهو كقراءته
واما الاجازة وهو ان يقول اجزت لك ان تروي عني كذا وما صح عندك انه من مسموعاتي
او لك ولغيرك فلان وفلان من الموجودين فلا كلام في جوازها وقد منع الحاقها بالاجازة
للموجودين المعينين اذ العام بمثابة تعداد الافراد ولا فرق بينهما الا بالاختصار والتطويل
ولا مدخل لاختلاف العبارة في مثل هذا المقام واما الاجازة في نسل فلان او من يوجد
في بني فلان ففي صحتها خلاف واضح هو اولى بالمنع مما قبله فان اجازة غير الموجود ابعد من
الموجود وغير المعين والمختار صحتها فان العدالة شرط في الرواية والظاهر ان العدل لا يروي
الا بعد العلم او الظن بروايته وعدالته وقد اذن له فوجب ان يصح كغيره واتفق ان
النبي صلى الله عليه وآله كان يرسل كتبه مع الآحاد ولم يعلموا ما فيها ليعمل من رآها بموجبها ومثل ذلك الا
الاجازة واما المناولة فمثل الاجازة دليلا الحديث السابع وهو الخامس والاربعون
والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه وعن احمد بن محمد بن خالد عن النوفلي عن السكوني عن ابي
عبد الله عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام اذا حدثتم بحديث فاسندوه الى
الذي حدثكم فان كان حقا فلكم وان كان كذبا فعليه الحديث الثامن وهو السادس
والاربعون والمائة علي بن محمد بن عبد الله عن احمد بن محمد عن ابي ايوب المدني هذا
الاسم مشترك بين رجلين احدهما الانباري المدني تحول الى بغداد له كتاب روى عنه
احمد بن ابي عبد الله كذا في الفهرست والنجاشي والثاني المدني روى عنه علي بن ابي حلوة
بكتابه قال النجاشي عن ابن ابي عمير عن حسين الاحمسي هو ابن عثمان الثقة روى عنه
ابن ابي عمير عن ابي عبد الله عليه السلام قال القلب يتكل على الكتابة الشرح الاتكال

الاعتماد

الاعتماد وتتكل عليه اي يعتمد عليه وفيه دليل على صحة العمل بالكتابة سواء كتبها هو او غيره ممن يعتمد
عليه ويثق بعدالته ولا يشترط في الاول كونه عدلا اذ كل احد عالم بحال نفسه في صدقه وكذبه
فاذا علم من نفسه انه الذي كتب هذه الكتابة واعتقد مدلولها فله ان يعمل بها وهل يشترط
في العمل بمكتوبه كونه ضابطا اي لا يكون سهوه اكثر من ذكره ولا مساويا له فالظاهر اشتراطه
اذ ربما يسهو عن كون مكتوبه غير صحيح فيزعمه صحيحا وكذلك الحال عند كونه عدلا الا ان يعلم من نفسه
انه لم يكتب الا الصحيح اذا كان وقت الكتابة ايضا عدلا الحديث التاسع وهو السابع والاربعون
والمائة الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن عاصم بن حميد بضم الحاء
بالنون الحنفي ابو الفضل كوفي ثقة عين صدوق روى عن ابي عبد الله عليه السلام وفي الكشي الكوفي
الحنفي مولاهم من اصحاب الصادق عليه السلام من وسط بني حنيفة مات بالكوفة وفي النجاشي له كتاب روى
عنه محمد بن عبد الحميد وفي الفهرست والسندي بن محمد وعبد الرحمن بن ابي نجران عن ابي بصير
قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول اكتبوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا الشرح معناه
واضح اي اكتبوا ما سمعتم من الاحاديث فانكم لستم ممن لا ينسى ولا يسهو فلم يبق ما سمعتم
محفوظا لكم حتى تكتبوا فاذا كتبتموه بقي محفوظا والا فيمكن زواله الحديث العاشر وهو الثامن
والاربعون والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن فضال عن ابن بكير
عن عبيد بن زرارة بن اعين الشيباني روى عن ابي عبد الله عليه السلام ثقة عين لا لبس فيه
ولا شك وكان احول صح في النجاشي له كتاب يرويه جماعة منهم حماد بن عثمان قال قال
ابو عبد الله عليه السلام احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها الحديث الحادي عشر
وهو التاسع والاربعون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد البرقي عن
بعض اصحابه عن ابي سعيد الخيبري مجهول عن المفضل بن عمر قال قال لي ابو عبد الله عليه السلام
اكتب وبث علمك في اخوانك فان مت فاورث كتبك بنيك فانه ياتي
على الناس زمان هرج لا يانسون فيه الا بكتبهم الشرح بث الخبر وابثه بمعنى اي
نشره والهرج الفتنة والاختلاط وقد هرج الناس يهرجون اذا اختلطوا وقد تكرر
في الحديث واصل الهرج الكثرة في الشيء والامر بالكتابة امر عليه السلام بكتابة العلم ونشره
في الاخوان ويحتمل ان يكون المراد اكتب علمك ليكون مبثوثا في اخوانك بواسطة
الكتاب فيكون الثاني فائدة الاول لا مطلوبا برأسه وقوله فان مت فاورث
كتبك بنيك اي اوص عند حضور الموت ابناءك بكتبك لتبقى الكتب عليهم
محفوظة وقوله عليه السلام فانه ياتي على الناس الخ تعليل للامر بصيانة الكتب وابقائها على
الاول ويجيء زمان هرج على الناس لا يانسون الا بكتبهم لفقدهم اهل العلم ومن يونس
به لتسلط امراء الجور وتشبه الجهلة والاراذل بصورة العلماء والاكياس في الزي

حضب

والبأس وهذا هو معنى الهرج هنا وقد يتحقق مع كون الزمان معمورا والناس في سعة و
وعيش ودعة لكن من جهة كونهم حيوانا ذا حس وحركة وشهوة وارادة لا من جهة كونهم انسانا
ذا فكر وعقل وايمان وحكمة فالهرج والفتنة من جهة لا ينافي الامن والسلامة من جهة اخرى
الحديث الثاني عشر وهو الخمسون والمائة وبهذا الاسناد عن محمد بن عمار رفعه قال قال
ابو عبد الله عليه السلام اياكم والكذب المفترع قيل وما الكذب المفترع قال ان يحدثك الرجل
بالحديث فتتركه وترويه عن الذي حدثك عنه الشرح هذا ضرب من الكذب وهو ان
يسند الراوي حديثه الذي سمعه من رجل لا الى ذلك الرجل بل الى من روى عنه ليوهم علو
السند كما اذا حدثه ابن عباس بحديث عن رسول الله صـ فاذا اراد ان يروي الحديث
يقول قال رسول الله صـ كذا فيتوهم انه سمع الحديث منه صـ ولم يسمع منه فيكون مدلسا
كاذبا في هذا الايهام واما اذا قال عند الرواية حدثني رسول الله صـ او اخبرني او سمعت
منه فذلك كذب صريح ومن ذلك اذا اجازه الشيخ وقال اجزت لك ان تروي عني كذا
او ما صح عندك انه من مسموعاتي او مقروءاتي فينبغي ان لا يقول عند الرواية حدثني
فلان او اخبرني مطلقا بل ولا مقيدا ايضا بان يقول حدثني اجازة اذ لم يحدثه ولكن يقول
اجازني ويجوز ايضا ان يقول انبأني بالاتفاق لانه يقال في مثله عرفا انبأه وان كان
هو الاخبار لغة يقال للاعلام والايذان انبأ كما قال الشاعر: زعم الغراب منبئ الانباء
وبذاك نبأنا الغراب الاسود: ويقال هذا الفعل ينبئ عن العداوة او المحبة وقيل
ينبئك العيان بما هو كائن واما تسميته ذلك بالكذب المفترع فلعله مأخوذ من الفرع
بمعنى العلو قال ابن الاثير في النهاية وفرع كل شيء اعلاه ومنه حديث قيام رمضان
فما كنا ننصرف الا مع فروع الفجر وفي حديث عطاء ان لهم فراعها الفراع ما علا من الارض
وارتفع فكان هذا المحدث يريد ان يجعل حديثه مفترعا اي مرتفعا بهذه الحيلة الحديث
الثالث عشر وهو الواحد والخمسون والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن احمد
ابن محمد بن ابي نصر عن جميل بن دراج قال قال ابو عبد الله عليه السلام اعربوا احاديثنا
فانا قوم فصحاء الشرح الاعراب في اللغة الايضاح يقال اعرب به اي افصح وفي
عرف النحاة الحركة او الحرف التي يختلف آخر المعرب اسما كان او فعلا بها او بما سميت
تلك الحركة او الحرف اعرابا اذ بها يوضح المعاني المتواردة على كلمة واحدة ويتميز بعضها
عن بعض ولا يشتبه كالفاعلية والمفعولية وغيرهما ويحتمل احتمالا بعيدا ان يكون مأخوذا
من عربت معدته بالكسر عربا فهي عربة اي فسدت على ان يكون الهمزة للسلب فيكون
بمعنى ازالة الفساد وسمي به آخر المعرب لانه يزيل فساد التباس المعاني بعضها ببعض
والفصيح في اللغة المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديه يقال

رجل

رجل فصيح ولسان فصيح وقد فصح فصاحة وافصح عن الشيء افصاحا اذا بينه وكشفه وكل ناطق
فصيح وما لا ينطق فهو اعجم وفلان يتفصح في كلامه وتفاصح تكلف الفصاحة فقوله اعربوا احاديثنا
اي لا تلحنوا في اعراب الكلمات واعطوا الكلم اعرابها فانا قوم فصحاء وكلامنا فصيح فاذا
لحنتم فيه او اهملتم في اعرابه اختلت فصاحته وفات المقصود من رعايته فيكون ظلما فيه
وتفويتا لحقه الحديث الرابع عشر وهو الثاني والخمسون والمائة علي بن محمد عن سهل بن زياد
عن احمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز ابو حفص بن بشار المعروف بزحل بالزاي والحاء
المهملة قال الكشي وقال محمد بن مسعود حدثني عبد الله بن حمدويه البيهقي قال سمعت الفضل
ابن شاذان يقول زحل ابو حفص يروي المناكير وليس بغال وقال النجاشي انه عربي
بصري مخلط له كتاب روى عنه محمد بن عيسى عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيره قالوا
سمعنا ابا عبد الله عليه السلام يقول حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدي وحديث
جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث امير المؤمنين
وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله صـ
قول الله عز وجل الشرح ليس المراد بهذا الاتحاد ان حديث كل من الائمة عليهم السلام حديث
من سبقه من حيث جوهر اللفظ وخصوصيته مثلا او نحوها بل من جهة العلم المندرج فيه فان علومهم
كلهم لدنية مأخوذة من عند الله وسيأتي تحقيق هذا المقام في مستأنف الكلام عند بيان
كونهم عليهم السلام مكلمين محدثين والله ولي الفضل والانعام الحديث الخامس عشر وهو الثالث
والخمسون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن محمد بن الحسن بن ابي خالد شينولة مجهول
قال قلت لابي جعفر الثاني عليه السلام جعلت فداك ان مشايخنا رووا عن ابي جعفر وابي
عبد الله عليهما السلام وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم فلم ترو عنهم فلما ماتوا صارت
الكتب الينا فقال حدثوا بها فانها حق الشرح معناه واضح وفيه ايضا دليل على صحة
الاعتماد على الكتب والعمل بما فيها من الاحكام ان كانت صحيحة باب التقليد
وهو الباب التاسع عشر من كتاب العقل والعلم وفيه ثلاثة احاديث الحديث الاول وهو
الرابع والخمسون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن عبد الله بن يحيى الكاهلي
ابو محمد اخو اسحاق رويا عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلام وكان عبد الله وجيها عند
ابي الحسن عم ووصى به علي بن يقطين فقال له اضمن لي الكاهلي وعياله اضمن لك الجنة
فلم يزل علي بن يقطين يجري لهم الطعام والدراهم وجميع النفقات حتى مات الكاهلي
ولم اجد ما ينافي مدحه وفي النجاشي والفهرست له كتاب روى عنه احمد بن محمد بن
ابي نصر وابن ابي عمير عن ابن مسكان عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال قلت له
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقال اما والله ما دعوهم الى عبادة

انفسهم ولو دعوهم ما اجابوهم ولكن احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون

الشرح يعني ان ابا بصير سأله ع عن معنى قوله تعالى اتخذوا احبارهم الآية فقال ع معنى اتخاذهم
احبارهم ورهبانهم ان القوم اطاعوا علماءهم في احكام تكليفية عليهم اخترعوها خلاف احكام
الله تعالى عليهم ومن اطاع احدا فيما يأمره به خلاف ما امر الله تعالى له فقد اتخذه ربا وعبده ومن جهة
لا يشعرون في اتباعهم احبارهم ورهبانهم فيما احلوا من حرام وحرموا من حلال افتراء على الله
قد اتخذوهم اربابا وعبدوهم من حيث لا يشعرون وكذلك حال المقلدين والاتباع لغير من
اخذ علمه من الله بتوسط اهل البيت الحكام من الاولياء الكاملين الذين كلامهم قول الله وحكمهم حكم الله

الحديث الثاني وهو الخامس والخمسون والمائة علي بن محمد عن سهل بن زياد عن ابراهيم بن
محمد الهمداني وكيل الناحية كان حج اربعين حجة وروى الكشي في مسند عن ابي محمد الرازي
قال كنت انا واحمد بن ابي عبد الله البرقي بالعسكر فورد علينا رسول من الرجل فقال لنا
العليل ثقة وايوب بن نوح وابراهيم بن محمد الهمداني واحمد بن حمزة واحمد بن اسحق ثقات جميعا
عن محمد بن ابي عبيدة قال قال لي ابو الحسن عليه السلام يا محمد انتم اشد تقليدا ام المرجئة
قال قلت قلدنا وقلدوا فقال لم اسألك عن هذا فلم يكن عندي جواب اكثر من الجواب
الاول فقال ابو الحسن عليه السلام ان المرجئة نصبت رجلا لم تفرض طاعته وقلدوه وانتم
نصبتم رجلا وفرضتم طاعته ثم لم تقلدوه فهم اشد منكم تقليدا الشرح الارجاء على معنيين
احدهما التأخير قالوا ارجه واخاه اي امهله والثاني اعطاء الرجاء والمرجئة هم فرقة من فرق
الاسلام يعتقدون انه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة واما تسميتهم
باسم المرجئة باعتبار المعنى الاول فصحيح لانهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والاعتقاد
واما باعتبار المعنى الثاني فظاهر فانهم كانوا يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع
مع ضده ضده وقيل الارجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيامة فلا يقضى عليهم بحكم ما
في الدنيا من كونه من اهل الجنة او من اهل النار فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان
متقابلتان وقيل الارجاء تأخير علي عليه السلام عن الدرجة الاولى الى الرابعة فعلى هذا
المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل
والنحل المرجئة على اربعة اصناف مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية
والمرجئة الخالصة ثم شرع في عد المرجئة الخالصة وعد اصنافا فقال ومن ذلك اليونسية
اصحاب يونس النميري زعموا ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى والخضوع له وترك
الاستكبار عليه والمحبة بالقلب فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو مؤمن وما سوى المعرفة
من الطاعة فليس من الايمان ولا يضر تركها حقيقة الايمان ولا يعذب على ذلك قال
ومن ذلك العبيدية حكي عنهم انهم قالوا ما دون الشرك مغفور لا محالة وان العبد اذا مات

على توحيده لم يضره ما اقترف من المعاصي واجترح من السيئات وقالوا ان
علم الله لم يزل شيئا غيره وان كلامه لم يزل شيئا غيره وكذلك دين الله لم يزل غيره وزعموا
ان الله على صورة انسان وحملوا عليه قوله ص ان الله خلق آدم على صورة الرحمن ومنها
الغسانية اصحاب غسان الكوفي زعم ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى ورسوله والاقرار
بما انزل الله مما جاء به الرسول في الجملة دون التفسير فلو قال قائل اعلم ان الله قد حرم اكل
الخنزير ولا ادري هل الخنزير المحرم هذه الشاة ام غيرها كان مؤمنا ولو قال اعلم ان الله تعالى
فرض الحج الى الكعبة غير انه لا ادري اين الكعبة ولعلها كان مؤمنا ومقصوده ان هذه
الاعتقادات امور وراء الايمان لا انه كان شاكا في هذه الامور ومن العجب ان غسان
كان يحكي عن ابي حنيفة مثل مذهبه ويعده من المرجئة انتهى كلام الشهرستاني وانما نقلنا
كيفية مذهبهم وآرائهم الباطلة ليظهر لك ظهور صدق كلامه ع ان اصحاب المرجئة اشد
تقليدا لائمتهم من الشيعة لائمتهم عليهم السلام لانهم قلدوا من لم يفرض عليهم تقليده وقلدوه
في اعتقادات فاسدة وانتم قلدوه على الحد من غير اهمال بخلاف قوم لهم امام مفترض
الطاعة يأمرهم باحكام توافق احكام الله يجب تقليده فيها ثم لم يقلدوه احيانا فاولئك
اشد تقليدا من هؤلاء لكن السبب في ذلك ان ائمة المرجئة يدعون الناس بالدعة
والراحة وائمة الحق يدعونهم بالتكليف والمشقة فتقليدهم اهون على طباع الناس
فلهذا كان مقلدوا ائمة الضلال اشد تقليدا من مقلدي ائمة الحق عليهم السلام

الحديث الثالث وهو السادس والخمسون والمائة محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان
عن ربعي بن عبد الله عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقال والله ما صاموا لهم ولا صلوا لهم
ولكن احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا الشرح معناه كما مر وقوله ع ما صاموا
لهم ولا صلوا لهم اي ما صاموا ولا صلوا قصدا لعبادتهم وعبوديتهم وطاعتهم لكن
اتبعوهم في خلاف ما امر الله تعالى به واطاعوهم في ما لم يحكم به الله عز وجل فهم قد
عبدوا من دون الله من حيث لا يشعرون

باب البدع والرأي والمقاييس

وهو الباب الثامن عشر من كتاب العقل والعلم وفيه اثنان وعشرون حديثا

الحديث الاول وهو السابع والخمسون والمائة الحسين بن محمد الاشعري عن معلى بن محمد
عن الحسن بن علي الوشاء وعدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن ابن فضال جميعا عن عاصم
ابن حميد عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال خطب امير المؤمنين عليه السلام الناس
فقال ايها الناس انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولى
فيها رجال رجالا فلو ان الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ولو ان الحق خلص لم يكن

اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ
الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى **الشرح** الفتن جمع الفتنة وهي
في الاصل الامتحان والاختبار ويستعمل بمعنى البلاء والمصيبة وبمعنى الضلال ايضا وقد كثرت
الاستعاذة من فتنة الدجال وفتنة القبر وفتنة المحيا والممات والفاتن المضل وفتان
بالفتح هو الشيطان لانه يفتن الناس عن الدين وهو من ابنية المبالغة في الفتنة وقوله تعالى
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات قال الحسن فتنوهم بالنار اي احرقوهم وعذبوهم
والاهواء جمع الهوى وهو مصدر هوى بالكسر يهوى اذا احب واشتهاه ثم سمي به المهوي
المشتهى محمودا كان او مذموما ثم غلب على غير المحمود فقيل فلان اتبع هواه اذا اريد به
ذمه وفي التنزيل ولا تتبع الهوى ولا تتبعوا اهواء قوم ومنه فلان من اهل الاهواء وهو
من زاغ عن الطريقة المثلى من اهل القبلة كالحشوية والجبرية والنواصب والغلاة وغيرها
والمراد هنا من الاهواء الآراء الزايغة والبدعة الحدث في الدين بعد الاكمال هي
اسم من ابتدع الامر اذا ابتداه واحدثه كالرفعة من الارتفاع ثم غلبت على ما هو زيادة
في الدين او نقصان منه واكثر ما يستعمل المبتدع في العرف في الذم ومنه كل محدثة
بدعة اي ما خالف اصول الشريعة ولا يوافق السنة والتولي من الولي وهو القرب
والدنو وتولى عنه اي اعرض عنه وتولاه اي تبعه واتخذه وليا والحجى العقل وفلان
ذي حجى وحجي بذلك والضغث قبضة من الحشيش والشماريخ وفي التنزيل وخذ بيدك
ضغثا قيل انه كان حزمة من الاسل وهو نبات له اغصان دقاق ولا ورق لها
والحوذ السوق السريع وقد حذت الابل احوذها حوذا واستحوذ عليه الشيطان غلب
ذكر عليه السلام اولا ان مبدأ كل فتنة وقعت في الاسلام او في ساير الاديان هوى
متبع وبدعة يخالف فيها كتاب الله وسنة نبيه يتبع فيها جماعة من الجهال رجالا او رجالا
وذلك لان المقصود من بعثة الرسل ووضع الشرايع انما هو نظام احوال الخلق في
امر معاشهم ومعادهم فكان كل راي ابتدع او هوى اتبع ~~وبدعة يخالف فيها كتاب الله~~
~~وسنة نبيه يتبع فيها جماعة من الجهال رجالا~~ خارجا عن كتاب الله وسنة رسوله سببا
لوقوع الفتنة وتفرق النظام وذلك كاهواء البغاة والخوارج ونحوهم ثم بين ان كل باطل
وكذب ما لم يكن فيه شبه حق وصدق لم يقبله ذو عقل كما ان كل مزيف كاسد ما لم يكن
مغشوشا بنقد رايج لم يصر رايجا في سوق الابصار لان الباطل الصرف لا حظ له
في الوجود ولا يقع في توهم ذي حجى الا اذا اقترن بشبه الحق ولا الكذب المحض ما يصدقه
ذو عقل الا اذا امتزج بالصدق فلو خلص الباطل عن لبس الحق لم يشتبه على عاقل
ولو تجرد الحق عن مخالطة الباطل لانقطع عنه الكل ولم يوجد فيه اختلاف بين الناس ولم يكن

الشيطان

للشيطان سبيل لكن الدنيا دار اشتباك بين النور والظلمة وامتزاج بين الحق والباطل
وكذا في الاقوال والآراء من الاولياء والاعداء فاذا اخذ من اقوال الانبياء والاولياء التابعين
للهدى عليهم السلام ضغثا ومن اقوال الاعداء المضلين المتبعين للهوى ضغثا فيمزجان ويشتبكان
فيجيئان معا فعند ذلك يتبع الشيطان بهواجسه ووساوسه فرصته ويجال على اوليائه بالاغواء
والاضلال فيقع في شبكته من حق عليهم القول بانهم لا يؤمنون وهم في النار خالدون
وينجو الذين سبقت لهم العناية بالحسنى وهم عنها مبعدون **الحديث الثاني** وهو الثامن
والخمسون ومائة الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن محمد بن جمهور العمي يرفعه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل
فعليه لعنة الله **الشرح** هذا حديث متفق عليه ومعناه واضح **الحديث الثالث**
وهو التاسع والخمسون ومائة وبهذا الاسناد عن محمد بن جمهور رفعه قال من اتى ذا بدعة
فعظمه فانما يسعى في هدم الاسلام **الشرح** لان الاسلام انما يقوم بالعقايد
الحقة الثابتة في نفوس المؤمنين العارفين بالله وآياته واحكامه والذي يقوله المبتدع
من عند نفسه وهواه من العقايد الباطلة والآراء الفاسدة يناقض عقايد الاسلام
والمناقض للشيء هادم له فهذا المبتدع ببدعه واهوائه يريد هدم قواعد الاسلام ونقض
ابنية الدين المتين فمن اتاه وعظمه ووقره فقد سعى في خراب الدين وهدم الاسلام
وان لم يشعر بذلك لجهله بحقيقة الامر **الحديث الرابع** وهو الستون ومائة وبهذا الاسناد
عن محمد بن جمهور رفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ابى الله لصاحب البدعة
بالتوبة قيل يا رسول الله وكيف ذلك قال انه قد اشرب قلبه حبها **الشرح**
اشرب في قلبه حب كذا بصيغة المجهول اي خالط ومنه قوله تعالى واشربوا في قلوبهم
العجل يعني ان الله تعالى لا يوفق صاحب البدعة للتوبة ولما سئل عن كيفية ذلك
ومنشأه قال لان قلب المبتدع مما خالطه حب البدعة وزين الشيطان الاستبداد
بالرأي في نظره سيما اذا اتبعه جمع وصدقوه ببدعته فلا يمكنه الرجوع عنها والانخراط
في سلك ساير الناس من آحاد المسلمين اذ لا يبقى له عند ذلك رياسة وتميز
عن الاشباه والامثال ولا تفوق عليهم وقد اعتاد بذلك فقد صعب عليه ترك
البدعة اذ العادة الراسخة طبيعة ثانية **الحديث الخامس** وهو الواحد والستون
ومائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن معوية بن وهب قال سمعت
ابا عبد الله عليه السلام يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان عند كل بدعة
تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من اهل بيتي موكلا به يذب عنه ينطق بالهام
من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار

وتوكلوا على الله **الشرح** قوله ع يكاد بها الايمان على صيغة المجهول من الكيد وهو المكر
والجملة صفة بعد صفة لبدعة اى بدعة يمكر بها الايمان ويحتمل ان يكون حالا للمستكن في
تكون وولينا اسم ان قدم عليه خبره لظرفيته وقوله ع من اهل بيتي صفة لولينا وكذا متوكلا
صفة اخرى وكذا الجمل الفعلية الخبرية صفات متعاقبة له اعلم انه لما كان من دأب الرحمة
الالهية والعناية الربانية ان لا يهمل امرهم ورابطة باب الدين وان لا يبطل حكما من احكام
سياسة الخلق اجمعين كيف وقد كونهم اولا في دار الدنيا وهي دار الظلمة والذنوب والشرور والفناء
لا لينا فيهم لدار الرحمة والسنا والنور والخير والبقاء فلا بد من هدايتهم الى سبيل الهدى وردهم
عن طريق الضلالة والردى ولاجل ذلك بعث الانبياء المؤيدين بالوحي والمعجزات صلوات الله عليهم
لتمهيد قواعد الدين ولتشييد اركان عقايد المسلمين والمجاهدة والمحاربة مع الجحدة الكافرين
المجاهرين بالكفر والجحود والعصيان وقطع دابر الظالمين المعلنين بالظلم والعدوان فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ولذلك نصب الاولياء المؤيدين بالالهام والكرامات
لدفع حيل المنافقين ورد كيد الكايدين والذب عن الايمان بحل عقدهم الفاسدة وازالة
شبههم المضلة وقمع اهوائهم المغوية وتنوير قلوب المؤمنين باعلان الحق واعلام
الصدق وكشف حقايق الدين واسرار اليقين وكشف الغطاء عن منهج المتقين ولذلك
كان قتال المشركين الى النبي ص وقتال المنافقين الى علي عليه السلم دفعا عن هذه الشبهة بعيسى ع
وقال لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالا وقال ص
فيكم من تقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل فعلم التاويل وقتال
المنافقين وحكاية الجن ظهر منه ع دون الرسول ص اذ حكمة الرسالة اقتضت ذلك و
قوله ع يعبر عن الضعفاء كلام مستأنف للتنبيه على ان ذلك الولي لقوة علمه وبراهينه
يدحض حجج المبتدعين المضلين نيابة عن الضعفاء لانه في الحقيقة لسانهم المعبر عنهم بالحجج
اليقينية الكلام في دفع البدعة عنهم والا وهم لا يقدرون على ذلك لقصور حالهم وضعف
حجتهم ومقالهم واما قوله ع فاعتبروا يا اولى الابصار وتوكلوا على الله ففيه امر لاهل
البصيرة بالاعتبار وهو العبور من الظاهر الى الباطن والاستدلال بالشهادة
على الغيب لينكشف عليهم الحال ويرفع بذلك عنهم بدع اهل الضلال ولا يمكن ذلك
الا بافاضة نور من الله على قلوبهم فلذلك فرع الامر بالتوكل عليه بعد الامر بالاعتبار
فان مجرد الفكر والنظر لا يجدي نفعا الا بهدى من الله وهو نور من انوار الله به يرى
الاشياء كما هي ويحتمل ان يكون هذه العبارة من كلام الصادق عليه السلم فرفع الامر منه
لشيعته واصحابه بالاعتبار والتوكل ليعلموا حجته ما قاله النبي ص في حال ولي كل زمان
ليعرفوا ولي زمانهم ويتكلوا عليه فيما هداهم به وامرهم وما نهاهم عنه وزجرهم

التوكل

التوكل على ولي الله توكل على الله **حديث الحادي** وهو الثاني والستون والمائة محمد بن
يحيى عن بعض اصحابه وعلي بن ابرهيم عن هرون بن مسلم كوفي ثقة له كتاب روى عنه علي بن
يعقوب الهاشمي كما في النجاشي وحسن بن علي بن فضال كما في فهرست عن مسعدة بن صدقة
قال الشيخ ره انه عامي وقال بتري وفي فهرست له كتاب روى عنه هرون بن مسلم
وفي النجاشي ابن صدقة العبدي ابو محمد قاله ابن فضال وقيل ابو بشر روى عن ابي عبد الله
وابي الحسن عليهما السلم له كتب روى عنه هرون بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلم
وعلي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن محبوب رفعه عن امير المؤمنين عليه السلم انه قال ان
من ابغض الخلق الى الله عز وجل لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جاير عن قصد
السبيل مشغوف بكلام بدعة قد لهج بالصوم والصلوة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن
هدي من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعد موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته
ورجل قمش جهلا في جهال الناس عان باغباش الفتنة قد سماه اشباه الناس
عالما ولم يغن فيه يوما سالما بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من
آجن واكثر من غير طايل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس
على غيره وان خالف قاضيا سبقه لم يأمن ان ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان
قبله وان نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشوا من رأيه ثم قطع به
فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطأ لا يحسب العلم
في شيء مما انكر ولا يرى ان وراء ما بلغ فيه مذهبا ان قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره
وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكي لا يقال له لا يعلم ثم جسر فقضى
فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم
ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو الريح الهشيم
تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه
الفرج الحلال لا ملي باصدار ما عليه ورد ولا هو اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق
الشرح قوله ع ان من ابغض الخلق الى الله عز وجل لرجلين من للتبعيض اي
جملة من ابغضهم الى الله رجلان والمراد بهما صنفان من الناس لا شخصان بعينهما احدهما
المفتي في دين الله بغير حق والثاني القاضي بين الناس على غير هدى وكلاهما من اهل
النار وانما صارا من ابغض الخلايق عنده تع لان شرهما متعد لكونهما من اصناف العلماء
وشرهما من باب العقايد الباطلة والبدع والاهواء ولا يوجد من افراد البشر من يكون
ابغض الخلق اليه تع الا من كان شره من باب البدع والآراء والاهواء لانه فساد في العلم
والدين وهو اكثر واقوى شرا من غيره من الكفر والفجار لان شر كل ظالم شره في الدنيا

وشرها فی الدين وابغضهم شر كل ظالم وان تعدی الی غيره لم يتعد الا الی الموجودين فی زمانه وشرور
امثال هؤلاء من اهل البدع والاهواء قد تسری الی يوم القيمة كرؤساء النواصب والخوارج والمجبرة وغيرهم
من المبتدعة فقد انتشرت ظلمات اهوائهم وشرور بدعهم وكفرهم فی نفوس طائفة وبقيت علی
وجه الارض الی الآن قوله رجل وكله الله الی نفسه ای جعل توكله عليها دونه لكونه ممن اتخذ الهه
هواه واضله الله علی علم وقال فی امثاله اعملوا ما شئتم وذلك لسبق اشغالهم القبيحة وسيئاتهم
السيئة وجزاء بما كانوا يكسبون من الاستبداد بالرأی والعمل بالمقاييس الفقهية وترك اجماع
اهل الحق قوله فهو جائر عن قصد السبيل ای مائل عن صراط الحق العدل المتوسط بين الافراط
والتفريط لكونه فی جانب الافراط بالجرأة والمكر مع الله مشغوف بكلام بدعة
ای شغفه حب كلام البدعة ای بلغ شغافه وهو غلاف القلب وهو جلده كالحجاب وفيه قوله تعالی
قد شغفها حبا قال ابن عباس دخل حبه تحت الشغاف وبعز المعجمة اذا بلغ الی شعفة
قلبه وهی عند معلق النياط قد لهج بالصوم والصلوة ليقال انه من اهل الدين والجملة تحتمل
ان يكون صفة لكلام بدعة باضمار عائد اليه واللهج بالشیء الولوع به من باب لبس وهو
ان يغری به فيثابر عليه فهو فتنة لمن افتتن به ای مضل لمن اقتدی به بذهاب عقله ودينه
ضال عن هدی من كان قبله لاغتراره بنفسه لا يقنع بتقليد من سبقه من المشايخ والمعلمين
ويريد ان يستقل بفكره ويستبد برأيه مع غاية قصوره وجهله وقلة عقله وسفاهته
كما حكی الله من امثاله بقوله تعالی واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس الآية مضل لمن اقتدی
به فی حيوته وبعد موته وهذا ما ذكرناه من قبل ان شر مثله ما يتعدی الی الذی بعده
ولاجل ذلك يحمل وزر من كان بعده ايضا واليه اشار بقوله عليه السلام حمال خطايا غيره
ای وبالها وعقابها فی القيمة رهن بخطيئته ای مرهون مقيد بتبعات خطيئته وجهله
من حجب الملكات الرديئة والهيئات البدنية تكملة استبصارية
اعلم انه عليه السلام قد ذكر لكل من هذين الرجلين اوصافا عديدة ناشئة عن باطنه فذكر
من رذائل هذا الرجل ثمانية امور الاول انه وكله الله الی نفسه والتوكل ماخوذ من
الوكالة يقال فلان وكل امره الی فلان اذا فوضه اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة
عن اعتماد القلب علی الوكيل وحده اذا عرفت ذلك فنقول كل من اعتقد بان نفسه
او احدا دون الله ممن له تأثير وقدرة وتمكن من الفعل وانه تام القدرة فی تحصيل مراده
فان ذلك من اقوی الاسباب المعدة لان يفيض من الله تعالی علی قلبه صورة الاعتماد علی
المتوكل عليه والمعتقد له وذلك معنی قوله وكله الله الی نفسه وكذلك معنی التوكل الی
الدنيا وذلك بحسب اعتقاد الانسان ان المال والقينات الدنيوية وافية بمطالبه
مغنية له عما وراءها فبحسب قوة ذلك التوكل وضعفه يكون شدة حجابه عن الله وبعضه

اياه ورفعه حجابه عنه ومحبته له تعالی وعن رسول الله صلعم من انقطع الی الله كفاه كل مؤنة ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن انقطع الی الدنيا وكله الله تعالی اليها وصورة التوكل عليه تعالی ان تثبت
فی نفسك بكشف او برهان استناد جميع الاسباب والمسببات اليه سبحانه وانه الفاعل
المطلق والغنی الحق تام القوة والقدرة والرحمة والعطوفة والعناية والرأفة بخلقه
ولم يبق فی نفسك التفات الی غيره بوجه حتی نفسك وحولك وقوتك فان لم تجد
من نفسك هذه الحال فلضعف ايمانك ويقينك او غلبة الوهم علی النفس فی معارضة
ذلك اليقين وبحسب ضعف ذلك الاعتقاد وقوته يكون تفاوت درجات التوكل
عليه وبحسبها منازل القرب والبعد عنه الثانی كونه جائرا عن قصد السبيل وهو لازم
من الاول لان من وثق علی نفسه ومن شان النفس الخطاء والوقوع فی المهوی فقد ضل عنه
الطريق الثالث كونه مشغوفا بكلام بدعة ای معجبا بما يخطر له ويبتدع من الكلام الذی
لا اصل له فی الدين ويدعو الناس الی الضلالة والجور عن القصد وهذا لازم عما قبله
فان من ضل عن الطريق وجار فهو يعتقد انه علی سواء السبيل فيكون مشغوفا بما يبتدعه
ويخترعه فهو كما قال الله تعالی من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فی الحيوة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا الرابع كونه فتنة لمن افتتن به وهو ايضا لازم عن الوصف
الثالث لان محبة القول الباطل والدعوة اليه سبب لكونه فتنة لمن اتبعه الخامس
كونه ضالا عن هدی من كان قبله وهذا الوصف كالثانی فان الضال عن الهدی جائر
عن قصد السبيل الا ان ههنا زيادة خصوصية اذ الجائر يتصور ان لا يكون له هدی
يتبعه والموصوف ههنا جائر وضال مع وجود هدی قبله مامور باتباعه وهو كتاب
الله وسنة نبيه واعلام الهداة الحاملون لدينه الناطقون عن مشكوة النبوة السادس
كونه مضلا لمن اقتدی به فی حيوته وبعد وفاته وهذا الوصف مسبب عما قبله اذ ضلال
الانسان سبب لاضلاله غيره ويفهم منه ما يفهم من الرابع مع زيادة فان كونه فتنة
لغيره هو كونه مضلا لمن اقتدی به واما الزيادة فكون ذلك الاضلال فی حيوته
وبعد موته لبقاء الاعتقادات الباطلة المكتسبة عنه فهی سبب ضلال الضالين بعده
السابع كونه حمال خطايا غيره وهو لازم عن السادس فان حمله لاوزار من يضله انما هو
بسبب اضلاله اياهم الثامن كونه رهنا بخطيئته ای موثق بها عن الصعود الی عالم
الملكوت والجنان وحضرة جلال الله الرحمن ولهذين الوصفين اشار القرآن الكريم
بقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء
ما يزرون وقد مر فی الحديث السابق ما فی هذا المقام من التحقيق والتبيين واما الرجل
الثانی فقد عد من رذائله السيئة وعاداته القبيحة نحوا من ستة عشر وصفا وميزه بها اولها

قوله ورجل قمش جهلا القمش والتقميش جمع الشيء المتفرق من ههنا وههنا ويقال للمجموع
قماش وقماش البيت متاعه اشارة الى ان ما لفقه من الجهالات اخذه من افواه الناس
من هنا شيئا ومن هنا شيئا وثانيها كونه في جهال الناس وعبارة نهج البلاغة موضع في جهال
الامة اي مطرح من جملة الاراذل ليس من اشراف الناس وثالثها انه عان باغباش الفتنة
اي اسير بظلمات الفتنة فان الاغباش جمع غبش بالتحريك البقية من الليل ويقال ظلمة
آخر الليل وفي رواية نهج البلاغة غار اي غافل في ظلمات الخصومات وفي اخرى عاد
اي ساع في الظلمات ورابعها انه قد سماه اشباه الناس عالما انما اراد باشباه
الناس العوام والجهال لما حققناه في كتبنا العقلية من ان نفوس اكثر الناس ليست
ناطقة مجردة عقلية بل نفوسهم نفوس خيالية من شانها ان تصير عقلا ومعقولا باكتساب
العلوم النظرية العقلية والان التحقق من له جوهر عاقل بالفعل ونفوس سائر الناس
كالهيولى بالنسبة الى ذلك الجوهر العقلي الصوري وهو نور يفيض من الله عليها اعني الروح
الاضافي الذي هو من امر الله لكن تلك النفوس الخيالية ايضا مع ذلك غير قائمة بالبدن
بل مجردة عن عالم الطبيعة ولهذا تصير محشورة في المعاد والتحقيق في ذلك مما يؤدي
الى الاطناب وليس ههنا موضع بيانه فان قلت اي ذنب له في ان يسميه العوام عالما
قلنا كل الذنب والشقاء قد انبعث له من هذا فانه شبه نفسه بالعلماء في اللباس والهيئة
والزي والتكلم بكلامهم ليقال انه عالم مع افلاسه عن حقيقة العلم فصار رحمة لنفسه ولغيره
وخامسها انه لم يغن فيه يوما سالما هو بالغين المعجمة قال ابن الاثير في النهاية وفي حديث
علي عالم سماه الناس عالما ولم يغن في العلم يوما سالما اي لم يلبث في العلم يوما تاما من
قولك غنيت بالمكان اغنى اذا اقمت به وسادسها انه بكر فاستكثر من جمع ما قل منه
خير مما كثر معناه انه وان لم يصرف يوما في طلب العلم ولكن خرج من اول الصباح في طلب
الدنيا يقال بكر بالصلوة اي صلاها في اول وقتها ويحتمل ان يكون قوله بكر في صفة موضحة
لقوله سالما مرتبطا بما قبله والمراد انه لم يصرف في طلب العلم يوما بتمامه بان بكر في طلبه
لاشتغاله بسائر امور الدنيا وشهواتها فاستكثر ما قل منه خير مما كثر اي جمع
واستكثر من اسباب الدنيا ومتاعها ما قليل منه خير من كثيره والكلام محتاج فيه
الى اضمار اي استكثر الذي ما قل منه خير مما كثر وذلك على فرض ان لو جمعه من وجه الحل
فكيف اذا استكثر من الحرام كالرشوة ومال اليتيم وغيرهما ويحتمل ان يكون المراد منه
علم الذي جمعه واستكثر منه وهو الانسب بما بعده وسابعها كونه ممن ارتوى من آجن
كما في قوله حتى اذا ارتوى من آجن يقال رويت من الماء وارتويت وترويت كلها
بمعنى واحد والآجن من اجن الماء اذا تغير طعمه ولونه وقيل تغيرت رائحته من القدم وقيل

عشية

عشية الطلب والورق فهو آجن شبه علمه الباطل بالماء المتعفن كما شبه العلم الحق بالماء
الطهور استعارة بالكناية والاستكثار منه بالارتواء من ذلك الماء العفن ترشيحا ولا يخفى
ما في هذه الاستعارة من الحسن عند اهل البصيرة وثامنها انه اكتنز من غير طائل النسخ ههنا
مختلفة ففي بعضها اكتنز على وزن افتعل من الكنز يقال كنز المال اي جمعه واكتنز الشيء اجتمع
وفي بعضها اكثر من الكثرة وهو المطابق لما في رواية نهج البلاغة وفي بعضها اكثر من الكنز
وهذا لا يوافق اللغة والاول يقدر فيه الفاعل والعائد اي اكتنز له مال من غير غنى ومزية
يقال هذا الامر لا طائل فيه اذا لم يكن غناء ومزية ويحتمل ان يكون كلامه عليه السلام واقعا
على طريقة لف ونشر بان يكون قوله قمش جهلا الى قوله سالما اشارة الى علم هذا الرجل
وقوله بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر اشارة الى ماله ويكون قوله حتى اذا ارتوى من
آجن ناظرا الى الاول وقوله واكتنز من غير طائل ناظرا الى الثاني وتاسعها جلس بين الناس
جواب لاذا قاضيا ضامنا اي حاكما نافذا حكمه ضامنا لتخليص ما التبس على غيره لما
الزم على نفسه من عدم السكوت في جواب مسئلة ولا الاعتراف بالقصور والجهل لمضادته
لما توهمه من المنصب الجليل والجاه الرفيع وعاشرها كونه ان نزلت به احدى المبهمات
من المسائل والوقائع المعضلات اي المشكلات كقسمة المواريث والمناسخات وغيرها
هيأ لها اي اعد لبيانها والتفصي عن اعضالها حشوا من رأيه وفي رواية حشوا رثا
من رأيه يقال عنده متاع رث اي خلق بال ثم قطع اي جزم فيها قاله من حشو رأيه ولا بان
وحادي عشرها انه من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت اي انه من وقوعه في الشبهات
الملتبسة الواردة عليه كوقوع الذباب ونحوه في مثل نسج العنكبوت لا يمكنه التخلص
عنها وثاني عشرها انه لا يدري اصاب ام اخطأ فيما حكم وقضى وثالث عشرها انه لا يحسب
العلم في شيء مما انكره ولم يعرفه لزعمه ان المجهول عنده مجهول لغيره ايضا ولا يرى ان وراء
ما بلغ فيه لبعد الناقص وذهنه القاصر مذهبا صحيحا ورابع عشرها كونه ان قاس شيئا
بشيء بقياسه الفاسد لم يكذب نظره بل اصر عليه ولا يرجع عنه وان نبهه احد على خطائه
خوفا من ظهور جهله على الناس ولذلك عقبه بقوله وخامس عشرها انه ان اظلم عليه
امر اكتتم به اي اخفاه عن غيره ولم يسأل احدا حتى يستفيد منه وجه الصواب في ذلك
الامر لما يعلم من جهل نفسه وقصور طبعه عن فهم المرام حين افادة غيره له لكيلا يقال
له لا يعلم شيئا وان كان واضحا في نفسه او مستوضحا وسادس عشرها كونه جاسرا انه
الدين او جاسرا على التخمين وهو قوله ثم جسر اي تجاسر مع ذلك في امر القضاء فقضى
وفي بعض النسخ حسر بالحاء المهملة اي كل بصره وانقطع نظره عن الاصابة في الحكم ثم قضى
مع ذلك وسابع عشرها ما قال هو مفتاح عشوات اي باعث ومنشأ للعشوات والعشوات

الظلمات تشبيها الشبهة بالظلمة وفي بعض الروايات خباط عشوات وهو باضمار مبتدأ اي
يخبط في ظلام الشبهات والالتباسات كالذي يمشي في الليل بلا مصباح فيتحير ويضل وربما
يردى في بئر او يسقط على سبع قال ابن الاثير فيه احمد والله الذي يرفع عنكم العشوة
يريد ظلمة الكفر وهي بالضم والكسرة والفتح الامر الملتبس وان يركب امرا بجهل لا يعرف
وجهه ماخوذ من عشوة الليل وهي ظلمته ويجمع على عشوات والثامن عشر انه ركاب
شبهات من قولهم فلان يركب الجهل اذا ركب امرا بجهالة والتاسع عشر انه خباط جهالات
الخبط الضرب على غير استواء وقد خبط البعير الارض بيده خبطا ضربها وخبطت الشجر
خبطا ضربتها بالعصا ليسقط ورقها ومنه خبط عشوا وفي الدعاء واعوذ بك ان يتخبطني
الشيطان اي يصرعني ويلعب بي ومنه لا تخبطوا خبط الجمل وهو كقولهم يخبط فلان في
عمياء والعشرين انه لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم فان الاعتراف بالجهل سلامة في الدنيا
والآخرة وهو احد العلمين ولهذا قيل لا ادري نصف العلم وفي الخبر العلم ثلثة كتاب
ناطق وسنة قائمة ولا ادري والواحد والعشرين انه لا يعض في العلم بضرس
قاطع فيغنم كناية عن قصور حظه في باب العلم تشبيها للعلم بالطعام لانه غذاء الروح
ولكمال القوة النظرية للرجل وقصورها عن درك المعقولات بضرس غير قاطع للغذاء
والحاصل من الفقرتين انه لا يعترف بالجهل ليسلم عن الآفة ولا له بضاعة في العلم
ليكون على بصيرة فيما هو بصدده والثاني والعشرون انه يذري الروايات ذرو
الريح الهشيم ذرته الريح واذرته تذروه وتذريه اذا اطارت به ومنه ان رجلا
قال لولده اذا مت فاحرقوني ثم ذروني في الريح والهشيم من النبات اليابس
المتكسر قال الله تعالى هشيما تذروه الرياح اي يبدد الروايات كما تنسف الريح هشيم
النبت اي يبثها من غير اتساق ونظام وعلى غير هواديها والثالث والعشرون انه
يبكي منه المواريث اي اهل المواريث بالجور الذي وقع منه في قسمتها ويحتمل المجاز
العقلي في نسبة البكاء الى الميراث مبالغة على سبيل التمثيل والتخييل كما وقع في
جانب النفي قوله تعالى فما بكت عليهم الارض والسماء وكما يروى عن ابن عباس
اذا مات المؤمن بكى عليه مصلاه وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه
في السماء وعلى هذا القياس قوله ع وتصرخ منه الدماء في الاحكام بين المذكورين والرابع
والعشرون انه يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال اما لخطائه
في الفتوى وجهله او لسهوه في موضع الحكم لعدم تيقظه واحتياطه او لوقوع ذلك منه
عمدا للرشوة او مراعاة سلطان او غير ذلك والخامس والعشرون ما اشار ع بقوله
لا ملي باصدار ما عليه ورد ملأ الاناء ما يملأه ويسعه وفي الدعاء الحمد لله ملأ السموات والارض

فيه قيل لان الكلام لا يسع الا ما كن والمراد كثرة عدده بحيث لو قدر ان يكون كلماته اجساما
لبلغت من كثرتها ان تملأ السموات والملأ بالهمزة المليء الغني اي ليس له من العلم قدر
ما يمكنه ان يصدر عنه الخلاص مما ورد عليه من الاشكالات والشبهات والسادس والعشرون
ما اشار اليه بقوله ع ولا هو اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق اي ليس هو من اهل العلم
بالحقيقة كما يدعيه لما فرط منه واعلم ان المروي عنه عليه السلم في كتاب نهج البلاغة انه بعد ان
خص الرجلين المذكورين باوصافهما اردف ذلك بالشكوى عنهما وعن الجهال بما يقيمها وغيرهما
من سائر الجهال والضلال من التشكي الى الله والبراءة عنهم وذلك قوله الى الله اشكو
من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق
تلاوته ولا انفق سلعة ولا اغلى ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر
من المعروف ولا اعرف من المنكر انتهى كلامه عليه السلم اي اذا فسر الكتاب وحمل على
المعنى الذي هو حقيقة معناه وعلى الوجه الذي اعتقدوه فاسدا واطرحوه بجهلهم من درجة
الاعتبار واذا حرف عن مواضعه ومقاصده الاصلية على وفق اغراضهم وحسب
مقاصدهم شروه باغلى ثمن والغالية وكان من انفق السلع بينهم ووجه المشابهة
في استعارة لفظ السلعة وغيرها ظاهر ومنشأ كل ذلك واصله هو الجهل وكذلك
ليس عندهم انكر من المعروف لمخالفته اغراضهم ودواعيهم ولا اعرف من المنكر لموافقته
اياها وكل ميسر لما خلق له ومن الله التوفيق والعصمة **الحديث السابع** وهو الثالث
والستون وماية الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن على الوشا عن ابان بن عثمن
عن ابي شيبة الخراساني مجهول قال سمعت ابا عبد الله ع يقول ان اصحاب المقاييس
طلبوا العلم بالمقاييس فلم يزدهم المقاييس من الحق الا بعدا وان دين الله لا يصاب
بالمقاييس **الشرح** العلم عبارة عن معرفة الحقايق الكلية اما بطريق المشاهدة
العقلية كما هو مسلك الانبياء والاولياء صلوات الله عليهم او بطريق الحدود والبراهين
كما هو منهج الحكماء والنظار وهذا القياس كما سبق عبارة عن معرفة جزئي من الجزئيات
بمعرفة جزئي آخر لجامع مشترك بينهما فهو ليس بعلم في عرف الاولياء والحكماء وانما يسمى علما
باصطلاح آخر اعني مطلق الصورة الذهنية وانما يوجب الاشتغال بهذه المقاييس
بعدا عن الحق لان صاحبه محتجب بها عن درك الحق مشغول القلب فيما يجانب منهج الدين
معدول به عن مسلك اليقين ولذا قال دين الله لا يصاب بالمقاييس هذا مع ما يلزمه
من العيوب الباطنية والآفات النفسانية التي قل من ينفك عنه من الخائضين
في استعمال الاقيسة الفقهية واستنباط الفروع الدقيقة والفتاوى الغريبة بها مثل
محبة الجاه والمباهاة والمفاخرة والعجب والكبر وطلب التفوق على الاقران بالمجادلة والمناظرة

نوايل الى الشهرة والجاه وتقرب السلاطين وليست هذه الآفات في العلوم الحقيقية الباطنية
لعدم اطلاع الناس عليها ولا في العلوم النقلية الصرفة من حفظ الاحاديث والروايات اذ
لا يحصل بمجرده قوة المناظرة وملكة المجادلات الكلامية والمراوغات الجدلية ليظهر بها التفوق
في العلم عند العامة وبالجملة الآفة كل الآفة والشر كل الشر في رجل جاهل القلب عليم اللسان
باستعمال المقاييس الفقهية والمجادلات الكلامية ولهذا ورد المنع الشديد من استعمالها
في هذه الاحاديث المتوالية المروية عن اهل بيت العصمة والهداية سلام الله عليهم اجمعين
الحديث الثامن وهو الرابع والستون ومائة علي بن ابرهيم عن ابيه ومحمد بن اسمعيل
عن الفضل بن شاذان رفعه عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم قال ان كل بدعة ضلالة
وكل ضلالة سبيلها الى النار الشرح معناه واضح كما سبق الحديث التاسع وهو الخامس
والستون ومائة علي بن ابرهيم عن ابن ابي عمير عن محمد بن حكيم قال قلت لابي الحسن موسى
عليه السلم جعلت فداك فقهنا في الدين واغنانا الله بكم عن الناس حتى ان الجماعة منا
لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما من الله
علينا بكم فربما ورد علينا الشيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شيء فنظرنا الى
احسن ما يحضرنا واوفق الاشياء لما جاءنا عنكم فنأخذ به فقال هيهات هيهات
في ذلك والله هلك من هلك يا ابن حكيم قال ثم قال لعن الله ابا حنيفة كان
يقول قال علي وقلت قال محمد بن حكيم لهشام بن الحكم والله ما اردت الا ان يرخص لي
في القياس الشرح قوله فقهنا في الدين اي صيرنا فقهاء في الدين وهو اما بصيغة
الماضي المعلوم من الثلاثي المجرد او بصيغة المجهول من باب التفعيل وفي دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله
في حق علي عليه السلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل اي فهمه والفقه في الاصل الفهم يقال
فقه الرجل بالكسر يفقه فقها اذا فهم وعلم وفقه يفقه بالضم اذا صار فقيها عالما وقد جعله
العرف خاصا بعلم الشريعة ثم خصصها بعلم الفروع منها وقوله حتى ان الجماعة منا لتكون
في المجلس ما يسأل رجل صاحبه يحتمل ان يكون قوله لتكون في المجلس خبر ان وقوله
يسأل رجل صاحبه صفة لمجلس باضمار عايد اليه مثل كلمة فيه او يكون جملة حالية من
المستكن في تكون وما زايدة او موصولة وقوله تحضره المسألة وجوابها خبر مبتدأ
محذوف اي واحد من الجماعة وحاصل المعنى انه اذا اتفق ان يكون احدنا واقعا في
مجلس يسأل فيه احد صاحبه مسألة فانه يحضر عنده اصل تلك المسألة وجوابها لقوة
فقاهته واستحضاره لكل مسألة تتداول بين الناس وقوله فربما يورد علينا
الشيء هذا ابتداء كلامه في غرضه الذي هو الرخصة في القياس وقوله فنظرنا الى احسن
ما يحضرنا واوفق الاشياء لما جاءنا فنأخذ به هذا اشارة الى استعمال القياس اي قد

يورد

يورد علينا شيء ليس فيه نص من كتاب ولا سنة مما جاءنا عنكم حتى نأخذ به ولكن نجد ما هو موافق
لما جاءنا عنكم اشد موافقة واحسنه فنأخذ به وهذا عين القياس الفقهي وقوله احسن ما يحضرنا
واوفق اشارة الى ان جهة الاشتراك وهي الجامع بين الاصل وما يتفرع عليه امر مناسب
لهما منفرد بالاشتراك في اللفظ او في معنى عام يعمهما وساير الاشياء او في عرض عام
لنوعهما وغير نوعهما او في جنس بعيد لهما ولما استشعر عليه انه يريد الرخصة في القياس
قال هيهات هيهات تأكيدا للمنع عنه بايراد كلمة التبعيد مكررا وهيهات مبنية على الفتح
وناس يكسرونها وقد تبدل الهاء الاولى همزة فيقال ايهات ومن فتح وقف بالتاء
ومن كسر وقف بالهاء قوله في ذلك اي في استعمال القياس والله هلك من هلك
يا ابن حكيم جعل النهي عنه مؤكدا بهذا الخبر وما اكتفى في صدقه مع كونه صادرا عن الذي
لا يحتمل في حقه الكذب لعصمته عن الخطأ حتى جعله مقرونا بالقسم زيادة في التأكيد
ومنه يستفاد ان اهل العذاب الدائم منحصر في هذا الصنف من المنتسبين الى العلم
لان ابليس الذي هو رئيس الضالين المضلين ما صنع شيئا الا القياس والاستكبار
وهؤلاء اتبعوه في الامرين فان صاحب البدعة يلزمه الافتخار والاستكبار كما لا يخفى
على من له بصيرة وقد ظهر ايضا مما سبق من الكلام وقول ابو حنيفة لعنه الله قال علي
وقلت معناه انه جعل قول امير المؤمنين في حكم من الاحكام اصلا وقاس عليه حكم
آخر يوافقه او يناسبه وبذلك استحق البعد عن الله وعن دار رحمته وكرامته الحديث
العاشر وهو السادس والستون ومائة محمد بن ابي عبد الله رفعه عن يونس بن عبد الرحمن
قال قلت لابي الحسن الاول عليه السلم بما اوحد الله فقال لا تكونن مبتدعا من نظر
برأيه هلك ومن ترك اهل بيت نبيه ضل ومن ترك كتاب الله كفر الشرح
قوله بما اوحد الله اي بما استدل على توحيد الله وما يستحقه من النعوت الالهية
لعل يونس اراد ان يترخص في القياس فنهاه عن ذلك على الخصوص ثم ذكر
الحكم الكلي العام فقال من نظر برأيه فقد هلك آه اي من استعمل القياس في معرفة الله
ونظر في احكام الله برأيه فهو من الهالكين ومن ترك اهل بيت النبوة عليهم السلم
بالاخذ منهم والاستفادة من اقوالهم وآثارهم فهو من الضالين ومن ترك كتاب الله
فهو من الكافرين والفرق بين الهالك والكافر هيهنا ان المراد بالاول ما هو بحسب
الباطن وبالثاني ما هو في ظاهر الامر فان من ترك كتاب الله وجعله مهجورا كما في قوله
حكاية عن بقوله يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا فهو معدود من الكفار
الحديث الحادي عشر وهو السابع والستون ومائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن الوشاء
عن مثنى الحناط عن ابي بصير قال قلت لابي عبد الله عليه السلم ترد علينا اشياء ليس نعرفها

في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها قال لا اما انك ان اصبت لم توجر وان اخطأت كذبت
على الله الشرح قوله فننظر فيها الضمير فيها راجع الى الاشياء الواردة التي ليست
مذكورة في كتاب الله ولا سنة والفاء للتفريع اي لما لم نعرف لها دليلا من الكتاب والسنة
فهل يجوز لنا ان ننظر في تلك الاشياء بان نقيسها على حكم آخر مذكور في احدهما وقوله عليه السلم
ان اصبت لم توجر لاح عن اشكال بحسب الظاهر فان المعلوم من كلامهم عليهم السلم غاية التشديد
في امر القياس والزجر عنه والمذمة لصاحبه وتوجه اللعن عليه لكن الوجه فيه انه لو فرض
انسانا استعمل دليلا غير تام واصاب به مطلوبا وفيما يمكن ان يوجر عليه وان اختل
بعض مقدمات دليله او كلها واما عند استعمال القياس واصابة المطلوب الشرعي به فالاثم
لازم لنفس الاستعمال والاجر غير ثابت في تلك الاصابة ولو من جهة نفس الاصابة
لحصولها بسبب القياس ففي الصورة الاولى الاجر ثابت لاصابة المطلوب من جهة الاصابة
بخلاف الصورة الثانية التي ليست فيها جهة من الثواب اصلا لان صاحب هذه الاصابة
لا يعلم من جهة القياس انه مصيب ام لا وليس له ان يعمل بموجبه اذ القياس ليس
بدليل حتى يصح العمل بمؤداه فلا يوجر صاحبه اصلا بوجه من الوجوه وعليه وزر استعمال
القياس سواء اصاب او اخطأ فاذا اخطأ كان له وزران وزر الكذب على الله
ووزر استعمال القياس الحديث الثاني عشر وهو الثامن والستون ومائة
عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن عمر بن ابان الكلبي عن عبد الرحيم
القصير كان ابن روح من اصحاب الباقر ع وربما يأتي في طرق الاحاديث عبد الرحيم
ابن عتيك القصير وروى عن الصادق ع فتدبر عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار الشرح
قد مر مثله ولكن المذكور هناك وكل ضلالة سبيلها الى النار والمذكور ههنا
وكل ضلالة في النار ولعل النكتة ههنا الاشارة الى ان النار التي ستبرز يوم القيمة
وتطلع على الافئدة موجودة الآن لكنها كامنة خافية فكل ضلالة والانحراف عن الصراط
المستقيم الذي قيل انه على متن جهنم يوجب الوقوع في الجحيم كما في قوله تعالى ان الذين
لا يؤمنون عن الصراط لناكبون يقعون في الجحيم ثم في النار يسجرون الحديث
الثالث عشر وهو التاسع والستون ومائة علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد
عن يونس بن عبد الرحمن عن سماعة بن مهران عن ابي الحسن موسى عليه السلم قال
اصلحك الله انا نجتمع فنتذاكر ما عندنا فلا يرد علينا شيء الا وعندنا شيء مسطر
وذلك مما انعم الله به علينا بكم ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء فينظر
بعضنا الى بعض وعندنا ما يشبهه فنقيس على احسنه فقال وما لكم وللقياس انما هلك

من هلك

من هلك من قبلكم بالقياس ثم قال اذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به وان جاءكم ما لا تعلمون فها
واهوى بيده الى فيه ثم قال لعن الله ابا حنيفة كان يقول قال علي وقلت انا وقالت الصحابة
وقلت ثم قال اكنت تجلس اليه فقلت لا ولكن هذا كلامه فقلت اصلحك الله اتى رسول الله
بما يكتفون به في عهده قال نعم وما يحتاجون اليه الى يوم القيمة فقلت فضاع من ذلك شيء
فقال لا هو عند اهله الشرح قوله اصلحك الله دعاء له عليه السلم في صلاح حاله في امر
دنياه وامامته وارشاده للخلق وقوله فلا يرد علينا شيء اي من الامور العظيمة والاحكام
الجليلة التي هي العمدة بدليل قوله ثم يرد علينا الشيء الصغير وقوله الا وعندنا شيء مسطر
اي مكتوب في الصحف عندنا اي كلما سمعنا منكم كتبناه وضبطناه ويحتمل ان يكون
المراد منه استثباته في لوح الضمير وصحيفة الخاطر وقوله ثم يرد علينا الشيء الصغير
ليس عندنا فيه شيء اي ليس عندنا فيه نص من القرآن والحديث وقوله وعندنا ما
يشبهه اي ما يشبهه هذا الامر الذي ليس عندنا فيه شيء من الكتاب والسنة يعني ان
الامر الجامع بين الاصل الموجود الثابت بالنص وبين الذي ليس ثابتا بنص
هو المشابهة وقوله فنقيس على احسنه اي على احسن ما عندنا من الامور التي تشبهها هذا
الفرع اي المقاس عليه اشبه الامور بهذا الامر المقيس الذي قسناه عليه و
قوله عليه السلم وما لكم والقياس استفهام على سبيل الانكار اي وما الذي جعلكم
والقياس وحملكم على فعل القياس وقوله ع وانما هلك من هلك من قبلكم بالقياس
يحتمل ان يكون اشارة الى ابليس فانه اول من قاس وانما هلك بسببه وقوله
اذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به اه اي اذا ورد عليكم شيء مما تسألون عنه وتستفتون
فيه فان علمتموه فقولوا به وافتوا كما علمتموه وان لم تعلموه فاسألوا عني لقوله تعالى
فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ولهذا المعنى اشار بقوله فها واهوى بيده
الى فيه وها حرف تنبيه واشارة والمنبه بها المشار اليه قد يكون امرا ملفوظا كما
تقول ها انتم هؤلاء وقد يكون امرا موجودا يشار اليه بنحو حركة او فعل عند التلفظ
بحرف التنبيه كما فعل ع ههنا حيث حرك يده الى فيه يقال اهوى بيده الى الشيء
ليأخذه اي مد نحوه واماله اليه وباقي الفاظ الحديث واضحة لا خفاء فيها الحديث
الرابع عشر وهو السبعون ومائة عنه عن محمد عن يونس عن ابان عن ابي شيبة
الزراري من اصحاب الصادق ع قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول ضل علم ابن شبرمة
عند الجامعة املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلم بيده ان الجامعة
لم تدع لاحد كلاما فيها علم الحلال والحرام وان اصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس
فلم يزدادوا من الحق الا بعدا وان دين الله لا يصاب بالقياس الشرح قوله ضل

علم ابن شبرمة اي ضاع وهلك يقال قد تضلل البراة عنه اي تضلل المكتوب وابن شبرمة الضبي
الكوفي كان قاضيا على سواد الكوفة لابي جعفر ولعله يعمل بالقياس اي ملك وبطل علمه واضمحل
في جنب كتاب الجامعة ثم وصف ذلك الكتاب باوصاف ثلثة الاول انه املاء رسول الله
والثاني انه كتابة علي عليه السلام والثالث انه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الفرعية وفيها
علم الحلال والحرام الذي وقع او سيقع الى يوم القيمة فلم يدع لاحد كلاما الا ويكون منشاؤه فيه
وسيجيء في الاحاديث الآتية ذكر كتاب الجفر والجامعة وما روى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام
انه قال عندنا الجامعة قال قلت جعلت فداك وما الجامعة قال صحيفة طولها سبعون
ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله واملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل
شيء يحتاج اليه حتى الارش في الخدش وباقي الفاظ الحديث قد مر بيانه

الحديث الخامس عشر

وهو الواحد والسبعون والمائة محمد بن اسماعيل عن الفضل بن شاذان عن صفوان بن يحيى
عن عبد الرحمن بن الحجاج عن ابان بن تغلب عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان السنة لا تقاس الا
ترى ان المراة تقضي صومها ولا تقضي صلوتها يا ابان ان السنة اذا قيست محق
الدين **الشرح** محقه محقا ابطله ومحاه والمحق النقصان وذهاب البركة وقيل ان
يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه اثر ومنه قوله تعالى يمحق الله الربا اي يستاصله افاد عليه السلام
ان السنة لا تقاس اي الاحكام الشرعية لا تعلم بالقياس ونبه عليه بان القياس
لو كان صحيحا في باب السنة والشريعة لاقتضى ان تقضي المراة صومها كما تقضي صلوتها
فان العقول البشرية لا تجد الفرق بينهما في وجوب القضاء وعدمه ثم افاد ان السنة
اذا قيست اي استعمل فيها القياس لادى ذلك الى محاق نور الدين واستيصال
بناء الشريعة لان كل احد يرى بعقله او بهواه مناسبة وشبها بين الشيء وبين
غيره فيحكم عليه بحكمه وهكذا يحكم على كل شيء باحكام شيء آخر فيبطل الدين بالكلية اذ ما من
شيء من الممكنات الا وبينه وبين شيء آخر مجانسة او مشاركة ما في كم او كيف او نسبة
فاذا قيس بعض منها الى بعض في الاحكام الشرعية صار الحلال حراما والحرام حلالا
لم يبق شيء من الدين

الحديث السادس عشر

وهو الثاني والسبعون عدة من اصحابنا
عن احمد بن محمد عن عثمن بن عيسى قال سالت ابا الحسن موسى عليه السلام عن القياس
فقال ما لكم والقياس ان الله لا يسال كيف احل وكيف حرم **الشرح** يعني ان الله
قد احل لعباده اشياء وحرم عليهم اشياء بحسب ما يقتضي علمه وعنايته ومصلحتهم
والعقول البشرية قبل ان يكتحل بنور الولاية والمعرفة عاجزة عن البلوغ الى ادراك
اللمية ومعرفة الكيفية في ما احل او حرم فليس لهم الا السمع والطاعة والانقياد والتسليم
دون السؤال عن كيفية احلال ما احل الله او تحريم ما حرم كما ليس لاحد ان يسئله تعالى
عما يفعل لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فظهر ان القياس في احكام الله تعالى
باطل كما في افعاله وليس يلزم من ذلك ان لا داعي ولا مرجح في الاحكام ولا في افعاله كما زعمه
الاشاعرة ومن يحذو حذوهم من المتكلمين بل ما من فعل كان او قولا او حكما الا وله غاية وحكمة
نعم الفعل المطلق اعني الذي لا واسطة بينه وبين الفاعل الاول الحق لا غاية له غير ذاته تعالى
كما انه لا فاعل له اصلا فذاته تعالى كما انه مبدأ كل شيء مجعول كذلك غاية كل شيء مصنوع

الحديث السابع عشر

وهو الثالث والسبعون والمائة علي بن ابراهيم عن هرون بن مسلم
ابن سعدان الاصل كوفي تحول الى البصرة ثم تحول الى بغداد ومات بها من اصحاب العسكري عليه السلام
والكاتب النمري ثقة رأى كان نزل سامرا واصله الانبار ويكنى ابا القسم ثقة وجه وكان
له مذهب في الجبر والتشبيه لقي ابا محمد وابا الحسن عليهما السلام عن مسعدة بن صدقة قال
حدثني جعفر عن ابيه ان عليا عليه السلام قال من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في
التباس ومن دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس قال وقال ابو جعفر عليه السلام
من افتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله
حيث احل وحرم فيما لا يعلم **الشرح** نصب الشيء اقامه ورفعه والدهر هو الزمان
كله او الزمان الطويل والمراد ههنا مدة عمر الانسان والارتماس في الماء وغيره الانغمار
ومنه انه كره للصائم ان يرتمس وقيل الارتماس ان لا يطيل اللبث في الماء
والانغماس ان يطيل اللبث فيه ومنه ما روي عن الشعبي يجتنب الصائم الرمس
ولا ينغمس يعني ان من اقام نفسه لان يحكم بالقياس كان جميع عمره في التباس لان
القياس لا يفيد علما فمن افتى بالقياس كان يلتبس عليه كل حكم ويستخرج بالقياس
بما هو خلافه او بضاده ثم من دان الله بالرأي اي عمل بما ادى اليه الراي والقياس
كان تمام عمره في ارتماس في الهوى وانغماس في الشهوات فالاول وهو الالتباس
بين الحق والباطل حاله حجب العلم والثاني وهو الارتماس في بحر الظلمات والانغمار
في هوى الشهوات والتباعد عن الحق ودار الحيوة حاله حجب العمل به واما قول ابي جعفر عليه السلام
فهو قياس مركب من موجبتين كليتين على هيئة الضرب الاول من الشكل الاول ينتج موجبة كلية
هي مفاد قولنا كل من افتى الناس برأيه فقد ضاد الله فاذا جعل هذا القول صغرى
وضم اليه قولنا وكل من ضاد الله فهو ملعون ينتج كل من افتى الناس برأيه فهو ملعون
اما بيان صغرى القياس الاول وهي قوله عليه السلام من افتى الناس برأيه فقد دان الله
بما لا يعلم فلما علمت مرارا ان القياس ليس مما يفيد علما ولا ظنا قويا فمن دان به دان الله
بما لا يعلم واما بيان كبراه وهي قوله عليه السلام ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله فهو ما اشار
اليه بقوله حيث احل وحرم فيما لا يعلم يعني ان من دان بما لا يعلم لم يدن بدين الله بل دان

بهوى نفسه لانه احل اشياء وحرم اشياء ولم يعلم ان حلاله حلال احله الله او ان حرامه حرام
حرمه الله فاذا دان به فلا شك انه اتبع هوى نفسه ولم يتبع امر الله ورسوله وكل من لم
يتبع الله ولا رسوله واتبع هواه فقد ضاد الله **الحديث الثامن عشر** وهو الرابع والسبعون
والمائة عن احمد بن محمد عن الحسن بن علي بن يقطين عن الحسين بن مياح المدايني روى عن ابيه
قال ابن الغضائري انه ضعيف غال صه عن ابيه عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان ابليس
قاس نفسه بآدم فقال خلقتني من نار وخلقته من طين ولو قاس الجوهر الذي خلق الله
منه آدم بالنار كان ذلك اكثر نورا وضياء من النار **الشرح** اعلم ان الانسان مركب
من جوهرين احدهما ظاهره وعلنه والآخر باطنه وسره اما ظاهره فهو هذا البدن المحلول
المركب من عناصر متضادة الصفات والاحوال متخالفة الطبايع والاحياز متعاندة
الذوات للانفكاك لكن الغالب منها فيه هي الارض والماء اعني الطين وهو جوهر
مظلم اخس الجواهر المظلمة واما باطنه فهو جوهر نوراني علوي من عالم الامر فايض على
هذا البدن بامر الله وقوله كن فيكون وهو مستور عن الحواس غير متدنس بالارجاس
والادناس واكثر الناس وهم النازلون في مهوى الحيوانات وحضيض الدواب
ولم يحصل لهم هذا الجوهر العقلي ولم يجعل الله لهم هذا النور فهم بعد في ظلمة الوهم مترددون
لما بينا في كتبنا البرهانية ان جمهور الناس نفوسهم حيوانية خيالية وهذا الجوهر الرباني
والنور العقلي انما يوجد في اهل الكمال العلمي من الذين خرجت نفوسهم بالعلم والعمل
من حد القوة الى الفعل ومن حدود المحسوس الى حد العقل ومن الظلمات الى النور
فاذا علمت هذه المقدمات فاعلم انه عليه السلام اراد ان يشير الى ان ابليس لكونه
لم يتجاوز درجة نفسه من حد الوهم المشوب بالحس الى حد العقل الخالص ولم ير
من حقيقة آدم الا البدن المظلم المخلوق من الطين فقاس نفسه النارية المخلوقة
من النار فقال اللعين انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين
فانا خير من آدم هذا نتيجة قياسه المغالطي الفاسد ومنشأ غلطه وجوه احدها انه
عليه اللعنة اخذ ما بالقوة مكان ما بالفعل فان الانسان انسان بما به موجود بالفعل
لا بما به موجود بالقوة فالبدن المخلوق من الطين هو انسان بالقوة لانه حامل القوة
الاستعدادية لحدوث ما هو به يصير انسانا بالفعل وثانيها انه اخذ مادة الشيء
مكان صورته فالانسان انسان بصورته لا بمادته وكذا كل موجود مركب من مادة و
صورة فالسرير سرير بصورته السريرية لا بمادته الخشبية والسيف سيف بحدته
الموجبة للقطع لا بحديدة وثانيها هذا القياس وثالثها انه اخذ ما ليس بعلة علة فان
علة كرامة آدم واستحقاقه لمسجودية الملائكة ليسا لاجل جسده المخلوق من الطين

بل

بل انما لاجل روحه الذي هو سر من اسرار الله ونور من انواره او لاجل جامعيته لجميع ما
متفرق في عالمي الملك والملكوت ومظهريته لجميع الاسماء الالهية وهي المشار اليها
بقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها فقوله ع ولو قاس الجوهر الذي خلق آه اشارة الى
ان ابليس مع كونه خالف امر الله المنصوص عليه بالقياس وذلك غير جايز بوجه من
الوجوه كما علمت غير مرة فقد غلط وخبط فيما صنع من قياسه حيث لم يستعمله في موضعه
لانه قاس نفسه بجسد آدم وجسد آدم ليس بآدم فقاس نفسه بغير ما هو مأمور بسجدته
فليس قياسه واقعا في مقابلة ما دل عليه النص فلا يصلح للمعارضة به فلو قاس الجوهر
القدسي الذي خلق الله منه آدم لانه صورته التامة وغايته الكمالية بالجوهر الناري
الذي هو نفسه الخبيثة الشريرة لظهر عليه ان ذلك الجوهر اكثر نورا واتم ضياء من
كل نار بل لا نسبة بين النور العقلي المعنوي وغيره من الانوار الحسية كنور الشمس
والقمر وغيرهما من الكواكب فضلا عن نور النار الذي يضمحل في ضوء النهار **الحديث**
التاسع عشر وهو الخامس والسبعون والمائة علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن
عبيد عن يونس عن حريز عن زرارة قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الحلال
والحرام فقال حلال محمد حلال ابدا الى يوم القيمة وحرامه حرام ابدا الى يوم القيمة
لا يكون غيره ولا يجيء غيره وقال قال علي عليه السلام ما احد ابتدع بدعة الا ترك بها
سنة **الشرح** هذا الحديث الخ يدل على ان لا نسخ في الحديث والجواب ان المراد
ان الذي بين عنه صلى الله عليه وآله من غير نسخ منه مستمر الى يوم القيمة لا يعارضه
شيء ولا يبطله قياس وقوله ع لا يجيء غيره معناه ان كل ما يحتاج اليه الناس
الى يوم القيمة ~~لا يعارضه~~ شيء فهو ثابت في الكتاب والسنة فلا يحدث شيء من الاحكام
لم يكن في احدهما فظهر مما ذكره ان القياس باطل لانه ان كان مطابقا لما في السنة
فوجوده لغو اذ هو كعدمه وان كان مخالفا للسنة فهو باطل بالنص فالقياس باطل بالنص
وبهذا يعلم حقية ما قال امير المؤمنين ع ما احد ابتدع بدعة الا ترك بها سنة
اذ لو لم تكن مخالفة للسنة لم تكن بدعة وحيث كانت مخالفة مناقضة لما كان يلزم
من اتيانها ترك سنة هي في مقابلها **الحديث العشرون** وهو السادس والسبعون
والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه عن احمد بن عبد الله العقيلي عن عيسى بن عبد الله القرشي
قال دخل ابو حنيفة على ابي عبد الله عليه السلام فقال له يا ابا حنيفة بلغني انك
تقيس قال نعم قال لا تقس فان اول من قاس ابليس حين قال خلقتني من نار
وخلقته من طين فقاس ما بين النار والطين ولو قاس نورية آدم بنورية النار
عرف فضل ما بين النورين وصفاء احدهما على الآخر **الشرح** معناه كما مر والله اعلم

ان ابليس اعلم بنفس ذرية آدم بنورية ناره اى نفسه التى شره من نار غضب الله وغضبه التى تسعر بها الجحيم لانه لم يعرف حقيقتها التى هى امر من امر الله وكلمة من كلماته التامات التى كتبها بيده ونفخها
بقوله ونفخت فيه من روحى واضافها لاشرفيتها حيث قال وكلمته القاها الى مريم وروح منه وانما لابليس
بقوة الوهمية ان يعرف حقيقة النفس الآدمية وروحها التى من عرفها فقد عرف الرب
ولو كان الشيطان عارفا بالله لم يكن مطرودا عن بابه بعيدا عن رحمته وانما شانه المغالطة
والوسوسة وتلقى الشبهات الغادرة وابداء الوهميات الكاذبة والمقدمات السفسطية
التى تزيغ شكا وغرورا ووعدا بالشر وتخويفا وابعادا عن الخير كما فى قوله تعالى يعدهم ويمنيهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا **الحديث الحادى والعشرون** وهو السابع والسبعون والمائة
على عن محمد بن عيسى عن يونس عن قتيبة قال سال رجل ابا عبد الله عليه السلم عن مسئلة فاجابه
فيها فقال له ما اجبتك فيه من شىء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله لسنا من ارايت
فى شىء **الشرح** مه اسم مبنى على السكون سمى به الفعل معناه اكفف لانه زجر بمعنى الذى
اجبتك به فيما سالت عنه من المسئلة ليس صادرا عن الرأى والقياس حتى تقول ارايت
ان كان كذا فما القول فيها بل انما اجبت فيما اجبت بالمنقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله
اخذا عن ابيه عن آبائى عليهم السلم منتهيا الى رسول الله صلعم الى جبرئيل الى الله سبحانه
قلت ولسنا من ارايت فى شىء اى لسنا بحيث يسع احدا ويصح له ان يقول لنا
ارايت لان ارايت سؤال واستفهام عن الرأى وما يتادى اليه ونحن لا نقول
بالرأى فى شىء اصلا بتصرفه اعلم انه ليس معنى ما ذكره ع ما اجبتك فيه من شىء فهو عن
رسول الله صلعم ما يفهم الظاهريون من الناس من ان شانهم حفظ الاقوال خلفا عن خلف
حتى يكون فضلهم على سائر الناس فى قوة الحفظ للمسموعات او بكثرة المحفوظات
بل المراد ان نفوسهم القدسية استكملت بنور العلم وقوة العرفان بسبب اتباع
الرسول عليه وعليهم الصلوة والسلم بالمجاهدة والرياضة مع زيادة استعداد
اصلا وصفاء وطهارة فى الغريزة فصارت كمرآة مجلوة يحاذى بها شطر الحق بواسطة
مرآة اخرى او بغير وساطة الا ترى ان المرايا المتعددة التى فيها المحاذية لمرآة
اخرى هى بحذاء الشمس ينعكس ضوء الشمس الى الجميع فهكذا حال من اتبع الرسول صلعم
حق المتابعة يصير محبوب الحق تعالى كما فى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله ومن يحبه الله افاض عليه من الانوار الالهية كما افاض على صاحبه صلعم
لكن الفرق ثابت بين المتبوع والتابع وبالجملة يجب ان يعلم ان علوم الائمة عليهم السلم
ليست اجتهادية ولا سمعية من طرف الحواس بل علومهم كشفية لدنية تفيض على قلوبهم
انوار العلم والعرفان عن الله سبحانه لا بواسطة امر مباين من سماع او كتابة محسوسة

اوردناه او شىء من هذا القبيل وما يدل على ما بيناه وارضحناه قول امير المؤمنين عليه السلم
علمنى رسول الله صلعم الف باب من العلم فانفتح لى من كل باب الف باب وقول الرسول صلعم
اعطيت جوامع الكلم واعطى على جوامع العلم ومعنى تعليم الرسول صلعم له عليه السلم هو اعداد
نفسه الشريفة القابلة لانوار الهداية على طول الصحبة ودوام الملازمة بتعليمه وارشاده
الى كيفية السلوك الى الله بتطويع النفس الحيوانية وقواها الامارة واستخدامها الروح
النفخى الالهى واشارته صلعم الى اسباب التطويع والرياضة حتى استعد عليه السلم
لاشتغاله بالامور الغيبية والاخبار عن المغيبات وليس التعليم البشرى سواء
كان المعلم رسولا ام غيره هو ايجاد العلم وان كان امرا معدا للايجاد والافاضة من الله
ومنه قوله صلعم اعطى بصيغة البناء للمفعول دليل ظاهر على ان المعطى لعلى جوامع العلم
ليس هو النبى بل الذى اعطاه ذلك هو الذى اعطى النبى جوامع الكلم وهو الحق
سبحانه فافهم هذا المقام فانه من مزال الاقدام **الحديث الثانى والعشرون** وهو الثامن
والسبعون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد مرسلا قال قال ابو جعفر
عليه السلم لا تتخذوا من دون الله وليجة فلا تكونوا مؤمنين فان كل سبب ونسب
وقرابة ووليجة وبدعة وشبهة منقطع الا ما اثبته القرآن **الشرح** ولج يلج
اى دخل والولوج الدخول وقال ابن الاثير وفى حديث على ع اقر بالبيعة وادعى
الوليجة ووليجة الرجل بطانته ودخلاؤه وخاصته ومنه اللقمة الوليجة الدخيلة
وخاصتك من الرجال او من تتخذه معتمدا عليه من غير اهله وهو وليجتهم اى لصيق بهم
والمعنى لا تتخذوا من دون الله معتمدا تعتمدون عليه فلم تكونوا حينئذ مؤمنين بالله وآياته
اذ المؤمن الحقيقى من لا اعتماد ولا توكل له الا على الله ولا استعانة له الا به ومن استعان
بغير الله ذل وقوله ع فان كل سبب الخ ان جميع هذه الامور المذكورة لما كانت
من الامور العرضية الاضافية فهى منقطعة الا ما اثبته القرآن لانه البرهان وكل ما اثبته
البرهان الحق فهو لازم غير منقطع وكل ما هو لازم ضرورى من العلوم والاعتقادات
المتعلقة بالامور الدائمة كالعلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وكتبه ورسله فذلك
من قبل الله وافاضته وجوده ولذلك لا ينقطع وكل ما ليس كذلك كالنسب فى
النسب الجسمانى وكالقرابة البدنية والوليجة وكذا كل بدعة وشبهة فان كلها
منقطع لانها من الدنيا واسبابها الفانية وكل ما هو من الدنيا وما يتعلق بها
من النفوس وادراكها الوهمية والخيالية فهى امور داثرة زائلة منقطعة
فمن اتخذها واعتمد عليها فليس هو بمؤمن بالله وكلماته التامات وقد خالف
قوله تعالى لا تتخذوا من دون الله وليجة وتحقيق هذا المقام يحتاج الى تمهيد مقدمات احدها

ان العلل والاسباب للاشياء ذوات العلل على ضربين الضرب الاول هي العلل الذاتية وهي
التي لا ينفك عن المعلول ولا يمكن وجوده الا متقوما بها موجودا بوجودها وهي كالفاعل والغاية
وكالمادة والصورة ان كان مركبا منهما الضرب الثاني العلل العرضية وهي كالمعدات والحركات
وساير الامور الاتفاقية العرضية فقد لا يوجد عند وجود المعلول فبعضها مما لا يوجد وجود المعلول
الا بعد عدمها وبعضها مما لا يشترط وجودها ولا عدمها عند حصول المعلول لكونه شرط حدوثها
لا شرط وجودها فالاول كالنطفة للانسان والثاني كالابوين له والثالثة ان الانسان وان
كان وجوده في هذا العالم مشروطا بمادة بدنية لكن من شانه ان يتجرد روحه من هذا البدن
الظلماني المركب من الاضداد والمعرض للمحن والآفات والفساد الى عالم الآخرة بل سعادته
ان يستكمل بذاته ويتجرد عن الدنيا وما فيها غير متعلق بشيء من هذا العالم وانما يمكن ذلك
لطهارة النفس عن الرذايل وتحليها بالعلوم والفضايل الرابعة ان عالم الآخرة ليس كعالم
الدنيا دار الاتفاقات والاستعدادات العرضية والاسباب الخارجية وليس هناك
من الاسباب الا ما هو من الجهات الفاعلية دون الانفعالات المادية لان ذلك العالم
عالم صوري ودار حيوانية ليس فيه امر مادي سواء كانت الصورة من العقليات الصرفة
وهو دار المقربين او من التعليمات المقدارية وهو دار اصحاب اليمين وبالجملة الموجودات
التي يكون في دار الآخرة كالجنة واصحابها وجميع احوالها وافعالها وجناتها وانهارها وحورها
وغلمانها وقصورها وغرفاتها وكذا النيران ومن فيها من الامور التي يفيض من الله تعالى الارواح
والنفوس المستقلة من هذه الدار للآخرة وجميع هذه الصور الملذة الخيالية ومقابلاتها
هي من نتايج الاعمال الصالحة او السيئة لتلك الارواح والنفوس بمنزلة الاضواء والظلال
اللازمة اياها من غير مشاركة سبب خارجي او مدخلية امر اتفاقي وقد اوضحنا ذلك في مباحث
المعاد من كتبنا وهذا معنى قوله تعالى الملك يومئذ لله وقوله لا ظلم اليوم وغير ذلك من الآيات
الكثيرة المشيرة الى هذا المعنى فاذا تقررت هذه المقدمات فنقول ان معنى المومن كما يستفاد
من اطلاقات لسان الشريعة هو العارف بالله ورسله وكلماته وآياته ويكون مرجعه
الى الله وملكوته وهذا المعنى لا يتحقق الا باستكمال ذاته والعلوم الحقيقية الدائمة التي لا يتغير
ولا ينقطع والعلوم الدائمة لا يمكن ان يحصل الا بالاسباب الدائمة اذ سبب الشيء لا يمكن
ان ينقص وجودا من ذلك الشيء وكل سبب لا يدوم بدوامه الشيء فهو سبب عرضي غير
حقيقي فالسبب للعلوم الدائمة لا بد ان يكون من الامور الالهية والبراهين الدائمة
وذلك لا يمكن الا بافاضة الله اما بذاته او بتوسط ما هو من ذاته دايما بدوام ذاته
فكلما ليس كذلك فلا تعويل للمومن عليه ويكون حكمه حكم وليجة دون الله من رواية او سماع
او قياس او بدعة او تقليد او اجازة او كتابة او سماع او كتاب ولكن الذي اثبته القرآن

اولاده

اولاده الرسول صلى الله عليه وآله ليس بمنقطع لانها امور ربانية جاءت من قبل الله وكلماته
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا

باب الرد الى الكتاب والسنة وانه ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج
الناس اليه الا وقد جاء فيه كتاب او سنة وهو الباب التاسع عشر من كتاب العقل والعلم
وفيه عشرة احاديث **الحديث الاول** وهو التاسع والسبعون والماية محمد بن يحيى عن
احمد بن محمد بن عيسى عن علي بن حديد عن مرازم بضم الميم والراء قبل الالف والزاي بعده
ابن حكيم الازدي المدايني مولى ثقة واخوه محمد بن حكيم وحديد بن حكيم يكنى ابا محمد روى عن
ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم ومات في ايام الرضا ع قال النجاشي وهو احد
من بلي باستدعاء الرشيد واخوه احضرهما الرشيد مع عبد الحميد بن عواض فقتله وسلما
ولهم حديث ليس هذا موضعه له كتاب روى عنه جماعة منهم علي بن حديد عن ابي عبد الله
عليه السلم قال ان الله تبارك وتعالى انزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله
شيئا يحتاج اليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا انزل في القرآن الا وقد انزله
فيه **الشرح** يعني ان القرآن لجميع علوم الاولين والآخرين وقد انزل فيه تبيان
كل شيء وبرهان كل علم ونور كل هدى وسبيل كل غاية وشاهد كل غايب ومهيمن كل كتاب
وجامع كل خطاب ما من علم الا وفيه اصله ودليله وما من حكم الا وفيه بيانه وسبيله حتى والله
ما فات القرآن الامور الجزئية وما ترك الله منه شيئا يحتاج اليه العباد من الوقايع
النادرة الواقعة في شيء من الازمنة والاوقات فضلا عن معظمات الامور والكليات
من القواعد والاعتقادات حتى لا يسع لاحد ولا يستطيع عبد ان يقول حتما لو كان
هذا الحكم الجزئي والمسئلة الفرعية في القرآن اذ لا يعزب عن علم القرآن شيء في الارض
ولا في السماء الا وقد انزل الله فيه وقوله ع الا وقد انزل الله فيه يحتمل ان يكون الاستثناء
منقطعا او مستثنى فالتاكيد ما سبق وعلى الاول يكون الا حرف الاستثناء مشددة
اللام مكسورة الهمزة بمعنى لكن وعلى الثاني يكون حرف التنبيه مفتوحة الهمزة مخففة اللام
نقل كلام لتوضيح مرام قال بعض المفسرين اعلم انه مر على لساني في بعض الاوقات
ان هذه السورة يعني فاتحة الكتاب يمكن ان يستنبط من فوايدها ونفايسها عشرة آلاف
مسئلة فاستبعد هذا بعض الحساد وقوم من اهل الجهل والعناد وحملوا ذلك على ما
الفوه من الكلمات الفارغة من المعاني والاقوال الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني
فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب قدمت بهذه المقدمة ليصير كالتنبيه على ان ما ذكرنا
امر ممكن الحصول قريب الوصول فنقول ان قولنا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لا شك
ان المراد منه الاستعاذة بالله عن جميع الشرور والمنهيات والمحظورات ولا شك

أيضا لا ان يكون من باب الاعتقادات او من اعمال الجوارح اما الاعتقادات فقد جاء في الخبر المشهور
قوله ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة وهذا يدل على ان
الاثنين والسبعين موصوفون بالعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة ثم ضلال كل فرقة
من اولئك الفرق غير مختص بمسئلة واحدة بل هو حاصل في مسائل كثيرة من المباحثات المتعلقة
بذات الله تعالى وصفاته واحكامه وافعاله واسمائه وفي مسائل الجبر والقدر والتعديل والتجوير
والثواب والعقاب والمعاد والوعد والوعيد والاسماء والاحكام والامامة واذا وزعنا
عدد الفرق الضالة وهو الاثنان والسبعون على هذه المسائل الكثيرة بلغ العدد الحاصل مبلغا
عظيما وتلك انواع الضلالات الموجودة في فرق الامة في جميع المسائل العقلية المتعلقة
بالالهية والتوحيد والمتعلقة باحكام الذات والصفات بلغ المجموع مبلغا عظيما
في العدد ولا شك ان قولنا اعوذ بالله يتناول الاستعاذة به عن جميع تلك الانواع
والاستعاذة عن الشيء لا يكون الا بعد معرفة المستعاذ منه ومعرفة كونه قبيحا باطلا فظهر
بهذا الطريق ان قولنا اعوذ بالله مشتمل على الالوف من المسائل الحقيقية اليقينية واما الاعمال
الباطلة فهي عبارة عن كل ما ورد النهي عنه اما في القرآن او الاخبار المتواترة او في اخبار
الآحاد او في اجماع الامة او في القياسات ولا شك ان تلك المنهيات تزيد على
الالوف وقولنا اعوذ بالله متناول لجميعها وجملتها فثبت بهذا الطريق ان قولنا اعوذ بالله
مشتمل على عشرة آلاف مسئلة او ازيد او اقل من المسائل المعتبرة المهمة انتهى كلامه
أقول ان جميع ما اشار اليه هذا الرجل الفاضل المشهور بالامامة والعلم عند الجمهور ليس
من علم القرآن في شيء ولا هو بمعرفتها قد صار من اهل القرآن وخاصة الله كما ورد ان اهل
القرآن اهل الله وخاصته بل كل ما ذكره واشار اليه من المسائل الجمة الكثيرة التي
شحن بها كتبه الكلامية والفقهية اما ماخوذة من السماع من افواه الرجال واما تقليدات
صرفة كاكثر مسائل المعاد وبعض مسائل المبدأ واما آراء كلامية وقواعد متزلزلة
لا تعويل عليها في تحصيل اليقين وانما يترتب بها طالب المباهاة وانما يحسن استعمالها
عند الخصومات والمجادلات ولهذا وضعت اول وضعها في الاسلام او مسائل
اجتهادية ظنية كما ذكر بعضها من الاخبار وبعضها من القياسات التي نحن الآن في
ذمها وابطالها وبالجملة ليس شيء من هذه المسائل الكثيرة التي يعج بها من علوم اهل
القرآن واهل الله في شيء وانما ذلك شيء الهمه الله ونور علمي اجمالي اضاء الله
على قلب من يشاء من عباده به يرى الاشياء كما هي وذلك الحكمة النورانية المعبر عنها
عند جماعة بالعقل البسيط او الاجمالي او العقل بالفعل وعلى لسان القرآن بالهدى
والنور والحكمة والفضل وغير ذلك وانما تحصل بالمواظبة على تدبر الآيات وطول

الرياضة

الرياضة والمجاهدة مع النفس والهوى والعمل بما علم فان من عمل بما يعلم اورثه الله علم ما لم يعلم
وحينئذ ان ينكشف له العلم بحقايق الاشياء وكلياتها من العلم بذات الاول تعالى وصفاته العليا
واسمائه الحسنى وافعاله الكبرى ثم يعرف من الكليات الجزئيات ومن الحقائق دقائقها
ومن الاسماء مظاهرها ومجاليها وهكذا يعرف من الاوائل الثواني ومن البدايات النهايات
ومن العلل المعلولات ومن الاسباب المسببات كما هو طريقة الصديقين على عكس
طريقة جمهور النظار المستدلين بالآثار على المؤثرات وعند ذلك يظهر ان ما من شيء من العلوم
الكلية والجزئية والاصول والفروع الا ويوجد في القرآن اصله وفرعه وماخذه وغايته
ثم ان الذي ذكره ان قولنا اعوذ بالله متوقف على العلم بجميع المذاهب والآراء الفاسدة
والاعمال القبيحة ليس كذلك فان من عرف طريق الحق يعلم بالاجمال ان غيره طريق الباطل
ومن علم بالخير يعلم ان ما سواه شر فله ان يستعيذ بالله من كل شر وآفة وضر وان لم يعلم
جميع الشرور والآفات على التفصيل وهل هذا الذي ذكره الا مثل ان يقول احد لا يجوز
لي طلب الصحة من الله كما في الادعية المأثورة الا بعد ان اعرف جميع الامراض والعلل
واسبابها فيجب ان يشتغل طول عمره بمطالعة كتب الطب وبتصفح كل مرض مرض وآفة آفة
حتى يجوز له طلب الصحة منه في الدعاء من الله فربما مات في اثناء المطالعة وتتبع الامراض
ولم يدع ربه وايضا ان الذي ذكره من تلك المسائل لم يستفده من قول اعوذ بالله بل
استفاده من الخارج وكان الكلام منه اولا في استنباط العلوم الكثيرة كعشرة الاف
ونحوها من فاتحة الكتاب ومثل الذي ذكره لو كان هو معنى الاستنباط لكن ذلك النحو
منه في غير كلام الله بل من كلام اكثر الناس وبالجملة ليس معنى كون القرآن تبيانا لكل شيء
ما تصوره وفصله بل شيء اجل وارفع من ذلك كما مر سابقا اشارة اليه

الحديث الثامن

وهو الثامن والمائة علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن حسين بن المنذر
ابن ابي طريفة البجلي كوفي من اصحاب الصادق ع ثم ابن المنذر اخو ابي حسان وذكر
ان الحسن والحسين ابنا منذر من اصحاب الباقر ع وذكر في اسم منذر ابن ابي طريفة
ابنه الحسين روى عنهما وقال النجاشي انه روى عن علي بن الحسين وابي جعفر وابي
عبد الله عليهم السلم ولا يبعد ان يكون الحسن معروفا بابي حسان فيحتمل الاتحاد وفي الكشي
حمدويه عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن الحسين بن المنذر قال كنت عند ابي عبد الله ع
جالسا فقال له معتب خفف عن ابي عبد الله ع فقال ابو عبد الله ع دعه فانه من
فراخ الشيعة عن عمر بن قيس الماصر وقال عمر بالواو وبعدها الراء وهو من اصحاب الباقر ع
يروي عن ابي جعفر عليه السلم قال سمعته يقول ان الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا يحتاج
اليه الامة الا انزله في كتابه وبينه لرسوله صلى الله عليه وآله وجعل لكل شيء حدا وجعل عليه دليلا

يدل عليه وجعل على من تعدى ذلك الحد حدا **الشرح** افاد عليه السلم في هذا الحديث خمسة احكام
الاول ان الله تعالى انزل في كتابه يعني القرآن المجيد جميع ما يحتاج اليه هذه الامة المرحومة فلم يدع ولم
يترك شيئا من ذلك حتى الامور الجزئية والوقايع النادرة والثاني انه بين واوضح الحجج لرسوله
محمد صلى بحيث لا يخفى عليه شيء من ذلك والثالث انه جعل لكل شيء من الحقايق العلمية والاحكام
حدا اي معرفا تاما يوجب تصوره بكنهه او بوجه يمتاز به عما سواه والرابع انه جعل عليه دليلا
وهو البرهان ونحوه يوجب التصديق بوجوده في نفسه فالحد وما يجري مجراه في التصورات والدليل
وما يجري مجراه في التصديقات والخامس انه جعل على من تعدى ذلك الحد اي حد من حدوده حدا
من العقوبة او جعل على المتعدي عن حدود الله حدا آخر غير الثابتة اذ يحتج الثابت ان
بسبب مخالفة امر الله من حدود الثابتة للاحدود البهيمة والسبعية وغيرهما **الحديث الثالث**
وهو الواحد والثمانون والمائة علي عن محمد عن يونس عن ابان عن سليمن بن هرون هذا
الاسم مشترك بين ثلثة رجال كلهم من اصحاب الصادق ع احدهم الازدي الكوفي والثاني العجلي
من اصحاب الباقر ع ايضا والثالث النخعي ابو داود قال العلامة في صه يقال له كذاب
النخع روى عن ابي عبد الله ع ضعيف جدا قال ابن الغضايري وقال في كتابه آخر سليمن
ابن عمر ابو داود النخعي يروي عن ابي عبد الله ع حدثني احمد بن محمد بن موسى قال حدثنا
احمد بن محمد بن سعيد قال كان ابو داود النخعي يلقبه المحدثون كذاب النخع ثم قال
في هذا الكتاب حدثني محمد بن الحسين بن الفضل قال حدثني عبد الله بن جعفر بن درستويه
قال قال يعقوب بن سفيان كان سليمن بن يعقوب النخعي يكذب على الوقف انتهى
قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول ما خلق الله حلالا ولا حراما الا وله حد كحد الدار
فما كان من الطريق فهو من الطريق وما كان من الدار فهو من الدار حتى ارش الخدش
فما سواه والجلدة ونصف الجلدة **الشرح** يعني ان كل ما جعله الله حلالا او جعله حراما
فانما له حدا خاصا كحد الدار وجعل له طريقا خاصا كطريق الدار ليس لاحد التعدي عنه
لا من حده في باب التحديد والتصوير ولا عن طريقه في باب السبيل والدليل وبالجملة
ليس لاحد ان يتصرف بعقله في شيء منها من جهة قياس او ترجيح او استحسان او غير
ذلك فما اشتهر بين علماء العامة ان حكم الله تابع لرأي المجتهد وظنه باطل وكذا ما
ذكروا ان المناقضات التي ادت اليها آراء المجتهدين كلها حكم الله يجب العمل بكل منها
لمن اجتهد فيه ولمقلديه وان ليس لله ان ينصب على كل حكم دليلا كل ذلك اوهام
باطلة وآراء فاسدة بل الحلال حلال دايما والحرام حرام ابدا ولكل منهما حد معين
ودليل معين ابدا وما كان من الطريق لشيء فهو من طريقه ابدا وما كان من حده فهو من
حده ابدا فليس لاحد تغيير الحد ولا الدخول اليه الا من طريقه كما في قوله فأتوا البيوت

من ابوابها

من ابوابها الآية وفي ايراد لفظ خلق في قوله ع ما خلق الله حلالا دون جعل ونحوه اشعار
بان حسن الافعال وقبحها امر ذاتي لها ليس بجعل جاعل فالحلال حلال بالذات وله حد
وفائدة والحرام حرام بالذات وله حد وآفة وانما صنع الباري سبحانه ايجاد الاشياء
وافاضتها دون صيرورتها لها اذ الذاتي للشيء لا يعلل ثم ذكر عليه السلم من احكام الله تعالى
امثلة جزئية حقيرة استيفاءا وتاكيدا لما هو بصدده من كون كل حكم له حد وله طريق
فقال حتى ارش الخدش وهو قشر الجلد بعود ونحوه يقال خدشه يخدشه خدشا والارش
ما ياخذه المشتري من البايع اذا اطلع على عيب في المبيع وارش الجنايات والجراحات
من ذلك لانها جابرة عما حصل فيها من النقص وقوله فما سواه عطف على الخدش اي حتى
ما سواه مما هو مثله او دونه في الحقارة كما يدل عليه الفاء وقوله والجلدة ونصف الجلدة
عطف على ارش الخدش وهي الضربة بالسوط ونصفها وهو يتحقق اما بكون السوط
الذي يضرب به ما له نصف السياط المتعارفة او يضرب على وجه يكون ايلامه نصف
ايلام الجلدة الواحدة والامام يعلم بنور القرآن والالهام درجة كل جناية وما توجبه
من الحدود **الحديث الرابع** وهو الثاني والثمانون والمائة علي عن محمد بن عيسى عن يونس
عن حماد عن ابي عبد الله عليه السلم قال سمعته يقول ما من شيء الا وفيه كتاب او سنة
الحديث الخامس وهو الثالث والثمانون والمائة علي بن ابرهيم عن محمد بن عيسى عن يونس
عن حماد عن عبد الله بن سنان عن ابي الجارود قال قال ابو جعفر عليه السلم اذا حدثتكم
بشيء فاسئلوني من كتاب الله ثم قال في بعض حديثه ان رسول الله صلى الله عليه وآله
نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال فقيل يا ابن رسول الله اين هذا من
كتاب الله قال ان الله عز وجل يقول لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس وقال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال لا تسئلوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم **الشرح** النجوى من ناجاه يناجيه فهو مناج وقد
تناجيا مناجاة والمناجي المخاطب للانسان والمحدث له ومنه حديث علي ع دعاه
رسول الله صلى يوم الطائف فانتجاه فقال الناس لقد طال نجواه فقال ص ما انتجيته
ولكن الله انتجاه يعني اذا حدثتكم بشيء فاردتم مني دليله فاسئلوني عن الدليل عليه
من كتاب الله حتى اشير لكم الى دليله من الكتاب اي لا تقولوا على شيء اخبرت من اجماع
او قياس او استحسان واياكم والقيل والقال فان رسول الله صلى نهى عن ثلثة
اشياء احدها القيل والقال وهو المناظرة في العلم والمماراة والجدال في البحث
والثاني فعل ما يوجب فساد المال والثالث كثرة السؤال ثم لما ظهر من كلامه ع حيث قال
اذا حدثتكم بشيء فاسئلوني من كتاب الله ان جميع الاحكام ماخوذة من القرآن فسئلوا من

عن دارك هذه الامور الثلثة التي نقلنا وحذرهم بها عن رسول الله صلعم ومواضعها من القرآن
ففي الآيات المذكورة فالآية الاولى وهي قوله لا خير في كثير من نجواهم الآية نهى النبي عن
القيل والقال وآفات المناظرة والجدال واعلم ان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات
الاخلاق ومرديات الذنوب والسيئات كثيرة فان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة
واظهار الفضل وقصد المباهاة منبت النفاق ومنبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله
وقال بعض المحققين ان نسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والحسد والعجب والافتخار
وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا
والقتل والسرقة وغيرها وكما ان الذي خير بين شرب الخمر وساير الفواحش استصغر
الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من
غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه دعاه ذلك الى اضمار الخبائث
كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة واما الآية الثانية وهي قوله تعالى ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم الآية فمضمونها النهي عن فساد المال وفساده معلوم انه قبيح منهي عنه
عقلا وشرعا اذ المال انما خلقه الله واعطاه لاجل ان يصرف في مصالح الخلق وسد
حاجاتهم وبذل في وجوه الخير وابواب البر فمن اضاعه وافسده كان مكفرا لنعمة الحق
وعاداه واما الآية الثالثة وهي قوله تعالى ولا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم فهي
للنهي عن كثرة السؤال خصوصا من العوام والجهال ومن لم يبلغ فهمه الى ادراك الحقيقة فهي
افسد شيء لدينهم وعقلهم ومن الآفات العظيمة سؤال العوام ومن يحذو حذوهم عن
صفات الله وعن كلامه وعن كيفية رؤيته وعن الحروف انها حادثة او قديمة وعن سر
القدر وعن الجبر والقدر الا ان الامساك عن السؤال ثقيل على النفوس والفضول
خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل له انك
من العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر ولا يدري وكل
كبيرة يرتكبها العامي فهو اسلم من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته
وانما شان العوام الاشتغال بالعبادة والايمان بما ورد به القرآن والتسليم
لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يتعرضون
به لخطر الكفر وسخط الرب تعالى وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو
موجب العقوبة وكل من سال عن علم غامض لم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة
اليه عامي ولذلك روى انه قال رسول الله صلعم ذروني ما تركتكم فانما هلك من قبلكم
بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه
ما استطعتم وعن انس انه سئل رسول الله صلعم حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر

فقال

فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء الا انبأتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله اني في الجنة
انا او في النار قال بل في النار وقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا
فقال ابوكما الذي تدعيان اليه وقام اليه رجل فقال من ابي فقال ابوك حذافة وكان
يدعى لغيره فلما رأى الناس غضب رسول الله امسكوا فنزلت الآية لا تسألوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وروي عن رسول الله صلعم انه قال يوشك الناس يسألون
بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد حتى يختموا
السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان وقال جابر ما نزلت
آية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان
استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سال
عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال ولا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا
فلم يصبر حتى سال ثلثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين
من اعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن العظيمة فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم
في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك كتابا ورسم فيه امورا فلم يشتغل
بشيء منها وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك العقوبة
لا محالة فكذلك يضيع العامي حدود القرآن واوامره ونواهيه واشتغاله بحروفه اقديمة او
حادثة وكذا اشتغاله بساير صفات الله ولكنهم اكثر المتكلمين الذين يخوضون في البحث
عن صفات الله وافعاله وآياته وكلماته من غير بصيرة وكشف قلب فمن اراد ان يعرف
غوامض اسرار المبدأ والمعاد بهذه الصنعة المشهورة المسماة بعلم الكلام فقد استسمن
ذا ورم وهو في خطر عظيم فان طريق معرفة الله والسبيل الى فهم عجايب ملكوته واسرار
كتبه ورسله شيء آخر ليست صنعة الكلام ولا المتكلم بهذه الصنعة منه في شيء بل انما هو
في حجاب كثيف منه وخطر شديد به **الحديث السادس** وهو الرابع والثمانون والمائة
محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون مولى بني اسد ثم مولى بني سلامة
كان وجها في اصحابنا قاريا فقيها نحويا لغويا راوية وكان حسن العمل كثير العبادة والزهد
روى عن الصادق والكاظم عليهما السلم وكان فاضلا مقدما معدودا في العلماء والفقهاء
الاجلة في هذه العصابة سمعه هرون الرشيد يدعو في الوتر فاعجبه صه وقال الكشي
ذكر حمدويه عن محمد بن عيسى ان ثعلبة بن ميمون مولى محمد بن قيس الانصاري وهو ثقة خير
فاضل مقدم معلوم في العلماء والفقهاء الاجلة في هذه العصابة ويقال له ابو اسحق النحوي
وفي رجال الشيخ روى عنهما عليهما السلم عن المعلى بن خنيس قال قال ابو عبد الله عليه السلم
ما من امر يختلف فيه الاثنان الا وله اصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال

الشرح تحقيق هذا الكلام وتبيين هذا المرام ان الاشياء الكلية والجزئية كلها مستندة عن العلل
الاوائل وهي كلها منتهية عن السبب الاول جل اسمه الذي يتسبب منه كل موجود وعلم وينشعب
منه كل عين واثر وينتشي منه كل علم وخبر وكل ما عرف بسببه من حيث يقتضيه ويوجبه فلا بد
وان يعرف ذلك الشيء علما ضروريا دائما وما شيء الا وينتهي في سلسلة الحاجات اليه
والى الاوائل الصادرة عنه واذا رتبت الاسباب والمسببات انتهت اوائلها
الى مسبب الاسباب وانتهت اواخرها الى الجزئيات الشخصية فلكل كلي وجزئي ظاهر عن
ظاهريته الاول وما وقد تحقق في العلوم الحقيقية ببرهان اليقيني ان العلم بسبب الشيء يوجب
العلم به فمن عرف ذاته تعالى باوصافه الكمالية ونعوته الجلالية وعرف الاوائل والغايات
من العقول القدسية ومبادي النواميس والمدبرات النفسانية والحركات السماوية لاجل
الاغراض الكلية العقلية بالعبادات الدائمة والنسك المستمرة من غير فتور
ولغوب واعيانه في الدؤوب الموجبة لان يترشح عنها صور الكائنات فيحيط علمه بكل
الامور واحوالها ولواحقها علما برهانيا عن التغير والشك والغلط فيعلم من الاوائل
الثواني ومن الكليات الجزئيات المترتبة عليها وهذه طريقة الصديقين في معرفة
الاشياء المشار اليها في قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد فانهم عرفوا
الله اولا وعرفوا صفاته ومن صفاته اوائل افعاله ومن الاوائل الثواني وهكذا الى ان
علموا الكليات ومن الكليات الجزئيات ومن البسائط المركبات فعلموا حقيقة الانسان
واحوال النفس الانسانية وما يزكيها ويكملها ويسعدها ويصعدها الى العالم القدسي
والربوبية ومنازل الابرار والمقربين وما يدنسها ويرديها ويشقيها ويهويها الى
اسفل السافلين ومنازل الفجار والشياطين علما ثابتا عن قابل للتغير ولا محتمل لتطرق
الريب فهذه حال علوم الانبياء والاولياء ومن يسلك مناهجهم كما في قوله تعالى قل هذه
سبيلي ادعوا الى الله انا ومن اتبعني وكل علم لم يحصل على هذه السبيل بل حصل من
تقليد او سماع او ظن او قياس فليس من الحق في شيء ان الظن لا يغني عن الحق شيئا
فاذا تقرر ما ذكرناه فنقول ان القرآن كتاب نازل من عند الله على رسوله صلى الله عليه وآله
وهو مشتمل على اصول المعارف وعلوم الحقائق كلها فما من حكم كلي ولا جزئي الا وفيه
اصله ومبداؤه وغايته ومنتهاه ففيه جميع علوم الاولين والآخرين الا ان اكثر
العقول البشرية عاجزة عن البلوغ الى دركها من الكتاب فالقصور من جانب العقول
الضعيفة لعلة نورها لا من جانب القرآن لان آياتها ظاهرة وانوارها ساطعة ودلائلها
واضحة وحججها قاطعة الا ترى ما يلحق الخفافيش اذا نظرت الى عين الشمس من الآفة
والكلال ففي هذا المثال ما يلحق عقول الجماهير من النظر في آيات القرآن واحاديث انوار

فيمدوا

فيمدوا الى التأويلات البعيدة وحملوها على المعاني المناسبة لانظارهم الفكرية و
آرائهم الوهمية الظلمانية واشتغل اكثر النفوس من القرآن كاشتغال الخفافيش من
بقايا عكوس انوار الشمس وظلالها فلذلك صرح ابناء الحكمة والمعرفة لما هذا المط
وراضوا انفسهم بالرياضات وعالجوها بالعلاجات حتى زالت عن عيون عقولهم
وبصائرهم العمش والغشاوة والآفة حتى امكنهم ان يلحظوا الآيات القرآنية
وليستضيئوا بانوارها فيدركوا بنور القرآن جميع المقامات الدينية والاحوال الاخروية
والاحكام الايمانية والعلوم الالهية والآداب الخلقية والسياسات والحدود
الشرعية وهي الحكمة الممنون بها على اهلها المضنون بها على غير اهلها وهي الخير الكثير
والفوز الكبير والفضل العظيم والمن الجسيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم **الحديث السابع** وهو الخامس والثمانون والمائة محمد بن
يحيى عن بعض اصحابه عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال امير المؤمنين
عليه السلم ايها الناس ان الله تبارك وتعالى ارسل اليكم الرسول صلى الله عليه وآله
وانزل اليه الكتاب بالحق وانتم اميون عن الكتاب ومن انزله وعن الرسول
ومن ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم وانبساط من الجهل واعتراض
من الفتنة وانتقاض من المبرم وعمى عن الحق واعتساف من الجور وامتحاق من الدين
وتلظي من الحروب على حين اصفرار من رياض جنات الدنيا ويبس من اغصانها
وانتثار من ورقها ويأس من ثمرها واغورار من مائها قد درست اعلام الهدى
وظهرت اعلام الردى فالدنيا متجهمة في وجوه اهلها مدبرة غير مقبلة ثمرتها الفتنة
وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف مزقتم كل ممزق وقد اعمت عيون
اهلها واظلمت عليها ايامها قد قطعوا ارحامهم وسفكوا دماءهم ودفنوا في التراب
الموؤدة بينهم من اولادهم يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا
لا يرجون من الله ثوابا ولا يخافون والله منه عقابا حيهم اعمى نجس وميتهم في
النار مبلس فجاءهم بنسخة ما في الصحف الاولى وتصديق الذي بين يديه وتفصيل
الحلال من ريب الحرام ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم اخبركم عنه
ان فيه علم ما مضى وعلم ما يأتي الى يوم القيمة وحكم ما بينكم وبيان ما اصبحتم فيه تختلفون
فلو سألتموني عنه لعلمتكم **الشرح** الامي في اللغة منسوب الى امة العرب وهي
لم تكن تكتب ولا تقرأ فاستعير لكل من لا يعرف الكتابة ولا القراءة ومنه قوله تعالى
بعث في الاميين رسولا منهم وقيل منسوب الى الام وفي الحديث انا امة امية
لا نكتب ولا نحسب اراد انهم على اصل ولادة امهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على

مكفهرة صح

جبلتهم الا وله والفترة الزمان بين الرسولين من رسل الله عليهم السلام الذي انقطعت فيه الرسالة
ومنه فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما وآله السلام والهجعة بالهجع النوم ليلا والاعتساف الاقتحام وانفصام
من نقض البناء والحبل والعهد نقضا والبرم من ابرمت الشيء اذا احكمته والاعتساف اخذ
من العسف وهو الظلم والعسوف الظلوم والاستخفاف من الحق وهو الجحود والابطال والتلظي
من حروب اي تلهب من التهاب نارها وهو تفعل من اللظى وهي اسم من اسماء النار لكفرة من
الكفر الرجل فهو مكفهر الوجه اذا عبس وتكفهر اللون اذا اضرب لونه الى الغبرة مع الغلظ والمزق
مصدر مثل التمزيق بمعنى الخرق ومنه قوله ومزقناهم كل ممزق والمزق القطع من الثوب
الممزوق والقطعة منها مزقة والموؤدة المدفونة في التراب حية من البنات والمبلس
اسم فاعل من البلس من رحمة الله اي يئس ومنه ابليس وغرضه عليه السلام من هذه الخطبة الشريفة
بيان حاجة الناس في امور دينهم ودنياهم وعقايدهم واحكامهم ومنهاج معبودهم وسبل
طاعتهم الى كتاب الله وان لا حجة الا به ولا طريق الا طريقه ولا ميزان قسط الا ميزانه فذكر اولا
انه من عند الله بلا شك لان الله ارسل رسوله وانزل اليه الكتاب متلبسا بالحق
وبعثه في الاميين الذين لم يقرأوا ولم يكتبوا ولم يعلموا ما الكتاب لئلا يتوهم متوهم
انه درس الكتاب او تعلم من الاحبار ثم اردفه بذكر الاحوال المذمومة التي كان الناس
عليها زمان البعثة من جهة الدين والدنيا ليتحقق ويظهر انه في مثل ذلك الوقت الذي
كان فيه الناس احوج ما كانوا الى ما يهديهم الى الصراط المستقيم ومن يدعوهم الى الدين
القويم لا بد ان يرحم الله على عباده بما ينقذهم من ورطة الردى والهلكات ورقبة العمى
والجهالات وينجيهم من اسر الهوى والشهوات وما هو الا رحمة للعالمين والكتاب الذي
انزل اليه هدى للناس اجمعين واما تلك الاحوال المذمومة فبعضها بحسب الدنيا
وبعضها بحسب العقبى فهي هذه الامور الاول الفترة وظاهر ان خلو الزمان عن رسول
فيه يستلزم وجود الشرور ووقوع الفتن والهرج والمرج فيلحق ذلك الزمان من
الذم بمقدار ما يلحق زمانا فيه رسول من المدح الثاني طول هجعة من الامم وكنى عليه السلام
بالهجعة عن غفلتهم في امر الآخرة ورقودهم في مراقد الطبيعة ومضاجع الابدان
في مدة طويلة هي زمان الفترة الثالث انبساط الجهل وكنى بانبساطه شموله للجميع في
جميع الامور الدينية التي ينبغي ان يعلم الرابع الاعتراض من الفتنة وهو من اعترض الفرس
الطريق اذا مشى عرضا من غير قصد وهو اشارة الى ان الفتن لما كان وقوعها لاجل
كون الاوضاع والاحوال غير واقعة على قانون شرعي ولا نظام حكمي مصلحي لاجرم
الخلق اعترضوا الطريق كالبهائم وانحرفوا عن قصد السبيل بسبب الفتنة ففي الكلام
اما تجوز في نسبة الاعتراض الى الفتنة لعلاقة السببية واما تشبيه الفتنة لاجل وقوعها

في نفسها

في نفسها على غير قانون بالمعترض في الطريق من الحيوان الماشي على غير استقامة فاستعير لها
لفظ الاعتراض والخامس الانتقاض من البرم اشارة الى زوال ما كان الخلق عليه من نظام
احوالهم بسبب الشرايع السابقة والاديان الماضية وانبرام امورهم بوجودها وفساد ذلك
النظام بتغير تلك الشرايع وانقطاعها عنهم السادس العمى عن الحق عبارة عن بطلان بصيرتهم
الباطنة بزوال استعدادها لادراك الحق بالطبع والرين الحاصل في قلوبهم بارتكاب
المشتهيات واقتراف الخطيئات فعموا عن رؤية الحق السابع الاعتساف من الجور لاستيلاء
الغلظة والفظاظة على النفوس وكثرة غلبة الجهالة والضلالة على القلوب الثامن استخفاف
الدين حيث كان الناس غير متدينين بدين ولا متشرعين بشريعة فالعرب على عبادة
الاوثان وعلى وأد البنات والفرس على تعظيم النيران ووطي الامهات والهند على
عبادة البقر وسجود الحجر والشجر واليهود على كون عزير ابن الله وعلى ما لهم من التعسف
والجحود والنصارى عبدة عيسى اذ ليس بوالد ولا مولود والترك على تخريب البلاد
وتعذيب العباد وهكذا ساير الفرق في اودية الضلال ومهاوي النكال التاسع
التلظي من الحروب وهو اشتعال نيران الخصومة والعداوة بين الناس اذ منشأ
الحرب الغضب ومنشأه استيلاء كيفية نفسانية توجب وتثير نارا اذا التهبت
نار الغضب واذا ثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق الى ظواهر
البدن ويرتفع الى الاعالي كما يرتفع الماء الذي يغلي [illegible] في القدر فينصب
الدم الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة طلبا للحرب والانتقام فلا يزال في الالتهاب
والاشتعال ويقوم بها الحرب والقتال الا ان ينطفي اما بالظفر والانتقام واما بالعنف
كالخوف والانهزام ونحوهما مما يوجب انقباض الدم من ظاهر الجسد الى باطنه بخمود
الحرارة ولهذا يصفر اللون واما بغير ذلك من الاسباب كالوعظ والنصيحة والتعقل
لما فيه مصلحة وحكمة وما يجري هذه الامور والحاصل ان منشأ الحروب اشتعال
نار الغضب فحسن اسناد التلظي اليها العاشر كونه مرسلا على حين اصفرار من
رياض جنات الدنيا ويبس من اغصانها وانتشار من ورقها واياس من ثمرها
واغورار من مائها شبه عليه السلام الدنيا وبلدانها العامرة ونعيمها برياض الجنات
لانها بشهواتها الحيوانية وتمتعاتها البهيمية جنات الانعام ورياض النفوس
البهيمية واستعار لفظ الاغصان والورق والثمر والماء لمتاعها وزينتها واسباب
حصول لذاتها ومواد تمتعاتها ولفظ الاصفرار واليبس والانتشار والياس
لتغير صور تلك اللذات والتمتعات وزوال اسبابها وبطلان موادها لتغير
اوضاع الزمان في ذلك الوقت وتبدل الاحوال سيما على العرب وعدم انتظام

مواردهم وسوء معيشتهم وخشونة ملابسهم وجشوبة مطاعمهم كما يذهب حسن الشجرة ورونقها وبهاؤها
باصفرار ورقها ويبس اغصانها وذهاب مائها وذلك استعار لفظ الثمار لمتاع الدنيا
وطرق لذاتها ولفظ الاعوار لعدم تلك المواد من طرق المكاسب والتجارات وعدم الانتفاع
من الاملاك والاراضي كل ذلك لعدم النظام العدل والقانون التي بين اهلها وارتفاع
الدين والصلاح من العالم وانقطاع الوحي والنبوة عن وجه الارض فهذه كلها استعارات
بالكناية او ترشيحات ووجه استعارة الاغصان والاوراق انه كما ان قوة الشجرة
وقوامها بالاغصان وزينتها وحسنها بالاوراق كذلك قوة الحيوة الدنيا وقوام لذات
النفوس ورعوناتها بمتاع الدنيا وطيباتها ووجه استعارة الثمرة ان الثمر كما انه
مقصود الشجرة غالبا كذلك التمتع والتلذذ من مشتهيات الدنيا من المطعم الشهي والمشرب
الهني والمنكح البهي والمسكن السني مقصود النفوس الحيوانية واما وجه استعارة الماء
فهو ان الماء كما انه مادة الشجر وبه اصل حيوتها ومادة بقائها كذلك مواد تلك اللذات
وهي المكاسب والتجارات والاقتدار على اقتناء الاموال والعروض بالصناعات
ووجه باقي الترشيحات والتخيلات ظاهرة يطول بذكرها الحادي عشر دروس
اعلام الهدى وكنى باعلام الهدى عن ائمة الدين وكتب الله المنزلة في معارف الحق
واليقين التي بها يهتدي الناس لسلوك سبيل الله وبدروسها عن موت اولئك الحجج
الالهيين وزوال كتبهم الالهية من بين الخلق سيما العرب الثاني عشر ظهور اعلام
الردى وهم ائمة الضلال الداعين الى النار الثالث عشر كون الدنيا متجهمة في وجوه
اهلها المغيرة وفي رواية متهجمة لاهلها عابسة في وجوه طلابها وكنى بذلك عن عدم صفائها
لهم فان طيب العيش في الدنيا انما يكون مع الامنية بوجود نظام العدل والنصفة
بين اهلها وعدم التظالم والتعاند وذلك في زمان الفترة كان مفقودا بين العرب
وهو استعارة بالكناية ووجه المشابهة ما يستلزمه المستعار عنه والمستعار له
من عدم تحصيل المطلوب وفقد الانجاح معهما الرابع عشر كون الدنيا مدبرة غير مقبلة
ووجه ذلك ما مر من عدم اثار الدين واندراس الكتب والشرايع والقوانين
ووقوع الهرج والمرج في ذلك الحين الخامس عشر كون ثمرها الفتنة اي غاية سعيهم
فيها على خبط في ظلمات الجهل والهوى انما يكون الفتنة اي الضلال عن سبيل الحق و
الوقوع في مهوى الحيرة والنكال والظلمة والوبال وغاية كل شيء هي المقصود منه فتشبه
الثمرة التي هي مقصود الشجرة فلذلك استعار لها لفظ الثمرة السادس عشر كون طعامها الجيفة
يحتمل ان يكون لفظ الجيفة استعير هنا لطعام الدنيا ولذاتها ووجه المشابهة
انه لما كانت الجيفة عبارة عما انتن وتغيرت رائحته من جثة حيوان ونحوها فخبث ماكله

ونفر

ونفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا ولذاتها في زمان الفترة اكثرها يكون من النهب والغارة
والسرقة وامثالها مما يخبث تناوله شرعا وينفر العقل منه وياباه كرايم الاخلاق
فاشبه ما يحصل من متاعها الجيفة في خبثها وسوء مطعمها وان كان احد الخبثين عقليا
والآخر حسيا فاستعير لفظها له ويحتمل ان يكنى بالجيفة عما كانوا ياكلونه في الجاهلية
من الحيوان غير مذكى وهو ما حرمه القرآن الكريم من ذلك في قوله حرمت عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله والمنخنقة والموقوذة اي المضروبة بالخشب حتى
تموت ويبقى الدم فيها فيكون الذ واطيب عند المجوس والمتردية اي التي تردت
من علو فماتت فان كل ذلك اذا مات فكثيرا ما يتعفن ويؤكل فصدق ان طعامهم
كان الجيف السابع عشر كون شعارها الخوف والثامن عشر كون دثارها السيف
وهما على حذف المضاف اي شعار اهلها استعار لفظي الشعار والدثار للخوف
والسيف ووجه الاستعارة الاولى ان الخوف وان كان من العوارض الا انه
كثيرا ما يستتبع اضطراب البدن واصفرار لونه وانفعاله بالرعدة لاعضائه
فيكون شاملا له شمول ما يتخذه الانسان شعارا ووجه الثانية ان الدثار والسيف
يشتركان في مباشرة المدثر والمضروب والالتصاق بهما التاسع عشر كونهم ممزقا
كل ممزق يحتمل ان يكون المراد تمزق ابدانهم بالسيوف والقتال وتقطع ارحامهم بالعقوق والنفور
والخصومة بينهم والجدال وتباعد اقربائهم في الاطراف النائية والبلدان النائية او تفرق
ارائهم وتشتت اهوائهم كما في قوله تع فتقطعوا امرهم بينهم زبرا العشرون كونها قد اعمت
عيون اهلها لغلبة الظلمة والجهالة على قلوبهم واستيلاء غشاوة الطبيعة ورين المعصية على ابصارهم
الواحد والعشرون كونها قد اظلمت عليها ايامها لكثرة الفتن والجور والظلم فيها الثاني و
العشرون قطع ارحامهم بعضهم عن بعض الثالث والعشرون سفك دمائهم بعضهم لبعض
فان الزمان اذا خلا عن قانون عدل وسلطان عادل قاهر على الناس تباعد [illegible]
بحفظه الخلايق كلهم يرى كل احد حظ نفسه وان يكون الامر له لا عليه فيغلب على من يقوى
عليه فيأخذ عنه ما في يده وان ابى يسفك دمه وكذا من يغلب على هذا يتسع الفساد والهرج
في العالم الرابع والعشرون دفنهم في التراب الموؤدة بينهم من اولادهم كان اذا ولد
لاحدهم في الجاهلية بنت دفنها في التراب وهي حية الخامس والعشرون كونهم على حالة
تحاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا اي يزول عنهم طيب العيش والرفاهية
والخفوض جمع الخفض وهو الدعة والراحة والسكون وفي نسخة تجاز بالخاء المعجمة اي
يراد وفي اخرى طلب العيش بدل طيب العيش وفي بعضها حظوظ من الحظ السادس
والعشرون كونهم لا يرجون من الله ثوابا ولا يخافون والله منه عقابا لكون رجاء الثواب

وخوف العقاب عنه تفرع الايمان به وباليوم الآخر وحيث لم يكن لهم فيه احدهما خلا رجاء
لثواب ولا خوف لعقاب وقوله واتخذتم صم وعمى اعراضهم لازيادة التأكيد السابع والعشرون
كون حيهم اعمى نجس وميتهم في النار مبلس وهذا كالعلة والنتيجة للاوصاف المذكورة
والاحوال المعدودة لاهل الدنيا وابنائها في ذلك الزمان فان الزمان اذا خلى عن اعلام
الهدى وظهرت اعلام الردى وارتفع عنه انوار العلم والايمان وانتشرت فيه ظلمات
الجهل والظلم والطغيان وساير ما سبق من المذكورات كانت حال ابناء الدنيا كذا من كون
الاحياء عماة عن درك المعارف احياءهم نجسين والاموات في النار رهنا مبلسين من
رحمة رب العالمين ولفظ نجس اختلفت النسخ فيه ففي بعضها بالجيم وهو من النجاسة كناية عن
الكفر لقوله تعالى انما المشركون نجس وفي بعضها بالحاء غير المعجمة وهو من النحوسة اي الشقاوة
وفي بعضها بكسر النون وسكون الجيم بمعنى الناقص والاول اوسط ثم لما فرغ عليه السلم
من عد ذمائم الاحوال التي كان الناس عليها هذا وان البعثة وبين غاية حاجتهم
الى النبي المبعوث والكتاب فرع عليه قوله ع فجاءهم بنسخة ما في الصحف الاولى اراد بها
التورية والانجيل وصحف ابرهيم عليه السلم وغيرها من الصحف النازلة على الانبياء عليهم السلم
وهي كثيرة بل مائة صحيفة كما رواه الصدوق في كتاب الخصال عن ابي ذر رضه انه قال
قلت يا رسول الله كم انزل الله من كتاب قال مائة كتاب واربعة كتب انزل الله على
شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عشرين صحيفة وانزل التورية
والانجيل والزبور والفرقان ويحتمل ان يكون المراد منها الصحف الالهية المكتوبة
بالقلم الالهي في الالواح القضائية فان القرآن نسخة من اللوح المحفوظ جعل للقرآن
اوصافا ثلثة اولها انه نسخة لما في الصحف الاولى وثانيها انه تصديق الذي بين يديه
يعني به التورية والانجيل كما قال تعالى ومصدقا لما بين يديه من التورية وكل امر تقدم
امرا متأخرا قريبا منه يقال انه جاء بين يديه وثالثها انه تفصيل الحلال من ريب الحرام
اي يتبين فيه الاحكام ويفصل به الحلال المطلق من شبهة الحرام فضلا عن صريحه فالاوصاف
الاولان لدلالتهما على انه كتاب مبين تنزيل من رب العالمين والوصف الاخير لكونه
فيه تفصيل كل شيء فدلت الاوصاف الثلثة بعدما ثبت من المذكورات قبلها حاجة
الناس الى الشريعة والكتاب على ان هذا القرآن مما يحتاج اليه في جميع الاحكام
وفيه علوم الاولين والآخرين كما سننبه عليه وليس في شيء مما سواه غنى عنه من كتاب
او سماع او قياس او غير ذلك اذ كل ما هو غير القرآن او ما ينتهي اليه من السنة
فهو بدعة وسفه وهذيان ولاجل هذا قال ذلك القرآن مشيرا اليه ثم امر باستنطاقه
بقوله فاستنطقوه وعنى به استعلام الاخبار والاحكام عنه ثم اشار الى ان

ليس

ينطق

ليس كل احد ممن ينطق له القرآن اذ لا يفهم لسانه الا اهل الله خاصة ولذلك قال ولن
ينطق لكم لعدم السمع الباطني والاذن العقلي فيكم ثم بين انه عليه السلم لسان الله الناطق عن
كتبه الحق المخبر عن اسرار القرآن ومكنوناته فقال اخبركم عنه وذكر وانه يخبر البلاغ ولكن
اخبركم عنه وفيه علم ان في خزانته القدسية علم الاولين واخبار القرون الماضين وعلم ما
يأتي من الفتن والملاحم واشراط الساعة واحوال يوم القيمة وحكم ما بين الناس من
الحلال والحرام والدعاوي والخصام والمناكحات والمواريث والحدود وساير الاحكام
وبيان ما اصبح الناس مختلفين فيه من مسايل الاعتقاديات وساير ما اشتمل عليه
القرآن الكريم ثم قال فلو سألتموني عنه لعلمتكم واشار بايراد كلمة لو دون اذا ونحوها
الى عدم من يسأله من غوامض مقاصد القرآن واسرار علومه كما دل عليه قوله ع
ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة الحديث الثامن وهو السادس والثمانون والمائة
محمد بن يحيى عن محمد بن عبد الجبار عن ابن فضال عن حماد بن عثمن عن عبد الاعلى بن اعين
العجلي مولاهم الكوفي من اصحاب الصادق ع قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول
قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وانا اعلم كتاب الله وفيه بدء الخلق وما هو
كائن الى يوم القيمة وفيه خبر السماء وخبر الارض وخبر الجنة وخبر النار وخبر ما كان
وما هو كائن اعلم ذلك كما انظر الى كفي ان الله يقول فيه تبيان كل شيء الشرح
قوله ع قد ولدني رسول الله ص يعني بذلك انه وارث علم الرسول ص وان الولد
سر ابيه وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما بل انما ورثوا العلم ثم ان الولادة
على ضربين صورية ومعنوية اما الولادة الصورية فظاهرة واما المعنوية فهي ولادة
العلم والعالم بما هو عالم في نفس المتعلم عالما حقيقيا لحصول النشأة الاخروية في ذاته
تغاير هذه النشأة الدنيوية ونسبة المعلم والشيخ الى المتعلم والمريد نسبة الاب
الى الولد في هذه الولادة الروحانية وربما اجتمع الضربان من الولادة اي الصورية
والمعنوية لاحد بالنسبة الى شخص واحد بان يكون والده معلما اذا تحقق هذا
فنقول نسبة الائمة الطاهرين عليهم السلم الى النبي صلى الله عليه وآله جامعة لكلتا
الولادتين فهم اولاده الروحانية والجسمانية واجتمع في كل واحد منهم النسبتان
فيكون نورا على نور فاذا ثبت انه عليه السلم ولد الرسول ص بكلتا الولادتين فيكون له
ميراث علم الرسول وكل من كان وارث علم النبي ص كان عالما بكتاب الله لان
علم النبي فيه اذ نزل اليه من عند الله فاذن صح قوله وانا اعلم كتاب الله ثم اراد
ان يبين انه عالم بكل الامور عارف بجميع الاحكام لانها كلها في الكتاب فقال وفيه
بدء الخلق الى قوله وما هو كائن اشارة الى جامع اقسام العلوم كلها لانها اما علم باحوال

المبدأ وما يتعلق به واما باحوال الكون والحدوث وما يتعلق به واما باحوال المعاد وما يتعلق به
والى هذه الثلثة اشار امير المؤمنين عليه السلم بقوله رحم الله امرا اعد لنفسه واستعد لرمسه
وعلم من اين وفي اين والى اين فعلم ان المعتبر في كمال القوة العملية فعل ما به نظام المعاش
ونجاة المعاد وفي كمال القوة النظرية العلم بالمبدأ والمعاد وما بينهما من جهة النظر والاعتبار
فقوله وفيه بدو الخلق اشارة الى العلم بالله وصفاته العليا واسمائه الحسنى وافعاله العظمى
وملائكته الكبرى وقوله وما هو كاين الى يوم القيمة اشارة الى العلم الكائنة الفاسدة التى
وقع الانسان فيها في اوسط احواله الثلثة بين ما كان اولا وهو كينونته السابقة في
مراتب البدو وفي مكامن علم الله وعالم قضائه وقدره وبين ما سيصير اخرا في منازل
العود في القبر والبرزخ والحشر والجنة او النار ولما كانت هذه الكائنات الى
يوم القيمة متكونة من اصول ثابتة الى يوم القيمة هي اسبابها الفاعلة والمنفعلة كالابوين
اشار اليها بقوله وفيه خبر السماء والارض وقوله وفيه خبر الجنة وخبر النار ثم اجمل في
البيان بعد التفصيل ايضاحا وتاكيدا فقال وخبر ما كان وما هو كاين ثم اشار بقوله
اعلم ذلك كما انظر الى كفي الى ان علمه بالجميع اقوى مراتب العلم واوضحها وهو العلم الشهودي
الكشفي ثم اوضح البيان واتى ببرهان على ان جميع العلوم في القرآن بقوله فيه تبيان
كل شي الحديث التاسع وهو السابع والثمانون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن
محمد بن عيسى عن علي بن النعمن عن اسمعيل بن جابر عن ابي عبد الله عليه السلم قال كتاب الله
فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه الشرح لما علمت ان العلوم
التي يجب ان يستكمل بها النفس الانسانية قسمان احدهما ما يتعلق بامور لنا ان نعلمها
وليس لنا ان نتصرف فيها والثاني ما يتعلق بامور لنا ان نعلمها لنعملها ونتصرف فيها
فالغاية في الاول حصول النفس العلم والمعرفة وفي الثاني حصول العمل والاول قسمان
هما ثمرتا ساير ابوابه وفصوله احدهما معرفة احوال المبدأ والثاني معرفة المعاد
والقرآن مشتمل على هذه الاقسام الثلثة الحكمية على اكمل وجه فلا يبعد ان يكون مراده
من قوله فيه نبأ ما قبلكم الى القسم الاول من الحكمة النظرية وقوله وخبر ما بعدكم الى الثاني
منهما وقوله وفصل ما بينكم اشارة الى الحكمة العملية وحمل القبلية والبعدية على
الذاتيتين او ما يعمهما وقوله وفصل ما بينكم والزمانيتين اولى من حملهما على الزمانيتين
فقط ليكون الدلالة منحصرة على حكايات القرون الماضية واللاحقة والضمير في
قوله ونحن نعلمه راجع الى كتاب الله او الى المذكورات الثلثة بتأويل الجميع ونحوه
الحديث العاشر وهو الثامن والثمانون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد
ابن خالد عن اسمعيل بن مهران عن سيف بن عميرة عن ابي المغرا اسمه حميد بن زياد

من اهل

من اهل نينوى قرية الى جانب الحاير على ساكنه السلم ثقة عالم جليل واسع العلم كثير المصنفات
قاله الطوسي ره وقال النجاشي حميد بن زياد بن حماد بن زياد الدهقان ابو القسم كوفي
سكن سورا وانتقل الى نينوى قرية على العلقمي الى جنب الحاير على صاحبه السلم كان ثقة
واقفا وجها فيهم مات سنة عشر وثلثمائة فالوجه عندي ان روايته مقبولة اذا خلت
عن المعارض صحة عن سماعة عن ابي الحسن موسى عليه السلم قال قلت له اكل شي في كتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وآله قال بل كل شي في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله
الشرح لما كان اشتمال القرآن والسنة على كل شي امرا غامضا دقيقا لا يتيسر لكل احد
ان يعلم ذلك ويصدق به لهذا اكد سماعة الاستفهام بشبه الانكار فاكد عليه السلم في الجواب
تحقيقا لما استفهم عنه وانت يا حبيبي ان اردت ان تعرف حقيقة هذا الامر وانكشف لك سره
على وجه الاجمال فاعلم ان العلم بالاشياء الجزئية على وجهين احدهما ان يعلم الاشياء من الاشياء
بحس او تجربة او سماع خبر او شهادة او اجتهاد ومثل هذا العلم لا يكون الا متغيرا فاسدا
محصورا متناهيا غير محيط فانه يلزم ان يعلم في زمان وجوده علما وقبل وجوده علما آخر وبعده
علما آخر فاذا سئل العالم بهذا العلم عن حادث كالكسوف مثلا حين وجوده يجيب بالجواب
فيقول مثلا انكسف الشمس واذا سئل عنه قبل حدوثه يجيب بجواب آخر فيقول
سيكون الكسوف ثم اذا سئل بعده يقول قد كان الكسوف فعلمه بشي واحد تارة كان
وتارة كاين وتارة سيكون فيتغير علمه ومثل هذا العلم لا يعتمد عليه لانه متغير فاسد ليس
بيقين اذ العلم اليقيني ما لا يتغير اصلا وثانيهما ان لا يعلم الاشياء من الاشياء بل يعلم عللها
واسبابها فيعلم اوايل الوجود وثوانيها وهكذا الى ان ينتهي الى الجزئيات علما واحدا
وعقلا بسيطا محيطا بكليات الاشياء وجزئياتها على وجه كلي غير متغير فمن عرف المبدأ
الاول بصفاته اللازمة وعرف انه مبدأ كل وجود وفاعل كل فيض وجود عرف اوايل
الموجودات عنه وما يتولد عنها على الترتيب السببي والمسببي كما يتولد مراتب العدد
من الواحد على الترتيب وما من شي من الاشياء يوجد الا وقد صار من جهة ما يكون واجبا
بسببه وسبب سببه الى ان ينتهي اليه تعالى فيكون هذه الاسباب بتصادمها وما يتها
تتأدى الى ان يوجد عنها الامور الجزئية وهذا النحو من العلم انما يحصل للانسان فارق
نفسه الاوطان والمواد والتعلقات وهاجر الى الله تعالى كما قال عيسى عم اني ذاهب
الى ربي سيهدين فاذا ارتقى الى عالم الربوبية وافاض عليه من نوره صار عقله
للاشياء عقلا بسيطا بعقل الاشياء بعلم الله الفائض عليه فيكون مدركا للامور الجزئية
من حيث هي دائمة كلية ومن حيث لا كثرة ولا تغير فيه ونسبة علمه بالاشياء الى ساير
العلوم كنسبة القوة الباصرة الى ادراك اجزاء المبصرات بابصار واحد فما وضع عليه

بهم الشعاع البصري يكون اولا وبالذات وهو اضيق رؤيته ثم ما يليه ثم ما يلي يليه
وهكذا الى الاطراف فكذا حال علم الانبياء والاولياء عليهم السلم بالاشياء فان العالم كله
كشخص متصل اجزاؤه بعضها ببعض وعلمهم بها كشعور النفس بجميع اجزاء بدنها علما
واحدا متفاوتا على ترتيب الاقرب فالاقرب والالطف فالالطف فانها شاعرة
بذاتها اولا وبواسطة شعورها بذاتها تشعر بما تقرب ذاتها من القوى والارواح
الكامنة في القلب الذي هو مثال العرش والدماغ الذي هو مثال الكرسي ثم
بوساطتها الاعضاء اللطيفة والبسيطة ثم المركبة على ترتيب الالطف حتى ينتهي الى الجلد
والشعر والاظفار كل ذلك بعلم واحد بسيط ولو اردنا بيان تفصيل ذلك الشعور
والعلم الذي لها باجزاء بدنها وقواها ومشاعرها لما اتسع له المجلدات بل لا ادى ذلك
الى غير متناه من العلوم وبالجملة من عرف كيفية علم الله تعالى وعلم مقربيه من الملائكة
بالاشياء الجزئية الكائنة الفاسدة المتعاقبة في الكون علما كليا ثابتا دائما من غير
تغير وزوال ولا استحالة وانتقال وان كانت المعلومات جزئية كائنة مستحيلة
زمانية متجددة في انفسها وبقياس بعضها الى بعض امكنه ان يعلم كيفية علم الانبياء
والاولياء الكاملين عليهم السلم باحوال الموجودات الماضية والمستقبلة وعلم ما كان
وعلم ما سيكون الى يوم القيمة علما كليا ثابتا غير متجدد بتجدد المعلومات ولا متكثر بتكثرها
وعند ذلك يعرف معنى قوله تعالى وفيه تبيان كل شيء ويصدق بان جميع العلوم والمعارف
في القرآن الكريم عرفانا حقيقيا وتصديقا يقينيا على بصيرة لا على وجه تقليد او سماع
او ما يجري مجراهما اذ ما من امر من الامور الا وهو مذكور في الكتاب اما بنفسه او بمقوماته
واسبابه ومباديه وغاياته وقد علمت ان العلم بسبب الشيء يوجب العلم به بل العلم
الحقيقي بالمعلول ذي السبب لا يحصل الا من جهة العلم بسببه ولهذا ليس الاحساس
بالشيء ولا التجربة او ما يجري مجراهما علما حقيقيا بذلك الشيء واكثر الناس لما لم يعرفوا
المبدأ الاول حق معرفته ولا اوائل الموجودات والمبادي الكلية والغايات
ولا عرفوا العقول ولا النفوس ولا الطبايع الكلية واغراضها واشواقها وغاياتها
وحركاتها الدورية تقربا الى الله وطاعته وما يترشح عنها من الخيرات ونعم الله على الكائنات
حتى انهم لا يعرفوا نفوسهم التي هي اقرب شيء اليهم فلا جرم لا يمكنهم فهم آيات القرآن
وعجائبه واسراره وما يلزمها من الاحكام والعلوم التي لا يتناهى ولا يتعدد ولا يحصى ولو
كان البحر مدادا والاشجار اقلاما والافلاك صحفا لها صحائف وكتبا واوراقا ولاجل
ذلك صار الانسان يتعجب من كون القرآن مع صغر حجمه فيه جميع العلوم والاخبار ولا يؤمن
بالقرآن وآياته الا القليل من الناس وهم الذين شرح الله صدرهم بنوره ونور قلوبهم بآياته وانهم

الحكـ

الحكم وجعل الحفظ عنده ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم باب
اختلاف الحديث وهو الباب العشرون من كتاب العقل والعلم وفيه عشرة احاديث الحديث الاول
وهو التاسع والثمانون والمائة على بن ابرهيم بن هاشم عن ابيه عن حماد بن عيسى عن ابرهيم بن عمر
اليماني الصنعاني قال النجاشي شيخ من اصحابنا ثقة روى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم
وله كتاب ويكنى ابا اسحق وقال العلامة والارجح عندي قبول روايته وان حصل بعض الشك
بالطعن فيه واعترض عليه المحشي ره في هذا الترجيح بوجهين احدهما ان الجرح والتعديل متعارضان
فيه فيكون الترجيح مع الجرح كما تقرر عندهم والثاني ان النجاشي نقل توثيقه عن ابي العباس
وغيره كما يظهر من كلامه والمراد بابي العباس هذا اما احمد بن عقدة وهو زيدي المذهب
لا يعتمد على توثيقه او ابن نوح ومع الاشتباه لا يفيد وغيره مبهم لا يفيد فايدة يعتمد عليها
عن ابان بن ابي عياش عن سليم بن قيس الهلالي قال قلت لامير المؤمنين عليه السلم انى
سمعت من سلمان والمقداد وابي ذر شيئا من تفسير القرآن واحاديث عن نبي الله صلى الله
عليه وآله غير ما في ايدي الناس ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورايت في ايدي
الناس شيئا كثيرا من تفسير القرآن ومن الاحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله وانتم
تخالفونهم فيها وتزعمون ان ذلك كله باطل افترى الناس يكذبون على رسول الله
صلى الله عليه وآله ويفسرون القرآن بآرائهم قال فاقبل علي فقال قد سألت فافهم
الجواب ان في ايدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما
وخاصا ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على
عهده حتى قام خطيبا فقال ايها الناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا
فليتبوأ مقعده من النار ثم كذب عليه من بعده وانما اتاكم الحديث من اربعة ليس لهم
خامس رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج ان يكذب على
رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا فلو علم الناس انه منافق كذاب لم يقبلوا منه
ولم يصدقوه ولكنهم قالوا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه
فاخذوا عنه وهم لا يعرفون حاله وقد اخبره الله عن المنافقين بما اخبره ووصفهم بما
وصفهم فقال عز وجل واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم ثم بقوا
بعده فتقربوا الى الائمة الضلال والدعاة الى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم
الاعمال وحملوهم على رقاب الناس واكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك
والدنيا الا من عصم الله فهذا احد الاربعة ورجل سمع من رسول الله لم يحفظه على وجهه
ووهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه يقول انا سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون انه وهم لم يقبلوه ولو علم هو انه وهم لرفضه ورجل ثالث

سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] ولو علم المسلمون انه وهم لم يقبلوه ولو علم هو انه [illegible] شيئاً آمر
ثم نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهى عن شيء ثم امر به وهو لا يعلم فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ فلو علم
انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على
رسول الله صلى الله عليه وآله مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله لم ينسه بل حفظ ما سمع
على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه وعلم الناسخ من المنسوخ وعمل بالناسخ ورفض المنسوخ
فان امر النبي صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه قد كان
يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان وكلام عام وكلام خاص مثل القرآن
قال الله عز وجل في كتابه ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فيشتبه على من لم يعرف
ولم يدر ما عنى الله به ورسوله صلى الله عليه وآله وليس كل اصحاب رسول الله كان يسأله
عن الشيء فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى ان كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي والطاري
فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسمعوا وقد كنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه وآله
كل يوم وكل ليلة دخلة فيخليني فيها ادور معه حيث دار وقد علم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله اكثر من ذلك في بيتي وكنت اذا دخلت عليه بعض منازله اخلاني واقام عني نساءه
فلا يبقى عنده غيري فاذا اتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا احد من بني وكنت
اذا سألته اجابني واذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وآله آية من القرآن الا اقرأنيها واملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها
وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ودعا الله ان يعطيني
فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً املاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا
وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام ولا امر ولا نهي كان او يكون ولا كتاب منزل
على احد قبله من طاعة او معصية الا علمنيه وحفظته ولم انس حرفاً واحداً ثم وضع يده
على صدري ودعا الله لي ان يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً فقلت يا نبي الله بابي انت
وامي منذ دعوت الله لي لم انس شيئاً ولم يفتني شيء لم اكتبه افتتخوف علي النسيان
فيما بعد فقال لا لست اتخوف عليك النسيان والجهل **الشرح** تبوأ مقعده نزل و
استقر فيه ووهم بالكسر غلط وبالفتح ذهب وهمه الى شيء وهو يريد غيره واملاء الكتاب
القاء الفاظه ومعانيه واملته واستمليته الكتاب سألته ان يمليه علي واعلم
ان الغرض من ايراد هذا الحديث بيان السبب في اختلاف الناس بعد رسول الله ص
في الاحاديث المروية عنه ص واختلافهم في تفسير الكتاب وما يترتب على ذلك من
اختلاف المذاهب والآراء وتشتت الاقوال وحدوث البدع والاهواء فانه لما سأل
سليم بن قيس امير المؤمنين ع عن ذلك بقوله اني سمعت من سلمان الى قوله ويفسرون القرآن

بآرائهم فاقبل ع عليه واجابه عما سأله من ذلك [illegible] بما اجاب
فقوله ع ان في ايدي الناس الى قوله وحفظاً ووهماً شروع في تفصيل الجواب وبيان السبب
في الاختلاف وهو عقد بدا انواع الكلام الواقع في ايدي الانام من فرق الاسلام نقلاً عن
رسول الله ص والصدق والكذب من خواص الخبر والحق والباطل اعم منهما لصدقهما على الافعال
ايضاً ويقال للخبر باعتبار مطابقته لما في الواقع صدقاً وباعتبار مطابقة ما في الواقع له
حقاً وكذا الباطل في اتصافه بالكاذب والباطل باعتبارين والنسخ عبارة عن الخطاب
الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً فيقال للاحق
ناسخاً وللمتقدم منسوخاً والعام قيل هو اللفظ المستغرق لما يصلح له بوضع واحد وقال
الغزالي العام اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعداً ويقابله الخاص
والمحكم هو الخطاب الدال على معنى لا يحتمل غيره والمتشابه بخلافه واما الحفظ فالمراد به
هنا ما حفظ عن الرسول ص كما هو والوهم ما غلط فيه فتوهم مثلاً انه عام وهو خاص او
بالعكس او توهم انه ثابت وهو منسوخ او بالعكس الى غير ذلك من وجوه الاشتباه
بين المتقابلات وقوله قد كذب على رسول الله على عهده الى قوله النار تأكيد لما ذكره من
كون ما في ايدي الناس ليس كله حديثاً صحيحاً عن رسول الله ص بل بعضه كاذب
كذب عليه ص بوقوع الكذب عليه في عهده وزمانه وبانه اخبر بنفسه ص عن ذلك خطيباً
على المنبر ايذاناً به على الناس ليعلموا ذلك ويحتاطوا في قبول الحديث فلا يقبلوا الا
عن عدل حفوظ غير واهم فمن ذلك الكذب مثل ما روي ان رجلاً سرق رداء النبي ص
وخرج الى قوم وقال هذا رداء محمد اعطانيه لتمكنوني من تلك المرأة فاستنكروا ذلك
فبعثوا من سأل الرسول ص عن ذلك فقام الرجل الكاذب فشرب ماء فلدغته حية
فمات وكان النبي ص حين سمع بتلك الحال قال لعلي خذ السيف وانطلق فان وجدته
وقد كفيت فاحرقه بالنار فجاء وامر باحراقه وكان ذلك سبب الخبر المذكور واعلم
ان العلماء ذكروا في بيان انه لا بد ان يكذب عليه دليلاً فقالوا قد نقل عنه ص انه قال
سيكذب علي فان كان ذلك الخبر صدقاً فلا بد ان يكذب عليه وان كان كذباً فقد كذب
عليه ثم شرع عليه السلام في قسمة رجال الحديث وقسمهم اربعة اقسام ووجه الحصر في الاقسام
الاربعة ان الناقلين للحديث عنه ص المتسمين بالاسلام اما منافق اولا والثاني
اما ان يكون قد وهم فيه اولا والثاني اما ان لا يكون قد عرف ما يتعلق به من شرائط
الرواية او يكون فالاول وهو المنافق ينقل كما اراد سواء كان اصل الحديث كذباً او
ان له اصلاً حرفه او زاد فيه او نقص بحسب هواه فهو ضال مضل تعمداً وقصداً والثاني
يرويه كما فهم ووهم فهو ضال مضل سهواً والثالث يروي ما سمع فضلالاً واضلالاً عن غفلة

والرابع يؤديه كما سمعه كما هو عليه فيؤدى وبعدى فاشار عليه السلم الى القسم الاول بقوله رجل
منافق الى قوله فهذا احد الاربعة وذكر من صفات المنافق انه مظهر للايمان اى مظهر لكلمة التوحيد
والنبوة بلسانه وليس كما يظهره او يقول انه مؤمن كما قالت الاعراب آمنا وقلبه مشحون
بالكفر وانه متصنع بالاسلام اى متكلف بشعار المسلمين متزيى بزيهم وانه لا يتاثم اى
لا يعتقد الاثم اثما ولا يرى لزوم العقاب عليه فى الدار الآخرة ولا يتحرج اى لا يحذر منه
وانه يكذب على رسول الله صلعم متعمدا على حسب ما يهواه فى امر دنياه لعدم ايمانه باليوم الآخر
ووجه دخول الشبهة فى قبول حديثه والاخذ بقوله كونه ظاهر الاسلام والصحبة للرسول صلعم
وسماع الحديث منه فلو علم الناس نفاقه وكذبه لم يقبلوا منه الحديث والرواية ثم اشار عم
الى ما اخبر الله رسوله عن المنافقين بما اخبره ووصفهم له بما وصفهم ليعلموا ان استقامة
الظاهر فى الاقوال والافعال وحسن الشمايل لا ينافى فساد الباطن وتلطخه بالكفر
ولا الكذب على الله ورسوله فقال قوله تع واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع
لقولهم فقوله تع تعجبك اجسامهم اشارة الى ما يكون عليه اكثر المنافقين من صباحة الوجه
والتزيي بزي العدول والصلحاء وقوله وان يقولوا تسمع لقولهم الى فصاحة لسانهم و
طلاقة بيانهم وما حفظوا من الاحاديث والحكايات كما روى انه كان عبد الله بن ابى
وهو راس المنافقين فى زمانه صلعم رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من
المنافقين فى مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلعم
فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبى صلعم ومن حضر عنده
يعجبون بهياكلهم ويسمعون كلامهم وما هم الا اجرام خالية عن العلم والايمان والابدان
فارغة عن الخير والاحسان ولذلك شبههم الله تع بما شبههم فى قوله كانهم خشب مسندة
قال الزمخشرى ان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف او جدار او غيرهما من مظان
الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به اسند الى الحايط فشبهوا به فى عدم
الانتفاع وقوله عم ثم بقوا بعده اى بقى المنافقون بعد الرسول صلعم متقربين الى ائمة
الضلال والدعاة الى النار وهم بنو امية ودعاؤهم الى النار دعوة اتباعهم واصحابهم
بما يؤدى لهم الى النار من مخالفة امر الله ورسوله والزور والكذب والبهتان اشارة
الى ما كانوا يتقربون به الى بنى امية من وضع الاخبار عن الرسول صلعم فى فضلهم او فيما
يوافق اهواءهم واخذهم على ذلك الاجر من اولئك الائمة وتوليتهم الاعمال والامرة
على الناس ويحتمل ان يكون المراد من قوله فولوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس
ان هؤلاء المنافقين بوضعهم الاحاديث جعلوا ائمة الضلال متولين الاعمال وحملوهم على رقاب
وكذلك قوله واكلوا بهم الدنيا يحتمل الوجهين وقوله انما الناس مع الملوك اشارة الى علة

فى
فعل المنافقين لما يقبلون وظاهر ان حب الدنيا ولذاتها هو الغالب على الناس من المنافق
وغيره لقرب طباعهم من المحسوس وجهلهم بالآخرة ونعيمها ولذاتها فانجذبوا الى التنعم
فى لذات الدنيا الا من عصمه الله وهداه بالجذب فى طريق هدايته اليه عن محبة الامور الباطلة
ودنياتها الى الطف المؤمنين وابناء الآخرة كما قال تع وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
وقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وانما قال ثم بقوا بعده صلعم ثم
حكى حالهم مع ائمة الضلال وان كانت ائمة المشار اليهم لم يوجدوا بعد اما تنزيلا
لما لا بد منه من ذلك المعلوم له منزلة الواقع او اشارة الى من بقى منهم بعد الرسول صلعم
الى معوية فانه اذ ذاك امام ضلالة وداع الى النار ثم اشار الى القسم الثانى بقوله
ورجل سمع من رسول الله صلعم شيئا اى سمع منه كلاما فتصور منه معنى غير ما يريده
الرسول ثم لم يحفظ اللفظ بعينه فيورده بعبارته الدالة على ما تصوره من المعنى بوهمه
فلا يكون قد حفظ ولتصوره على وجه المقصود للرسول صلعم فوهم فيه ولم يتعمد كذبا
لوهمه فهو فى يده يرويه ويعمل به على وفق ما تصوره ويسنده الى الرسول صلعم
وعلة دخول الشبهة على المسلمين فيه هى عدم علمهم بوهمه وعلة دخولها عليه فى الرواية
والعمل هو وهمه حين السماع حتى لو علم ذلك لترك روايته والعمل واشار الى
القسم الثالث بقوله رجل سمع الى قوله لرفضه وعلة دخول الشبهة على الراوى وعلى
المسلمين فى هذا القسم من الخبر عدم علمهم بانه منسوخ واشار الى القسم الرابع بقوله
وآخر رابع الى قوله ورفض المنسوخ وذكر اوصافه ونعوته من كونه مبغضا للكذب
خايفا من الله معظما لرسوله صلعم حافظا غير ساه ولا ناس جائيا بما سمعه كما سمعه
من غير ان يزيد فيه او ينقص عنه عالما بالناسخ من المنسوخ عاملا بالناسخ رافضا
بالمنسوخ ثم اشار بقوله فان امر النبى صلعم الى قوله مثل القرآن الى المشاركة والمماثلة
بين امر النبى صلعم وامر الله فى القرآن فى الاشتمال على الاقسام من ناسخ ومنسوخ
وخاص وعام ومحكم ومتشابه وقوله فقد كان يكون من رسول الله صلعم الشىء على صحة القسم
الثالث ودخول الشبهة فيه فان منهم من كان يسمع الكلام اى الوجهين منه خاص
ومنه عام فلا يعرف ان احدهما مخصص للآخر ويسمع العام دون الخاص فينقل
العام ويوجه على غير معرفة بمعناه او انه خرج على سبب خاص فهو مقصور عليه ولا ينقل
سببه فيعتقده عاما او انه عام فيعتقده مقصورا على السبب فلا يعمل به فيما عدا صورة
السبب فيتبعه الناس فى ذلك كلا سيما من يعتقد وجوب العمل بمذهب الراوى
ثم اشار بقوله وقال الله عز وجل فى كتابه ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
الى وجوب الاخذ بقول الرسول صلعم ووجوب طاعته بعد طاعة الله فيما امر به ونهى عنه

فيوخذ بامره وينتهى عما نهى عنه فرتب على ذلك اشتباه الناس فيما يعتقدونه ويعملون به لاشتباههم
وعدم معرفتهم بما عنى الله والرسول ص فما ورد في الكتاب والسنة وقوله وليس كل اصحاب رسول الله ص
الى قوله حتى يسمعوا جواب سؤال مقدر كان يقال فكيف يقع الاشتباه على اصحاب الرسول ص
في قوله مع كثرتهم والثقة بهم وتواضعهم له ولماذا لا يسألونه فيما اشتبه عليهم فاجاب عليه السلم
انهم ليسوا باسرهم كانوا يسألونه لاحترامهم له واجلالهم اياه لغاية عظمته في قلوبهم وانما كان يسأله
آحادهم حتى كانوا يحبون ان يجئ الاعرابي الطارى فيسأله حتى يسمعوا فتح لهم باب السؤال
ثم نبه على غاية قربه من الرسول ص ونهاية اختصاصه وملازمته الدائمة له ودورانه معه
حيث ما دار وانه كان يستقصي في سؤاله ص عن كل ما اشتبه عليه ويحفظ جوابه وينبه على غاية
محبة الرسول له واشفاقه عليه حتى انه ع كان اذا سكت عن السؤال وفنيت مسائله ابتدأه ص
بهذا الكلام فما نزلت عليه ص من الله آية من القرآن الا اقرأها على امير المؤمنين ع و
املاها عليه فكتبها بخطه وعلمه رسول الله ص تاويلها وتفسيرها وبين له اقسام الآيات من
ناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وغيرها كلها ودعى الله ان يعطيه فهمها وحفظها
وذكره ع سائر ما كان له وثبت في حقه من خصائص ما فعل الرسول ص به ع مما يتعلق بالعلم
والحفظ والدراية والاحاطة بجميع ما في الكتب الالهية النازلة على سائر الانبياء وغير ذلك
من الفضائل العلمية والحكمة وما يحوط بها الى آخر كلامه ليرجع الناس في امور دينهم اليه ع
ويقتبسوا من مشكاة علمه ويستضيئوا بانوار كلامه ويهتدوا بهداه ومن الله العصمة والهدا
وبه التوفيق **الحديث الثاني** وهو الثمانون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد
عن عثمن بن عيسى عن ابي ايوب الخزاز عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلم قال قلت له
ما بال اقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتهمون بالكذب
فيجئ منكم خلافه قال ان الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن **الشرح** معناه واضح بما مر في
دخول الشبهة فيما يروون اولئك الاقوام من جهة كون الراوي من القسم الثالث من
الاقسام الاربعة المذكورة في كلام امير المؤمنين ع **الحديث الثالث** وهو الواحد والثمانون
والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي نجران عن عاصم بن حميد عن منصور بن حازم
قال قلت لابي عبد الله عليه السلم ما بالي اسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب
ثم يجيئك غيري فتجيبه بجواب آخر فقال انا نجيب الناس على الزيادة والنقصان
قال قلت فاخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله صدقوا على محمد ام كذبوا قال
بل صدقوا قال قلت فما بالهم اختلفوا فقال اما تعلم ان الرجل كان يأتي رسول الله
صلى الله عليه وآله فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك
الجواب فنسخت الاحاديث بعضها بعضا **الشرح** كان للمنصور سؤالان سأله عليه السلم

عنها

عنها وطلب وجه التفصي عما اشكل عليه احدهما اختلاف جواب عن مسألة واحدة لرجلين
وثانيهما اختلاف اصحاب رسول الله ص فيما نقلوا عنه فاجاب عن الاول بانهم عليهم السلم
يجيبون الناس على الزيادة والنقصان في القول حسب تفاوت عقولهم في الفهم والاحتمال
للقول وعن الثاني بان اختلافهم ليس لكذبهم على رسول الله ص بل لدخول الشبهة عليهم
لاجل عدم تميز بعضهم بين ناسخ الحديث ومنسوخه وبين الفاظ الكلام واضح **الحديث الرابع**
وهو الثاني والثمانون والمائة علي بن محمد عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عن علي بن رئاب
عن ابي عبيدة عن ابي جعفر عليه السلم قال قال لي يا زياد ما تقول لو افتينا رجلا ممن يتولانا
بشئ من التقية قال قلت له انت اعلم جعلت فداك قال ان اخذ به فهو خير له واعظم اجرا
وفي رواية اخرى ان اخذ به اوجر وان تركه والله اثم **الشرح** لما كان العمل بالتقية
منكرا على اكثر الناس لجمود قرائحهم الا من خصه الله بنور من المعرفة وهداه الى طريق الاطلاع
استكشف عليه السلم عن باطن الرجل واستفهم عن قوله لو افتينا رجلا من الشيعة بشئ من
التقية ثم لما اظهر الرجل الطاعة والانقياد في كل ما افتى وامر قال حق القول فيها وهو
وجوب العمل بالتقية وحصول الخير وعظم الاجر في الاخذ بها ولزوم الاثم بتركها **الحديث
الخامس** وهو الثالث والثمانون والمائة احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن
الحسن بن علي عن ثعلبة بن ميمون عن زرارة بن اعين عن ابي جعفر عليه السلم قال سألته
عن مسألة فاجابني ثم جاءه رجل فسأله عنها فاجابه بخلاف ما اجابني ثم جاءه آخر فاجابه
بخلاف ما اجابني واجاب صاحبي فلما خرج الرجلان قلت يا ابن رسول الله رجلان
من اهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فاجبت كل واحد منهما بغير ما اجبت به صاحبه
فقال يا زرارة ان هذا خير لنا وابقى لنا ولكم ولو اجتمعتم على امر واحد لصدقكم الناس
علينا ولكان اقل لبقائنا وبقائكم قال ثم قلت لابي عبد الله عليه السلم شيعتكم لو حملتموهم
على الاسنة او على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين فاجابني بمثل جواب ابيه
الشرح علة عليهما السلم اختلاف الاجوبة عن مسألة واحدة لشيعتهم بانهم عليهم السلم
كانوا مريدين للخمول معرضين عن الدنيا وشواغلها فلم يريدوا اتفاق الشيعة على امر واحد
لئلا يصدقهم الناس ويعرفونهم على حسب تبعية الائمة عليهم السلم خوفا من الشهرة الموجبة
للفتنة والهلاك ولكن لا بد لك ان تعلم ان تلك الاجوبة مع اختلافها وكونها في مسألة
واحدة كلها حق وصواب لعصمتهم من الخطأ وذلك لان الامر الواحد قد يكون له جهات
وحيثيات وله بكل جهة وحيثية حكم آخر مخالف للحكم الذي له بجهة وحيثية اخرى مثال
ذلك الانسان الواحد كزيد مثلا يصدق عليه المقولات العشر التي هي اجناس عالية
متباينة اجتمعت كلها فيه وصدقت عليه باعتبارات وجهات مختلفة فهو من حيث كونه

جواً ما جوهر ومن حيث كونه طويلاً كم ومن حيث كونه ذا لون كيف ومن كونه ابا مضاف ومن حيث
كونه كاتبا فاعل ومن حيث كونه متحركا منفعل وهكذا في سائر المقولات العرضية فمن حيث
كونه جوهرا ليس بكم ولا كيف ولا غيرهما ومن حيث كونه كما ليس بجوهر ولا كيف ولا غيرهما
بل الانسان ليس من حيث هو انسان الا الانسان دون غيره من العوارض اللازمة
او المفارقة فاذا سئل هل زيد كاتب او ليس بكاتب او واحد او كثير يمكن الجواب
بطرفي النقيض ففي هذا السبيل يجب ان يعلم هذا المقام الحديث السادس وهو الرابع والتسعون
والمائة محمد بن يحيى عن محمد بن سنان عن نصر الخثعمي قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم
يقول من عرف انا لا نقول الا حقا فليكتف بما يعلم منا فان سمع منا خلاف ما يعلم فليعلم
ان ذلك دفاع منا عنه الشرح يعني ان الطائفة الحائزة العارفين بانهم عليهم السلم
على الحق ولا يقولون الا حقا وصوابا يجب عليهم ان يكتفوا اخذ الاصول والفروع بما علموا
منهم اخذا باليقين فان سمعوا منهم ع خلاف ما اعتقدوه وعلموه فيجب عليهم ان يحملوا
ذلك على التقية صيانة لشيعتهم ودفاعا منهم ع للفتنة والضرر عنهما الحديث السابع
وهو الخامس والتسعون والمائة علي بن ابرهيم عن ابيه عن عثمن بن عيسى والحسن بن محبوب
جميعا عن سماعة عن ابي عبد الله عليه السلم قال سألته عن رجل اختلف عليه رجلان
من اهل دينه في امر كلاهما يرويه احدهما يأمر باخذه والآخر ينهاه عنه كيف يصنع قال
يرجئه حتى يلقى من يخبره فهو في سعة حتى يلقاه وفي رواية اخرى بايهما اخذت من باب التسليم
وسعك الشرح يرجئه اي يؤخره من ارجأت الامر اخرته ومنه المرجئة مقابل
المرجئة وهم الذين لا يقطعون على اهل الكبائر بشيء من عفو ولا عقوبة بل يرجئون
الحكم في ذلك اي يؤخرونه الى يوم القيمة منهم مقاتل بن سليمن وقد تفرد مقاتل بزعمه
بان الله سبحانه لا يدخل احدا النار بارتكاب الكبائر وانه يغفر ما دون الكفر
لا محالة وان المؤمن العاصي ربه يعذب يوم القيمة على متن الصراط على متن جهنم تصيبه
نفخ النار ولهيبها فيتألم بذلك على مقدار المعصية ثم يدخل الجنة ويقال رجل مرجي
كمرجع والنسبة اليه مرجئي كمرجعي هذا اذا همزت فاذا لم تهمز قلت رجل مرج كمعط
ومرجي بالتشديد فقط وهم المرجئة لان بعض العرب يقول ارجيت واخطيت
وتوضيت فلا يهمز والضمير المنصوب راجع الى الصنع المضمن في يصنع اي يؤخر العمل
فلا يعمل باحدهما حتى يلقى من يخبره بما يتعين له احدهما لكن هذا انما يشكل بما اذا كان الخبران
متناقضين كالامر والنهي في شيء واحد ولهذا وردت الرواية الاخيرة فالرواية الاولى
لا يمكن الا رجاء والتأخير فيه والثانية لما لا يمكن وفي المقام كلام ليس هذا موضع تحقيقه
وسنشير اليه فيما سيأتي الحديث الثامن وهو السادس والتسعون والمائة

علي

علي بن ابرهيم عن ابيه عن عثمن بن عيسى عن الحسين بن المختار القلانسي من اصحاب ابي الحسن
موسى عم واقفي وقال ابن عقدة عن علي بن الحسن انه كوفي ثقة والاعتماد عندي على الاول صحه
وقال النجاشي ابو عبد الله كوفي مولى احمس من بجيلة واخوه الحسن يكنى ابا محمد ذكرا فيمن
روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم انه من خاصة الكاظم وثقاته واهل الورع
والعلم والفقه من شيعته وقال الفاضل الاسترابادي انه في الكافي وهو في هذا الكتاب
قال الحسين بن مختار قال لي الصادق ع رحمك الله وقد روى جماعة من الثقات عنه
نصا على الرضا ع وفي سند الغيبة الحسين بن المختار بياع الاكفان روى عن ميمون
ابن مهران من اصحاب امير المؤمنين ع فربما كان غيره فتدبر عن بعض اصحابنا عن
ابي عبد الله عليه السلم قال ارأيتك لو حدثتك بحديث العام ثم جئتني من قابل فحدثتك
بخلافه بايهما كنت تاخذ قال كنت آخذ بالاخير فقال رحمك الله الحديث التاسع
وهو السابع والتسعون والمائة وعنه عن ابيه عن اسمعيل بن مرار روى عن يونس
ابن عبد الرحمن روى عنه ابرهيم بن هاشم لم ير وكذا في رجال الفاضل الاسترابادي
عن يونس عن داود بن فرقد عن معلى بن خنيس بضم الخاء المعجمة وفتح النون والسين
المهملة بعد الياء المثناة تحتها المنقطتين ابو عبد الله مولى الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم
ومن قبله كان مولى بني اسد كوفي قال النجاشي انه بزاز بالزاي قبل الالف وبعدها
وهو ضعيف جدا وقال ابن الغضايري انه كان اول امره مغيريا ثم دعا الى محمد
ابن عبد الله المعروف بالنفس الزكية وفي هذه الظنة اخذه داود بن علي فقتله
والغلاة يضيفون اليه كثيرا قال ولا ارى الاعتماد على شيء من حديثه وروي فيه احاديث
يقتضي الذم واخرى يقتضي المدح وقال الشيخ ابو جعفر الطوسي ره في كتاب الغيبة
بغير اسناد انه كان من قوام ابي عبد الله عليه السلم وكان محمودا عنده ومضى على
منهاجه وهذا يقتضي وصفه بالعدالة وقال الكشي حمدويه بن نصير قال حدثني العبيدي
عن ابن ابي عمير عن عبد الرحمن بن الحجاج عن اسمعيل بن جابر ان ابا عبد الله عم لما اخبر
بقتل المعلى بن خنيس قال اما والله لقد دخل الجنة عن ابن ابي نجران عن حماد الناب
عن المسمعي قال لما اخذ داود بن علي المعلى بن خنيس حبسه فاراد قتله فقال له معلى
اخرجني الى الناس فان لي دينا كثيرا ومالا حتى اشهد بذلك فاخرجه الى السوق
فلما اجتمع الناس قال ايها الناس انا معلى بن خنيس فمن عرفني فقد عرفني اشهدوا
ان ما تركت من مال عين او دين او امة او عبد او دار قليل او كثير فهو لجعفر بن محمد ع
قال فشد عليه صاحب شرطة داود فقتله فلما بلغ ذلك ابا عبد الله ع خرج يجر ذيله
حتى دخل داود بن علي واسمعيل ابنه خلفه فقال يا داود قتلت مولاي واخذت ماله

فقال ما انا قتلته ولا امرت بقتله فقال لادعون الله عليك قتل مولاي واخذ مالي فقال ما قتلته
ولكن قتله صاحب شرطتي فقال باذنك او بغير اذنك فقال بغير اذني فقال يا اسمعيل شانك
فخرج اسمعيل والسيف معه حتى قتله في مجلسه قال حماد فاخبرني المسمعي عن معتب قال فلم يزل
ابو عبد الله ع ليلته ساجدا وقائما قال فسمعته في آخر الليل وهو ساجد يقول اللهم اني اسالك
بقوتك القوية وبجلالك الشديد وبعزتك التي كل خلقك لها ذليل ان تصلي على محمد وال محمد
وان تاخذه الساعة قال فوالله ما رفع راسه من سجوده حتى سمعنا الصائحة فقالوا مات
داود بن علي فقال ابو عبد الله ع اني دعوت الله عليه بدعوة فبعث الله اليه ملكا فضرب
راسه بمرزبة انشقت مثانته احمد بن منصور عن احمد الفضل عن محمد بن زياد عن عبد الرحمن
بن الحجاج عن اسمعيل بن جابر قال دخلت على ابي عبد الله ع فقال لي يا اسمعيل قتل المعلى
قلت نعم قال اما والله لقد دخل الجنة وجدت بخط جبرئيل بن احمد قال حدثني محمد بن عبد الله
ابن مهران قال حدثني محمد بن علي الصيرفي عن الحسن عن الحسين بن ابي العلا عن ابي العلا
وابي المغرا عن ابي بصير قال سمعت ابا عبد الله ع وجرى ذكر المعلى بن خنيس يا ابا محمد
اكتم علي ما اقول لك في المعلى قلت افعل فقال اما انه ما كان ينال درجتنا الا بما ينال
من داود بن علي قلت وما الذي يصيبه من داود قال يدعو به فيامر به فيضرب عنقه ويصلبه
قلت انا لله وانا اليه راجعون قال ذلك قابل فلما كان قابل ولي المدينة فقصد
المعلى فدعاه وساله عن شيعة ابي عبد الله ع وان يكتبهم له فقال ما اعرف من اصحاب
ابي عبد الله احدا وانما انا رجل اختلف في حوائجه ولا اعرف له صاحبا قال تكتمني
اما انك ان كتمتني قتلتك فقال له المعلى بالقتل تهددني والله لو كانوا تحت قدمي
ما رفعت قدمي عنهم وان انت قتلتني لتسعدني واشقيك وكان كما قال ابو عبد الله ع
لم يغادر منه قليلا ولا كثيرا ابو علي احمد بن علي السلولي المعروف بشقران قال حدثنا
الحسين بن عبد الله القمي عن محمد بن اورمة عن يعقوب بن يزيد عن سيف بن عميرة
عن المفضل بن عمر الجعفي قال دخلت على ابي عبد الله ع يوم صلب فيه المعلى فقلت له
يا ابن رسول الله الا ترى هذا الخطب الجليل الذي نزل بالشيعة في هذا اليوم قال
وما هو قلت قتل المعلى بن خنيس قال رحم الله المعلى قد كنت اتوقع ذلك لانه اذاع
سرنا وليس الناصب لنا حربا باعظم مؤنة علينا من المذيع علينا سرنا فمن اذاع
سرنا الى غير اهله لم يفارق الدنيا حتى يعضه السلاح او يموت بخبل ابراهيم بن محمد بن
العباس الختلي قال حدثني احمد بن ادريس القمي المعلم قال حدثني محمد بن احمد بن يحيى
عن محمد الحسين عن موسى بن سعدان عن عبد الله بن القاسم عن حفص الابيض التمار
قال دخلت على ابي عبد الله ع ايام طلب المعلى بن خنيس فقال لي يا حفص اني امرت

المعلى

المعلى في العتق فابتلي بالحديد اني نظرت اليه يوما كئيب حزين فقلت يا معلى كانك ذكرت
اهلك وعيالك قال اجل قلت ادن مني فدنا مني فمسحت وجهه فقلت اين تراك فقال
اراني في اهل بيتي وهذه زوجتي وهذا ولدي قال فتركته حتى تملى منهم حتى نال
ما ينال الرجل من اهله ثم قلت ادن مني فدنا مني فمسحت وجهه فقلت اين تراك فقال
اراني معك في المدينة قال قلت يا معلى ان لنا حديثا من حفظ علينا حفظ الله عليه دينه
ودنياه يا معلى لا تكونوا اسرى في ايدي الناس بحديثنا ان شاؤوا امنوا عليكم
وان قتلوكم يا معلى انه من كتم الصعب من حديثنا جعله الله نورا بين عينيه وزوده
القوة في الناس ومن اذاع الصعب من حديثنا لم يمت حتى يعضه السلاح او يموت
بخبل انت مقتول فاستعد هذا هذه ونحوها هي الاحاديث التي ذكر العلامة انها مذكورة
في كتابه الكبير قيل ولا يخفى ان في هذين الحديثين من الذنب ليس الا من جهة تقصيره في التقية
وترحم الصادق ع في الاول منهما يدل ان ذلك التقصير وان لم يكن مرضيا لهم
مستحسنا لكنه لم يكن ايضا موجبا لعدم رضاهم عليهم السلم عنه وخروجه عن اهل الجنة
واستحقاقه لها بل الظاهر ان ذكر ذلك منه عن شفقة وتاسف لترتب القتل وانه على
درجته وعظم قدره بقتله وكان كفارة لذلك ايضا اما اعتقاد خلاف الحق فينفيه
سياق هذه الروايات جميعا وبالجملة الذي يظهر انه من اهل الجنة كما قال السيد
احمد بن طاوس واما رواه الكشي في ترجمة عبد الله بن ابي يعفور عن محمد بن الحسن
عن الحجال عن ابي مالك الحضرمي عن ابي العباس البقباق قال تدارا ابن ابي يعفور
ومعلى بن خنيس الاوصيا انبيا قال فدخلا على ابي عبد الله ع قال فلما استقر
مجلسهما ابتدا بهما ابو عبد الله ع فقال يا عبد الله ابرأ ممن قال انا انبيا محمد
ابن زياد في طريقه وهو غير معلوم الحال ولا مذكور في الرجال ومع ذلك مناف
لما تقدم من الروايات فان كان ولا بد فليكن محمولا على اول امره كما تقدم عن
علي بن الغضايري والله اعلم انتهى اقول الذي دل عليه روايات المدح
انه كان حسن العاقبة من اهل ولم يدل على كونه ثقة يعتمد عليه فيما يرويه في ايام
عمره فالا وسط التوقف فيما يرويه قال قلت لابي عبد الله عليه السلم اذا جاء حديث
عن اولكم وحديث عن آخركم بايهما ناخذ فقال خذوا به حتى يبلغكم عن الحي فان
بلغكم عن الحي فخذوا بقوله قال ثم قال ابو عبد الله عليه السلم انا والله لا ندخلكم الا
فيما يسعكم وفي حديث آخر خذوا بالاحدث الشرح دل قوله ع انا والله لا ندخلكم
الا فيما يسعكم بقرينة قوله في الحديث السابق بايهما اخذت من باب التسليم وسعك
انه جاز الاخذ والعمل بكل واحد من حديثي السابق منهم واللاحق فلعل هذا يكون قوله خذوا

بالاحديث امر استحباب لا امر ايجاب ثم لابد ان يعلم ان هذه الاختلافات الواقعة في الاحاديث
المروية عن اصحاب العصمة عليهم السلم اكثرها في الامور العملية الفرعية لا في الاصول الاعتقادية
وما يجري مجراها من الامور العظيمة المهمة والاختلاف في القسم الاول ليس اختلافا في الشيء الا شان
ان ياخذ بايهما كان بعد ان يكون كلاهما ثابتا عن اهل بيت النبوة عليهم السلم او مستندا اليهم
والناس لجمود قرائحهم وعدم فرقهم في المسايل العلمية الاصولية والعملية الفروعية صعب
عليهم الامر في مثل هذا الحديث واستشكلوه حتى جزموا بالقدح في احدى الروايتين اما من
جهة الراوي وجرحه واما من جهة المتن وحملها على التقية **الحديث العاشر** وهو الثامن والستون
والماية محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن عيسى عن صفوان بن يحيى عن داود بن الحصين
الاسدي مولاهم كوفي روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم قال الشيخ الطوسي ره
انه واقفي وكذا قال ابن عقدة وقال النجاشي انه ثقة والا وما عندي التوقف في روايته
عنه وفي النجاشي ايضا انه كان يصحب ابا العباس البقباق له كتاب روى عنه العباس
ابن عامر وفي غيرها والقسم بن اسمعيل عن عمر بن حنظلة العجلي البكري الكوفي وكنيته
ابو صخر من اصحاب الباقر ع وقد وثقه الشهيد الثاني وفي التهذيب في اوقات الصلوات
محمد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن يزيد بن خليفة قال قلت لابي
عبد الله ع ان عمر بن حنظلة اتانا عنك بوقت فقال ابو عبد الله ع اذا لا يكذب
علينا الحديث قال سالت ابا عبد الله عليه السلم عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعة في
دين او ميراث فتحاكما الى السلطان والى القضاة ايحل ذلك قال من تحاكم اليهم
في حق او باطل فانما تحاكم الى الطاغوت وما يحكم له فانما ياخذ سحتا وان كان حقا
ثابتا له لانه اخذه بحكم الطاغوت وقد امر الله ان يكفر به قال الله يريدون ان
يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به قلت فكيف يصنعان قال ينظران من
كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا فليرضوا به
حكما فاني قد جعلته عليكم حاكما فاذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فانما استخف بحكم الله
وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله قلت فان كان
كل رجل اختار رجلا من اصحابنا فرضيا ان يكونا الناظرين في حقهما واختلفا فيما
حكما وكلاهما اختلف في حديثكم قال الحكم ما حكم به اعدلهما وافقههما واصدقهما في الحديث
واورعهما ولا يلتفت الى ما يحكم به الآخر قال قلت فانهما عدلان مرضيان عند اصحابنا
لا يفضل واحد منهما على الآخر قال فقال ينظر الى ما كان من روايتهم عنا في ذلك
الذي حكما به المجمع عليه من اصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور
عند اصحابك فان المجمع لا ريب فيه وانما الامور ثلثة امر بين رشده فيتبع وامر

عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق قال اذا ورد عليكم حديث فوجدتم
له شاهدا من كتاب الله او من قول رسول الله صلى الله عليه وآله فالذي جاءكم به اولى به **الشرح**
جزاء الشرط الاول محذوف لظهوره تقديره فخذوه او نحو ذلك وجزاء الشرط الثاني ما دل
عليه كلمة الا وهو قوله فالذي جاءكم به اولى به او هو اولى باخذه والعمل به دونكم والغرض
التاكيد في ترك العمل بما خالف كتاب الله وقول الرسول صلعم **الحديث الثالث** وهو
الواحد والماتان عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه عن النضر بن سويد
عن يحيى الحلبي عن ايوب بن الحر مجهول قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول كل شيء مردود
الى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف **الحديث الرابع**
وهو الثاني والماتان محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن ابن فضال عن علي بن عقبة بضم العين
المهملة ابن خالد الاسدي ابو الحسن مولى كوفي ثقة ثقة روى عن ابي عبد الله ع عن ايوب
ابن راشد البزاز الكوفي من اصحاب الصادق ع عن ابي عبد الله عليه السلم قال ما لم يوافق
من الحديث القرآن فهو زخرف **الشرح** معنى هذين الحديثين واضح بعد ما علمت بالبرهان
اليقيني كون القرآن العظيم اصل جميع العلوم الاصولية والفروعية والزخرف كل مموه
مزور وهو استعارة حسن وتشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشبه فيهما ترويج الامر
الفاسد الكاسد بابهام الامر الرائج الحق ووجه مناسبة الحديث اهل السنة ظ
الحديث الخامس وهو الثالث والماتان محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن
ابن ابي عمير عن هشام بن الحكم وغيره عن ابي عبد الله عليه السلم قال خطب النبي صلى الله
عليه وآله بمنى فقال ايها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فانا قلته وما جاءكم يخالف
كتاب الله فلم اقله **الشرح** قد علمت ان القرآن اصل جميع العلوم الثابتة والاقوال
الحقة فكل قول ثابت حق فهو قول الله وقول الله قول رسوله صلعم حتى انه لو ادعى احد ان
الحكم بان النفي والاثبات لا يجتمعان والقول بان الواحد نصف الاثنين وكذا العالم
حادث ونحوه من العلوم الثابتة والاقوال الحقة كلها قول الله وقول رسوله صلعم لصدق
في دعواه ان جرد النظر من خصوصية القايل والمحل وخصوصية اللفظ **الحديث السادس**
وهو الرابع والماتان وبهذا الاسناد عن ابن ابي عمير عن بعض اصحابه قال سمعت ابا
عبد الله عليه السلم من خالف كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وآله فقد كفر **الشرح**
يعني به اذا كانت المخالفة عمدا وفي اصول العقايد الدينية **الحديث السابع** وهو الخامس
والماتان علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس رفعه قال قال علي بن الحسين
عليهما السلم ان افضل الاعمال عند الله ما عمل بالسنة وان قل **الشرح** معنى الالفاظ
ظاهر والسبب في ان الاعمال البدنية ليس لها كثير فضل الا بالنيات القلبية والاعتقادات

سبيله

الفقيه والعمل بالسنة منظور فيه قصد طاعة الشرع وامتثال الامر وانقياد الرسول صلعم فهو لان
على نهج الطاعة وهيئة التسليم والخضوع يكون لا محالة ثوابه اكثر وان قل عدده واجره اعظم وان
صغر مقداره من العمل المجرد عن هذه النيات وان كثر وعظم والى هذا المعنى اشار بقوله تعالى
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم بينه تعالى ان الاعمال الجسمانية وموضوعاتها
لا يوجب نيل القرب والمنزلة عنده تعالى ولكن التقوى لكونه امرا قلبيا وقصدا عقليا يوجب ذلك
وفي هذا المقام تحقيقات علمية لضيق المجال عن بيانها **الحديث الثامن** وهو السادس والمائتان
عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن اسمعيل بن مهران عن ابي سعيد القماط وصالح بن
سعيد ابو سعيد القماط كوفي قال النجاشي مولى بني اسد كوفي روى عن ابي عبد الله ع
ذكره ابو العباس له كتاب روى عنه جماعة منهم عبيس بن هشام عن ابان بن تغلب
عن ابي جعفر عليه السلم انه سئل عن مسئلة فاجاب فيها قال فقال الرجل ان الفقهاء لا يقولون
هذا فقال يا ويحك فهل رأيت فقيها قط ان الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
في الآخرة المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله **الشرح** الذي ذكره عليه السلم
في صفة الفقيه الحقيقي من كونه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة كانه اشارة الى ثمرة الفقه
فان اصله هو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر علما يقينيا ولذلك جد
ورد عنه صلعم لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن
وجوها كثيرة وعن بعض التابعين في وصف الفقيه البصير بدينه المداوم على عبادة ربه
الورع الكاف عن اعراض الناس العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يذكر
احد من السابقين ممن يوثق بكلامه في جملة اوصاف الفقيه الحافظ لفروع الفتاوي او
لاحكام الدعاوي والمعاملات ولسنا نقول ان اسم الفقه ليس متناولا للفتاوي
في الاحكام العملية الظاهرة بلى ولكن على سبيل الاستتباع وبطريق العموم والشمول
وكان اكثر اطلاقهم على علم الآخرة والمكاشفات القلبية فان مثل هذا التخصيص الذي شاع
بين الناس بعد القرون السابقة ضرب من التلبيس الذي بعث الناس على التجرد له
والاعراض عن علم الآخرة واحكام القلب واحوال النفس سيما وقد وجدوا على
ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض دقيق والعمل به عسير ولخفائه وبطونه
لا يمكن التوصل به الى الجاه والمال واستجلاب القلوب وتحصيل الولاية والقضاء
فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي
هو اسم محمود في الشرع بهذا القسم كتخصيص اسم الحكمة بالطب الذي هو من فروع ادنى
اقسامها اعني الطبيعي حتى يقال للطبيب الطرقي انه حكيم فكذا نسبة الفقه الذي هو حفظ
الفتاوي الى اصل الفقه الذي كان معروفا عند الائمة الهادين عليهم السلم ومن على سيرهم

من الذين

بين غيه فيجتنب وامر مشكل يرد علمه الى الله والى رسول الله صلى الله عليه وآله حلال بين
وحرام بين وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن اخذ بالشبهات
ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم قلت فان كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما
الثقات عنكم قال ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به ويترك
ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة قلت جعلت فداك ارايت ان كان
الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة ووجدنا احد الخبرين موافقا للعامة والآخر مخالفا
لهم باي الخبرين يؤخذ قال ما خالف العامة ففيه الرشاد فقلت جعلت فداك فان وافقهما
الخبران جميعا قال ينظر الى ما هم اليه اميل حكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر قلت
فان وافق حكامهم الخبرين جميعا قال اذا كان ذلك فارجه حتى تلقى امامك فان الوقوف
عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات **الشرح** قوله في دين بنيع الدال وقد مر
معنى الطاغوت والسحت الحرام وقوله الخبران عنكما لعل المراد الصادق والكاظم او الباقر
عليهم السلم او كانت التثنية في الخطاب باعتبار تثنية الخبر وفي نسخة اخرى عنهما وقوله
فارجه اي فاخره ابدلت همزته يا وحذفت بالجزم والتأخير راجع الى العمل او الاخذ
بقرينة المقام والاقتحام من قحم في الامر رمى بنفسه فيه من غير روية **باب** الاخذ
بالسنة وشواهد الكتاب وهو الباب الواحد والعشرون من ابواب كتاب العقل والعلم
وفيه اثنى عشر حديثا **الحديث الاول** وهو التاسع والتسعون والمائة علي بن ابرهيم
عن ابيه عن النوفلي عن السكوني عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله ان على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف
كتاب الله فدعوه **الشرح** تحقيق هذا الحديث على وجهه يستدعي تمهيد مقدمات
الاولى ان حقيقة كل حق هو وجوده الثابت له في نفسه والوجود للشيء اما لذاته او
لغيره والاول هو الاول تعالى والثاني هو ما سواه ففي الحق بالحقيقة هي عين ذاته وكل
واحد مما سواه حق بحقيقة حاصلة له من غيره فهو في حد نفسه باطل وبغيره حق فجميع الاشياء
الممكنة لكانت الذوات بالقياس الى انفسها وهي حقايق ثابتة من جهة غيرها الذي
هو سبب وجودها وحقيقتها ولا بد ان ينتهي اسباب وجودها ومبادي حقيقتها الى ما
لا سبب له ومبدأ لا مبدأ قبله دفعا للتسلسل والدور الثانية ان العلم والخبر الصادق
هو الوجود الادراكي المطابق للامر الخارجي بما في الخارج ان كان معلولا متعلقا بغيره فالعلم
او الخبر عنه لا يحصل الا من طريق العلم بسببه ومقوم وجوده والا لم يكن العلم علما به ولا الخبر
خبرا عنه على الوجه الذي هو عليه ولذلك قالت الحكماء ان العلم اليقيني بذي السبب لا يحصل
الا من جهة العلم بسببه وان ما لا سبب له لا يمكن العلم الحقيقي لشيء به الا بصريح مشاهدة ذاته

فالعلم بسبب الشيء هو البرهان عليه وما لا سبب له لا برهان عليه والموجود الذي لا سبب له هو الاول
جل وعلا فهو البرهان على كل شيء اما بذاته بلا واسطة او بواسطة ما هو ابعض من ذاته المقدسة الثالثة
ان كتاب الله النازل من عند الله على قلب محمد صلى الله عليه وآله من طريق الوحي في الباطن فهو من
من الغيب الى الشهادة ومن السر الى العلانية وكل كتاب نزل هكذا فهو كتاب الله والمنزل عليه
كان نبيا من انبيائه عليهم السلم واما ساير الكتب فليس حصولها كذلك من عند الله بل بواسطة
اسباب خارجة من سماع او قراءة او رواية او درس وبحث وما يشبهها فيتطرق فيها الخطا
والسهو والخلل والقصور فاذا تمهدت هذه المقدمات نقول معنى قوله صه على كل حق حقيقة ان
كل موجود في الخارج وجوده زائد على ذاته فله اصل يشتق منه وجوده وهو حقيقته الحقة اذ هو
موجود وهو بذاته اذا قطع النظر عن ذلك الاصل لا ذاته من حيث ذاته بذاته يكون باطلا مستقلا
فهو بذلك الاصل او حقيقة فذلك الاصل حقيقته وانما اسند الكلمة على لدلالتها على الاحاطة والا
التي للعلة بالقياس الى معلولها وقوله على كل صواب نورا اشارة الى ان لكل علم حقيقي
يقيني وكل خبر صادق عن ثبوته او عن حال من احوال وجوده برهانا وسمي البرهان نورا اذ به
يظهر وجود ما يبرهن به واحواله وقوله فما وافق كتاب الله فخذوه اشارة الى ان كتاب الله
ميزان قسطه الحيف عن الحق لسانه ونور هدى لا يطفا برهانه فينبغي ان يوزن به العلوم
والاخبار ويستضاء به الافكار والانظار وهو نسخة منتخبة من اللوح المحفوظ الذي فيه
صور حقايق الاشياء كلها واصول دقايق الامور وجلايلها فما وافق كتاب الله فهو حق
وصواب وهدى ونور يجب اخذه والعمل بموجبه ومؤداه وما خالف كتاب الله فهو باطل
وخطا وزيغ وزور يجب تركه والاجتناب عنه والله ولي الهداية والتوفيق وبيده
ازمة العلم والتحقيق الحديث الثالث وهو المائتان محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد
عن علي بن الحكم عن ابان بن عثمان عن عبد الله بن ابي يعفور بالياء المنقطة تحتها نقطتين والعين
المهملة الساكنة والفاء والراء بعد الواو واسم ابي يعفور واقد بالقاف وقيل وقدان
يكنى ابا محمد ثقة جليل في اصحابنا كريم على ابي عبد الله ع مات في ايامه وكان قاريا يقري
في مسجد الكوفة وقد سبق ذكر طرف من احواله قال وحدثني حسين بن ابي العلا الخفاف
قال النجاشي من اصحاب الباقر ع ابو علي الكوفي العامري مولاهم اعور من اصحاب الصادق ع
ابو علي الاعور مولى بني اسد ذكر ذلك ابن عقدة وقال احمد بن الحسين هو مولى بني عامر
واخواه علي وعبد الحميد روى الجميع عن ابي عبد الله ع وكان الحسين اوجههم وفي الفهرست
له كتاب يعد في الاصول روى عنه ابن ابي عمير وقال الكشي قال حمدويه الحسين هو
ازدي وهو الحسين بن خالد بن طهمان الخفاف وكنية خالد ابو العلا اخوه عبد الله
ابن ابي العلا انه حضر ابن ابي يعفور في هذا المجلس قال سالت ابا عبد الله عليه السلم

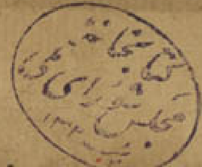
عن

بابويه اذا التاريخ صه وقال ابن الغضايري رايت له كتابا سماه تفسير الباطن لا يتعلق من
الاسلام بسبب ولا يروي الا عن عمه وفي النجاشي مولى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله
ابن عباس ضعيف جدا ذكره بعض اصحابنا في الغلاة فاسد الاعتقاد ومحمد بن يحيى عن
سلمة بن الخطاب ابو الفضل البراوستاني وبراوستان قرية من قرى قم الازدورقاني
قرية من سواد الري كان ضعيفا في حديثه كذا قال النجاشي وقال ابن الغضايري انه يكنى
ابا محمد وضعفه عن علي بن حسان عن موسى بن بكر الواسطي اصله كوفي واقفي له كتاب
روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم قال الكشي حدثني حمدويه بن نصير قال حدثنا
يعقوب بن يزيد عن محمد بن سنان عن موسى بن بكر الواسطي قال ارسل الي ابو الحسن ع
فاتيته فقال لي ما اراك مصفرا وقال الم آمرك بأكل اللحم قلت ما اكلت غيره
منذ امرتني فقال كيف تأكل قلت طبيخا قال كله كبابا فاكلت لي بعد جمعة فاذا الدم
قد عاد في وجهي فقال لي نعم ثم قال لي يخف عليك ان نبعثك في بعض حوائجنا فقلت
انا عبدك فمرني بما شئت فوجهني في بعض حوائجه الى الشام عن زرارة بن اعين عن ابي
جعفر عليه السلم قال كل من تعدى السنة رد الى السنة الشرح معناه واضح الحديث الثاني عشر
وهو العاشر والمائتان علي بن ابرهيم عن ابيه عن النوفلي عن السكوني عن ابي عبد الله
عليه السلم عن آبائه عليهم السلم عن امير المؤمنين عليه السلم السنة سنتان سنة في فريضة
الاخذ بها هدى وتركها ضلالة وسنة في غير فريضة الاخذ بها فضيلة وتركها الى غير خطيئة
الشرح السنة في الاصل الطريقة وفي حديث المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب
اي خذوهم على طريقتهم واجروهم في قبول الجزية مجراهم ثم خص استعمالها بطريقة
الحق التي وضعها الله للناس وجاء بها الرسول صه ثم يقال لكل ما يعقل سلوك هذه
الطريقة التي هي الصراط المستقيم من العبد الى الرب من الفرايض والنوافل فكل عمل
شرعي واعتقاد حق هو من السنة اذ به يتقرب العبد الى الله تعالى وفي الحديث القدسي
ما تقرب العبد الي بشيء مثل ما افترضته عليه ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
الحديث فالسنة اسم عام ومعنى مشترك بين السنتين احديهما الفريضة وهي ما الاخذ
بها هدى يوجب الثواب وتركها ضلالة توجب العقاب اذ الاخذ بها هو ملازمة الصراط
والمرور عليه فيوجب القرب منه تعالى وكل من قرب منه فهو في جنة ونعيم وثواب و
تركها هو السقوط عن الصراط او الانحراف عنه فيوجب البعد عنه تعالى وكلما بعد عن ا
وعن دار رحمته فهو في نار جحيم وعذاب اليم وثانيتهما النفل وهو ما الاخذ به فضيلة
زايدة اذ به ومنها يمكن سلوك طريق الهدى والوصول الى منزل النجاة في العقبى وتركه
ليس الى خطيئة توجب العذاب في الدار الاخرى واعلم ان اطلاق السنة على النفل

من باب تسمية الشي باسم جنسه الاعم كتسمية مقابل التصديق باسم التصور لا ان هناك وضعا
آخر لكن المتاخرين اذا اطلقوا السنة ارادوا به ما يقابل الفرض وهو عرف طار نشاؤه
كثرة استعمال الفقهاء في الجزء الاخص فالواجب مقابل السنة في العرف الجديد وهو سنة
في ذلك العرف ولهذا ورد في حديث غسل الجمعة انه سنة واجبة تم كتاب العقل
والعلم والحمد لله رب العالمين اولا وله الحمد والشكر على توفيقه لاتمام شرح هذا الكتاب
والابانة لمعانيه والرموز التي هي اوزار الخطاب والصلوة والسلم على محمد وآله خزنة اسرار
الوحي والتنزيل وحفظة اسرار العلم والتاويل حمدا لا حد له ولا منتهى وصلوة لا تعد ولا تحصى
وكتب المولف الشارح بيده الجانية والآثمة الفانية في شهور
اربع واربعين سنة بعد الالف حامدا لله مصليا
مستغفرا محمد بن ابرهيم المشتهر بصدر
الشيرازي اوتنا كتابنا بيميننا بحق
محمد وآله الطاهرين

تم تم

من الذين سبقونا بالايمان والتابعين لهم باحسان واعلم انه ذكر ابو حامد الغزالي في
كتاب الاحياء في مبدا نشو علم الفتاوي والاحكام وسبب تدوينه وتدوين علم الكلام
ان الخلافة بعد رسول الله صلعم تولاها الخلفاء وكانوا عالمين بالاحكام الدينية مشتغلين بالفتاوي
في الاقضية وكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقايع لا يستغنى فيها عن المشاورة
فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام
الخلق من امر الدنيا واقبلوا على الله بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة
بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق واستقلال بعلم الفتاوى والاحكام
اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في جميع
مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم
على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوهم هربوا واعرضوا واضطروا الخلفاء الى الالحاح
في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الولاة
والحكام عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه
من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا
الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة
الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض
عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله في كل عصر من علماء دينه ثم ظهر بعدهم من
الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقايد ومالت نفسه الى سماع
الحجج فيها فغلبت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فانكب الناس على علم الكلام
واكثروا فيها التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات
في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة
ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة
فيه لما تولد من فتح بابه من التعصبات والخصومات الناشية من اللداد المفضية الى
تخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب المجتهدين
فترك الناس الكلام وفنون العلم واقبلوا على المسائل الخلافية وزعموا ان غرضهم
استنباط دقايق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها
التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات وهم مستمرون عليه الى
الآن وليس يدري ما الذي قدر الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على
الاكباب على هذه العلم والمناظرة ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى علم آخر من العلوم
لمالوا اليه ولم يسكتوا عن التعلل والاعتذار بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا مطلب لهم



سوى القرب لله رب العالمين **الحديث التاسع** وهو السابع والمائتان عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه عن ابي اسمعيل ابرهيم بن اسحق الازدي عن ابي عثمن العبدي عن جعفر عن آبائه عليهم السلم عن امير المؤمنين عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا قول الا بعمل ولا عمل الا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية الا باصابة السنة **الشرح** اي لا يتم قول الايمان الا بعمل الاركان ولم يتم عمل الاركان الا بنية الجنان لقوله صلى الله عليه وآله انما الاعمال بالنيات وقوله لكل امرء ما نوى ولم يصح نية ولا اعتقاد الا باصابة نور الهدى والبرهان ومعرفة الحكمة الالهية والكتاب والفرقان فان السنة عبارة عن طريق الحق واصابتها هي بادراك اصول المعارف الحقيقية وشعب الايمان والعمل بموجبها **الحديث العاشر** وهو الثامن والمائتان علي بن ابرهيم عن ابيه عن احمد بن النضر عن عمرو بن شمر عن جابر عن ابي جعفر عم قال قال ما من احد الا وله شرة وفترة فمن كانت فترته الى سنة فقد اهتدى ومن كانت فترته الى بدعة فقد غوى **الشرح** الشرة غلبة الحرص على الشيء والفتور كقعود وهو الضعف والانكسار والمعنى ان كل واحد من افراد الناس له قوة وسورة في وقت كوقت الصحة والسلامة واليقظة والحركة وله فترة وضعف في وقت كوقت المرض والنوم والدعة والسكون فمن كان فتوره الى السنة اي استعدادا والنهوض اليها والعمل بمقتضاها فقد اهتدى ومن كان فتوره وكلاله لطلب البدعة والسعي في تحصيلها فقد ضل وغوى ويحتمل ان يكون المراد من قوله فمن كانت فترته الى السنة ان يكون منشأ فترته راجعا الى السنة اي تحمل المشاق الدينية والطاعات الشرعية صار سبب فتوره وضعفه والمراد من قوله ومن كانت فترته الى بدعة ان يكون منشأ فترته مستندا الى بدعة كنسك الجاهلين ورهبانية المتصوفين المبتدعين **الحديث الحادي عشر** وهو التاسع والمائتان علي بن محمد عن احمد بن محمد البرقي عن علي بن حسان هو اثنان احدهما الواسطي ابو الحسين القصير المعروف بالمنمس بالنون والسين المهملة عمر اكثر من مائة سنة وكان لا باس به روى عن ابي عبد الله عم وثانيهما الهاشمي مولاهم بن حسان بن كثير مولى ابي جعفر عم ابو الحسن يروي عن عمه عبد الرحمن غال ضعيف قال الكشي قال محمد بن مسعود سألت علي بن الحسن بن فضال عن علي بن حسان قال عن ايهما سألت اما الواسطي فهو ثقة واما الذي عندنا نشير الى علي بن حسان الهاشمي يروي عن عمه عبد الرحمن بن كثير فهو كذاب وهو واقفي ايضا لم يدرك ابا الحسن عم وقال ابن الغضائري بعد تضعيف علي بن حسان بن كثير ومن اصحابنا علي بن حسان الواسطي ثقة ثقة وذكر ابن بابويه في اسناده الى عبد الرحمن بن كثير الهاشمي روايته عن محمد بن الحسن عن محمد بن الحسن عن علي بن حسان الواسطي عن عمه عبد الرحمن بن كثير الهاشمي وهو يعطي ان الواسطي هو ابن اخي عبد الرحمن واظنه سهوا من قلم الشيخ بن

بابويه

فرغ من تحرير هذا الكتاب العبد المذنب المحتاج الى رحمة الله الملك الهادي محمد بن الغالب الفيروزآبادي عفي عنهما في يوم الاحد ١٧ شهر رجب المرجب سنة ١٠٨٢ من الهجرة النبوية على هاجرها الآلاف التحية

واحبها وتجنبني ولكنني منها بالقرب في ذلك
لا استطيع الى النهوض لانني ربي اشتني بافادكم الحرمان
فاجابه النبي عونتهم الى [illegible] الحزن
يا ايها الرجل الذي قد جاء يشكو ريب الزمان
[illegible] وتعب [illegible] فيها الشفا من ريب الزمان
[illegible] ابنه عن احمد بن [illegible] فرتعلا تكون في الميزان
[illegible] وان قلتلا باغ الاحسان
[illegible] فترة فمن كانت فترة [illegible] والمصطفى الذي خير خوان
الشرح الشره غلبة [illegible] واجعلم في العمل على الغيران
[illegible] احد من ازاد الناس [illegible] تقوا فقد هيه الى الخسران
[illegible] فترة وضعف [illegible] والملل مثله با اخا الاحسان
[illegible] معتدا [illegible] النمع السما لحذ النصيحة با اخا الا [illegible]
واحد [illegible] في [illegible] خير [illegible] كلامه وقع وحسن [illegible]
[illegible] على النبي الهادي وعلى ابن عمه فارس الفرسان
[illegible]

